

رَفْعُ الْبَيِّنَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

الإمام الشيخ إسماعيل حقيّ بن مصطفى
الحنفيّ الخلوّقيّ البروسويّ
المتوفى ١١٢٧ هـ

ضبطه وصنعه وخرّجه آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

المجلد الخامس

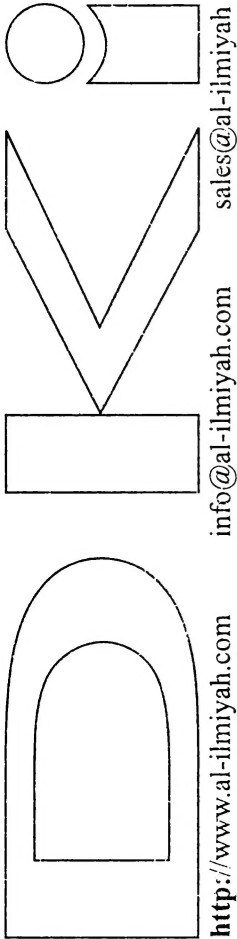
المحتوى:

منه أول سورة النحل - إلى آخر سورة الأنبياء



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah
DKI

أسستها في بيروت سنة 1971
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamed Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن

Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Qur'an

المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)

Author : Al-Shaykh Ismail Al-Burusawi (D. 1127 H.)

المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن

Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

عدد الصفحات (١٠ أجزاء / ١٠ مجلدات) 5344 Pages (10Vols./10Parts)

قياس الصفحات 17x24 cm Size

سنة الطباعة 2018 A.D. - 1439 H. Year

بلد الطباعة لبنان Printed in Lebanon

الطبعة الرابعة (لونان) Edition 4th (2 Colors)

Exclusive rights by © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beirut - Lebanon No Part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, or to post it on Internet in any form without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, ou téléchargement sur Internet de quelque manière que se soit faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تضيق الكتاب كاملاً أو مجزأً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية أو تحميله على صفحات الإنترنت بأي شكل من الأشكال إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

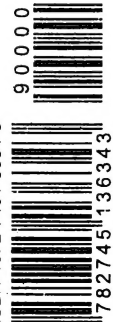
Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت
١١٠٧٢٢٩٠

ISBN-13: 978-2-7451-3634-3

ISBN-10: 2-7451-3634-8



١٦- سورة النحل

وهي مكية إلا من ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إلى آخرها
وهي مائة وثمان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾

﴿أتى أمر الله﴾ روي أن كفار قريش كانوا يستبطئون نزول العذاب الموعود لهم سخرية بالنبي عليه السلام وتكذيباً للوعد ويقولون إن صح ما يقولون من مجيء العذاب فالأصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت. وأمر الله هو العذاب الموعود لأن تحققه منوط بحكمه النافذ وقضائه الغالب وإتيانه عبارة عن دنوه واقتربه على طريقة نظم المتوقع في سلك الواقع وقد وقع يوم بدر. والمعنى دنا واقترب ما وعدتم به أيها الكفرة ﴿فلا تستعجلوه﴾ أي: أمر الله ووقوعه إذ لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم منه واستعجالهم وإن كان بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم والاستعجال طلب الشيء قبل حينه ﴿سبحانه﴾ [پاكست خدای] ﴿وتعالی﴾ [وبر ترست] ﴿عما يشركون﴾ أي: تبرأ وتقصد بذاته عن أن يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم بوجه من الوجوه ولما كان المنزه للذات الجليلة هو نفس الذات آل التنزيه إلى معنى التبري. وقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله تعالى ﴿أَقْرَبَ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ﴿١﴾ [القمر: ١] قال الكفار بعضهم لبعض: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا: ما نرى شيئاً فأنزل ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١] الآية فأشفقوا وانتظروا قرب الساعة فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي عليه السلام قائماً مخافة الساعة وحذر الناس من قيامها ورفع الناس رؤوسهم فنزل ﴿فلا تستعجلوه﴾ أي: لا تطلبوا الأمر قبل حينه فاطمأنوا وجلس النبي عليه السلام بعد قيامه وليس في هذه الرواية استعجال المؤمنين بل خوفهم وظنهم ثم إن الاستعجال بها لا يوصف به المؤمنون قال الله تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُسْفِقُونَ مِنْهَا﴾ [الشورى: ١٨] بل الظاهر أنهم لما سمعوا أول الآية اضطربوا لظن أنه وقع ثم لما سمعوا خطاب الكفار بقوله فلا تستعجلوه اطمأنوا كما في «حواشي» سعدي المفتي. ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين» يعني: إصبعيه المسبحة والوسطى معناه أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على المسبحة شبه القرب الزماني بالقرب المساحي لتصوير غاية قرب الساعة وفي حديث آخر: «مثلي ومثل الساعة كفرسي

رهان». قال في «القاموس»: كفرسي رهان يضرب للثنتين يسبقان إلى غاية فيستويان وهذا التشبيه في الابتداء لأن الغاية تجلي عن السابق لا محالة، انتهى.

والإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ كلام قديم كان الله في الأزل به متكلماً والمخاطبون به بعد في العدم محبوسون وهم طبقات ثلاث منهم الغافلون والعاقلون والعاشقون فكان الخطاب مع الغافلين بالعتاب إذا كانوا مشتاقين إلى الدنيا وزخارفها ولذاتها وشهواتها وهم أصحاب النفوس:

نفس اكرچه زير كست وخرده دان قبله اش دنياست اورا مرده دان
والخطاب مع العاقلين بوعد الثواب إذ كانوا مشتاقين إلى الطاعات والعبادات والأعمال
الصالحات التي تبلغهم إلى الجنة ونعيمها الباقية وهم أرباب العقول:
نصيب ماست بهشت اي خداشناس برو كه مستحق كرامت كنا هكارانند
والخطاب مع العاشقين بوصلة رب الأرباب إذ كانوا مشتاقين إلى مشاهدة جمال ذي
الجلال:

چه سود از روزن جنت اكر شیرين معاذ الله زكوى خود درى در روضه فرهاد نكشايد
فاستعجل أرواح كل طبقة منهم للخروج من العدم إلى الوجود لنيل المقصود وطلب
المفقود فتكلم الله في الأزل بقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: سيأتي أمر الله للخروج من العدم
لإصابة ما كتب لكل طبقة منكم في القسمة الأزلية ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فإنه لا يفوتكم يدل عليه
قوله تعالى: ﴿وَأَتْنَكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي: في العدم وهو يسمع خفيات
أسراركم ويبصر خفيات سرائركم المعدومة. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: هو منزّه في
ذاته ومتعال في صفاته أن يكون له شريك يعمل عمله أو شبيه يكون بدله:

قهار بى منازع وغفار بى ملال ديان بى معادن وسلطان بى سپاه

باغير أو أضافت شاهی بود چنانك بريك دو چوب پاره زشطرنج تام شاه

﴿يَزِلُّ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾

﴿ينزل﴾ الله تعالى ﴿الملائكة﴾ أي: جبريل لأن الواحد يسمى بالجمع إذا كان رئيساً
تعظيماً لشأنه ورفعاً لقدره أو هو ومن معه من حفظة الوحي كما قال السهيلي في كتاب
«التعريف والإعلام» ﴿ينزل الملائكة﴾ يعني ملائكة الوحي وهم جبريل وقال الملائكة بالجمع
لأنه قد ينزل بالوحي مع غيره.

- وروي - عن عامر الشعبي بإسناد صحيح قال: وكل إسرافيل بمحمد ﷺ ثلاث سنين
وكان يأتيه بالكلمة والكلمتين ثم نزل عليه جبريل بالقرآن والحكمة في توكيل إسرافيل به أنه
الموكل بالصور الذي فيه هلاك الخلق وقيام الساعة ونبوته ﷺ مؤذنة بقرب الساعة وانقطاع
الوحي. وفي «صحيح مسلم» أنه نزل عليه بسورة الحمد، أي فاتحة الكتاب، ملك لم ينزل بها
جبريل كما قال بعضهم وهو بشيع. وذكر ابن أبي حيثمة خالد بن سنان العبسي وذكر نبوته وأنه
وكل به من الملائكة مالك خازن النار وكان من أعلام نبوته أن ناراً يقال لها نار الحدثان كانت
تخرج على الناس من مغارة فتأكلهم والزرع والضرع ولا يستطيعون ردها فردها خالد بن سنان
بعصاه حتى رجعت هاربة منه إلى المغارة التي خرجت منها فلم تخرج بعد. وفي الحديث:

«وكان نبياً ضيعه قومه» يعني خالد بن سنان، أي ضيعوا وصية نبيهم حيث لم يبلغوه مراده من أخبار أحوال القبر، وقوله عليه السلام: «إني أولى الناس بعيسى ابن مريم فإنه ليس بيني وبينه نبي» أي نبي داع للخلق إلى الله وشرع، وسبق تفصيل القصة في سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ [المائدة: ١٥] الآية فلينظر هناك. وذكر أن ملكاً يقال له زياقيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو الذي يطوي الأرض يوم القيامة ويقبضها فنقع أقدام الخلائق كلهم بالساهرة فيما ذكره بعض أهل العلم، وهذا مشاكل لتوكيله بذی القرنين الذي قطع مشارق الأرض ومغاربها كما أن قصة خالد بن سنان وتسخير النار له مشكلة لحال الملك الموكل به كذا في كتاب التعريف وأسئلة الحكم.

﴿بالروح﴾ أي بالوحي الذي من جملته القرآن على نهج الاستعارة فإنه يحيي القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في السجد، يعني أن الروح استعارة حقيقية عن الوحي ووجه التسمية أحد هذين الوجهين والقرينة إبدال أن أنذروا من الروح. وقال بعضهم: البناء بمعنى مع أي ينزل الملائكة مع جبريل.

قال «الكاشفي» [درتبيان ميكويد كه هيچ ملكی فرونیاید الاكه روح بااوست ورقیب بروچنانچه بر آدمیان حفظه میباشند]. «من أمره» بيان للروح الذي أريد به الوحي فإنه أمر بالخير وبعث عليه وأيضاً هو من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق وإن كان جبريل من عالم الخلق أو هو متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثلها في قوله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ﴾ [نوح: ٢٥] أي ينزلهم بالروح بسبب أمره وأجل إرادته ﴿على ما يشاء من عبادته﴾ أن ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ﴿أن أنذروا﴾ بدل من الروح أي ينزلهم متلبسين بأن أنذروا أي بهذا القول والمخاطبون به الأنبياء الذين نزلت الملائكة عليهم والأمر هو الله والملائكة نقلة للأمر كما يشعر به الباء في المبدل منه وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف، أي ينزلهم ملتبسين بأن الشأن أقول لكم أنذروا والإنذار الإعلام خلا أنه مختص بإعلام المحذور من نذر بالشيء كفرح علمه فحذره وأنذره بالأمر إنذاراً، أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كذا في «القاموس» أي أعلموا الناس أيها الأنبياء ﴿أنه﴾ أي الشأن ﴿لا إله إلا أنا﴾ [كس نیست خدای مستحق عبادت مكر من كه آفريننده وروزی دهنده همه ام] وإنباؤه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الإشرار وذلك كاف في كون إعلامه إنذاراً كما قال سعدي المفتي في «حواشيه»: التخويف بلا إله إلا أنا من حيث إنهم كانوا يثبتون له تعالى ما لا يليق لذاته الكريمة من الشركاء والأنداد فإذا كان ما أسندوه خلاف الواقع وهو مستبد بالالوهية فالظاهر أنه ينتقم منهم على ذلك ﴿فاتقون﴾ [پس بترسيد از من وجز مرا پرستش مكنيد].

مرا بندگانى کن که دارا منم توازبندگانی ومولامنم
وفي الآية دلالة على أن الملائكة وسائط بين الله وبين رسله وأنبيائه في إبلاغ كتبه ورسالاته وأنهم ينزلون بالوحي على بعضهم دفعة في وقت واحد كما نزلوا بالتوراة والإنجيل والزيور على موسى وعيسى وداود والذال عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو وينزل من أنزل وعلى بعضهم منجماً موزعاً على حسب المصالح وكفاء الحوادث كما نزلوا بالقرآن منجماً في عشرين سنة أو في ثلاث وعشرين على ما يدل عليه قراءة الباقيين لأن في التنزيل دلالة على التدرج

والتكثّر والإنزال بشموله التدريجي والدفعي أعم منه وأنه ليس ذلك النزول بالوحي جملة واحدة أو متفرقاً إلا بأمر الله وعلى ما يراه خيراً وصواباً وأن النبوة موهبة الله ورحمته يختص بها من يشاء من عباده وأن المقصود الأصلي في ذلك إعلامهم الناس بتوحيد الله تعالى وتقواه في جميع ما أمر به ونهى عنه والأول هو منتهى كمال القوة العلمية والثاني هو أقصى كمالات القوة العلمية. قال في «بحر العلوم» اتقاء الله باجتنباب الكفر والمعاصي وسائر القبائح يشمل رعاية حقوقها بين الناس.

والإشارة ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره﴾ أي: بالوحي وبما يحيي القلوب من المواهب الربانية من أمره أي: من أمر الله وأمره على وجوه منها ما يرد على الجوارح بتكاليف الشريعة ومنها ما يرد على النفوس بتزكيتها بالطريقة ومنها ما يرد على الأرواح بملازمة الحضرة للمكاشفات ومنها ما يرد على الخفيات بتجل الصفات لإفناء الذوات ﴿على من يشاء من عباده﴾ من الأنبياء والأولياء ﴿أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا﴾ أي: اعلّموا أوصاف وجودكم يبذلها في أنانيتي أن لا إله إلا أنا ﴿فاتقون﴾ أي: فاتقوا عن أنانيتكم بأنانيتي كذا في «التأويلات النجمية». قال شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته المتقي إما أن يتقي بنفسه عن الحق سبحانه وإما بالحق عن نفسه والأول هو الاتقاء بإسناد النقائص إلى نفسه عن إسنادها إلى الحق سبحانه فيجعل نفسه وقاية لله تعالى والثاني هو الاتقاء بإسناد الكمالات إلى الحق سبحانه عن إسنادها إلى نفسه فيجعل الحق سبحانه وقاية لنفسه والعدم نقصان والوجود كمال فاتقوا الله حق تقاته بأن تضيفوا العدم إلى أنفسكم مطلقاً ولا تضيفوا الوجود إليها أصلاً وتضيفوا الوجود إلى الله مطلقاً ولا تضيفوا العدم إليه أصلاً فإن الله تعالى موجود دائماً أزلاً وأبداً سرمداً لا يجوز في حقه العدم أصلاً ونفوسكم من حيث هي معدومة دائماً وأزلاً وأبداً وسرمداً لا يجوز في حقها الوجود أصلاً وطريان الوجود عليها من حيث فيضان الجود الوجودي عليها من الحق تعالى لا يوجب وجودها أصلاً من حيث هي عند هذا الطريان على عدمها الأصلي من حيث هي دائماً مطلقاً فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا انتهى كلام الشيخ.

كر تویی جمله در فضای وجود هم خود انصاف ده بکو حق کو
در همه اوست پیش چشم شهود چیست پنداری هستی من وتو
پاک کن جامی از غبار دوی لوح خاطر که حق یکیست نه دو

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ تُفَافَةٍ فَإِذَا هُوَ
حَصِيصٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَالْأَنفَمَةُ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفٌّ وَمَنْتَفِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ
فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿١١﴾

﴿خلق السموات والأرض﴾ أي: الأجرام العلوية والآثار السفلية. يقال قبل أن يخلق الله الأرض كان موضع الأرض كله ماء فاجتمع الزبد في موضع الكعبة فصارت ربوة حمراء كهيئة التل وكان ذلك يوم الأحد ثم ارتفع بخار الماء كهيئة الدخان حتى انتهى إلى موضع السماء وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام كما بين المشرق والمغرب فجعل الله درة خضراء فخلق منها السماء فلما كان يوم الاثنين خلق الشمس والقمر والنجوم ثم بسط الأرض من تحت الربوة ﴿بالحق﴾ أي: بالحكمة والمصلحة لا بالباطل والعبث ونعم ما قيل:

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
ويقال: جعل الله الأرواح العلوية والأشباح السفلية مظاهر أفاعيله فهو الفاعل فيما يظهر
على الأرواح والأشباح ﴿تعالى﴾ وتقدس. وبالفارسية [بر ترست خدای تعالی و بزرتکتر] ﴿عما
يشركون﴾ عن شركة ما يشركونه به من الباطل الذي لا يبدىء ولا يعيد فينبغي للسالك أن
يوحد الله تعالى ذاتاً وصفة وفعلاً فإن الله تعالى هو الفاعل خلق حجاب الوسائط لا بالوسائط
بل بالذات فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً وهو ما أريد به وجه الله ولا يشرك
بعبادة ربه أحداً وقيل للمرائي مشرك:

مرايى هرکسى معبود سازد مرايى را ازان کفتند مشرک
﴿خلق الإنسان﴾ أي: بني آدم لا غير لأن أبويهم لم يخلقا من النطفة بل خلق آدم من
التراب وحواء من الضلع الأيسر منه ﴿من نطفة﴾ قال في «القاموس»: النطفة ماء الرجل.
والمعنى بالفارسية [از آب منى که جماديسـت بى حس و حرکت وفهم وهیولائى که وضع
و شکل نپذیرد پس اورافهم وعقل داد] ﴿فإذا هو﴾ [پس آنکاه او] أي: الإنسان بعد الخلق وأتى
بالفاء إشارة إلى سرعة نسيانهم ابتداء خلقهم ﴿خصيم﴾ بليغ الخصومة شديد الجدل ﴿مبين﴾
أي: مظهر للحجة أو ظاهر لا شبهة في زيادة خصومته وجدله يعني: [مناظره ميکند
وميخواهد که سخن خود را بحجت ثابت سازد]. قال في «التكملة»: الظاهر أن الآية على
العموم وقد حكى المهدوي أن المراد به أبي بن خلف الجمحي فإنه أتى النبي ﷺ بعظم رميم
فقال: يا محمد أتري الله تعالى أي: أتظن أن الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ فنزلت ومثلها الآية
التي في آخر سورة يس وفيه نزلت يعني: [او در اول جمادى بوده وما اورا حس ونطق داديم
اکنون باما مجادله ميکند چرا استدلال نمی کند بابداء برا عاده که هرکه برباءه قادر بود هر آينه
برين نیز قدرت دارد].

وفي «التأويلات النجمية» أي: جعل الإنسان من نطفة ميتة لا فعل لها ولا علم بوجودها
فإذا أعطيت العلم والقدرة صارت خصماً لخالقها مبنياً وجودها مع وجود الحق وادعت الشركة
معه في الوجود والأفاعيل انتهى. والآية وصف الإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتماذي
في كفران النعمة قالوا: خلق الله تعالى جوهر الإنسان من تراب أولاً ثم من نطفة ثانياً وهم ما
ازدادوا إلا تكبراً وما لهم والكبر بعد أن خلقوا من نطفة نجسة في قول عامة العلماء:

نه در ابتدا بودى آب منى اکر مردى از سر بدرکن منى
وفي «إنسان العيون»: أن فضلاته ﷺ طاهرة انتهى. وهو من خصائصه عليه السلام كما
صرحوا به في كتب السير وحكم النطفة أسهل من الفضلات لأنها أخف منها.

- يحكى - أن بعض أهل الرياضة المحققين من أهل التوحيد الحقاني كان يشم من
فضلاتهم رائحة المسك وذلك ليس ببعيد لصفوة باطنهم وسريان آثار حالهم إلى جميع
أعضائهم وأجزائهم فهم من النطفة صورة ومن النور معنى وليس غيرهم مثلهم لأن معناتهم ظهر
في صورة الوجود فغابوا من الغيبة ووصلوا إلى عالم الشهود بخلاف غيرهم من أرباب الغفلة
فإن أنت تطمع في الوصول إلى ما وصلوا أو الحصول عند ما حصلوا فعليك بإخلاص العمل
وترك المراء والجدل فإن حقيقة التوحيد لا تحصل للخصم العنيد بل هي منه بمكان بعيد.

﴿والأنعام﴾ جمع نعم وقد يسكن عينه وهي الإبل والبقر والغنم والمعز وهي الأجناس

الأربعة المسماة بالأزواج الثمانية اعتباراً للذكر والأنثى لأن ذكر كل واحد من هذه الأنواع زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره فيكون مجموع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين فالخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ ولمنافعكم ومصالحكم يا بني آدم وكذا سائر المخلوقات فإنها خلقت لمصالح العباد ومنافعهم لا لها يدل عليه قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] وقوله: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القمان: ٢٠] وأما الإنسان فقد خلق له تعالى كما قال: ﴿وَاصْطَفَيْتُكَ لِتَفْقِسَ﴾ [طه: ٤١] فالإنسان مرآة صفات الله تعالى ومجلى أسمائه الحسنى ﴿فيها دفاء﴾ [در ايشان پوستست كرم كنده يعني جامعها ازپشم وموي كه سرما بازدارد]. والدفاء نقيص حدة البرد أي: بمعنى السخونة والحرارة ثم سمي به كل ما يدفأ به أي: يسخن به من لباس معمول من صوف الغنم أو وبر الإبل أو شعر المعز هذا وأما الفرو فلا بأس به بعد الدباغة من أي صنف كان وقد عد الإمام الشافعي رحمه الله لبس جلد السباع مكروهاً وكان لرسول الله ﷺ جبة فنك يلبسها في الأعياد والفنك بالتحريك دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها صالح لجميع الأمزجة المعتدلة كما في «القاموس» ثم إن أسباب التسخين إنما تلزم للعادة وقد اشتهر أن النبي ﷺ لم يصطل بالنار وكذا بعض الخواص فإن حرارة باطنهم تغني عن الحرارة الظاهرة، قال الصائب:

جمعى كه پشت كرم بعشق ازل نيند ناز سمور ومنت سنجاب ميكشند

﴿ومنافع﴾ نسلها ودرها وركوبها والحرارة بها وثمرتها وأجرتها ﴿ومنها تأكلون﴾ من للتبعض أي: تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم وغير ذلك بخلاف الغدة والقبل والدبر والذكر والخصيتين والمرارة والمثانة ونخاع الصلب والعظم والدم فإنها حرام. وتقديم الظرف لرعاية الفاصلة أو لأن الأكل منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها من الطيور وصيد البر والبحر فعلى وجه التداوي أو التفكه والتلذذ فيكون القصر إضافياً بالنسبة إلى سائر الحيوانات حتى لا ينتقض بمثل الخبز ونحوه من المأكولات المعتادة.

﴿ولكم فيها﴾ مع ما فصل من أنواع المنافع الضرورية ﴿جمال﴾ أي: زينة في أعين الناس ووجاهة عندهم ﴿حين تريحون﴾ تردونها من مراعيها إلى مرايحها ومباركها بالعشي أي: في آخر النهار من أراح الإبل إذا ردها إلى المراح بضم الميم وهو موضع إراحة الإبل والبقر والغنم. والإراحة بالفارسية [شبانكاه باز آوردن اشتر وكوسفند] ﴿وحين تسرحون﴾ ترسلونها بالغداة أي: في أول النهار في المرعى وتخرجونها من حظائرها إلى مسارحها من سرح الراعي الإبل إذا رعاها وأرسلها في المرعى. قال في «تهذيب المصادر» والسروح [بجراشتن] وسرح لازم ومتعد يقال: سرحت الماشية وسرحت الماشية انتهى. وتعيين الوقتين لأن الرعاة إذا أراحوا بالعشي وسرحوها بالغداة تزينت الافنية بها أي: ما اتسع من أمام الدار كما في «القاموس» وتجاوب الثغاء والرغاء الأول صوت الشاة والمعز والثاني ذوات الخف فيجل بكسر الجيم أي: يعظم أهلها في أعين الناظرين ويكسبون الجاه والحرمة عند الناس وأما عند كونها في المراعي فينقطع إضافتها الحسية إلى أربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر إليها ناظر وقدم الإراحة على السرح وإن كانت بعده لأن الجمال فيها أظهر إذ هي حضور بعد

غبية وإقبال بعد إدبار على أحسن ما يكون ملأى البطون مرتفعة الضلوع حافلة الضروع. قال في «القاموس»: الجمال الحسن في الخلق والخلق وتجميل تزين وجمله زينه وفي الحديث: «جمال الرجل فصاحة لسانه» وفي حديث آخر «الجمال صواب المقال والكمال حسن الفعل».

بهايم خموشند وکویا بشر برا کنده کوی ازیهايم بتر
﴿وَتَحْمِلْ أُنْفَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّئِ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوُّوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾
وَالْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْحِمِيرِ لِرَكْبُوهَا زِينَةٌ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وتحمل أنفالك﴾ جمع ثقل بفتح الثاء والقاف وهو متاع المسافر وحشمه أي: تحمل أمتعتكم وأحمالكم. ﴿إلى بلد﴾ بعيد أياً ما كان فیدخل فيه إخراج أهل مكة متاجرهم إلى اليمن ومصر والشام ﴿لم تكونوا بالغيه﴾ واصلين إليه بأنفسكم مجردين عن الأنفال لولا الإبل أي: لو لم تخلق الإبل فرضاً. ﴿إلا بشق الأنفس﴾ فضلاً عن استصحابها معكم أي: عن أن تحملوها على ظهوركم إليه. والشق بالكسر والفتح الكلفة والمشقة وهو استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: لم تكونوا بالغيه بشيء من الأشياء إلا بشق الأنفس ﴿إن ربكم لرؤوف رحيم﴾ عظيم الرأفة بكم وعظيم الإنعام عليكم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وأنعمها عليكم لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم. عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان في بعض مغازيه فيبينما هم يسيرون إذ أخذوا فرخ طائر أي: ولده فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ فقال عليه الصلاة والسلام: «ألا تعجبون لهذا الطير أخذ فرخه فأقبل حتى سقط في أيديكم والله الله أرحم بعباده من هذا الطائر بفرخه».

فروماند کانرا برحمت قریب تضرع کنانرا بدعوت مجیب
وفي الآية إشارة إلى أن في خلق الحيوانات انتفاعاً للإنسان فإنهم ينتفعون بها حين اطلاعهم على صفاتها الحيوانية الذميمة بالصفات الملكية الحميدة احترازاً عن الاحتباس في حيزها واجتناباً عن شبهها بقوله: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْفَالِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وهذه الصفات الحيوانية إنما خلقت فيهم لتحمل أنفال أرواحهم إلى بلد عالم الجبروت ولذا ورد «نفسك مطيتك فارقت بها».

واعلم أن الله تعالى من على عباده بخلق الإبل والبقر والغنم والمعز وقد كان لرسول الله ﷺ إبل يركبها وهي الناقة القصوى أي المقطوع طرف إذنها والجدعاء أي: المقطوعة الأنف أو مقطوعة الأذن كلها والعضباء أي: المشقوقة الأذن. قال بعضهم: وهذه ألقاب ولم يكن بتلك شيء من ذلك والعضباء هي التي كانت لا تسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله ﷺ: «إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه» وهي التي لم تأكل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولم تشرب حتى ماتت وجاء أن ابنته فاطمة رضي الله عنها تحشر عليها. قال السعدي: [لحم شتر چنانکه معلومست اگر طفلی مهارش کیرد وصد فرسنگ ببرد کردن از متابعت او نیچد اما اگر درره هو لئناک پیش آیدکه موجب هلاک باشد وطفل بنادانی خواهدکه آن جایکه برود زمام از کفش بکسلاند و دیگر مطاوعت نکندکه هنگام درشتی ملاطفت مذموم است و گفته اندکه دشمن بملاطفت دوست نکردد بلکه طمع زیاده کند]:

کسی که لطف کند باتو خاک پایش باش وکر خلاف کند در دو چشمش آکن خاک

سخن بلطف وكرم بادرشت كوى مكوى كه زنك خورده نكردد بنرم سوهان پاك

قال في «حياة الحيوان»: وإذا أحرق وبر الجمل وذر على الدم السائل قطعه وقراده يربط في كم العاشق فيزول عشقه ولحمه يزيد في الباءة أي: الجماع. والبقر من بقر إذا شق لأنها تشق الأرض بالحرارة. وقيل لمحمد بن الحسين بن علي رضي الله عنهم: البقر لأنه شق العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً وإذا أردت أن ترى عجباً فادفن جرة في الأرض إلى حلقها وقد طلي باطنها بشحم البقر فإن البراغيث كلها تجتمع إليها وإذا بخر البيت بشحمه مع الزرنينخ أذهب الهوام خصوصاً العقارب ولم ينقل أنه ﷺ ملك شيئاً منها أي: من البقر للفقنة فلا ينافي أنه ضحى عن نسائه بالبقر كما في «إنسان العيون». يقال: ثلاث لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر والمراد القصاب المعتاد لذلك وفي الحديث: «عليكم بألبان البقر وأسمانها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وأسمانها دواء وشفاء ولحومها داء». قال الإمام السخاوي: قد صح أن النبي عليه الصلاة والسلام ضحى عن نسائه بالبقر، قال الحليمي: هذا ليس الحجاز ويوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر لتلك اليبوسة وجواب آخر أنه عليه السلام ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره انتهى كلام السخاوي وفي الحديث «صوفها ريش وسمنها معاش» يعني الغنم الرياش اللباس الفاخر يعني أن ما على ظهرها سبب الرياش ومادتها وما في بطنها سبب المعاش وهو الحياة. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ الأغنياء باتخاذ الغنم وأمر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال: «الدجاج غنم فقراء أمتي والجمعة حج فقرائها» وعند اتخاذ الأغنياء الدجاج يأذن الله بهلاك القرى وجاء «اتخذوا الغنم فإنها بركة» قال في «حياة الحيوان»: جعل الله البركة في نوع الغنم وهي تلد في العام مرة ويؤكل منها ما شاء الله ويمتلىء منها جوف الأرض بخلاف السباع فإنها تلد ستاً وسبعاً ولا يرى منها إلا واحدة في أطراف الأرض وكان له ﷺ مائة من الغنم وسبعة أعنز كانت ترعاها أم أيمن رضي الله عنها وكان له عليه السلام شاة يختص بشرب لبنها وماتت له عليه الصلاة والسلام شاة فقال: «ما فعلتم بإهابها» قالوا: إنها ميتة قال: «دباغها طهورها» قال الإمام الدميري: كبد الكبش إذا أحرقت طرية وذلك بها الأسنان بيضتها وقرن الكبش إذا دفن تحت شجرة يكثر حملها وإذا حملت المرأة بصوف النعجة قطعت الحبل وإذا غطى الإناء بصوف الضأن الأبيض وفيه عسل لا يقربه النمل.

﴿والخيل﴾ عطف على الأنعام أي: خلق الله الخيل وهو اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالإبل. والخيل نوعان: عتيق وهجين والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأقل والبرذون أجمل من الفرس والفرس أسرع منه والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة فالعتيق ما أبواه عربيان سمي بذلك لعتقه من العيوب وسلامته من الطعن فيه بالأمور المنقصة. وسميت الكعبة بالبيت العتيق لسلامتها من عيب الرق لأنه لم يملكها مالك قط. والهجين الذي أبوه عربي وأمه عجمية. وخلق الله الخيل من ريح الجنوب وكان خلقها قبل آدم عليه السلام لأن الدواب خلقت يوم الخميس وآدم خلق يوم الجمعة بعد العصر والذكر من الخيل خلق قبل الأنثى لشرفه كآدم وحواء. وأول من ركب الخيل إسماعيل عليه السلام وكانت وحوشاً ولذلك قيل لها العراب وفي الحديث: «اركبوا الخيل فإنها ميراث

أبيكم إسماعيل» وقد سبق قصة انقيادها لإسماعيل في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] الآية وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ لم يكن شيء أحب إليه بعد النساء من الخيل وفي الحديث: «لما أراد ذو القرنين أن يسلك في الظلمة إلى عين الحياة سأل أي: الدواب في الليل ابصر فقالوا: الخيل فقال: أي الخيل أبصر فقالوا: الإناث قال: فأى الإناث أبصر فقالوا: البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس كذلك» وكان له ﷺ سبعة أفراس. الأول الكسب شبه بكسب الماء وانصبابه لشدة جريه. والثاني: المرتجز سمي به لحسن صهيله مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر. والثالث: اللحيث كامير اوزبير كأنه يلحف الأرض بذنبه لطوله أي: يغطيها وقيل: هو بالخاء المعجمة كامير وزبير. والرابع: اللزاز مأخوذ من لاززته أي: لاصقته فكأنه يلحق بالمطلوب لسرعته. والخامس: الورد وهو ما بين الكمية والأشقر الكمية كزبير الذي خالط حمرة قنوء وقتناً قنوءاً شدت حمرة والأشقر من الدواب الأحمر في مغرة حمرة يحمر منها العرف والذنب ومن الناس من تعلو بياضه حمرة. والسادس: الطرف بكسر الطاء المهملة وإسكان الراء وبالفاء الكريم الجيد من الخيل. والسابع: السبحة بفتح السين المهملة وإسكان الموحدة وفتح الحاء المهملة أي: سريع الجري وفي الحديث: «ما من ليلة إلا والفرس يدعو فيها ويقول: رب إنك سخرتني لابن آدم وجعلت رزقي في يده اللهم فاجعلني أحب إليه من أهله وولده» وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الفرس يقول: إذا التقت الفتتان سبوح قدوس رب الملائكة والروح ولذلك قيل: رب بهيمة خير من راکبها وكان له في الغنمة سهمان وعن النبي عليه السلام: «لا يعطى إلا لفرس واحد» عربياً كان أو غيره لأن الله تعالى قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولم يفرق بين العربي وغيره ويقال: إن الفرس لا طحال له وهو مثل لسرعته وحركته كما يقال للبعير لا مرارة له أي: لا جسارة له والفرس يرى المنامات كبنى آدم وزبله إذا دخن به أخرج الولد من البطن. قال الحافظ شرف الدين الدمياطي في كتاب الخيل: إذا ربط الفرس العتيق في بيت لم يدخله الشيطان وأما الفرس الذي فيه شؤم فهو الذي لا يغزى عليه ولا يستعمل في مصلحة حميدة ولا يركبه صالح وفي الحديث «من نقى شعيراً لفرسه ثم جاء به حتى يعلق عليه كتب الله له بكل شعيرة حسنة» قال موسى للخضر أي: الدواب أحب إليك؟ قال: الفرس والحمار والبعير لأن الفرس مركب أولي العزم من الرسل والبعير مركب هود وصالح وشعيب ومحمد عليهم السلام والحمار مركب عيسى والعزير عليهما السلام فكيف لا أحب شيئاً أحياء الله بعد موته قبل الحشر. ﴿وَالْبَغَالُ﴾ جمع بغل وهو مركب من الفرس والحمار ويقال أول من استنتجها قارون وله صبر الحمار وقوة الفرس وهو مركب الملوك في أسفارهم ومعبرة الصعاليك في قضاء أوطارهم. وعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن البغال كانت تتناسل وكانت أسرع الدواب في نقل الحطب لنار إبراهيم خليل الرحمن فدعا عليها فقطع الله نسلها وهذه الرواية تستدعي أن يكون استنتاجها قبل قارون لأن إبراهيم مقدم على موسى بأزمة كثيرة وإذا بخر البيت بحافر البغل الذكر هرب منه الفأر وسائر الهوام كما في حياة الحيوان. وكان له ﷺ بغال ست. منها بغلة شهباء يقال لها دلدل أهداها إليه المقوقس والي مصر من قبل هرقل والدلدل في الأصل القنفذ وقيل ذكر القنافذ وقيل عظيمها وكان عليه الصلاة والسلام يركبها في المدينة وفي الأسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها

فكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل علي رضي الله عنه عليها مع الخوارج بعد أن ركبها عثمان رضي الله عنه وركبها بعد علي رضي الله عنه ابنه الحسن ثم الحسين ثم محمد ابن الحنفية رضي الله عنهم. يقول الفقير: إنما ركبوها وقد كانت مركبه عليه الصلاة والسلام طلباً للنصرة والظفر فالظاهر أنهم لم يركبوها في غير الوقائع لأن من آداب التابع أن لا يلبس ثياب متبوعه ولا يركب دابته ولا يقعد في مكانه ولا ينكح امرأته. ومنها بغلة يقال لها فضة. ومنها الايلية. وبغلة أهداها إليه كسرى. وأخرى من دومة الجندل. وأخرى من عند النجاشي. ﴿والحمير﴾ جمع حمار وكان له ﷺ من الحمير اثنان: يعفور وعفير والعفرة الغبرة. وفي كتاب «التعريف والأعلام» أن اسم حماره عليه الصلاة والسلام عفير ويقال له يعفور.

- روي - أن يعفوراً وجده ﷺ بخبير وأنه تكلم فقال: اسمي زياد بن شهاب وكان في آبائي ستون حماراً كلهم ركبهم نبي وأنت نبي الله فلا يركبني أحد بعدك فلما توفي رسول الله ﷺ ألقى الحمار نفسه في بئر جزعاً على رسول الله ﷺ فمات وذكر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يرسله إذا كانت له حاجة إلى أحد من أصحابه فيأتي الحمار حتى يضرب برأسه باب الصحاب فيخرج إليه فيعلم أن النبي عليه الصلاة والسلام يريد أن يريده فينطلق مع الحمار إليه والحمار من أذل خلق الله تعالى كما قال الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشبح فلا يرثي له أحد

أي: لا يصبر على ظلم يراد به في حقه إلا الأذلان اللذان هما في غاية الذل ولفظ البيت خبر والمعنى نهى عن الصبر على الظلم وتحذير وتنفير للسامعين عنه وفي الحديث «من لبس الصوف وحلب الشاة وركب الأتّن فليس في جوفه شيء من الكبر» والأتّن جمع اتان وهي الحمارة ﴿لتركبوها﴾ تعليل بمعظم منافعتها وإلا فالانتفاع بها بالحمل أيضاً مما لا ريب في تحققه ﴿وزينة﴾ انتصابها على المفعول له عطفاً على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلاً لفاعل الفعل المعلل به دون الأول فإن الركوب فعل الراكب وهو المخلوق والزينة فعل الزائن وهو الخالق أو مصدر لفعل محذوف أي: وتزينوا بها زينة وقد احتج به أبو حنيفة رحمه الله تعالى على حرمة أكل لحم الخيل لأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره في الأنعام ومنفعة الأكل أقوى. والآية سبقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر في موضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما كذا في «المدارك»، وفي الحمير الأهلية خلاف مالك. وفي الخيل خلاف أبي يوسف ومحمد والشافعي كما في «بحر العلوم» والتفصيل في كتاب الذبائح من الكتب الفقهية. ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من أنواع المخلوقات من الحشرات والهوام والطيور وحيوانات البحر ومخلوقات ما وراء جبل قاف وفي الحديث «أن الله تعالى خلق ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة في البر» ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها وما لا يدركها الطرف لصغرهما وفي الحديث: «إن الله خلق أرضاً بيضاء مثل الدنيا ثلاثين مرة محشوة خلقاً من خلق الله لا يعلمون أن الله تعالى يعصى طرفة عين» قالوا: يا رسول الله أمن ولد آدم هم؟ قال: «لا يعلمون أن الله خلق آدم» قالوا: فأين إبليس منهم قال: «لا يعلمون أن الله خلق إبليس» ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ كما في «البستان» وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن عن يمين العرش نهراً من نور مثل السموات

السبع والأرضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نوراً إلى نور وجمالاً إلى جمال وعظماً إلى عظم ثم ينتفض فيخلق الله من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك فيدخل منهم كل يوم سبعون ألف ملك البيت المعمور وسبعون ألف ملك الكعبة لا يعودون إليه إلى يوم القيامة كما في «الإرشاد» وفي الحديث: «إذا ملئت جهنم تقول الجنة ملأت جهنم بالجبابرة والملوك والفراعنة ولم تملأني إلا من ضعفاء خلقك فينشئ الله خلقاً عند ذلك فيدخلهم الجنة فطوبى لهم من خلق لم يذوقوا موتاً ولم يروا سوءاً بأعينهم» كما في «بحر العلوم».

واعلم أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنْ أَلْعَلٍ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وكيف يحصر من كان قليل العلم مخلوقات الله الغير المحصورة التي هي مظاهر كلماته التامة وأسمائه العامة فالأولى السكوت وقد أظهر الأنبياء عليهم السلام العجز مع سعة علومهم وإحاطة قلوبهم فما ظنك في حق أفراد الأمة:

در محفلی که خورشید اندر شمار ذره است

خود را بزرگ دیدن شرط ادب نباشد

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ويخلق﴾ فيكم بعد رجوعكم بالجذبة إلى مستقركم ﴿وما لا تعلمون﴾ قبل الرجوع إليه وهو قبول فيض نور الله تعالى بلا واسطة انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الاظهر سكت النبي عليه السلام عن الاستخلاف إذ في أمته من يأخذ الأمر عن ربه فيكون بباطنه خليفة الله وبظاهره خليفة رسول الله فهو تابع ومتبوع وسامع ومسموع ومع ذلك فهو يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك والموحي إلى الرسول والمعدن الذي يأخذ منه الرسول وقد نبه سبحانه على ذلك بقوله: ﴿ادْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] بيد أن الرسول قابل للزيادة في ظاهر الأحكام والخليفة الولي ليس كذلك ناقص عن رتبة النبوة انتهى فانظر إلى استعداد كامل هذه الأمة كيف أخذوا الفيض من الله بلا واسطة نسأل الله تعالى أن يملأ قلوبنا بمحبتهم واعتقادهم ويوفقنا لأعمالهم ورشادهم ويحشرنا معهم وتحت لوائهم ويدخلنا الجنة ونحن من رفقاتهم.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَصَدُّ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايَزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ﴿يُبْتِئُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم على نهج إسناد حال سالكه إليه كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والمراد بالسبيل الطريق بدليل إضافة القصد إليه أي حق عليه سبحانه بموجب رحمته ووعدده المحتوم لا واجب إذ لا يجب عليه شيء من بيان الطريق المستقيم الموصل لمن يسلكه إلى الحق الذي هو التوحيد بنصب الأدلة وإرسال الرسل وإنزال الكتب لدعوة الناس إليه ﴿ومنها﴾ في محل الرفع على الابتداء إما باعتبار مضمونه وإما بتقدير الموصوف أي بعض السبيل أو بعض من السبيل فإنها تذكر وتوثق. قال ابن الكمال: الفرق بين الطريق والصراط والسبيل أنها متساوية في التذكير والتأنيث أما في المعنى فبينها فرق لطيف وهو أن الطريق كل ما يطرقه

طارق معتاداً كان أو غير معتاد والسبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي: لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد فهو أخص. ﴿جائز﴾ أي: مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه إليه وهو طريق الضلال التي لا يكاد يحصى عددها المدرج كلها تحت الجائر كاليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر ملل الكفر وأهل الأهواء والبدع ومن هذا علم أن قصد السبيل هو دين الإسلام والسنة والجماعة جعلنا الله وإياكم على قصد السبيل وحسن الاعتقاد والعمل وحفظنا وإياكم من الجائر والزيغ والزلل. قال مرجع طريقة الجلوتية بالجيم أعني حضرة الشيخ محمود هدايي الاسكداري قدس سره: رأيت صور أعلام أهل الأديان في مبشرتي ليلة الاثنين والعشرين من جمادى الآخرة لسنة اثنتي عشرة وألف وهي هذه ————— هذا علم أهل الإيمان وصورة استمدادهم من الحق تعالى بالتوجه إلى العلو اقتداء بمن قال في حقه المولى الأعلى ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] ٨٨

هذا علم النصراني وصورة انحرافهم عن الحق ٨٨ هذا علم اليهود وصورة انحرافهم عن الحق اكتفاء بالقلب انتهى ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ أي: ولو شاء الله أن يهديكم إلى ما ذكر من التوحيد هداية موصلة إليه البتة مستلزمة لاهتدائكم أجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأ لأن مشيئته تابعة للحكمة الداعية إليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما أن مدار التكليف والثواب والعقاب إنما هو الاختيار الجزئي الذي يترتب عليه الأعمال التي بها نيط الجزاء. وقال أبو الليث في «تفسيره»: لو علم الله أن الخلق كلهم أهل للتوحيد لهداهم انتهى. يقول الفقير: هو معنى لطيف مبني على أن العلم تابع للمعلوم فلا يظهر من الأحوال إلا ما أعطته الأعيان إلى العلم الإلهي كالإيمان والكفر والطاعة والعصيان والنقصان والكمال فمن كان مقتضى ذاته الإيمان والطاعة والكمال وكان أهلاً لها في عالم عينه الثابتة أعطاها للعلم فشاء الله هدايته في هذه النشأة بحكمته ومن كان مقتضى استعدادة خلاف لم يشأ الله هدايته حين النزول إلى مرتبة وجوده العنصري وإلا لزم التغير في علم الله تعالى وهو محال وفي الحديث «إنما أنا رسول وليس إلي شيء من الهداية ولو كانت الهداية إلي لآمن كل من الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء» كذا في «تلفيح الأذهان» قال الحافظ:

مكن بهشتم حقارت ملامت من مست كه نيست معصيت وزهد بي مشيت او
وقال:

درين چمن نكم سرزنش بخود روي چنانكه پرورشم می دهند ومی رويم
وقال:

رضا بداده بده وزجبین کره بکشای كه برمن وتو در اختیار نکشادست
فعليك بترك القيل والقال ورفض الاعتزال والجدال فإن الرضى والتسليم سبب القبول وخلافه يؤدي إلى غضب الحبيب المقبول.

- يحكى - عن حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أنه قال أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله عليهم السلام من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام فخطبني منهم هود عليه السلام وأخبرني في سبب جمعيتهم وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية: إن رسول الله ﷺ

همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال: لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] وكان من حقه لا يرضى إلا أن يقبل الله تعالى شفاعته في كل كافر ومؤمن لكنه ما قال: ألا إن شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي؟ فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله ﷺ في واقعة وقال له: يا منصور أنت الذي أنكرت علي الشفاعة؟ فقال: يا رسول الله قد كان ذلك فقال: ألم تسمع أنني حكيت عن ربي عز وجل «إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويدا» فقال: بلى يا رسول الله فقال: أولم تعلم أنني حبيب الله؟ قال: بلى يا رسول الله قال: فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده فأني عتاب علي يا منصور؟ فقال: يا رسول الله أنا تائب من قولي هذا فما كفارة ذنبي؟ قال: قرب نفسك لله قرباناً فاقتل نفسك بسيف شريعتي فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام: وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله ﷺ والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إلى رسول الله ﷺ انتهى. يقول الفقير سامحه الله القدير في هذه القصة أمران أحدهما عظم شأن الحلاج قدس سره بدلالة عظم شأن الشفاعة والثاني أنه قتل في بغداد في آخر سنة ثلاثمائة وتسع ومات حضرة الشيخ الأكبر بالشام سنة ثمان وثلاثين وستمائة فبينهما من المدة ثلاثمائة وتسع وعشرون سنة والظاهر والله أعلم أن روح الحلاج كان محجوباً عن روح رسول الله ﷺ أكثر من ثلاثمائة سنة تقريباً وذلك بسبب كلمة صدرت منه على خلاف الأدب فإن من كان على بساط القرب والحضور ينبغي أن يراعي الأدب في كل أمر من الأمور فما ظنك بمن جاوز حد الشريعة ورخص نظم القرآن ومعانيه اللطيفة وعمل بالخيالات والأوهام فليس أولئك إلا كالأنعام نسأل الله العافية والعفو والإنعام.

﴿هو الذي أنزل﴾ بقدرته القاهرة ﴿من السماء﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض ﴿ماء﴾ نوعاً منه وهو المطر. وفي «بحر العلوم» تنكيهه للتبعض أي بعض الماء فإنه لم ينزل من السماء الماء كله ﴿لكم منه﴾ أي: من ذلك الماء المنزل ﴿شراب﴾ أي: ما تشربونه والظرف الأول وهو لكم خبر مقدم لشراب والثاني حال منه ومن تبعضية. ﴿ومنه شجر﴾ من ابتدائية أي: ومنه وبسببه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الأرض سواء كان له ساق أو لا وفي حديث عكرمة «لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت» يعني: الكلاً وهو بالقصر ما رعته الدواب من الرطب واليابس وإنما كان ثمنه سحتاً لما في حديث آخر «الناس شركاء في ثلاث الماء والكلاً والنار» أي: في اصطلائها وضوئها لا في الجمر كما أن المراد بالماء ماء الأنهار والآبار لا الماء المحرز في الظروف والحيلة فيه أن يستأجر موضعاً من الأرض ليضرب فيه فسطاطاً أو ليجعله حظيرة لغنمه فتصح الإجارة وبييع صاحب المرعى الانتفاع له بالرعي فيحصل مقصودهما كذا في «الكافي» ويجوز بيع الأوراق على الشجرة لا بيع الثمرة قبل ظهورها والحيلة في ذلك بيعها مع الأوراق أول ما تخرج من وردها فيجوز البيع في الثمر تبعاً للبيع في الأوراق كما في «أنوار المشارق». ﴿فيه تسيمون﴾ الاسامة بالفارسية [بيرون هشتن رمه بچرا] يقال: سامت الماشية رعت وأسامها صاحبها من السومة بالضم وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض أي: ترعون مواشيكم قدم الشجر لحصوله بغير صنع من البشر ثم استأنف أخباراً عن منافع الماء فقال: لمن قال هل له منفعة غير ذلك.

﴿ينبت﴾ الله تعالى ﴿لكم﴾ لمصالحكم ومنافعكم ﴿به﴾ أي: بما أنزل من السماء

﴿الزروع﴾ الذي هو أصل الأغذية وعمود المعاش. قال الكاشفي [مراد حبوب غذاه است كه زراعت ميكنند]. قال في «بحر العلوم»: الزرع كل ما استنبت بالبذر مسمى بالمصدر وجمعه زروع. قال كعب الأحبار لما أهبط الله تعالى آدم جاء ميكائيل بشيء من حب الحنطة وقال هذا رزقك ورزق أولادك قم فاضرب الأرض وابذر البذر قال: ولم يزل الحب من عهد آدم إلى زمن إدريس كبيضة النعام فلما كفر الناس نقص إلى بيضة الدجاجة ثم إلى بيضة الحمامة ثم إلى قدر البندقة ثم إلى قدر الحمصة ثم إلى المقدار المحسوس إلا أن يقال إن البوم لا يأكل الحنطة ولا يشرب الماء أما الأول فلأن آدم عصى بالحنطة ربه وأما الثاني فلأن قوم نوح أهلكوا بالماء ﴿والزيتون﴾ الذي هو إدام من وجهه وفاكهة من وجهه. وقال الكاشفي يعني [درخت زيتون را]. قال في «إنسان العيون»: شجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة وكان زاده ﷺ وقت تخليه بغار حراء بالمد والقصر الكعك والزيت وجاء «ائتدموا بالزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة» وهي الزيتون وقيل لها مباركة لأنها لا تكاد تنبت إلا في شريف البقاع التي بورك فيها كأرض بيت المقدس. ﴿والنخيل﴾ [وخرما بنانرا] والنخيل والنخل بمعنى واحد وهو اسم جمع والواحدة نخلة كالثمرة والتمر وفي الحديث: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من فضل طينة آدم وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم ابنة عمران فأطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر» كما في «المقاصد الحسنة» ﴿والأعناب﴾ [وتا كهارا] جمع الأعناب للإشارة إلى ما فيها من الاشتمال على الأصناف المختلفة. وفيه إشارة إلى أن تسمية العنب كرمًا لم يكن بوضع الواضع ولكنه كان من الجاهلية كأنهم قصدوا به الاشتقاق من الكرم لكون الخمر المتخذة منه تحث على الكرم والسخاء فنهى النبي عليه السلام عن أن يسموه بالاسم الذي وضعه الجاهلية وأمرهم بالتسمية اللغوية بوضع الواضع حيث قال: «لا تقولوا الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة» ثم بين قبح تلك الاستعارة بقوله: «إنما الكرم قلب المؤمن» يعني: أن ما ظنوه من السخاء والكرم فإنما هو من قلب المؤمن لا من الخمر إذ أكثر تصرفات السكران عن غلبة من عقله فلا يعتبر ذلك العطاء كرمًا ولا سخاء إذ هو في تلك الحالة كصبي لا يعقل السخاء ويؤثر بماله سرفاً وتبذيراً فكما لا يحمل ذلك على الكرم فكذا إعطاء السكران كذا في «أبكار الأفكار». وخصص هذه الأنواع المعدودة بالذكر للإشعار بفضلها وشرفها ثم عمم فقال: ﴿ومن كل الثمرات﴾ من تبعية أي: بعض كلها لأنه لم يخرج بالمطر جميع الثمرات وإنما يكون في الجنة أي: لم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض من كلها للتذكرة ولعل المراد ومن كل الثمرات التي يحتملها هذه النشأة الدنيوية وترى بها وهي الثمرات المتعارفة عند الناس بأنواعها وأصنافها فتكون كلمة من صلة كما في قوله تعالى: ﴿يَقِفَر لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١] على رأي الكوفية وهو اللائح. ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء وإنبات ما فصل ﴿آية﴾ عظيمة دالة على تفردته تعالى بالآلوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة ﴿لقوم يتفكرون﴾ فإن من تفكر في أن الحبة والنواة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها فينشق أسفلها فيخرج منه عروق تنبسط في أعماق الأرض وينشق أعلاها إن كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والحبوب والثمار على أجسام مختلفة الأشكال والألوان والخصوص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الأمثال على النمط المحرر لا إلى نهاية مع اتحاد المواد واستواء

نسبة الطبائع السفلية والتأثيرات العلوية بالنسبة إلى الكل علم أن من هذه أفعاله وآثاره لا يمكن أن يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلاً عن أن يشاركه أخس الأشياء في صفاته التي هي الألوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علواً كبيراً:

روضه جانبخش جانها آفريد بغچه كون ومكانها آفريد
کرد ازهر شاخها کل برك وبار جلوه او نقش ديكر آشكار
والتفكر تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب قالوا: الذكر طريق والفكر وسيلة المعرفة التي هي أعظم الطاعات. قال بعضهم: الذكر أفضل للعامة لما في الفكر لهم من خوف الوقوع في الأباطيل وتمكن الشبه عندهم كما يعرض ذلك لكثير من العوام في زماننا والفكر أفضل لأرباب العلم عند التمكن من الفكر المستقيم فإنهم كلما عرضت لهم شبهة تطلبوا دليلاً يزيلها فكان الفكر لهم أفضل من الذكر إذا لم يتمكنوا من حصول الفكر البليغ مع الذكر وإليه أشار عليه السلام بقوله: «تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة».

- روي - أن عثمان رضي الله عنه ختم القرآن في ركعة الوتر لتمكنه من التدبر والتفكر ولم يبح ذلك لمن لم يتمكن من تدبره ومعرفة فقهه وأجل له مدة يتمكن فيها من ذلك كالثلاثة والسبعة.

والإشارة في الآية ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء﴾ الفيض ﴿لكم منه شراب﴾ المحبة لقلوبكم ﴿ومنه شجر﴾ قوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشي نفوسكم ينبت لغذاء أرواحكم به زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الأخلاق الحميدة وأعنان الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات والمكالمات والأحوال كلها ﴿إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ بنظر العقل في هذه الصنائع الحكيمة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦)

﴿وسخر لكم﴾ أي: لِمَنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وإنضاجها ﴿الليل والنهار﴾ يتعاقبان خليفة كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [الفرقان: ٦٢] قال بعضهم: الليل ذكر كآدم والنهار أنثى كحواء والليل من الجنة والنهار من النار ومن ثمة كان الأنس بالليل أكثر. ﴿والشمس والقمر﴾ تسخر في سيرهما وإنارتها أصالة وخلافة وإصلاحهما لما نيط بهما صلاحه كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم، قال السعدي:

ابر وباد ومه وخورشيد وفلك در كارند تاتو ناننى بكف آرى وبغفلت نخورى

همه از بهر نو سر كشته وفرمان بردار شرط إنصاف نباشد كه توفرمان نبرى

والتسخير بالفارسية [رام كردانیدن] وليس المراد بتسخير هذه لهم تمكينهم من تصريفها كيف شاؤوا كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ [الزخرف: ١٣] ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم لا أن ذلك تسخير لهم وتصرف من قبلهم حسب إرادتهم ﴿والنجوم مسخرات بأمره﴾ مبتدأ وخبر أي: سائر النجوم في حركاتها وأوضاعها من التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات أي: مذللات لله خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بأمره أي: بإرادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع النجوم إليهم في الظهور

بمثابة ما قبلها من الملوك والقمريين لم ينسب تسخيرها إليهم بأداة الاختصاص بل ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية الدالة على الحدوث إلى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار . وقرئ بنصب النجوم على تقدير وجعل النجوم مسخرات بأمره أو على أنه معطوف على المنصوبات المتقدمة ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع أي: نفعكم بها حال كونها مسخرات لله أو لما خلقن له بإيجاده وتقديره ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: فيما ذكر من التسخير المتعلق بما ذكر مجملاً ومفصلاً ﴿لآيَاتٍ﴾ باهرة متكاثرة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يفتحون عقولهم للنظر والاستدلال ويعتبرون وحيث كانت هذه الآثار العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية أظهر جميع الآيات علق بمجرد العقل من غير حاجة إلى التأمل والتفكير . قال أهل العلم العقل جوهر مضيء خلقه الله في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة وهو للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت وهو بمنزلة قلب البهائم وسئل النبي ﷺ من أحسن الناس عقلاً قال: «المسارع إلى مرضاة الله تعالى والمجتنب عن محارم الله تعالى» قالوا: أخف حلماً من العصفور قال حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه:

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم جسم البغال وأحلام العصافير

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾

﴿وما ذرأ لكم﴾ عطف على قوله والنجوم رفعاً ونصباً على أنه مفعول لجعل المقدر أي: وما خلق ﴿في الأرض﴾ من حيوان ونبات حال كونه ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي: أصنافه فإن اختلافها غالباً يكون باختلاف اللون سخر الله تعالى أو لما خلق به من الخواص والأحوال والكيفيات أو جعل ذلك مختلف الأصناف لتتمتعوا من ذلك بأي صنف شئتم . وفي «بحر العلوم»: ﴿مختلفاً ألوانه﴾ هيأته من خضرة وبياض وحمرة وسواد وغير ذلك . وفي أكثر التفاسير وما ذرأ معطوف على الليل والنهار أي: وسخر لكم ما خلق لأجلكم وتعقب بأن ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بأن الأول لا يستلزم الثاني لزوماً عقلياً لجواز كون ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من التسخيرات ونحوها ﴿لآيَةً﴾ دالة على أن من هذا شأنه واحد لا شريك له ﴿لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فإن ذلك غير محتاج إلا إلى تذكر ما عسى يغفل عنه من العلوم الضرورية .

والإشارة ﴿وسخر لكم الليل﴾ ليل البشرية ﴿والنهار﴾ نهار الروحانية ﴿والشمس﴾ شمس الروح ﴿والقمر﴾ قمر القلب ﴿والنجوم﴾ نجوم القوى والحواس الخمس ﴿مسخرات بأمره﴾ وهو خطاب وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة بمعالجة طبيب حاذق البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية مخصوص بالعناية ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ لشاهدات ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ بشواهد الحق من غير التفكير بل بالمعانيات ﴿وما ذرأ لكم﴾ وما خلق لمصالحكم ﴿في الأرض﴾ في أرض جبلتكم من الاستعدادات ﴿مختلفاً ألوانه﴾ منها ملكية ومنها شيطانية ومنها حيوانية ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ عبور أرواحهم على هذه العوالم المختلفة وتلونها في كل عالم بلون ذلك العالم من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية إلى أن

ردت إلى أسفل سافلين القلب كذا في «التأويلات النجمية»، فعلى العاقل أن يتخلص من قيد الغفلة ويربط نفسه بسلسلة أهل التذكر، قال محمد بن فضل: ذكر اللسان كفارات ودرجات وذكر القلب زلفى وقربات والتذكر من شأن القلب والقلب أمير الجسد وأسير الحق وفي الحديث: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» وفي هذه إشارة إلى الأسباب التي هي حجاب بين القلب وبين الملكوت وأصحاب القلوب من الانس ثلاثة صنف كالبهائم قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩] وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين وصنف في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله كذا في «الخالصة»، قال السعدي قدس سره:

ترا دیده درسر نهادند وکوش دهن جای کفتار ودل جای هوش
مکر باز دانی نشیب از فراز نکویی که این کونهست یادراز
یعنی: أن الله تعالى خلق كل عضو من الأعضاء بالحكمة فاستعملوها فيما خلقت له.
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَسُونَهَا وَتَرَى
الْفُلَّكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ قال في «القاموس»: البحر الماء الكثير أو الملح فقط والجمع أبحر وبحور وبحار انتهى. وفي «الكواشي» سخر البحر العذب والملح أي: جعله بحيث يتمكنون من الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد. قال بعضهم: هذه البحور على وجه الأرض ماء السماء النازل وقت الطوفان فإن الله تعالى أمر الأرض بعد هلاك القوم فابتلعت ماءها وبقي ماء السماء لم تبتلع الأرض وأما البحر المحيط بغير ذلك بل هو جزر على الأرض حين خلق الله الأرض من زبد. ويجوز ركوب البحر بشرط علم السباحة وعدم دوران الرأس وإلا فقد ألقى نفسه إلى التهلكة وأقدم على ترك الفرائض وذلك للرجال والنساء كما قاله الجمهور وكره ركوبه للنساء لأن حالهن على الستر وذا متعسر في السفينة غالباً لا سيما في الزورق وهي السفينة الصغيرة ﴿لتأكلوا منه﴾ أي: من العذب والملح كما في «الحواشي» ﴿لحماً طرياً﴾ من الطراوة فلا يهزم وهو بالفارسية [تازه] والمراد السمك والتعبير عنه باللحم مع كونه حيواناً للتلويح بالانحصار الانتفاع به في الأكل كما في «الإرشاد» وللإيذان بعدم احتياجه للذبح كسائر الحيوانات غير الجراد كما هو اللائح وصفه بالطراوة إرشاداً لأن يتناول طرياً فإن أكله قديداً أضر ما يكون كما هو المقرر عند الأطباء وفيه بيان لكمال قدرته حيث خلقه عذباً طرياً في ماء زعاق وهو كغراب الماء المر الغليظ لا يطاق شربه ومن إطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري إلى أن من حلف لا يأكل اللحم حنث بأكله والجواب أن مبنى الإيمان العرف ولا ريب في أنه لا يفهم من اللحم عند الإطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمي الكافر دابة حيث قال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥] ولا يحنث بركوبه من حلف لا يركب دابة. وفي «حياة الحيوان» المذهب المفتى به حل الجميع من الحيوانات التي في البحر إلا السرطان والضفدع والتمساح سواء كان على صورة كلب أو خنزير أم لا وفي الحديث «أكل السمك يذهب بالحسد» كما في «بحر العلوم» والسمك يستنشق الماء كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة

والسمك يستنشق بأصدائه فيقوم له الماء في تولد الروح الحيواني في قلبه مقام الهواء في إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأن عالم السماء والأرض دون عالم الهواء ونحن من عالم الأرض ونسيم البر لو مرّ على السمك ساعة لهلك، وفي «المثنوي»:

ما هيانرا بحر نكذارد برون خا كيانرا بحر نكذارد درون
أصل ما هي آب وحيوان ازكلست حيله وتدبير اينجا باطلست

«وتستخرجوا منه» أي: من البحر الملح ﴿حلية﴾ الحلية الزينة من ذهب أو فضة والمراد بها في الآية اللؤلؤ والحجر الأحمر الذي يقال له المرجان ﴿تلبسونها﴾ تتزين بها نساؤكم وإنما أسند إليهم لكونهن منهم ولبسهن لأجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم ﴿وترى الفلك﴾ أي: لو حضرت أيها المخاطب لرأيت السفن ﴿مواخر فيه﴾ جوارى في البحر مقبلة ومدبرة ومعتضة بريح واحدة بحيزومها من المخر وهو شق الماء يقال مخرت السفينة كمنع جرت وشقت الماء بجآئتها جمع جؤجؤ بالضم وهو صدر السفينة. وقال الفراء المخر صوت جري الفلك بالرياح ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ عطف على تستخرجوا أي: لتطلبوا من سعة رزقه بركوبها للتجارة فإن تجارته اربح من تجارة البر وإليه أشار حضرة سعدي بقوله:

سود دريانيك بودی کرنبودی بیم موج

صحبت كل خوش بدی کرنیستی تشویس خار

وفي الحديث «من ركب البحر في ارتجائه ففرق برئت منه الذمة» وارتجائه هيجانه من الموج وهو الحركة الشديدة ومعناه أن لكل أحد من الله عهداً وذمة بالحفظ فإذا ألقى نفسه إلى التهلكة فقد انقطع عنه عهد الله فلندور السلامة حين الموج الشديد لم يجز ركوبه وعصى فاعله ﴿ولعلمكم تشكرون﴾ أي: تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون بأدائها بالطاعة والتوحيد ولعل مستعار لمعنى الإرادة كما في «بحر العلوم» ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث إنه جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش. قال صاحب «كشف الأسرار» [أورده اندكه حق سبحانه وتعالى ازروى ظاهر درزفين درياها آفريد چون قلزم وعمان ومحيط وجزائر وبرای عبور بران كشتيها مقرر فرموده واز روى باطن در نفس آدمي درياها بديد کرده چون درياهاى شغل وغم وحرص وغفلت وتفرقه وبرای عبور ازان كشتيها تعيين نموده. هرکه دركشتی توکل نشيند از درياى شغل بساحل فراغت رسد. وهرکه در كشتی فناعت جای کند از درياى حرص بساحل زهد آيد وهرکه دركشتی ذكر نشيند از درياى غفلت بساحل آگاهی رسد. وهرکه بشكستی توحيد در آيد از درياى تفرقه بساحل آگاهی رسد. وبحقيقت تفرقه دربقاست وجمعيت در فنا باوجود آن در مملكت تفرقه ويخودان در مرتبة جمع]:

بحساب خودی قلم درکش دره بیخودی علم برکش

تا بجاروب «لا» نرو بی راه کی رسی در حریم الا الله

والإشارة وهو الذي سخر لكم بحر العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية والمواهب السنية وتستخرجوا من بحر العلوم جواهر المعاني ودرر الحقائق حلية لقلوبكم تلبس بها أرواحكم النور والبهاء وترى سفائن الشرائع والمذاهب جاريات في بحر العلوم ولتبتغوا من فضله وهو الأسرار الخفيات عن الملائكة المقربين ولعلمكم تشكرون هذه النعم الجسيمة والعطيات العظيمة

التي اختصكم بها عن العالمين كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَن نَّمِيدَ بِكُمْ وَانْهَرَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥) وَعَلَّمْنَاكُم بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

﴿والقى﴾ الله تعالى بقدرته القاهرة ﴿في الأرض﴾ هي كروية الشكل محلها وسط العالم وسميت بالأرض لأنها تأرض أي: تأكل أجساد بني آدم ﴿رواسي﴾ أي: جبلاً ثوابت من غير سبب ولا ظهير كأنها حصيات قبضهن قابض بيده فنبذهن في الأرض فهو تصوير لعظمته وتمثيل لقدرته وأن كل عسير فهو عليه يسير أي: وجعل فيها رواسي بأن قال لها: كوني فكانت فأصبحت الأرض وقد أرسيت بالجبال بعد أن كانت تمور موراً فلم يدر أحد مم خلقت من رسا الشيء إذا نبت جمع راسية والتاء للتأنيث على أنها صفة جبال ﴿أن تميد بكم﴾ مفعول له والמיד الحركة والميل يقال ماد يميد ميداً تحرك ومنه سميت المائدة. والمعنى كراهة أن تميل بكم وتضطرب. وبالفارسية [تاميلي نكند بشمازمين يعني متحرك ومضطرب نكزد وشممارا نيكودارد] وقد خلق الله الأرض مضطربة لكونها على الماء ثم أرساها بالجبال وهي ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول على جريان عادته في جعل الأشياء منوطة بالأسباب فالأرض بلا جبال كاللحم بلا عظام فكما أن وجود الحيوان وجسده إنما يستمسك بالعظم فكذا الأرض إنما تقوم بالرواسي ألا ترى أن سطوح الكاهن لم يكن في بدنه عظم سوى القفا لكونه من ماء المرأتين وكان لا يستمسك وإنما يخرج في السنة مرة ملفوفاً في خرقة أو موضوعاً على صحيفة من فضة ﴿وانهارا﴾ جمع نهر ويحرك مجرى الماء أي: وجعل فيها أنهاراً لأن فيلقى معنى الجعل إذ الالتقاء جعل مخصوص وذلك مثل الفرات نهر الكوفة ودجلة نهر بغداد وجيحون نهر بلخ وجيحان نهر اذنه في بلاد الأرمن وسيحون نهر الهند وسيحان نهر المصبصة والنيل نهر مصر وغيرها من الأنهار الجارية في أقطار الأرض ﴿وسبلا﴾ وطرقاً مختلفة جمع سبيل وهو الطريق وما وضح يعني [بديد كرديم در زمين راهها از هر موضعي بموضعي] ﴿لعلكم تهتدون﴾ إرادة أن تهتدوا بها إلى مقاصدكم ومنازلكم. قال بعضهم خذوا الطريق ولو دارت واسكنوا المدن ولو جارت وتزوجوا البكر ولو بارت أي: ولو كانت البكر بوراً أي: فاسدة هالكة لا خير فيها:

زن نوكن اي دوست هر نوبهار كه تقويم پارين نيايد بكار

﴿وعلامات﴾ أي: وجعل فيها معالم يستدل بها السابلة وهي القوم المختلفة على الطريق بالنهار من جبل وسهل ومياه وأشجار وريح كما قال الإمام: رأيت جماعة يشمون التراب وبواسطة ذلك الشم يتعرفون الطرقات ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ بالليل في البراري والبحار حيث لا علامة غيره ولعل الضمير لقريش فإنهم كانوا كثيري التردد للتجارة مشهورين بالاهتداء بالنجوم في أسفارهم وصرف النظم عن سنن الخطاب وتقديم النجم وإقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك ألزم لهم والشكر عليه أوجب عليهم والمراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وذلك لأنها تعلم بها الجهات ليلاً لأنها دائرة حول القطب الشمالي فهي لا تغيب والقطب في وسط بنات نعش الصغرى والجدي هو النجم المفرد الذي في طرفها والفرقدان هما النجمان اللذان في الطرف

الآخر وهما من النعش والجدي من البنات ويقرب من بنات نعش الصغرى بنات نعش الكبرى وهي سبعة أيضاً أربعة نعش وثلاث بنات وإيزاء الأوسط من البنات السهى وهو كوكب خفي صغير كانت الصحابة رضي الله عنهم تمتحن فيه أبصارهم كذا في «التكملة» لابن عسكر. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: تعلموا من النجوم ما تهتدون به في طرقكم وقبلتكم ثم كفوا وتعلموا من الأنساب ما تصلون به أرحامكم قيل: أول من نظر في النجوم والحساب إدريس النبي عليه السلام. قال بعض السلف: العلوم أربعة: الفقه للأديان والطب للأبدان والنجوم للأزمان والنحو للسان وأما قوله عليه السلام: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر» أي: تعلم قطعة منه فقد قال الحافظ: المنهي عنه من علم النجوم هو ما يديه أهلها من معرفة الحوادث الآتية من مستقبل الزمان كمجيء المطر ووقوع الثلج وهبوب الريح وتغير الأسعار ونحو ذلك ويزعمون أنهم يدركون هذا بسير الكواكب واقتنائها وافتراقها وظهورها في بعض الأزمان دون بعض وهذا علم استأثر الله به لا يعلمه أحد غيره كما حكي أنه لما وقع قران الكواكب السبعة في دقيقة من الدرجة الثالثة من الميزان سنة إحدى وثمانين وخمسائة حكم المنجمون بخراب الربع المسكون من الرياح وكان وقت البيدر ولم يتحرك ريح ولم يقدر الدهاقين على رفع الحبوب ولذا استوصى تلميذ من شيوخه بعد التكميل عند افتراقه فقال: إن أردت أن لا تحزن أبداً فلا تصحب منجماً وإن أردت أن تبقي لذة فمك فلا تصحب طبيباً. قال الشيخ: [منجمي بخانه خود در آمد مرد بيكانه را دید باز او بهم نشست دشنام داد و سقط كفت وقتنه وآشوب بر خاست صاحب دلی برین حال واقف شد وكفت]:

تو بر اوج فلک چه دانی چیست چو ندانی که دسرای تو کیست

فأما ما يدرك من طريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة وكم مضى وكم بقي فإنه غير داخل في النهي انتهى كلام الحافظ مع زيادة. يقول الفقير أصحاب النظر والاستدلال محتاجون إلى معرفة شيء من علم النجوم والحكمة والهيئة والهندسة ونحوها مما يساعده ظاهر الشرع الشريف إذ هو أدخل في التفكير وقد قال تعالى: ﴿وَبَنَّا كُرْنَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ولا يمكن صرف التفكير إلى المجهول المطلق فلا بد من معلومية الأمر ولو بوجه ما وهذا القدر خارج عن الطعن والجرح كما قال السيد الشريف النظر في النجوم ليستدل بها على توحيد الله تعالى وكمال قدرته من أعظم الطاعات وأما أرباب الشهود والعيان فطريقهم الذكر وبه يصلون إلى مطالعة أنوار الملك والملوك ومكاشفة أسرار الجبروت واللاهوت فيشاهدون في الأنفس والآفاق ما غاب عن العيون ويعاينون في الظاهر والباطن ما تحير فيه الحكماء والمنجمون ثم إن الاهتداء إما بنجوم عالم الآفاق وهو للسائرين من أرض إلى أرض وإما بنجوم عالم الأنفس وهو للمهاجرين من حال إلى حال وفي الحديث «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وهذا الاقتداء والاهتداء مستمر باق إلى آخر الزمان بحسب التوارث في كل عصر فلا بد من الدليل وهو صاحب البصيرة والولاية كامل التصرف في الهداية المخصوص بالنعاية، قال الحافظ:

بکوی عشق منه بی دلیل راه قدم که من بخویش نمودم صد اهتمام و نشد

وفي «التأويلات النجمية»: وألقى في أرض البشرية جبال الوقار والسكينة لثلاث تميل بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وأنهاراً من ماء الحكمة وطريق الهداية لعلكم تهتدون

إلى الله تعالى وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الهداية من الله يهتدون إلى الله وهو جذبة العناية يخرجكم بها من ظلمات وجودكم المجازي إلى نور الوجود الحقيقي انتهى . قال الشيخ أبو القاسم الخزيمي الغراري في «كتاب الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة»: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فيه دليل أنه تعالى أراد من الكل الاهتداء والشكر وأن كل من لا يهتدي فليس ذلك بإرادته تعالى والجواب المراد به أن يذكرهم النعم التي يستحق عليها الشكر في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ ثم بين تعالى أن هذه النعم كلها توجب الشكر والهداية ثم يختص بها من يشاء كما قال تعالى: ﴿ولو شاء لهداكم أجمعين﴾ .

﴿أفمن يخلق﴾ هذه المصنوعات العظيمة وهو الله تعالى . وبالفارسية [آيا كسى كه مرا آفريند اين همه مخلوقات راكه مذكور شد] ﴿كمن لا يخلق﴾ كمن لا يقدر على شيء أصلاً وهو الأصنام ومن للعقلاء لأنهم سموها آلهة فأجريت مجرى العقلاء أو لأنه قابله بالخالق وجعله معه كقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ [النور: ٤٥] والهمزة للإنكار أي: أبعد ظهور دلائل التوحيد تتصور المشابهة والمشاركة يعني: [خالق رابا مخلوق هيچ مشابهتی نیست پس عاجزرا شريك قادر ساختن غایت عناد ونهايت جهلست] واختير تشبيه الخالق بغير الخالق مع اقتضاء المقام بظاهره عكس ذلك مراعاة لحق سبق الملكة على العدم ﴿أفلا تذكرون﴾ أي: ألا تلاحظون فلا تذكرون ذلك فتعرفون فساد ما أنتم عليه يا أهل مكة فإنه بوضوحه بحيث لا يفتقر إلى شيء سوى التذكر وهو بالفارسية [ياد كردن] .

﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١١﴾

﴿وإن تعدوا﴾ العد بالفارسية [شمردن] . ﴿نعمة الله﴾ الفائضة عليكم مما لم يذكر ﴿لا تحصوها﴾ لا تطبقوا حصرها وضبط عددها ولو إجمالاً فضلاً عن القيام بشكرها يقال أحصاه أي: عده كما في «القاموس»، وأصله أن الحساب كان إذا بلغ عقداً وضعت له حصة ثم استؤنف العدد . والمعنى لا توجد له غاية فتوضع له حصة:

عطاييست هرمو ازو برتنم چكونه بهرموى شكرى كنم

﴿إن الله لغفور﴾ ستور يتجاوز عن تقصيركم في شكرها ﴿رحيم﴾ عظيم الرحمة والنعمة لا يقطعها عنكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بسبب ما أنتم عليه من العصيان ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وتقدير وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية . قال ابن عطاء: إن لك نفساً وقلباً وروحاً وعقلاً ومحبة وديناً وديناً وطاعة ومعصية وابتداء وانتهاء وحيناً وأصلاً وفصلاً فنعمة النفس الطاعات والإحسان والنفس فيهما تتقلب ونعمة القلب اليقين والإيمان وهو فيهما يتقلب ونعمة الروح الخوف والرجاء وهو فيهما يتقلب ونعمة العقل الحكمة والبيان وهو فيهما يتقلب ونعمة المعرفة الذكر والقرآن وهي فيهما تتقلب ونعمة المحبة الالفة والمواصلة والأمن من الهجران . وهي فيها تتقلب وهذا تفسير قوله: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ انتهى .

واعلم أنه لو صرف جميع عمر الإنسان إلى الأعمال الصالحة وإقامة الشكر لما كافأ نعمة الوجود فضلاً عن سائر النعم:

لو عشت ألف عام في سجدة لربي
شكر الفضل يوم لم أقض بالتمام
والعام ألف شهر والشهر ألف يوم
واليوم ألف حين والحين ألف عام

قال الشيخ سعدى قدس سره:

عذر تقصير خدمت آوردم كه ندارم بطاعت استظهار
عاصيان از كناه توبه كنند عارفان از عبادت استغفار

المراد رؤية العمل لا ترك العمل وينبغي للعبد أن يكون تحت طاعة المولى لا تحت طاعة النفس والشيطان فإن المطيع والعاصي لا يستويان.

- حكي - أن عابداً من بني إسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله أن يظهره على الملائكة فأرسل إليه ملكاً يخبره أنه مع تلك العبادة لا يليق بالجنة فقال العابد: نحن خلقنا للعبادة فينبغي أن نعبد خالقنا امتثالاً لأمره فرجع الملك فقال: إلهي أنت تعلم بما قال: فقال الله تعالى: إذا لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لا نعرض عنه أشهدوا أنني قد غفرت له فللعبد أن يكون قصده مراعاة الأمر وإخراج النفس عن البين وهو حجاب عظيم للوصول إلى الحقيقة وعلى تقدير الزلة فالمسارعة إلى الاستغفار فإنه نعم المطهر من درن الذنوب والأوزار.

«والله يعلم ما تسرون» ما تضمرون من العقائد والأعمال «وما تعلنون» أي: تظهرونه منهما أي يستوي بالنسبة إلى علمه المحيط سرهم وعلنكم فحقه أن يتقي ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه.

«والذين يدعون» أي: والآلهة الذين يعبدهم الكفار والدعاء بمعنى العبادة في القرآن كثير «من دون الله» نصب على الحال أي: متجاوزين الله فإن معنى دون أدنى مكان من الشيء ثم استعير للتفاوت في الأحوال والرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل من تجاوز حداً إلى حد وتخطى حكماً إلى حكم «لا يخلقون شيئاً» من الأشياء أصلاً أي: ليس من شأنهم ذلك لأنهم عجزوا «وهم يخلقون» أي: شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقة لأنها ذوات ممكنة مفتقرة في ماهيتها ووجوداتها إلى الموجد. قال في «القاموس»: الخالق في صفاته المبدع للشيء المخترع على غير مثال سبق.

«أموات» جمع ميت خبر ثان للموصول أي: جمادات لا حياة فيها وبالفارسية [وايشان باوجود، مخلوقات مردكانند] ولم يقل موات لأنهم صوروا على شكل من تحله الروح. قال في «القاموس»: الموات كغراب وكسحاب ما لا روح فيه وأرض لا مالك لها «غير أحياء» جمع حي ضد الميت أي: غير قابلين للحياة كالنطفة والبيضة فهي أموات على الإطلاق «وما يشعرون أياهم يبعثون» الشعور [بدانستن] يقال: شعر به كنصر وكرم شعراً وشعوراً علم به وفطن له وعقله. وأيان مركب من أي: التي للاستفهام وآن بمعنى الزمان فلذلك كان بمعنى متى أي سؤالاً عن الزمان كما كان ابن سؤالا عن المكان فلما ركبا وجعلا اسماً واحداً بنيا على الفتح كبعبك وبعث الموتى نشرهم أي: إحيائهم كما في «القاموس» والمعنى ما يعلم أولئك

الآلهة متى يبعث عبدتهم من القبور. وفيه إيذان بأن معرفة وقت البعث مما لا بد منه في الألوهية وتعريض بأنهم كما لا بد لهم من الموت لا بد لهم من البعث وهم منكرون لذلك وهو اللائح.

﴿إِنَّهُمْ كُذِّبُوا وَجَدَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبَهُمْ مُنْكَرَةً وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣)

﴿إلهمك إله واحد﴾ [يكتا ويكانه است] لا تشاركه شيء في شيء. ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وأحوالها من البعث والجزاء وغير ذلك والإيمان في اللغة التصديق بالقلب وفي الشريعة هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، قال السهيلي في كتاب «الأمالي»: الفرق بين التصديق والإيمان أن التصديق لا بد أن يكون في مقابلة خبر والإيمان قد يكون في مقابلة خبر صادق وقد يكون عن فكر ونظر فإذا نظرت في الصنعة وعرفت بها الصانع آمنت ولم تكن مصداقاً بخبر إذ لا خبر هناك فإذا جاء الخبر بما آمنت به وأقررت صدقت الخبر وأيضاً أن التصديق قد يكون بالقلب وأنت ساكت تقول: سمعت الحديث فصدقته والإيمان لا بد من اجتماع اللفظ مع العقد فيه لغة وشرعاً انتهى ﴿قلوبهم منكراً﴾ للوحدانية متصفة بالنكارة لا بالمعرفة. ﴿وهم مستكبرون﴾ أي: وهم قوم لا يزال الاستكبار عن اعتراف الوحدانية والتعظيم عن قبول الحق دأبهم كما في الإنكار سجيته.

﴿لا جرم﴾ [هر آينه راست است] ﴿أن الله﴾ [آنکه خدای تعالی] ﴿يعلم ما يسرون﴾ من إنكار قلوبهم ﴿وما يعلنون﴾ من استكبارهم. لا جرم للتحقيق والتأكيد بمنزلة حقاً. قال أبو البقاء: في لا جرم أربعة أقوال: أحدها: أن لا رد لكلام ماضٍ أي: ليس الأمر كما زعموا. وجرم فعل بمعنى كسب وفاعله مضمَر فيه وأن ما بعده في موضع نصب على المفعول به. والقول الثاني: أن لا جرم كلمتان ركبنا وصار معناهما حقاً وما بعدها في موضع رفع بأنه فاعل لحق. والثالث أن المعنى لا محالة فيكون ما بعدها في موضع رفع أيضاً وقيل في موضع نصب أو جر. والرابع: أن التقدير لا منع ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿لا يحب المستكبرين﴾ عن التوحيد أي: جنس المستكبرين سواء كانوا مشركين أو مؤمنين. والاستكبار رفع النفس فوق قدرها وجحود الحق والفرق بين المتكبر والمستكبر أن التكبر عام لإظهار الكبر الحق كما في أوصاف الحق تعالى فإنه جاء في أسمائه الحسنی الجبار المتكبر وفي قوله عليه السلام: «التكبر على المتكبر صدقة» وإظهار الكبر الباطل كما في قوله تعالى: ﴿سَامِرُفٌ عَنِ الْإِنِّ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦] والاستكبار إظهار الكبر باطلاً كما في قوله تعالى في حق إبليس ﴿أَسْتَكْبَرُ﴾ [ص: ٧٤] ومنه ما في هذا المقام. وفي «العوارف»: الكبر ظن الإنسان أنه أكبر من غيره والتكبر إظهاره ذلك وفي الحديث: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان». قال الخطابي فيه تأويلان: أحدهما أن المراد كبر الكفر ألا ترى أنه قابله في نقيضه بالإيمان والآخر أنه تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة نزع ما في قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر. قال في «فتح القريب»: هذان التأويلان فيهما بعد فإن الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس وإحراقهم ودفع الحق وقيل: لا يدخلها دون مجازاة إن جازاه وقيل: لا يدخلها مع المتقين أول وهلة. وعن أبي هريرة

رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: يا بني آدم خلقتكم من التراب ومصيركم إلى التراب فلا تتكبروا على عبادي في حسب ولا مال فتكونوا عليّ أهون من الذر وإنما تجزون يوم القيامة بأعمالكم لا بأحسابكم وإن المتكبرين في الدنيا أجعلهم يوم القيامة مثل الذر يطأهم الناس كما كانت البهائم تطأه في الدنيا».

- وحكي - أنه افتخر رجلان عند موسى عليه السلام بالنسب والحسب فقال أحدهما: أنا فلان ابن فلان حتى عدت تسعة فأوحى الله تعالى إليه قل له هم في النار وأنت عاشرهم وأنشد بعضهم:

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعاً فكم تحتها قوم همو منك أرفع
فإن كنت في عز وحرز ورفعة فكم مات من قوم همو منك أمتع
فعليك بالتواضع وعدم الفخر على واحد فإن التواضع باب من أبواب الجنة والفخر باب من أبواب النار واللازم فتح أبواب الجنان وسد أبواب النيران وتحصيل الفقر المعنوي الذي ليس الفخر في الحقيقة إلا به فإنه لا يليق المرء بدولة المعنى ورياسة الحال وسلطنة المقام إلا بتولية ذاته بحلية التواضع وزينة الفناء، قال الحافظ:

تاج شاهي طلبی کوهر ذاتی بنمای ورخوداز کوهر جمشیدو فریدون باشی
اللهم اجعلنا من أهل التواضع لا من أرباب التملق واجعلنا من أصحاب التحقق بعد التخلق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطُورُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيلُونَ ﴿٧٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَفَّاكَ اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ عن السعدي اجتمعت قريش فقالوا: إن محمداً رجل حلو اللسان إذا كلم رجلاً ذهب بقلبه فانظروا أناساً من أشرافكم فابعثوهم في كل طريق مكة على رأس ليلة أو ليلتين فمن جاء يريده ردوه عنه فخرج ناس منهم من كل طريق فكان إذا جاء وافد من القوم ينظر ما يقول محمد فنزل بهم قالوا له: هو رجل كذاب ما يتبعه إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه وأما أشياخ قومه وأخيارهم فهم مفارقوه فيرجعه أحدهم وإذا كان الوافد ممن هداه الله يقول: بئس الوافد أنا لقومي إن كنت جئت حتى إذا بلغت مسيرة يوم رجعت قبل أن ألقى هذا الرجل فانظر ما يقول فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم ما يقول لهم فيقولون خيراً فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء المشركين المستكبرين المقتسمين من قبل الوفود أو وفود الحاج في الموسم ﴿ماذا أنزل ربكم﴾ ماذا منصوب بأنزل بمعنى أي شيء أنزل ربكم على محمد ﴿قالوا أساطير الأولين﴾ عدلوا عن الجواب فقالوا: هذا أساطير الأولين على أن يكون خبر مبتدأ محذوف لأنهم أنكروا إنزال القرآن بخلاف قوله: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَآذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] كما يجيء ويجوز أن يكون ماذا مرفوعاً بالابتداء أي: ما الذي أنزله ربكم قالوا أساطير الأولين أي: ما تدعون نزوله أحاديث الأمم السالفة وأباطيلهم وليس من الإنزال في شيء يعني: [هيج نفر ستاده وأنچه آدمی خواند أساطير الأولين است] قال في

«القاموس»: الأساطير الأحاديث لا نظام لها جمع أسطار وأسطير بكسرهما وأسطور وبالهاء في الكل.

﴿ليحملوا أوزارهم﴾ [بار كناهان خودرا] واللام للعاقبة إذ لم يكن داعيهم إلى ذلك القول حمل الأوزار ولكن الاضلال غير أن ذلك لما كان نتيجة قولهم وثمرته شبه بالداعي الذي لأجله يفعل الفاعل الفعل كما في «بحر العلوم». وقال في «الإرشاد» اللام للتعليل في نفس الأمر من غير أن يكون غرض أي: قالوا ما قالوا ليحملوا أوزارهم الخاصة بهم وهي أوزار ضلالهم أي تحتم حمل الأوزار عليهم على تقدير التعليل. والأوزار جمع وزر وهو الثقل والحمل الثقيل ﴿كاملة﴾ لم يكفر منها شيء بنكبة أصابتهم في الدنيا كما يكفر بها أوزار المؤمنين فإن ذنوبهم تكفر عنهم من الصلاة إلى الصلاة ومن رمضان إلى رمضان ومن الحج إلى الحج وتكفر بالشدائد والمصائب أي: المكروهات من الآلام والأسقام والقحط حتى خدش العود وعثرة القدم. ﴿يوم القيامة﴾ ظرف ليحملوا ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ أي: وبعض أوزار من ضل بإضلالهم وهو وزر الإضلال والتسبب للضلال لأنهما شريكان هذا يضلّه وهذا يطاوعه فيتحاملان الوزر وفي الحديث: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»، وفي «المثنوي»:

هرکه بنهد سنت بد ای فتی تادر افتد بعداو خلق از عمنی

جمع كردد بروی آن جمله بزه کوسری بوده است وایشان دم غزه

﴿بغير علم﴾ حال من الفاعل أي: يضلونهم غير عالمين بأن ما يدعون إليه طريق الضلال وبما يستحقونه من العذاب الشديد في مقابلة الإضلال أو من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وفائدة التقييد بها الإشعار بأن مكرهم لا يروج عند ذوي لب وإنما يتبعهم الأغبياء والجهلة والتنبيه على أن جهلهم ذلك لا يكون عذراً إذ كان يجب عليهم أن يبحثوا ويميزوا بين المحقق الحقيق بالاتباع وبين المبطل.

چشم باز وکوش باز ودام پیش سوی دامی می پرد باپر خویش

﴿ألا ساء ما يزرّون﴾ ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب أن يكون مبهماً يفسره ما يزرّون والمخصوص بالذم محذوف أي: بئس شيئاً يزرّونه أي: يحملونه فعلهم. وبالفارسية [بدانید که بدکاریست آن باری که ایشان می کشند].

واعلم أنه لا يحمل أحد وزر أحد إذ كل نفس تحمل ما كسبت هي لا ما كسبت غيرها إذ ليس ذلك من مقتضى الحكمة الإلهية وأما حمل وزر الاضلال فهو حمل وزر نفسه لأنه مضاف إليه لا إلى غيره. فعلى العاقل أن يجتنب من الضلال والإضلال في مرتبة الشريعة والحقيقة فمن حمل القرآن على الأساطير ودعا الناس إلى القول بها فقد ضل وأضل وكذا من حمل إشارات القرآن على الأباطيل لا على الحقائق فإنه ضل بالإنكار وأضل طلاب الحق عن طريق الإقرار فحمل حجاب الضلال وحجاب الإضلال وكلما تكاثف الحجب وتضاعف الأستار بعد المرء عن درك الحق ورؤية الآثار والمراد بالإشارات الصحيحة المشهود لحقيتها بالكتاب والسنة وهي الإشارات الملهمة إلى أهل الوصول لا الإشارات التي تدعيها الملاحدة وجهلة المتصوفة مما يوافق هواهم فإنها ليست من الإشارات في شيء كما قال في «المثنوي»:

بر هوا تأویل قرآن میکنی پست وکژ شد از تو معنی سنی

آن مکس بر برك کاه و بول خر همچو کشتیبان همی افراشت سر
 گفت من دریا و کشتی خوانده عام مدتی در فکر آن می مانده ام
 اینک این دریا و این کشتی و من مرد کشتیبان و اهل ورای زن
 بر سر دریا همی راند او عمد می نمودش آن قدر بیرون زحد
 صاحب تأویل باطل چون مکس وهم او بول خر و تصویر خس
 کرمکس تأویل بگذارد برای آن مکس را بخت کرداند همای

﴿قد مکر الذین من قبلهم﴾ المکر الخدیعة یعنی قد مکر أهل مکة کما مکر الذین من قبلهم وصار المکر سبباً لهلاکهم لا لهلاک غیرهم لأن من حفر لأخیه جباً وقع فیہ منکباً. قال فی «المدارک»: الجمهور علی أن المراد نمرود بن کنعان حین بنی الصرح ببابل وکان قصراً عظیماً طوله خمسة آلاف ذراع وعرضه فرسخان ليقاتل علیه من فی السماء بزعمه ويطلع علی إله إبراهيم علیه السلام. ﴿فأتى الله بنیانهم من القواعد﴾ البیان البناء والجمع أبنیه والقواعد جمع قاعدة وقواعد البيت أساسه أو أساطینه أي: قصد الله تخريب بنائهم من جهة أصوله وأساسه وأتاه أمره وحکمه وبأسه أو من جهة الأساطین التي بنوا علیها بأن ضعفت. ﴿فخر﴾ أي: سقط ﴿علیهم السقف﴾ أي: سقف بنائهم. ﴿من فوقهم﴾ یعنی: [اول بام بر ایشان فرود آمد پس دیوارها] إذ لا يتصور البناء بعد هدم القواعد وجاء بفوقهم وعلیهم للإیذان بأنهم کانوا تحته فإن العرب لا تقول سقط علینا البيت ولسوا تحته.

- روي - أنه هبت علیه ریح هائلة فألقت رأسه فی البحر وخر الباقي علیهم ولما سقط الصرح تبلبلت الألسن من الفزع يومئذ: یعنی: [بهم بر آمد وسخن ایشان مختلف کشت هر قومی بزبانى سخن گفتن آغاز کردند و هیچ يك زبان آن دیگر ندانست] فتکلموا ثلاثة وسبعین لساناً فلذلك سمیت ببابل وکان لسان الناس قبل ذلك بالسریانیة ﴿وأتاهم العذاب﴾ أي: الهلاک بالریح ﴿من حیث لا يشعرون﴾ بإتیانه منه بل يتوقعون إتیان مقابله مما یریدون ویشتهون. والمعنى أن هؤلاء الماکرین القائلین للقرآن العظیم أساطیر الأولین سیأتیهم فی الدنيا من العذاب مثل ما أتاهم وهم لا يحتسبون [دمیاطی آورده که مراد ازین عذاب بعوضه است که بر لشکر نمرود مسلط شد. در لباب فرموده که خدای تعالی نمرود را مبتلا کردانید به پشه که در بینی او رفته بود و در دماغ وی جای گرفته و بزرگ شد و چهار صد سال درانجا بماند و درین مدت پیوسته مطر که بر سر او میزدند تا فی الجملة آرام یافت. شیخ فرید الدین عطار قدس سره در منطق الطیر آورده:

نیم پشه بر سر دشمن کماشت در سراو چارصد سالش بداشت
 چون دهد حکمش ضعیفی رامدد سبلت خصم قوی را بر کند
 ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْكَافِرِينَ﴾ (٢٧)

﴿ثم يوم القيامة﴾ أي: هذا العذاب جزاؤهم فی الدنيا ويوم القيامة ﴿يخزيهم﴾ [رسوای کردند ایشان را] أي: يذل أولئك المفترين والماکرین الذین من قبلهم جميعاً بعذاب الخزي علی رؤوس الأشهاد وأصل الخزي ذل يستحیی منه وثم لتفاوت ما بین الجزاءين ﴿ويقول﴾ لهم

تفضيحاً وتوبيخاً فهو إلى آخره بيان للإخزاء ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم ﴿الذين كنتم تشاققون﴾ أصله تشاققون أي: تخاصمون الأنبياء والمؤمنين ﴿فيهم﴾ أي: في شأنهم بأنهم شركاء أحقاء حين بينوا لكم بطلانها. والمراد بالاستفهام استحضرها للشفاعة أو المدافعة على طريق الاستهزاء والتبكيت والاستفسار عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة بل يكفي في ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذي كانوا يزعمون أنهم متصفون به من عنوان الإلهية فليس هناك شركاء ولا أماكنها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ من أهل الموقف وهم الأنبياء والمؤمنون الذين أوتوا علماً بدلائل التوحيد وكانوا يدعونهم في الدنيا إلى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم أي: يقولون توبيخاً لهم وإظهاراً للشماتة بهم. ﴿إن الخزي﴾ أي: الفضيحة والذل والهوان وبالفارسية [خواری ورسوایی] ﴿اليوم﴾ متعلق بالخزي وإيراده للإشعار بأنهم كانوا قبل ذلك في عزة وشقاق ﴿والسوء﴾ أي: العذاب ﴿على الكافرين﴾ بالله تعالى وبآياته ورسله وهو قصر للجنس الادعائي كأن ما يكون من الذل وهو العذاب لعصاة المؤمنين لعدم بقائه ليس من ذلك الجنس.

﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْفَوْا سَلَامًا ۖ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ في محل الجر على أنه نعت للكافرين وفائدة تخصيص الخزي والسوء بمن استمر كفره إلى حين الموت دون من آمن منهم ولو في آخر عمره أي: على الكافرين المستمرين على الكفر إلى أن تتوفاهم الملائكة أي: يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه. ﴿ظالمي أنفسهم﴾ أي: حال كونهم مستمرين على الكفر والاستكبار فإنه ظلم منهم على أنفسهم وأي ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد بوضعها بالاستكبار على الملك الجبار غير موضعها وبدلوا فطرة الله تبديلاً ﴿فألقوا السلم﴾ عطف على قوله تعالى: ﴿ويقول أين شركائي﴾ والسلم بالتحريك الاستسلام أي: فيلقون الاستسلام والانقياد في الآخرة حين عاينوا العذاب ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه في الدنيا من التكبر والعلو وشدة الشكيمة قائلين ﴿ما كنا نعمل﴾ في الدنيا ﴿من سوء﴾ أي: من شرك قالوه منكبين لصدوره عنهم قصداً لتخليص نفوسهم من العذاب ﴿بلى﴾ رد عليهم من قبل أولي العلم وإثبات لما نفوه أي: بلى كنتم تعملون ما تعملون ﴿إن الله عليم بما كنتم تعملون﴾ فهو يجازيكم عليه وهذا أوانه فلا يفيد إنكاركم وكذبكم على أنفسكم.

﴿فادخلوا﴾ الفاء للتعقيب ﴿أبواب جهنم﴾ أي: كل صنف بابها المعد له ﴿خالدين فيها﴾ إن أريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة وإن أريد مطلق الكون فيها فمقارنة ﴿فلبئس مثوى المتكبرين﴾ الفاء عطف على فاء التعقيب واللام للتأكيد تجري مجرى القسم والمثوى المنزل والمقام والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم، والمعنى بالفارسية: [پس هر آینه بد مقامی و بد آرامگاهيست متكبرانرا جهنم] وذكرهم بعنوان التكبر للإشعار بعليته لشوائهم فيها أي: إقامتهم والمراد المتكبر عن التوحيد أو كل متكبر من المشركين والمسلمين. قال حضرة الشيخ علي السمرقندي قدس سره في تفسيره المسمى «بحر العلوم» التكبر ينقسم على ثلاثة أقسام.

التكبر على الله وهو أخبث أنواع الكبر وأقبحها وما منشأه إلا الجهل المحض. ثم التكبر على الرسل من تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس وهذا كالتكبر على الله تعالى في القيامة واستحقاق العذاب السرمدى. والثالث التكبر على العباد وهو بأن يستعظم نفسه ويستحققر غيره فيأبى عن الانقياد لهم ويدعوه إلى الرفع عليهم فيزدرهم ويستصغرهم ويستكف عن مساواتهم وهو أيضاً قبيح وصاحبه جاهل كبير يستأهل سخطاً عظيماً لو لم يتب وإن كان دون الأولين للدخول تحت عموم قوله: ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ وأيضاً من تكبر على أحد من عباد الله فقد نازع الله في رذائه وفي صفة من صفاته. قال أبو صالح حمدان بن أحمد القصار رحمة الله عليه: من ظن أن نفسه خير من نفس فرعون فقد أظهر الكبر، وفي «المثنوي»:

آنچه در فرعون بود اندر توهست لیک از درهات محبوس چهست
آشت را هیزم فرعون نیست زانکه چون فرعون اوراعون نیست

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال: إني أمركما باثنين وأنهاكما عن اثنين أمركما بلا إله إلا الله فلو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعن في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن ولو أن السموات السبع والأرضين السبع حلقة مبهمة لقصمتهن لا إله إلا الله وأمركما بسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل نبي بها يرزق الخلق وأنهاكما عن الكفر والكبر».

﴿وقيل﴾- روي - أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام موسم الحج من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون الذين اقتسموا طرق مكة وأمرؤه بالانصراف وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك فإنه ساحر كاهن كذاب مجنون فيقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقي أصحاب النبي عليه السلام فيخبرونه بصدقه فذلك قوله وقيل أي: من طرف الوافدين ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عن الكفر والشرك وهم المؤمنون المخلصون ﴿مَاذَا﴾ أي: أي شيء فهو مفعول قوله: ﴿أَنْزَلَ رَبِّكُمْ﴾ على محمد ﴿قَالُوا﴾ في جوابه أنزل ﴿خَيْرًا﴾ وفي تطبيق الجواب بالسؤال إشارة إلى أن الإنزال واقع وأنه نبي حق. قال الكاشفي: [مراد ازخير قر آنست كه جامع جميع خيرات ومستجمع مجموع حسنات وبركات اوست ونيكوهاي ديني وديناوى وخوبيهاي صوري ومعنوي ناشى ازو]. ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ أعمالهم وقالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله فإنه أحسن الحسنات وهو كلام مستأنف جيء به لمدح المتقين. ﴿فِي هَذِهِ الدَّارِ﴾ الدار ﴿الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي: مثوبة حسنة مكافأة فيها بإحسانهم وهي عصمة الدماء والأموال واستحقاق المدح والثناء والظفر على الأعداء وفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات الذي من أوتيها فقد فاز بالقدح المعلى.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من أحسن أعماله بالصالحات وأخلاقه بالحميدات وأحواله بالانقلاب عن الخلق إلى الحق فله حسنة من الله وهو أن ينزله منازل الواصلين الكاملين في الدنيا ﴿وَلِدَارِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ولثوابهم فيها ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتوا في الدنيا من المثوبة أو دار الآخرة خير من الدنيا على الإطلاق فإن الآخرة كالجوهر والدنيا كالخزف وقيمة الجوهر أرفع من قيمة الخزف بل لا مناسبة بينهما أصلاً ﴿وَلِنَعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [ونيكو سرايست مرپر هيز كارانرا سراي آخرت]. قال الحسن دار المتقين الدنيا لأنهم منها يتزودون للآخرة. يقول الفقير فيه مدح للدنيا باعتبار أنها متاع بلاغ فإنها باعتبار أنها متاع الغرور مذمومة كما قال في «المثنوي».

چيست دنيا از خدا غافل شدن نى قماش ونقره وميزان وزن
مال را كز بهر دين باشى حمل
آب در كشتى هلاك كشتى است
چونكه مال وملك را ازدل براند
كوزه سربسته اندر آب رفت
باد درويشى چودر باطن بود
وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للأتقياء الواصلين داراً غير دار الدنيا ودار الآخرة
فدارهم مقعد الصدق في مقام العندية ونعم الدار.

﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَكُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾
الَّذِينَ تَوْفَّقَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ عدن علم أي: لهم بساتين عدن حال كونهم ﴿يدخلونها﴾ حال كونها
﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ أي: من تحت منازلها الأنهار الأربعة على أن يكون المنبع فيها
بشهادة من ﴿لهم﴾ خبر مقدم ﴿فيها﴾ أي: في تلك الجنات حال من المبتدأ المؤخر وهو
قوله: ﴿ما يشاءون﴾ ويحبون من أنواع المشتبهات. قال البيضاوي في تقديم الظرف تنبيه على
أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة. يقول الفقير إن قلت هل يجوز للمرء أن
يشتهي في الجنة اللواط؟ وقد ذهب إليه من لا وقوف له على جليلة الحال فالجواب أن
الاشتواء المذكور مخالف لحكمة الرب الغفور ولو جاز هو لجاز نكاح الأمهات فيها على تقدير
الاشتواء وأنه مما لا يستريب عاقل في بطلانه ألا ترى أن الذكور وكذا الزنى واللواط والكذب
ونحوها كان حراماً مؤبداً في الدنيا في جميع الأديان لكونه مما لا تقتضي الحكمة حله بخلاف
الخمير ونحوها ولذا كانت هي أحد الأنهار الجارية فيها فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا
يستطيب ما استخبثته الطباع السليمة. قال الكاشفي: [ودر جواب كسى كه كويد شايد بهشتى
خواهد كه بدرجات أنبيا ومنازل أوليا ومراتب شهدا برسد وكفته اند در بهشت غيظ وحسدكه
موجب تمنها باشد نيست با آنكه هريك از بهشتيان بآنچه دارند راضى اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من الأتقياء من مشيئته الجنة ونعيمها ومن مشيئته
العبور على الجنة والخروج إلى مقعد الصدق في مقام العندية فلهم ما يختارون من الجنة ومقعد
الصدق ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الجزاء الأوفى ﴿يجزي الله المتقين﴾ أي: كل من يتقي عن
الشرك والمعاصي.

﴿الذين توفاهم الملائكة﴾ نعت للمتقين أي: يقبض ملك الموت وأعوانه أرواحهم حال
كونهم ﴿طيبين﴾ أي: طاهرين عن دنس الظلم لأنفسهم بتبديل فطرة الله. وفائدته الإيدان بأن
ملاك الأمر في التقوى هو الطهارة عما ذكر إلى وقت توفيقهم. ففيه حث للمؤمنين على ذلك
ولغيرهم على تحصيله. وقيل: طيبين بفيض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية إلى جناب القدس
جعلنا الله وإياكم منهم، وفي «المثنوي»:

همچنين باد أجل باعارفان نرم وخوش همچون نسيم يوسفان
وفي «التأويلات النجمية» أي: طيبي الأعمال عن دنس الشهوات والمخالفات. وطيبي

الأخلاق عن المذمومات الملوثة بالطبعيات دون الشرعيات. وطبيبي الأحوال عن وصمة ملاحظات الكونين ﴿يقولون﴾ حال من الملائكة أي: قائلين لهم على وجه التعظيم والتبشير. ﴿سلام عليكم﴾ لا يخيفكم بعد مكروه. قال القرطبي: إذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولي الله يقرئك السلام وبشره بالجنة. ﴿ادخلوا الجنة﴾ أي: جنات عدن فإنها معدة لكم فاللام للعهد والمراد دخولهم لها في وقته كما قال الكاشفي: [بعد ازسلام كويند فرداكه مبعوث شويد در آييد در بهشت كه براى شما آماده است] والقبر روضة من رياض الجنة ومقدمة لنعيمها ومن دخله على حسن الحال والأعمال فكأنه دخل جنته ووجد نعيماً لا يزول ولا يزال. ﴿بما كنتم تعملون﴾ بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة والعمل وإن لم يكن موجباً للجنة لأن الدخول فيها محض فضل من الله إلا أن الباء دلت على أن الدرجات إنما تنال بالأعمال وصدق الأحوال فإن المراد من دخول الجنة إنما هو اقتسام المنازل بحسب الأعمال [وكفته اند] زرع يومك حصاد غدك:

بكوش امروز تا تخمى بپاشى كه فردا بر جوى قادر نباشى

كر اينجا كشت كردن را نورزى دران خرمن به از ارزن نيرزى

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن دخول الجنة للأتقياء جزاء لإصلاح أعمالهم والعبور عليها جزاء لإصلاح أخلاقهم والخروج إلى مقعد الصدق جزاء لإصلاح أحوالهم فلكل متق مقام بحسب معاملته مع الله تعالى وفي الحديث: «عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك». قال في «بحر العلوم» المراد بالصديق كل من آمن بالله ورسله ولم يفرق بين أحد منهم بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ﴾ [الحديد: ١٩] ويدل عليه أيضاً الآية التي نحن فيها كما لا يخفى ويعضده قول النبي عليه السلام «الله تعالى بنى جنات عدن بيد قدرته وجعل ملاطها المسك وترابها وحصباءها اللؤلؤ لبنه من ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها بيد قدرته وقال لها: تكلمي قالت: قد أفلح المؤمنون فقال: طوبى لك منزل الملوك» وفي قولها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] تنبيه على أن سكانها أهل الإيمان بالله ورسله انتهى. يقول الفقير: لا شك أن أهل الإيمان كلهم يدخلون الجنة لكن بحسب تفاوت درجاتهم في مراتب الإيمان تتفاوت منازلهم الجنانية فالفردوس وعدن للخواص ومن يلحق بهم وغيرهما للعوام وكمال الإيمان إنما يحصل بمكاشفة أسرار الملكوت ومشاهدة أنوار الجبروت وصاحبه الصديق الأكبر والدليل على ما قلنا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧] فإنهم قد قالوا في التفسير إن أهلها هم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وهو الوصف الزائد على مطلق الإيمان ولذا وعدوا بتلك الجنان إذ من كان أرفع مرتبة في الدنيا بحسب العلوم النافعة والأخلاق الفاضلة كان أعلى درجة في الجنة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [٣٢] فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا

وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَنَسُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمَكْذِبِينَ ﴿٣٦﴾
 إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾
 لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ
 إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنْتَوْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةً وَلَآجِرِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾

﴿ولقد بعثنا في كل أمة﴾ من الأمم . وبالفارسية [درميان هركر وهي] . ﴿رسولا﴾ خاصاً بهم كما بعثناك ﴿أن اعبدوا الله﴾ أن مفسرة لبعثنا أي: قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله وحده . ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ هو الشيطان وكل ما يدعو إلى الضلال وذلك لإلزام الحجة وقطع المَعذرة مع علمه أن منهم من لا ياتمر بالأوامر ولا يؤمن . والطاغوت فعلوت من الطغيان كالجبروت والملوك من الجبر والملك وأصله طغيوت فقدم اللام على العين وتأوه زائدة دون التأنيث . ﴿فمنهم﴾ أي: من تلك الأمم والفاء فصيحة أي: فبلغوا ما بعثوا به من الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فنفروا فمنهم . ﴿من هدى الله﴾ خلق فيه الاهتداء إلى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي إلى تحصيله . ﴿ومنهم من حقَّت عليه الضلالة﴾ [كمرأى بسبب خذلان الهى] أي: وجبت وثبتت إلى حين الموت لعناده وإصراره عليها وعدم صرف قدرته فلم يخلق فيه الاهتداء ولم يرد أن يطهر قلبه ﴿فسيروا﴾ سافروا يا معشر قريش إذ الكلام معهم ﴿في الأرض فانظروا﴾ في أكنافها وفي الفاء الموضوعة للتعقيب إشارة إلى وجوب المبادرة إلى النظر والاستدلال المؤديين إلى الإقلاع عن الضلال ﴿كيف كان عاقبة المكذبين﴾ من عاد وثمود ومن سار بسيرتهم ممن حقَّت عليه الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون من منازلهم وديارهم آثار الهلاك والعذاب ﴿إن تحرص﴾ يا محمد ﴿على هدايتهم﴾ أي: إن تطلب هداية قريش بجهدك . وبالفارسية [اكرسخت كوشى وحرص ورزى] ﴿فإن الله لا يهدي من يضل﴾ أي: فاعلم أن الله لا يخلق الهداية جبراً وقهراً فيمن يخلق فيه الضلالة بسوء اختياره . ﴿وما لهم من ناصرين﴾ من ينصرهم برفع العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار الجمعية في الضمير فإن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الآحاد إلى الآحاد .

واعلم أن سرَّ بعثة الأنبياء عليهم السلام إلى الخلق أن يأمرهم بعبادة الله واجتناب طاغوت الهوى وما يعبدون من دون الله ويعلموهم كيفية العبادة الخالصة من الشوائب وكيفية الاجتناب عما سوى الله ليصلوا بهذين القدمين إلى حضرة الجلال كما قال بعضهم خطوتان وقد حصلت . فالخطوة الأولى عبادة الله بالتوحيد وهو التوجه إلى الله تعالى بالكلية طلباً وشوقاً ومحبة . والثانية الخروج عما سوى الله بالكلية صدقاً واجتهاداً بليغاً لينالوا ما نال من قال لربه - كلى بلكك مشغول فقال كلى لملكك مبدول - كما في «التأويلات النجمية» . فعلى العاقل أن يجتهد في طريق العبودية وهي رفض المشيئة لأن العبد لا مشيئة له لأنه لا يملك ضراً ولا نفعاً .

- وحكي - أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله اشترى عبداً فقال له: أي شيء تأكل؟ قال: ما

تطعمني؟ قال: أي شيء تعمل؟ قال: ما تستعملني قال: أي شيء لك إرادة؟ قال: وأين تبقى إرادة العبد في جنب إرادة سيده ثم راجع إبراهيم نفسه وقال: يا مسكين ما كنت لله في عمرك ساعة مثل ما كان هذا لك في هذه الحالة؟ إن قلت الطاعة راجحة أم ترك المخالفات. قلت: الاحتماء غالب على المعالجة بالأدوية كما يفعله أهل الهند فإنهم يداوون مرضاهم بترك الأكل أياماً. وقد قال أبو القاسم: لا تطلبوا الآخرة بالبذل والإيثار واطلبوا بالترك والكف. وهذا عكس ما عليه أهل الزمان فإن عبادهم يأتون ما أمكن لهم من الطاعات وهم غرقى في بحر المخالفات إذ ليس لهم مبالاة في باب التروك فلو أنهم اقتصروا على الفرائض والواجبات واجتهدوا في باب الكف عن الرذائل والمخالفات لكان خيراً لهم ولذا قال في «المثنوي»:

بهر این بعض صحابه از رسول ملتمس بودند مکر نفس غول
کوچه آمیزدز أغراض نهان در عبادتها ودر اخلاص جان
فضل طاعت را نجستندی ازو عیب ظاهر را نجستندی که کو
مو بمو و ذره ذره مکر نفس می شناسیدند چون کل از کرفس
نسأل الله تعالى أن يهدينا إلى حق اليقين ويعصمنا من أعمال من قال في حقهم وما لهم

من ناصرين.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ [الإقسام] [سو کند خوردن] والقسم محركة اليمين بالله. والمعنى بالفارسية [سو کند خوردند بخداى تعالى] عن أبي العالية كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين فأتاه يتقاضاه فكان فيما تكلم به والذي أرجوه بعد الموت أنه لكذا يعني: [دراثناء مكالمه گفت بدان خدای که بعد ازمرک بقاء او امید وارم] فقال المشرك: إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت [أي كفت توامید واری که بعد ازمرک زنده شوی مسلمان کفت آری آن کافر بایمان غلاظ وشدادکه درکیش او مقرر بود سو کند یا دکردکه هیچکس بعد ازمرک زنده نشود] فانزل الله تعالى هذه الآية ﴿جهد أيمانهم﴾ [سختترین سو کند ایشان یعنی جهد کردند در تغلیظ سو کنند]. يقال جهد الرجل في كذا كمنع جد فيه وبالف و اجتهد. قال في «القاموس» وقوله تعالى: ﴿جهد أيمانهم﴾ أي: بالغوا في اليمين واجتهدوا انتهى. مصدر في موقع الحال أي: جاهدين في أيمانهم أي: حلفوا بالله مبالغين في أيمانهم حتى بلغوا غاية شدتها ووكداتها. وفي تفسير أبي الليث كل من حلف بالله فهو جهد اليمين لأنهم كانوا يحلفون بالأصنام وبآبائهم ويسمون اليمين بالله جهد أيمانهم ﴿لا يبعث الله من يموت﴾ مقسم عليه ﴿بلى﴾ إثبات لما بعد النفي أي بلى يبعثهم ﴿وعدا﴾ أي: وعد بذلك وعداً ثابتاً ﴿عليه﴾ إنجازه لامتناع الخلف في وعد الله تعالى ﴿حقاً﴾ أي: حق حقاً ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم يبعثون والقول بعدمه لجعلهم بشؤون الله تعالى من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه.

﴿ليبين لهم﴾ عبارة عن إظهار ما كان مبهماً قبل ذلك أي: يبعث الله كل من يموت مؤمناً كان أو كافراً ليبين لهم الشأن ﴿الذي يختلفون﴾ مع المؤمنين ﴿فيه﴾ من الحق المنتظم للبعث والجزاء وجميع ما خلفوه مما جاء به الشرع المبين والمؤمنون وإن كانوا عالمين بذلك عند معاينة حقيقة الحال يتضح الأمر فيصّل علمهم إلى مرتبة عين اليقين لأنه يحصل لهم مشاهدة الأحوال كما هي ومعاينتها بصورها الحقيقية. ﴿وليعلم الذين كفروا﴾ بالله تعالى بالإشراك

وإنكار البعث وتكذيب وعده الحق عندما خرجوا من قبورهم ﴿أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم لا يبعث الله من يموت ونحوه وهو إشارة إلى السبب الداعي إلى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب.

﴿إنما﴾ ما كافة ﴿قولنا﴾ مبتدأ ﴿لشيء﴾ أي: أي شيء كان مما عز وهان متعلق بقولنا على أن اللام للتبليغ كهي في قولنا قلت له قم فقام. فإن قلت فيه دليل على أن المعدوم شيء لأنه سماه قبل كونه. قلت: التعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته تعالى لا أنه كان شيئاً قبل ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية دلالة على أن المعدوم الذي في علم الله إيجاداه قبل إيجاداه شيء بخلاف المعدوم الذي في علم الله عدمه أبداً ﴿إذا أردناه﴾ ظرف لقولنا أي وقت إرادتنا لوجوده ﴿أن نقول له كن﴾ خبر للمبتدأ أي: أحدث لأنه من كان التامة بمعنى الحدث التام ﴿فيكون﴾ عطف على مقدر أي فنقول ذلك فيكون أو جواب لشرط محذوف أي فإذا قلنا ذلك فهو يكون ويحدث عقيب ذلك وهذا الكلام مجاز عن سرعة الإيجاد وسهولته على الله وتمثيل الغائب وهو تأثير قدرته في المراد بالشاهد وهو أمر المطاع للمطيع في حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف ولا افتقار إلى مزاوله عمل واستعمال آلة وليس هناك قول ولا مقول له ولا أمر ولا مأمور حتى يقال إنه يلزم أحد المحالين إما خطاب المعدوم أو تحصيل الحاصل. والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من بعض المقدورات:

آنكه پیش از وجود جان بخشد هم تواند که بعد ازان بخشد
چون در آورد از عدم بوجود چه عجب بازاکر کند موجود

وذهب فخر الإسلام وغيره إلى أن حقيقة الكلام مرادة بأن أجرى الله سنته في تكوين الأشياء أن يكونها بهذه الكلمة إذ لم يمتنع تكوينها بغيرها. والمعنى يقول له أحدث فيحدث عقيب هذا القول لكن المراد هو الكلام النفسي المنزه عن الحروف والأصوات لا الكلام اللفظي المركب منهما لأنه حادث يستحيل قيامه بذاته تعالى. يقول الفقير: أفادني شيخي وسندي روح الله روحه في قوله عليه السلام: «إن الله فرد يحب الفرد» إن مقام الفردية يقتضي التثليث فهو ذات وصفة وفعل وأمر الإيجاد يبنى على ذلك وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فهو ذات وإرادة وقول والقول مقلوبه بعد الإعلال اللقا فليس عند الحقيقة هناك قول وإنما هو لقاء الموجد اسم فاعل بالموجد اسم مفعول وسريان هويته إليه وظهور صفته وفعله فيه فافهم هذه الدقيقة. قال الروح ينزل بالمطر وله تعين في كل نشأة بما يناسب حاله فعند تمام الخلقة في الرحم ينفخ الله تعالى الروح وهو عبارة عن تعين الروح وظهوره كظهور النار من غير إيقاد ولكن عبر عنه بالنفخ تفخيماً لأن العقل قاصر عن دركه ولذا قال العلماء: لا يبحث عن ذات الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت.

﴿والذين هاجروا في الله﴾ أي: في شأن الله ورضاه وفي حقه والتمكين من طاعته ولوجهه ﴿من بعد ما ظلموا﴾ هم الذين ظلمهم أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ وأخرجوهم من ديارهم فهاجروا إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمعوا بين الهجرتين لا المهاجرون مطلقاً فإن السورة مكية.

- روي - أن رسول الله ﷺ لما رأى ما نزل بالمسلمين من توالي الأذى عليهم من كفار قريش قال لهم: «تفرقوا في الأرض فإن الله سيجمعكم» قالوا: إلى أين نذهب؟ قال: «أخرجوا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً عظيماً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه» فهاجر إليها ناس ذو عدد قال بعضهم كانوا فوق ثمانين مخافة الفتنة فراراً إلى الله تعالى بدينهم منهم من هاجر إلى الله بأهله كعثمان بن عفان رضي الله عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي ﷺ وكان أول خارج ومنهم من هاجر بنفسه وفي الحديث «من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب له الجنة وكان رفيق أبيه خليل الله إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام» ﴿لنبوئنهم﴾ ﴿لننزلنهم﴾ ﴿في الدنيا حسنة﴾ أي: مباءة حسنة وهي المدينة المنورة حيث آواهم أهلها ونصروهم. يقال بوأه منزلاً أنزله والمباءة المنزل فهي منصوبة على الظرفية أو على أنها مفعول ثانٍ إن كان لنبوئنهم في معنى لنعطينهم ﴿ولأجر الآخرة﴾ المعد لهم في مقابلة الهجرة ﴿أكبر﴾ مما يعجل لهم في الدنيا. في «المدارك» الوقف لازم عليه لأن جواب قوله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ محذوف والضمير للكفار أي: لو علموا أن الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لو افقوهم في الدين ويجوز أن يعود إلى المؤمنين المهاجرين فإنهم لو علموا علم المشاهدة لازدادوا في المجاهدة والصبر وأحبوا الموت وليس الخير كالمعانية.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿الذين﴾ أي: المهاجرون هم الذين ﴿صبروا﴾ على مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم.

- روي - أن النبي ﷺ لما توجه مهاجراً إلى المدينة وقف ونظر إلى مكة وبكى وقال: «والله إنني لأخرج منك وإنني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله تعالى وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت» قال الهمام:

مشتاب ساربان كه مراپای دركلسست در كردنم زحلقه زلفش سلاسلست
تعجيل ميكنی تو وپایم نمی رود بیرون شدن زمزلزل أصحاب مشكلست
چون عاقبت ز صحبت یاران بریدنست پیوند باکسی نکند هرکه عاقلست

وكذا صبروا على مفارقة الأهل والشدائد من أذية الكفار وبذل الأرواح ونحو ذلك. ﴿وعلى ربهم﴾ خاصة ﴿يتوكلون﴾ منقطعين إليه معرضين عما سواه مفوضين إليه الأمر كله والمعنى على الماضي والتعبير بضيغة المضارع لاستحضار صورة توكلهم البديعة.

والإشارة ﴿والذين هاجروا في الله﴾ بالأبدان عما نهى الله عنه بالشرعية وهاجروا بالله بالقلوب عن الحظوظ الأخروية برعاية الطريقة وهاجروا إلى الله بالأرواح عن مقامات القربة ورؤية الكرامات بجذبات الحقيقة بل هاجروا عن الوجود المجازي مستهلكاً في بحر الوجود الحقيقي حتى لم يبق لهم في الوجود سوى الله من بعدما ردوا إلى أسفل السافلين لنزلتهم على أقرب القرب في حال حياتهم ولأجر الآخرة أي: بعد الخروج من الدنيا والخلاص من حبس

أوصاف البشرية وتلوّثها بها أكبر أي: أعظم وأجل وأصفى وأهني وأمرى مما كان لهم من حسنات الدنيا لو كانوا يعلمون قدره ويؤدون شكره الذين صبروا على الائتمار بالأوامر وعلى الانتهاء عن النواهي بل صبروا على المجاهدات والمكابدات لنيل المشاهدات والمواصلات ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ صبروا بالله في طلبه وتوكلوا على الله في وجدانه فبالصبر ساروا وبالتوكل طاروا ثم في الله حاروا حيرة لا نهاية لها إلى الأبد كما في «التأويلات النجمية».

اعلم أن من توكل على الله وانقطع إليه كفاه الله كل مؤونه ومن انقطع إلى الدنيا وأهلها لا يتم أمره فإن أهل الدنيا لا تقدر على النفع وإيصال الخير ما لم يرد الله. قال أبو سعيد الخراز قدس سره أقمن بمكة ثلاثة أيام لم نأكل شيئاً وكان بحداثنا فقير معه ركة مغطاة بحشيش وربما أراه يأكل خبزاً حوارياً فقلت له: نحن ضيفك فقال: نعم فلما كان وقت العشاء مسح يده على سارية فناولني درهمين فاشترينا خبزاً فقلت: بم وصلت إلى ذلك فقال: يا أبا سعيد بحرف واحد تخرج قدر الخلق من قلبك تصل إلى حاجتك.

﴿وما أرسلنا﴾ وذلك أن مشركي قريش لما بلغهم النبي ﷺ الرسالة ودعاهم إلى عبادة الله تعالى أنكروا ذلك وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً ولو أراد أن يبعث إلينا رسولاً لبعث من الملائكة الذين عنده فنزل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ أي: الأمم الماضية ﴿إلا رجالاً﴾ آدميين لا ملكاً وقوله تعالى: ﴿جَاعِلُ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١] أي: إلى الملائكة أو إلى الأنبياء ولا امرأة إذ مبني حالها على الستر والنبوة تقتضي الظهور ولا صبياً ونبوة عيسى في المهد لا تنافيه إذ الرسالة أخص. قال ابن الجوزي اشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء. ﴿نوحى إليهم﴾ على السنة الملائكة في الأغلب وأكثر الأمر وفيه إشارة إلى أن الرسالة والنبوة والولاية لا تسكن إلا في قلوب الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله:

نه هرکس سزاوار باشد بصدر کرامت بفضلست ورتبت بقدر

﴿فسألوا﴾ أي: فإن شككتهم في ذلك فاسألوا يا معشر قريش ﴿أهل الذكر﴾ علماء أهل الكتاب ليخبروكم أن الله تعالى لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً وكانوا يشاورونهم في بعض الأمور ولذلك أحالهم إلى هؤلاء للإلزام ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ ذلك. وفي الآية إشارة إلى وجوب المراجعة إلى العلماء فيما لا يعلم. وسئل الإمام الغزالي رحمه الله: من أين حصل لك الإحاطة بالعلوم أصولها وفروعها فتلا هذه الآية أي: أفاد أن ذلك العلم الكلي إنما حصل باستعلام المجهول من العلماء وترك العار وقد ورد [الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها] يعني ينبغي للمؤمن أن يطلب الحكمة كما يطلب ضالته.

﴿بالبينات والزبر﴾ بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جواباً عن سؤال من قال بم أرسلوا فقيل: أرسلوا بالبينات والزبر. والبينات جمع بينة وهي الواضحة. والزبر جمع زبور وهو الكتاب بمعنى المزبور أي: المكتوب ﴿وأُنزلنا إليك الذكر﴾ أي: القرآن إنما سمي به لأنه تذكير وتنبيه للغافلين. يعني أنه سبب الذكر فأطلق عليه المسبب ﴿لتبين للناس﴾ كافة العرب والعجم ﴿ما نزل إليهم﴾ في ذلك الذكر من الأحكام والشرائع وغير ذلك من أحوال القرون المهلكة بأفانين العذاب حسب أعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بياناً شافياً كما ينبىء عنه صيغة التفعيل في الفعلين ﴿ولعلمهم يتفكرون﴾ التفكير تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب أي وإرادة أن يجيلوا فيه أفكارهم فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما

يؤدي إلى مثل ما أصاب الأولين من العذاب.

وفي «التأويلات النجمية»: ولعلهم أي: وفي إنزال الذكر إليك حكمة أخرى وهي لعل الناس يتفكرون فيما يسمعون من بيان القرآن والأحكام منك على أنك أُمي ما قرأت الكتب المنزلة ولا تعلمت العلوم وإنما تبين لهم من نور الذكر فيلزمون الذكر ويواظبون عليه ليصلوا إلى مقام المذكورين في متابعتك ورعاية سنتك. ولما سئل النبي ﷺ عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ» ولا شك أن خير الأذكار كلمة التوحيد. قال إبراهيم الخواص رحمه الله: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين. وفي «أبكار الأفكار» أفضل الذكر قراءة القرآن فإنها أفضل من الدعوة الغير المأثورة. وأما المأثورة فقيل: إنها أفضل منها وقيل: القراءة أفضل انتهى. وفي «نفائس المجالس» مما يجب فيه التدبر والتذكر قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ﴾ [النساء: ١٣٦] فالله تعالى أمر المؤمنين بالإيمان أي: بتكرار عقد القلب وتجديده كما ورد «جددوا إيمانكم بقول لا إله إلا الله». قال بعض الكبار: قد علم بحديث التجديد أن الإيمان يقبل البلى وذلك بزوال الحب وتجديده بالتوحيد وكلمة التوحيد مركبة من النفي والإثبات فبنفي ما سوى المعبود وإثبات ما هو المقصود يصل الموحد إلى كمال الشهود وحصول ذلك بنور التلقين والكينونة التامة مع الصادقين كما قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] والكينونة صورية وهي بملازمة أهل الصدق ومجالستهم ومعنوية وهي باتخاذ الأسرار وتحصيل المناسبة المعنوية فلا بد من الارتباط بواحد من الصادقين:

زمن اي دوست اين يك پندبپذير برو فتراك صاحب دولتى كير
كه قطره تاصدف را درنيايد نكردد كوهر وروشن نتابد

واعلم أن التبيين حق أهل الدعوة والإرشاد إذ ليس عليهم إلا البلاغ المبين والعمل بموجب الدعوة على العباد إذ ليس عليهم إلا قبول ما جاء من طرف النبي الأمين فإذا قبلوا ذلك ورجعوا في المشكلات إليه أو إلى وارث من ورثته الكمل علموا ما لم يعلموا ووصلوا إلى كمال العلم والعمل وحصلوا عند المقصود من نزول القرآن فطوبى لهم فلهم درجات الجنان ورؤية المنان.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْفَىٰ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾

﴿أفأمن الذين مكررو السيآت﴾ هم أهل مكة الذين مكررو برسول الله ﷺ وراموا صد أصحابه عن الإيمان واحتالوا في إبطال الإسلام والفاء عطف على مقدر والإنكار موجه إلى المعطوفين معاً. والسيآت نعت لمصدر محذوف، أي: ألم يتفكرو فأمن الذين مكررو المكرات السيآت التي قصت عنهم أو مفعول به لمكروا على تضمينه معنى فعلوا أي: فعلوا السيآت وعملوا الكفر والمعاصي ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ مفعول لأمن أي أن يغور بهم الأرض حتى يدخلوا فيها إلى الأرض السفلى كما فعل بقارون وأصحابه. وبالفارسية [ازآنكه فرو برد خدای تعالی ایشانرا درزمین] ذكر الحافظ أن الكركي لا يطاء الأرض بقدميه بل بأحدهما فإذا

وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن تخسف الأرض فإذا لم يأمن الطير من الخسف فما بال الإنسان العاقل يمشي على الأرض وهو غافل ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ بإتيانه أي: في حال غفلتهم.

ديدى آن قهقهه كبك خرامان حافظ كه زسر پنجه شاهين قضا غافل بود ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ التقلب [بركشتن] وفي «القاموس» تقلب في الأمور تصرف كيف شاء انتهى. أي: في حالتي تقلبهم في مسيرتهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم. وقال سعدي المفتي: الظاهر أن المراد من قوله أو يأتيهم الخ حال نومهم وسكونهم ولا يلزم أن يكون من جانب السماء ومن الثانية إتيانه حال يقظتهم وتصرفهم كقوله تعالى: ﴿فَجَاءَهَا بِأَسَنًا يَبِتًا أَوْ هُمَ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٤] ﴿فما هم بمعجزين﴾ بناجين من عذاب الله القهار سابقين قضاءه بالهرب والفرار على ما يوهمه القلب والسير في الديار وفي الحديث: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» أي: ليمهل ويطول عمره حتى يكثر منه الظلم ثم يأخذه أخذاً شديداً فإذا أخذه لم يتركه ولم يخلصه أحد من الله وفي الحديث تسليّة للمظلوم ووعد للظالم لئلا يغتر بإمهاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

مها زور مندى مكن بر كهان كه بريك نمط مى نماند جهان

نمى ترسى اى كرك ناقص خرد كه روزى پلنكىت برهم درد

﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ قال في «القاموس» تخوف الشيء تنقصه ومنه أو يأخذهم على تخوف انتهى. ولقي رجل أعرابياً فقال: يا فلان ما فعل دينك فقال: تخوفته يعني تنقصته كما في تفسير أبي الليث. والمعنى أو يأخذهم على أن ينقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا ولا يهلكهم في حالة واحدة فيكون المراد مما قبلها عذاب الاستئصال ومنها الأخذ شيئاً فشيئاً والمراد بذكر الأحوال الثلاث بيان قدرة الله تعالى على إهلاكهم بأي وجه كان لا الحصر فيها ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عنكم مع استحقاقكم لها والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع ما فيه فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم.

وفي «التأويلات النجمية» رؤوف بالعباد إذ أعطاهم حسن الاستعداد رحيم عليهم عند إفساد استعدادهم بالمعاصي بأن لا يأخذهم في الحال ويتوب عليهم في المال ويقبل توبتهم بالفضل والنوال ومن المعاصي التقلب من أعمال الدنيا إلى أعمال الآخرة بالرياء أو من أعمال الآخرة إلى أعمال الدنيا بالهوى وعذابه الرد من حرم القبول والرجع من درجات الوصول. فعلى العاقل التيقظ في الأمور وترك السيئات والشروع في الخير لا يشعر من أين يأتي العذاب من قبل الأعمال الدنيوية أو من قبل الأعمال الأخروية ومن جهل المرید بنفسه وبحق ربه أن يسيء الأدب بإظهار دعوى مثلاً فتؤخر العقوبة عنه إمهالاً له فيظنه إمهالاً فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الإبعاد اعتباراً بظاهر الأمر وما ذلك إلا لفقد نور بصيرته أو ضعف نورها وإلا فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر حتى ربما ظن أنه متوفر في عين تقصير ولو لم يكن من قطع المدد إلا منع المزيد لكان قطعاً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان. قال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطناً فما أساء أحد الأدب في الظاهر إلا عوقب ظاهراً ولا أساء أحد الأدب في الباطن إلا عوقب باطناً من ضيع الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول. وقال رويم لابن خفيف: اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً، وفي «المثنوي»:

از خدا جوییم توفیق و آدب بی آدب محروم کشت از لطف رب
بی آدب تنهانه خود را داشت بد بلکه آتش درهمه آفاق زد
هر که نامردی کند در راه دوست رهزن مردان شد و نا مرد اوست

اللهم اجعلنا من المتأدبين بآداب حبيك وأصحابك إلى يوم السؤال وجوابه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٥٨﴾
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٩﴾ بِخَافُونَ رَبَّهُمْ
مَنْ فَوْقَهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿اولم يروا﴾ الهمة للإنكار وهي داخله في الحقيقة على النفي وإنكار النفي نفى له ونفي النفي إثبات. والرؤية هي البصرية المؤدية إلى التفكير والضمير لكفار مكة أي: ألم ينظروا ولم يروا ﴿إلى ما خلق الله﴾ أي: قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما لهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه ﴿من شيء﴾ بيان لما الموصولة أي: من كل شيء ﴿يتفسيؤوا ظلاله﴾ أي: ترجع شيئاً فشيئاً من جانب إلى جانب وتدور من موضع إلى موضع حسبما تقتضيه إرادة الخالق فإن التفيؤ مطاوع الافاء. قال في «تهذيب المصادر»: التفيؤ [باز آمدن سایه بعد از انتصاف النهار] ولا يكون التفيؤ إلا بالعشي قال الله تعالى: ﴿يتفسيؤوا ظلاله﴾ انتهى. والظلال جمع الظل وهو بالفارسية [سايه] والجملة صفة لشيء. قال في «الإرشاد»: ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والأشجار والأحجار التي لا يظهر لظلالها أثر سوى التفيؤ بارتفاع الشمس وانحدارها وأما الحيوان فظله يتحرك بتحركه. وفي «التبيان» يريد به الشجر والنبات وكل جسم قائم له ظل ﴿عن اليمين والشمال﴾ متعلق ببيتياً. والشمال جمع شمال. بالجر ضد اليمين وبالفتح الريح التي مهبها بين مطلع الشمس وبنات نعش أو من مطلع النعش إلى مسقط النسر الطائر كما في «القاموس» أي: ألم يروا الأشياء التي لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمالها أي: عن جانبي كل واحد منها وشقيه. وفي «التبيان» أي في أول النهار عن اليمين وفي آخره عن الشمال يعني من جانب إلى جانب إذا كنت متوجهاً إلى القبلة استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء وتوحيد اليمين وجمع الشمال لأن مذهب العرب إذا اجتمعت علامتان في شيء واحد أن يلغي واحد ويكتفي بأحدهما كقوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٧] وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] كذا في «الأسئلة المقحمة».

والإشارة أن المخلوقات على نوعين. منها ما خلق من شيء كعالم الخلق وهو عالم الأجسام. ومنها ما خلق من غير شيء كعالم الأمر وهو عالم الأرواح كما قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩] يعني خلقت روحك من قبل خلق جسدك ومنه قوله عليه السلام «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» كذا في «التأويلات النجمية» ﴿سجداً لله﴾ أي: حال كون تلك الظلال ساجدين لله دائرين على مراد الله في الامتداد والتقلص وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له في التفيؤ ﴿وهم داخرون﴾ يقال: دخر كمنع وفرح دخوراً ودخراً صغر وذل وادخره كما في «القاموس» وهو حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى إذ المراد ظلال كل شيء وإيراد صيغة الخاصة بالعلاء لأن الدخور من

خصائصهم أو لأن من جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى ترجع الظلال من جانب إلى جانب بارتفاع الشمس وانحدارها منقاداً لما قدر لها من التفيؤ والحال أن أصحابها من الأجرام داخرة أي: صاغرة منقاداً لحكمه تعالى ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به وبعدما بين سجد الظلال من الأجرام السفلية الثابتة في أحيائها ودخورها له سبحانه شرع في بيان سجد المخلوقات المتحركة بالإرادة سواء كانت لها ظلال أم لا فقيل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ أي: له تعالى وحده ويخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالاً واشتراكاً فالقصر ينتظم القلب والافراد ﴿ما في السموات﴾ من العلويات قاطبة ودخل فيه الشمس والقمر والنجوم ﴿وما في الأرض﴾ كائناً ما كان ﴿من دابة﴾ بيان لما في الأرض فإن قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥] يدل على اختصاص الدابة بما في الأرض لأن ما في السماء لا يخلق بطريق التولد وليس لهم ديب بل لهم أجنحة يطفرون بها. يقول الفقير: الظاهر أن الطيران لا ينافي الديب وقد نقل أن في السماء خلقاً يدبون وديبهم لا يستلزم كونه مخلوقاً من الماء المعهود إذ من الماء كل شيء حي فيكون من دابة بياناً لما في السماء والأرض وما عام للعقلاء وغيرهم. وفي «الأسئلة المقحمة» أن ما لا يعقل أكثر عدداً ممن يعقل فغلب جانب ما لا يعقل لأنه أكثر عدداً ﴿والملائكة﴾ عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملائكة تعظيماً وإجلالاً ﴿وهم﴾ أي: والحال أن الملائكة مع علو شأنهم ﴿لا يستكبرون﴾ لا يتعظمون عن عبادته والسجود له بل يتذللون فكل شيء بين يدي صانعه ساجد بسجود يلائم حاله كما أن كل شيء يسبح بحمده تسبيحاً يلائم حاله فتسبيح بعضهم بلسان القول وتسبيح بعضهم بلسان الحال والله يعلم لسان حالهم كما يعلم لسان قالهم، وفي «المتنوي»:

چون مسبح کرده هر چیز را ذات بی تمییز و باتمییز را

هر یکی تسبیح بر نوع دکر کوید او از حال آن این بی خبر

آدمی منکر ز تسبیح جماد وان جماد اندر عبادت او ستاد

واعلم أن الله تعالى أعطى لكل شيء من أصناف المخلوقات من الحيوانات إلى الجمادات سمعاً وبصراً ولساناً وفهماً به يسمع كلام الحق ويبصر شواهد الحق ويكلم الحق ويفهم إشارة الحق كما أخبر الله تعالى عن حال السموات والأرض وهما في العدم أعطاهما سمعاً به سمعتا قوله اثتيا طوعاً أو كرهاً وأعطاهما فهما به فهمتا كلامه وأعطاهما لساناً به قالتا أتينا طائعين فكل شيء يسبح الله بذلك اللسان ويسجد له بذلك الطوع. فمن هذا اللسان الملكوتي معجزة النبي عليه السلام كانت الحصى تسبح في يده. وكذلك الأحجار الثلاثة كلمت داود عليه السلام وأوبت الجبال معه ولما قال الله تعالى: ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا سَاجِدٌ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] فلا يبعد أن يسجد لله كل شيء وإن لم نفقه سجوده. قال الكاشفي: [درین آیت سجده باید کرد و این سجده سوم است از سجدهای قرآنی. وحضرت شیخ قدس سره در فتوحات این را سجود عالم بالا وادنا خوانده که در مقام ذلت و خوف حق را سجده می کنند پس بنده باید که درین محل بدین صفت موسوم شود خود را بزمه ساجدان کنجایش دهد] ﴿یخافون ربهم﴾ أي: مالك أمرهم والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون. ﴿من فوقهم﴾ أي: يخافونه تعالى خوف هيبة وإجلال وهو فوقهم بالقهر لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] فهو حال من ربهم. قال في «التبيان» عند قوله: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ

فَوْقَ عِبَادِهِ ﴿٥١﴾ يعني الغالب عباده وفوق صلته انتهى . أو يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم فهو متعلق بيخافون .

قال في «التأويلات النجمية» : معنى ﴿يخافون ربهم﴾ أي : يأتيهم العذاب ﴿من فوقهم﴾ إن عصوه ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ أي : ما يأمرهم الخالق من الطاعات والتدبيرات من غير تناقل عنه وتوان فيه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد وبين الخوف والرجاء وفي الحديث «إن لله ملائكة في السماء السابعة سجد منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافة الله فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا ما عبدناك حتى عبادتك» كذا في «تفسير أبي الليث» .

ويقال من لسان الإشارة أن الأمطار والمياه دموع الملائكة والأرض فهم يخافون الله تعالى بقدر ما وسعهم من معرفة جلاله فما بال الإنسان يمشي آمناً ضاحكاً مع سوء حاله والله الهادي .

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٥٢﴾ وَلَمْ يَأْمُرْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَكُم مِّن تَعَمُّرٍ فَعِنَ اللَّهُ تَمَرٌ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَإِنِّي نَجِّتُكُمْ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وقال الله﴾ لجميع المكلفين ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ تأكيد ﴿إنما هو إله واحد﴾ لا شريك له ولا شبهة :

از همه در صفات ذات خدا ليس شيء كمثل له أبدا
﴿فياي﴾ لا غيري ﴿فارهبون﴾ .

خافون ﴿وله﴾ وحده خلقاً وملكاً ﴿ما في السماوات﴾ من الملائكة ﴿والأرض﴾ من الجن والإنس ﴿وله الدين﴾ أي : الطاعة والانقياد من كل شيء في السماوات والأرض وما بينهما ﴿واصباً﴾ حال من الدين أي : واجباً ثابتاً لا زوال له لأنه الإله وحده الواجب أن يرهب منه يقال صبب يصب وصوباً أي : دام وثبت . ﴿أفغير الله تتقون﴾ الهمة للإنكار والفاء للعطف على مقدر أي : أبعد العلم بما ذكر من التوحيد واختصاص الكل به خلقاً وملكاً غير الله تطيعون فتتقون .

﴿وما بكم﴾ أي : أي شيء يلبسكم ويصاحبكم ﴿من نعمة﴾ أي : نعمة كانت كالغني وصحة الجسم والخصب ونحوها ﴿فمن الله﴾ فهي من قبل الله فما شرطية أو موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الإخبار دون الحصول فإن ملابسة النعمة بهم سبب للإخبار بأنها منه تعالى لا لحصولها منه ﴿ثم إذا مسكم الضر﴾ أي : الفقر والبلاء في جسدكم والقحط ونحوها مساساً يسيراً . ﴿فإليه تجأرون﴾ تتضرعون في كشفه لا إلى غيره . والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة .

﴿ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانْتَهُمُ فَنَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَشَتَّىٰ عَمَّا كُتِبَ فَتَقَرُّونَ ﴿٥٧﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا﴾ [ناكاه] ﴿فريق منكم﴾ وهم كفاركم ﴿بربهم يشركون﴾ .

﴿ليكفروا﴾ بعبادة غيره ﴿بما آتيناهم﴾ من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ففي اللام استعارة تبعية وقوله ليكفروا من الكفران وقيل اللام لام العاقبة ﴿فتمتعوا﴾ بقية آجالكم أي: فعيشوا وانتفعوا بمتاع الحياة الدنيا أياماً قليلة وهو أمر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب.

وفي الآيات إشارات: منها أن أكثر الخلق اتخذوا مع الله إلهاً آخر وهو الهوى وهو ما يميل إليه الطبع وتهواه النفس بمجرد الاشتواء من غير سند مقبول ودليل معقول قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ﴾ [البينة: ٢٣] فلهذا قال: ﴿إلهين﴾ وما قال آلهة لأنه ما عبد إلهاً آخر إلا بالهوى ولذلك قال ﷺ: «ما عبدَ إله أبغض على الله من الهوى» فقال: ﴿إنما هو إله واحد﴾ أي: الذي خلق الهوى وسائر الآلهة ﴿فإياي فارهبون﴾ فإني أنا الذي يستحق أن يرغب إليه ويرهب منه لا الهوى والآلهة فإنهم لا يقدرون على نفع ولا ضرر. وعن بعضهم قال: انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتي على لوح وقد ولدت في تلك الحالة صبية فصاحت بي وقالت: يقتلني العطش فقلت: هوذا يرى حالنا فرفعت رأسي فإذا رجل في الهواء جالس وفي يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر فقال: هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فإذا هو أطيّب رائحة من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت: من أنت؟ يرحمك الله فقال: عبد لمولاي فقلت: بم وصلت إلى هذا؟ قال: تركت الهوى لمرضاته فأجلستني على الهواء ثم غاب عني فلم أراه رضي الله عنه.

ومن الإشارات أن كاشف الضر هو الله تعالى فمن أراد كشفه عن الأسباب لا عن المسبب فقد أشرك ألا ترى أن وكيل السلطان إذا قضى لك حاجة فأنت وإن كنت شاكراً لفعله ولكن إنما تدعو في الحقيقة للسلطان حيث قلد العمل لمثل هذا فحاجتك إنما قضيت في الحقيقة من قبل السلطان من حيث إن فعل هذا خلف حجاب الأسباب لا بالأسباب فافهم. ومنها أن الكفران سبب لزوال النعمة، وفي «المثنوي»:

باشد آن كفران نعمت در مثال كه كنى با محسن خود توجدا
كه نمى آيد مرا اين نيكوئى من بر نجم زين چه رنجه ميشوى
لطف كن اين نيكوئى رادور كن من نخواهم عاقبت رنجور كن
نسأل الله العصمة من الكفار وعذابه.

﴿ويجعلون﴾ أي: كفار مكة ﴿لما لا يعلمون﴾ أي: للأصنام التي لا يعلم الكفار حقيقتها وقدرها الخسيس ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله تعالى ﴿نصيياً﴾ [بهره] ﴿مما رزقناهم﴾ من الزرع والأنعام وغيرهما تقرباً إليها فقالوا: هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وهو مذكور في الأنعام ويحتمل أن يعود ضمير لا يعلمون إلى الأصنام وصيغة جميع العقلاء لكون ما عبارة عن آلهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء أي: الأشياء التي غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً وحقاً في أنعامهم وزرعهم أم لا ﴿تالله لتسألن﴾ سؤال توبيخ وتقريع ﴿عما كنتم تفترون﴾ في الدنيا بأنها آلهة حقيقة بأن يتقرب إليها. وفيه إشارة إلى أن أصحاب النفوس والأهواء يجعلون مما رزقهم الله من الطاعات نصيباً بالرياء لمن لا علم لهم بأحوالهم ليحسنوا في حقهم ظناً ويكتسبوا عندهم منزلة وهم غافلون فارغون عن توهمهم وافترائهم في نفوسهم عليهم:

بروی ریا خرقه سهلست دوخت کرش باخدا درتوانی فروخت
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ الْبَنَاتَ﴾ هم خزاعه وکنانة كانوا يقولون الملائكة بنات الله [وسخن بعضی
از کفار این بود که حق تعالی باجن مصاهرت کرد وملائكة متولد شد نعوذ بالله] **﴿سَبْحَانَهُ﴾**
[پاکست خدای از قول ایشان که میگویند خدای تعالی دختران دارد] **﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾** من
البنین أي: يختارون لأنفسهم الأولاد الذكور ما مرفوعة المحل علی أنها مبتدأ والظرف المقدم
خبره والجملة حالیه ثم وصف كراهتم البنات لأنفسهم فقال:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ٥٩ أَيَسْكُمُ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ مَا يَدُسُّ فِي الْأَرْبَابِ ٦٠ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٦١﴾

﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَى﴾ البشارة بمعنى الإخبار على الوضع الأصلي والمضاف مقدر
أي: أخبر بولادتها [يعني: چون کسی را از کافران خبر دهند که ترا دختری متولد شده]. **﴿ظَلَّ**
وَجْهُهُ﴾ أي: صار من الظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الأفعال الناقصة بمعناها أو هو
بمعناه يقال ظل يفعل كذا إذا فعله نهائياً أي: دام النهار كله لأن أكثر الوضع يتفق بالليل ويتأخر
أخبار المولود إلى النهار وخصوصاً بالأنثى فيظل نهاره **﴿مُسْوَدًّا﴾** [سياه ازاندوه وغم وشرمندگی
درمیان قوم] واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو بالفارسية [خجل کردن] يقال
شوربه فعل به فعلاً يستحي منه فتشور **﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** مملوء غضباً على المرأة لأجل ولادتها
الأنثى. ومن هنا أخذ المعبرون من رأى أو رؤي له أن وجهه أسود فإن امرأته تلد أنثى.

﴿يَتَوَارَى﴾ يستخفى **﴿مِنَ الْقَوْمِ﴾** [از گروه آشنایان و خویشان]. **﴿مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾**
أي: من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعبيرهم والتعير عنها بما لإسقاطها عن درجة العقلاء.
﴿أَيَسْكُمُ﴾ التذكير باعتبار ما أي متردداً في أمره ومحدثاً نفسه في شأنه أي مسك ذلك المولود
وتركه. **﴿عَلَى هَؤُلَاءِ﴾** ذل وهوان للعمل والاستقاء والخدمة فهو حال من المفعول أي:
يمسكها مهانة ذليلة ويحتمل أن يكون حالاً من الفاعل أي: يمسكها مع رضاه بهوان نفسه.
﴿أُم يَدْسُهُ﴾ يخفيه **﴿فِي التُّرَابِ﴾** بالوآد يعني: [زنده در کور کند چنانچه بنو تمیم و بنو مضر
میکردند] ولقد بلغ بهم المقت إلى أن يهجر بعضهم البيت الذي فيه المرأة إذا ولدت أنثى **﴿أَلَا**
سَاءَ﴾ [بدانید که بدست]. **﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾** [آنچه حکم میکنند مشرکان یعنی دخترانرا که پیش
ایشان قدر و حرمت نداند بخدای نسبت میدهند] و يختارون لأنفسهم البنین فمدار الخطأ جعلهم
ذلك لله مع إياهم إياه.

﴿لَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٦٢﴾

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ ممن ذكرت قبائحهم **﴿مَثَلُ السَّوِّ﴾** صفة السوء الذي هو
كالمثل في القبح وهي الحاجة إلى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وإيثار الذكور للاستظهار بهم
ووداً البنات لدفع العار وخشية الإملاق مع احتياجهم إليهن طلب النكاح المنادی كل ذلك
بالعجز والقصور والشح البالغ المنفور. **﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾** أي: الصفة العجيبة الشأن التي
هي مثل في العلو مطلقاً وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الواسع والنزاهة عن
صفات المخلوقين. **﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾** المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مؤاخذتهم **﴿الْحَكِيمُ﴾**
الذي يفعل كل ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة ومن حكمته أن خلق الذكور والإناث. فعلى

العاقل أن يستسلم لأمر الله تعالى وينقاد لحكمه فإن كل ظهور إنما هو منه تعالى وبإرادته والله تعالى إذا أراد شيئاً فليس للعبد أن يريد خلافه فإنه لا يكون أبداً، قال الحافظ:

بدرودوصاف ترا نیست حکم دم درکش که هرچه ساقیء ما کرد عین الطافست
وفي «الشرعة»: ويزداد فرحاً بالبنات مخالفة لأهل الجاهلية وفي الحديث «من بركة المرأة تكبيرها بالبنات» أي: يكون أول ولدها بنتاً ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ [الشورى: ٤٩] حيث بدأ بالاناث وفي الحديث «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار» والابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات قد تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور. وفسر بعض شراح المصاييح الإحسان إليهن بالتزويج بالكفاءة لكن الاوجه أن يعمم. قال بعض الفقهاء: لا يزوج بنته معتزلاً فإن اختلاف الاعتقاد بين السني والبدعي كاختلاف الدين وشأن التقوى الاحتراز عن صعبة غير المجانس ومصاهرته:

آن یکى را صحبت اخیار یار لا جرم شد پهلوی فجار جار
وقال عليه السلام: «سألت الله أن يرزقني ولداً بلا مؤونة فرزقني البنات» وقال: «لا تكرهوا البنات فإنني أبو البنات». ومن لطائف «الروضة» سأل الحجاج بعض جلسائه عن أرق الصوت عندهم فقال أحدهم: ما سمعت صوتاً أرق من صوت قارئ حسن الصوت يقرأ كتاب الله في جوف الليل قال ذلك الحسن وقال آخر ما سمعت صوتاً أعجب من أن أترك امرأتى ماخضاً وأتوجه إلى المسجد بكبيراً فيأتيني آت فيبشرني بغلام فقال: واحسنه فقال شعبة بن علقمة التميمي لا والله ما سمعت قط أعجب إلي من أن أكون جائعاً فاسمع خفخة الخوان فقال الحجاج أبيت يا بني تميم إلا الزاد.

أيها المحبوس في رهن الطعام سوف تنجو إن تحملت الفطام
چون ملك تسبیح حق راکن غذا تارهی همچون ملائک از اذی

﴿وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ﴾ (١٦) ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَءَ أَنْ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ (١٧) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِيقٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ أَعْمَلَهُمْ فُتُوًّا وَلَهُمْ أَلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨)

﴿ولو يؤاخذ الله﴾ فاعل هنا بمعنى فعل ﴿الناس﴾ أي: الكفار ﴿بظلمهم﴾ بكفرهم ومعاصيهم ﴿ما ترك عليها﴾ أي: على الأرض المدلول عليها بالناس وبقوله: ﴿من دابة﴾ لأنها ما يدب على الأرض والعرب تقول: فلان أفضل من عليها وفلان أكرم من تحتها فيردون الكناية إلى الأرض والسماء من غير سبق ذكر لظهور الأمر بين يدي كل متكلم وسماع ومن هذا القبيل قولهم والذي شقهن خمساً من واحدة يعني الأصابع من اليد ولم يقل على ظهرها احترازاً عن الجمع بين الظاءين في كلام واحد وهو لو وجوابه فإنه ثقیل في كلام العرب. والمعنى ما ترك على وجه الأرض من دابة قط بل أهلكها بالكلية بشؤم ظلم الظالمين كقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] فهلاك الدواب بأجالها وهلاك الناس عقوبة. وعن أبي هريرة أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال:

بلى والله حتى أن الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لو عذب الله الخلائق بذنوب بني آدم لأصاب العذاب جميع الخلائق حتى الجعلان في جحرها ولأمسكت السماء عن الأمطار ولكن أخرهم بالعفو والفضل. يقول الفقير: إن أثر الظلم ضار صورة ومعنى وذلك أن أحداً إذا أحرق بيته يسري ذلك إلى بيوت المحلة بل البلدة ويحترق بسببه الدواب والهوام.

بى أدب تنهانه خودرا داشت بد بلكه آتش درهمه آفاق زد
 ﴿ولكن﴾ لا يؤاخذهم بذلك بل ﴿يؤخرهم﴾ يمهلهم بحلمه ﴿إلى أجل مسمى﴾ أي:
 معين لأعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا ويتناسلوا أو يكثر عذابهم ﴿فإذا جاء﴾ [پس چون
 بیايد] ﴿أجلهم﴾ المسمى ﴿لا يستأخرون﴾ عن ذلك الأجل أي: لا يتأخرون. وصيغة
 الاستفعال للشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له:

كه يك لحظه صورت نبندد امان چو پيمانه پرشد بدور زمان
 ﴿ساعة﴾ أقصر وقت وهي مثل في قلة المدة ﴿ولا يستقدمون﴾ أي: لا يتقدمون وإنما
 تعرض لذكره مع أنه لا يتصور الاستقدام عند مجيء الأجل مبالغة في عدم الاستيخار بنظمه في
 سلك ما يمتنع.

﴿وجعلون الله﴾ أي: يشبّون له سبحانه وينسبون إليه في زعمهم ﴿ما يكرهون﴾ لأنفسهم
 من البنات ومن الشرك في الرياسة ﴿و﴾ مع ذلك ﴿تصف﴾ تقول ﴿الستهم الكذب﴾ مفعول
 تصف وهو ﴿أن لهم الحسنى﴾ بدل الكل من الكذب أي: العاقبة الحسنى عند الله وهي الجنة
 إن كان البعث حقاً كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَيَّ رَبِّ إِنَّ لِيَ عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾ [فصلت: ٥٠] فلا
 ينافي قولهم لا يبعث الله من يموت فإنه يكفي في صحته الفرض والتقدير. وعن بعضهم أنه
 قال لرجل من الأغنياء: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم
 فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة وإذا قال ما دفع إليّ فيؤتى بالكسر والخرق وما
 لا مؤونة له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية ﴿لا جرم﴾ رد لكلامهم ذلك وإثبات
 لنقيضه وهو مصدر بمعنى حقاً. وبالفارسية [حق چنین است كه فردا قیامت] ﴿أن لهم﴾ مكان
 ما أملوا من الحسنى ﴿النار﴾ التي ليس وراءها عذاب وهي علم في السوء ﴿وأنهم مفرطون﴾
 أي: مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطته إذا قدمته في طلب الماء أو منسيون متركون في
 النار من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته خلفك ثم سلى رسوله عما يناله من جهالات
 الكفرة ليصبر على أذاهم فقال:

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ أي: رسلاً إلى من تقدمك من الأمم فدعوهم إلى
 الحق فلم يجيبوا إلى ذلك. ﴿فزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ القبيحة من الكفر والتكذيب بالرسول
 فعكفوا عليها مصرين. ﴿فهو﴾ أي الشيطان ﴿وليهم﴾ أي: قرينهم وبئس القرين ﴿اليوم﴾ أي:
 يوم زين لهم الشيطان أعمالهم فيه على طريقة حكاية الحال الماضية أو في الدنيا تولى إضلالهم
 بالغرور فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ويوم القيامة وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصر
 غيره فهذه حكاية حال آتية أي: في حال كونهم معذبين في النار والولي بمعنى الناصر. يقول
 الفقير الظاهر أن المراد باليوم يوم النبي ﷺ وعصره وبالضمير في ولاهم أعقابهم وأنسابهم من
 الكفرة المعاصرين والله أعلم. ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ هو عذاب النار.

﴿وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (١٦)

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب﴾ أي: القرآن لعله من العلل ﴿إلا لتبين لهم﴾ أي: للناس الذي اختلفوا فيه ﴿من التوحيد وأحوال المعاد والحلال والحرام والمراد بالمختلفين المؤمنون والكافرون كما في «الكواشي»﴾ وهدى ورحمة ﴿معطوفان على محل لتبين وانتصابهما لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب بخلاف التبيين فإنه فعل المخاطب لا فعل المنزل أي: وللهداية من الضلالة والرحمة من العذاب ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وتخصيصهم لأنهم المنتفعون بالقرآن. قال سهل بن عبد الله: لا يتصل أحد بالله حتى يتصل بالقرآن ولا يتصل بالقرآن حتى يتصل بالرسول ولا يتصل بالرسول حتى يتصل بالأركان التي قام بها الإسلام.

- وحكي - عن مالك بن دينار أنه قال: يا حملة القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم فإن القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض. وعن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة» قلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما كان بعدكم وحكم ما بينكم وهو العلم وهو الفصل ليس بالهزل لا تشيع منه العلماء وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه فقد هدى إلى صراط مستقيم». ثم إن تبين أحكام القرآن للعامة وحقائقه للخاصة، إنما هو لرسول الله ﷺ بالأصالة والاستقلال ولورثته بعده قرناً بعد قرن بالفرعية، والتبعية. فعلماء الظواهر يخلصون الناس من الاختلاف فيما يتعلق بالظواهر بالبيان الصريح. وعلماء البواطن يخلصونهم من الاختلاف فيما يتعلق بالبواطن بالكشف الصحيح ولكل منهم مشرب لا يخيّب وارده وهم أساطين الدين وسلاطين المسلمين.

واعلم أن الاتعاظ بالمواعظ القرآنية يدخل العبد في السعادة الباقية ويخلصه من الحظوظ النفسانية.

- حكي - أن إبراهيم بن أدهم سر ذات يوم بمملكته ونعمته ثم نام فرأى رجلاً أعطاه كتاباً فإذا فيه مكتوب لا تؤثر الفاني على الباقي ولا تغتر بملكك فإن الذي أنت فيه جسيم لولا أنه عديم فسارع إلى أمر الله فإنه يقول: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فزعاً وقال: هذا تنبيه من الله تعالى وموعظة وهدى ورحمة فتأب إلى الله واشتغل بالطاعة، قال المولى الجامي قدس سره:

هرکه دل بر عشوة کیتی نهاد بر حذر باش از غرور و جهل او
دامن او کیر کز همت فشانند آستین بردنبی وبر اهل او
شرفا الله وایاکم بالعصمة عن الهوى وبالتمسك بأسباب الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ (١٦) وَإِنَّ لَكُمُ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّظْهِرُكُمْ بِهَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦﴾

﴿والله أنزل من السماء﴾ إلى السحاب ومنه إلى الأرض ﴿ماء﴾ نوعاً خاصاً من الماء وهو المطر ﴿فأحيا به الأرض﴾ أي: أنبت بسبب المطر في الأرض أنواع النباتات ﴿بعد موتها﴾ أي: بعد يبسها شبه تهيج القوى النامية في الأرض وإحداث نضارتها بأنواع النباتات بالإحياء

وهو إعطاء الحياة وهي صفة تقتضي الحس والحركة وشبه يبوستها بعد نضارتها بالموت بعد الحياة وما يفيد الفاء من التعقيب العادي لا يتأفیه ما بین المعطوفین من المهلة ﴿إن في ذلك﴾ أي: في إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض الميتة به ﴿آية﴾ دالة على وحدته تعالى وعلمه وقدرته وحكمته إذ الأصنام وغيرها لا تقدر على شيء ﴿لقوم يسمعون﴾ هذا التذكير ونظائره سماع تفكر وتدبر فكأن من ليس كذلك أصم لا يسمع، وفي «المثنوي»:

چون سلیمان سوی مرغان سبا یک صفیری کرد آن جمله را
جزمکر مرغی که بدبی جان وپر یاچو ماهی کنک بداز اصل کر
نی غلط کفتم که کرکر سرنهد پیش وحی کبریا سمعش دهد
وقال بعضهم:

﴿والله أنزل من السماء ماء﴾ قرآنًا هو سبب حياة المؤمنين فأحيى به قلوب الميتة بالجهل ﴿إن في ذلك آية لقوم يسمعون﴾ القرآن يسمع بسمع يسمع به كلام الله من الله فإن الله تعالى متكلم بكلام أزلي أبداً ولا يسمع كلامه إلا من أكرمه الله بسمع يسمع كلامه كقوله تعالى: ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم والحق تعالى تارة يتلو عليك الكتاب من الكبير الخارج وتارة يتلو عليك من نفسك فاسمع وتأهب لخطاب مولاك إليك في أي مقام كنت وتحفظ من الوقر والصمم فالصمم آفة تمنعك عن إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير وهو الكتاب المعبر عنه بالفرقان والوقر آفة تمنعك من إدراك تلاوته عليك من نفسك المختصرة وهو الكتاب المعبر عنه بالقرآن إذ الإنسان محل الجمع لما تفرق في العالم الكبير وعلامة السامعين المتحققين في سماعهم انقيادهم إلى كل عمل مقرب إلى الله تعالى من جهة سماعه أعني من التكليف المتوجه على أذن من أمر أو نهى كسماعه للعلم والذكر والثناء على الحق تعالى والموعظة الحسنة والقول الحسن. ومن علامته أيضاً التصامم عن سماع الغيبة والبهتان والسوء من القول والخوض في آية الله والرفث والجدال وسماع القينات وكل محرّم حجر الشارع عليك سماعه قال الله تعالى: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْكَ إِذَا شَأْنُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فالكافر الخائض والمنافق الجليس له المستمع لخوضه كذلك من جالس الصديقين والعارفين في مجالسهم المطهرة وأنديتهم المقدسة فإنه شريك لهم في كل خير ينالون من الله تعالى وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام فيهم: «إنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم» فالمرء مع من جالس في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعي وفي الآخرة بالمعانة والقرب المشهدي نسأل الله تعالى أن يجعلنا مع الصالحاء في الدنيا والآخرة إنه الفياض الوهاب.

﴿وإن لكم﴾ أيها الناس ﴿في الأنعام﴾ جمع نعم بالتحريك وهي الأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والضأن والمعز. والمعنى بالفارسية: [در وجود چهار پايان] ﴿لعبرة﴾ دلالة يعبر بها من الجهل إلى العلم كأنه قيل: كيف العبارة؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ [مى آشامانيم شمارا] قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد. وفي «الأسئلة المقحمة» يقال: أسقيته إذا جعلت له سقياً دائماً وسقيته إذا أعطيته شربه ﴿مما في بطونه﴾ من للتبويض لأن اللبن بعض ما في بطونه والضمير يعود إلى بعض الأنعام وهو الإناث لأن اللبن لا يكون للكل أو إلى المذكور أي: في بطون ما ذكرنا قاله الكسائي. والمعنى بالفارسية [بعضی از آنچه که در شکمهای ذوات ألبانست ازجنس نعم] ﴿من بين فرث ودم لبنا﴾ من ابتدائية متعلقة بنسقيكم لأن بين الفرث والدم مبدأ

الإسقاء والفرث فضالة العلف في الكرش وثقله والكرش للحيوان بمنزلة المعدة للإنسان ﴿خالصاً﴾ صافياً ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث ﴿سائغاً﴾ بالفارسية [كوارنده] للشاربين﴾ أي: سهل المرور في حلقهم قيل: لم يغص أحد باللبن قط وليس في الطعام والشراب أنفع منه ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه وإذا شرب لبناً فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإني لا أعلم شيئاً أنفع في الطعام والشراب منه». قال في «الكواشي»: المعنى خلق الله اللبن في مكان وسط بين الفرث والدم وذلك أن الكرش إذا طبخت العلف صار أسفله فرثاً وأوسطه لبناً خالصاً لا يشوبه شيء وإعلاء دماً وبينه وبينهما حاجز من قدرة الله لا يختلط أحدهما بالآخر بلون ولا طعم ولا رائحة مع شدة الاتصال ثم تسلط الكبد على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش ثم ينحدر، فإن قلت إن اللبن والدم لا يتوالدان في الكرش إذ البهائم إذا ذبحت لم يوجد في كرشها لبن ولا دم. قلت: المراد كان أسفله مادة الفرث وأوسطه مادة اللبن وأعلاه مادة الدم فالمنحدر إلى الضروع مادة اللبن لا مادة الدم وقول بعضهم: إن الدم ينحدر إلى الضروع فيصير لبناً ببرودة الضرع بدليل أن الضرع إذا كانت فيه آفة يخرج منه الدم مكان اللبن مدفوع بأنه يجوز أن يتلون اللبن بلون الدم بسبب الآفة وهو اللانح بالبال ومن بلاغات الزمخشري.

كما يحدث بين الخبيثين ابن لا يؤبن الفرث والدم يخرج منهما اللبن
أي: كما أن اللبن الطيب الطاهر يخرج من بين الخبيثين اللذين هما الفرث والدم بحيث لا يشوبه شيء من أوصافهما مع كمال الاتصال والاختلاف كذلك يخرج الابن الطيب الطاهر الذي لا يعاب بشيء أصلاً من بين الأبوين الخبيثين بحيث لا يوجد فيه شيء من أوصافهما الخبيثة:

مى زغوره شود شكر ازنى غسل از نحل حاصلست بقى
مكوزنهار اصل عود چوبست به بين دودش چه مستثنى وخوبست
- وسئل - شقيق عن الإخلاص فقال: تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم [در قوت القلوب فرموده كه تمامى نعمت بخلوص لبن است يعنى اكر دروى يكى از وصفين فرث ودم باشد تمام نعمت نبود وطبع اورا قبول نكند همچنين معامله بندگان باحق بايدكه خالص بود اكر بشوب فرث رىاودم هوا آميخته كردد از خلوص دور واز نظر قبول مهجور خواهد بود زيرا كه رىا در عمل شرك خفيست وصفای عمل بسبب شوب هوا منتفى در رىا نظر بردم است ودر هوا برغرض خود وبر هروجه عمل خالى از آلود كى نيست]:

طاعت آلوده نيابد بكار مشك جكر سوده نيابد بكار
هركه ز آلود كى افتاد پاك پيش نظرها نبود تا بناك
وفي الآية إشارة إلى اعتبار العاقل فيما سقاه الله مما في بطون أنعام النفوس فإنها كالأنعام من بين فرث الخواطر الشيطاني ودم الخواطر النفساني لبناً خالصاً من الإلهام الرباني جائزاً لأهل هذا الشرب على الصراط المستقيم من غير تلعم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب﴾ [ومى آشامانيم شمارا از كونه ميوهاوى درختان خرما

ودرختان انكورهما] ونسقيكم أيها الناس من عصيرها ونطعمكم ثم بين كنه الاسقاء والإطعام وكشفه بقوله: ﴿تتخذون منه﴾ أي: من عصيرها ﴿سكراً﴾ قال في «القاموس»: السكر محركة الخمر ونبيذ يتخذ من التمر. فالآية سابقة على تحريم الخمر دالة على كراهتها حيث قبل السكر بالرزق الحسن ومقابل الحسن لا يكون حسناً ﴿ورزقاً حسناً﴾ كالتمر والدبس والزبيب والرب والخل وفي الحديث «خير خلكم خل خمركم». قال في «الروضة» خطب المأمون بمرو فسعل الناس فنادى بهم ألا من كان له سعال فليتناوى بشرب خل الخمر ففعلوا فانقطع سعالهم. قال بعضهم: انظر إلى الأخبار عن نعمة اللبن ونعمة السكر والرزق الحسن لما كان اللبن لا يحتاج إلى معالجة من الناس أخبر عن نفسه بقوله: ﴿نسقيكم﴾ ولما كان السكر والرزق الحسن يحتاج إلى معالجة قال: ﴿تتخذون﴾ فأخبر عنهم باتخاذهم منه السكر والرزق الحسن ﴿إن في ذلك﴾ الإساءة ﴿لآية﴾ باهرة ﴿لقوم يعقلون﴾ يستعملون عقولهم في الآيات بالنظر والتأمل.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن ثمرات نخيل الطاعات وأعنان المجاهدات تتخذون من ثمرات الطاعات والمجاهدات وهي المكاشفات والمشاهدات ووقائع أرباب الطلب وأحوالهم العجيبة سكراً ورزقاً حسناً السكر ما يجعل منها شرب النفس فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتهما بالأفعال والأقوال رياء وسمعة وشهرة والرزق الحسن ما يكون منها شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب كما قال بعضهم:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفذ الشراب وما رويت
وقالوا:

سقاني شربة أحى فؤادي بكأس الحب من بحر الوداد
إن في ذلك الاعتبار لدلالة لقوم يدركون بالعقل إشارات الحق ويفهمونها انتهى ما في «التأويلات». قال أهل التحقيق: العقل شجرة ثمرها العلم والحلم فشراف الثمر دال على شرف المثمر وصاحب العقل في قومه كالنبي في أمته. قال بعض العلماء: قسم العقل بألفي جزء: ألف للأنبياء والرسل والملائكة وتسعمائة وتسعة وتسعون جزءاً لمحمد ﷺ ومن الواحد أربعة دوانق للعلماء ودانق لعامة الرجال ونصف دانق للنساء ونصف لأهل القرى والرساتيق. والدانق بفتح النون وكسرها سدس الدرهم. قال حكيم العمر في الدنيا قليل والحسرة في الآخرة طويلة والعبد بعمل نفسه في الآخرة إما عزيز وإما ذليل. فعلى كل عاقل واجب أن يجتهد في إصلاح نفسه قبل أن يأتيه اليقين ويأخذ إشارة من كل رطب ويابس وغث وسمين ويصحو من سكر الغفلة والهوى ويشرب من مشرب التيقظ والهدى، وفي «المنثوي»:

عقل جزؤى را وزير خود مكير عقل كل را سازاي سلطان وزير
كين هواپر حرص وحالى بين بود عقل را انديشه يوم الدين بود

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ اللَّبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُدْرِكُ إِلَى أَزَلٍ أَلْعُمَرُ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٨٠﴾﴾

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾ هو ذباب العسل وزنبوره أي: ألهمها وقذف في قلوبها وعلمها بوجه لا يعلمه إلا هو مثل قوله: ﴿يَأْنْ رَبُّكَ أُوحِيَ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] والوحي يقع على كل تنبيه خفي والله تعالى ألهم كل حيوان أن يلتمس منفعه ويجنب مضاره وقد ألهم الله الغراب أن يبحث في الأرض ليرى قابيل كيف يوارى سوء أخيه هابيل، كما في «المنثوي»:

پس بچنکال از زمین انکسخت کرد زود زاغ مرده را در کور کورد
دفن کردش پس بپوشیدش بخاک زاغ از الهام حق ید علمناک

قال الزجاج: سميت نحلاً لأن الله تعالى نحل الناس العسل الذي يخرج منها إذ النحلة العطية وكفاها شرفاً قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وكل ذباب في النار إلا ذباب العسل. قال في عجائب المخلوقات: يقال ليوم عيد الفطر يوم الرحمة وفيه أوحى ربك إلى النحل صنعة العسل. قال في «حياة الحيوان»: يحرم أكل النحل وإن كان العسل حلالاً كالآدمية لبنها حلال ولحمها حرام ويكره قتلها وأما بيعها في الكوارة فصحيح أن يشاهد جميعها وإلا فهو بيع غائب فإن باعها وهي ظاهرة. ففي «التمتة» يصح. وفي «التهذيب» عكسه. وقال أبو حنيفة: لا يصح بيع النحل كالزنبور وسائر الحشرات ويجوز بيع دود القز من الذي يصنع به ﴿أَنْ اتَّخِذِي﴾ لنفسك أي: بأن اتخذي فإن مصدرية وصيغة التأنيث لأن النحل يذكر ويؤنث ﴿مِنَ الْجِبَالِ﴾ [ازشکاف کوها] ﴿بِیُوتَا﴾ [خانه های مسدس] أي: مساكن تأوي إليها وسمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتاً تشبيهاً ببناء الإنسان لما في بيوته المسدسة المتساوية بلا بركار ومسطر من الحذاقة وحسن الصنعة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين إلا بالآلات وأنظار دقيقة واختارت المسدس لأنه أوسع من المثلث والمربع والمخمس ولا يبقى بينها فرج خالية كما تبقى بين المدورات وما سواها من المضلعات ومن للتبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكذا قوله: ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ لأنها لا تبني في كل شجر. والمعنى بالفارسية [وازمیان درختان نیز خانه کیرید یعنی در بعضی شجر جای کنید در جانب کوه وفتی که مالکی وصاحبی نداشته باشد] وكذا في قوله: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ لأنها لا تبني في كل ما يعرشه الناس أي: يرفعه من الأماكن لتعسل فيها وهذا إذا كان لملاك. وقال بعضهم ومما يعرشون من كرم أو سقف أو جدران أو غير ذلك ولما كان أهم شيء للحيوان بعد الراحة من هم المقيّل إلا كل ثنى به ولما كان عاماً في كل ثمر ذكره بحرف التراخي إشارة إلى عجيب الصنع في ذلك وتيسره لها فقال:

﴿ثُمَّ كَلِمَ﴾ وأشار إلى كثرة الرزق بقوله: ﴿مِنَ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ فهو للتكثير كقوله تعالى: ﴿وَأُوتِيتَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] أو من كل الثمرات المشتبهة عندك من حلوها وحامضها ومرها وغير ذلك فهو عام مخصوص بالعادة ﴿فَاسْأَلْهُ﴾ جواب شرط محذوف أي: فإذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فادخلي. ﴿سَبِيلَ رَبِّكَ﴾ في الجبال وفي خلال الشجر أي: طرق ربك التي ألهمك وعرفك الرجوع فيها إلى مكانك من الخلية بعد بعدك عنها حال كون السبل ﴿ذُلًّا﴾ جمع ذلول أي: موطأة للسلوك مسهلة وذلك أنها إذا أجذب عليها ما حولها سافرت إلى المواضع البعيدة في طلب النجعة ثم ترجع إلى بيوتها من غير التباس وانحراف وأشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم إحسانه في تربيتها لما اهتدت إلى ذلك وهذا كما يقال في القطا وهو طائر معروف يضرب به المثل في الهداية ويقال: «أهدى من قطاة»

وذلك أنه يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطي لا صادراً ولا وارداً أي: ذهاباً وإياباً كذا في «شرح الشفاء» ثم اتبعه نتيجة ذلك جواباً لمن قال ماذا يكون من هذا كله فقال: ﴿يخرج من بطونها﴾ أي: بطون النحل بالقيء ﴿شراب﴾ أي: عسل لأنه مشروب وذلك أن النحل تأكل الأجزاء اللطيفة الطلية الحلوة الواقعة على أوراق الأشجار والأزهار وتمص من الثمرات الرطبة والأشياء العطرية ثم تقيء في بيوتها ادخاراً للشتاء فينعقد عسلاً بإذن الله تعالى وإلى هذا أشار ظهير الفاريابي بقوله:

بدان طمع كه دهن خوش كنى زغايت حرص

نشسته مترصد كه قى كند زنبور

وأما قول علي رضي الله عنه في تحقير الدنيا أشرف الناس ابن آدم فيها لعب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة فوارد على طريق القبيح وإن كان العسل في نفسه مما يستلذ ويستطاب على أن إطلاق الرجيع عليه إنما هو لكونه مما يحويه البطن. وفي «حياة الحيوان» قد جمع الله تعالى في النحلة السم والعسل دليلاً على كمال قدرته وأخرج منها العسل ممزوجاً بالشمع وكذلك عمل المؤمن ممزوج بالخوف والرجاء وهي تأكل من كل الشجر ولا يخرج منها إلا حلو إذ لا غيرها اختلاف مآكلها والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه، وفي «المثنوي»:

اين كه كرمناست وبالا ميرود وحيش از زنبور كى كمتر بود

چونكه اوحى الرب الى النحل آمدست خانه وحيش پراز حلوا شدست

او بنور وحى حق عز وجل كرد عالم را پراز شمع وعسل

وللعسل أسماء كثيرة. منها الحافظ الأمين لأنه يحفظ ما يودع فيه فيحفظ الميت أبداً واللحم ثلاثة أشهر والفاكهة ستة أشهر وكل ما أسرع إليه الفساد إذا وضع في العسل طالت مدة مقامه وكان عليه السلام يحب الحلواء والعسل. قال العلماء: المراد بالحلواء ههنا كل حلو وذكر العسل بعدها تنبيهاً على شرفه ومزيته وهو من باب ذكر الخاص بعد العام وفيه جواز أكل لذيق الأطعمة والطيبات من الرزق وأن ذلك لا ينافي الزهد والمراقبة لا سيما إذا حصل إنفاق وفي الحديث «أول نعمة ترفع من الأرض العسل». وقال علي رضي الله عنه: إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشوم. فأشرف المطعومات العسل وهو مذقة ذباب. وأشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر. وأشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دودة. وأشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال. وأشرف المشمومات المسك وهو دم حيوان. وأشرف المنكوحات المرأة وهي مبال في مبال ﴿مختلف ألوانه﴾ من أبيض وأخضر وأصفر وأسود بسبب اختلاف سن النحل فالأبيض يليق به شباب النحل والأصفر كهولها والأحمر شبيهاً وقد يكون الاختلاف بسبب اختلاف لون النور. قال حكيم يونان لتلامذته كونوا كالنحل في الخلایا وهي بيوتها قالوا: وكيف النحل في خلایاها؟ قال: إنها لا تترك عندها بطلاً إلا نفته وأقصته عن الخلية لأنه يضيق المكان ويفنى العسل وإنما يعمل الشيط لا الكسل. وعن ابن عمر رضي الله عنهما مثل المؤمن كالنحلة تأكل طيباً وتصنع طيباً ووجه المشابهة بينهما حذق النحل وفطنته وقلة أذاه ومنفعته وتنزهه عن الأقدار وطيب أكله وأنه لا يأكل من كسب غيره وطاعته وأن للنحل آفات تقطعه عن عمله منها الظلم والغيم والريح

والدخان والماء والنار وكذلك المؤمن له آفات تغيره عن عمله ظلمة الغفلة وغيم الشك وريح الفتنة ودخان الحرام وماء السفه ونار الجوى ﴿فيه﴾ أي: في الشراب وهو العسل ﴿شفاء للناس﴾ أي: شفاء الأوجاع التي يعرف شفاؤها منه يعني أنه من جملة الأشفية المشهورة النافعة لأمراض الناس وليس المراد أنه شفاء لكل مرض كما قال في «حياة الحيوان»، قوله: ﴿فيه﴾ شفاء للناس لا يقتضي العموم لكل علة وفي كل إنسان لأنه نكرة في سياق الإثبات بل المراد أنه يشفي كما يشفي غيره من الأدوية في حال دون حال وكان ابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم يحملانه على العموم. قال البيضاوي: ﴿فيه شفاء للناس﴾ إما بنفسه كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قلما يكون معجون إلا والعسل جزء منه وأما السكر فمختص به بعض البلاد وهو محدث ولم يكن فيما تقدم من الأزمان يجعل في الأشربة والأدوية إلا العسل.

- روي - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي قد اشتكى بطنه فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً فعاد إلى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر له ذلك فقال: «اسقه عسلاً» فسقاه ثانياً فما زاده إلا استطلاقاً ثم رجع فقال: يا رسول الله سقيته فما نفع فقال: «اذهب فاسقه عسلاً فقد صدق الله وكذب بطن أخيك» فسقاه فشفاه الله فبرئ كأنما انشط من عقال وفي الحديث «إن الله جعل الشفاء في أربعة الحبة السوداء والحجامة والعسل وماء السماء» وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشكا له سوء الحفظ فقال: أترجع إلى أهل قال: نعم فقال: قل لها تعطيك من مهرها درهمين عن طيب نفس فاشتر بهما لبناً وعسلاً واشربهما مع شربة من ماء المطر على الريق ترزق حفظاً. فسئل الحسن بن الفضل عن هذا فقال: أخذه من قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ [ق: ٩] وفي اللبن ﴿خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ [النحل: ٦٦] وفي العسل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] وفي المهر ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيَّتًا﴾ [النساء: ٤] فإذا اجتمعت البركة والشفاء والهناء والمريء والخالص السائغ فلا عجب أن ينفع.

- وروي - عن عوف بن مالك أنه مرض فقال: ائتوني بماء فإن الله تعالى قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ ثم قال: ائتوني بعسل وقرأ الآية ثم قال: ائتوني بزيت من شجرة مباركة فخلط الجميع ثم شربه فشفي، وكان بعضهم يكتحل بالعسل ويتداوى به من كل سقم وإذا خلط العسل الذي لم يصبه ماء ولا نار ولا دخان بشيء من المسك واكتحل به نفع من نزول الماء في العين والتلطح به يقتل القمل. والمطبوخ منه نافع للسموم ولعقه علاج لعضة الكلب. قال إمام الأولياء محمد بن علي الترمذي قدس سره: إنما كان العسل شفاء للناس لأن النحل ذلت لله مطيعة وأكلت من كل الثمرات حلوها ومرها محبوبها ومكروها تاركة لشهواتها فلما ذلت لأمر الله صار هذا الأكل كله لله فصار ذلك شفاء للأسقام. فكذلك إذا ذل العبد لله مطيعاً وترك هواه صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة انتهى. وفي العسل ثلاثة أشياء: الشفاء والحلاوة واللين. وكذلك المؤمن قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] ويخرج من الشاب خلاف ما خرج من الكهل والشيخ كذلك حال المقتصد والسابق. وعن ابن مسعود رضي الله عنه العسل شفاء من كل داء أي: في الأبدان والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل:

ريح اكر بسيار شد کی غم خورم چون شفاوی جان بيمارم توی

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ أي: في أمر نحل العسل ﴿لَايَةً﴾ حجة ظاهرة دالة على القدرة الربانية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: للذين تفكروا فعلموا أن النحلة على صغر جسمها وضعف خلقتها لا تهتدي لصناعة العسل بنفسها فإن ذلك بصانع صنعها خالف بينها وبين غيرها من الحشرات الطائرة فاستدل بذلك على خالق واحد قادر لا شريك له ولا شبيه. قال الكاشفي: ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [مركر وهى راكمه تفكر كنند در اختصاص بصنایع دقیقه وأمور رقیقه وهر آینه اینها بوجود نكیرد الا از الهام توانایی ودانایی كه چندین حكمت درجانوری ضعیف ودیعت نهد انقیادی دارند كه ازراه فرمان منحرف نشوند امانتی كه میوه تلخ خورند وعسل شیرین بازدهند ورعى كه جز پاك وپاكیزه نخورند طاعتی كه هرگز خلاف فرمان نكنند تمكینی كه فرسنگها بروندوباز با وطن خود رجوع نمایند طهارتی كه هرگز برقاظورات ننشینند وازان نخورند وصناعتی كه اگر همه بنایان عالم جمیع شوند همچو خانهای مسدس ایشان نتوانند ساخت پس همچنانچه ازعسل ایشان شفای الم ظاهر حاصل شود ازتفكر احوال ایشان شفاء مرض باطن كه جهلست دست دهد]:

فكر دلرانيك وهم نمكين كند كام جانرا چون عسل شیرين كند
شربت فكر اربكام جان رسد چاشنیء آن بماند تا ابد
قال القشيري رحمه الله: إن الله تعالى أجرى سنته أن يخفي كل عزيز في شيء حقير
جعل الابرسم في الدود وهو أصغر الحيوانات وأضعفها والعسل في النحل وهو أضعف الطيور
وجعل الدر في الصدف وهو اوحش حيوان من حيوانات البحر وأودع الذهب والفضة
والفيروزج في الحجر وكذلك أودع المعرفة والمحبة في قلوب المؤمنين وفيهم من يخطيء
وفيهم من يعصي ومنهم من يعرف ومنهم من يجعل أمره:

كسى راكه نزدك ظنت بداوست ندانى كه صاحب ولايت هم اوست
قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن تصرف كل حيوان في الأشياء مع
كثرتها واختلاف أنواعها إنما هو بتعريف الله تعالى إياه وإلهامه على قانون حكمته وإرادته
القديمة لا من طبعه وهواه. وإنما خص النحل بالوحي وهو الإلهام والرشد من بين سائر
الحيوانات لأنها أشبه شيء بالإنسان لا سيما بأهل السلوك فإن من دأبهم وهجيراهم أن يتخذوا
من الجبال بيوتاً اعتزالاً عن الخلق وتبتلاً إلى الله تعالى كما كان حال النبي ﷺ حيث كان
يتحنث إلى حراء أسبوعاً وأُسبوعين وشهراً وإن من شأنهم النظافة في الموضع والملبوس
والمأكول كذلك النحل من نظافتها تضع ما في بطنها على الحجر الصافي أو على خشب نظيف
لئلا يخالطه طين أو تراب ولا تقعد على جيفة ولا على نجاسة احترازاً عن التلوث كما يحترز
الإنسان عنه وثمرات البدن الأعمال الصالحة وثمرات النفوس الرياضات والمجاهدات
ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا وطلب العقبى والتوجه إلى حضرة المولى وثمرات
الأسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب إلى الله فهذه كلها أغذية الأرواح والله تعالى
قال للنحل ﴿كلّي من كل الثمرات﴾ وقال مثله للسالكين ﴿كُلُوا مِنْ الثَّيِّبَاتِ وَعَمَلُوا صَالِحًا﴾
[المؤمنون: ٥١] ﴿والله﴾ المحيط بكل شيء علماً وقدرة ﴿خلقكم﴾ أوجدكم وأخرجكم من العدم
إلى الوجود. وبالفارسية [ازظلمت آبادنا بود بصحراى انوار وجود آورد] ﴿ثم يتوفاكم﴾ أي:
يقبض أرواحكم على اختلاف الأسنان صبياناً وشباناً وكهولاً فلا يقدر الصغير على أن يؤخر ولا

الكبير على أن يقدم فمنكم من يموت حال قوته ﴿ومنكم من يرد﴾ قبل توفيه أي: يعاد ﴿إلى أرذل العمر﴾ أخسه وأحقره وهو الهرم والخرف الذي يعود فيه كهيبته الأولى في أوان طفوليته ضعيف البنية ناقص القوة والعقل قليل الفهم وليس له حد معلوم في الحقيقة لأنه رب ابن ستين انتهى إلى أرذل العمر ورب ابن مائة لم يرد إليه. وقال قتادة: إذا بلغ تسعين سنة يتعطل عن العمل والتصرف والاكْتِسَاب والحج والغزو ونحوها ولذا دعا محمد بن علي الواسطي لنفسه فقال:

يا رب لا تحيني إلى زمن أكون فيه كلاً على أحد
خذ بيدي قبل أن أقول لمن ألقاه عند القيام خذ بيدي
وسأل الحجاج شيخاً كيف طعمك؟ قال: إذا أكلت ثقلت وإذا تركت ضعفت فقال:
كيف نومك؟ قال: أنام في المجمع وأسهر في المجمع فقال: كيف قيامك وقعودك؟ قال: إذا
قعدت تباعدت عني الأرض وإذا قمت لزممتني فقال: كيف مشيك؟ قال: تعقلني الشعرة
وتعثرني البعرة ﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في سوء
الفهم والنسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه فمؤدى الكلام لينسى
ما يعلم وهو يستلزم أن لا يعلم زيادة علم على علمه لأنه إذا كان حاله بحيث ينسى ما علم
فكيف يزيد علمه واللام في لكي هي لام كي دخلت على كي للتأكيد وهي متعلقة ببرد. وقال
بعضهم: اللام جارة وكي حرف مصدري كأن شيئاً مفعول لا يعلم. ﴿إن الله عليم﴾ بمقادير
أعماركم. قال الكاشفي: [داناست وجهل بردانايى او طارى نشود]. ﴿قدير﴾ [تواناست وعجز
برتوانايى اوراه نيابد] أي: قدیر على كل شيء يميت الشاب الشيط ويبقى الهرم الفاني، قال
الشيخ سعدي قدس سره:

ای بسا است تیزروکه بماند که خزلنک جان بمنزل برد
پس که درخاک تن درستانرا دفن کردند وزخم خورده نمرد
وفيه تنبيه على أن تفاوت الآجال ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم
على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ. قالوا: أسنان
الإنسان سبعة أطوار: طور الطفولية إلى سبع سنين. ثم الصبي إلى أربع عشرة سنة. ثم الشباب
إلى اثنتين وثلاثين سنة، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة، ثم الهرم إلى منتهى العمر. وفي
«الإرشاد»: ضبطوا مراتب العمر في أربع: الأولى سن الشو والنماء، والثانية سن الوقوف وهي
سن الشباب، والثالثة سن الانحطاط القليل وهي سن الكهولة، والرابعة سن الانحطاط الكثير
وهي سن الشيخوخة ولا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل
والقوة وعند إخلاله لا يوجد له شفاء ولا يمنعه دواء وكان رسول الله ﷺ يدعو «أعوذ بك من
البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات». قال بعضهم:
حكم الهرم إنما يظهر في حق الكافر لأن المسلم يزداد عقله لصلاحه في طول عمره كرامة له
وفي الحديث «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر» وكذا من يتدبره ويعمل به كما في «تفسير
العيون». يقول الفقير: لا شك أن الجنون والعتة ونحوهما من صفات النقصان فالله تعالى لا
يبتلي كامل الإنسان أنبياء وأولياء فالمراد بقولهم: إن العلماء لا يعرض لهم العتة وإن بلغوا إلى
أرذل العمر علماء الآخرة والعلماء بالله لا مطلق العلماء كما لا يخفى إذ قد شاهدنا من علماء

زماننا من صار حاله إلى حال الطفولية ثم إن أرذل العمر وإن كان أشد الأزمان وأصعبها لكنه أوان المغفرة ورفعة الدرجة وفي الحديث: «إذا بلغ المرء ثمانين سنة أثبتت حسناته ومحيت سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وكان أسير الله في الأرض وشفيعاً لأهل بيته يوم القيامة».

- روي - أن رجلاً قال للنبي عليه الصلاة والسلام: أصابني فقر فقال: «لعلك مشيت أمام شيخ» وأول من شاب من ولد آدم إبراهيم عليه السلام فقال: يا رب ما هذا؟ قال: هذا نوري فقال: رب زدني من نورك ووقارك وكان الرجل في القرون الأولى لا يحتلم حتى يأتي عليه ثمانون سنة. وعن وهب أن أصغر من مات من ولد آدم ابن مائتي سنة. قال بعض المشايخ: هذه الأمة وإن كانت أعمارهم قصاراً قليلة لكن أمداهم كثيرة وهم ينالون في زمن قصير ما ناله الأقدمون في مدة طويلة من المرتبة وهذا فضل من الله تعالى. قال حكيم: إن خير نصفي عمر الرجل آخره يذهب جهله ويثوب حلمه ويجتمع رأيه وشر نصفي عمر المرأة آخره يسوء خلقها ويحد لسانها ويعقم رحمها وفي الحديث «خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم». يقول الفقير: هذا يشمل التشبه بأنواعه في الأقوال والأحوال والأفعال والقيام والقعود واللباس ونحوها فالصوفي شيخ في المعنى لأن مراده الفناء عن الأوصاف كلها فينبغي له أن يلبس لباس الكهول وإن كان شاباً وفي الحديث: «من أتى عليه أربعون سنة ثم لم يغلب خيره شره فليتهجهز إلى النار». قال يحيى بن معاذ رحمه الله: مقدار عمرك في جنب عيش الآخرة كنفس واحد فإذا ضيعت نفسك فخسرت الأبد إنك لمن الخاسرين. وفي الآية إشارة إلى الفناء والبقاء فالمتوفى هو الفاني عن إثبات وجوده والمردود هو الباقي بوجوده ووجوده وقوله: «لكي لا يعلم بعد علم شيئاً» أي: ليكون عاقبة أمره أن لا يعلم بعد فناء علمه شيئاً بعلمه بل يعلم بربه الأشياء كما هي كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِي كُفِّرْتُ عَنْ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَدْوٍ يُحْذَرُونَ﴾ (٧٦)

﴿والله﴾ تعالى وحده ﴿فضل بعضكم على بعض في الرزق﴾ أي: جعلكم متفاوتين فيه فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك. والرزق ما يسوقه الله تعالى إلى الحيوان من المطعومات والمشروبات. وفيه تنبيه على أن غنى المكثّر ليس من كياسته ووفور عقله وكثرة سعيه ولا فقر المقل من بلادته ونقصان عقله وقلة سعيه بل من الله تعالى ليس إلا:

كم عاقل عاقل أعيت مذهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
قال الحافظ:

سكندر را نمی بخشند آبی بزور وزر میسر نیست این کار
قال ابن الشيخ: وهذا التفاوت غير مختص بالمال بل هو واقع في الذكاء والبلادة والرشد والدناءة والحسن والقباحة والصحة والسقامة وغير ذلك:

كنج زر کرنبود کنج قناعت باقیست آنکه آن داد بشاهان بکدایان این داد
وفي «التأويلات النجمية»: فضل الله الأرواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والرد إلى البقاء. وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع

والتقوى والصدق واليقين والإيمان والتوكل والتسليم والرضى. وفضل النفوس على الأبدان في رزق التزكية ومقاساة شدائد المجاهدات والصبر على المصائب والبلايا وحمل أعباء الشريعة بإشارات الطريقة وتبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة وفضل أبدان المؤمنين على أبدان الكافرين في رزق الأعمال التي هي أركان الشريعة وقراءة القرآن والذكر باللسان مشرفة بإخلاص بالجنان ﴿فما الذين فضلوا﴾ أي: فليس الموالي الذين فضلوا في الرزق على المماليك ﴿برادي رزقهم﴾ أي: بمعطي رزقهم الذي رزقهم إياه أصله رادين سقط النون للإضافة ﴿على ما ملكت أيماهم﴾ على ممالكهم الذين هم شركاؤهم في المخلوقية والمرزوقية ﴿فهم﴾ أي الملاك والمماليك ﴿فيه﴾ في الرزق ﴿سواء﴾ في الفاء دلالة على ترتب التساوي على الرد أي: لا يردون عليهم رداً مستتبعا للتساوي في التصرف والتشارك في التدبير وإنما يردون عليهم منه شيئاً يسيراً والحاصل أنهم لا يجعلون ما رزقناهم من الأموال وغيرها شركة بينهم وبين ممالكهم بحيث لا يرضون بمساواة ممالكهم لأنفسهم وهم أمثالهم في البشرية والمخلوقية فما بالهم كيف جعلوا ممالكه تعالى ومخلوقه شركاء له مع كمال علوه فأين التراب ورب الأرباب. وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله المشركون تقريباً عليهم وكانوا يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك. ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ الفاء للعطف على مقدر وهي داخلة في المعنى على الفعل والجحود الإنكار والباء لتضمينه معنى الكفر والمعنى أبعد علمهم بأن الرزاق هو الله تعالى يشركون به فيجحدون نعمته فإن الإشراك يقتضي أن يضيفوا نعم الله الفائضة عليهم إلى شركائهم وينكروا كونها من عند الله تعالى فالله تعالى يدعو عباده بهذه الآية إلى التوحيد ونفى الشرك حتى يتخلصوا من الشرك والظلمات ويتشرفوا بالتوحيد الخالص والأنوار العاليات. فعلى العبد الطاعة والسعي إلى تحصيل الرضوان والعرفان وإنما الرزق على المولى الكريم المنان. ومن الكلمات التي نقلها كعب الأحبار عن التوراة «يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي أكثر منه لا تطمع ومن أقل منه لا تجزع فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحمت قلبك وبدنك وكنت عندي محموداً وإن كنت لم ترض به وعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البر ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموماً. يا ابن آدم خلقت لك السموات والأرضين. ولم أعي بخلقهن أيعينني رغيف أسوقه إليك من غير تعب. يا ابن آدم أنا لك محب فبحبي عليك كن لي محباً. يا ابن أم لا تطالني برزق غد كما لا أطالبك بعمل غد فإني لم أنس من عصاني فكيف من أطاعني».

واعلم أن عباد الله في باب الرزق على وجوه: منهم من جعل رزقه في الطلب فمن جعل رزقه في الطلب فعليه بكسب الحلال الطيب كعمل اليد مثلاً، ومنهم من جعل رزقه في القناعة وهي في اللغة الرضى بالقسمة وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي السكون عند عدم المألوفات، ومنهم من جعل رزقه في التوكل وهو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس، ومنهم من جعل رزقه في المشاهدة والمجاهدة كما قال ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقين» وهو إشارة إلى المشاهدة وقال: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وهو إشارة إلى المجاهدة فعلى العاقل المجاهدة والعبادة لله تعالى خالصاً لا لأجل تنعم النفس في الجنة والخلاص من النار فإنها معلولة والمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب ولذا قال في «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پیش من هست پیدا همچویت پیش وثن

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَيْنًا وَحَفْدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿والله﴾ تعالى وحده ﴿جعل لكم من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجاً﴾ نساء لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع مصالحكم ويكون أولادكم أمثالكم. ومن هنا أخذ بعض العلماء أنه يمتنع أن يتزوج المرء امرأة من الجن إذا لا مجانسة بينهما فلا مناكحة وأكثرهم على إمكانه ويدل عليه أن أحد أبوي بلقيس كان جنياً. قال ابن الكلبي كان أبوها من عظماء الملوك فتزوج امرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وفيه حكايات أخر في «أكام المرجان». فإن قيل: غلبة عنصر النار في الجن تمنع من أن تتكون النطفة الإنسانية في رحم الجنينة لما فيها من الرطوبات فتضمحل ثمّة لشدة الحرارة النيرانية وقس عليه نكاح الجنى الإنسانية. قلت: إنهم وإن خلقوا من نار فليسوا بباقيين على عنصرهم الناري بل قد استحالوا عنه بالأكل والشرب والتوالد والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابي بذلك على أن الذي خلق من نار هو أبو الجن كما خلق آدم أبو الإنس من تراب وأما كل واحد من الجن غير أبيهم فليس مخلوقاً من النار كما أن كل واحد من بني آدم ليس مخلوقاً من تراب. وذكروا أيضاً جواز المناكحة بين الإنسان وإنسان الماء كما قال في «حياة الحيوان» أن في بحر الشام في بعض الأوقات من شكله شكل إنسان وله لحية بيضاء يسمونه شيخ البحر فإذا رآه الناس استبشروا بالخصب.

- وحكي - أن بعض الملوك حمل إليه إنسان ماء فأراد الملك أن يعرف حاله فزوجه امرأة فأتاه منها ولد يفهم كلام أبويه فقيل للولد ما يقول أبوك: قال: يقول أذنان الحيوان كلها في أسفلها فما بال هؤلاء أذنانهم في وجوههم. وذكروا أيضاً بنات الماء ومناكحة الإنسان إياهن وتولد الأولاد منهن ﴿وجعل لكم من أزواجكم﴾ أي: جعل لكل منكم من زوجه لا من زوج غيره ﴿بنين﴾ [فرزندان] ﴿وحفدة﴾ جمع حافد وهو الذي يسرع في الخدمة والطاعة ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد أي: جعل لكم خدماً يسرعون في خدمتكم وطاعتكم ويعينونكم كأولاد الأولاد ونحوهم. يقول الفقير: حمل الحفدة على البنات كما فعله البعض بناء على أنهم يخدمونه في البيوت أتم خدمة ضعيف لأن الخطاب لكون السورة مكية مع المشركين وهم كانوا تسود وجوههم حين الاخبار بالبنات فلا يناسب مقام الامتنان حملها عليهن ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من اللذائذ كالعسل ونحوه ومن للتبعيض لأن كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها. يقول الفقير المقصود الطيبات المنهزمة بحسب العرف وهي طيبات البلدة والناحية والإقليم لا الطيبات المشتملة عليها الدنيا والجنة فكل الطيبات مرزوق بها العباد ﴿أفالباطل يؤمنون﴾ الفاء في المعنى داخل على الفعل وهي للعطف على مقدر أي: أيكفرون بالله الذي شأنه هذا فيؤمنون بالباطل وهو أن الأصنام تنفعهم وأن البحائر ونحوها حرام ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ حيث يضيفونها إلى الأصنام أو المراد بالباطل الأصنام وما يقضي إلى الشرك وبنعمة الله الإسلام والقرآن وما فيه من التوحيد والأحكام. والباطل عند أهل الحقيقة قسمان: باطل حقيقي وهو ما لا تحقق ولا وجود ولا ثبوت له بأن لم يقع التجلي الإلهي في عالمه أصلاً وقسم باطل مجازي وهو التعينات الموجودة كلها أما بطلانه فلكونه عدماً في نفسه «ألا

كل شيء ما خلا الله باطل» وأما مجازيته فلكونه مجلى ومرآة للوجود الإضافي والحق المجازي والمؤمن بالباطل مطلقاً كافر بالله تعالى.

سالك پاک رو نخوانندش آنکه از ما سوى منزله نیست
﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئاً﴾ الرزق مصدر
وشيئاً نصب على المفعولية منه والمراد من الموصول الآلهة أي: ما لا يقدر على أن يرزق
منهم شيئاً لا من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً ﴿ولا يستطيعون﴾ أن يملكوه إذ لا
استطاعة لهم أصلاً لأنهم جماد.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا
يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ
لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ أي: فلا تشبهوا الله بشيء من خلقه وتشركوا به فإن ضرب
المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة والله تعالى واحد حقيقي لا شبه له أولاً وأبداً.

در تصور ذات اورا كننج كو تادر آيد در تصور مثل او
قال في «الإرشاد» أي: لا تشبهوا بشأنه تعالى شأناً من الشؤون واللام مثلها في قوله
تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتُ نُوحٍ﴾ [التحريم: ١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا
أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾ [التحريم: ١١] لا مثلها في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣]
ونظائره ﴿إن الله يعلم﴾ كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم ﴿وأنتم
لا تعلمون﴾ ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فالله تعالى هو العالم بالخطأ والصواب ومن
خطأ الإنسان عبادته الدنيا والهوى وطلب المقاصد من المخلوقين وجعلهم أمثال الله وليس في
الوجود مؤثر إلا الله تعالى فهو المقصود ومنه الوصول إليه. وعن النبي ﷺ: «إن الله احتجب
عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وأن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم» وذلك لأن
الله تعالى ليس له زمان ولا مكان وإن كان الزمان والمكان مملوءين من نوره فأهل السماء
والأرض في طلبه سواء. وقال موسى عليه السلام: أين أجذك يا رب؟ قال: يا موسى إذا
قصدت إلي فقد وصلت إلي أشار تعالى إلى أن القاصد واصل بغير زمان ومكان وإنما الكلام
في القصد الوجداني الجمعي والميل الكلي لأن من طلب وجد وجد ومن قرع الباب ولج ولج
والباب هو باب القلب فإن منه يدخل المرء بيت المعرفة الإلهية ثم يصل إلى صدر المشاهدة
الربانية فيحصل الأنس والحضور والذوق والصفاء ويرتفع الهيبة والحيرة والوحشة والغفلة
والكدر والجفاء اللهم اجعلنا من الواصلين آمين.

﴿ضرب الله مثلاً﴾ ضرب المثل تشبيه حال بحال وقصة بقصة أي: ذكر وأورد شيئاً
يستدل به على تباين الحال بين جنابه وبين ما أشركوا به وليس المراد حكاية ضرب الماضي بل
المراد إنشاؤه بما ذكر عقيبه ﴿عبدًا مملوكًا﴾ بدل من مثلاً وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته
العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبها ضرب نفسه مثلاً ووصفه بالمملوكية ليخرج عنه
الحر لاشتراكهما في كونهما عبداً لله تعالى ﴿لا يقدر على شيء﴾ وصفه بعدم القدرة لتمييزه عن
المكاتب والمأذون اللذين لهما تصرف في الجملة ﴿ومن رزقناه﴾ من موصوفة معطوفة على

عبدًا كأنه قیل وحرًا رزقناه بطریق الملک لیطابق عبدًا ﴿منا﴾ من جانبنا الکبیر المتعال ﴿رزقًا حسنًا﴾ حلالاً طیباً أو مستحسنًا عند الله مرضیاً. قال الکاشفی: [روزی نیکو یعنی بسیار وبی مزاحم که درو تصرف تواند کرد] ﴿فهو﴾ [پس این مرزوق] ﴿ینفق منه﴾ أي: من ذلك الرزق الحسن ﴿سرا وجهراً﴾ أي: حال السر والجهر وقدم السر على الجهر للإیذان بفضله علیه. قال الکاشفی: [پنهان و آشکارا یعنی هر نوع که میخواهد خرج میکند وازکس نمیترسد] ﴿هل يستوون﴾ جمع الضمیر للإیذان بأن المراد مما ذکر من اتصف بالأوصاف المذكورة من الجنسین المذكورین لا فردان متعینان منهما. والمعنی بالفارسیة: [آیا برابرند یعنی مساوی نباشند بندگان بی اختیار باخواجگان صاحب اقتدار پس چون مملوک عاجز بامالک قادر متصرف برابر نیست پس بنان که اعجز مخلوقاتند شریک قادر علی الاطلاق چگونه تواند بود]:

راه تو بنور لا یزالى از شرک وشریک هردو خالی
آن بنده که عاجزست ومحتاج کی راه برد بصاحب تاج
ما للتراب ورب الأرباب [صاحب کشف المحجوب آورده که روزی بخلوت شیخ أبو العباس شیبانی در آمدم ویرا دیدم که این آیت میخواندو میکریست ونعره می زدپنداشتم که ازدنیا بخواهد رفت کفتم أي شیخ این چه حالتست فرمودکه یازده سال میکذرد تاورد من اینجار سیده است وازینجار نمیتوانم کذشت آری حدوث درقدم نمیتواندر سیدو ممکن ازکنه واجب خبر نتوانداد]:

نیست باهست چون زند پهلوی قطره بابحر چون کند دعوی
﴿الحمد لله﴾ اعتراض أي: کل الحمد لله تعالی لأنه معطي جميع النعم وإن ظهرت علی أیدی بعض الوسائط ولیس شيء من الحمد للأصنام لعدم استحقاقها إياه فضلاً عن العباد ﴿بل أكثرهم﴾ [بلکه اکثر مشرکان. یعنی همه ایشان] ﴿لا يعلمون﴾ ذلك فیضيفون نعمه تعالی إلى غیره ويعبدونه لأجلها. وفي «الإرشاد» نفی العلم عن أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون ذلك وإنما لا يعلمون بموجبه عناداً کقوله تعالی: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿النحل: ۸۳﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٧﴾

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ آخر یدل علی ما یدل علیه المثل السابق علی أوضح وجه وأظهره ﴿رجلین﴾. قال فی «الکواشی»: تقدیره مثلاً مثل رجلین فمثلاً الأول مفعول والثاني بدل منه أو بیان فحذف الثاني وأقیم مقامه رجلین. ﴿أحدهما أبکم﴾ وهو من ولد أخرس ولا بد أن یكون أصم كما قال الکاشفی: [وبی شبهه کنک مادر زاد نشود] ﴿لا یقدر علی شيء﴾ من الأشياء المتعلقة بنفسه أو بغیره بحدس أو فراسة لقلة فهمه وسوء إدراکه ﴿وهو کل علی مولاه﴾ ثقل وعیال علی من یعوله ویلی أمره وهذا بیان لعدم قدرته علی إقامة مصالح نفسه بعد ذکر

عدم قدرته على شيء مطلقاً ﴿أينما يوجهه﴾ أي حيث يرسله مولاه في أمره وكفاية مهم وهو بيان لعدم قدرته على إقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة ﴿لا يأت بخير﴾ [باز نیامد به نیکویی یعنی کاری ناسازد وکفایتی نکند لا يفهم ولا يفهم] ﴿هل يستوي هو﴾ [آیا برابر باشد این ابکم] مع ما فيه من الأوصاف المذكورة ﴿ومن يأمر بالعدل﴾ أي: من هو منطبق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لجميع الفضائل والمكارم وهذا كسحبان وياقل فإن سحبان كان رجلاً فصيحاً بليغاً متكلماً بحيث لا يقطع الكلام ولو سرده يوماً وليلة ولا يكرر ولو اقتضى الحال فعبارة أخرى ولا يتنحرج وإن باقلاً كان رجلاً اشترى ظيلاً بأحد عشر درهماً فستل عن شرائه ففتح كفيه وأخرج لسانه يشير إلى ثمنه فانفلت الظبي فضرب به المثل في العي ﴿وهو﴾ في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام ﴿على صراط مستقيم﴾ [براهی راستست وسیرتی درست وطریقه پسندیده که بهر مطلب که توجه نماید زود بمقصد ومقصود رسد پس چنانکه بجاهل مساوی این کامل فاضل نیست پس بتان بی اعتبار را مساوات باحضرت پروردگار جل شانہ نباشد]. وقال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام فيما أبهم من القرآن»: أن الأبكم هو أبو جهل واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. والذي يأمره بالعدل عمار بن ياسر العنسي وعنس بالنون حي من مدلج وكان حليفاً لبني مخزوم رهط أبي جهل وكان أبو جهل يعذبه على الإسلام ويعذب أمه سمية وكانت مولاة لأبي جهل وقال لها ذات يوم: إنما آمنت بمحمد لأنك تحبينه لجماله ثم طعنها بالرمح في فيها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام. وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة لا تقدر على شيء من الخير لأن من شأنها متابعة هواها ومخالفة مولاها وأن الروح من شأنه أن يأمر النفس بطاعة الله وحسن عبادته كما أن النفس تأمر الروح بمعاصي الله وعبودية هواها فالتوفيق في جانب الروح وأعداء المؤمن ثلاثة: النفس، والشيطان، والدنيا، فحارب النفس بالمخالفة وحارب الشيطان بالذكر وحارب الدنيا بالقناعة. وعن حكيم نفسك لصك فاحفظها وهي عدوك فجاهدها كذا في «الخالصة».

﴿ولله﴾ تعالى خاصة لا لأحد غيره استقلالاً ولا إشراكاً وكان كفار قريش يستعجلون وقوع القيامة استهزاء فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي: علم ما غاب فيهما عن العباد. قال في «الإرشاد»: فيه إشعار بأن علمه سبحانه حضوري فإن تحقق الغيوب في أنفسها علم بالنسبة إليه تعالى ولذلك لم يقل والله علم غيب السموات والأرض ﴿وما أمر الساعة﴾ الساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم أي: وما شأن قيام القيامة التي هي من الغيوب في سرعة المجيء ﴿إلا كلمح البصر﴾ اللمح النظر بسرعة أي: كرجع الطرف من أعلى الحدة إلى أسفلها. يعني: [آوردن خدای تعالی مر قیامت را آسانترست ازآنکه شما دیدہ برهم زیند] ﴿أو هو﴾ أي: بل أمرها فيما ذكر من السرعة والسهولة ﴿أقرب﴾ من لمح البصر وأسرع زماناً. قال الكاشفي: [أقرب زديکتر است چه لمح بصر دو فعل است وضع جفن ورفع آن وإيقاع قیامت باحياء موتی يك فعل پس ممكن است ووقوع آن در نصف زمان این حرکت] وأو ليست للشك بل للتخيير أي: تخيير المخاطبين بين أن يشبهوا أمر قيامها بلمح البصر وأن يقولوا هو أقرب وإنما ضرب به المثل لأنه لا يعرف زمان أقل منه ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأن بعض

المقدورات. يعني: [تواند احیاء خلایق دفعه چنانچه قادراست بر احیاء ایشان بر سبیل تدریج پس از ابتداء ظهور ایشان خبر داد تا از مبدء وبر معاد استدلال کنند].

واعلم انهم قالوا: [كرچه قیامت دیر آمد ولی می آمد] یعنی هو دان عند الله تعالى وإن كان بعيداً عندنا فلا بد من التهيء له. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: متى الساعة؟ قال عليه السلام: «ما أعددت لها؟» قال: لا شيء إلا أنني أحب الله ورسوله فقال: «أنت مع من أحببت» وشرط كون المرء مع من أحب أن يشترك معه في الدين ويتحد ومن مقتضاه إتيان المأمورات وترك المحظورات فإن المحبة الكاملة لا تحصل إلا به فمن خالف أمر الله تعالى وأمر نبيه فقد فارقهما فكيف يجبهما مع البينونة؟ قال الشيخ سعدى قدس سره:

نظر دوست نادر کند سوى تو چودر روى دشمن بودروى تو

ندانی که کمتر نهد دوست پای چوبیندکه دشمن بود درسرای

ثم اعلم أن رجوع النفس إلى ربها يكون بإماتتها عن أوصافها وإحيائها بصفات الله والإماتة تكون بتجلي صفة الجلال والإحياء بتجلي صفة الجمال فإذا تجلى الله لعبده لا يبقى له زمان ولا مكان إذ هو فان عن وجوده باق ببقاء الحق إن الله على كل شيء من الموهب التي يعزبها أولياءه قدير وإن لم يفهم الأغبياء بعقولهم كيفية تلك المعارف والكمالات بل العقلاء بعقولهم السليمة بمعزل من إدراك تلك الحقائق وذلك لأنها خارجة عن طور العقل.

سبیل ضعیف واصل دریا نمیشود

والتجليات ثلاثة: الأول: التجلي العلمي وأهله من أصحاب البرازخ لا يصح أن يكون مرشداً إلا تقليداً. والثاني: التجلي العيني. والثالث: التجلي الحقي وأهلها من أرباب البقين والوصول من شأنهم إرشاد الناس في جميع المراتب أي: في مرتبة الطبيعة والنفس والقلب والروح والطريقة والمعرفة والحقيقة وهم أهل البصيرة الذين أشير إليهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ۱۰۸] فعليك بالافتداء بهم دون غيرهم. فإن قلت ما الفرق بين أهل التجلي الثاني والثالث؟ قلت إنهما بعد اشتراكهما في أن كلا منهما قطب إرشاد يتميز الثالث بالقطبية الكبرى التي هي أعلى المناصب.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (۷۸) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (۷۹)

﴿والله﴾ تعالى وحده ﴿أخرجكم من بطون أمهاتكم﴾ جمع الأم زیدت الهاء فیها كما زیدت فی الإهراق من أراق ﴿لا تعلمون شيئاً﴾ أي: حال كونكم غیر عالمین شيئاً أصلاً من أمور الدنيا والآخرة ولا مما كانت أرواحكم تعلم فی عالم الأرواح ولا مما كانت ذراتكم تعلم من فهم خطاب ربكم إذ قال: ألسنت ربكم ولا مما علمت إذ قالت بالجواب بلى ولا مما تعلم الحيوانات حين ولادتها من طلب غذائها ومعرفة أمها والرجوع إليها والاهتداء إلى ضروعها وطريق تحصيل اللبن منها ومشيتها خلفها وغير ذلك مما تعلم الحيوانات وتهتدي إليه ولا يعلم الطفل منه شيئاً ولا يهتدي إليه قال الشيخ سعدى قدس سره:

مر غك از بیضه برون آیدوروزی طلبد آدمی بچه ندارد خبر وعقل وتمیز

﴿وجعل لكم السمع﴾ قدمه على البصر لما أنه طريق تلقى الوحي ولذا ابتلي بعض الأنبياء بالعمى دون الصمم أو لأن إدراكه أقدم من إدراك البصر ألا ترى أن الوليد يتأخر افتتاح عينيه عن السمع وإفراده باعتبار كونه مصدراً في الأصل ﴿والأبصار﴾ جمع بصر وهي محركة حس العين ﴿والأفئدة﴾ جمع فؤاد وهو وسط القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة. قال في «بحر العلوم»: استعملت في هذه الآية وفي سائر آيات وردت فيها في الكثرة لأن الخطاب في جعل لكم وأنشأ لكم عام. والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتتنبها لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرار الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية.

واعلم أن قوله: ﴿وجعل﴾ عطف على أخرجكم وليس فيه دلالة على تأخر الجعل المذكور عند الإخراج لما أن مدلول الواو هو الجمع مطلقاً لا الترتيب على أن أثر ذلك الجعل لا يظهر قبل الإخراج كما في «الإرشاد». والتحقيق أن الله تعالى صفات سبعاً مرتبة وهي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وإذا قلب الكلام يصير كملاً فآخر الكمال الكلام كما أن أول الكمال الكلام لأن أول التعينات الإلهية هي الهوية الذاتية وآخرها الكلام مطلقاً وعلى هذا يدور الأمر في المظهر الإنساني ألا ترى أن أول ما يبدو في الجنين حس السمع ثم البصر ثم الكلام ولذا حرم تزوج الحبلى من النكاح اتفاقاً ومن الزنى اختلافاً لما قال عليه السلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يسقين ماءه زرع غيره». فإن قيل فم الرحم منسد بالحبل فكيف يوجد سقي الزرع. قلنا قد جاء في الخبر «إن سمع الحمل وبصره يزداد حدة بالوطء» فظهر أن آخر ما يظهر بعد الولادة هو الكلام ومقتضى مقام الامتنان أن هذه القوى إنما تظهر آثارها بعد الإخراج من بطون الأمهات وهذا لا ينافي حصولها قبله بالقوة القرينية من الفعل ﴿لعلكم تشكرون﴾ إرادة أن تشكروا هذه الآلات وشكرها استعمالها فيما خلقت لأجله من استماع كلام الله وأحاديث رسول الله وحكم أوليائه وما ليس فيه ارتكاب منهى ومن النظر إلى آيات الله والاستدلال بها على وجوده ووحدته وعلمه وقدرته فمن استعمالها في غير ما خلقت له فقد كفر جلائل نعم الله تعالى وخان في أماناته، قال الشيخ السعدي قدس سره:

كذر كاه قرآن وپندست كوش به بهتان وباطل شنیدن مكوش
دوچشم ازپی صنع بارى نكوست زعيب برادر فرو كيرو دوست
وقال الصائب:

ترابكو هردل كرده اند امانتدار ززد امانت حق را نكاهدار مخسب
وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة﴾ لأجسادكم كما جعل للحيوانات لتسمعوا بها وتبصروا وتفهموا ما يسمع الحيوان ويبصر ويفهم وجعل لأرواحكم سمعاً تسمعون به ما تسمع الملائكة وبصراً تبصرون به ما تبصر الملائكة وفؤاداً تفهمون به ما تفهم الملائكة وجعل لأسراركم سمعاً تسمعون بالله وبصراً تبصرون بالله وفؤاداً تعرفون بالله وهذه الحواس مستفادة من قوله تعالى: «كنت له سمعاً وبصراً ولساناً فبي يسمع وببي يبصر وببي ينطق» ﴿لعلكم تشكرون﴾ بهذه الآلات نعم الله وأداء شكر نعم الله باستعمالها وصرفها في طلب الله وترك الالتفات إلى النعم بل للمنع. وفي الآية إشارة أخرى والله أخرجكم من بطون

أمهاتكم أي: من العدم وهو الأم الحقيقي لا تعلمون شيئاً قبل أن يعلمكم الله أسماء كل شيء وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة حين خاطبكم بقوله: أأست بربكم فتجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه أعطاكم لساناً تجيبونه بقولكم بلى لعلمكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع إلا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر إلا جماله ولا تحبون بهذا الفؤاد إلا ذاته ولا تكلمون بهذا اللسان إلا معه.

﴿ألم يروا إلى الطير﴾ تقرير لمن ينظر إليهن وتعجيب من شأنهن. والطير جمع طائر أي: ألم ينظروا إليها ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى ﴿مسخرات﴾ مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المساعدة له. وفيه مبالغة من حيث إن التسخير جعل الشيء منقاداً للآخر يتصرف فيه كيف يشاء كتسخير البحر والفلك والدواب للإنسان والواقع هنا تسخير الهواء للطير لتطير فيه كيف تشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله للطيران. وفيه تنبيه على أن الطيران ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى وكذا إحراق النار وإهلاك البرد ليسا بذاتهما بل بتأثير الله تعالى وعلى هذا ﴿في جو السماء﴾ في الهواء غير متباعد من الأرض وإضافته إلى السماء لما أنه في جانبها من الناظر. قال في «القاموس» الجو الهواء ﴿ما يمسكهن﴾ في الجو عن السقوط حين قبض أجنحتهن وبسطها ووقفهن ﴿إلا الله﴾ بقدرته الواسعة وتدبيره لهن من الريوش الكبار والصغار فإن ثقل جسدها ورقة قوام الهواء يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها تمسكها والهواء للطائر كالماء للسباح فهو يقبض يديه ويبسطها ولا يغرق مع ثقل جسده ورقة الماء وأعجب من ذلك وأدل فيه على القدرة الباهرة تعشيش بعض الطير في الهواء. ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوماً للصيد فأرسل بازاً أشهب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء ثم رجع بعد اليأس منه ومعه سمكة فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق فيه دواب بيض تفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لما أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك وأكرمه. ومن ذلك الطير الأبايل التي رمت أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وهي الطير السود على هيئة الخطاطيف. ومن ذلك ما يقا له بالفارسية [هما] فإنه من سكان الهواء يبيض ويفرخ فيه وليس له رجل وهو في جثة العقق إلا أنه سكري اللون ويوجد جسده بعد وفاته في صحارى الهند. ومن عجائب الطيور الرخ بالضم وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع. قال في «القاموس»: هو طائر كبير يحمل الكركدان انتهى. وكان وصل إلى المغرب رجل من التجار ممن سافر في بحر الصين وألقتهم الرياح إلى جزيرة عظيمة فخرج إليها أهل السفينة ليأخذوا الماء والحطب فأروا قبة عظيمة أعلى من مائة ذراع لها لمعان وبريق فعجبوا منها فلما دنوا منها إذا هي بيضة الرخ فجعلوا يضربونها بالخشب والفؤوس والحجارة حتى انشقت عن فرخ كأنه جبل فتعلقوا بريش جناحه فجروه فنفض جناحه فبقيت هذه الريشة معهم خرج أصلها من جناحه ولم يكمل بعد خلقه فقتلوه وحملوا ما قدروا عليه من لحمه فلما طلعت الشمس إذ الرخ قد أقبل في الهواء كالسحابة العظيمة في رجله قطعة حجر كالبيت العظيم أكبر من السفينة فلما حاذى السفينة ألقى ذلك الحجر بسرعة فوق الحجر في البحر وسبقت السفينة ونجاهم الله تعالى بفضلته ورحمته كذا في «حياة الحيوان». ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من تسخير الطير للطيران بأن

خلقها خلقة يمكن معها الطيران بأن جعل لها أجنحة خفيفة وأذناباً كذلك وخلق الجوّ بحيث يمكن الطيران فيه وإمساكها في الهواء على خلاف طباعها ﴿لآيات﴾ [نشانها ظاهرست] ﴿للقوم يؤمنون﴾ أي: من شأنهم أن يؤمنوا وإنما خص ذلك بهم لأنهم المنتفعون به حيث يطبّرون في هواء المعرفة بجناح التفكير فيما ذكر ويصلون إلى وكر الكرامة.

فكر ازین خانه فرازت کشد سوی سرا پرده رازت کشد
وفي «المنثوي»:

کر بینی میل خود سوی سبا پر دولت برکشا همچون هما
ورببینی میل خود سوی زمین نوحه میکن هیچ منشین ازحنین
وفي الحديث: «كونوا في الدنيا أضيافاً واتخذوا المساجد بيوتاً وعودوا قلوبكم الرقة وأكثروا من التفكير والبكاء ولا يختلفن بكم الأهواء». وعن محمد بن عبد الله أنه قال: الفكرة على خمسة أوجه: فكرة في آيات الله يتولد منها المعرفة. وفكرة في آلاء الله ونعمائه يتولد منها المحبة. وفكرة في وعد الله وثوابه يتولد منها الرغبة. وفكرة في وعد الله وعقابه يتولد منها الرهبة. وفكرة في جفاء النفوس بجنب إحسان الله إليها يتولد منها الحياء والندم.
وفي الآية إشارة إلى أن طير الأرواح مسخرة في جو سماء القلوب لا يمسكهن إلا الله لأن الأرواح علويات وإنما سكونها في سفل الأجساد بتسخير الله إياها كقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وقوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ [التين: ٥] وهذا كسلطان نزل في خراب بحسب الاقتضاء وإلا فشأنه أعلى من ذلك وجاهه أرفع منه كما لا يخفى.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٨١)

﴿والله جعل لكم من بيوتكم﴾ المعهودة التي تبنيونها من الحجر والمدر وهو تبين لذلك المجعول المبهم في الجملة ﴿سكناً﴾ فعل بمعنى مفعول أي: موضعاً تسكنون فيه وقت إقامتكم. وبالفارسية [آرامكاهى]. قال في «الكواشي»: كل ما يسكن إليه أو فيه سكن بمعنى مسكن. وفي «الواقعات المحمودية» للسلوك شروط ثلاثة: الزمان، والمكان، والأخوان. أما الأولان فلأنه لا بد من خلو الزمان عن الفترة وكذا المكان. وأما الإخوان فلتدارك حوائج السالك لثلا يتقيد بها فلا بد من الشرائط المذكورة لدوام السلوك واستمراره من غير انقطاع انتهى. والظاهر أن المكان أقدم للسلوك ثم الزمان ثم الإخوان ثم صفاء الخاطر. وفي «الأسرار المحمدية»: الغرض في المسكن دفع المطر والبرد وأقل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو من الفضول والاختصار على الأقل والأدنى يمكن في الديار الحارة أما في البلاد الباردة في غلبة البرد ونفوذه من الجدران الضعيفة حتى كاد يهلك أو يمرض فالبناء بالطين وأحكامه لا يخرججه عن حد الزاهدين وكذا في أيام الصيف عند اشتداد الحر واستضرار أولاده بالبيت الشتوي السفلي لعدم نفوذ الهواء البارد فيه ومن البراغيث في الليل المزعجات عن النوم وأنواع الحشرات فيه فلا يجوز حملهم على الزهد بأن يتركهم على هذه الحال بل عليه أن يبني لهم صيفياً علوياً لما روينا عن النبي عليه الصلاة والسلام: «من بنى بنياناً في غير ظلم ولا اعتداء أو غرس غراساً في غير ظلم ولا اعتداء كان له أجرأ جارياً ما انتفع به أحد من خلق الرحمن»

انتهى . وكتب بهلول على حائط من حيطان قصر عظيم بناه أخوه الخليفة هارون الرشيد يا هارون رفعت الطين ووضعت الدين رفعت الجص ووضعت النص إن كان من مالك فقد أسرفت إن الله لا يحب المسرفين وإن كان من مال غيرك ظلمت إن الله لا يحب الظالمين ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ [از پوست چهار پایان] جمع نعم بالفتح وهو مخصوص بالأنواع الأربعة التي هي الإبل والبقر والغنم والمعز ﴿بيوتا﴾ آخر مغايرة لبيوتكم المعهودة وهي الخيام والقباب والأخبية والفساطيط من الأنطاع والأدم . ﴿تستخفونها﴾ تجدونها خفيفة يخف عليكم نقضها وحملها ونقلها ﴿يوم ظعنكم﴾ أي : وقت ترحلكم وسفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ وقت نزولكم في الضرب والبناء . ﴿ومن أوصافها وأوبارها وأشعارها﴾ جمع صوف ووبر وشعر والكنائيات راجعة إلى الأنعام أي : وجعل لكم من أوصاف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز ﴿أثاناً﴾ أي : متاع البيت مما يلبس ويفرش ﴿ومتاعاً﴾ أي : شيئاً يتمتع به بفنون التمتع ﴿إلى حين﴾ إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة . قال الجاحظ : اتفقوا على أن الضأن أفضل من المعز بدليل الأضحية ويفضل المعز على الضأن لغزارة اللبن وثخانة الجلد وما نقص من ألية المعز يزيد في شحمه ولذلك قالوا زيادة المعز في بطنه ولما خلق الله جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ولما خلق الله جلد المعز ثخيناً قل شعره كذا في «حياة الحيوان» فالله تعالى خلق هذه الأنعام للانتفاع بجلودها ولحومها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ولا يجوز الانتفاع بشحوم الميته . وعن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة : «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام» ف قيل : يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال : «لا هو حرام» والاستصباح [جراغ فراكرفتن] وكما أن هذه الحيوانات وما يتبعها ينتفع بها الإنسان في سفره وحضره فكذا القوى الحيوانية والحواس الخمس ينتفع بها السالك في السير إلى الله فإنها مطية وفي وقت الوقفة للاستراحة والتربية فإنها مما لا بد منه لكونها من الأسباب المعينة ، قال الكمال الخجندی :

باكرم روى واقف اين راه چنين كفت آهسته كه اين ره بدويدن نتوان يافت

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيَكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ الْمُمِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق﴾ من غير صنع من قبلكم ﴿ظلالاً﴾ جمع ظل وهو ما يستظل به أي : أشياء تستظلون بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما أن تلك الديار غالبه الحرارة ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ [بوششها] جمع كن وهو ما يستكن فيه أي : مواضع تستكنون فيها من الكهوف والغيان والسروب . قال عطاء : إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم ألا ترى أنه تعالى قال : ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ وما جعل من السهولة أعظم منه ولكنهم كانوا أصحاب جبال ﴿وجعل لكم سراويل﴾ جمع سرايل وهو كل ما يلبس أي : جعل لكم ثياباً من القطن والكتان والصوف وغيرها ﴿تقيكم الحر﴾ [نكاه ميدارد

شمارا از ضرر کرما] ولم يذكر البرد لدلالته عليه لأنه نقيضه أو لأن وقايته هي الأهم عندهم لكون البرد سيراً محتملاً بخلاف الديار الرومية فإنها غالباً البرودة ولذا قيل: الحر يؤذي الرجل والبرد يقتله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره برد الربيع غير مضر لكن هذا في ديار العرب فإن في برد تلك الديار اعتدالاً بخلاف ديارنا وفي الحديث «اغتنموا برد الربيع فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم واجتنبوا برد الخريف فإنه يعمل بأبدانكم كما يعمل بأشجاركم»، وفي «المثنوي»:

آن خزان نزد خدا نفس وهواست	عقل وجان عین بهارست وبقااست
مر ترا عقلست جزوی درنهان	کامل العقلی بجواندر جهان
جزو تو از کل اوکلی شود	عقل کل بر نفس چون غلی شود
پس بتأویل این بود کانفاس پاک	چون بهارست و حیات برك تاك
از حدیث اولیا ترم ودرشت	تن میوشان زانکه دینت راست پشت
کرم کوید سرد کوید خوش بکیر	تاز کرم وسرد بجهی وازسعیر
کرم وسردش نوبهار زند کیست	مایه صدق ویقین بند کیست
زانکه زان بستان جانها زنده است	زین جواهر بحر دل آکنده است

﴿وسرايل﴾ ودروعاً من الحديد ﴿تقيكم بأسكم﴾ أي: البأس والألم الذي يصل إلى بعضكم من بعض في الحرب من الضرب والطنن. والبأس الشدة في الحرب والقتل والجراحة كما في «التبيان» وأول من عمل الدرع داود عليه السلام فإن الله تعالى ألان له الحديد كالشمع كما قال: ﴿وَأَنَّا لَهُ الْخَازِنَةُ﴾ [سبأ: ۱۰] وصحب لقمان داود شهوراً وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما أتمها لبسها وقال: نعم لبس الحرب أنت.

چو لقمان دید کاندرد دست داود	همی آهمن بمعجز موم کرد
نه پرسیدش چه میسازی که دانست	که بی پر سیدنش معلوم کرد

﴿كذلك﴾ كإتمام هذه النعم التي تقدمت ﴿يتم نعمته عليكم﴾ يا معشر قريش ﴿لعلكم تسلمون﴾ الإسلام ههنا بمعنى الاستسلام والانقياد وضع موضع سبيه وهو تنظرون وتتفكرون أي إرادة أن تنظروا فيما أسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والأنفسية والآفاقية فتعرفوا حق منعهما فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لأمره.

﴿فإن تولوا﴾ فعل ماض أي: فإن أعرضوا عن الإسلام ولم يقبلوا منك ما ألقى إليهم من البينات والعبير والعظات وفي صيغة التفعّل إشارة إلى أن الفطرة الأولى داعية إلى الإقبال على الله والإعراض لا يكون إلا بنوع تكلف ومعالجة ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: فلا قصور من جهتك لأن وظيفتك هي البلاغ الموضح أو الواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع المسبب عكس لعلكم تسلمون، قال الشيخ سعدی قدس سره:

ما نصيحت بجای خود کردیم	روزکاری درین بسر بردیم
کر نیاید بکوش رغبت کس	بر رسولان پیام باشد و بس
وقال:	

بکوی آنچه دانی سخن سودمند	وکر هیچ کس را نیاید پسند
که فردا پشیمان بر آرد خروش	که اوخ چراحق نکردم بکوش

﴿يعرفون﴾ أي: بعض المشركين ﴿نعمة الله﴾ المعدودة في هذه السورة ويعترفون أنها من الله ﴿ثم ينكرونها﴾ بأفعالهم حيث يعبدون غير منعمها أو بقولهم إنها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا ومعنى ثم استبعاد الإنكار بعد حصول المعرفة ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ أي: المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يعرفون نعمة الله﴾ بتعريفك ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ بك وبنعمة الله إظهاراً للقهر فمن وصل إليه النعمة من يد أحد فلا بد من الشكر فإنه الوساطة وإلا فقد تعرض لحرمان كثير من النعم الإلهية.

چو بیابی تو نعمتی درچند خرد باشد چو نقطه موهوم
شکر آن یافتہ فرو مگذار کہ زنا یافتہ شوی محروم
قال السري السقطي قدس سره: الشكر على ثلاثة أوجه: شكر القلب، وشكر البدن، وشكر اللسان. فشكر القلب أن يعرف العبد أن النعم كلها من الله تعالى. وشكر البدن أن لا يستعمل جارحة من جوارحه إلا في طاعة الله. وشكر اللسان دوام حمد الله.

- وروي - أن عيسى عليه السلام مرّ بغني فأخذ بيده فذهب به إلى فقير فقال: هذا أخوك في الإسلام وقد فضلك الله عليه بالسعة فاشكر الله على ذلك ثم أخذ بيد الفقير فذهب به إلى مريض فقال: إن كنت فقيراً فلست بمريض ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً فاشكر الله ثم ذهب بالمريض إلى كافر فقال: ما كنت تصنع لو كنت فقيراً مريضاً كافراً فاشكر الله فهداهم إلى الشكر بطريق المشاهدة ومقابلة حالهم بحال من سواهم ونبههم من الغفلة ليقبلوا على الشكر ويحترزوا عن الكفران.

واعلم أن الكفر بالله أشد من الكفر بنعمة الله لأن الأول لا يفارق الثاني بخلاف العكس لأن بعض الكفرة قد يكفر بنعمة الله ولا يكفر بالله فيجمع بين الإيمان بالله والكفر بنعمته ولذا قال الله تعالى عبارة ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وكنى إشارة عن أنه ما يؤمن أقلهم بالله إلا وهم موحدون وهم المؤمنون حقاً وصدقاً فأولئك هم المخلصون المفلحون.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (٨٤) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦)

﴿ويوم نبعث﴾ أي: اذكر يا أفضل الرسل يوم نحشر وهو يوم القيامة ﴿من كل أمة﴾ [ازمیان هر گروهی] ﴿شهاداً﴾ نبياً يشهد لهم بالإيمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الاعتذار إذ لا عذر لهم. والعذر في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت ولا أعود، وثم للدلالة على أن ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الإقنات الكلي وهو عندما يقال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون أشد من ابتلائهم بشهادة الأنبياء عليهم السلام فهي للتراخي الربوبي ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يسترضون أي: لا يقال لهم ارضوا ربكم ولا يطلب منهم ما يوجب العتبي وهي الرضى وذلك لأن الرضى إنما يكون بالإيمان والعمل الصالح والآخرة دار الجزاء لا دار العمل والتكليف

والدنيا مزرعة الآخرة فكل بذر فسد في الأرض وبطل استعداده لقبول التربة ولم يتم أمر نباته إذا حصد وحصل في البيدر لا يفيد أسباب التربية لتغيير أحواله فالأرواح بذور في أرض الأشباح ومربها ومنبتها وثمرها أعمال الشريعة بشرط الإيمان ومفسدها ومبطلها ومغيرها عن أحوالها الكفر وأعمال الطبيعة والموت حصاها والقيامة بيدرها، قال الحافظ:

كارى كنيم ورنه خجالت بر آورد روزيكه رخت جان بجهان ذكر كشم

﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿العذاب﴾ الذي يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم صاحوا وطلبوا من مالك تخفيف العذاب ﴿فلا يخفف عنهم﴾ ذلك العذاب بعد الدخول ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يمهلون قبله ليستريحوا [أي زمانى ايشانرا مهلت ندهند وبى عذاب نكذارند] فكل من وضع الكفر وأعمال الطبيعة موضع الإيمان وأعمال الشريعة فلا يخفف عنه أثقال الأخلاق الذميمة ولا يؤخر لتبديل مذمومها بمحمودها.

﴿وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ أو ثانهم التي عبدوها ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾ أي: آلهتنا التي جعلناها شركاء ﴿الذين كنا ندعو من دونك﴾ أي: نعبدهم متجاوزين عبادتك وهو اعتراف بأنهم كانوا مخطئين في ذلك والتماس بتوزيع العذاب بينهم ﴿فألقوا﴾ أي: شركاؤهم ﴿إليهم القول﴾ يقال: ألقيت إلى فلان كذا أي: قلت أي أنطقهم الله تعالى فأجابوهم بالتكذيب وقالوا لهم: ﴿إنكم﴾ أيها المشركون ﴿لكاذبون﴾ في ادعائكم أننا شركاء لله إذ ما أمرناكم بعبادتنا وكنا مشغولين بتسبيح الله وطاعته فارغين عنكم وعن أحوالكم كما قال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ [الإسراء: ٤٤].

﴿وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾

﴿وَأَلْقُوا﴾ أي: المشركون ﴿إلى الله يومئذٍ السلم﴾ الاستسلام والانقياد لحكمه بعد الاستكبار عنه في الدنيا:

چون کار ز دست رفت فریاد چه سود

﴿وضل عنهم﴾ أي: ضاع وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ من أن الله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرأوا منهم.

﴿الذين كفروا﴾ في أنفسهم ﴿وصدوا﴾ غيرهم ﴿عن سبيل الله﴾ بالمنع عن الإسلام والحمل على الكفر ﴿زدناهم عذاباً﴾ لصددهم ﴿فوق العذاب﴾ أي: كانوا يستحقونه بكفرهم. والمعنى بالفارسية [ببفزايم ايشانرا عذابى بر عذابى] ﴿بما كانوا يفسدون﴾ أي: زدنا عذابهم بسبب استمرارهم على الإفساد وهو الصد المذكور. قال ابن جبير في زيادة عذابهم هي عقارب أمثال البغال وحيات أمثال البخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حميتها أربعين خريفاً ويقال: يسألون الله تعالى ألف سنة المطر ليسكن ما بهم من شدة الحر فيظهر لهم سحابة فيظنون أنها تمطر فجعلت السحابة تمطر عليهم بالحيات والعقارب فيشتد ألمهم لأنه إذا جاء الشر من حيث يؤمل الخير كان أغم. وقال ابن عباس ومقاتل خمسة أنهار من صفر مذاب

كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثان على مقدار النهار، يعني: [پنج جوی از روی کداخته بطرف ایشان روان گردد و بسرجوی ازان معذب شوند در مقدار ساعات شبی از شبهای دنیا وبدو جوی دیگر در مدت اندازہ روزی از روزهای این جهان]. يقول الفقير لعل سر هذا العدد أن أركان الإسلام خمسة لا سيما أن الصلوات الخمس في تطهير الباطن كالأنهار الخمسة الجارية لتطهر الظاهر فلما أضاعوا هذه الأركان وما أقاموها بدل الله بها خمسة أنهار من الصفر المذاب ليعذبوا بها ولكل عمل جزاء وفاق.

﴿ويوم نبعث﴾ تكرير لما سبق تثنية للتهديد. ﴿في كل أمة﴾ [ويادكن اي محمد روزيرا كه برانكيزانيم درميان هر كروهي] ﴿شهيذا عليهم﴾ أي: نبياً ﴿من أنفسهم﴾ من جنسهم قطعاً لمعذرتهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم ولوط عليه السلام لما تأهل فيهم وسكن فيما بينهم كان منهم وفي قوله عليهم إشعار بأن شهادة أنبيائهم على الأمم تكون بمحضر منهم ﴿وجئنا بك﴾ [وبياريم ترا يا محمد] ﴿شهيذا على هؤلاء﴾ الأمم وشهادتهم كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١] ﴿ونزلنا عليك الكتاب﴾ الكامل في الكتابية الحقيق بأن يخص به اسم الجنس وهو القرآن العظيم ﴿تبياناً﴾ بياناً بليغاً ﴿لكل شيء﴾ يتعلق بأمور الدين ومن ذلك أحوال الأمم مع أنبيائهم. فإن قلت كيف هذا ومعلوم أن أكثر الأحكام غير مبنية في القرآن ولذلك اختلف العلماء فيها إلى قيام الساعة؟ قلت كونه تبياناً لكل شيء من أمور الدين باعتبار أن فيه نصاً على بعضها وإحالة لبعضها على السنة حيث أمر باتباع النبي ﷺ وطاعته وقيل فيه ﴿وَمَا يَطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣﴾ [النجم: ٣] وحثاً على الإجماع وقد رضي رسول الله ﷺ لأمره باتباع أصحابه حيث قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد اجتهدوا وقاسوا ووطأوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب ولم يضر ما في البعض من الخفاء في كونه تبياناً فإن المبالغة باعتبار الكمية دون الكيفية ﴿وهدي﴾ وكاملاً في الهداية من الضلالة ﴿ورحمة﴾ للعالمين فإن حرمان الكفرة من مغنم آثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب ﴿ويشري﴾ وبشارة بالجنة ﴿للمسلمين﴾ خاصة. وفيه إشارة إلى أن في الكتاب بيان كل شيء يحتاج إليه السالك في أثناء السلوك والسير إلى الله إلى أن يصل إلى أقصى مقام الكمال المقدر للإنسان وهذا الكتاب هاد يهدي إلى الله عباده برحمته وبشارة لمن أسلم وجهه لله وتاب النبي ﷺ بالوصول إلى مقام الكمال وحضرة الجلال وكما أن المنزل عليه هو الرسول والبيان من لسانه يؤخذ لا من لسان غيره فكذا الملهم عليه هو وارث الرسول والإرشاد من تربية غيره فمن أسلم أي: استسلم وانقاد لتربية الوسائط ولم يتحرك بشيء من عند نفسه كالميت على يد الغسال فقد هدى إلى طريق التطهر عن الادناس النفسانية ووصل إلى درجات العارفين، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقاً نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم
واعلم أن القرآن كاف لأهل الشريعة والحقيقة فمن مشى على ما صرح به وأشار فقد أمن من العثار ومن خرج عن العمل به واتبع نفسه وهواه فقد بعد عن الله وأسخط مولاه قال سهل بن عبد الله: أصول الدين على ركنين التمسك بكتاب الله والافتداء بسنة رسول الله. وعن أبي يزيد قدس سره ستة أشياء حصن الأعضاء السبعة: استعمال العلم، وحسن الأدب، ومحاسبة النفس، وحفظ اللسان، وكثرة العبادة، ومتابعة السنة. وقال جنيد البغدادي قدس

سره: مذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة. وقال علي رضي الله عنه: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر رسول الله ﷺ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠)

﴿إن الله يأمر﴾ في القرآن ﴿بالعدل﴾ بأن لا تظلموا أنفسكم وغيركم ولا تجوروا أي: بالتسوية في الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل حق إلى ذي حقه أو يأمر بمراعاة التوسط بين الأمور اعتقاداً كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر وكذا القول بأن الله لا يؤاخذ عبده المؤمن بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بأنه يخلده في النار بالمعاصي تشديد عظيم والعدل مذهب أهل السنة وعملاً كالتعبد بأداء الفرائض والواجبات المتوسطة بين البطالة والترهب وخلقاً كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والشجاعة المتوسطة بين التهور والجبن والواجب معرفة الوسط في كل شيء فإن القصد ممدوح والإفراط والتفريط مذمومان وقال ﷺ لمن سألته مستشيراً في الترهيب وصيام الدهر وقيام الليل كله بعد زجره إياه «إن لنفسك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً ولزورك عليك حقاً فصم وافطر وقم ونم» ولما رأى ﷺ عمر رضي الله عنه يقرأ رافعاً صوته فسأله فقال: أوقف الوسنان واطرد الشيطان قال عليه السلام: «اخفض من صوتك قليلاً» وأتى أبا بكر رضي الله عنه فوجده يقرأ خافضاً صوته فسأله فقال: قد أسمعت من ناجيت فقال عليه السلام له: «ارفع من صوتك قليلاً» ومثله الإمام فإنه لا يجهر فوق حاجة الناس ولا يخافت خافضاً صوته بحيث يشبه عليهم تلاوته فيراعى بين ذلك حداً وسطاً وإلا فهو مسيء.

وفي «التأويلات النجمية»: العدل صرف ما أعطاك الله من الآلات الجسمانية والروحانية ومن الأموال الدنيوية ومن شرائع الدين وأعماله في طلب الله والسير منك به إليه لأن صرفه في طلب غيره ظلم، قال الحافظ:

فدای دوست نکر دیم عمر و مال دریغ که کار عشق زما این قدر نمی آید

﴿والإحسان﴾ وأن تحسنوا الأعمال مطلقاً لقوله عليه السلام: «إن الله كتب الإحسان في كل شيء». وعن فضيل أنه قال: لو أحسن الرجل الإحسان كله وكان له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين.

- وروي - أن امرأة عذبت في هرة حبستها ولم تطعمها إلى أن ماتت. وامرأة رحمها الله وغفر لها بسبب أن سقت كلباً عطشان بخفها.

- وحكي - أن حضرة الشيخ الشبلي رحمه الله مر في بعض طرق بغداد بهرة ترعد من برد الهواء فأخذها وجعلها في كمه رحمة لها فكان ذلك سبب قبوله عند الله ووصوله إلى درجة الولاية ويدخل فيه العفو عن الجرائم والإحسان إلى من أساء:

هرکه سنکت دهد ثمر بخشش

والصبر على الأوامر والنواهي وأداء النوافل فإن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب وفي الحديث: «حسنوا نوافلكم فيها تكمل فرائضكم» وفي المرفوع «النافلة هدية المؤمن إلى ربه فليحسن أحدكم هديته وليطيبها» كما في «المقاصد الحسنة». وأيضاً الإحسان

هو المشاهدة كما قال عليه السلام: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك» وليست المشاهدة رؤية الصانع بالبصر وهو ظاهر بل المراد بها حالة تحصل عند الرسوخ في كمال الإعراض عما سوى الله وتمايم توجهه إلى حضرته بحيث لا يكون في لسانه وقلبه وهمه غير الله وسميت هذه الحالة المشاهدة لمشاهدة البصيرة إياه تعالى كما أشار إليها بعض العارفين بقوله:

خيالك في عيني وذكرك في فمي وحبك في قلبي فأين تغيب
كذا في «الرسالة الرومية».

وفي «التأويلات النجمية»: الإحسان أن تحسن إلى الخلق بما أعطاك الله وأراك سبيل الرشاد فترشدهم وتسلك بهم طريق الحق للوصول أو الوصال يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [الفصل: ٧٧] انتهى. وأيضاً العدل الإعراض عما سوى الله والإحسان الإقبال على الله ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ القربى بمعنى القرابة أي: أعطاه الأقارب ما يحتاجون إليه من المال والدعاء بالخير وهو داخل في الإحسان وإنما أفرد بالذكر إظهاراً لجلالة صلة الرحم وتنبيهاً على فضيلتها كقوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ﴾ [القدر: ٤] والرحم عام في كل رحم محرماً كان أو غير محررم وارثاً كان أو غير وارث من أولاد الأعمام والعلمات والأخوال والخالات وغير ذلك وقطع الرحم حرام موجب لسخط الله وانقطاع ملائكة الرحمة عن بيت القاطع والصلة واجبة باعثة على كثرة الرزق وزيادة العمر سريعة التأثير ومعناها التفقد بالزيارة والإهداء والإعانة بالقول والفعل وعدم النسيان وأقله التسليم وإرسال السلام أو المكتوب ولا توقيت فيها في الشرع بل العبرة بالعرف والعادة كما في «شرح الطريقة». قال الكاشفي: [در فصول عبد الوهاب فرموده كه عدل توحيد است ومحبت خدای وإحسان دوستی حضرت بیغمبر وفرستادن صلوات برو وإيتاء ذي القربى محبت أهل بيت است] ودعاء أصحابه رضي الله عنهم.

وفي «التأويلات النجمية»: أقرب القربى إليك نفسك فصلة رحمها أن تنجيها من المهالك وترجع بها إلى مالك الممالك ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ عن الذنوب المفرطة في القبح قولاً وفعلاً كالكذب والبهتان والاستهانة بالشرعية والزنى واللواط ونحوها.

وفي «التأويلات»: هي ما يحجبك عن الله ويقطعك عنه أياماً كان من مال أو ولد أو نحوهما فإنه لا أقبح من الانقطاع عن الله ومثله أسبابه فإن ما يجر إلى الأقبح أقبح والعياذ بالله تعالى ﴿والمنكر﴾ وعما تنكره النفوس الزاكية السليمة ولا ترتضيه كما في «بحر العلوم» أو هو الشرك أو مما لا يعرف في شريعة ولا سنة أو الإصرار على الذنب أو ما أسخط الله تعالى.

وفي «التأويلات»: ما ينكر به عليك من إضلال أهل الحق وإغوائهم وإحداث البدع وإثارة الفتن كما في أهالي هذا الزمان خصوصاً متصوفهم ﴿والبغي﴾ والظلم والاستيلاء على الناس والتطاول عليهم بلا سبب وتجسس عيوبهم وغيبتهم والظعن عليهم والتجاوز من الحق إلى الباطل ونحو ذلك.

وفي «التأويلات»: هو ما ثار من سورة صفات نفسك فيصيب الخلق منك ما يضرهم ويؤذيهم [وآثراً بقوت رياضت ببايد شكست تا قواعد سلوك درستی يابد زيرا بحكم اعدى عدوك بدترین دشمن نفس است]:

این سک نفس شوم و بد کاره که دراغوش تست همواره

بدترین قاصدبست جان ترا می خورد مغز استخوان ترا
بیشتر کرترا ببندد جست محکمش بندکن که دشمن تست

[در لطائف التقرير در تفسير اين آيت آورده كه استقامت مالك بسه چيز بود واضطراب اين بسه چيز منهی عنه وهريك ازينها ثمره پس ثمره عدل نصر تست ونتيجة إحسان ثنا ومدحست وفائدة صلة رحم انس والفت اما نتيجة فحشاء فساددين وثمره منكر برانكيجتن اعدا وحاصل بغی محروم ماندن ازمتنبي] ﴿يَعْظُمُكُمْ﴾ [بند ميدهد خدای تعالی شمارا] يعني بأمر هذه المستحسّنات ونهي هذه المستقبّحات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ طلباً لأن تتعظّوا فتأمروا بالأمر وتنتهوا بالنهي. وقد أمر الله تعالى في هذه الآية بثلاثة أشياء ونهى عن ثلاثة أشياء وجمع في هذه الأشياء الستة علم الأولين والآخرين وجميع الخصال المحمودة والمذمومة ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر ولذا يقرأها كل خطيب على المنبر في آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهي كما في «المدارك» وحين أسقطت من الخطب لعنة اللّاعنين لعلي أمير المؤمنين رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها كما في «بحر العلوم». وقال الإمام السيوطي في «كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل»: أول من قرأ في آخر الخطبة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ الخ عمر بن عبد العزيز ولزمها الخطباء إلى عصرنا هذا تولى عمر الخلافة سنة تسع وتسعين ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر وكان صاحب المائة الأولى بالإجماع. وكان ﷺ يقرأ «ق» أي: في آخر الخطبة. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ إذا الشمس كورت إلى قوله ما أحضرت. وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يقرأ آخر سورة النساء يستفتونك الآية. وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقرأ الكافرون والإخلاص ذكر ذلك ابن الصلاح. يقول الفقير انظر إن كلاً منهم اختار ما يناسب الحال والمقام بحسب اختلاف الزمان وإلا لكفى لهم الاقتداء بالنبي عليه السلام في تلاوة سورة «ق» ومنه يعرف استحباب الترضية والتصلية فإنها كانت بحسب المصلحة المقتضية لها وهي رد الروافض ومن يتبعهم في البغض ولا شك أن مثل ذلك من مهمات الدين فليس هذا بمنكر وإنما المنكر ترجيعات المؤذنين ولحون الأئمة والخطباء بحيث يحرفون الكلم عن مواضعه رعاية للنعما والمقامات الموسيقية نعم قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره إذا كان الذكر بنعمة لذيدة فله في النفس أثر كما للصورة الحسنة في النظر. وأول من قرأ في الخطبة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] الآية، المهدي العباسي وعليه العمل في هذا الزمان أي: في الخطب المطولة وأما في الخطب المختصرة لبعض العارفين فليس ذلك فيه لكن المؤذن يقرأه عند خروج الخطيب. والأحوط في هذا الزمان أن يقرأ عنده ما اختاره حضرة الشيخ وفا قدس سره وهو عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «إذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة والإمام يخطب فقد لغوت» فاستمعوا وأنصتوا رحمكم الله وذلك لأن أكثر المؤذنين اعتادوا في الآية المذكورة ما يخرجها عن القرآنية من اللحن الفاحش ولنبك على غربة الدين ووحشة أهل اليقين وظهور البدع بين المسلمين.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿وَأوفوا﴾ أي: استمروا على الإيفاء وهو بالفارسية [وفا کردن] قال الكاشفي: [نزول آیت در شان جمعیت است که با حضرت رسالت ﷺ در مکه عهد بستند و غلبه قریش و ضعف مسلمانان مشاهده کرده جزع و اضطراب در ایشان بدید آمد شیطان خواست که ایشانرا بفربید تا نقض عهد پیغمبر کنند حق سبحانه و تعالی بدین آیت ایشانرا ثابت قدم کردانید و فرموده که وفا کنید] ﴿بعهد الله﴾ وهو البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام فإنها مبايعة لله تعالى لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ۱۰] لأن الرسول فان في الله باق بالله وفي الحديث «الحجر الأسود يمين الله في أرضه فمن لم يدرك بيعة رسول الله فمسح الحجر فقد بايع الله ورسوله» والمبايعة من جهة الرسول هو الوعد بالثواب ومن جهة الآخر التزام طاعته وسميت المعاهدة مبايعة تشبيهاً بالمعاضة المالية ثم هو عام لكل عهد يلتزمه الإنسان باختياره لأن خصوص السبب لا ينافي عموم الحكم ﴿إذا عاهدتم﴾ إذا عاقدتم وواثقتم والعهد العقد والميثاق ﴿ولا تنقضوا الأيمان﴾ التي تحلفون بها عند المعاهدة أي: لا تحثوا في الحلف ﴿بعد توكيدها﴾ حسبما هو المعهود في أثناء العهود أي: توثيقها بذكر الله وتشديدها باسمه كما في «بحر العلوم». وقال سعدى المفتي: الظاهر أن المراد بالأيمان الأشياء المحلوف عليها كما في قوله عليه السلام: «من حلف على يمين» الخ لأنه لو كان المراد باليمين ذكر اسم الله فهو غير التأكيد لا المؤكد فتأمل ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ شاهداً رقيباً فإن الكفيل من يراعى لحال المكفول به محافظة عليه ﴿إن الله يعلم ما تفلون﴾ من نقض الأيمان والعهود فيجازيكم على ذلك.

واعلم أن الوفاء تأدية ما أوجبت على نفسك إما بالقبول أو بالنذر. وعن بعض المتكلمين إذا رأيتم الرجل أعطي من الكرامات حتى يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في حفظ الحدود والوفاء بالعهود ومتابعة الشريعة. قيل لحكيم: أي شيء أعمل حتى أموت مسلماً؟ قال: لا تصحب مع الله إلا بالموافقة ولا مع الخلق إلا بالمناصحة ولا مع النفس إلا بالمخالفة ولا مع الشيطان إلا بالعداوة ولا مع الدين إلا بالوفاء.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَأوفوا بعهد الله﴾ بائتمار أوامر الله وانتهاء نواهيهِ ﴿إذا عاهدتم﴾ مع الله يوم الميثاق ﴿ولا تنقضوا الأيمان﴾ مع الله ﴿بعد توكيدها﴾ وهو إشهادكم على أنفسكم وقولكم بلى شهدنا ﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾ بجزاء وفائكم وهو تكفل منكم بالوفاء بما عهد معكم على الجزاء كما قال ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ۴۰] وتفصيل الوفاء من الله والعبد ما شرح النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه فقال: «هل تدري يا معاذ ما حق الله على الناس» قال: قلت: الله أعلم ورسوله قال: «حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» أي: يطلبوه بالعبادة ولا يطلبوا معه غيره ثم قال: «أتدري يا معاذ ما حق الناس على الله إذا فعلوا ذلك» قال: قلت: الله ورسوله اعلم قال: «فإن حق الناس على الله أن لا يعذبهم» يعني بعذاب الفراق والقطيعة بل يشرفهم بالوجدان والوصال كما قال: «ألا من طلبني وجدني» وفي «المنوي»:

ما درین دهلیز قاضی قضا	بهر دعوی الستیم و بلی
چون بلی کفتم آنرا ز امتحان	فعل وقول ما شهوداست و بیان
از چه در دهلیز قاضی تن زدیم	نی که ما بهر کواهی آمدم

تاکه ندهی آن کواهی ای شهید توازین دهلیزکی خواهی رهید
 فعل وقول آمد کواهان ضمیر هردو پیدایی کند سر ستیر
 جرعه برخاک وفا آنکس که ریخت کی تواند صید دولت زوگریخت
 پس پیمبر گفت بهر این طریق باوفا تر از عمل نبود رفیق
 کربود نیکی ابد یارت شود وربود بد در لحد مارت شود

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ إِمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢)

﴿ولا تكونوا﴾ أيها المؤمنون في نقض العهد ﴿كالتي﴾ كالمرأة التي ﴿نقضت﴾ النقض في البناء والحبلى وغيره ضد الإبرام كما في «القاموس». وبالفارسية [شکستن پیمان وپشم بازکردن یارپسمان] ﴿غزلها﴾ الغزل [ریسمان رستن] وهو ههنا مصدر بمعنى المغزول أي: ما غزلته من صوف وغيره ﴿من بعد قوة﴾ متعلق بنقضت أي: من بعد إبرام ذلك الغزل وأحكامه فجعلته ﴿أنكاثا﴾ حال من غزلها جمع نكث بمعنى المنكوث وهو كل ما ينكث فتله أي: يحل غزلاً كان أو حبلاً. والمعنى طاقات نكثت فتلها والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه حال الناقض بمثل هذه المرأة المعتوهة من غير تعيين إذ لا يلزم في التشبيه أن يكون للمشبه به وجود في الخارج. وقال الكلبي ومقاتل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية المكية وكانت خرقاء موسوسة اتخذت مغزلاً قدر ذراع وسنارة مثل أصبع وهي بالكسر الحديدية في رأس المغزل وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هي وجواربها من الغداة إلى نصف النهار تأمرهن بنقض جميع ما غزلن. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى تشبيه ميفرمايد شكستن عهد را به پاره کردن رسن وميفر ما يدكه چنانچه آن زن حمقا رسن تاب داده خود را ضایع میکند مردم عاقل بایدكه هر رشته خودبسر انكشت نقض پاره نكند تابحكم ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] جزاء وفاياید]:

کرت هوواست که دلدار نکسلد پیمان نكاه دار سر رشته تا نکهدارد
 ﴿تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم﴾ حال من الضمير في لا تكونوا أي: مشابهين بامرأة شأنها هذا حال كونكم متخذين إيمانكم مفسدة ودخلاً بينكم وأصل الدخّل ما يدخل في الشيء ولم يكن منه ﴿أن تكون أمة﴾ أي: بسبب أن تكون جماعة قريش ﴿هي أربى من أمة﴾ أزيد عدد وأوفر مالاً من جماعة المؤمنين وهذا نهى لمن يحالف قوماً فإن وجد أيسر منهم وأكثر ترك من حالف وذهب إليه. ومحل هي أربى من أمة نصب خبر كان. وفي «المدارك» هي أربى مبتدأ وخبر في موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل يكون وهي تامة ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي: بأن تكون أمة هي أربى من أمة أي: يعاملكم بذلك معاملة من يختبركم لينظر أئتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال والطبي وإن كان واحداً فهو خير من قطيع الخنزير والسواد الأعظم هو الواحد على الحق ويقال: سمي الدجال دجالاً لأنه يغطي الأرض بكثرة جموعه ولا يلزم منه كونه على الحق وأفضل من في الأرض يومئذ لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال بل إلى القلوب

والأعمال فإذا كانت للناس قلوب وأعمال صالحة يكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لهم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا، قال الشيخ سعدى قدس سره:

ره راست باید نه بالای راست که کافرهم از روی صورت جو ماست
﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا إذا جازاكم على أعمالكم
بالثواب والعقاب وهو إنذار وتخويف من مخالفة ملة الإسلام ودين الحق فإنها مؤدية إلى
العذاب الأبدي.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦)

﴿ولو شاء الله﴾ مشيئة قسر وإلجاء. ﴿لجعلكم أمة واحدة﴾ متفقة على الإسلام ﴿ولكن﴾
لا يشاء ذلك لكونه مزاحماً لقضية الحكمة بل ﴿يضل من يشاء﴾ إضلاله أي: يخلق فيه الضلال
حسبما يصرف اختياره الجزئي إليه ﴿ويهدي من يشاء﴾ هدايته حسبما يصرف اختياره إلى
تحصيلها فالإضلال والهداية مبنيان على الاختيار. وفيه سر عظيم لا يعرفه إلا الأخيار ﴿و﴾
بالله ﴿لتسألن﴾ جميعاً يوم القيامة سؤال تبيكت ومجازاة لا سؤال تفهم ﴿عما كنتم تعملون﴾ في
الدنيا من الوفاء والنقض ونحوهما فتجزون به.

واعلم أن العهود مواطنها لكثيرة ومن العهود الحق ما يجري بين المريدين الصادقين
والشيوخ الكاملين من البيعة وهي لازمة حتى يلقوا الله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى المريد الذي تعلق بذيل إرادة صاحب ولاية من المشايخ وعاهده
على صدق الطلب والثبات عليه عند مقاساة شدائد المجاهدات والتصبر على مخالفات النفس
والهوى وملازمات الصحبة والانقياد للخدمة والتحمل على الإخوان وحفظ الأدب معهم ففي
أثناء تحمل هذه المشاق تسأم نفسه وتضعف عن حمل هذه الأثقال فينقض عهده ويفسخ عزمه
ويرجع قهقري ثم يتخذ ما كان أسباب طلب الله من الإرادة والمجاهدة ولبس الخرقة وملازمة
الصحبة والخدمة والفتوحات التي فتح الله له في أثناء الطلب والسير آلات طلب الدنيا وأدوات
تحصيل شهوات نفسه بالتصنع والمرأة والسمعة ابتلاء من الله إظهاراً للعزة إذا عظمت النفس
وشهواتها في نظر النفس وأعرضت عن الله في طلبها فمثل هذا حسبه جهنم البعد والقطيعة.
قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره هنا رجل ابن ابن المولى جلال يقال له ديوانه چلبي
يأكل ويشرب ويستغل بالشهوات ويزعم أن له نظراً إلى الحقيقة من المظاهر حفظنا الله تعالى من
الإلحاد ففي حالة الاحتضار استغفر وقال: يا حسرتاً لم أعرف الطريق ويرجى أن يعفى لسبق ندامته
وكان له كشوف سفلية وقطع بخطوة واحدة سبعين خطوة وأكثر ولكن الكشف السفلية مثلها مما
كان في مرتبة الطبيعة غير مقبولة بل هي من الشيطان وعوام الناس يعدون أصحاب أمثال هذه
الكشوف الشيطانية الأقطاب بل الغوث الأعظم لكونهم على الجهل الجمادي لا يميزون بين الخير
والشر ولصعوبة هذا الأمر قال المولى الجامي قدس سره في بعض رباعياته:

در مسجد و خانقه بسی کریدم بس شیخ و مریدرا که پابوسیدم

نه یکساعت از هستی خود رستم نه آنکه ز خویش رسته باشد دیدم

اللهم اعصمنا من الدعوى واجعلنا من أهل التقوى.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ مكرراً وغدراً ﴿فتزل﴾ [يلغزد] نصب في جواب النهي ﴿قدم﴾ أي: أقدامكم أيها المؤمنون عن محجة الحق ﴿بعد ثبوتها﴾ عليها ورسوخها فيها بالإيمان وإفراد القدم وتنكيرها للإيذان بأن زلل قدم واحدة أي قدم كانت عزت أو هانت محذور عظيم فكيف بأقدام كثيرة ﴿وتذوقوا السوء﴾ أي: العذاب الدنيوي ﴿بما صددتم﴾ بصدودكم وخروجكم أو بصدكم ومنعكم غيركم ﴿عن سبيل الله﴾ الذي ينتظم الوفاء بالعهود والإيمان فإن من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغیره ﴿ولكم﴾ في الآخرة ﴿عذاب عظيم﴾ شديد.

﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ أي: لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة رسوله ﴿ثمنًا قليلاً﴾ أي: لا تستبدلوا بها عوضاً يسيراً وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد من حطام الدنيا ﴿إن ما عند الله﴾ من النصر والتغنيـم في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿هو خير لكم﴾ مما يعدونكم ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي: إن كنتم من أهل العلم والتمييز.

﴿ما عندكم﴾ من أعراض الدنيا وإن كثرت ﴿ينفد﴾ يفنى وينقضي ﴿وما عند الله﴾ من أنواع رحمة المخزونة ﴿باق﴾ لا نفاذ له وهو حجة على الجهمية لأنهم يقولون بأن نعيم الجنة يتناهى وينقطع ﴿ولنجزيـن﴾ أي: والله لنعطين ﴿الذين صبروا﴾ على أذية المشركين ومشاق الإسلام التي من جملتها الوفاء بالعهود والفقر ﴿أجرهم﴾ الخاص بهم بمقابلة صبرهم على الأمور المذكورة وهو مفعول ثانٍ لنجزيـن ﴿بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي: لنجزيـنهم بما كانوا يعملونه من الصبر المذكور وإنما أضيف إليه الأحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله تعالى: ﴿وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨] فقد علم من الآيات أن للوفاء بالعهد والثبات على الإيمان والصبر على المشاق ثمرات دنيوية وأخرية. فعلى العاقل أن لا ينقض المعاهدة التي بينه وبين الله وكذا بين العلماء العاملين والصلحاء الكاملين. وعن بعض أهل العلم كنت بالمصيصة فإذا برجلين يتكلمان في الخلوة مع الله تعالى فلما أرادا أن ينصرفا قال أحدهما للآخر: تعال نجعل لهذا العلم ثمرة ولا يكون حجة علينا فقال له اعزم على ما شئت فقال: أن لا أكل ما لمخلوق فيه صنع قال: فتبعتهما وقلت: أنا معكما فقالا: على الشرط قلت: على أي شرط شرطتما فصعدا جبل لكam ودلاني على كهف وقالوا: تعبد فيه فدخلت فيه وجعل كل واحد يأتيـني بما قسم الله تعالى وبقيت مدة ثم قلت: إلى متى أقيم ههنا أنا أسير إلى طرطوس وآكل من الحلال وأعلم الناس العلم وأقرئ القرآن فخرجت ودخلت طرطوس وأقيمت بها سنة فإذا أنا برجل منهما قد وقف عليّ وقال: يا فلان خنت في عهدك ونقضت الميثاق ألا إنك لو صبرت كما صبرنا لوهب لك ما وهب لنا قلت: ما الذي وهب لكما؟ قال: ثلاثة أشياء: طي الأرض من المشرق إلى المغرب بـقدم واحد والمشـي على الماء والحـجة إذا شئنا ثم احتجب عني ففي هذه الحكاية ما يغني العاقل عن التصريح فانظر إلى ذلك العالم كيف اختار ما عند

الناس فحرم مما عند الله من الكرامات والكفالات وذلك أن نقض العهد بسبب عرض دينوي في صورة أمر ديني فإن التعليم وإقراء الناس وإن كان من الأمور الأخروية ألا أنه لا بد لطالب الحق حين تخليه وانقطاعه من التجرد عن كل اسم ورسم وصورة، فإن قيل:

منصب تعلیم نوع شهوتیست

وما يعقل هذا المقام إلا العالمون وفي «المتنوي»:

کرنبودی امتحان هر بدی هر مخنث دروغا رستم بدی

خود مخنث را زره بوشیده کیر چون به بیند زحم گردد چون اسیر

ونعم ما قيل وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان فمن زل عند الامتحان فقد افتضح وذاق وجع القطيعة والفراق وما له من خلاق ومن ثبت وصبر وافتكر العاقبة ظفر بالمراد وجوزي جزاء لا يعلمه إلا رب العباد فإنه أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧)

﴿من﴾ [هرکه] [عمل] [بکند] ﴿صالحاً﴾ أي: عملاً صالحاً أي: عمل كان وهو ما كان لوجه الله تعالى ورضاه ليس فيه هوى ولا رياء والفرق بينهما أن الهوى بالنسبة إلى النفس والرياء بالنسبة إلى الخلق ﴿من ذكر أو أنى﴾ أي: حال كون ذلك العامل من رجل أو امرأة بينه بالانوعين ليعمهما الوعد الآتي ولا يتوهم التخصيص بالذكر بناء على كثرة استعمال لفظ من فيهم وأن الإناث لا يدخلن في أكثر الأحكام والمحاورات إلا بطريق التغليب أو التبعية ﴿وهو﴾ أي: والحال أن ذلك العامل. ﴿مؤمن﴾ قيده به إذ لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاق الثواب وإنما المتوقع عليها تخفيف العذاب كما قال النبي ﷺ: «إن الله تعالى يأمر بالكافر السخي إلى جهنم فيقول لمالك خازن جهنم عذبه وخفف عنه العذاب على قدر سخائه الذي كان في دار الدنيا» كما في «تفسير السمرقندي» ويؤيده ما قيل إنه لما عرج النبي ﷺ اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال جبرائيل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده كما في «أنيس الوحدة». ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ في الدنيا يعيش عيشاً طيباً لأنه إن كان موسراً فظاهر وإن كان معسراً فيطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الأجر العظيم في الآخرة كالصائم يطيب نهاره بملاحظة نعيم ليله بخلاف الفاجر فإنه إن كان معسراً فظاهر وإن كان موسراً فلا يدعه الحرص وخوف الفوت أن يتهنأ بعيشه ﴿ولنجزيهم أجورهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ أي: ولنعطينهم في الآخرة أجورهم الخاص بهم بما كانوا يعملون من الصالحات وإنما أضيف إليه الأحسن للإشعار بكمال حسنه كما سبق في حق الصابرين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالذكر إلى القلب وبالأنى إلى النفس فالعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة بتقوى الله وصدقه على وفق الطريقة تزكية عن صفاتها الذميمة وأفعالها الطبيعية والعمل الصالح من القلب حسن توجهه إلى الله بالكلية لطلب الله والإعراض عما سواه تصفية للتحلية بصفات الله والتخلق بأخلاقه وبقوله: ﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ يشير إلى

إحياء كل واحد منهما بالحياة الطيبة على قدر صلاحية عمله وحسن استعداد في قبولها فإحياء النفس بالحياة الطيبة أن تصير مزاكاة عن صفاتها متحلية بأخلاق القلب الروحاني مطمئنة بذكر الله راجعة إلى ربها راضية مرضية وإحياء القلب بالحياة الطيبة أن يصير متخلقاً بأخلاق الله ويكون فانياً عن أنانيته بهويته حياً بحياته طيباً عن دنس الإثنية ولو ث الحدوث فإن الله طيب عن هذه الأوصاف فلا يقبل إلا طيباً. ثم اعلم أن صلاحية أعمال العباد إنما تكون على قدر صدقهم في المعاملات وحسن استعدادهم في قبول الفيض الإلهي فيكون طيب حياتهم باحياء الله إياهم بحسب ذلك ولنجزينهم في الآخرة أجر كل طائفة منهم بأوفر ما كانوا يظنون أن يجازيهم الله على أعمالهم بياته قوله: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُصَنِّعْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠] وعن بعض أصحاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال لما مات أحمد: رأيته في المنام وهو يمشي ويتبختر في مشيه فقلت له: يا أخي أي: مشية هذه؟ قال: مشية الخدام في دار السلام فقلت له: ما فعل الله بك قال: غفر لي وألبسني نعلين من ذهب وقال: هذا جزاء قولك القرآن كلام الله المنزل غير مخلوق وقال: يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فإذا سفيان الثوري رحمه الله له جناحان أخضران يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقرأ هذه الآية ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤] فقلت له: أي شيء خبر عبد الواحد الوراق رحمه الله قال: تركته في بحر من النور يراد به الملك الغفور فقلت: ما فعل بشر بن الحارث رحمه الله فقال: بخ بخ ومن مثل بشر تركته بين يدي الجليل والجليل سبحانه مقبل عليه وهو يقول كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وتنعم يا من لم يتنعم. وقال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي رحمه الله في المنام بعد وفاته وعليه ثياب بيض وعلى رأسه تاج فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة قلت: والتاج قال عز العلم فعلم من هذا المذكور أن من عمل صالحاً لا بد أن يصل إليه جزاء عمله وأن الجزاء من جنس العمل وأنه يختلف بحسب اختلاف حال العامل. فعلى العاقل المبادرة إلى الأعمال الصالحة والصبر على مشاق الطاعات إلى أن يجيء وعد الله تعالى قال الحافظ:

صبركن حافظ بسختى روزوشب عاقبت روزى بياى كام را

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ لَمِنَ الْوَحِيدِ﴾ (٩٨) ﴿إِنَّهُمْ لَكَا سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءٰمَنُوا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩) ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُهُمُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهٖ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٠)

﴿فإذا قرأت القرآن﴾ أي: أردت قراءته عبر عن الإرادة بالقراءة على طريقة إطلاق اسم المسبب على السبب إيذاناً بأن المراد هي الإرادة المتصلة بالقراءة ﴿فاستعذ بالله﴾ أي: فأسأله تعالى أن يعيدك ويحفظك ﴿من الشيطان﴾ البعيد عن الخير ﴿الرجيم﴾ المرجوم بالطرد واللعن أي: من وساوسه وخطراته كيلا يوسوسك عند القرآن فإن ناصية كل مخلوق بيده أو قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو المختار من الروايات الأربع عشرة الواردة في ألفاظ الاستعاذة كما في تفسير خواجه پارسا قدس سره.

﴿إنه﴾ أي: الشيطان أو الشان ﴿ليس له سلطان﴾ تسلط وولاية ﴿على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ على أولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فإن وسوسته لا تؤثر فيهم لما أمر

القارئ بأن يسأل الله تعالى أن يعيذه من وساوسه وتوهم منه أن له تسلطاً وولاية على إغواء بني آدم كلهم بين الله تعالى أن لا تسلط له على المؤمنين المتوكلين فقلوه إنه الخ في معرض التعليل للأمر بالاستعاذة وإشارة إلى أن مجرد القول لا ينفع بل لا بد لمن أراد أن لا يكون للشیطان سبيل عليه أن يجمع بين الإيمان والتوكل .

﴿إنما سلطانه﴾ أي: تسلطه وغلبته بدعوته المستتعبة للاستجابة لا سلطانه بالقسر والإلجاء فإنه منتف عن الفريقين لقوله تعالى حكاية عنه ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وقد أفصح عنه قوله تعالى: ﴿على الذين يتولونه﴾ أي: يتخذونه ولياً ويستجيبون دعوته ويطيعونه فإن المقسور بمعزل عن ذلك كذا في «الإرشاد» وهو جواب عما قال السمرقندي في تفسيره من أن في بناء الكلام على الحصر والاختصاص رداً للشیطان في قوله للكفرة في جهنم ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وتكديماً له انتهى ﴿والذين هم به﴾ سبحانه وتعالى ﴿مشركون﴾ مثبتون الشريك في الألوهية أو بسبب الشيطان إذ هو الذي حملهم على الإشراك بالله .

قال في «التأويلات النجمية»: الخطاب في هذه الآية مع الأمة وإن خص النبي ﷺ لأن الشيطان كان يفر من ظل عمر رضي الله عنه وهو أحد تابعيه فكيف يقدر على أن يدور إليه سيما أسلم شيطانه على يده ﷺ يدل عليه قوله: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يعني سلطان نور الإيمان والتوكل غالب على سلطان وسوسة الشيطان فإذا كان هذا حال الأمة مع الشيطان فكيف يكون حال النبوة معه فثبت أن المراد بالخطاب الأمة وإنما خص النبي ﷺ به لتعتبر الأمة وتتنبه أن مثل النبي ﷺ مهما يكن مأموراً بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فتكون الأمة بها أولى وأحق . قال بعضهم: المراد كل شيطان أو القرين فقط الظاهر أنه في حقنا القرين قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦] وفي حق رسول الله ﷺ إبليس أما نحن فلأن الإنسان لا يؤذيه من الشياطين إلا ما قرن به وما بعد فلا يضره شيئاً والعاقلة لا يستعيز ممن لا يؤذيه وأما الرسول ﷺ فإن قرينه لما أسلم تعين أن يكون الاستعاذة من إبليس أو أكابر جنوده وتخصيص الاستعاذة بالله عند قراءة القرآن من الشيطان الرجيم لمعان وفوائد أولها كي يتذكر القارئ واقعة الشيطان ويتفكر في أمره أنه إنما صار شيطاناً رجيماً بعد أن كان ملكاً كريماً لأنه فسق عن أمر ربه وخالفه وأبى أن يسجد لآدم واستكبر وكان من الكافرين أي: فصار من الكافرين فيتنبه بذلك عند قراءة القرآن ويصفي نيته قبل القراءة على أن يأتمر بما أمره الله في القرآن وينتهي عما نهاه عنه احترازاً عن المخالفة فإن فيها الطرد واللعن والرجم والفسق والكفر وأنها مظنة للخلود في النار وثانيها لأن العبد لا يخلو من حديث النفس وهواجسها ومن إلقاء الشيطان ووساوسه وقلبه لا بد يتشوش بذلك فلا يجد حلاوة كلام الله فأمراً بالاستعاذة وتركيبته للنفس عن هواجسها وتصفيته للقلب عن وساوس الشيطان ليتجلى بنور القرآن فإن التجلية تكون بعد التزكية والتصفية وثالثها لأن في كل كلمة من كلمات القرآن لله تعالى إشارات ومعاني وحقائق لا يفهمها إلا قلب مطهر عن تلوثات الهواجس والوساوس معطر بطيب أنفاس الحق وذلك مودع في الاستعاذة بالله فأمراً بها لحصول الفهم .

- وروى - جبير بن مطعم قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلي فقال: «الله أكبر كبيراً والحمد

الله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه» قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة يعني الجنون. وفي قوله: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾ الآية إشارة إلى أن تصرف الشيطان وقدرته بالإغواء والاضلال على الإنسان إنما ينقطع بقدر نور الإيمان وقوة التوكل فمهما يكمل الإيمان والتوكل يكون المؤمن زاهداً عن الدنيا راغباً في الآخرة متبتلاً إلى الله تعالى فلا يبقى للشيطان عليه سلطان في إضلاله وإغوائه ولكن يؤول أمره إلى الوسوسة وفيها صلاح المؤمن فإن إبريز إخلاص قلبه عن غش صفات نفسه لا يتخلص إلا بنار وسوسة الشيطان لأنه يطلع على بقايا صفات نفسه بما تكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة ومجاهدة النفس وملازمة الذكر فيها تنقص وتنمحي بقية صفات النفس ويزداد نور الإيمان وقوة التوكل وقربة الحق وقبوله. وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ قال: «إن إبليس قال: يا رب قلت في كتابك إن عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نور وجهه من عرشي وطينه من طين إبراهيم ومحمد عليهما السلام وقلبه خزينتي قال إبليس فمن هم؟ فقال تعالى: من كان نادماً على ذنبه وخائفاً من خاتمته فنور وجهه من نور عرشي ومن كان يطعم الطعام ويرحم العباد فطينه من طينهما ومن كان راضياً بحكمي مسارعاً إلى ابتغاء مرضاتي فقلبه خزينتي». وفي الخبر: «إذا لعن المؤمن شيطاناً يقول: لعنت لعيناً وإذا قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يقول قصم ظهري لأنه يحيل إلى القادر». وفي الخبر «من استعاذ بالله في اليوم عشر مرات من الشيطان وكل الله به ملكاً يرد عنه الشياطين»، قال الحافظ:

درراه عشق وسوسه اهرمن بسيست هـش دار وكوش دل بپیام سروش كن
واعلم أن الاستعاذة واجبة على كل من شرع في قراءة القرآن سواء بدأ من أوائل السور أو من أجزائها مطلقاً وإن أراد به افتتاح الكتب أو الدرس كما يقرأ التلميذ على الأستاذ لا يتعوذ كذا في «أنوار المشارق» والوجوب مذهب الجمهور كما في «الإرشاد»، وقال الفناري في تفسير الفاتحة والاستعاذة غير واجبة عند الجمهور والأمر في فاستعذ للندب انتهى. وقال الكاشفي في تفسيره: [وأمر باستعاذة قبل از قراءت بقول جمهور أمر استحبابست وباختيار جمعي از كبرا برسبيل ايجاب. در تفسير قرطبي قولي هست كه استعاذه برحضرت رسول الله ﷺ تنها فرض بوده بوقت قراءت واقتداء امت برو برسبيل سنت است] انتهى. والتعوذ في الصلاة ينبغي أن يكون واجباً لظاهر الأمر إلا أن السلف أجمعوا على سنته كما في «الكافي». قال القرطبي: أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله يتعوذان في الركعة الأولى في الصلاة ويريان قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة كما في «حواشي» سعدى المفتي. والغرض نفي الوسوسة في التلاوة فشرع لافتتاح القراءة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: إن التعوذ تطهير الفم عن الكذب والغيبة والبهتان تعظيماً لقراءة القرآن:

زبان آمد از بهر شكر وسپاس بغیبت نكرداندش حق شناس
﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفَوِّضٌ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ قال سلطان المفسرين ترجمان القرآن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية فيها شدة أخذ الناس بها وعملوا ما شاء الله أن يعملوا فيشق ذلك عليهم فينسخ الله هذه الشدة ويأتيهم بما هو ألين منهما وأهون عليهم رحمة من الله تعالى فيقول لهم كفار قريش: إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ويأتيهم بما هو أهون عليهم وما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه. والمعنى: إذا أنزلنا آية من القرآن مكان آية منه وجعلناها بدلاً منها بأن نسخناها ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ جملة معترضة بين الشرط وجوابه وهو قالوا لتوبيخ الكفرة على قولهم والتنبيه على فساد سندهم أي: اعلم بما ينزل أولاً وآخرأ من الأحكام والشرائع التي هي مصالح ورب شيء يكون مصلحة في وقت يكون مفسدة في وقت آخر فينسخه ويثبت مكانه ما يكون مصلحة لخلقهم ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفرة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ على الله متقول من عند نفسك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أمر بأشياء نظراً لصلاح عباده وأقلهم يعلم الحكمة في النسخ ولكن ينكر عناداً.

﴿قُلْ﴾ رداً عليهم ﴿نَزَّلَهُ﴾ أي: القرآن المدلول عليه بالآية ﴿رُوحَ الْقُدُسِ﴾ أي: الروح المقدس المطهر من الأدناس البشرية وهو جبريل عليه السلام وإضافة الروح إلى القدس وهو الطهر كإضافة حاتم إلى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كأنه طبع منه فالمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وفي صيغة التفعيل في الموضعين إشعار بأن التدرج في الإنزال مما يقتضيه الحكمة البالغة ﴿مَنْ رَبُّكَ﴾ من سيدك ومتولي أمرك ﴿بِالْحَقِّ﴾ في موقع الحال أي: نزله ملتبساً بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها إنشاء ونسخاً وفيه دلالة على أن النسخ حق ﴿لَيْثِبْتَ﴾ الله تعالى أو جبريل مجازاً ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الإيمان بأنه كلامه فإنهم إذا سمعوا النسخ وتدبروا ما فيه من رعاية المصالح اللائقة بالحال رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب ﴿وَهْدَى﴾ من الضلالة ﴿وَيُشْرَى﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ المتقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتاً لهم وهداية وبشارة. وفيه تعريض بحصول أضرار الأمور المذكورة لمن سواهم من الكفار.

قال في «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى هو الطبيب والقرآن هو الدواء يعالج به من مرض القلوب كقوله تعالى: ﴿وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] كما أن الطبيب يداوي المريض كل وقت بنوع من الأدوية على حسب المزاج والعلة لإزالتها ويبدل الأشربة والمعاجين بنوع آخر وهو أعلم بالمعالجة من غيره وكذلك الله عز وجل يعالج قلوب العباد بتبديل آية وإنزال آية مكانها والله أعلم بما ينزل ويعالج به العبد فالذين لا يعلمون قوانين الأمراض والمعالجات يحملون ذلك على الافتراء وفي التنزيل والتبديل تثبيت الإيمان في قلوب المؤمنين بإزالة أمراض الشكوك عن قلوبهم فإن القرآن شفاء وهدى لصحة الدين وسلامة القلوب وبشارة للمسلمين الذين استسلموا للطبيب والمعالجة لصحة دينهم وكان الصحابة رضي الله عنهم يكتفون ببعض السور القرآنية ويستغلون في العمل بها فإن المقصود من القرآن العمل به.

- روي - أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وقال: علمني مما علمك الله فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن فعلمه ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ ۖ زُلْزَلًا﴾ حتى بلغ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ﴾ [الزلزلة: ٨-١] فقال الرجل: حسبي فأخبر النبي ﷺ بذلك

فقال: «دعوه فقد فقه الرجل»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

علم چندانکه بیشتر خوانی چون عمل درتونیست نادانی
نه محقق بود نه دانشمند چار پایی بروکتابی چند
آن تهی مغزراچه علم وخبر که بروهیرم است ویا دفتر
وقال: [عالم نا پرهیز کار کوریست شعله دار. بی فائده هرکه عمر دریاخت چیزی
نخریدوزر بینداخت] أي: أضاع المال ولم يكن على شيء نسأل الله التوفيق للتقوى والعمل
بالقرآن في كل مكان وزمان.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيَّ وَهَذَا
لِسَانُ عَرَبٍ مُّبِينٌ ﴿١٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٢٧﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

﴿ولقد نعلم﴾ ادخل قد توكيداً لعلمه بما يقولون ومرجع توكيد العلم إلى توكيد الوعد
والوعيد لهم. ذكر ابن الحاجب أنهم نقلوا قد إذا دخلت على المضارع من التقليل إلى التحقيق
كما أن ربما في المضارع نقلت من التقليل إلى التحقيق. ﴿أنهم﴾ أي: كفار مكة ﴿يقولون﴾ إنما
يعلمه ﴿أي: القرآن﴾ بشر. قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول» عن عبيد بن مسلمة
قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار والآخر جبر وكانا صيقلين
[يعني شمشير هارا صيقل زندي] فكانا يقرآن كتاباً لهم بلسانهم وكان رسول الله ﷺ يمر بهما
ويسمع قراءتهما فكان المشركون يقولون يتعلم منهما فأنزل الله تعالى هذه الآية وأكذبهم فالمراد
بالبشر ذاك الغلامان ﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ مبتدأ وخبر وكذا ما بعده لإبطال
طعنهم. والإلحاد الإمالة من ألحد القبر إذا مال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم
استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا: ألحد فلان في قوله وألحد في دينه ومنه الملحد لأنه
أمال مذهبه عن الأديان كلها ولم يمله عن دين إلى دين والأعجمي هو الذي لا يفصح وإن كان
عربياً والعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً. والمعنى لغة الرجل الذي يميلون إليه
القول عن الاستقامة ويشيرون إليه أنه يعلم محمداً أعجمية غير بينة ﴿وهذا﴾ القرآن الكريم
﴿لسان عربي مبين﴾ ذو بيان وفصاحة فكيف يصدر عن أعجم. يعني أن القرآن معجز بنظمه
كما أنه معجز بمعناه لاشتماله على الأخبار عن الغيب فإن زعمتم أن بشراً يعلمه معناه فكيف
يعلمه هذا النظم الذي أعجز جميع أهل الدنيا.

وفي «التأويلات النجمية»: الأعجمي هو الذي لا يفهم من كلام الله تعالى ما أودع الله فيه من
الأسرار والإشارات والمعاني والحقائق فإنه لا يحصل ذلك إلا لمن رزقه الله فهمها يفهم به واللسان
العربي هو الذي يسره الله تعالى على لسان نبيه ﷺ وبين له معانيه وحقائقه كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا
يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ [مریم: ٩٧] وقال: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة:
١٩-١٨] فالعربي المبين هو الذي أعطاه الله قلباً فهِمًا ولساناً مبيناً فافهم جداً.

﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ أي: لا يصدقون أنها من عند الله بل يقولون فيها ما
يقولون يسمونها تارة افتراء وأخرى أساطير معلمة من البشر ﴿لا يهديهم الله﴾ إلى سبيل النجاة
هداية موصلة إلى المطلوب لما علم أنهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ﴿ولهم﴾ في الآخرة

﴿عذاب أليم﴾ [عذابي دردناك بجهت كفر ايشان بقرآن ونسبت افتراء بحضرت پيغمبر ﷺ وحال آنكه مفترى ايشانند].

﴿إنما يفترى الكذب﴾ التصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه والفرق بين الافتراء والكذب أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه وفاعل يفترى هو قوله: ﴿الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾ رد لقولهم إنما أنت مفتر يعني إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقاباً عليه ليرتدع عنه وأما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن أن يصدر عنه افتراء البتة. قال في «التأويلات النجمية»: وجه الاستدلال أن الافتراء من صفات النفس الأمارة بالسوء وهي نفس الكافر الذي لا يؤمن بآيات الله فإن نفس المؤمن مأمورة لوامة ملهمة من عند الله مطمئنة بذكر الله ناظرة بنور الله مؤمنة بآيات الله لأن الآيات لا ترى إلا بنور الله كما قال ﷺ: «المؤمن ينظر بنور الله» فإذا كان من شأن المؤمن أن لا يفترى الكذب إذ هو ينظر بنور الله فكيف يكون من شأن رسول الله ﷺ أن يفترى الكذب وهو نور من الله ينظر بالله ﴿وأولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من عدم الإيمان بآيات الله ﴿هم الكاذبون﴾ على الحقيقة لا على الزعم بخلاف رسول الله ﷺ فإن حاله على العكس أو الكاملون في الكذب إذ لا كذب أعظم من تكذيب آياته والطعن فيها بأمثال هاتيك الأباطيل. فاللام للجنس والحقيقة ويدعى قصر الجنس في المشار إليهم مبالغة في كمالهم في الكذب وعدم الاعتداد بكذب غيرهم. قال في «الإرشاد»: السر في ذلك أن الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الإخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفس الأمر بخلق الله تعالى أو بوقوع ما لم يقع كذلك مدافعة لله تعالى في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه في فعله وقوله المنبئ عنه معاً انتهى. قيل للنبي ﷺ: المؤمن يزني؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يسرق؟ قال: «قد يكون ذلك» قيل: المؤمن يكذب؟ قال: «لا» ويكفي في قبح الكذب أن الشيطان استثنى العباد المخلصين من أهل الإغواء ولم يكذب فإنه يعلم أن وسوسته لا تؤثر فيهم. قال أرسططاليس: فضل الناطق على الأخرس بالنطق وزين النطق الصدق والأخرس والصامت خير من الكاذب.

بهائم خموشند وكويا بشر برا كنده كوى از بهائم بتر
وقد قالوا: النجاة في الصدق كما أن الهلاك في الكذب - خطب الحجاج - يوماً فأطال فقام رجل وقال: الصلاة الصلاة الوقت يمضي ولا ينتظرك يا أمير الحمشة فقال قومه: إنه مجنون قال إن أقر بجنته فقل له فقال: معاذ الله أن أقول ابتلاني وقد عافاني فبلغه فعفا عنه لصدقه فصار الصدق سبباً للنجاة اللهم اجعلنا من الصادقين.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٦٧﴾

﴿من كفر بالله﴾ أي: تلفظ بكلمة الكفر ﴿من بعد إيمانه﴾ به تعالى كابن حنظل وطعمة ومقيس وأمثالهم ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء والخبر محذوف لدلالة الخبر الآتي عليه وهو قوله: ﴿فعليهم غضب﴾ وقدره الكاشفي بقوله: [در معرض غضب رباني باشد] لكنه

جعل من شرطية كما يدل عليه تعبيره بقوله: [هركه كافر شود بخدای تعالی ازپس ایمان خویش ومرتد گردد] ويجوز أن يكون الخبر الآتي خبراً لهما معاً ﴿إلا من﴾ [مكر کسی كه] ﴿أكره﴾ اجبر على ذلك التلفظ بأمر يخاف على نفسه أو على عضو من أعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب لأن الكفر لغة يعم القول والعقد كالإيمان أي: لا من كفر بإكراه وقيل منقطع لأن الكفر اعتقاد والإكراه على القول دون الاعتقاد. والمعنى لكن المكروه على الكفر باللسان ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ [ارمیده باشد] بالإيمان حال من المستثنى أي: والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الإيمان المنجي المعتبر عند الله هو التصديق بالقلب ﴿ولكن من﴾ لم يكن كذلك بل ﴿شرح بالكفر صدرا﴾ أي: اعتقده وطاب به نفساً. وبالفارسية [وليكن هرکس که بکشاید بکفر سینہ را] ﴿فعليهم غضب﴾ عظيم ﴿من الله﴾ في الحديث «إن غضب الله هو النار» ﴿ولهم عذاب عظيم﴾ العذاب والعقاب الإيلاج الشديد وتقديم الظرف فيهما للاختصاص والدلالة على أنهم أحقاء بغضب الله وعذابه العظيم لاختصاصهم بعظم الجرم وهو الارتداد. قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في عمار رضي الله عنه وذلك أن كفار قريش أخذوه وأبويه ياسر وسمية وصهيياً وبلالاً وخباباً وسالماً فعذبوهم ليرتدوا فأبى أبواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجيء أي: ضرب بحربة في قلبها وقالوا إنما أسلمت من أجل الرجال والتعشق بهم فقتلوا وقاتلوا ياسراً وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فكان ضعيف البدن فلم يطق لعذابهم فأعطاهم بلسانه ما أكرهه عليه وهو سب النبي ﷺ وذكر الأصنام بخير فقالوا: يا رسول الله إن عماراً كفر فقال عليه الصلاة والسلام: «كلا إن عماراً ملئ إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه» فأتى عمار رسول الله وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال: «ما لك إن عادوا لك فعدلهم بما قلت» وهو دليل على جواز التكلم بكلمة الكفر عند الإكراه الملجئ وإن كان الأفضل أن يجتنب عنه ويصبر على الأذى والقتل كما فعله أبواه كما روي أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال رسول الله قال: فما تقول في؟ قال: فأنت أيضاً فخلاه وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله قال: فما تقول في؟ قال: أنا أصم فأعاد ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله وأما الثاني فقد صدع بالحق فهيناً له، وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة العدل عند سلطان جائر» وإنما كان أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين خوف ورجاء ولا يدري هل يغلب أو يغلب وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف كذا في «أبكار الأفكار في مشكل الأخبار».

﴿ذلك﴾ الكفر بعد الإيمان ﴿بأنهم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿استحبوا﴾ [دوست داشتند وبرگزیدند] فتعدية الاستحباب بعلى لتضمنه معنى الإيثار ﴿الحياة الدنيا﴾ [زندگانی دنیا را] ﴿على الآخرة﴾ [بر نعیم آخرت] ﴿وأن الله﴾ [ودیکر بجهت آنست که خدای تعالی] ﴿لا يهدي﴾ إلى الإيمان وإلى ما يوجب الثبات عليه هداية قسر والهاء ﴿القوم الكافرين﴾ في علمه المحيط فلا يعصمهم من الزيغ وما يؤدي إليه من الغضب والعذاب العظيم ولولا أحد الأمرين إما إيثار الحياة الدنيا على الآخرة وإما عدم هداية الله سبحانه للكافرين هداية قسر بأن أثروا الآخرة على الحياة الدنيا أو بأن هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف

للكمة والأول مما لا يدخل تحت الوقوع وإليه أشير بقوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَتْهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٦٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

﴿اولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من القبايح ﴿الذين طبع الله﴾ [مهر نهادهای خداي تعالى] ﴿على قلوبهم﴾ [بر دلهای ایشان تا قول حق درنيا فتند] ﴿وسمعهم﴾ [وبركوشهای ایشان تا سخن حق نشنوند] ﴿وابصارهم﴾ [وبر دیدههای ایشان تا آثار قدرت حق ندیدند] ﴿واولئك هم الغافلون﴾ أي: الكاملون في الغفلة أعظم من الغفلة عن تدبر العواقب.

﴿لا جرم أنهم﴾ [حقاً که دران هیچ شك نیست که ایشان] ﴿في الآخرة هم الخاسرون﴾ إذا ضيعوا أعمارهم وصرفوها إلى العذاب المخلد. وبالفارسية [دران سرای دیگر ایشانند زیان زدگان چه سرمایه عمر ضایع کرده در بازار دنیوی سودی بدست نیاوردند ومفلس وار در شهر قیامت جز دست تهی ودل پر حسرت وندامت نخواهد بود]، قال الشيخ سعدی:

قیامت که بازار مینو نهند منازل بأعمال نیکو دهند
بضاعت بچندان آنکه آری بری اگر مفلسی شرمساری بری
که بازار چندانکه آکنده تر تهی دست رادل پرا کنده تر
کسی راکه حسن عمل بیشتر بدرگاه حق منزلت پیشتر

قال في «التأويلات النجمية»: يعني أهل الغفلة في الدنيا هم أهل الخسارة في الآخرة. وفيه إشارة أخرى وهي أن التغافل بالأعضاء عن العبودية تورث خسران القلوب عن مواهب الربوبية انتهى. قال بعض الأكابر ولا حجاب إلا جهالة النفس بنفسها وغفلتها عنها فلو ارتفعت جهالتها وغفلتها لشاهدت الأمر وعاينته كما تشاهد الشمس في وسط السماء وتعاينها. قال وهب بن منبه خلق ابن آدم ذا غفلة ولولا ذلك ما هنىء عيشه، وفي «المثنوي»:

استن این عالم ای جان غفلتست هو شیاری این جهانرا آفتست
هو شیاری زان جهانست وچو آن غالب آمد پست کردد این جهان
هو شیاری آفتاب وحرص یخ هو شیاری آب واین عالم وسخ
اللهم اجعلنا من أهل اليقظة والانتباه ولا تجعلنا ممن اتخذ الهه هواه وشرفنا بمقامات المكاشفين العارفين وأوصلنا إلى حقيقة اليقين والتحقيق والتمكين إنك أنت النصير والمعين.

﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهِدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٠﴾﴾ ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٧١﴾﴾

﴿ثم إن ربك﴾. قال قتادة: ذكر لنا أنه لما أنزل الله تعالى أن أهل مكة لا يقبل منهم الإسلام حتى يهاجروا كتب بها أهل المدينة إلى أصحابهم من أهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزل: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [المنكبت: ۱-۲] فكتبوا بها إليهم فتبايعوا بينهم على أن يخرجوا فإن لحقهم المشركون من أهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا أو يلحقوا بالله فأدركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فأنزل الله تعالى هذه الآية كذا في «أسباب النزول» للواحدي. وثم

للدلالة على تباعد رتبة حالهم عن رتبة حالهم التي يفيدها الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الإشارة لا عن رتبة حال الكفرة كذا في «الإرشاد» ﴿لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى دار الإسلام وهم عمار وصهيب وخباب وسالم وبلال ونحوهم. واللام متعلقة بالخبر وهو الغفور على نية التأخير وإن الثانية تأكيد للأولى لطول الكلام ﴿مَنْ بَعْدَ مَا فُتِنُوا﴾ أي: عذبوا على الارتداد وأكروهوا على تلفظ كلمة الكفر فتلفظوا بما يرضيهم أي: الكفرة مع اطمئنان قلوبهم ﴿ثُمَّ جَاهَدُوا﴾ في سبيل الله ﴿وَصَبِرُوا﴾ على مشاق الجهاد ﴿إِنْ رِبْكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ من بعد المهاجرة والجهاد والصبر ﴿لِغُفُورٍ﴾ بما فعلوا من قبل أي: لستور عليهم محاء لما صدر منهم ﴿رَحِيمٍ﴾ منعم عليهم من بعد بالجنة جزاء على تلك الأفعال الحميدة والخصال المرضية.

واعلم أن المهاجرة مفاعلة من الهجرة وهي الانتقال من أرض إلى أرض والمجاهدة مفاعلة من الجهد وهو استفراغ الوسع وبذل المجهود. قال في «التعريفات»: المجاهدة في اللغة المحاربة وفي الشرع محاربة النفس الأمارة بالسوء بتحميلها ما يشق عليها مما هو مطلوب في الشرع انتهى. وكل من المهاجرة الصورية والمعنوية وكذا المجاهدة مقبولة مرضية إذ من كان في أرض لا يقيم فيها شعائر دينه وأهلها ظالمون فهاجر منها لدينه ولو شبراً وجبت له الجنة ومن فارق موطن النفس والمألوفات وحارب الأعداء الباطنة وجبت له القرية ومرتبة الصديقين فوق مرتبة الشهداء. وعن عمر بن الفارض قدس سره أنه حضر جنازة رجل من أولياء الله تعالى قال: فلما صلينا عليه امتلأ الجو بطيور خضر فجاء طير كبير فابتلعه ثم طار فتعجبت فقال لي رجل كان قد نزل من السماء وحضر الصلاة لا تتعجب فإن أرواح الشهداء في حواصل الطيور خضر ترعى في الجنة أولئك شهداء السيوف وأما شهداء المحبة فأجسادهم أرواح إذ آثار الأرواح اللطيفة تسري إلى الأجساد فتحصل اللطافة لها أيضاً ولذا لا تبلى أجساد الكمل ولا بد لمن أراد أن يصل إلى هذه الرتبة ويحيى حياة أبدية من أن يميت نفسه الأمارة ويزكيها عن سفساف الأخلاق ورذائل الأوصاف كالكبر والعجب والرياء والغضب والحسد وحب المال وحب الجاه يقال إن الدركات السبع للنار بمقابلة هذه الصفات السبع للنفس فالخلاص من هذه الصفات سبب الخلاص من تلك الدركات، قال الشيخ سعدى قدس سره:

ترا شهوت وكبر وحرص وحسد چو خون دررکنندو چوجان درجسد
کر این دشمنان تقویت یافتند سراز حکم ورأی تو بر تافتند
تو بر کره توسنی در کمر نکر تانپیچد ز حکم توسر
اکر پالهنک از کفت در کسیخت تن خویشتن کشت وخون توریخت

ثم إن الله تعالى غفور من حيث الأفعال يتجلى لأهل التزكية من مرتبة توحيد الأفعال وغفور من حيث الصفات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الصفات وغفور من حيث الذات يتجلى لهم من مرتبة توحيد الذات فيستر أفعالهم وصفاتهم وذواتهم وينعم عليهم بآثار أفعاله وأنوار صفاته وأسرار ذاته فيتخلصون من الفاني ويصلون إلى الباقي ويجدون ثمرات المجاهدات وهي المشاهدات ونتائج المفارقات وهي المواصلات وعواقب المعاقبات وهي التنعم في الجنات العاليات والاستراحة الدائمة في مقامات القربات اللهم اعنا على سلوك سبيل الهجرة والصبر والجهاد واحفظنا من فتنه أهل البغي والفساد إنك أنت الأهل للإعانة والإمداد.

﴿يوم تأتي كل نفس﴾ منصوب باذكر والمراد يوم القيامة ﴿تجادل عن نفسها﴾ أضاف النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء نفسه ولنقيضه غيره والنفس جملة الشيء أيضاً فالنفس الأولى بمعنى الجملة والثانية بمعنى العين والذات. والمعنى اذكر يا محمد ويا كل من يصلح للخطاب يوم يأتي كل إنسان يجادل ويخاصم عن ذاته يسعى في خلاصه بالاعتذار كقولهم هؤلاء أضلونا وما كنا مشركين لا يههم شأن غيره فيقول نفسي نفسي وذلك حين زفرت جهنم زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى خليل الرحمن عليه السلام وقال رب نفسي أي: أريد نجاة نفسي. قال أحمد الدوري مات رجل من جيراننا شاب فرأيت في الليل وقد شاب فقلت: ما قصتك قال دفن بشر المريسي في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في المقبرة وبشر أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقاً كثيراً ببغداد في زمن المأمون وقطعه عبد العزيز الكتاني وبالجملة كان بشر من جملة شياطين الانس حتى نصبه الشيطان خليفة لمن في بغداد إذ فعل بالخلق ما فعله الشيطان من الإضلال، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدایا شود ورنه آدم نبرد صرفه زشیطان رجیم
وقال:

سزدم چوابر بهمن که درین چمن بکرم طرب آشیان بلبل بنکر که زاغ دارد
قال في «التأويلات النجمية»: ﴿كل نفس﴾ على قدر بقاء وجودها ﴿تجادل عن نفسها﴾ إما دفعاً لمضارها أو جذباً لمنافعها حتى الأنبياء عليهم السلام يقولون نفسي نفسي إلا محمداً ﷺ فإنه فان عن نفسه باق بربه فإنه يقول أمتي أمتي لأنه المغفور من ذنب وجوده المتقدم في الدنيا والمتأخر في الآخرة بما فتح له ليلة المعراج إذ واجهه بخطاب السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ففني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة وكان رحمة مهداة أرسل ببركاته إلى الناس كافة ولكنه رفع المنزلة من تلك الضيافة خاصة لخواص متابعيه كما قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لبذل الوجود في طلب المقصود ونيل الجود فما بقي لهم مجادلة عن نفوسهم مع الخلق والخالق كما قال بعضهم كل الناس يقولون غداً نفسي نفسي وأنا أقول ربي ربي ﴿وتوفى كل نفس﴾ برة أو فاجرة أي: تعطى وافياً كاملاً وبالفارسية [تمام داده شود هر نفس را] ﴿ما عملت﴾ أي: جزاء ما عملت بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب إشعاراً بكمال الاتصال بين الأجزء والأعمال وإثارة الإظهار على الإضمار للإيذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وإن كانتا في يوم واحد ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون أجورهم ولا يعاقبون بغير موجب ولا يزداد في عقابهم على ذنوبهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد يقول الروح يا رب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد: خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لساني وأبصرت عيني ومشت رجلي قال: فيضرب لهما مثلاً مثل أعمى ومقعد دخلا حائطاً وفيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمار والمقعد لا ينالها فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب كذا في «تفسير السمرقندي» وفيه إشارة إلى أن كل نفس عملت سوءاً توفى العذاب بنار الجحيم ونار القطيعة وكل نفس عملت خيراً توفى الثواب من نعيم الجنان

ولقاء الرحمن فلا يعذب أهل النعيم ولا يثاب أهل الجحيم كذا في «التأويلات النجمية».

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (١٣١)

﴿وضرب الله مثلاً قرية﴾ أي: قصة أهل قرية كانت في قرى الأولين وهي أيلة كما في الكواشي وهي بلد بين ينبع ومصر وضرب المثل صنعه واعتماله ولذا قال الكاشفي في تفسيره [ويبدأ كرد خدا مثلي] ولا يتعدى إلا إلى مفعول واحد وإنما عدي إلى اثنين لتضمينه معنى الجعل وتأخير قرية مع كونها مفعولاً أولاً لثلاث يحول المفعول الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها إذ التأخير عن الكل مخل بتجاذب أطراف النظم وتجاوبها. والمعنى جعل أهلها مثلاً لأهل مكة خاصة أو لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله بنعمتهم نقمة ودخل فيهم أهل مكة دخولاً أولاً ﴿كانت آمنة﴾ ذات أمن من كل مخوف. قال الكاشفي: [أيمن از نزول قیاصره وقصه جبابره] ﴿مطمئنة﴾ [ارمیده واهل آن آسوده]. قال في الكواشي لا ينتقلون عنها إلى غيرها لحسنها ﴿يأتيها رزقها﴾ أقوات أهلها صفة ثانية لقرية وتغير سببها عن الصفة الأولى لما أن إتيان رزقها متجدد وكونها آمنة مطمئنة ثابت مستمر ﴿رغدا﴾ واسعاً ﴿من كل مكان﴾ من نواحيها من البر والبحر ﴿فكفرت﴾ أي: كفر أهلها ﴿بأنعم الله﴾ أي: بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع والمراد بها نعمة الرزق والأمن المستمر وإيثار جمع القلة للإيذان بأن كفران نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة.

- روي - أن أهل أيلة كانوا يستنجون بالخبز كما في الكواشي. يقول الفقير: الخبز هو الأصل بين النعم الإلهية ولذا أمر آدم عليه السلام الذي هو أصل البشر بالحراثة فمن كفر به فقد كفر بجميع النعم وتعرض لزوالها وكذا الاعتقاد الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة هو الأساس المبني عليه قبول الأعمال الصالحة فمن أفسد اعتقاده فقد أفسد دينه وتعرض لسخط الله تعالى:

بآب زمزم اكرشست خرقه زاهد شهر چه سود ازان چوندارد طهارت ازلي

والمقصود طهارة الوجود والقلب عن لوث الأنية والتعلق بغير الله تعالى ﴿فأذاقها الله﴾ أي: أذاق أهلها. وبالفارسية [پس بچشانید خدای تعالی اهل آنرا] واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار كما في «تفسير أبي الليث» ﴿لباس الجوع﴾ حتى أكلوا ما تغطوه لأن الجزاء من جنس العمل. قال في «الأسئلة المقحمة في الأجوبة المفحمة» كيف سمي الجوع لباساً قيل لأنه يظهر من الهزال وشحوب اللون وضيق الحال ما هو كاللباس ﴿والخوف﴾. قال في «الإرشاد» شبه أثر الجوع والخوف وضرهما المحيط بهم باللباس الغاشي للابس فاستعير له اسمه وأوقع عليه الإذابة المستعارة لمطلق الإيصال المنبئة عن شدة الإصابة بما فيها من اجتماع إدراك الملامسة والذائقة على نهج التجريد فإنها لشيوع استعمالها في ذلك وكثرة جريانها على الألسنة جرت مجرى الحقيقة ﴿بما كانوا يصنعون﴾ فيما قبل من الكفران ثم بين أن ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة لحجة الله على الخلق أيضاً فقال:

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا يَمَعَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٤﴾

﴿ولقد جاءهم﴾ أي: أهل تلك القرية ﴿رسول منهم﴾ أي: من جنسهم يعرفونه بأصله ونسبه فأخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وأنذرهم سوء عاقبة الكفران ﴿فكذبوه﴾ في رسالته ﴿فأخذهم العذاب﴾ المستأصل غب ما ذاقوا نذبة من ذلك ﴿وهم ظالمون﴾ حال كونهم ظالمين بالكفران والتكذيب حيث جعلوا الأول موضع الشكر والثاني موضع التصديق وترتيب العذاب على التكذيب جرى على سنة الله تعالى كما قال .

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ يَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ [الإسراء: ١٥] . قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هذا المثل لأهل مكة فإنهم كانوا في حرم آمن ويتخطف الناس من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكانت تجبى إليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم فكفروا بأنعم الله وكذبوا رسول الله ﷺ فأصابهم بدعائه ﷺ بقوله: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف» ما أصابهم من القحط والجذب حتى أكلوا الجيف والكلاب الميتة والجلود والعظام المحرقة والعلهز وهو الوبر والدم أي: يخلط الدم بأبواب الإبل ويشوي على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وقد ضاقت عليهم الأرض بما رحبت من سرايا رسول الله ﷺ بعد الهجرة حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وغيرهم وقوافلهم فوقعوا في خوف عظيم من أهل الإسلام حتى تركوا سفر الشام والتردد إليه ثم أخذهم يوم بدر ما أخذهم من العذاب .

وفي الآية إشارة إلى أن النفس الأمارة بالسوء إذا كفرت في قرية شخص الإنسان بنعم الطاعات والتوفيق واتبعت هواها وتمتعت بشهواتها ابتليت بانقطاع ميرة الحق وأكل جيفة الدنيا وميتة المستلذات وخوف العذاب بسوء صنيعها فلا بد للسالك أن يقتفي أثر رسول الخاطر الروحاني المؤيد بالإلهام الرباني ويترك الاقتران بالنفس والشيطان فإنهما يجران إلى الأخلاق الذميمة المستتعبة للآثار القبيحة وقد بعث النبي ﷺ لإتمام الأخلاق الحميدة على وفق الشريعة كما قال: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» والمكارم: جمع مكرمة كالمصالح جمع مصلحة وإضافته إلى الأخلاق من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف أي: بعثت لأتمم الأخلاق الكريمة والشيم الحسنة وذلك أن الأنبياء عليهم السلام كل واحد منهم مبعوث بسر وحكمة إلهية راجعة إلى تكميل البشر وتحسين أخلاقهم ونبينا عليه السلام مبعوث لتتميم تلك الأخلاق الكريمة وتكميلها على وجه التفصيل ولهذا جاء بشرع جامع لجميع جهات الحسن وهذا سر قوله: «لا نبي بعدي» فمن ادعى نبياً بعده جهل بقدرة وقدر علماء أمته كما لا يخفى .

﴿فكلوا مما رزقكم الله﴾ أي: وإذ قد استبان لكم يا أهل مكة حال من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي أولاً وآخرأ فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول كيلا يحل بكم مثل ما أحل بهم واعرفوا حق نعم الله وأطيعوا رسوله في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله من الحرث والأنعام وغيرهما حال كونه ﴿حلالاً طيباً﴾ أي: لذيداً تستطيبه النفوس وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها فحلالاً حال من ما رزقكم الله ويجوز أن يكون مفعول كلوا . وفيه إشارة إلى أن أنوار الشريعة وأسرار الحقيقة رزق

معنوي للعاشق الصادق وما قبلته الشريعة والحقيقة فهو حلال طيب وما رده فهو حرام خبیث ولذا قيل :

علم دین فقهست وتفسیر وحديث هرکه خواند غیرازین گردد خبیث
 أي : العلم المقبول النافع هذه العلوم وما شهدت هي له بالقبول من الظواهر والبواطن
 ﴿واشكروا نعمة الله﴾ واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخله على الأمر
 بالشكر وإنما دخلت على الأمر بالأكل لكون الأكل ذريعة إلى الشكر فكأنه قيل فاشكروا نعمة
 الله غب أكلها حلالاً طيباً ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي : تطيعون وتريدون رضاه أن تستحلوا ما
 أحل الله وتحرموا ما حرم الله.

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ
 وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ لَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا
 حَرَامٌ لِنُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ أي : أكلها وهي ما لم تلحقه الذكاة . وبالفارسية [مردار]
 فاللحم القديد المجلوب إلى الروم من أفلاق حرام لأنهم إنما يضربون رأس البقر بالمقمة ولا
 يذكون ﴿والدم﴾ المسفوح أي : المصبوب من العروق وأما المختلط باللحم فمعفو والأولى
 غسله ﴿ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ أي : رفع الصوت للصنم به وذلك قول أهل
 الجاهلية باللات والعزى أي : إنما حرم هذه الأشياء دون ما تزعمون حرمة من البحائر
 والسوائب ونحوهما وتنحصر المحرمات فيها إلا ما ضمه إليها دليل كالسباع والحرر الأهلية .

- روي - أنه عليه السلام «نهى عن أكل ذي مخلب من الطيور وكل ذي ناب من السباع» .
 - وروی - خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه عليه السلام «نهى عن لحوم الخيل والبغال
 والحمير» . وفيه حجة لأبي حنيفة على صاحبيه في تحليلهما أكل لحوم الخيل وما رواه عن
 جابر رضي الله عنه أنه قال : «نهى النبي عليه السلام عن لحوم الحرر الأهلية وأذن في لحم
 الخيل» معارض لحديث خالد والترجيح للمحرم كذا في «حواشي» الفاضل سنان چلبی .
 والإشارة إلى الميتة جيفة الدنيا والحيوان هي الدار الآخرة ولو لم يكن للآخرة حياة لكانت
 جيفة [جيفة را براي مرد كيش جيفة كويند نی براي بوي زشت وصورت قبيحة] فاعرف ، وفي
 «المنثوي» :

آن جهان چون ذره ذره زنده اند	نکته دانند و سخن کوينده اند
در جهان مرده شان آرام نیست	کين علف جز لائق أنعام نیست
هرکرا کلشن بود بزم وطن	کی خورد او باده اندر کولخن
جای روح پاک علیین بود	کرم باشد کش وطن سرکین بود

وإن الدم شهوات الدنيا . ولحم الخنزير الغيبة والحسد والظلم . وما أهل لغير الله به
 مباشرة كل عمل مباح لا لله وللتقرب إليه بل لهوى النفس وطلب حظوظها كما في «التأويلات
 النجمية» ﴿فمن اضطر﴾ الاضطرار الاحتياج إلى الشيء واضطره إليه أحوجه وألجأه فاضطر
 بضم الطاء والضرورة الحاجة . قال الكاشفي [بس هرکه بیچاره شود ومحتاج گردد بخوردن

يكي (از محرمات) فتناول شيئاً من ذلك حال كونه ﴿غير باغ﴾ أي: على مضطر آخر بالاستئثار عليه فإن هلاك الآخر ليس بأولى من هلاكه فهو حال من فعل مقدر كما أشير إليه. والباغي من البغي يقال بغى عليه بغياً علاً وظلم ﴿ولا عاد﴾ أي: متجاوز قدر الضرورة وسد الجوع يقال عدا الأمر وعنه جاوزه ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي: لا يؤاخذ به بذلك فأقيم سببه مقامه.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فمن اضطر﴾ إلى نوع منها مثل طلب القوت بالكسب الحلال أو التأهل للتوالد والتناسل أو الاختلاط مع الخلق للمناصفة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من أبواب البر غير معرض عن طلب الحق ولا مجاوز عن حد الطريقة ﴿فإن الله غفور﴾ لما اضطروا إليه ﴿رحيم﴾ على الطالبين بأن يبلغهم مقاصدهم.

واعلم أن مواضع الضرورة مستثناة ولذا قال في «التهذيب» يجوز للعليل شرب البول والدم للتداوي إذا أخبره طبيب مسلم أن شفاؤه فيه ولم يجد من المباح ما يقوم مقامه. وأجاز بعضهم استشارة أهل الكفر في الطب إذا كانوا من أهله كما في «إنسان العيون» والأولى التجنب عنه لأن المؤمن ولي الله والكافر عدو الله ولا خير لولي من عدو الله فلا بد للمريض من المراجعة إلى المجانس وأهل الوقوف والتجربة، قال الصائب:

زبي دردان علاج دردخود جستن بآن ماند كه خار از پابرون آردكسى بانيش عقريها
وفي «الأشباه»: يرخص للمريض التداوي بالنجاسات وبالخمر على أحد القولين واختار قاضيان عدمه وإساعة اللقمة بها إذا غص اتفاقاً وإباحة النظر للطبيب حتى للعورة والسوءتين انتهى. قال الفقيه أبو الليث رحمه الله يستحب للرجل أن يعرف من الطب مقدار ما يمتنع به عما يضر ببدنه انتهى.

- وروي - عن علي كرم الله وجهه أنه قال لحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء وقد صح عن النبي عليه السلام أنه ضحى عن نسائه بالبقر. قال الحليمي هذا ليس الحجاز وبيوسة لحم البقر ورطوبة لبنها وسمنها فكأنه يرى اختصاص ذلك به وهذا التأويل مستحسن وإلا فالنبي عليه السلام لا يتقرب إلى الله تعالى بالداء فهو إنما قال ذلك في البقر كما قال: «عليكم بألبان البقر وسمنائها وإياكم ولحومها فإن ألبانها وسمنائها دواء وشفاء ولحومها داء» لتلك البيوسة. وجواب آخر أنه ضحى بالبقر لبيان الجواز أو لعدم تيسر غيره كذا في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ولا تقولوا﴾ يا أهل مكة ﴿لما تصف ألسنتهم﴾ ما موصولة واللام صلة لا تقولوا مثل ما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ﴾ [البقرة: ١٥٤] أي: لا تقولوا في شأن ما تصف ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير ترتيب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلاً عن استناده إلى وحي أو قياس مبني عليه ﴿الكذب﴾ ينتصب بلا تقولوا ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ بدل منه، فالمعنى لا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لما تصفه ألسنتكم بالحل والحرمة فقدم عليه كونه كذباً وأبذل منه هذا حلال وهذا حرام مبالغة واللام صلة مثل ما يقال لا تفل للنبيذ إنه حرام أي: في شأنه وذلك لاختصاص القول بأنه في شأنه. وفيه إيماء إلى أن ذلك مجرد وصف باللسان لا حكم عليه عقد كذا في «حواشي» سعدى المفتي. ويقال في الآية تنبيه للقضاة والمفتين كيلا يقولوا قولاً بغير حجة وبيان كما في «تفسير أبي الليث». ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ فإن مدار

الحل والحرمة ليس إلا أمر الله فالحكم بالحل والحرمة إسناد للتحليل والتحريم إلى الله من غير أن يكون ذلك منه . واللام العاقبة لا الغرض لأن الافتراء لم يكن غرضاً لهم .

وفي الآية إشارة إلى ما تقولت النفوس بالحسبان والغرور أنا قد بلغنا إلى مقام يكون علينا بعض المحرمات الشرعية حلالاً وبعض المحللات حراماً فيفترون على الله الكذب أنه أعطانا هذا المقام كما هو من عادة أهل الإباحة كذا في «التأويلات النجمية» ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ﴾ في أمر من الأمور ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ لا يفوزون بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها .

﴿متاع قليل﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة تنقطع عن قريب ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ لا يكتفه كنهم .

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ بِجَهَلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٨﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٩﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي الْآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١٨١﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿وعلى الذين هادوا﴾ يعني: على اليهود خاصة دون غيرهم من الأولين والآخرين ﴿حرمنا ما قصصنا عليك﴾ أي: بقوله: ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْفَرَسِ حَرَّمَآ عَلَيْهِمَا شُحُومُهُمَا﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿من قبل﴾ أي: من قبل نزول الآية فهو متعلق بقصصنا أو من قبل التحريم على هذه الأمة فهو متعلق بحرمانا وهو تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بإبطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فإنهم كانوا يقولون لسنا أول من حرمت عليه وإنما كانت محرمة على نوح وإبراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الأمر إلينا ﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك التحريم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه حسبما نعى عليهم في قوله تعالى: ﴿فِظْلَرٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُجِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] الآية ولقد القمهم الحجر قوله تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِيَّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ قَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاَتْلَوْهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣] .

- روي - أنه ﷺ لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجروا أن يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها أن تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً أوضح بيان . وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾ [بسبب غفلت وناداني وعدم تفكر در عواقب أمور] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل من يعمل سوءاً فهو جاهل وإن كان يعلم أن ركوبه سيئة . والسوء يحتمل الافتراء على الله وغيره . واللام متعلقة بالخبر وهو لغفور وإن الثانية تكرير على سبيل التأكيد لطول الكلام ووقوع الفصل كما مر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ [النحل: ١١٠] الآية ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ أي: من بعدما عملوا السوء والتصريح به مع دلالة ثم عليه للتأكيد والمبالغة ﴿وأصلحو﴾ أفعالهم أو دخلوا في الصلاح ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد التوبة كقوله:

﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨] في أن الضمير عائد إلى مصدر الفعل. قال سعدى المفتي لم يذكر الإصلاح لأنه تكميل التوبة فإنها الندم على المعصية من حيث إنها معصية مع عزم أن لا يعود فعدم العود والإصلاح تحقيق لذلك العزم ﴿لغفور﴾ لذلك السوء أي: ستور له محاء ﴿رحيم﴾ يثبت على طاعته تركاً وفعلاً وتكرير قوله تعالى ﴿إن ربك﴾ لتأكيد الوعد وإظهار كمال العناية بإنجازه. فعلى العاقل أن يرجع عن الإعراض عن الله ويقبل عليه بصدق الطلب وإخلاص العمل والتوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة يعني الذنوب وفي «المثنوي»:

كرسيه كردى تونامه عمر خویش	توبه كن زانها كه كردستى توپیش
عمر اكر بكذشت بیخس این دم است	آب توبه اش ده اكر اوبى نم است
بیخ عمرت را بده آب حیات	تا درخت عمر كردد باثبات
جمله ماضیها ازین نیکو شوند	زهر پارینه ازاین كردد چوقند

واعلم أن توبة العوام من السيئات وتوبة الخواص من الزلات والغفلات وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات لا تركها والعبد إذا رجع عن السيئة وأصلح عمله أصلح الله شأنه وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس والذكر بلا إله إلا الله وفي الحديث «إن لله عموداً من ياقوت أحمر رأسه تحت العرش وأسفله على ظهر الحوت في الأرض السفلى فإذا قال العبد لا إله إلا الله محمد رسول الله عن نية صادقة اهتز العرش فتحرك الحوت والعمود فيقول الله تعالى: اسكن يا عرشي فيقول العرش: كيف أسكن وأنت لا تغفر لقاتلها فيقول الله تعالى: اشهدوا يا سكان سمواتي أنني قد غفرت لقاتلها الذنوب صغيرها وكبيرها سرها وعلانياتها، فبذكر الله تعالى يتخلص العبد من الذنوب وبه تحصل تزكية النفس وتصفية القلوب».

﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ على حدة لحيازته من الفضائل البشرية ما لا يكاد يوجد إلا متفرقاً في أمة جمة كما قيل:

ليس على الله بمستنكر	أن يجمع العالم في واحد
جانا تويكانه ولى ذات توهست	مجموعه آثار كمالات همه

وفي الحديث «حسين سبط من الأسباط» كما في «المصابيح» بمعنى أنه من الأمم يقوم وحده مقامها أو بمعنى أنه يتشعب منه الفروع الكثيرة إذ السادات من نسل زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما. فلا دلالة في الحديث على نبوة الحسين كما ادعاه بعض المفترين في زماننا هذا نعوذ بالله ومن قال بعد نبينا نبي يكفر كما في «بحر الكلام». ويقال أمه بمعنى مأوم أي: يؤمه الناس ويقصدونه ليأخذوا منه الخير ومعلم الخير إمام في الدين وهو عليه السلام رئيس أهل التوحيد وقدوة أصحاب التحقيق مجادل أهل الشرك وألقمهم الحجر بينات باهرة وأبطل مذهبهم بالبراهين القاطعة ﴿قانتا لله﴾ مطيعاً له قائماً بأمره ﴿حنيفاً﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق ﴿ولم يك من المشركين﴾ في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً. وفيه رد على كفار قریش في قولهم نحن على ملة أبينا إبراهيم.

﴿شاكراً لأنعمه﴾ جمع نعمة صفة ثالثة لأمة.

- روي - أنه كان لا يأكل إلا مع ضيف ولم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فجاءه فوج من الملائكة في زي البشر فقدم لهم الطعام فخيّلوا إليه أن بهم جذاماً فقال: الآن وجبت

مؤاكلةكم شكراً لله على أن عافاني وابتلاكم ويقال إنه أراد الضيافة لأمة محمد ثم دعا الله لأجلها وقال: إني عاجز وأنت قادر على كل شيء فجاء جبريل فأتى بكف من كافور الجنة فأخذ إبراهيم فصعد إلى جبل أبي قبيس ونثره فأوصله الله إلى جميع أقطار الدنيا فحيثما سقطت ذرة من ذراته كان معدن الملح فصار الملح ضيافة إبراهيم عليه السلام، قال الشيخ سعدى قدس سره:

خور وپوش بخشای وراحت رسان نکه می چه داری زبهر کسان
غم شادمانی نماند و لیک جزای عمل ماند و نام نیک
﴿واجتبه﴾ اختاره للنبوۀ ﴿وهده﴾ إلى صراط مستقیم ﴿موصل﴾ إليه وهو ملة الإسلام
المشتمل على التسليم وقد أوتي تسليماً أي: تسليم وآتيناه في الدنيا حسنة حالة حسنة من الذكر
الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة والأولاد الأبرار والعمر الطويل في السعة والطاعة وأن
حضرة الرسالة ﷺ من نسله وأن الصلاة عليه مقرونة بصلاة النبي عليه كما يقول المصلي من
هذه الأمة كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾
أصحاب الدرجات العالية في الجنة وهم الأنبياء عليهم السلام فالمراد الكاملون في الصلاح
والواصلون إلى غاية الكمال ﴿ثم أوحينا إليك﴾ مع علو طبقتك وسمو ربتك وما في ثم من
التراخي في الرتبة للتنبيه على أن أجل ما أوتي إبراهيم اتباع الرسول ملته ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾
الملة اسم لما شرعه الله لعباده على لسان الأنبياء من أملت الكتاب إذا ملته وهي الدين بعينه
لكن باعتبار الطاعة له والمراد بملته الإسلام المعبر عنه بالصراط المستقیم ﴿حنيفاً﴾ حال من
المضاف إليه لما أن المضاف لشدة اتصاله به جرى منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رأيت
وجه هند قائمة ﴿وما كان من المشركين﴾ بل كان قدوة الموحدين وهو تكرير لما سبق لزيادة
تأكيد وتقرير لنزاهته عما هم عليه من عقد وعمل. قال العلماء المأمور به الاتباع في الأصول
دون الفروع المتبدلة بتبدل الأعصار واتباعه له بسبب كونه مبعوثاً بعده وإلا فهو أكرم الأولين
والآخرين على الله.

تواصل وباقی طفیل تواند تو شاهی وجمع خیل تواند
وكان ﷺ على دين قومه قبل النبوة أي: على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل
عليهما السلام في حجهم ومناسكهم وبيوعهم وأساليبهم وأما التوحيد فإنهم كانوا قد بدلوه
والنبي عليه السلام لم يكن إلا عليه.

قال في «التأويلات النجمية»: لما سلك النبي ﷺ طريق متابته واسلم وجهه لله ليذهب
إلى الله كما ذهب إبراهيم وقال: إني ذاهب إلى ربي نودي في سره إن إبراهيم كان خليلنا وأنت
حبيبنا فالفرق بينكما أن الخليل لو كان ذاهباً يمشي بنفسه فالحبيب يكون ركباً أسري به فلما
بلغ سدرة المنتهى وجد مقام الخليل عندها فقليل له إن السدرة مقام الخليل لو رضيت بها
لنزيتها لك إذ يغشى السدرة ما يغشى ولعلو همته الحبيبية ما زاغ البصر بالنظر إليها وما طغى
باتخاذ المنزل عندها ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى وهو مقام الحبيب فبقي مع بلا هو
في خلوة لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب وهو جبريل ولا نبي مرسل وهو هويته عليه
السلام لما جاوز حد المتابعة صار متبوعاً فإن كان ﷺ في الدنيا محتاجاً إلى متابعة الخليل
فالخليل يكون في الآخرة محتاجاً إلى شفاعته كما قال: «الناس محتاجون إلى شفاعتي يوم

القيامة حتى إبراهيم» انتهى ما في «التأويلات». ثم الآية تدل على شرف المتابعة فإن الحبيب مع شرفه العظيم إذا كان مأموراً بالمتابعة فما ظنك بغيره من أفراد الأمة ففي المتابعة وصحبة الأخيار والصلحاء شرف وسعادة عظيمة ألا يرى أن عشرة من الحيوانات من أهل الجنة بشرف القرين كناق صالح وكبش إسماعيل ونملة سليمان وكلب أصحاب الكهف والله در من قال :

سك أصحاب كهف روزی چند پی مردم كرفت ومردم شد
وعن النبي عليه السلام «أن رجلاً يبقى متحيراً من الإفلاس فيقول الله: يا عبدي أتعرف العبد الفلاني أو العارف الفلاني فيقول: نعم فيقول الله: فاذهب فإنني قد وهبتك له». وعن الشيخ بهاء الدين أن خادم الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس سره كان رجلاً مغربياً فجرى الحديث عنده في سؤال منكر ونكير فقال المغربي: والله إن يسألاني لأقولن لهما فقالوا له: ومن يعلم ذلك؟ فقال: اقعدا على قبري حتى تسمعوني فلما انتقل المغربي جلسوا على قبره فسمعوا المسألة وسمعوه يقول: أتسألوني وقد حملت فروة أبي يزيد على عنقي فمضوا وتركوه.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١٧٤) ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم مَّا هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٧٥﴾

﴿انما جعل السبت﴾ أي: فرض تعظيم يوم السبت والتخلي فيه للعبادة وترك الصد فيه فتعدية جعل بعلی لتضمنينه معنى فرض والسبت يوم من أيام الأسبوع بمعنى القطع والراحة فسمي به لانقطاع الأيام عنده إذ هو آخر أيام الأسبوع وفيه فرغ الله من خلق السموات والأرض أو لأن اليهود يستريحون فيه من الأشغال الدنيوية ويقال اسببت اليهود إذا عظمت سبتها وكان اليهود يدعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظاً عليه أي: ليس السبت من شعائر إبراهيم وشعائره ملته التي أمرت يا محمد باتباعها حتى يكون بينه وبين ﷺ وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وإنما شرع ذلك ليني إسرائيل بعد مدة طويلة. قال الكاشفي: [در زاد المسير آورده كه آن روز حضرت موسى عليه السلام يكی را دیدكه متاعی را برداشته بجایی میبرد بفرمود تا كردنش بزدند وتنش را در محلی بیفكنند ندكه مرغان مردار خوار چهل روز اجزا واحشای اومی خوردند] وذلك لهتك جرمة شريعته بمثل ذلك العمل:

كرا شرع فتوى دهد برهلاک الا تاندارى ز كشتنش باك

﴿على الذين اختلفوا فيه﴾ منشأ الاختلاف هو الطرف المخالف للحق وذلك أن موسى عليه السلام أمر اليهود أن يجعلوا في الأسبوع يوماً واحداً للعبادة وأن يكون ذلك يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شردمة منهم قد رضوا بالجمعة فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون وأما غيرهم فلم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله قردة دون أولئك المطيعين. يقول الفقير: أما الفرقة الموافقة فنجا لانقيادهم لأمر الله تعالى وفناء باطنهم عن الإرادة التي لم تنبعث من الله تعالى وأما الفرقة المخالفة فهلكوا لمخالفتهم لأمر الله تعالى وبقائهم بنفوسهم الأماراة ولا شك أن من أجبر وفق ومن تحرك بإرادته وكل إلى

نفسه ﴿وإن ربك ليحكم بينهم﴾ أي: بين الفريقين المختلفين فيه ﴿يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ أي: يفصل ما بينهما من الاختلاف فيجازي الموافق بالثواب والمخالف بالعقاب وفيه إيماء إلى أن ما وقع في الدنيا من مسخ أحد الفريقين وإنجاء الآخر بالنسبة إلى ما سيقع في الآخرة شيء لا يعتد به وفي الحديث: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتينا من بعدهم» يعني: يوم الجمعة فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلّفوا فيه فهدانا الله له فلنا اليوم ولليهود غداً وللنصارى بعد غد. وفي الآية إشارة إلى أن الاختلاف فيما أرشد الله به الناس إلى الصراط المستقيم من الأوامر والنواهي لاستحلال بعضها وتحريم بعضها ابتداءً منهم على وفق الطبع والهوى وإن كان التشديد فيه على أنفسهم يكون وبالأعلى عليهم وضلّالاً عن الصراط المستقيم. فالواجب على العباد في العبادات والطاعات والمجاهدات وطلب الحق الاتباع وترك الابتداع كما قال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وعصوا عليها بالنواجد وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة». وجاء رجل للشيخ أبي محمد عبد السلام بن بشيش قدس سره فقال: يا سيدي وظف عليّ وظائف وأوراداً فغضب الشيخ وقال أرسول أنا فأوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكن للفرائض حافظاً وللمعاصي رافضاً واحفظ قلبك من إرادة الدنيا واقنع من ذلك كله بما قسم لك فإذا خرج لك مخرج الرضى فكن لله فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط فكن عليه صابراً وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ﴾ الآية إشارة إلى أن الله تعالى يحكم بعدله بين أهل السنة وأهل البدع فيقول هؤلاء في الجنة بفضلهم ولا أبالي وهؤلاء في النار بعدلي ولا أبالي وأهل البدعة ثنتان وسبعون فرقة من أهل الظواهر وإحدى عشرة فرقة من أهل البواطن كلهم على خلاف الحق من حيث الاعتقاد وكلهم في النار والفرقة الناجية من المتصوفة وغيرهم هم الموافقون للكتاب والسنة عقداً وعملاً نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الزيغ والضلال ولا بد من أخ ناصح في الدين كامل في طريق اليقين مرشد إلى الحق المتين قال الحافظ قدس سره:

قطع اين مرحله بى همرهى خضر مكن ظلماً تست بترس از خطر كمرهى
﴿ادع﴾ الناس يا أفضل الرسل من سبيل الشيطان ﴿إلى سبيل ربك﴾ وهو الإسلام
الموصل إلى الجنة والزلفى. قال حضرة الشيخ العطار قدس سره:

نور او چون اصل موجودات بود ذات او چون معطىء هر ذات بود
واجب آمد دعوت هر دوجهانش دعوت ذرات پيدا ونهانش
واعلم أن كل عين من الأعيان الموجودة مستند إلى اسم من الأسماء الإلهية وأصل من طريق ذلك الاسم إلى الله الذي له أحدية جميع الأسماء. لا يقال فما فائدة الدعوة حيثئذ؟ لأننا نقول الدعوة من المضل إلى الهادي ومن الجائر إلى العدل ﴿بالحكمة﴾ بالحجة القطعية المفيدة للعقائد الحقّة المزيحة لشبهة من دعى إليها فهي لدعوة خواص الأمة الطالبين للحقائق ﴿والموعظة الحسنة﴾ أي: الدلائل الإقناعية والحكايات النافعة فهي لدعوة عوامهم. يقال وعظه يعظه وعظاً وعظاً وموعظة ذكره ما يلين قلبه من الثواب والعقاب فاتعظ كما في «القاموس» ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ أي: ناظر معانديهم بالطريقة التي هي أحسن طرق المناظرة والمجادلة من الرفق واللين واختيار الوجه الأيسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهبهم كما فعله الخليل عليه السلام. والآية دليل على أن المناظرة والمجادلة في العلم

جائزة إذا قصد بها إظهار الحق. قال الشيخ السمرقندي في تفسيره في هذه الآية تنبيه على المدعو إلى الحق فرق ثلاث. فإن المدعو إلى الله بالحكمة قوم وهم الخواص. وبالموعظة قوم وهم العوام. وبالمجادلة قوم وهم أهل الجدل وهم طائفة ذوو كياسة تميزوا بها عن العوام ولكنها ناقصة مدنسة بصفات رديئة من خبث وعناد وتعصب ولجاج وتقليد ضال تمنعهم عن إدراك الحق وتهلكهم فإن الكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير ألم تسمع أن أكثر أهل الجنة البله فليستعمل كل منها مع ما يناسبها فإنه لو استعمل الحكمة للعوام لم يفد شيئاً حيث لم يفهموها لسوء بلادتهم وعدم فطنتهم.

نکته کفتن پیش کژفهمان زحکمت بی کمان

جوهری چنداز جواهر ریختن پیش خراست

وفي المشنوي:

کی توان باشیعه کفتن از عمر کی توان بربط زدن درپیش کر
وإن استعمل الجدل مع أهل الحكمة تنفروا منه تنفر الرجل من الإرضاع بلبن الطفل.
وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ إشارة إلى أن دعاء العوام إلى سبيل ربك وهو الجنة بالحكمة وهو الخوف والرجاء لأنهم يدعون ربهم خوفاً من النار وطمعاً في الجنة والموعظة الحسنة هي الرفق والمداراة ولين الكلام والتعريض دون التصريح وفي الخلا دون الملا فإن النصيح على الملا تقريع:

کر نصیحت کنی بخلوت کن که جز این شیوه نصیحت نیست
هر نصیحت که بر ملا باشد آن نصیحت بجز فزیحت نیست

ودعاء الخواص إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وهي أن تحبب الله إليهم وتوفر دواعيهم في الطلب وترشدهم وتهديهم إلى صراط الله وتسلکهم فيه وتكون لهم دليلاً وسراجاً منيراً إلى أن يصلوا في متابعتك وتزكيتك إياهم إلى مراتب المقربين ﴿وجادلهم بالتتي هي أحسن﴾ لكل طائفة منها فجادل أهل النفاق واغلظ عليهم وجادل أهل الوفاق باللطف والرحمة واخفض جناحك للمؤمنين واعف عنهم واستغفر لهم. وقال حضرة شيخه وسندي روح الله روحه في كتابه المسمى «باللائحات البرقيات» بالحكمة أي: بالبصيرة على رعاية المناسبة في مقتضيات الأحوال والمقامات بالتليين والتخفيف والتعريض في مقاماتها والتغليظ والتشديد والتصريح في مقاماتها ونحو ذلك من المناسبات الحكيمة الجالبة للمصالح والسالبة للمفاسد والموعظة الحسنة أي: المتضمنة للحسنات والمشملة على الترغيبات والمتناولة للترهيبات والجالبة للقلوب إلى المحبوبات والسالبة للنفوس عن المقبوحات وغير ذلك مما يختص ويليق بالموعظة الحسنة التي هي الموعظة بالحق والعلم الكامل والعقل والتام لا الموعظة بالنفس والجهل والحمق فإن تلك الموعظة إنما هي بالبصيرة الشاملة الصحيحة وهذه الموعظة إنما هي بالغفلة العامة الفاسدة وفي الحقيقة الموعظة الحسنة هي الموعظة الجامعة لجوامع الكلم وجادلهم بالتتي أي: بالمجادلة التي هي أحسن وهي المجادلة الحقانية التي تكون بالرفق واللين والصفح والعفو والسمع والكلام بقدر العقول والنظر إلى عواقب الأمور والصبر والتأني والتحمل والحلم وغير ذلك من خواص المجادلة التي هي أحسن مثل كون المراد منها إظهار الحق وبيان الصدق لمن خالف الحق والصدق بكمال الإعراض عن جميع الأغراض والإعراض

وتمام الترحم للمخالفين المعاندين الضالين عن سبيل الحق والصدق والجاهلين الغافلين السائرين إلى سبيل الباطل والكذب وما سوى ذلك من الخواص واللوازم ﴿إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [بأنكس كه كمراه شد ازراه حق كه اسلامست] وأعرض عن قبول الحق بعدما عاين من الحكم والمواعظ والعبر ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ بذلك أي: ما عليك إلا ما ذكر من الدعوة والتبليغ والمجادلة بالأحسن وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا عليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين فيجازي كلًا منهم بما يستحقه فكأنه قيل: إن ربك أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد، قال الشيخ سعدى قدس سره:

توان پاك كردن زړنك آينه وليكن نيايد زسنگ آينه
وقال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنگ وكلي لؤلؤ ومرجان نشود
واعلم أن الناس ثلاثة أصناف: صنف مقطوع بحسن خاتمتهم مطلقاً كالأنبياء عليهم السلام والعشرة المبشرة، وصنف مقطوع بسوء عاقبتهم كأبي جهل وقارون وهامان وفرعون وغيرهم ممن قطع بسوء خاتمتهم مطلقاً. وصنف مشكوك في حسن خاتمتهم وسوء خاتمتهم مطلقاً كعامة المؤمنين الأبرار وكافة الكافرين الفجار فإن الأبرار كانوا ممدوحين في ظاهر الشريعة من جهة العقائد والأعمال في الحال والفجار كانوا مذمومين في ظاهر الشريعة من تلك الجهة في الحال لكن أمرهم في المال مفوض إلى الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح ويميز بينهما في الآخرة والعاقبة فكم من ولي في الظاهر يعود عدواً لله وولياً للشيطان نعوذ بالله لكون ضلاله ذاتياً قد تداخله الاهتداء العارضي فاستترت ظلمته بصورة نور الاهتداء كاستتار ظلمة الليل بنور النهار عند إيلاج الليل في النهار وكم من عدو في الظاهر يعود ولياً لله وعدواً للشيطان لكون اهتدائه أصلياً قد تداخله الضلال العارضي فاستتر نوره بظلمة الضلال العارضي كاستتار نور النهار بظلمة الليل عند إيلاج النهار في الليل فكما لا ينفع الأول الاهتداء العارضي ويكون غايته إلى الهلاك كذلك لا يضر هذا الثاني الضلال العارضي ويكون خاتمته إلى النجاة. وعن أبي إسحاق - رحمه الله تعالى - قال: كان رجل يكثر الجلوس إلينا ونصف وجهه مغطى فقلت له: إنك تكثر الجلوس إلينا ونصف وجهك مغطى اطلعني على هذا قال وتعطيني الأمان قلت: نعم قال: كنت نباشا فدفنت امرأة فأتيته قبرها فنبشت حتى وصلت إلى اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت بيدي إلى الرءاء ثم ضربت بيدي إلى اللفافة فمددتها فجعلت تمددها هي فقلت: أتراها تغلبني فجثيت على ركبتني فجردت اللفافة فرفعت يدها فلطممني وكشف وجهه فإذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم ما قال ثم رددت عليها لفاقتها وإزارها ثم ردت التراب وجعلت على نفسي أن لا أنبش ما عشت قال: فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ الأوزاعي ويحك أسأله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه إلى القبلة فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك إلى الأوزاعي فكتب إليّ إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاث مرات أما من حول وجهه عن القبلة فإنه مات على غير السنة أي: على غير ملة الإسلام وذلك لأن ترك العمل بالكتاب والسنة والإصرار على المعاصي يجز كثير من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله، قال الشيخ سعدى قدس سره:

عروسي بود نوبت ما تمت كرت نيك روزی بودی خاتمت
نسأل الله سبحانه أن يحفظ نور إيماننا وشمع اعتقادنا من صرصر الزوال ويثبت أقدامنا
بالقول الثابت في جميع الأوقات وعلى كل حال.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۖ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۖ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ يُحْسِنُونَ﴾

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ أي: أردتم المعاقبة على طريقة قول الطبيب للمحمي إن أكلت فكل قليلاً
﴿فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ أي: بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة إطلاق
اسم المسبب على السبب نحو كما تدين تدان أي: كما تفعل تجازي سمي الفعل المجازي
عليه باسم الجزاء على الطريقة المذكورة أو على نهج المشاكلة والمزاوجة يعني تسمية الأذى
الابتدائي معاقبة من باب المشاكلة وإلا فإنها في وضعها الأصل تستدعي أن تكون عقيب فعل
نعم العرف جار على إطلاقها على ما يعذب به أحد وإن لم يكن جزء فعل كما في «حواشي»
سعدي المفتي. قال القرطبي أطبق جمهور أهل التفسير أن هذه الآية مدنية نزلت في شأن سيد
الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وذلك أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد
بقروا بطونهم وجدعوا أنوفهم وآذانهم وقطعوا مذاكيرهم ما بقي أحد غير ممثول به إلا حنظلة بن
الراهب لأن أباه عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوه لذلك ولما انصرف المشركون عن
قتلى أحد انصرف رسول الله عليه الصلاة والسلام فرأى منظراً ساءه رأى حمزة قد شق بطنه
واصطلم أنفه وجدعت أذناه ولم ير شيئاً كان أوجع لقلبه منه فقال: «رحمة الله عليك كنت
وصولاً للرحم فعلاً للخير لولا أن تحزن النساء أو يكون سنة بعدي لتركتك حتى يبعثك الله من
بطون السباع والطير أما والله لئن أظفرنني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك» وقال المؤمنون: إن
أظهرنا الله عليهم لنزيدن على صنهم ولنمثلن مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط ولنفعلن
ثم دعا عليه السلام ببرده فغطى بها وجه حمزة فخرجت رجلاه فجعل على رجله شيئاً من
الإذخر ثم قدمه فكبر عليه عشراً ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه حتى صلى عليه
سبعين صلاة وكان القتلى سبعين. وفي «التيان» صلى النبي عليه السلام على عمه حمزة سبعين
تكبيرة أو صلاة انتهى.

- روي - أن أبا بكر رضي الله عنه صلى على فاطمة رضي الله عنها وكبر أربعاً، وهذا أحد
ما استدل به فقهاء الحنفية على تكبيرات الجنازة أربع كما في «أنوار المشرق». قال في «أسباب
النزول» ما حاصله: أن حمزة رضي الله عنه قتله وحشي الحبشي وكان غلاماً لجبير بن مطعم بن
عدي بن نوفل وكان عمه طعيمة بن عدي قد أصيب يوم بدر فلما سارت قريش إلى أحد قال له
جبير إن قتلت حمزة عم محمد لعمي طعيمة فأنت عتيق فأخذ الوحشي حربته فقفذه بها وكانت
لا تخطيء حربة الحبشة حين قذفوا فكان ما كان ثم أسلم الوحشي وقال له ﷺ: «هل تستطيع
أن تغيب عني وجهك» وذلك أنه عليه السلام كرهه لقتله حمزة فخرج فلما قبض رسول الله ﷺ
وخرج الناس إلى مسيلمة الكذاب قال الوحشي لأخرجن إلى مسيلمة لعلني أقتله فأكافئ به
حمزة فخرج مع الناس فوفقه الله لقتله. ثم إن القتلى لما دفنوا وفرغ منهم نزلت هذه الآية فكفر

عليه السلام عن يمينه وكفه عما أَرَادَهُ والأمر وإن دل على إباحة المماثلة في المثلة من غير تجاوز لكن في تقييده بقوله: ﴿وإن عاقبتكم﴾ حث على العفو تعريضاً. قال في «بحر العلوم» لا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الأخبار بالنهي عنها حتى الكلب العقور ﴿ولئن صبرتم﴾ أي: عن المعاقبة بالمثل وعفوتهم وهو تصريح بما علم تعريضاً ﴿لهو﴾ أي: لصبركم هذا ﴿خير﴾ لكم من الانتصار بالمعاقبة أي: العفو خير للعافين من الانتقام وإنما قيل: ﴿للسابرين﴾ مدحاً لهم وثناء عليهم بالصبر وعند ذلك قال ﷺ: «بل نصبر يا رب». قال في «الخلاصة»: رجل قال لآخر يا خبيث هل يقول له بلى أنت الأحسن أن يكف عنه ولا يجيب ولو رفع الأمر إلى القاضي ليؤدبه يجوز ومع هذا لو أجاب لا بأس به. وفي «مجمع الفتاوى» لو قال لغيره يا خبيث فجازاه بمثله جاز لأنه انتصار بعد الظلم وذلك مأذون فيه قال الله تعالى: ﴿وَلَمَنَ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١] والعفو أفضل قال الله تعالى: ﴿فَمَن عَفَا وَأَسْلَحَ فَأَعْرِضْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وإن كانت تلك الكلمة موجبة للحد لا ينبغي أن يجيبه بمثله تحرزاً عن إيجاب الحد على نفسه. وفي تنوير الأبصار للإمام التمرتاشي ضرب غيره بغير حق وضرب المضروب يعزران ويبدأ بإقامة التعزير بالبادي انتهى. ثم أمر به ﷺ صريحاً لأنه أولى الناس بعزائم الأمور لزيادة علمه بشؤونه تعالى ووفور وثوقه به فقليل:

﴿واصبر﴾ على ما أصابك من جهتهم من فنون الآلام والأذى وعانيت من إعراضهم عن الحق بالكلية وصبره عليه السلام مستتبع لاقتداء الأمة كقول من قال لابن عباس رضي الله عنهما عند التعزية اصبر نكن بك صابرين فإنما صبر الرعية عند صبر الرأس ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ بتوفيق الله وإعانتة لك على الصبر لأن الصبر من صفات الله ولا يقدر أحد أن يتصف بصفاته أي: إلا به بأن يتحلى بتلك الصفة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله أنبياءه بالصبر وجعل الحظ الأعلى منه للنبي ﷺ حيث جعل صبره بالله لا بنفسه وقال: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على الكافرين بوقوع اليأس من إيمانهم بك ومتابعتهم لك نحو ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨] ﴿ولا تك﴾ أصله لا تكن حذفت النون تخفيفاً لكثرة استعماله بخلاف لم يصن ولم يخن ونحوهما ومعنى كثرة الاستعمال أنهم يعبرون بكان ويكون عن كل الأفعال فيقولون كان زيد يقول وكان زيد يجلس فإن وصلت بساكن ردت النون وتحركت نحو ﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ﴾ [النساء: ٣٨] و﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ﴾ [البينة: ١] الآية ﴿في ضيق﴾ أي: لا تكن في ضيق صدر من مكرهم فهو من الكلام المقلوب الذي يسجع عليه عند أمن الالتباس لأن الضيق وصف فهو يكون في الإنسان ولا يكون الإنسان فيه. وفيه لطيفة أخرى وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ﴿مما يمكرون﴾ أي: من مكرهم بك فيما يستقبل فأول نهى عن التأثم بمطلوب من قبلهم فات والثاني عن التأثم بمحذور من جهتهم آت.

﴿إن الله مع الذين اتقوا﴾ اجتنبوا المعاصي ومعنى المعية الولاية والفضل ﴿والذين هم محسنون﴾ في أعمالهم ويقال مع الذين اتقوا مكافاة المسيء والذين هم محسنون إلى من يعادي إليهم فالإحسان على الوجه الأول بمعنى جعل الشيء جميلاً حسناً وعلى الثاني ضد الإساءة وفي الحديث: «إن للمحسن ثلاث علامات يبادر في طاعة الله ويجتنب محارم الله ويحسن إلى من أساء إليه».

ز احسان خاطر مردم شود شاد بتقوى خانه دين كرد آباد
 بسوى اين صفتها كشتابى رضاي خلق و خالق هر دويابى
 قال ممشاد الدينوري: رأيت ملكاً من الملائكة يقول لي: كل من كان مع الله فهو هالك
 إلا رجل واحد قلت: من هو؟ قال: من كان الله معه وهو قوله: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين
 هم محسنون﴾ وذلك لأن المقصود كينونة المحبوب مع المحب إذ هو يشعر بالرضى والإقبال
 وأما كينونة المحب مع المحبوب فقد تحصل مع سخط المحبوب وإدباره. وعن هرم بن حيان
 أنه قيل له حين احتضر أوص فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي أوصيكم بخواتيم
 سورة: النحل أي من ﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ إلى آخرها. يقول الفقير سامحه الله القدير جمع
 شيخي وسندي روح الله روحه أصحابه قبل وفاته بيوم فقال: اعلموا أيها الأصحاب أنه لا مال
 لي حتى أوصي به ولكني على مذهب أهل السنة والجماعة شريعة وطريقة ومعرفة وحقيقة
 فاعرفوني هكذا واشهدوا لي بهذا في الدنيا والآخرة فهذا وصيتي وأشار حضرة الشيخ بهذا إلى
 أنه لا زيغ ولا إلحاد في اعتقاده وفي طريقه أصلاً فإنهم قالوا: إن أهل التصوف تفرقت على
 اثنتي عشرة فرقة فواحدة منهم سنيون وهم الذين أثنى عليهم العلماء والبواقي بدعيون. ويعلم
 السني بشاهدين. أحدهما ظاهر والآخر باطن فالظاهر استحكام الشريعة والباطن السلوك على
 البصيرة واليقظة والعلم لا على العمى والغفلة والجهل فمن عمل بخواتيم هذه السورة واتصف
 بحقيقة العفو والصبر والحلم والانسراح في المنشط والمكره وترك الحزن والغم على الفائت
 والآتي. وبالتقوى على مراتبها وبالإحسان بأنواعه فقد جعل لنفسه علامة الولاية والمعية
 والإيمان الكامل وحسن الخاتمة وخير العاقبة اللهم احفظنا من الميل إلى السوى والغير واختم
 عواقبنا بالخير يا رب.

تمت سورة النحل بما تحتويه من شواهد العقل والنقل في يوم السبت التاسع عشر من
 شعبان المبارك المنتظم في سلك شهور سنة أربع ومائة وألف.

١٧ - سورة الإسراء

وهي مائة وإحدى عشرة آية مكية.

قال في «الكواشي»: إلا من ﴿وإن يكادوا ليستفزونك﴾ إلى ﴿نصيراً﴾ أو فيها من المدني من ﴿قل رب أدخلني مدخل صدق﴾ ﴿وإن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ ﴿وإن ربك أحاط بالناس﴾ ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ والتي تليها انتهى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ الْإِسْرَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ﴿١﴾

﴿سبحان﴾ اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره اسبح الله عن صفات المخلوقين سبحانه بمعنى تسبيحاً ثم نزل منزلة الفعل فتاب منابه كقولهم معاذ الله وغفرانك غير ذلك. وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكره بعده وهو لا ينافي التعجب.

قال في «التأويلات النجمية»: كلمة سبحان للتعجب بها يشير إلى أعجب أمر من أموره تعالى جرى بينه وبين حبيبه. وفي «الأسئلة الحكم» أما اقتران الإسراء بالتسبيح ليتقي بذلك ذو العقل وصاحب الوهم ومن يحكم عليه خياله من أهل التشبيه والتجسيم مما يخيله في حق الخالق من الجهة والجسد والحد والمكان. وإنما تعجب بعروجه دون نزوله عليه السلام لأنه لما عرج كان مقصده الحق تعالى ولما نزل كان مقصد الخلق والمقصود من التعجب التعجب بعروجه. وأيضاً أن عروجه أعجب من نزوله لأن عروج الكفيف إلى العلو من العجائب ﴿الذي أسرى بعبد﴾. قال الكاشفي: [هاكى وبى عيبي أنرا كه بجهت كرامت ببرد بنده خودرا كه محمد است ﷺ] الإسراء السير بالليل خاصة كالسرى يقال أسرى وسري أي: سار ليلاً ومنه السرية واحدة السرايا لأنها تسري في خفية وأسرى به أي: سيره ليلاً. قال النضر: سقط السؤال والاعتراضات على المعراج بقوله: أسرى دون سار ونظيره قوه عليه السلام: «حبب إلي من دنياكم ثلاث» حيث لم يقل أحببت. وإنما قال بعبد دون بنبيه لثلاث يتوهم فيه نبوة وألوهة كما توهموا في عيسى ابن مريم عليهما السلام بانسلاخه عن الأكوان وعروجه بجسم إلى الملاء الأعلى مناقضاً للعادات البشرية وأطوارها. وأدخل الباء للمناسبة بين العبودية التي هي الذلة والتواضع وبين الباء التي هي حرف الخفض والكسر فإن كل ذليل منكسر. وفيه إشارة إلى شرف مقام العبودية حتى قال الإمام في تفسيره: إن العبودية أفضل من الرسالة لأن بالعبودية ينصرف من الخلق إلى الحق فهي مقام الجمع وبالرسالة ينصرف من الحق إلى الخلق فهي مقام

الفرق والعبودية أن يكمل أموره إلى سيده فيكون هو المتكفل بإصلاح مهامه والرسالة التكفل بمهام الأمة وشتان ما بينهما. قال الشيخ الأكبر قدس سره: إن معراجيه عليه السلام أربع وثلاثون مرة واحدة بجسده والباقي بروحه رؤيا رآها أي: قبل النبوة وبعدها وكان الإسراء الذي حصل له قبل أن يوحى إليه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدأ نبوته الرؤيا الصادقة والذي يدل على أنه عليه السلام عرج مرة بروحه وجسده معاً قوله أسرى بعبده فإن العبد اسم للروح والجسد جميعاً وأيضاً أن البراق الذي هو من جنس الدواب إنما يحمل الأجساد وأيضاً لو كان بالروح حال النوم أو حال الفناء أو الانسلاخ لما استعبده المنكرون إذ المتهينون من جميع الملل يحصل لهم مثل ذلك ويتعارفونه بينهم. قال الكاشفي: [أنا نكه درين قصه ثقل جسدرمانع دانند از صعود ارباب بدعت اند ومنكر قدرت].

آنكه سرشت تنش ازجان بود سیر وعروجش بتن آسان بود
وقد ذكروا أن جبريل عليه السلام أخذ طينة النبي ﷺ فجعنها بمياه الجنة وغسلها من كل كثافة وكدورة فكان جسده الطاهر كان من العالم العلوي كروحه الشريف. فإن قلت فقيم أسري به؟ قلت: قال ﷺ: «أسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب» كما في «بحر العلوم». ﴿ليلاً﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد إذ الإسراء في لسان العرب لا يكون إلا ليلاً حتى لا يتخيل أنه كان نهاراً ولا يظن أنه حصل بروحه أو لإفادة تقليل مدة الإسراء في جزء من الليل لما في التنكير من الدلالة على البعضية من حيث الأفراد فإن قولك سرت ليلاً كما يفيد بعضية زمان سيرك من الليالي يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما إذا قلت: سرت الليل فإنه يفيد استيعاب السير له جميعاً فيكون معياراً للسير لا ظرفاً له وهي ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة الاثنين وعليه عمل الناس قالوا: إنه عليه السلام ولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين وأسري به ليلة الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين ولعل سره أن يوم الاثنين إشارة إلى التعيين الثاني الذي هو مبدأ الفياضية ونظيره الباء كما أن الباء من الحروف الهجائية له التعيين الثاني فكذا يوم الاثنين فكان الألف ويوم الأحد بمنزلة تعين الذات والباء ويوم الاثنين أي: تعيينهما بمنزلة تعين الصفات فافهم وفي وصف هذه الليلة، قال المولى الجامي قدس سره:

ز قدر او مثالی ليلة القدر	ز نور او براتی ليلة البدر
سواد طره اش خجلت ده حور	بیاض غره اش نور علی نور
نسیمش جعد سنبل شانه کرده	هوایش اشک شبنم دانه کرده
بمسمار ثوابت چرخ سیار	به بسته در جهان درهای ادبار
طرب راجون سخن خندان ازولب	کر یزان روز محنت زو شباشب

فإن قلت فلم جعل المعراج ليلاً ولم يجعل نهاراً؟ حتى لا يكون إشكال وطعن. قلت: ليظهر تصديق من صدق وتكذيب من كذب. وأيضاً أن الليل محل الخلوة بالحبيب فالليل حظ الفراش والوصال والنهار حظ اللباس والفراق والليل مظهر البطون والنهار مظهر الظهور والليل راحة والراحة من الجنة والنهار تعب والتعب من النار وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة، يعني: [درسال دوازدهم از مبعث بوده] ﴿من المسجد الحرام﴾ أصح الروايات على أن الإسراء كان من بيت أم هانئ بنت أبي طالب وكان بيتهما من الحرم والحرم كله مسجد. قالوا حدود الحرم

من جهة المدينة على ثلاثة أميال ومن طريق العراق على سبعة أميال ومن طريق الجعرانة على تسعة أميال ومن طريق الطائف على سبعة أميال ومن طريق جدة على عشرة أميال والمواقيت الخمسة التي وقتها النبي ﷺ وعينها للإحرام فناء للحرم وهو فناء للمسجد الحرام وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى فالبيت إشارة إلى الذات الإلهية والمسجد الحرام إلى الصفات والحرم إلى الأفعال وخارج المواقيت إلى الآثار ومن قصد مكة سواء كان للزيارة أو غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الألفية غير محرم تعظيماً لها وقس عليه دخول المساجد وحضور المشايخ أصحاب القلوب للصلاة والزيارة فإنه لا بد من أدب الظاهر والباطن في كل منهما.

- ذكروا - أن الحجر الأسود أخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع بلغ ضوءه كان حرماً. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - لما أهبط آدم إلى الأرض خر ساجداً معترداً فأرسل الله تعالى جبريل بعد أربعين سنة يعلمه بقبول توبته فشكا إلى الله تعالى ما فاتته من الطواف بالعرش فأهبط الله له البيت المعمور وكان ياقوتة حمراء فأضاء ما بين المشرق والمغرب فنشرت من ذلك النور الجن والشياطين وفزعوا وتفرقوا في الجو ينظرونه فلما رأوه أي: النور من جانب مكة أقبلوا يريدون الاقتراب إليه فأرسل الله تعالى ملائكته فقاموا حوالي الحرم في مكان الاعلام اليوم ومنعواهم فمن ثمة تسمى الحرم بالحرم. ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ أي: بيت المقدس وسمي بالأقصى أي: الأبعد لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد فهو أبعد المساجد من مكة وكان بينهما أكثر من مسيرة شهر. قال بعض العارفين: أشار بالمسجد الحرام إلى مقام القلب المحرم أن يطوف به مشركو القوى البدنية الحيوانية وترتكب فيه فواحشها وخطاياها وتحججه غير القوى الحيوانية من الصفات البهيمية والسبعية. وأشار بالمسجد الأقصى إلى مقام الروح الأبعد من العالم الجسماني لشهود تجليات الذات. قال في «هدية المهيدين»: معراج النبي عليه السلام إلى المسجد الأقصى ثابت بالكتاب وهو في اليقظة وبالجسد بإجماع القرن الثاني ثم إلى السماء بالخبر المشهور ثم إلى الجنة أو العرش أو إلى طواف العالم بخبر الواحد انتهى. قال الكاشفي: [رفتن آن حضرت از مكه ببيت المقدس بنص قرآن ثابتست ومنكر آن كافر وعروج برآسمانها ووصول بمرتبه قربت بأحاديث صححه مشهوره كه قرييست بحد تواتر ثابت كشت وهر كه إنكار آن كند ضال و مبتدع باشد].

شاهد معراج نبي وافرست وأنكه مقرنيست بدين كافرست
دستكه سلطنت اين وصال نيست به پامزدی خيل خيال
عقل چه داند چه مقامست اين عشق شناست كه چه دامست اين
﴿الذي باركنا حوله﴾ [آن مسجدي كه بركت كرديم بر كرد او] ببركات الدين والدنيا لأنه مهبط الوحي والملائكة ومتعبد الأنبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار المثمرة فدمشق والأردن فلسطين من المدائن التي حوله ﴿لنريه من آياتنا﴾ غاية للإسراء وإشارة إلى أن الحكمة في الإسراء به إراءة آيات مخصوصة بذاته تعالى التي ما شرف بإراءتها أحداً من الأولين والآخرين إلا سيد المرسلين وخاتم النبيين فإنه تبارك وتعالى أرى خليله عليه السلام وهو أعز الخلق عليه بعد حبيبه الملكوت كما قال: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٧٥] وأرى حبيبه آيات ربوبيته الكبرى كما قال: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨] ليكون من المحبين المحبوبين فمن تبعضيه لأن ما أراه الله تعالى في

تلك الليلة إنما هو بعض آياته العظمى وإضافة الآيات إلى نفسه على سبيل التعظيم لها لأن المضاف إلى العظيم عظيم.

وسقط الاعتراض بأن الله تعالى أرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وأرى نبينا عليه السلام بعض آياته فيلزم أن يكون معراج إبراهيم أفضل. وحاصل الجواب أنه يجوز أن يكون بعض الآيات المضافة إلى الله تعالى أعظم وأشرف من ملكوت السموات والأرض كلها كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨]، قالوا في التفاسير هي ذهابه في بعض الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الأنبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية ونحوها. قال في: «أسئلة الحكم» أما الآيات الكبرى: فمنها في الآفاق ما ذكره عليه السلام من النجوم والسموات والمعارج العلى والرفرف الأدنى وصرير الأقلام وشهود الألواح وما غشي الله سدره المنتهى من الأنوار وانتهاء الأرواح والعلوم والأعمال إليها ومقام قاب قوسين من آيات الآفاق. ومنها آيات الأنفس كما قال سبحانه ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣] وقوله: ﴿أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٩] من آيات الأنفس وهو مقام المحبة والاختصاص بالهو ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠] مقام المسامرة وهو الهو غيب الغيب وأيده ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ [النجم: ١١] والفؤاد قلب القلب وللقلب رؤية وللفؤاد رؤية فرؤية القلب يدركها العمى كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] والفؤاد لا يعنى لأنه لا يعرف الكون وما له تعلق إلا بسيدته فإن العبد هنا عبد من جميع الوجوه منزّه مطلق التنزيه في عبوديته فما نقل عبده من مكان إلى مكان إلا ليريه من آياته التي غابت عنه كأنه تعالى قال: ما أسريت به إلا لرؤية الآيات لا إليّ فإنني لا يحذني مكان ولا يقيدني زمان ونسبة الأمكنة والأزمنة إلى نسبة واحدة وأنا الذي وسعني قلب عبدي فكيف أسري به إليّ وأنا عنده ومعه أينما كان نزولاً وعروجاً واستواء ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقواله ﷺ بلا أذن كما يتكلم من غير آلة الكلام وهو اللسان ويعلم من غير أداة العلم وهو القلب ﴿البصير﴾ بأفعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه بحسب ذلك. وفيه إيماء إلى أن الإسراء المذكور ليس إلا لتكريمته ورفع منزلته وإلا فالإحاطة بأقواله وأفعاله حاصلة من غير حاجة إلى التقريب.

وفي «التأويلات» وفي قوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ إشارة إلى أن النبي ﷺ هو السميع الذي قال الله: «كنت له سمعاً فبي يسمع وبني يبصر» فتحقيقه لثريه من آياتنا المخصوصة بجمالنا وجلالنا إنه هو السميع بسمعنا البصير ببصرنا فإنه لا يسمع كلامنا إلا بسمعنا ولا يبصر جمالنا إلا ببصرنا.

چودر مکتب بی نشانی رسید چکویم که آنجا چه دید وشنید

ورق در نوشتند وکم شد سبق شنیدن بحق بود ودیدن بحق

- وتفصيل القصة - أنه عليه السلام بات ليلة الاثنين ليلة السابع والعشرين من رجب كما

سبق في بيت أم هاني بنت أبي طالب واسمها على الأشهر فاختة أسلمت يوم الفتح وهرب زوجها جبيرة إلى نجران ومات بها على كفره واضطجع عليه السلام هناك بعد أن صلى الركعتين اللتين كان يصليهما وقت العشاء ونام ففرج عن سقف بيتها ونزل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام ومع كل واحد منهم سبعون ألف ملك وأيقظه جبريل بجناحه كما قال المولى الجامي:

درین شب آن چراغ چشم بینش
چو دولت شد زید خواهان نهانی
به پهلوتکیه بر مهد زمین کرد
دلش بیدار چشمش درشکر خواب
در آمد ناکهان ناموس اکبر
برو مالید پرکای خواجه بر خیز
برون بر یکزمان زین خوابکه رخت
توبخت عالمی بیخواب به بخت

قال عليه السلام: «فقيمت إلى جبريل فقلت: أخي جبريل ما لك؟ فقال: يا محمد إن ربي تعالى بعثني إليك أمرني أن آتية بك في هذه الليلة بكرامة لم يكرم بها أحد بعدك فإنك تريد أن تكلم ربك وتنتظر إليه وترى في هذه الليلة من عجائب ربك وعظمته وقدرته» قال عليه السلام: «فتوضأت وصليت ركعتين» وشق جبريل صدره الشريف من الموضع المنخفض بين الترقوتين إلى أسفل بطنه أي: أشار إلى ذلك فانشق فلم يكن الشق بآلة ولم يسل دم ولم يجد له عليه السلام ألماً لأنه من خرق العادة وظهور المعجزات فجاء بطست من ماء زمزم واستخرج قلبه عليه السلام فغسل ثلاث مرات ونزع ما كان فيه من أذى. وفيه إشارة إلى فضل زمزم على المياه كلها جنانية أو غيرها ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ إيماناً وحكمة فأفرغ فيه لأن المعاني تمثل بالأجسام كالعلم بصورة اللين ووضعت فيه السكنة ثم أعاد القلب إلى مكانه والتأم صدره الشريف فكانوا يرون أثراً كأثر المخيط في صدره وهو أثر مرور يد جبريل. ووقع له عليه السلام شق الصدر ثلاث مرات:

- والمرة الأولى: - حين كان في بني سعد وهو ابن خمس سنين على ما قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - وأخرج في هذه المرة العلقة السوداء من القلب التي هي حظ الشيطان ومحل غمزه أي: محل ما يلقيه من الأمور التي لا تنبغي فلم يكن للشيطان في قلب النبي عليه السلام حظ وكذا لم يكن لقلبه الطاهر ميل إلى لعب الصبيان ونحوه وهو مما اختص به دون الأنبياء عليهم السلام إذ لم يكن لهم شرح الصدر على هذا الأسلوب وللورثة الكمل حظ من هذا المعنى فإنه يخرج من بعضهم الدم الأسود بالقيء في حال اليقظة ومن بعضهم حال الفناء والانسلاخ والأول أتم لأنه يزول القلب بالكلية فينشط للعبادات كالعادات وجاء جبريل في هذه المرة بخاتم من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبه عليه السلام لحفظ ما فيه وختم أيضاً بين كتفيه بخاتم النبوة أي الذي هو علامة على النبوة وكان حوله خيلان فيها شعرات سود مائلة إلى الخضرة وكان كالتفاحة أو كبيض الحمامة أو كزر الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة كالقطاة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر وزرهما بيضتها. قال الترمذي والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرهما الذي يدخل في عروتها كما في «حياة الحيوان» مكتوب عليه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» أو «محمد نبي أمين» أو غير ذلك. والتوفيق بين الروايات بتنوع الحفظ بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين. قال الإمام الدميري: إن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق هيكلاً الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه

فوسوس إليه فذكر الله تعالى فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كان خاتم النبوة بين كتفيه إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله: «أعانني الله عليه فأسلم» أي: بالختم الإلهي أيده به وخصه وشرفه وفضله بالعصمة الكلية فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك.

- والمرة الثانية: - عند مجيء الوحي في بلوغه سن أربعين ليحصل له التحمل لأعباء

الرسالة.

- والمرة الثالثة: - ليلة الإسراء وهو ابن ثنتين وخمسين ليتسع قلبه لحفظ الأسرار الإلهية

والكلمات الربانية وجاء جبريل هذه الليلة بدابة بيضاء ومن ثمة قيل لها البراق بضم الموحدة لشدة بريقها أو لسرعتها فهي كالبرق الذي يلمع في الغيم كما قال المولى الجامي قدس سره:

پسیج راه عرشت کردم اینک براقی برق سیر آوردم اینک
جهنده برزمین خوش بادپای پرنده درهوا فرخ هماپی
چو عقل کل سوی افلاک کردی چو فکر هندسه کیتی نوردی
نه دست کس عنان او بسوده نه از پایی ركبش كشته سوده

وهي دابة فوق الحمار دون البغل. قال صاحب «المتقى»: الحكمة في كونه على هيئة بغل ولم يكن على هيئة فرس التنبيه على أن الركوب في سلم وأمن لا في خوف وحرب أو لإظهار الآية في الإسراع العجيب في دابة لا يوصف شكلها بالإسراع فإنه كان يضع خطوه عند أقصى طرفه ويؤخذ من هذا أنه أخذ من الأرض إلى السماء في خطوة لأن بصر من في الأرض يقع على السماء وإلى السموات السبع في سبع خطوات لأن بصر من يكون في السماء يقع على السماء التي فوقها وبه يرد على من استبعد من المتكلمين إحضار عرش بلقيس في لحظة واحدة. وقال في «ربيع الأبرار»: خد البراق كخد الإنسان وقوائمها كقوائم البعير وعرفها كعرف الفرس وعليها سرج من لؤلؤة بيضاء وركابان من زبرجد أخضر وعليه لجام من ياقوت أحمر يتلألأ نوراً. قال في «إنسان العيون»: لا ذكر ولا أنثى ومن لا يوصف بوصف المذكر والمؤنث فهو حقيقة ثالثة ويكون خارجاً من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] كما خرجت الملائكة من ذلك فإنهم ليسوا ذكوراً ولا إناثاً. قال عليه السلام: «فما رأيت دابة أحسن منها وإنني لمشتاق إليها من حسننها فقلت: يا جبريل ما هذه الدابة؟ فقال: هذا البراق فاركب عليه حتى تمضي إلى دعوة ربك فأخذ جبريل بلجامها وميكائيل بركابها وإسرافيل من خلفها فقصدت إلى أن أركبها فجمحت الدابة وأبت فوضع جبريل يده على وركها وقال لها: أما تستحيين مما فعلت فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله من محمد فرشحت عرقاً من الحياة». قال ابن دحية: لم يركب البراق أحد قبله عليه السلام ووافقه الإمام النووي فقول جبريل ما ركبك لا ينافيه لأن السالبة تصدق بنفي الموضوع. فقالت: يا جبريل لم استعصب منه إلا ليضمن أن يشفع لي يوم القيامة لأنه أكرم الخلائق على الله فضمن لها ذلك. قالوا: الورد الأبيض خلق من عرق جبريل والأصفر من عرق البراق. وعن أنس رضي الله عنه رفعه «لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض من بعدي فنبت الأصفر من نباتها فلما رجعت قطر عرقي على الأرض فنبت ورد أحمر ألا

من أراد أن يشم رائحتي فليشم الورد الأحمر». قال أبو الفرج النهرواني: هذا الخبر يسير من كثير مما أكرم الله تعالى به نبيه عليه السلام ودل على فضله ورفيع منزلته كما في «المقاصد الحسنة». يقول الفقير: هذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا ورد أحمر وأبيض وأصفر إذ ذلك من باب الكرامة ونظير ذلك أن حواء عليها السلام حين أهبطت إلى الأرض بكت فما وقع من قطرات دموعها في البحر صار لؤلؤاً وهذا لا يستلزم أن لا يكون قبل هذا در في البحر وقس عليه الملح فإن إبراهيم عليه السلام أتى بكف من كافور الجنة فذراه فحيثما وقع ذرة منه في أطراف العالم انقلب مملحة وكان قبل هذا ملح لكن لا بهذه المثابة. قال عليه السلام: «فركبتها»:

ازان دولت سرا چون خواجه دین خرامان شد بعزم خانه زین

شد از سبوحیان کردون صداده که سبحان الذي أسرى بعبده

واختلفوا هل ركبها جبريل معه. قال صاحب المنتقى: الظاهر عندي أنه لم يركب لأنه عليه السلام مخصوص بشرف الإسراء فانطلق البراق يهوي به يضع حافره حيث أدرك طرفه حتى بلغ أرضاً فقال له جبريل: انزل فصل ههنا ففعل ثم ركب فقال له جبريل: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت بمدين وهي قرية تلقاء غزة عند شجرة موسى سميت باسم مدين بن موسى لما نزلها فانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل: انزل فصل ففعل ثم ركب فقال له: أتدري أين صليت؟ قال: «لا» قال: صليت ببيت لحم وهي قرية تلقاء بيت المقدس حيث ولد عيسى عليه السلام وبيننا هو ﷺ على البراق إذ رأى عفرية من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رآه فقال له جبريل: ألا أعلمك كلمات تقولهن إذا أنت قلتهم طفئت شعلته وخر لفيه؟ فقال عليه السلام: «بلى» فقال جبريل: قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن فقال عليه السلام: «ذلك» فانكب لفيه وطفئت شعلته. ورأى ﷺ حال المجاهدين في سبيل الله أي: كشف له عن حالهم في دار الجزاء بضرب مثال. فرأى قوماً يزرعون ويحصدون من ساعته وكلما حصدوا عاد كما كان فقال: «يا جبرائيل ما هذا؟» قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف وما أنفقوا من خير فهو يخلفه والمراد تكرير الجزاء لهم. ونادى مناد عن يمينه يا محمد انظرني أسألك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي اليهود أما إنك لو أحببته لتهودت أمتك أي: لتمسكوا بالتوراة والمراد غالب الأمة. ونادى مناد عن يساره كذلك فلم يجبه فقال: «ما هذا يا جبريل؟» فقال: هذا داعي النصارى أما إنك لو أحببته لتنصرت أمتك أي: لتمسكوا بالإنجيل. وكشف له عليه السلام عن حال الدنيا بضرب مثال فرأى امرأة حاسرة عن ذراعيها لأن ذلك شأن المقتنص لغيره وعليها من كل زينة خلقها الله تعالى ومعلوم أن النوع الواحد من الزينة يجلب القلوب إليه فكيف بوجود سائر أنواع الزينة، قال الحافظ:

خوش عروسیست جهان از سر صورت لیکن

هرکه پیوست بدو عمر خودش کابین داد

وقال:

از ره مرو بعشوه دینی که این عجوز مکاره می نشیند ومحتاله می رود

فقالت: يا محمد انظرنني أسألك فلم يلتفت إليها فقال: «من هذا يا جبريل» فقال: تلك الدنيا أما إنك لو أحببتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. ورأى ﷺ على جانب الطريق عجوزاً فقالت: يا محمد انظرنني فلم يلتفت إليها فقال: «من هذه يا جبريل؟» فقال: إنه لم يبق شيء من عمر الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز. وفي كلام بعضهم قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها. الأول وهو أنها من أول وجود هذا النوع الإنساني إلى أيام إبراهيم عليه السلام تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك إلى بعثة نبينا عليه السلام كهلة ومن بعد ذلك إلى يوم القيامة تسمى عجوزاً وهذا بالنسبة إلى القرن الإنساني وإلا فقد خلق آدم عليه السلام والدنيا عجوز ذهب شبابها ونضارتها كما ورد في بعض الأخبار. فإن قلت: الشباب ومقابله إنما يكون في الحيوان. قلت: الغرض من ذلك التمثيل. وكشف له عليه السلام عن حال من يقبل الأمانة مع عجزه عن حفظها بضرب مثال فأتى على رجل جمع حزمة حطب عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال: «ما هذا يا جبريل؟» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده أمانات الناس لا يقدر على أدائها ويريد أن يتحمل عليها. قيل: «اتقوا الواوات» أي: اتقوا مدلولات الكلمات التي أولها واو كالولاية والوزارة والوصاية والوكالة والوديعة. وكشف له عن حال من ترك الصلاة المفروضة في دار الجزاء فأتى على قوم ترسخ رؤوسهم كلما رضخت عادت كما كانت فقال: «يا جبريل من هؤلاء؟» قال: هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة أي: المفروضة عليهم. وكشف له عن حال من يترك الزكاة الواجبة عليه فأتى على قوم على إقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الإبل والغنم ويأكلون الضريع وهو اليابس من الشوك والزقوم ثمر شجر مر له زفرة قيل: إنه لا يعرف شجره في الدنيا وإنما هو شجر في النار وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٤] ويأكلون رصف جهنم أي: حجارتها المحممة التي تكون بها فقال: «من هؤلاء يا جبريل» قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم المفروضة عليهم. وكشف له عن حال الزناة بضرب مثل فأتى على قوم من بين أيديهم لحم نضيج في قدور ولحم نيء أيضاً في قدور خبيث فجعلوا يأكلون من ذلك النيء الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال: «ما هذا يا جبريل» قال: هذا الرجل من أمتك يكون عنده المرأة الحلال الطيب فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيباً فتأتي رجلاً خبيثاً فتبيت عنده حتى تصبح. وكشف له عن حال من يقطع الطريق بضرب مثال فأتى عليه السلام على خشبة لا يمر بها ثوب ولا شيء إلا خرقتة فقال: «من هذه يا جبريل» قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه وتلا ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ﴾ [الأعراف: ٨٦]. وفيه إشارة إلى الزناة المعنوية وقطاع الطريق عن أهل الطلب وهم الدجاجلة والأئمة المضلة في صورة السادة القادة الأجلة فإنهم يفسدون أرحام الاستعدادات والاعتقادات بما يلقون فيها من نطف خلاف الحق ويصرفون المقلدين عن طريق التحقيق ويقطعون عليهم خير الطريق فأولئك يحشرون مع الزناة والقطاع. وكشف له عن حال من يأكل الربا أي: حالته التي يكون عليها في دار الجزاء فرأى رجلاً يسبح في نهر من دم يلحم الحجارة فقال: «من هذا» فقال: آكل الربا. وكشف له عن حال من يعظ ولا يتعظ فأتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت فقال: «من هؤلاء يا

جبريل» فقال: هؤلاء خطباء الفتنة أمتك يقولون ما لا يفعلون:

ازمن بكوى عالم تفسير كوى را كردر عمل نكوشى تونادان مفسرى
بار درخت علم ندانم بجز عمل باعلم اكر عمل نكنى شاخ بى برى
وكشف له عن حال المغتابين للناس فمر على قوم لهم أظفار من نحاس يخمشون
وجوههم وصدورهم فقال: «من هؤلاء يا جبريل» فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس
ويقعون في أعراضهم. وكشف له عن حال من يتكلم بالفحش بضرب مثال فأتى على حجر
يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث يخرج فلا يستطيع فقال: «من هذا يا
جبريل» فقال: هذا الرجل من أمتك يتكلم الكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها.
وكشف له عن حال من أحوال الجنة فأتى على واد فوجده طيباً بارداً ريحه ريح المسك وسمع
صوتاً فقال: «يا جبريل ما هذا» قال: هذا صوت الجنة تقول يا رب اثنتي ما وعدتني. وكشف
له عن حال من أحوال النار فأتى على واد فسمع صوتاً منكراً ووجد ريحاً خبيثة فقال: «ما هذا
يا جبريل» قال: صوت جهنم تقول يا رب اثنتي ما وعدتني، وفي المثنوى:

ذره ذره كاندريں ارض وسماست جنس خود راهريكى چون كهرياست
معه نائرا مى كشد تا مستقر مى كشد مر آب را تف جكر
چشم جذاب بتان زايں كويهاست مغز جويان ازكلستان بويهاست
ومر عليه السلام على شخص متنجساً عن الطريق يقول: هلم يا محمد قال جبريل: سر يا
محمد قال عليه السلام: «من هذا» قال: عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه:
آدمى را دشمن پنهان بسيست آدمى با حذر عاقل كسيست

ومر عليه السلام على موسى وهو يصلي في قبره عند الكتيب الأحمر وهو يقول برفع
صوته أكرمه وفضلته فقال: «من هذا يا جبريل» قال: هذا موسى بن عمران عليه السلام قال:
«ومن يعاتب» قال له: يعاتب ربه فيك. والعتاب مخاطبة فيها إدلال والظاهر أنه عليه السلام
نزل عند قبره فصلّى ركعتين. ومر عليه السلام على شجرة تحتها شيخ وعياله فقال: «من هذا يا
جبريل» قال: هذا أبوك إبراهيم عليه السلام فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: من هذا الذي
معك يا جبريل؟ قال: هذا ابنك محمد ﷺ قال: مرحباً بالنبي العربي الأمي ودعا له بالبركة
وكان قبر إبراهيم تحت تلك الشجرة فنزل عليه السلام وصلى هناك ركعتين ثم ركب وسار حتى
أتى الوادي الذي في بيت المقدس فإذا جهنم تنكشف عن مثل الزرابي وهي النمارق أي:
الوسائد فقيل: يا رسول الله كيف وجدتّها؟ قال: «مثل الحمّة» أي: الفحمة ومضى عليه
السلام حتى انتهى إلى إيليا من أرض الشام وهو بالكسر مدينة القدس واستقبله من الملائكة جم
غفير لا يحصى عددهم فدخلها من الباب اليماني الذي فيه مثال الشمس والقمر ثم انتهى إلى
بيت المقدس وكان بباب المسجد حجر فأدخل جبريل يده فيه فخرقه فكان كهية الحلقة وربط
به البراق. وفي حديث أبي سفيان رضي الله عنه قبل إسلامه أنه قال لقيصر يحط من قدره ﷺ:
ألا أخبرك أيها الملك عنه خبراً تعلم منه أنه يكذب؟ فقال: وما هو؟ قال: إنه يزعم أنه خرج
من أرضنا أرض الحرم فجاء مسجدكم هذا ورجع إلينا في ليلة واحدة فقال بطريق: أنا أعرف
تلك الليلة فقال له قيصر: ما أعلمك بها قال: إني كنت لا أبيت ليلة حتى أغلق أبواب المسجد
فلما كانت تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير واحد وهو الباب الفلاني غلبني فاستعنت عليه

بعمالي ومن يحضرني فلم يقد فقالوا إن البناء نزل عليه فاتركوه إلى غد حتى يأتي بعض النجارين فيصلحه فتركه مفتوحاً فلما أصبحت غدوت فإذا الحجر الذي من زاوية الباب مثقوب وإذا فيه أثر مربوط الدابة ولم أجد بالباب ما يمنعه من الإغلاق فعلمت أنه إنما امتنع لأجل ما كنت أجده في العلم القديم أن نبياً يصعد من بيت المقدس إلى السماء وعند ذلك قلت لأصحابي: ما حبس هذا الباب الليلة إلا لهذا الأمر. ولا يخفى أن عدم انغلاق الباب إنما كان ليكون آية وإلا فجبريل لا يمنعه باب مغلق ولا غيره وكذا خرق المربط وربط البراق وإلا فالبراق لا يحتاج إلى الربط كسائر الدواب الدنيوية فإن الله تعالى قد سخره لحبيبه عليه السلام. ولما استوى عليه السلام على الحجر المذكور قال جبريل: يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين قال: «نعم» قال جبريل: فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن فسلم عليه السلام عليهن فرددن عليه السلام فقال: من أنتن قلن خيرات حسان نساء قوم أبرار فلم يدرنوا وأقاموا فلم يظعنوا وخلدوا فلم يموتوا ثم دخل عليه السلام المسجد ونزلت الملائكة وأحیی الله له آدم ومن دونه من الأنبياء من سمى الله ومن لم يسم حتى لم يشذ منهم أحد فرأهم في صورة مثالية كهيتتهم الجسدانية إلا عيسى وإدريس والخضر والياس فإنه رآهم بأجسادهم الدنيوية لكونهم من زمرة الاحياء كما هو الظاهر فسلموا عليه وهنأوه بما أعطاه الله تعالى من الكرامة وقالوا: الحمد لله الذي جعلك خاتم الأنبياء فنعم النبي أنت ونعم الأخ أنت وأمتك خير الأمم ثم قال جبريل: تقدم يا محمد وصل بإخوانك من الأنبياء ركعتين فصلی بهن ركعتين وكان خلف ظهره إبراهيم وعن يمينه إسماعيل وعن يساره إسحاق عليهم السلام وكانوا سبعة صفوف ثلاثة صفوف من الأنبياء المرسلين وأربعة من سائر الأنبياء. قال في «إنسان العيون»: والذي يظهر - والله أعلم - أن هذه الصلاة كانت من النفل المطلق ولا يضر وقوع الجماعة فيها انتهى. وفي «منية المفتي» أيضاً إمامة النبي عليه السلام ليلة المعراج لأرواح الأنبياء وكانت في النافلة انتهى. قال عليه السلام: «لما وصلت إلى بيت المقدس وصليت فيه ركعتين» أي: إماماً بالأنبياء والملائكة «أخذني العطش أشد ما أخذني فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر خمر فأخذت الذي فيه اللبن وكان ذلك بتوفيق ربي فشربته إلا قليلاً منه وتركت الخمر فقال جبريل: أصبت الفطرة يا محمد» لأن فطرته هي الملائمة للعلم والحلم والحكمة «أما إنك لو شربت الخمر لغوت أمتك كلها ولو شربت اللبن كله لما ضل أحد من أمتك بعدك فقلت: يا جبريل اردد عليّ اللبن حتى أشربه كله فقال جبريل: قضى الأمر ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم». قال بعضهم: إنه لم يختلف أحد أنه عرج به ﷺ من عند القبة التي يقال لها قبة المعراج عن يمين الصخرة وقد جاء «صخرة بيت المقدس من صخور الجنة» وفيها أثر قدم النبي عليه السلام. قال أبي بن كعب: ما من ماء عذب إلا وينع من تحت صخرة بيت المقدس ثم يتفرق في الأرض وهذه الصخرة من عجائب الله فإنها صخرة شعشاء في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والأرض. قال الإمام أبو بكر بن العربي في شرح الموطأ امتنعت لهيبها أن أدخل من تحتها لأنني كنت أخاف أن تسقط عليّ بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجائب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الأرض لا يتصل بها

من الأرض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالاً من بعض. قال بعضهم: بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً وباب السماء الذي يقال له: مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس أي: ولهذا أسري به عليه السلام من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليحصل العروج مستوياً من غير تعويج. يقول الفقير رقا الله القدير إلى معرفة سر المعراج المنير: لعل وجه الإسراء إلى بيت المقدس هو التبرك بقدمه الشريفة لكون مدينة القدس ومسجدها متعبد كثير من الأنبياء ومدفنهم لا لأنه يحصل العروج مستوياً فإن ذلك من باب قياس الغائب على الشاهد وتقدير الملكوت بالملك إذ الأرواح الطيبة وألطفها النبي عليه السلام بجسمه وروحه لا حائل لهم واعتبار الاستواء والتعويج من باب التكلف الذي لا يناسب حال المعراج. وقد ثبت أن عيسى عليه السلام سينزل إلى المنارة البيضاء الدمشقية ولم يعهد أنها حيال باب السماء فالجواب العقلي لا يتمشى ههنا. قال في «ربيع الأبرار» «ثم قال لي جبريل: قم يا محمد فقامت فإذا بسلم من ذهب قوائمه من فضة مركب من اللؤلؤ والياقوت يتلأل نوره وإذا أسفله على صخرة بيت المقدس ورأسه في السماء فقيل لي: يا محمد اصعد فصعدت». وفي «إنسان العيون»: «عرج إلى السماء من الصخرة على المعراج لا على البراق. والمعراج بكسر الميم وفتحها الذي تعرج أرواح بني آدم فيه وهو سلم له مرقاة من ذهب وهذا المعراج لم تر الخلائق أحسن منه أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء أي: بعد خروج روحه فإن ذلك عجبه بالمعراج الذي نصب لروحه لتعرج عليه وذلك شامل للمؤمن والكافر إلا أن المؤمن يفتح لروحه باب السماء دون الكافر فتد بعد عروجها تحسراً وندامة وتبكيئاً له وذلك المعراج أتى به من جنة الفردوس وأنه منضد باللؤلؤ أي: جعل فيه اللؤلؤ بعضه على بعض عن يمينه ملائكة ويساره ملائكة فصعد ﷺ ومعه جبريل. وفي كلام بعض المشايخ أن المراد بالمعراج صورة الجذب والانجذاب وتمثيل الصعود وإلا فالآلة لا تتمشى هناك إذ لا يقاس السير الملكوتي على السير الملكي والظاهر أن عالم الملكوت مشتمل على ما هو صورة ومعنى والصورة هناك تابعة للمعنى كحال صاحب السير والإسراء فإنه لو لم يكن جسده تابعاً لروحه لتعذر العروج فلصورته صورة ولمعناه معنى وكل منهما خلاف ما تتصوره الأوهام وهو اللائح بالبال والحمد لله الملك المتعال.

واعلم أن المعدن والنبات والحيوان مركبات تسمى بالمواليد الثلاثة آباؤها الأثيريات أي: الأجرام الأثيرية التي هي الأفلاك بما فيها من الأجرام النيرة وأمهاتها العنصرية والعناصر أربعة الأرض والماء والهواء والنار فالأرض ثقيل على الإطلاق والماء ثقيل بالإضافة إلى الهواء والنار وهو محيط بأكثر الأرض والهواء خفيف مضاف إلى الثقليين يطلب العلو وهو محيط بكرة الأرض والماء والنار خفيف على إطلاق يحيط بكرة الهواء والنبي ﷺ جاوز هذه العناصر ليلة المعراج بالحركة القسرية والحركة القسرية غير منكورة عندنا وعند المحيلين لهذا الإسراء الجسماني فإننا نأخذ الحجر وطبعه النزول فنرمي به في الهواء فصعده في الهواء بخلاف طبعه وبطبعه أما قولنا بخلاف طبعه فإن طبعه يقتضي الحركة نحو المركز فصعده في الهواء عرضي بالحركة القسرية وهي الرمي به علواً وأما قولنا وبطبعه فإنه على طبيعة يقبل بها الحركة القسرية ولو لم يكن ذلك في طبعه لما انفعّل لها ولا قبلها وكذلك اختراقه عليه السلام الفلك الأثيري وهو نار والجسم الإنساني مهياً مستعد لقبول الاحتراق ثم إن المانع من الاحتراق أمور يسلمها

الخصم فتلك الأمور كانت الحجب التي خلقها الله سبحانه في جسم المسرى به فلم يكن عنده استعداد الانفعال للحرق كبعض الأجسام المظلمة بما يمنعها من الاحتراق بالنار أو أمر آخر وهو أن الطريق الذي اخترقه ليس النار فيه إلا محمولة في جسم لطيف ذلك الجسم هو المحرق بالنار فسلب عنه النار وحل به ضدها كنار إبراهيم عليه السلام قال عليه السلام: «انتهيت إلى بحر أخضر عظيم أعظم ما يكون من البحار فقلت: يا جبرائيل ما هذا البحر؟ فقال: يا محمد هذا بحر في الهواء لا شيء من فوقه يتعلق به ولا شيء من تحته يقر فيه ولا يدري قعره وعظمته إلا الله تعالى ولولا أن هذا البحر كان حائلاً لا حترق ما في الدنيا من حر الشمس» ثم قال: «ثم انتهيت إلى السماء الدنيا واسمها رقيع فأخذ جبريل بعصدي وضرب بابه به وقال: افتح الباب» وإنما استفتح لكون إنسان معه ولو انفرد لما طلب الفتح ولكون مجيئه على خلاف ما كانوا يعرفونه قبل: «قال الحارس: من أنت؟ قال: جبريل قال: ومن معك فإنه رأى شخصاً معه لم يعرفه قال: محمد قال: أوقد بعث محمد قال: نعم» وذلك لجواز أن يعرف ولادته عليه السلام ويخفى عليه بعثته قال: «الحمد لله ففتح لنا الباب ودخلنا فلما نظر إلي قال: مرحباً بك يا محمد ولنعم المجيء مجيئك فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: إسماعيل خازن السماء الدنيا وهو ينتظر قدومك فادن وسلم عليه فدنوت وسلمت فرد علي السلام وهنأني فلما صرت إليه قال: أبشر يا محمد فإن الخير كله فيك وفي أمتك فحمد الله على ذلك» وهذا الملك لم يهبط إلى الأرض قط إلا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه الشريفة «تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك قال: وإذا جنوده قائمون صفوفاً ولهم زجل بالتسبيح يقولون سبوحاً سبوحاً لرب الملائكة والروح قدوساً قدوساً لرب الأرباب سبحانه العظيم الأعظم وكان قراءتهم سورة الملك فرأيت فيها كهيئة عثمان بن عفان فقلت: بم بلغت إلى هنا قال: بصلاة الليل»:

هر كج سعادت كه خدا داد بحافظ ازیمن دعای شب وورد سحرى بود

قال: «ثم انتهيت إلى آدم فإذا هو كهيئة يوم خلقه الله تعالى» أي: على غاية من الحسن والجمال «وكان تسبيحه سبحانه الجليل الأجل سبحانه الواسع الغني سبحانه الله العظيم وبحمده فإذا هو تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة خرجت من جسد طيب اجعلوها في عليين وتعرض عليه أرواح ذريته الكفار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة خرجت من جسد خبيث اجعلوها في سجين». فإن قلت أرواح الكفار لا تفتح لها أبواب السماء فكيف تعرض عليه وهو في السماء. قلت: المراد بعض أرواح ذريته الكفار يقع نظره عليها وهي دون السماء لأنها شفاقة. فإن قلت: ما ذكر يقتضي أن يكون أرواح المؤمنين كلهم في عليين في السماء الرابعة وقد ثبت أن أرواح العصاة محبوسة بين السماء والأرض. قلت: التحقيق أن مبدأ مراتب السعداء من السماء الدنيا على درجات متفاوتة إلى عليين ومبدأ مراتب الأشقياء من مقعر سماء الدنيا إلى منازل مختلفة إلى سجين تحت السابعة وهو مسكن إبليس وذريته فمراتب أرواح الكفار أنزل من مراتب أرواح عصاة المؤمنين تلتحق بعد التهذيب إلى مقارها العلوية قال عليه السلام: «فتقدمت إليه وسلمت عليه فقال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح» أي: لقيت رحباً وسعة وكان مقره فلك القمر لمناسبته في السرعة فإن القمر يسير في الشهر ما يسير الشمس في السنة من المنازل فناسب في سرعة حركاته حركاته الذهنية وانتقالاته الباطنية

وموجب هذه الرؤية الخاصة أي: رؤيته عليه السلام لآدم في السماء الدنيا دون غيره من الأنبياء عليهم السلام مناسبة صفاتية أو فعلية أو حالية فلا تنافي أن يشارك آدم في هذه السماء غيره من بعض الأنبياء وقس عليها الرؤية فيما فوقها من السموات كما سيجيء. قال في تفسير «المناسبات» في سورة النجم فأول ما رأى ﷺ من الأنبياء عليهم السلام آدم عليه السلام الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه إبليس عدوه منهما وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي عليه السلام حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم يعرض عليه ذريته البر والفاجر منهم فكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها انتهى قال عليه السلام: «ورأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل» أي: كشفاه الإبل «وفي أيديهم قطع من نار كالأنهار» أي الحجارة «التي كل واحد منها ملء الكف يقذفونها في أفواههم تخرج من أدبارهم قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: أكلة أموال اليتامى ظلماً» وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض ولعل المراد بالرجال الأشخاص أو خصوا بذلك لأنهم أولياء للأيتام غالباً «ثم رأيت رجالاً لهم بطون أمثال البيوت فيها حيات ترى من خارج البطون بطريق آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يعرضون على النار لا يقدرون أن يتحولوا من مكانهم ذلك» أي: فتأطهم آل فرعون الموصوفون بما ذكر المقتضي لشدة وطئهم لهم والمهيومة التي أصابها الهيام وهو داء يأخذ الإبل فتهيم في الأرض ولا ترعى أو العطاش والهيام شدة العطش. وفي رواية «كلما نهض أحدهم خر» أي: سقط «قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا» وتقدمت رؤيته عليه السلام لهم في الأرض لا بهذا الوصف بل أن الواحد منهم يسبح في نهر من دم يلحم الحجارة ولا مانع من اجتماع الوصفين لهم أي: فيخرجون من ذلك النهر ويلقون في طريق من ذكر وهكذا عذابهم دائماً «ثم رأيت أخونة عليها لحم طيب ليس عليها أحد وأخرى عليها لحم متن عليها ناس يأكلون قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يتركون الحلال ويأكلون الحرام» أي: من الأموال أعم مما قبله وهؤلاء لم يتقدم رؤيته لهم في الأرض «ثم رأيت نساء متعلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال ما ليس من أولادهن أي: بسبب زناهن» وفي رواية «أنه عليه السلام رأى في هذه السماء النبل والفرا» وذلك لأن منيعهما من تحت سدرة المنتهى ويمران في الجنة ويجاوزانها إلى السماء الدنيا فينصبان إلى الأرض من طرف العالم فيجريان. وفي زيادة «الجامع الصغير» «إن النبل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يسبح لوجدتم فيه من ورقها» قال ﷺ: «ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا عليهم السلام» أي: شبه أحدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما «ومعهما نفر من قومهما فرحبا بي ودعوا لي بخير» وكونهما ابن الخالة أي: أن أم كل خالة الآخر هو المشهور والتفصيل في آل عمران. قال في «تفسير المناسبات» ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبتة اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه، قال في «المثنوي»:

چون سفيها نراست اين كاروكيا لازم آمد يقتلون الأنبياء
ورسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محتته

فيها باليهود وآذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجي عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تنزل تلك الأكلة تعاده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابني الخالة عيسى ويحيى. قوله تعاده يقال عادته اللسعة إذا أته لعداد بالكسر أي: لوقت وفي الحديث: «ما زالت أكلة خبير تعادني فهذا أوان قطعت أبهري» وهو عرق في الظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه وذلك أن يهودية أتت رسول الله بشاة مسمومة فأكل منها وأكل القوم فقال عليه السلام: «ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة» فمات بشر بن البراء منه فجاء بها إلى رسول الله فسألها عن ذلك فقالت: أردت أن أقتلك فقال عليه السلام: «ما كان الله ليسلط علي ذلك» أي: على قتلي. قال الشيخ افتاده قدس سره: وإنما لم يؤثر السم فيه عليه السلام إلى الاحتضار لأن إرشاده عليه السلام وإن كان في عالم التنزل غير أن تنزله كان من مرتبة الروح وهي أعدل المراتب فلم يؤثر فيه إلى الاحتضار فلما احتضر تنزل إلى أدنى المراتب لأن الموت إنما يجري على البشرية فلما تنزل إلى تلك المرتبة أثر فيه «ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام ومعه نفر من قومه وإذا هو أعطى شطر الحسن» أي: نصف الحسن الذي أعطيه الناس غير نبينا عليه السلام وفي كلام بعضهم أعطى شطر الحسن الذي أوتيته نبينا عليه السلام وكان نبينا عليه السلام أملح وإن كان يوسف أبيض، قال المولى الجامي:

دبير صنع نوشت است كرد عارض تو بمشك ناب كه الحسن والملاحة لك

وذلك أن الحسن والملاحة من عالم الصفات ولم يحصل لغيره عليه السلام ما حصل له من تجليات الصفات على الكمال صورة ومعنى إذ هو أفضل من الكل فالتجلي له أكمل وهو اللائح بالبال قال عليه السلام: «فرحب بي ودعا لي بخير قال في «تفسير المناسبات» أما لقاءه ليوسف عليه السلام في السماء فإنه يؤذن بحالة ثلاثة تشبه حالة يوسف عليه السلام وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرائهم فصصح عنهم وقال: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [يوسف: ٩٢] الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلقه ومنهم من فداه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم: «أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم» «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» قال الله تعالى في حقه: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] أي: السماء الرابعة حال حياته على أحد الوجوه وكونه في الجنة كما في بعض الروايات لا ينافي وجوده في السماء المذكورة تلك الليلة. قيل: رفع إلى السماء من مصر بعد أن خرج منها ودار الأرض كلها وعاد إليها ودعا الخلائق إلى الله تعالى باثنتين وسبعين لغة خاطب كل قوم بلغتهم وعلمهم العلوم وهو أول من استخرج علم النجوم أي: علم الحوادث التي تكون في الأرض باقتران الكواكب وهو علم صحيح لا يخطئ في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطئ لعدم استيفائه النظر. قال في «المناسبات» ثم لقاءه لإدريس عليه السلام في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك موزناً بحالة رابعة وهو شأنه ﷺ حتى

أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر ابن أبي كبشة حين أصبح يخافه ملك ابن أبي الأصفر وكتب بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادن وأهدى إليه وأتحفه المقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به وهذا مقام عليّ وخط بالقلم على نحو ما أوتي إدريس عليه السلام: «ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بهارون عليه السلام ونصف لحيته بيضاء ونصف لحيته سوداء تكاد تضرب إلى سترته من طولها وحوله قوم من بني إسرائيل وهو يقص عليهم فرحب بي ودعا لي بخير» وكان هارون محبباً في قومه لأنه كان ألين إليهم من موسى لأن موسى كان فيه بعض الشدة عليهم ومن ثمة كان له منهم بعض الأذى. قال في «المناسبات»: لقاؤه عليه السلام في السماء الخامسة لهارون المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه. قال وهب بن منبه: وجدت في أحد وسبعين كتاباً أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله ﷺ إلا كحبة بين رمال الدنيا. ومما يتفرع على العقل إقناء الفضائل واجتناب الرذائل وإصابة الرأي وجودة الفطنة وحسن السياسة والتدبير وقد بلغ من ذلك ﷺ الغاية التي لم يبلغها بشر سواه ومما لا يكاد يقضي منه العجب حسن تدبيره ﷺ للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفائهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه واختاروه على أنفسهم وقاتلوا دون أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم «ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير» وكان موسى رجلاً آدم طوالاً كثير الشعر مع صلابته لو كان عليه قميصان لنفذ الشعر منهما وكان إذا غضب يخرج شعر رأسه من قلنسوته وربما اشتعلت قلنسوته لشدة غضبه ولشدة غضبه لما فر الحجر بثوبه صار يضربه حتى ضربه ست ضربات أو سبعمائة مع أنه لا إدراك له ووجه بأنه لما فر صار كالدابة والدابة إذا جمحت فصاحبها يؤذيها بالضرب. يقول الفقير: إنما فر الحجر لأن للجملادات حياة حقانية عند أهل الله تعالى وربما يظهر أثرها في الظاهر فتصير في حكم الأحياء من ذوي الروح وإليه الإشارة بهذه الأبيات «المثنوية»:

بادرا بى چشم اكر بينش نداد	فرق چون مى كرد اندر قوم عاد
كرنبودى نيل را آن نور ديد	ازچه قبطنى را زسبطى مى كزید
كرنه كوه وسنك بادیدار شد	پس جـرا داودرا اویار شد
این زمين را كرنبودى چشم وجان	ازچه قارون را فراخوردى چنان

قال عليه السلام: «فلما جاوزت أي عن موسى بكى فقبل له: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي» أي بل ومن سائر الأمم لأن أهل الجنة من الأمم مائة وعشرون صفراً هذه الأمة منها ثمانون صفراً وسائر الأمم أربعون. قال ابن الملك: إنما بكى موسى إشفاقاً على أمته حيث قصر عددها عن عدد أمة محمد لا حسداً عليه لأنه لا يليق به وأما قوله إن غلاماً بعث بعدي فلم يكن على سبيل التحقير بل على

معنى تعظيم المنة لله تعالى لأن محمداً مع كونه غير طويل العمر في عبادة ربه خصه بهذه الفضيلة. يقول الفقير: بكاء موسى عليه السلام هو المناسب لمقامه لأنه كان له غيرة غالبية ولذا لما مر عليه السلام عليه وهو يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر سمع منه وهو يقول برفع صوته أكرمته فضلته يخاطب ربه وعاتبه ادلالاً وهو لا يستلزم الحسد والتحقير لأن كمل أفراد الأمة مطهرون عن مثل هذا فكيف الأنبياء خصوصاً أولو العزم منهم ومن البين أن أهل الجنة يرضون بما أوتوا من الدرجات على حسب استعداداتهم فلا يتمنى بعضهم مقام بعض لكونه خارجاً عن الحكمة فكذا الأنبياء والأولياء في مقاماتهم المعنوية وإلا لما استراحوا وهو مخل بربتهم. قال في «المناسبات»: ولقاؤه في السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر بغزوة الشام وظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزا رسول الله ﷺ تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيراً وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد قيل: أوقد بعث إليه قال: نعم ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام قال: هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح». قال الإمام التوربشتي: أمر النبي عليه السلام بالتسليم على الأنبياء وإن كان أفضل لأنه كان عابراً عليهم وكان في حكم القائم وهم في حكم القعود والقائم يسلم على القاعد والمرئي كان أرواح الأنبياء مشكلة بصورهم التي كانوا عليها إلا عيسى فإنه مرئي بشخصه قال عليه السلام: «وإذا إبراهيم رجل أشمط جالس عند باب الجنة» أي في جهتها وإلا فالجنة فوق السماء السابعة «على كرسي مسنداً ظهره إلى البيت المعمور» وهو من عقيق محاذ للكعبة بحيث لو سقط سقط عليها «يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون كالأنفاس الإنسانية يدخلون من الباب الواحد ويخرجون من الباب الآخر» فالدخل من باب مطالع الكواكب والخروج من باب مغارها قال عليه السلام: «وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشرط عليهم ثياب رمدة فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمدة فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور» أي ركعتين والظاهر أنه ليس المراد بالشرط النصف حتى يكون العصاة من أمته بقدر الطائعين منهم. يقول الفقير المراد بالشطرين الفرقتان والفرقة التي عليهم ثياب بيض طائفة بالنسبة إلى الذين عليهم ثياب رمدة لأن الحكمة الإلهية اقتضت كون أهل العصيان والنفس أكثر من أهل الطاعة والتزكية إذ المقصود ظهور الإنسان الكامل وهو حاصل مع أن الواحد على الحق هو السواد الأعظم فيكون أهل الطاعة كالشرط بالنسبة إلى أهل العصيان نسأل الله تعالى أن يدخلنا بيت القلب مع الداخلين ويزيل أوساخ وجوداتنا بحرمة النبي الأمين. قال السهيلي قد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة سيدنا إبراهيم عليه السلام وأن رسول الله قال لجبريل حين رآهم مع إبراهيم «من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أولاد المؤمنين الذين يموتون صغاراً» قال له: «وأولاد الكافرين» قال: «وأولاد الكافرين». وقد روي في أطفال الكافرين أيضاً «أنهم خدم لأهل الجنة». وجاء أن إبراهيم عليه السلام قال لرسول الله: «أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأن غراسها

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» كما قال المولى الجامي :

يا حبيب خدا خليل خدا	يادكن آنكه درشب اسرا
امت خویش را زبعد سلام	كفت كووى ازمن اى رسول كرام
ليك آنجا كسى درخت نكشت	كه بود پاك وخوش زمين بهشت
ليك هست از درختها ساده	خاك او پاك وطيب افتاده
بسمله حمد له است پس تهليل	غرس أشجار ان بسعى جميل
خوش كسى كش جزين نيابد كار	هست تكبير نيز ازان اشجار
سبز وخرم شود ازان اشجار	باغ جنات تحتها الأنهار

قال عليه السلام: «واستقبلتني جارية لعماء وقد أعجبني فقلت لها: يا جارية أنت لمن؟ قالت: لزيد بن حارثة» واللعمس لون الشفة إذا كان تضرب إلى السواد قليلاً وذلك مستملح. يقول الفقير زيد: هذا هو الذي تبناه رسول الله ﷺ وكانت زينب تحت نكاحه فطلقها ليتزوجها رسول الله فلما أثر النبي عليه السلام بها أبدل الله مكانها زوجاً له من الحور مليحة جداً ورازاه بها فإن لكل فناء وترك مشروع أثراً معنوياً فما انتقص شيء في الظاهر إلا وقد انتقل في الباطن والآخرة باطن بالنسبة إلى الدنيا فمن ترك حظه فيها وجده في الآخرة أعلى منه وأوفر. ورأى عليه السلام في السماء السابعة فوجاً من الملائكة نصف أبدانهم من النار ونصفها من الثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفىء النار وهم يقولون: اللهم كما ألفت بين النار والثلج فآلف بين قلوب عبادك المؤمنين حملة بعض الأكابر على معنى أن نصف أجزائه ثلج ونصف أجزائه نار فامتزجا وحصل بينهما مزاج واحد والظاهر أن الأول أدل على القدرة فإن اجتماع الأضداد بالمعنى الذي ذكره موجود في أكثر المركبات. قال في «المناسبات»: ثم لقاؤه في السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسنداً ظهره إليه والبيت المعمور حيال الكعبة أي بازائها ومقابلتها وإليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج والحكمة الثانية أن آخر أحوال النبي عليه السلام حجه إلى البيت الحرام وحج معه ذلك العام نحو من سبعين ألفاً من المسلمين ورؤية إبراهيم عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة قال ﷺ: «ثم ذهب بي» أي جبريل «إلى سدره المنتهى» وهي شجرة فوق السماء السابعة في أقصى الجنة إليها ينتهي الملائكة بأعمال أهل الأرض من السعداء وإليها تنزل الأحكام العرشية والأنوار الرحمانية «وإذا أوراقها كآذان الفيلة» جمع الفيل أي في الشكل وهو الاستدارة لا في السعة إذ الواحدة منها تظل الخلق كما في بعض الروايات «وثمرها كالقلال» جمع قلة وهي الجرة العظيمة وهذه الشجرة هي الحد البرزخي بين الدارين فأغصانها نعيم لأهل الجنة وأصولها زقوم لأهل النار ولأفنانها حنين بأنواع التسييحات والتحميدات والترجيعات عجبية الألحان تطرب لها الأرواح وتظهر عليها الأحوال وأم فيها رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدره المنتهى فظهر بذلك فضله على أهل الأرض والسماء ويخرج من أصل تلك الشجرة أربعة أنهار نهران باطنان أي يبطنان ويغيبان في الجنة بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة وهما الكوثر ونهر الرحمة ونهران ظاهران أي يستمران ظاهرين بعد خروجهما من أصل تلك الشجرة فيجاوزان الجنة وهما النيل نهر مصر والفرات نهر الكوفة.

قال بعضهم لولا دخول بحر النيل في الملح الذي يقال له البحر الأخضر قبل أن يصل إلى بحيرة الزنج لما قدر أحد على شربه لشدة حلاوته ومر الفرات في بعض السنين فوجد فيه رمان مثل البعير فيقال إنه رمان الجنة. يقول الفقير لعله من البساتين التي يقال لها جنان الأرض إذ سقوط الثمار من أماكنها من الفساد غالباً وليس لثمار الجنة ذلك اللهم إلا أن يقال وجود ذلك الرمان في الفرات على تقدير أن يكون من رمان الجنة إنما هو ليكون آية لذوي الاستبصار ودخل عليه السلام الجنة فإذا فيها جناز أي قباب الدر وإذا ترابها المسك ورمائها كالدلاء وطيرها كالبعث وانتهى إلى الكوثر فإذا فيه آنية الذهب والفضة فشرب منه فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك وفي الحديث «ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل والذي نفس محمد بيده لا يقطف رجل ثمرة من الجنة فتصل إلى فيه حتى يبدل الله مكانها خيراً منها» وهذا القسم يرشد إلى أن ثمرة الجنة كلها حلوة تؤكل وأنها تكون على صورة ثمرة الدنيا المرة وغشي السدرة ما غشي من نور الحضرة الإلهية فصار لها من الحسن غير تلك الحالة التي كانت عليها فما أحد من خلق يستطيع أن ينعتها من حسنها لأن رؤية الحسن تدهش الرائي ورأى عليه السلام جبرائيل عند تلك السدرة على الصورة التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق أي ما بين المشرق والمغرب يتناثر من أجنحته الدر والياقوت.

- ويروى - أن جبريل لما وصل إلى السدرة التي هي مقامه تأخر فلم يتجاوز فقال عليه السلام: «أفي مثل هذا المقام يترك الخليل خليله» فقال: لو تجاوزت لأحرقت بالنور. وفي رواية لو دنوت أنملة لأحرقت، قال الشيخ سعدى قدس سره:

چنان کرم درنیه قربت براند	که درسدره جبریل ازوباز ماند
بدو کفت سالار بیت الحرام	که ای حامل وحی برتر خرام
چو در دوستی مخلصم یا فتی	عنانم ز صحبت چرا تافتی
بکفتا فرا تر مجالم نماند	بماندم که نیروی بالم نماند
اکریک سرموی بر تر پرم	فروغ تجلی بوزد پرم

فقال عليه السلام: «يا جبريل هل لك من حاجة إلى ربك قال: يا محمد سل الله لي أن أبسط جناحي على الصراط لأمتك حتى يجوزوا عليه» قال عليه السلام: «ثم زج بي في النور فخرق بي سبعون ألف حجاب ليس فيها حجاب يشبه حجاباً غلظ كل حجاب خمسمائة عام وانقطع عني حس كل ملك فلاحقني عند ذلك استيحاش فعند ذلك نادى مناد بلغة أبي بكر قف فإن ربك يصلي» أي يقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي وجاء نداء من العلى الأعلى «ادن يا خير البرية ادن يا أحمد ادن يا محمد فأدنانى ربي حتى كنت كما قال ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى».

- وروي - أنه عليه السلام عرج من السماء السابعة إلى السدرة على جناح جبريل ثم منها على الرفرف وهو بساط عظيم. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني هو نظير المحفة عندنا ونادى جبريل من خلفه يا محمد إن الله يثني عليك وأطع ولا يهولنك كلامه فبدأ عليه السلام بالثناء وهو قوله: «التحيات لله والصلوات والطيبات» أي العبادات القولية والبدنية والمالية فقال تعالى: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» فعمم عليه السلام سلام الحق فقال:

«السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فقال جبريل: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» وتابعه جميع الملائكة. قال بعض الكبار اخترق الأفلاك من غير أن تسكن عن تحريكها كاختراق الماء والهواء إلى أن وصل سدرة المنتهى فقع على الرفرف فاخرق عوالم الأنوار إلى أن جاز موضع القدمين إلى العرش أي المستوى المفهوم من قوله: ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كل ذلك بجسمه فعابن محل الاستواء فلما فارق عالم التركيب والتدبير لم يبق له أنيس من جنسه فاستوحش من حيث مركبه فنودي بصوت أبي بكر: «قف يا محمد إن ربك يصلي» فسكن وتلا عليه عند ذلك ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] هذا لسان الأحباب وخطاب الأخلاء والأصحاب وهذا أول الأبواب المعنوية من هنا تقع في بحر الإشارات والمعاني وهو الإسراء البسيط فتقع المشاهدة بالبصر لا بالجراحة لأعيان الأرواح المهيمة التي لا مدخل لها في عالم الأجسام فترك الرفرف ومشاهدة الجسم وانسلخ من الرسم والاسم وسافر بررف همته فحطت العين بساحل بحر العمى حيث لا حيث ولا أين فأدركت ما أدركت من خلف حجاب العزة الأحمى الذي لا يرتفع أبداً ثم عادت بلا مسافة إلى شهود عينها ثم إلى تركيب كونها المتروك بالمستوى مع الرفرف فقوله: «ثم دنا» إشارة إلى العروج والوصول وقوله: «فتدلى» إلى النزول والرجوع وقوله ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] بمنزلة النتيجة إشارة إلى الوصول إلى مرتبة الذات الواحدية أي عالم الصفات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ [الإخلاص: ٢] وقوله تعالى: ﴿أَوَّادُونَ﴾ [النجم: ٩] إشارة إلى مرتبة الذات الأحدية أي عالم الذات المشار إليه بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وكان المعراج في صورة الصعود والهبوط لأنه وقع بالجسم والروح معاً وإلا فالملك والملكوت مندرج في الوجود الإنساني وكل تجل يحصل له إنما هو من الداخل لا من الخارج قال ﷺ: «سألني ربي فلم أستطع أن أجيبه فوضع يده بين كتفيّ بلا تكيف ولا تحديد» أي يد قدرته سبحانه منزّه عن الجراحة «فوجدت بردها فأورثني علم الأولين والآخرين وعلمني علوماً شتى فعلم أخذ علي كتمانته إذ علم أنه لا يقدر على حمله غيري وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه إلى العام والخاص من أمتي» وهي الإنس والجن وهذا التفصيل يدل على أن العلوم الشتى هذه العلوم الثلاثة كما يدل عليه الفاء وهي زائدة على علوم الأولين والآخرين فالعلم الأول من باب الحقيقة الصرفة والثاني من باب المعرفة والثالث من باب الشريعة. ومن جملة ما أوحى في هذا الموطن من القرآن خواتيم سورة البقرة وبعض سورة الضحى وبعض الم نشرح لك وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣] والوحي بلا واسطة يقتضي الخطاب فسمع عليه السلام كلام الحق من غير كيفية كما سمعه موسى عليه السلام من كل جانب ورآه:

كلام سرمدى بى نقل بشنيد خداوند جهانرا بى جهت ديد

بديد آنچه زحد ديدن برون بود مپرس اما ز كيفيت كه چون بود

قال الإمام النووي الراجح عند أكثر العلماء أنه رأى ربه بعيني رأسه، يقول الفقير: يعني بسرّه وروحه في صورة الجسم بأن كان كل جزء منه سمعاً واتحد البصر بالبصيرة فهي رؤية بهما معاً من غير تكيف فافهم فإنه جملة ما يتفصل. فإن قلت: ما الفرق بين الأنبياء وبين نبينا عليه السلام في باب الرؤية فإنهم يرونه ويشاهدونه حال الانسلاخ الكلي. قلت ما حصل لنبينا

عليه السلام فوق الانسلاخ إذ الرؤية في صورة الانسلاخ إنما هي بالبصيرة فقط وأما رؤيته تعالى في الجنة فقليل لا يراه الملائكة وقيل يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة. قال بعضهم وقياس عدم رؤية الملائكة عدم رؤية الجن له تعالى ورد ذلك. يقول الفقير: لعل وجه الاختلاف عند الحقيقة أن الملائكة والجن على جناح واحد وهو الجمال والإنس على جناحين وهما الجمال والجلال المقول لهما الكمال فلا يروونه تعالى من مرتبة مؤمني الإنس وإنما يشاهدونه تعالى من مرتبة أنفسهم فافهم وأما أنه ليس لهم مشاهدة أصلاً فلا مساعدة له بوجه من الوجوه واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها أي وقوعها لأن ذلك المرئي إنما هو صفة من صفات الله تعالى.

- روي - عن أبي يزيد البسطامي قدس سره أنه قال: رأيت ربي في المنام فقلت له: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك ثم تعال.

- وروي - أن حمزة القاريء قرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره في المنام حتى إذا بلغ إلى قوله: ﴿وَهُوَ أَقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] قال الله تعالى: قل يا حمزة وأنت القاهر، يقول الفقير: سمعت من شيخي وسندي قدس سره أن شيخه عبد الله الشهير بذاكر زاده روح الله روحه أراد أن يستخلفه فامتنع عليه فرأى في تلك الليلة في المنام أن الله تعالى أعطاه المصحف وقال له خذ هذا وادع عبادي إليّ وكان من آثار هذا المنام أن الله تعالى وفقه لإحياء العلم والدعوة إلى الله في المراتب الأربع وزاد خلفاؤه على المائة والخمسين كلهم من أهل التفسير ولم يتيسر هذا المقام لغيره من مشايخ العصر قال عليه السلام: «فرض الله عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة» قيل: كانت كل صلاة منها ركعتين ألا يرى أنه من قال لله عليّ صلاة يلزمه ركعتان ويخالفه ما قالوا: إنه عليه السلام كان يصلي كل يوم وليلة ما يبلغ إلى خمسين صلاة وفق ما فرض ليلة المعراج فالظاهر أن هذه الخمسين باعتبار الركعات لأنه هو المضبوط عنه عليه السلام يعني كان يصلي في اليوم والليلة من الفرائض والنوافل خمسين ركعة وصرح بعضهم بأن المراد الخمسون وقتاً فالظاهر أن كل وقت كان مشتملاً على ركعتين لأن الصلاة في الأصل كانت ركعتين ركعتين ثم زيدت في الحضر وأقرت في السفر قال عليه السلام: «فنزلت إلى إبراهيم فلم يقل شيئاً ثم أتيت موسى» أي في الفلك السادس «فقال ما فرض ربك عليّ أمتك قلت خمسين صلاة قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة» يعني مارسهم ولقيت الشدة فيما أردت فيهم من الطاعة قال عليه السلام: «فرجعت إلى ربي» يعني رجعت إلى الموضع الذي ناجيت ربي فيه وهو سدرة المنتهى «فخررت ساجداً فقلت: أي ربي خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى وأخبرته قال: إن أمتك لا تطيق ذلك قال: فلم أزل أرجع بين ربي وموسى ويحط خمسا خمسا حتى قال موسى: بم أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: ارجع فاسأله التخفيف فقلت: قد راجعت ربي حتى استحيت ولكن أرضى وأسلم» يعني: فلا أرجع فإن رجعت كنت غير راض ولا مسلم ولكن أرضى بما قضى الله وأسلم أمرى وأمرهم إلى الله «فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فريضتي» يعني قال الله تعالى: يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فلكل خمسون صلاة كما قال: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] والصلاة إنما تحصل بتوجه القلب والعمل

الواحد في مرتبة القلب يقابل العشرة وقال: «من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيء فإن عملها كتبت سيئة واحدة». وعن ابن عمر رضي الله عنهما كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل البول من الثوب سبع مرات ولم يزل ﷺ يسأل ربه حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة واحدة وغسل البول من الثوب مرة وفي الحديث «أكثرُوا من الصلاة على موسى فما رأيت أحداً من الأنبياء أحوط على أمتي منه» وجاء «كان موسى أشدهم عليّ حين مرت به وخيرهم عليّ حين رجعت فنعم الشفيع كان لكم موسى» وذلك فإنه كما تقدم لما جاوزه النبي عند الصعود بكى فنودي ما يبكيك؟ فقال: رب هذا غلام أي لأنه ﷺ كان حديث السن بالنسبة إلى موسى بعثته بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخل من أمتي، فإن قلت هذا وقوع النسخ قبل البلاغ وقد اتفق أهل السنة والمعتزلة على منعه، قلت: وقع بعد البلاغ بالنسبة إلى النبي عليه السلام لأنه كلف بذلك ثم نسخ فإذا نسخ في حقه نسخ في حق أمته لأن الأصل أن ما ثبت في حق كل نبي ثبت في حق أمته إلا أن يقوم الدليل على الخصوصية. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ليلة أسري بي إلى السماء تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل مدائنكم هذه سبعين مرة مملوءة من الملائكة يسبحون الله ويقدمونه ويقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة» أي صلاتها «اللهم اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة» أي لصلاتها «ورأيت ليلة أسري بي مكتوباً على باب الجنة الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر فقلت لجبريل ما بال القرض أفضل من الصدقة قال: لأن السائل يسأل وعنده شيء والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» وبيان كون درهم القرض بثمانية عشر درهماً أن درهم القرض بدرهمين من دراهم الصدقة كما جاء في بعض الروايات ودرهم الصدقة بعشرة تصير الجملة عشرين ودرهم القرض يرجع للمقرض بدله بدرهمين من عشرين يتخلف ثمانية عشر «ورأيت رضوان خازن الجنة فلما رأني فرح بي ورحب بي وأدخلني الجنة وأراني فيها من العجائب ما وعد الله فيها لأوليائه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ورأيت فيها درجات أصحابي ورأيت فيها الأنهار والعيون وسمعت فيها صوتاً وهو يقول: آمنا برب العالمين فقلت: ما هذا الصوت يا رضوان؟ قال: هم سحرة فرعون وأزواجهم وسمعت آخر وهو يقول: لبيك اللهم فقلت: من هو قال: أرواح الحجاج وسمعت التكبير فقال هؤلاء الغزاة وسمعت التسبيح فقال هؤلاء الأنبياء ورأيت قصور الصالحين وعرضت عليّ النار وإن كانت في الأرض السابعة فإذا على بابها مكتوب وإن جهنم لموعدهم أجمعين» قال عليه السلام: «وأبصرت ملكاً لم يضحك في وجهي فقلت: يا أخي جبريل من هذا؟ قال: مالك خازن النار لم يضحك منذ خلقه الله ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك فقال له جبريل: يا مالك هذا محمد فسلم عليه فسلم عليّ وهنأني بما صرت إليه من الكرامة والشرف» وإنما بدأ خازن النار بالسلام عليه ﷺ ليزيل ما استشعر من الخوف منه ويشير إلى أنه ومن اتبعه من الصالحين سالمون من النار ناجون قال عليه السلام: «فسألت أن يعرض عليّ النار بدركاتها فعرضها عليّ بما فيها وإذا فيها غضب الله» أي نقمته «لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها وإذا قوم يأكلون الجيف فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ورأيت قوماً تنزع ألسنتهم من أفقيتهم فقلت: من هم؟ فقال: هم الذين يحلفون بالله كاذبين ورأيت جماعة من النساء علقن

بشعورهن فقلت: من هن؟ قال: هن اللاتي لا يستترن من غير محارمهن ورأيت جماعة منهن لباسهن من القبطان فقلت: من هن؟ قال: نائحات» جمع نائحة وهي الباكية على الميت مع عد أخلاقه ومحاسنه. ودل حديث المعراج على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن لأن الإنسان إذا علم ثواباً مخلوقاً اجتهد في العبادة ليحصل ذلك الثواب وإذا علم عقاباً مخلوقاً اجتهد في اجتناب المعاصي لئلا يصيبه ذلك العقاب وقد صرح أن الجنان قيعان وعمارتها بالأعمال كما دل عليه حديث الغراس فيما سبق.

واعلم أنه عليه السلام أسري به من مكة إلى بيت المقدس على البراق ومن بيت المقدس إلى السماء الدنيا على المعراج ومنها إلى السماء السابعة على جناح الملائكة ومنها إلى السدرة على جناح جبريل ومنها إلى العرش على الرفرف والظاهر أن النزول كان على هذا الترتيب. وقال بعض الأكابر من أهل الله: إنه أسري به إلى السدرة على البراق وأيا ما كان فلما نزل إلى السماء الدنيا نظر إلى أسفل منه فإذا هو بهرج ودخان وأصوات فقال: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذه الشياطين يحومون على أعين بني آدم حتى لا ينظروا إلى العلامات ولا يتفكروا في ملكوت السموات ولولا ذلك لرأوا العجائب أي أدركوها ونزل عليه السلام إلى بيت المقدس وتوجه إلى مكة وهو على البراق حتى وصل إلى بيته الأشرف بالحرم المكي الأحمى بحجر الكعبة العظيمة أو إلى بيت أم هاني كما يدل عليه ما يجيء من تقرير القصة وكان زمان ذهابه ومجيئه ثلاث ساعات أو أربع ساعات. وفي كلام السبكي أن ذلك كان قدر لحظة ولا بدع لأن الله تعالى قد يطيل الزمن القصير كما يطوي الطويل لمن يشاء.

- روي - في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين قدس الله سرهما أن له ورداً في اليوم واللييلة سبعين ألف ختمة. يقول الفقير: قال شيخي وسندي قدس سره في الكلام عليه: إن اليوم واللييلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمس وثلاثون ألف ختمة لأنه إما أن ينبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر وإما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم واللييلة منبسطاً إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم ولييلة من أيام السنين المنبسطة إليها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في اللييلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القاري هذا فإنه صدق وقد كشف لي هكذا وقد صدقته وقبلته وهذا سر عظيم انتهى كلام الشيخ، وقد ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس أي عظمه وسعته ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وهي جزءاً من ستين جزءاً من الدقيقة والدقيقة جزء من ستين جزءاً من الدرجة وهي جزء من خمسة عشر جزءاً من الساعة فإذا كانت هذه السرعة ممكنة للجماد فكيف لا يمكن لأفضل العباد إذا أراد رب البلاد والله تعالى قادر على جميع الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة في جسد النبي عليه السلام أو فيما يحمله. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره قد ذهب عليه السلام وجاء ولم يتم ماء إبريقه انصباباً ومن كان مؤمناً لا ينكر المعراج ولكن وقوع السير المذكور في مقدار ذلك الزمن اليسير يشكل عند العقل بحسب الظاهر وأما عند التحقيق فلا إشكال ألا يرى أن في الوجود الإنساني شيئاً لطيفاً أعني القلب يسير من المشرق إلى المغرب بل جميع العوالم في آن واحد وهو بديهي لا ينكره من له أدنى تمييز حتى البله والصبيان أفلا يجوز أن تحصل تلك

اللطافة لوجود النبي ﷺ بقدرة الله تعالى فوقع ما وقع منه في الزمن اليسير:

راه زاندازه بـروون رفتـه پی نتوان بر دکه چون رفتـه
عقل درین واقعه حاشا کند عقل نه حاشا که تمنا کند

- روي - أن رسول الله ﷺ لما رجع من ليلته قص القصة على أم هانئ وقال: «إني أريد أن أخرج إلى قريش فأخبرهم بذلك» فقالت: أنشدك الله أي بفتح الهمزة أي أسألك بالله ابن عم أي يا ابن عمي أن لا تحدث أي لا تحدث بهذا قريشاً فيكذبك من صدقك فلما كان الغداة تعلقت بردائه فضرب بيده على رداءه فانترعه من يدها وانتهى إلى نفر من قريش في الحطيم هو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وأولئك النفر مطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة فقال: «إني صليت العشاء» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت «في هذا المسجد وصليت به الغداة» أي أوقعت صلاة في ذلك الوقت وإلا فصلاة العشاء لم تكن فرضت وكذا صلاة الغداة التي هي الصبح لم تكن فرضت كما تقدم «وأيت فيما بين ذلك بيت المقدس» وأخبرهم عما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وجاء أنه لما دخل المسجد الحرام وعرف أن الناس يكذبونه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه الباعث على اتباعه فقد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس إليه عليه السلام فقال كالمستهزئ: هل كان من شيء؟ قال: «نعم أسري بي الليلة» قال: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس» قال: ثم أصبحت بين ظهرائنا؟ قال: «نعم» قال: أرأيت إن دعوت قومك تحدثهم ما حدثتني؟ قال: «نعم» قال: يا معشر كعب بن لؤي فانفضت إليه المجالس وجأوا حتى جلسوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني به فقال: «إني أسري بي» قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى بيت المقدس فنشر لي الأنبياء وصليت بهم وكلمتهم» فقال أبو جهل كالمستهزئ: صفهم لنا فقال عليه السلام: «أما عيسى فوق الربرة دون الطويل» أي لا طويل ولا قصير «عريض الصدر جاعد الشعر» أي في شعره «ثني وتكسر تعلوه صهبة» أي يعلو شعره شقرة «ظاهر الدم» أي يعلوه حمرة «كأنما خرج من ديماس» أي حمام وأصله الكن الذي يخرج منه الإنسان وهو عريان وأصله الظلمة يقال ليل دامس والحمام لفظ عربي. وأول واضع له الجن وضعته لسليمان عليه السلام وقيل: الواضع بقراط الحكيم وقيل: شخص سابق على بقراط استفاده من رجل كان به تعقيد العصب فوقع في ماء حار في جب فسكن فصار يستعمله حتى برى وفي الحديث «اتقوا بيتاً يقال له الحمام فمن دخله فليستتر» ولم يدخل عليه السلام الحمام ولم يكن ذلك في بلاد الحجاز وإنما كان في أرض العجم والشام «وأما موسى فضحّم آدم» أي أسمر ومن ثمة كان خروج يده بيضاء مخالفاً لونها لسائر لون جسده آية «طويل كأنه من رجال شنوءة» وهي طائفة من اليمن أي ينسبون إلى شنوءة وهو عبد المطلب بن كعب من أولاد الأزد معروفون بالطول «كثير الشعر غائر العينين متراكم الأسنان متقلص الشفتين خارج اللثة» وهو اللحم الذي خارج الأسنان عابس «وأما إبراهيم فوالله إنه لأشبه الناس بي خلقاً وخلقاً فضجوا» أي صاح قريش وعظموا ذلك وصار بعضهم يصفق وبعضهم يضع يده على رأسه متعجباً ومنكراً قالوا: نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعداً شهراً ومنحدراً شهراً أتزعم أنك أتيت في ليلة واحدة واللات والعزى لا نصدقك وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه أي أسرع أو مشى فقال: إن كان

قد قال ذلك فلقد صدق قالوا: أتصدقه على ذلك؟ قال: إني أصدقه على أبعد من ذلك أي إن ذهب إلى بيت المقدس في ليلة واحدة أصدقه فإني أصدقه في خبر السماء في غدوة وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس وروحة وهي اسم للوقت من الزوال إلى الليل والمراد هنا أنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه فهذا أي مجيء الخبر له من السماء بواسطة الملك أبعد مما تتعجبون منه فسمي الصديق وهو الكثير الصدق فهو للمبالغة وتسمية أبي بكر بسبب هذا الجواب الصدق بهذا الاسم للمبالغة في كيفية الصدق فإنه صدق كامل في مثل هذا المقام الذي كذب فيه أكثر الناس وكان علي رضي الله عنه يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق أي فهي تسمية الله بالذات لا تسمية الخلق وكان فيهم من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد أي قالوا: يا محمد صف لنا بيت المقدس كم له من باب أرادوا بذلك إظهار كذبه عليه السلام لأنهم عرفوا أنه عليه السلام لم يره قال: «فكرت كرباً شديداً لم أكرّب مثله قط لأنهم سألوني عن أشياء لم أثبتها وكنت دخلته ليلاً وخرجت منه ليلاً فقممت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس» أي كشفه لي أي بوجود صورته ومثاله في جناح جبريل أو برفع الحجاب بينه وبين بيت المقدس حتى رآه عليه السلام وهو في مكانه إذ كان يصل بصره إلى حيث يصل إليه قلبه أو بإعدامه هناك وإيجاده في مكة طرفة عين بحيث يتصل بعمده وجوده على ما هو شأن الخلق الجديد ومنه زيارة الكعبة لبعض الأولياء كما قال في «المثنوي»:

هرنفس نو ميشود دنيا وما	بى خبر از نوشدن اندر بقا
عمر همچون جوى نونو مى رسد	مستمري مى نمايد در جسد
آن ز تيزى مستمر شكل آمده است	چون شرر كش تيز جنبانى بدست
شاخ آتش را بجنبانى بساز	در نظر آتش نمايد بس دراز
اين درازى مدت از تيزى صنع	مى نمايد سرعت انكيزى صنع

قال: «فطفقت» أي: جعلت أخبرهم عن آياته أي: علاماته وأنا أنظر إليه. قال في «المواهب» ولم يسأله عما رأى في السماء لأنه لا عهد لهم بذلك فقالوا: إما لنت فقد أصاب فقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فإننا لم نسمع بمثل هذا قط أي: هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عنم ذهب إليه فقال عليه السلام: «آية ذلك أنني مررت بغير بني فلان بوادي كذا» أي في الروحاء وهو محل قريب من المدينة أي بينه وبين المدينة ليلتان «قد أضلوا ناقة لهم» أي وأنا متوجه وذاهب «وانتهيت إلى رحالهم وإذا قدح ماء فشربت منه» فاسألوهم عن ذلك وشرب الماء للغير مجاز لأن كان عند العرب كاللبن مما يباح لكل مجتاز من أبناء السبيل قالوا: فأخبرنا عن غيرنا قال: «مررت بها في التنعيم» وهو محل قريب من مكة أي وأنا راجع إلى مكة فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها «وأنها تقدم مع طلوع الشمس يتقدمها جمل أورق» وهو ما يياضه إلى سواد «عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى بقاء» أي فيها بياض وسواد أي حوالق مخطط ببياض فابتدر القوم الثنية أي الجبل فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر هذه والله العير قد أقبلت يتقدمها جمل أورق كما قال محمد عليه الغرارتان فتاب المرتدون وأصر المشركون وقالوا إنه ساحر. وجاء في بعض الروايات أن

الشمس حبست له عليه السلام عن الطلوع حتى قدمت تلك العير وحبس الشمس وقوفها عن السير أي عن الحركة بالكلية وقيل بطؤ حركتها وقيل ردها إلى ورائها. فإن قيل حبسها ورجوعها مشكل لأنها لو تخلفت أو ردت لاختلت الأفلاك وفسد النظام. قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات. وقد وقع حبس الشمس لبعض الأنبياء كداود وسليمان ويوشع وموسى عليهم السلام. وأما عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له ﷺ في خيبر فعن أسماء بنت عميس رضي الله تعالى عنها قالت: كان عليه السلام يوحى إليه ورأسه الشريفة في حجر علي رضي الله عنه ولم يسر عنه حتى غربت الشمس وعلي لم يصل العصر فقال له رسول الله: «أصليت العصر» قال: لا فقال عليه السلام: «اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس» قالت أسماء فرأيتها طلعت بعدما غربت وهو من أجل إعلام النبوة فليحفظ. وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد كان يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت فجاءت سحابة غطت الشمس فظن وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار إليهم أن لا يتحركوا ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله
فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحلي والثياب وهو من الاتفاقات الغريبة
كما حكى أن بعض الناس كان يهوى شاباً يلقب ببدر الدين فاتفق أنه توفي ليلة البدر فلما أقبل
الليل وتكمل البدر لم يتمالك محبة رؤيته من شدة الحزن وأنشد يخاطب البدر:
شقيقك غيب في لحده وتطلع يا بدر من بعده
فهلا خسفت وكان الخسوف لباس الحداد على فقد
فخسف القمر من ساعته فانظر إلى صدق المحبة وتأثيرها في القمر وصدق من قال إن
المحبة مغناطيس القلوب، قال الكمال الخجندي:

بجشتم اهل نظركم بود زهروانه دلى كه سوخته آتش محبت نيست
اللهم اجعلنا من أهل المحبة والوداد آمين وحين زالت الشمس من اليوم الذي يلي ليلة
المعراج نزل جبريل وأم بالنبي عليه السلام ليعلمه أوقات الصلوات وهيئتها وأعداد ركعاتها ثم
صيح بأصحابه «الصلاة جامعة» لأن الإقامة المعروفة للصلاة لم تشرع إلا بالمدينة فاجتمعوا
فصلّى النبي عليه السلام بالناس فسميت تلك الصلاة صلاة الظهر لأنها فعلت عند قيام الظهيرة
أي شدة الحر أو عند نهاية ارتفاع الشمس فصلاته عليه السلام بالناس كانت بعد صلاته مع
جبريل وأمه جبريل يومين يوماً في أول الوقت ويوماً في آخره وكان ذلك عند باب الكعبة
مستقبلاً لصخرة الله ثم التفت جبريل وقال: يا محمد هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك
والوقت ما بين هذين الوقتين وإنما لم تقع البداية بالصبح مع أنها أول صلاة بعد ليلة الإسراء
لأن الإتيان بها يتوقف على بيان الإتيان بالكيفية أي على بيان علم كيفيتها المعلق عليه الوجوب
كأنه قيل: أوجب حيث ما تبين كيفيته في وقته والصبح لم تبين كيفيتها في وقتها فلم تجب.
فإن قيل قول جبريل هذا وقتك ووقت الأنبياء من قبلك يقتضي أن هذه الصلوات كانت مشروعة
لكل واحد من الأنبياء قبله وليس كذلك لأنها من خصائص هذه الأمة. قلنا معناه أن وقتك هذا

المحدود الطرفين مثل وقت الأنبياء قبلك فإنه كان محدود الطرفين أو أن بعضهم صلى الفجر وبعضهم ما يليها وهو لا ينافي كون المجموع على هذه الكيفية من خصائص هذه الأمة.

- روي - أن أول من صلى الفجر آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض من الجنة وأظلمت عليه الدنيا وجنّ الليل ولم يكن يرى قبل ذلك فخاف خوفاً شديداً فلما انشق الفجر صلى ركعتين شكراً لله تعالى لحصول النجاة من ظلمة الليل ولرجوع النهار أو لما تيب عليه كان ذلك عند الفجر فصلى ركعتين شكراً لحصول التوبة وزوال المخالفة وطلوع النور التوفيق وغروب ظلمة المخالفة. وأول من صلى بعد الزوال إبراهيم عليه السلام حين فدى ابنه عند الظهر صلى أربعاً شكراً لذهاب غم الولد ولنزول الفداء ولرضى الله حين نودي قد صدقت الرؤيا ولصبر ولده على أذى الذبح ومشقته. وأول من صلى العصر يونس عليه السلام حين أنجاه من ظلمات أربع: الزلزلة، والليل، والماء، وبطن الحوت. وأول من صلى المغرب عيسى عليه السلام فالركعة الأولى لنفي الألوهية عن نفسه والثانية لنفيها عن والدته والثالثة لإثباتها لله تعالى وقيل: غفر لداود عليه السلام عند الغروب فقام يصلي أربع ركعات فجهد أي تعب فجلس في الثالثة أي سلم فيها فصارت المغرب ثلاثاً. وأول من صلى العشاء موسى عليه السلام حين خرج من مدين وضل الطريق وكان في غم المرأة وغم أخيه هارون وغم فرعون عدوه وغم أولاده فلما أنجاه الله من ذلك كله صلى أربعاً. وأول من صلى الوتر نبينا عليه الصلاة والسلام. قال في «تفسير التيسير» أم رسول الله ملائكة السموات في الوتر فكان إمام الأنبياء في بيت المقدس وإمام الملائكة عند سدره المنتهى فظهر ذلك فضله على أهل الأرض والسماء انتهى. قال في «التقدمة شرح المقدمة» قيل لما قام إلى الثالثة رأى والديه في النار ففرغ وانحل يده ثم كبر وقتت واستغاث بالله من النار وأهلها وأتمها على ثلاث ركعات فصارت وترأ. قيل: فرضت الصلوات الخمس في المعراج ركعتين ركعتين حتى المغرب ثم زيد في صلاة الحضر فأكملها أربعاً في الظهر أي في غير يوم الجمعة وأربعاً في العصر وثلاثاً في المغرب وأربعاً في العشاء وأقرت صلاة الصبح على ركعتين فعن عائشة رضي الله عنها فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتان أي في الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء فلما أقام رسول الله أي بعد شهر وقيل: وعشرة أيام من الهجرة زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر أي لم يزد عليها شيء لطول القراءة فيها وتركت صلاة المغرب فلم يزد عليها إلا ركعة فصارت ثلاثاً وقيل: فرضت الخمس في المعراج أربعاً إلا المغرب ففرضت ثلاثاً وإلا الصبح ففرضت ركعتين وإلا صلاة الجمعة ففرضت ركعتين ثم قصرت الأربع في السفر أي في السنة الرابعة من الهجرة وهو المناسب لقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]. قال بعضهم: والحكمة في جعل الصلاة في اليوم واللييلة خمساً أن الحواس لما كانت خمساً والمعاصي تقع بوساطتها كانت كذلك لتكون ماحية لما يقع في اليوم واللييلة من المعاصي أي بسبب تلك الحواس وقد أشار إلى ذلك النبي عليه السلام بقوله: «أرايتم لو كان بباب أحدكم نهر يغتسل منه في اليوم واللييلة خمس مرات أكان ذلك يبقى من درنه شيئاً» قالوا لا يا رسول الله قال: «فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا». وقال بعضهم: جعلها خمس صلوات إظهاراً لسر التضعيف قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] فالخمس عشر مرات خمسون وهي العدد الذي فرض ليلة المعراج قبل التخفيف.

وقيل لأن الكعبة بنيت من خمسة جبال طور سينا وطور زيتا والجودي وحرا وأبو قبيس ولهذا السر جعل الطواف حول البيت الحرام بمنزلة الصلاة ولكن الصلاة أفضل من الطواف إلا في حق الحاج فإنه مختص بالمحل الشريف والصلاة بخلافه. وقيل: جعلها خمساً شكراً للعناصر الأربعة وجمعيتها في نشأة الإنسان وقد جعل الله الصلاة على أربعة أركان القيام والركوع والقعود والسجود لتكون شكراً لهذه العناصر الأربعة، أو لأن الخلق أربعة أصناف قائم مثل الأشجار وراكع مثل الأنعام وقاعد مثل الأحجار وساجد مثل الهوام فأراد أن يوافق الجميع في أحوالهم فيشاكل كل واحد من الخلق وجعل الله في أوضاع الصلاة جمعية العالم كلها وجعلت الصلاة مثني وثلاث ورباع لتوافق أجنحة الملائكة فإنها جعلت أجنحة للشخص بها يطير إلى الله تعالى. قال حضرة الشيخ الشهير بافتادة قدس سره: صلاة الصبح في مقابلة الجسم والروح والأربع في المراتب الأربع أي الطبيعة والنفس والقلب والروح وصلاة المغرب كانت لعيسى ولذلك صارت ثلاثاً لأنه ليس له حظ الطبيعة. وقال حضرة شيخي وسندي قدس الله سره في كتاب «اللائحات البرقيات» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا آيَلَهُ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَحَوَّنَا آيَةً آيَلَهُ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] إن الليل إشارة إلى مرتبة اللاتعين وهي مرتبة الجلال الإطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لكمال الإطلاق الذاتي الحقيقي الوجودي والنهار إشارة إلى مرتبة التعين وهي مرتبة الجمال الإطلاقي الذاتي الحقيقي الوجودي لذلك الكمال المذكور نعته ثم صلاة الفجر من الصلوات الخمس المشتمل عليها الليل والنهار بركعتيها إشارة إلى الاثنينية والتمايز بين المرتبتين المذكورتين والركعة الأولى إشارة إلى مرتبة الجلال والركعة الثانية إشارة إلى مرتبة الجمال وأحدية مجموع الركعتين واجتماع الركعتين والتقائهما في ذلك المجموع إشارة إلى كمال واجتماع الجلال والجمال والتقائهما في ذلك الكمال ثم صلاة المغرب منها عكس صلاة الفجر ليظهر فيها ما بطن فيها من الأحدية الجامعة والركعة الأولى إشارة إلى الجلال والثانية إلى الجمال والثالثة إلى الكمال الجامع ومرتبة اللاتعين مرتبة القوة ومرتبة التعين مرتبة الفعل ولولا القوة لما تحقق الفعل والقوة إجمال والفعل تفصيل فلولا خزينة القوة لما ظهر كرم الفعل وجود الفضل ثم صلاة العشاء منها بركعاتها الأربع إشارة إلى التعينات الأربعة الذاتية والأسمائية والصفاتية والأفعالية في مرتبة اللاتعين والجلال بالقوة وصلاة الظهر منها بركعاتها الأربع إشارة إلى تلك التعينات الأربعة في مرتبة الجمال الإلهي بالفعل وصلاة العصر منها بركعاتها الأربع إشارة إليها في مرتبة الجمال الكوني بالفعل ثم الفرائض إشارة إلى الوجود الحقاني الإلهي المنبسط على الأكوان مطلقاً والواجبات إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الأخصية والسنن إشارة إلى الوجودات الخلقية الكونية الخاصة والمستحبات إشارة إلى الوجودات الخلقية العامة ثم ساق حضرة الشيخ روح الله في ذلك الكتاب كلاماً طويلاً من طلبه وجده، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في كتاب الله تعالى فقال: نعم وتلا قوله: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (٨) [الروم: ١٨، ١٧] وأراد بحين تمسون المغرب والعشاء وبحين تصبحون الفجر وبعشيا العصر وبحين تظهرون الظهر وإطلاق التسبيح بمعنى الصلاة جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ (١٢) [الصافات: ١٤٣]، قال القرطبي أي من المصلين، وفي الكشف عن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلاة والعمدة في الصلاة

الطهارة الباطنة وحضور القلب، وفي «المثنوي»:

روى ناشسته نبيند روى خور لا صلاة كفت إلا بالطهور
وهو بالفتح مصدر بمعنى التطهير ومنه «مفتاح الصلاة الطهور» واسم لما يتطهر به كما في
«المغرب» قال الحافظ:

طهارت ارنه بخون جكر كند عاشق بقول مفتى عشقش درست نيست نماز
﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا﴾ ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا﴾

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي التوراة جملة واحدة بعدما أسريناه إلى الطور ﴿وجعلناه﴾ أي
ذلك الكتاب ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ هادياً لأولاد يعقوب يهتدون إلى الحق والصواب بما فيه
من الأحكام والخطاب ﴿أَن لا تتخذوا﴾ أن مفسرة لما يتضمنه الكتاب من الأمر والنهي بمعنى
أي كما في قوله كتبت إليه أن افعل كذا. قال الكاشفي: [وكفيتم مرايشانرا كه آيافرا ميكيريد]
﴿من دوني﴾ [بجز از من] ﴿وكيلاً﴾ [پرور دكاريكه مهم خود بدو كذاريد]، قوله من دوني
بمعنى غيري أحد مفعولي لا تتخذوا ومن مزيدة.

﴿ذرية﴾ أي: يا ذرية ﴿من حملنا مع نوح﴾ في السفينة أو نصب على الاختصاص بتقدير
أعني يقال ذراً خلق والشيء كثر ومنه الذرية مثلية لنسل الثقلين كما في «القاموس». والمراد
تأكيد الحمل على التوحيد بتذكير إنعامه عليهم في ضمن إنجاء آبائهم من الغرق في سفينة نوح.
قال في «الكواشي»: هذا منة على جميع الناس لأنهم كلهم من ذرية من أنجى في السفينة من
الغرق. والمعنى كانوا مؤمنين فكونوا مثلهم واقتفوا بآثار آبائكم. قال الكاشفي: [مراد سامست
كه ابراهيم عليه السلام جد بني إسرائيل است از نسل او بود يعني نعمت نجات از طوفان كه به
بدر شما ارزاني داشتيم ياد كنيد وشكر كوييد] ﴿إنه﴾ أي نوحاً عليه السلام ﴿كان عبداً شكوراً﴾
كثير الشكر في مجامع حالاته وكان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء أجاعني وإذا
شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني وإذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو
شاء جردني وإذا تغوط قال الحمد لله الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه.

- وروي - أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجاً أثره به
وفيه إيذان بأن إنجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام وحث الذرية على الاقتداء به وزجر
لهم عن الشرك الذي هو أعظم مراتب الكفران.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿إنه كان عبداً شكوراً﴾ أي كان نوح عبداً شكوراً يرى الضراء
نعمة منا كما يرى السراء نعمة منا فيشكرنا في الحالتين جميعاً فلما بالغ في الشكر سمي شكوراً
فالله تعالى بالغ في ازدياد النعمة جزاء لمبالغته في الشكر حتى أنعم على ذرية من حملهم مع
نوح وهم بنو إسرائيل بإيتاء التوراة الهادية إلى التوحيد المنجية من الشرك.

﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتْفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقٌ كَبِيرًا﴾

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ يقال: قضى إليه أنهاه وأبلغه أي أعلمناهم وأوحينا إليهم
وحيّاً جزماً وبيناً. ﴿في الكتاب﴾ في التوراة فإن الإنزال والوحي إلى موسى إنزال ووحي
إليهم. ﴿لتفسدن في الأرض﴾ والله لتفسدن في أرض الشام وبيت المقدس ﴿مرتين﴾ مصدر

والعامل فيه من غير لفظه أي إفساداً بعد إفساد إفسادتين: أولهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعباً وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله وأرميا بتشديد الياء مع ضم الهمزة على رواية الزمخشري وبضم الهمزة وكسرها مخففاً على رواية غيره. وفي «القاموس» إرميا بالكسر نبي، والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى [يعنى سرکش خواهید شد از طاعت من] والعلو العتو على الله والجراة. قال الكاشفي: [درین قصه اختلاف بسیارست وهر مفسري نقلی که بدور سیده ایراد نموده وقول أصح وأشهر در مختار القصص وسیر وغير آن از کتبی که در اخبار انبیا علیهم السلام نوشته اند چنانست که چون سلطنت بني إسرائيل درولایت شام بصدیقه رسیده از اولاد سلما او مردی ضعیف حال واعرج بود ملوک اطراف طمع درولایت ایلیه بسته متوجه آن صوب شدند اول سنجاریب ملک موصل بیامد ومتعاقب او سلما پاشاه آذربایجان رسید وهردوتلاش شهر بیت المقدس نموده بایکدیگر محاربه آغازکردند آتش قتال میان ایشان اشتعال پذیرفت ودریای مبارزت ازصرصر مخاصمت بموج در آمد]:

سپهداران سپه درهم فکندند صلاى مرك در عالم فکندند
زپیکان عالمی را ژاله بکرفت زخون روی زمین را لاله بکرفت
عاقبت سطوت هیئت الهی ظهور نموده هردولشکر ازیکدیگر منہزم گشتند وغنائم ایشان بدست بني إسرائيل افتاد دیگر باره پادشاه روم وملك صقالیه وسلطان اندلس هریک بالشکر جرار کرار همه تیغ زن ونیزه کذار برادر بیت المقدس جمع شدند وچون رتبه سلطنت شرکت برنتابد ایشان نیز آغاز نزاع کرده بلشکر آرایى ونبرد آزمایى قیام واهتمام نمودند:
در افتادند همچون شیر غران بکرز ونیزه وشمشیر بران
بني إسرائيل دعای «اللهم اشغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بینهم سالمين غانمين» آغاز کردند ونکبای نکبت غبار ادبار بر دیده آن خا کساران پاشید هزیمت را غنیمت دانسته دلها برقرار قرار داده از یکدیگر کریزان شدند:

نه جای قرار ونه جای ستیز نهادند ناکام رو درکریز
أموال ایشان نیز به دست بني إسرائيل افتاد وچون غنیمت پنج لشکر عظیم درحوزه تصرف در آوردند بحکم ﴿إِنَّ الْأَنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفُورٌ ﴿٦﴾﴾ ﴿أَن رَّاهُ أَشْتَقَىٰ ﴿٧﴾﴾ [العلق: ۷-۶] سرتجبر از کریبان عصیان بر آورده ودست تغلب ازآستین طغیان بیرون کرده حکم توراترا برطرف نهادندهر چند ارمیا پیغمبر ایشانرا پند داد وگفت از آنچه درتورات مقرر شده واین فساد أول است مکنیدو خودرا در معرض سخط الهی میارید نشنیدند حق سبحانه وتعالی بخت نصر مجوسی را که کاتب سنجاریب بود وبعداز فوت او بحکم وصیت ملك بوی رسیدبرایشان کماشت تابیا مدوبا ایشان حرب کرده غالب شدو مسجدرا خراب کرد تورات را بسوخت وهفتاد هزار کسی را بني إسرائيل بنده گرفت واین عقوبت اول بود بعد ازان کورش همدانی که زنی از بني إسرائيل خواسته بودازین حال خبر یافت مال بسیاربر گرفت وسی هزار بنا وسائر عمله باخود آورد وسی سال بعمارت ولایت ایلیه اشتغال نمود تابحال اول بازآمد ودیگر باره بني إسرائيل خوش وقت شدند وأموال وأولاد ایشان روی بازویدادنها دند باز سودای این مخالفت از نهادایشان سربرزد ویحیی معصوم را بقتل رسانیدند وقصد هلاک عیسی علیهما السلام [کردند

عقوبت دوم در رسید و طرطوس رومی برایشان غلبه کرد دیگر باره مسجد خراب کرد و اندوخته‌های ایشانرا بغارت بردند] كما قال تعالى :

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝﴾

﴿فإذا جاء﴾ [پس چون بیاید] ﴿وعد اولاهما﴾ أي: أولى کرتی إفساد أي حان وقت حلول العقاب الموعود ﴿بعثنا عليكم﴾ لمؤاخذتكم بجنایاتکم ﴿عبادا لنا﴾ أكثر ما يقال عباد الله وعبید الناس. قال الكاشفي: [أضافت خلق است نه اضافت مدح چه مراد بخت نصر است بقول اصح]، يقول الفقير المراد من الإضافة بيان كونهم مظاهر الاسم المذل المنتقم القهار كما يفيد مقام العظمة لا التشريف فإن الكافر ليس من أهله. ﴿أولي بأس شديد﴾ كقولهم ظل ظليل لأن البأس يتضمن الشدة أي ذوي قوة وبطش في الحروب [دمیاطی گفت که مهیب باشد آوازه‌ای ایشان چون رعد] وهم بخت نصر من مجوس بابل وهو بضم الباء أصله بوخت بمعنى ابن و نصر بفتح النون والصاد المشددة والراء المهملة اسم صنم وجد عنده بخت نصر ولم يعرف له اب ينسب إليه، وقال بعضهم كان بخت نصر عاملاً على العراق لملك الأقاليم في ذلك الحين لهراست بن كی اجواد كان لهراست مشغلاً بقتال الترك فوجه بخت نصر إلى بني إسرائيل في المرة الأولى ﴿فجاسوا﴾ من الجوس وهو التردد خلال الدور والبيوت في الغارة أي ترددوا لطلبكم بالفساد ﴿خلال الديار﴾ قال في «القاموس»: الخلل منفرج ما بين الشيتين ومن السحاب مخارج الماء كخلاله وخلال الدار أيضاً ما حوالي جدرها وما بين بيوتها انتهى. قالوا: يجوز أن يكون مفرداً بمعنى الوسط أو جمع خلل بمعنى الأوساط مثل جبل وجبال. والديار جمع دار وهو المحل يجمع البناء والعروة. والمعنى مشوا في وسط المنازل أو في أوساطها للقتل والأسر والغارة فقتلوا علماءهم وكبارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً وذلك من قبيل تولية بعض الظالمين بعضاً مما جرت به السنة الإلهية ﴿وكان﴾ وعد عقابهم ﴿وعدا مفعولاً﴾ وعداً لا بد أن يفعل.

﴿ثم رددنا﴾ أعدنا ﴿لكم الكرة عليهم﴾ أي: الدولة والغلبة على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين تبتم ورجعتم من الإفساد والعلو تلخيصه بعد ظفرهم بكم أظفرناكم بهم. والكرة في الأصل المرة وعليهم متعلق بها لأنه يقال كر عليه أي عطف.

- حكي - أن كورش الهمداني غزا أهل بابل فظهر عليهم وسكن الدار فتزوج امرأة من بني إسرائيل فطلبت من زوجها أن يرد قومها إلى أرضهم فردهم إلى أرضهم بيت المقدس فالكرة هي قتل بخت نصر واستنقاذ بني إسرائيل أسارهم ورجوع الملك إليهم فمكثوا فيها فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه ثم عادوا فعصوا الثانية ﴿وأمددناكم بأموال﴾ يقال أمد الجيش إذا قواه وكثره عدداً أي قويناكم بأموال كثيرة بعدما نهبت أموالكم ﴿وبنين﴾ بعدما سببت أولادكم ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ عدداً مما كنتم أو من عدوكم وهو من ينفر مع الرجل من قومه.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝﴾

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ أي إحسان الأعمال وإساءتها كلاهما مختص بكم لا يتعدى ثوابها ووبالها إلى غيركم فاللام على أصلها وهو الاختصاص. قال سعدي المفتي الأولى أن تكون للاستحقاق كما في قوله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ [الرعد: ٣٤]. قال في «تفسير النيسابوري»: قال أهل الإشارة إنه أعاد الإحسان ولم يذكر الإساءة إلا مرة ففيه دليل على أن جانب الرحمة أغلب ويجوز أن يترك تكريره استهجاناً ﴿فَإِذَا جَاءَ﴾ [پس چون بیايد] ﴿وَعَدَ الْآخِرَةِ﴾ أي حان وقت ما وعد من عقوبة المرة الآخرة من الإفسادين [دويست ودوسال] ﴿لِلسَّوْءِ وَاجْهَكُمْ﴾ يقال: ساءه مساءة فعل به ما يكره وهو متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه أي بعثانهم ليجعلوا آثار المساءة والكآبة بادية في وجوهكم فأريد بالوجوه الحقيقية وآثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر في الوجه. وفي الكواشي وخست الوجوه بالمساءة والمراد أهلها لأن أول ما يظهر من الحزن عليها ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ الأقصى ويخربوه ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وخربوه ﴿وَلِيَتَبَرَّأَ﴾ أي ليهلكوا ﴿مَا عَلُوا﴾ كل شيء علوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم ﴿تَنْبِيْرًا﴾ إهلاكاً فظيماً لا يوصف والمراد بهم طرطوس الرومي وجنوده كما سبق. وقال بعضهم: سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه هردوس قال لواحد من عظماء جنوده: كنت حلفت بالهي إذا ظفرت بأهل بيت المقدس لأقتلهم حتى يسيل دماؤهم وسط عسكري فأمره أن يقتلهم فدخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دماً يغلي فسألهم عنه فقالوا: دم قربان لم يقبل منا فقال: ما صدقتموني فقتل على ذلك الدم سبعين ألفاً من رؤسائهم وغلماهم وأزواجهم فلم يهدأ الدم ثم قال: إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحداً فقالوا: إنه دم نبي كان ينهانا ويخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه فقال: ما كان اسمه قالوا: يحيى بن زكريا قال: الآن صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم، وكان قتل يحيى ملك من بني إسرائيل يقال له لاخت حمله على قتله امرأة اسمها ارييل وكانت قتلت سبعة من الأنبياء وقتل يحيى كان بعد رفع عيسى فلما رأى أنهم صدقوا خر ساجداً ثم قال: يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدأ بإذن الله قبل أن لا أبقى أحداً منهم فهدأ فرفع عنهم القتل وقال: آمنت بما آمنت به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال لبني إسرائيل إن هردوس أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكري ولست أستطيع أن أعصيه قالوا: افعل ما أمرت فأمرهم أن يحفروا خندقاً ويذبحوا دوابهم حتى سال الدم في العسكر فلما رأى هردوس ذلك أرسل إليه أن أرفع عنهم القتل فسلم عنهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة والمسكنة ثم انصرف إلى بابل وهي الوقعة الأخيرة النازلة على بني إسرائيل وبقي بيت المقدس خراباً إلى عهد خلافة عمر رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره. قال الكاشفي: [حق سبحانه وتعالى درتورات بعداز وعده اين دو عقوبت با ايشان كفته بود].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُذْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ٩ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ١٠ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ١١﴾

﴿عسى ربكم﴾ [شاید که پرورد کار شما یا بنی اسرائیل] ﴿أَنْ يَرْحَمَكُمْ﴾ [آنکه رحمت

كند بر شما و باز شمارا منعم] أي بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي فتابوا فرحمهم ﴿وإن عدتم﴾ مرة ثالثة إلى المعاصي. قال سعدي المفتي الأولى كما في الكشاف مرة ثانية إذ العود مرتان والأول بدء لا عود إلا أن يقال أول المرات كونهم تحت أيدي القبط ﴿عدنا﴾ إلى عقوبتكم ولقد عادوا فأعاد الله عليهم النعمة بأن سلط عليهم الأكاسرة ففعلوا بهم ما فعلوا من ضرب الأتاوة ونحو ذلك أو عادوا بتكذيب محمد ﷺ وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير وقدر الجزية على الباقين فهم يعطونها عن يد وهم صاغرون وهم في عذاب من المؤمنين إلى يوم القيامة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن عدتم﴾ إلى الجهل ﴿عدنا﴾ إلى العدل بل إلى الفضل، وفي «المثنوي»:

چونكه بدكردى بترس ايمن مباش زانكه تخمست وبروياند خدش
چند كاهى او بپوشاند كه تا آيد آخر زان پشيمان تورا
بارها پو شد پى اظهار فضل باز كيرد از پى اظهار عدل
تاكه اين هردوصفت ظاهر شود آن مبشر كردد اين منذر شود

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ أي محبساً ومقراً يحصرون فيه لا يستطيعون الخروج منها أبد الأباد فهو فاعل بمعنى فاعل أي حاصرة لهم ومحيطه بهم وتذكيره إما لكونه بمعنى النسبة كلابن وتامر أو لحمله على فعيل بمعنى مفعول أو بالنظر إلى لفظ جهنم إذ ليس فيه علامة التأنيث. وعن الحسن حصيراً أي بساطاً كما يبسط الحصير المرمول والحصير المنسوج وإنما سمي الحصير لأنه حصرت طاقاته بعضها فوق بعض.

واعلم أن جهنم عصمني الله وإياك منها من أعظم المخلوقات وهي سجن الله في الآخرة يسجن فيه المعطلة أي نفاة الصانع والمشركون والكافرون والمنافقون وأهل الكباثر من المؤمنين ثم يخرج بالشفاعة وبالايمان الإلهي من جاء النص الإلهي فيه وأوجدها الله تعالى بطالع الثور ولذلك خلقها الله تعالى في صورة الجاموس وجميع ما يخلق فيها من الآلام التي يجدها الداخلون فيها فمن صفة الغضب الإلهي ولا يكون ذلك عند دخول الخلق فيها من الجن والإنس متى دخلوها وأما إذا لم يكن فيها أحد من أهلها فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها من زبائنها في رحمة الله لمنغمسون ملتذون يسبحون الله لا يفتررون. فعلى العاقل أن يتباعد عن الأسباب المقربة إلى النار ويستعيز بالله من حرها وبردها آناء الليل وأطراف النهار ويرجو رحمة الله تعالى وهي في التسليم والتلقي من النبوة والوقوف عند الكتاب والسنة عصمنا الله وإياكم من المخالفة والعصيان وشرفنا بالموافقة والطاعة كل حين وأن وجعلنا من المخلصين في بابه المقبلين على جنابه المحترزين عن عذابه وعقابه.

﴿إن هذا القرآن﴾ الذي آتيناك يا محمد ﴿يهدي﴾ الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كدأب الكتاب الذي آتياه موسى ﴿للتي﴾ للطريقة التي ﴿هي أقوم﴾ أي أقوم الطرائق وأسدها وأصوبها أعني ملة الإسلام والتوحيد والمراد بهدايته لها كونه بحيث يهتدي إليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتداء بالفعل فإنه مخصوص بالمؤمنين ﴿ويشير﴾ [مژده ميدهيد] ﴿المؤمنين﴾ بما في تضاعيفه من الأحكام والشرائع ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ التي شرحت فيه ﴿أن لهم﴾ أي بأن لهم بمقابلة تلك الأعمال ﴿أجراً كبيراً﴾ بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر مرات

فصاعداً. قال الكاشفي: [مزدى بزرگ يعني بهشت] وذلك لأنه يستصغر عند الجنة ونعيمها الدنيا وما فيها.

﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وأحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ [آماده كردیم برای ایشان] أي فيما كفروا به وأنكروا وجوده من الآخرة ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾ وهو عذاب جهنم والجملة معطوفة على جملة يبشر بإضممار يخبر ويجوز أن يكون معطوفاً على أن لهم أجراً كبيراً فالمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم فإن المرء يستبشر ببيلة عدوه.

يا وصال یار یا مَرَكْ عَدُو بازى چرخ زین دو یك کارى کند

واعلم أن القرآن مظهر الاسم الهادي وهو كتاب الله الصامت والنبى عليه السلام كتاب الله الناطق وكذا ورثته الكمل بعده وأن الدلالة والإرشاد إنما تنفع المؤمنين العاملين بما فيه وهو لم يترك شيئاً من أمور الدين والدنيا الا وتكفل ببيانه إما إجمالاً أو تفصيلاً. قال ابن مسعود رضي الله عنه إذا أردتم العلم فآثروا القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين.

- روي - أنه تفكر بعض العارفين في أنه هل في القرآن شيء يقوي قوله عليه السلام: «يخرج روح المؤمن من جسده كما يخرج الشعر من العجين» فختم القرآن بالتدبر فما وجده فرأى النبي ﷺ في منامه وقال: يا رسول الله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْذِبْ وَلَا يَكُنْ إِلَّا فِي كِتَابٍ تُبَيِّنُ﴾ [الأنعام: ٥٩] فما وجدت معنى هذا الحديث في كتاب الله تعالى فقال عليه السلام: «اطلبه في سورة يوسف» فلما انتبه من نومه قرأها فوجده وهو قوله: ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ أَكْبَرَتْهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١] أي: لما رأى جمال يوسف عليه السلام اشتغلن به وما وجدن ألم القطع وكذلك المؤمن إذا رأى ملائكة الرحمة ورأى إنعامه في الجنة وما فيها من النعيم والصور والقصور اشتغل قلبه بها ولا يجد ألم الموت وانفهم من الحكاية أن القارئ ينبغي أن يقرأ القرآن بتدبر تام حتى يصل إلى كل مرام وقد نهى النبي عليه السلام أن يختم القرآن في أقل من ثلاث وقال: «لم يفقه» أي لم يكن فقيهاً في الدين «من قرأ القرآن في أقل من ثلاث» يعني: لا يقدر الرجل أن يتفكر ويتدبر في معنى القرآن في ليلة أو ليلتين لأنه يقرأ على العجلة حينئذ بل ينبغي أن يقرأ القرآن في ثلاث ليال أو أكثر حتى يقرأ عن طيب نفس ونشاطها ويتفرغ لتدبر معناه ولذا اختار بعضهم الختم في كل جمعة وبعضهم في كل شهر وبعضهم في كل سنة بحسب درجات التدبر والتفتيش ويغتنم الحضور للدعاء عند ختم القرآن فإنه يستجاب وفي الحديث: «من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله» ففي الافتتاح عند الاختتام إحراز لهاتين الفضيلتين وإذلال للشيطان. قال في «شرح الجزري» ينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو بالأمور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاية أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين ومما يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب

العالمين» وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن «اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمامك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في شيء من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائداً إلينا وإلي جناتك جنات النعيم ودارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين». قال في «القنية»: لا بأس باجتماعهم على قراءة الإخلاص جهراً عند ختم القرآن ولو قرأ واحد واستمع الباكون فهو أولى انتهى. وجه الأولوية أن الغرض الأهم من القراءة إنما هو تصحيح مبانيها لظهور معانيها ليعمل بما فيها وفي القراءة بصوت واحد يتشوش الخواطر مع أن بعض القارئ بالجمعية يأتي ببعض الكلمة والآخر ببعضها ويقع حذف الحرف والزيادة وتحريك الساكن وتسكين المحرك ومد القصر وقصر المد مراعاة للأصوات فيأثمون.

عشقت رسد بفریاد کرخود بسان حافظ قرآن زیر بخوانی در چار ده روایت

نسأل الله تعالى أن يوصلنا إلى حقائق القرآن وأسراره ويطلعنا على الحكم والمصالح في قصصه وأخباره ويجعلنا من أهل التحقيق إنه ولي التوفيق.

﴿ويدع الإنسان بالشر﴾ ويدعو الله عند غضبه بالشر واللعن والهلاك على نفسه وأهله وخدمه وماله. والمراد بالإنسان الجنس أسند إليه حال بعض أفراد أو حكى عنه حاله في بعض أحيانه وحذفت واو يدع ويمح وسندع لفظاً كياء سوف يؤت الله ويناد المناد وما تغن النذر وصلاً لاجتماع الساكنين ووقفا وهي مرادة معنى حملاً للوقف على الوصل ولو وقف عليها اضطراباً لوقف بلا واو في ثلاثتها اتباعاً للإمام كما في الكواشي ﴿دعاه بالخير﴾ مثل دعائه لهم بالخير والرزق والعافية والرحمة ويستجاب له فلو استجيب له إذا دعا باللعن كما يجاب له بالخير لهلك أو يدعوه بما يحسبه خيراً وهو شر في نفسه فينبغي أن يدعو بما هو خير عند الله تعالى لا بما يشتهي ﴿وكان الإنسان﴾ بحسب جبلته ﴿عجولاً﴾ يسارع إلى طلب ما يخطر بباله ولا ينظر عاقبته ولا يتأني إلى أن يزول عنه ما يعتريه. قال الكاشفي: [تعجيل دارد در انقلاب ازحالي بحالي نه درسرا تحمل دار دونه درضرا نه در كرما شكيياست ونه درسرما].

واعلم أن الدعاء إما بلسان الحقيقة وإما باعتبار السيئة المفضية إلى الشر الموجبة له فالإنسان عجول قولاً وفعلاً يتمادى في الأعمال الموجبة للشر والعذاب وفي الحديث: «المؤمن وقاف والمنافق وثاب» قال آدم عليه السلام لأولاده: كل عمل تريدون أن تعملوا فقفوا له ساعة فإني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات، وفي «المثنوي»:

بیش سک چون لقمه نان افکنی بوکندو انکه خورد ای مقتنی

اوببینی بوکند ما باخرد هم ببو یئمش بعقل منتقد

قيل: العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع: أداء الصلاة إذا دخل الوقت، ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت وقضاء الدين إذا وجب وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب. ثم شرع في بيان بعض الهداية التكوينية التي أخبر بها القرآن الهادي فقال:

﴿وَجَعَلْنَا لَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَكْدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ (١٢)

﴿وجعلنا الليل والنهار﴾ قدم الليل لأن فيه تظهر غرر الشهور أي: جعلناهما بسبب تعاقبهما واختلافهما في الطول والقصر ﴿آيتين﴾ دالتين على وجود الصانع القدير ووحدته إذ لا بد لكل متغير من مغير وإنما قال ﴿وَجَعَلْنَا لَيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] وقال في موضع آخر: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَ مَرَمِّ وَأَمَّةٍ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] لأن الليل والنهار ضدان بخلاف عيسى ومريم وقيل لأن عيسى ومريم كانا في وقت واحد والشمس والقمر آيتان لأنهما في وقتين ولا سبيل إلى رؤيتهما معاً ﴿فمحونا آية الليل﴾ الفاء تفسيرية والإضافة بيانية كما في إضافة العدد إلى المعدود أي: فمحونا الآية التي هي الليل. والمحو في الأصل إزالة الشيء الثابت والمراد هنا إبداعها ممحوة الضوء مطموسة كما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل أي: أنشأهما كذلك بقرينة أن محو الليل في مقابلة جعل النهار مضيئاً ﴿وجعلنا آية النهار﴾ أي: الآية التي هي النهار ﴿مبصرة﴾ مضيئة تبصر فيها الأشياء وصفها بحال أهلها ويجوز أن تكون الإضافة في المحلين حقيقية فالمراد بآية الليل والنهار والقمر والشمس.

- روي - أن الله تعالى خلق كلاً من نور القمر والشمس سبعين جزءاً ثم أمر جبريل فمسح بجناحه ثلاث مرات فمحا من القمر تسعة وستين جزءاً فحولها إلى الشمس ليطهر الليل من النهار إذ كان في الزمن الأول لا يعرف الليل والنهار فالسواد الذي في القمر أثر المحو وهذا السواد في القمر بمنزلة الخال على الوجه الجميل ولما كان زمان الدولة العربية الأحمدية قمرياً ظهر عليه أثر السيادة على النجوم وهو السواد لأنه سيد الألوان كما ظهر على الحجر المكرم الذي خرج أبيض من الجنة أثر السيادة بمبايعة الأنبياء والأولياء عليهم السلام وجعل الله شهورنا قمرياً لا شمسية تنبيهاً من الله للعارفين أن آياتهم ممحوة من ظواهرهم مصروفة إلى بواطنهم فاختصوا من بين جميع الأمم الماضية بالتجليات الخاصة. وقيل فيهم كتب في قلوبهم الإيمان مقابلة قوله فانسلك منها قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠] أي: في علو المرتبة والشرف. قال: حضرت شيخي وسندي قدس سره في «كتاب البرقيات» بعد تفصيل بديع ثم لآية الليل مرتبة الفرعية والتبعية ولآية النهار مرتبة الأصلية والاستقلالية لأن نور القمر مستفاد من نور الشمس ثم سر محو آية الليل وجعل آية النهار مبصرة هو نفي الاستواء وإثبات الامتياز حتى يتعين حد المستفيد وطوره بأن يكون أنزل بحسب الضعف والنقصان وحد المفيد وطوره بأن يكون ارفع بحسب القوة والكمال ويرتبط كل منهما بالآخر من غير تعد وتجاوز عن حده وطوره بل عرف كل قدره ولزوم مقامه حتى يطرد النظام والانتظام ويستمر القيام والدوام من غير خلل واختلال ثم هذا السر إشارة إلى سر أن لمظاهر الجلال مرتبة التبعية والفرعية ولمظاهر الجمال مرتبة الاستقلالية والأصلية لأن الإمداد الواصل إلى مظاهر الجلال لقيامهم ودوامهم وبقائهم مستفاد من مظاهر الجمال ولذا قيل: لولا الصلحاء لهلك الطلحاء وحكمة محو أفكار مظاهر الجلال عن الإصابة إلى الأخطاء وجعل أفكار مظاهر الجمال مبصرة مصيبة هو نفي المساواة وإثبات المباينة بينهما حتى يتحقق رتبة الأصل بالقوة والغلبة ورتبة الفرع بالضعف والعجز والذلة ويقوم النظام ويدوم الانتظام من غير أن يظهر التجاوز والتعدي

من طرف مرتبة التبعية إلى رتبة الاستقلالية عند المقابلة والمقاومة بل يطرد الارتفاع والاعتلاء والاستيلاء على الوجه الأوفق والحد الأحق في طرف الأصالة ويستمر الأمر في نفسه إلى ما شاء الله خالق البرية ثم مرتبة القمر إشارة إلى المراتب الإلهية إلى مرتبة الربوبية ومرتبة الشمس إلى مرتبة الألوهية وفي المراتب الكونية الآفاقية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الكرسي واللوح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة العرش والقلم وفي مراتب الكونية الأنفسية مرتبة القمر إشارة إلى مرتبة الروح ومرتبة الشمس إشارة إلى مرتبة السر وغير ذلك من الإشارات القرآنية ﴿لتبتغوا﴾ متعلق بقوله: ﴿وجعلنا آية النهار﴾ أي: لتطلبوا لأنفسكم في بياض النهار ﴿فضلاً من ربكم﴾ أي: رزقاً وسماء فضلاً لأن إعطاء الرزق لا يجب على الله وإنما يفرضه بحكم الربوبية وفي التعبير عن الكسب بالابتغاء دلالة على أن ليس للعبد في تحصيل الرزق تأثير سوى الطلب ﴿ولتعلموا﴾ متعلق بكلا الفعلين أي: لتعلموا باختلاف الجديدين أو ميزهما ذاتاً من حيث الإظلام والإضاءة مع تعاقبهما وسائر أحوالهما ﴿عدد السنين﴾ التي يتعلق بها غرض علمي لإقامة مصالحكم الدينية والدنيوية ﴿والحساب﴾ أي: الحساب المتعلق بما في ضمنها من الأوقات أي: الأشهر والليالي والأيام وغير ذلك مما نيط به شيء من المصالح المذكورة ولولا ذلك لما علم أحد حسابان الأوقات ولتعطلت أمور كثيرة. والحساب إحصاء ما له كمية منفصلة بتكرير أمثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة فيها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل والعد: إحصاؤه بمجرد تكرير أمثاله من غير أن يتحصل منه شيء كذلك فالسنة تتحصل بعدة شهور والشهر بعدة أيام واليوم بعدة ساعات. والسنين جمع سنة وهي شمسية وقمرية فالسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلاث يوم قالوا: إن أقر العينين أنه لم يصل أجله الحاكم سنة قمرية في الصحيح وبحسب فدية الصلاة بالسنة الشمسية أخذاً بالاحتياط من غير اعتبار ربع اليوم فدية كل فرض من الحنطة خمسمائة درهم وعشرون درهماً وللوتر كذلك فيكون فدية كل صلاة يوم وليلة من الحنطة ثلاثة آلاف درهم ومائة وعشرين درهماً وفدية كل سنة شمسية مائة واثنان وأربعون كيلاً بكيل القسطنطينية وسبع أوقية ويكون قيمة هذا المقدار من الحنطة محسوبة بالحساب الجاري بين الناس في كل عهد وزمان ﴿وكل شيء﴾ تفتقرون إليه في المعاش والمعاد وهو منصوب بفعل يفسره قوله تعالى: ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ أي: بيناه في القرآن بياناً بليغاً لا التباس معه فأزحنا عنكم وما تركنا لكم حجة علينا فليتبّع العاقل ما أدركه أي: لحقه علمه وليفوض ما جهله منه إلى العلم. وفيه إشارة إلى أن العالم إذا تدبر في القرآن وقف على جميع المهمات وكان الصحابة رضي الله عنهم يكرهون أن يمضي يوم ولم ينظروا في مصحف لأن النظر إليه عبادة. وفيه أيضاً وقوف على المرام فإن التدبر يؤدي إلى ظهور خفايا الكلام.

- حكي - أن الإمام محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة دخل على أبي حنيفة لتعلم الفقه قال: استظهرت القرآن يا بني قال: لا قال: استظهر أولاً فغاب سبعة أيام ثم رجع إلى أبي حنيفة فقال: ألم أقل لك استظهر قال: استظهرت. قال الشافعي رضي الله عنه: بت عنده ليلة فصلت إلى الصبح واضطجع هو إلى الصبح فاستنكرت ذلك منه فقام وصلى ركعتي الفجر من غير توضؤ فقلت له في ذلك فقال: أظننت أنني نمت كلا استخرجت من كتاب الله نيفاً وألف

مسألة فأنت عملت لنفسك وأنا عملت للأمة أو إنما اضطجعت لأن صفاء خاطري في تلك الحالة. وهذه الصورة سرّ ما قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي إليهم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل روح الإنسان عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض. ثم إن في القرآن تفصيلاً لأهل العبارة وأهل الإشارة، وفي «المثنوي»:

تو زقر آن اي پسر ظاهر مبین دیو آدم را نبیند غیر طین
ظاهر قرآن چو شخص آدمیست که نقوشش ظاهر وجانش خفیست
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْهُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ
كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا
نَزِرُ وَازِرَةٌ وَّرَزَّ آخِرُ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾

﴿وكل إنسان﴾ مكلف مؤمناً كان أو كافراً ذكراً أو أنثى عالماً أو أمياً سلطاناً أو رعية حراً أو عبداً ﴿الزمناء﴾ الإلزام [لازم کردن] ﴿طائره﴾ أي: عمره الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كأنه طار إليه من عش الغيب ووكر القدر ﴿في عنقه﴾ تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط أي: ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبداً بل يلزمه لزوم القلادة والغل للعنق لا ينفك عنه بحال.

که هرنیک وبدی کان ازمن آید مرا نا کام غل در کردن آید
قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف خص العنق بالزمناء الطائر؟ الجواب لأن العنق موضع السمات والقلائد مما يزين أو يشين فينسبون الأشياء اللازمة إلى الأعناق يقال هذا في عنقي وفي عنقك انتهى. وفي «حياة الحيوان»: أنهم قالوا تقلدها طوق الحمامة الهاء كناية عن الخصلة القبيحة أي: تقلد طوق الحمامة لأنها لا يزيلها ولا يفارقها كما لا يفارق الطوق الحمامة ومثل قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ أن عمله لازم له لزوم القلادة والغل لا ينفك عنه انتهى.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما طار لكل إنسان في الأزل وقدر بالحكمة الأزلية والإرادة القديمة من السعادة والشقاوة وما يجري عليه من الأحكام المقدرة والأحوال التي جرى بها القلم من الخلق والخلق والرزق والأجل ومن صفات الأعمال وكبائرها المكتوبة له وهو بعد في العدم وطائره ينتظر وجوده فلما أخرج كل إنسان رأسه من العدم إلى الوجود وقع طائره في عنقه ملازماً له في حياته ومماته حتى يخرج من قبره يوم القيامة وهو في عنقه وهو قوله: ﴿ونخرج له﴾ أي لكل إنسان ﴿يوم القيامة﴾ والبعث للحساب ﴿كتاباً﴾ مسطوراً فيه عمله نقيراً وقطميراً وهو مفعول نخرج ﴿يلقاه﴾ الإنسان أي: يجده ويراه ﴿منشوراً﴾ مفتوحاً بعدما كان مطوياً صفتان لكتابان أو الأول صفة والثاني حال. قال الحسن: بسطت لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك. وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة. يعني: [چون آدمي درسکرات افتد نامه عمل او در پیچند وچون مبعوث کردند باز کشاده بدست وی ودهند].

﴿اقرأ كتابك﴾ على إرادة القول أي: يقال اقرأ كتابك، عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم

يكن في الدنيا قارئاً ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ أي: كفى نفسك والباء زائدة واليوم ظرف لكفى وحسيباً تمييز وعلى صلته لأنه بمعنى الحاسب وتذكيره مبني على تأويل النفس بالشخص. يعني: [خود به بين که چه کرده ومستحق چه نوع پاداشتی] وفوض تعالى حساب العبد إليه لثلاثين سبب إلى الظلم ولتجب الحجة عليه باعترافه. قال الحسن: انصف من انصفك أنصف من جعلك حسيب نفسك [عمر رضي الله عنه كفته که حاسبوا قبل أن تحاسبوا امروز دفتر اعمال خود در پیش نه ودرنکرکه ازینک وید چه کرده وچون فرصت داری درتدارک أحوال خود کوش که فردا مجال تلافی نخواهد بود. درکشف الاسرار آورده که پدری پسر خویش را گفت امروز هرچه بامردم کویی وهرچه از ایشان شنوی وهر عملی که کنی بامن بکوی وحرکات وسکنات خویش بر من عرض کن آن پسر تا نماز شام تمام کردار یکروزه را باز گفت پدر روزی دیگر از پسر همین حال درخواست پسر گفت ای پدر زینهار هرچه خواهی از رنج وکلفت بکشم این صورت بگذار که طاقت ندارم پدر گفت من ترا درین کارمی بندم تابیدار وهشیار باشی وازموقف حساب غافل نشوی که ترا طاقت یکروزه حساب دادن باپدر نیست حساب همه عمر باحق تعالی چون خواهی داد]:

تو نمی دانی حساب روز وشام پس حساب عمر چون کویی تمام
زین عملهای نه بر نهج صواب نیست جز شرمندگی وقت حساب
﴿من اهتدی﴾ [هرکه راه یابد وبراه راست رود] أي: بهدایة القرآن وعمل بما فی
تضاعیفه من الأحکام وانتهی عما نهاه ﴿فإنما یهتدی لنفسه﴾ فإنما تعود منفعة اهتدائه إلى نفسه
لا تتخطاه إلى غیره ممن لم یهتد ﴿ومن ضل﴾ عن الطریقة التي یهدیه إليها ﴿فإنما یضل
علیها﴾ فإنما وبال إضلاله علیها لا علی من عدها ممن لم یبأشره حتی یمكن مفارقة العمل من
صاحبه. وقال البیضاوی لا ینجی اهتداؤه غیره ولا یردی ضلاله سواه أي: فی الآخرة وإلا ففي
حكم الدنيا یتعدى نفع الاهتداء وضرر الضلال إلى الغیر كما فی «حواشی» سعدي المفتي ﴿ولا
تزر وازرة وزر أخرى﴾. قال فی «القاموس» الوزر بالكسر الإثم والثقل والحمل الثقیل انتهى
أي: لا تحمل نفس حاملة للوزر أي: الإثم وزر نفس أخرى حتی یمكن تخلص النفس الثانية
من وزرها ویختل ما بین العامل وعمله من التلازم بل إنما تحمل کل منهما وزرها فلا یؤاخذ
أحد بذنب غیره وهذا تحقیق لمعنی قوله تعالی: ﴿وکل إنسان أُلْمِنَاهُ طائره فی عنقه﴾ وأما ما
یدل علیه قوله تعالی: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ
كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ۸۵] وقوله تعالی: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ
يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ۲۵] من حمل الغیر وزر الغیر وانتفاعه بحسنته وتضرره بسيئته فهو
فی الحقیقة انتفاع بحسنة نفسه وتضرر بسيئته فإن جزاء الحسنة والسيئة اللتين يعملهما العامل
لازم له وإنما الذي یصل إلى من یشفع جزاء شفاعته لا جزاء أصل الحسنة والسيئة وكذلك
جزاء الضلال مقصور على الضالین وما یحملة المضلون إنما هو جزاء الإضلال لا جزاء
الضلال وقوله: ﴿ولا تزر﴾ الخ تأکید للجملة الثانية وإنما خص بها قطعاً للأطماع الفارغة حيث
كانوا یزعمون أنهم لم یكونوا على الحق فالتبعة على أسلافهم الذين قلدوهم والتبعة ما یرتب
على الشيء من المضرة یتفرع علیه من العقوبة. وقال الکاشفی: [ولید بن مغیره کافرانرا
میکفت متابعت من کنید ومن کناهان شمارا بردارم حق سبحانه وتعالی میفر ما یدکه هر نفسی

بارخود خواهد برداشت نه بار ديكرى] هذا. وقد قال بعضهم: المراد بالكتاب نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن كل عمل يصدر من الإنسان خيراً أو شراً يحدث منه في جوهر روحه أثر مخصوص إلا أن ذلك الأثر يخفي ما دام الروح متعلقاً بالبدن مشتغلاً بواردات الحواس والقوى فإذا انقطعت علاقته عن البدن قامت قيامته لأن النفس كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود إلى العالم العلوي فيزول الغطاء وينكشف الأحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وأنه لا ينافي ما ورد في النقل بل يؤيد هذا المعنى ما روي عن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً ثم المراد بالقيامه على هذا التفصيل هي القيامة الصغرى لكن هذا الكلام أشبه بقواعد الفلسفة كما في «حواشي» سعدي المفتي. يقول الفقير: لا يخفى أن الآخرة جامعة للصورة والمعنى فللإنسان صحيفتان صحيفة عمله التي هي الكتاب وصحيفة نفسه فكل منهما ناطق عن عمله وحاله كما قال في «التأويلات النجمية»: يجوز أن يكون هذا الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها نسخة نسخها الكرام الكاتبون بقلم أعماله في صحيفة أنفاسه من الكتاب الطائر الذي في عنقه ولهذا يقال له: ﴿اقرأ كتابك﴾ أي: كتابتك التي كتبتها ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ فإن نفسك مرقومة بقلم أعمالك إما برقوم السعادة أو برقوم الشقاوة من اهتدى إلى الأعمال الصالحة فإنما يهتدي لنفسه فيرقمها برقوم السعادة ومن ضل عنها بالأعمال الفاسدة فإنما يضل عليها فيرقمها برقوم الشقاوة ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ أي: لا يرقم راقم بقلم أوزاره نفس غيره ﴿وما كنا معذبين﴾ أي: وما صح وما استقام منا بل استحال في عادتنا المبنية على الحكم البالغة أن نعذب أحداً من أهل الضلال والأوزار اكتفاء بقضية العقل ﴿حتى نبعث﴾ إليهم ﴿رسولاً﴾ يهديهم إلى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرائع قطعاً للمعذرة والزاماً للحجة. وفيه دلالة على أن البعثة واجبة لا بمعنى الوجوب على الله بل بمعنى أن قضية الحكمة تقتضي ذلك لما فيه من المصالح والحكم والمراد بالعذاب المنفي هو العذاب الدنيوي وهو من مقدمات العذاب الأخروي فجوزوا على الكفر والمعاندة بالعذاب في الدارين وما بينهما أيضاً وهو البرزخ والبعث غاية لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقاً كيف لا والأخروي لا يمكن وقوعه عقيب البعث والدنيوي أيضاً لا يحصل إلا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان.

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيَّهَا الْقَوْلُ فَمَزَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي: وإذا دنا وقت تعلق إرادتنا بإهلاك قرية بأن نعذب أهلها ﴿أمرنا﴾ بالطاعة على لسان الرسول المبعوث إلى أهلها ﴿مترفيها﴾ متنعميها وكبارها وملوكها. والمترف كمكرم من أبطرته النعمة وسعة العيش والترفة بالضم النعمة والطعام الطيب وخصهم بالذكر مع توجه الأمر إلى الكل لأنهم الأصول في الخطاب والباقي اتباع لهم ﴿ففسقوا فيها﴾ أي: خرجوا عن الطاعة وتمردوا في تلك القرية ﴿فحق عليها القول﴾ أي: ثبت وتحقق موجهه بحلول العذاب إثر ما ظهر فسقهم وطغيانهم. قال الكاشفي: [پس واجب شود براهل آن ده كلمه عذاب كه سبقت كرفته در حكم ازلى مستوجب عقوبت شدند] ﴿فدمرناها﴾ بتدمير أهلها وتخریب دیارها. والتدمير الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء ﴿تدميراً﴾ وقيل: الأمر مجاز

من الحمل على الفسق والتسبب له بأن صب عليهم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٧) ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (٨)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ كم مفعول أهلكنا ومن القرون تبين لإبهام كم وتميز له كما يميز العدد بالجنس أي: وكثيراً من القرون أهلكنا والقرن مدة من الزمان يخترم فيها المرء والأصح أنه مائة سنة لقوله عليه السلام لغلام: «عش قرناً» فعاش مائة والقرن كل أمة هلكت فلم يبق منها أحد وكل أهل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم ﴿من بعد نوح﴾ من بعد زمنه كعاد وثمود ومن بعدهم ولم يقل من بعد آدم لأن نوحاً أول نبي بالغ قومه في تكذيبه وقومه أول من حلت بهم العقوبة العظمى وهو الاستئصال بالطوفان ﴿وكفى بربك﴾ أي: كفى ربك ﴿بذنوب عباده خبيراً بصيراً﴾ يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها وتقديم الخبر مع أنه مضاف إلى الغيب والأمور الباطنة والبصير مضاف إلى الأمور الظاهرة كالشاهد لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التي هي مبادي الأعمال الظاهرة. وفيه إشارة إلى أن البعث والأمر وما يتلوها من فسقهم ليس لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فإن ذلك حاصل قبل ذلك وإنما هو لقطع الأعذار وإلزام الحجة من كل وجه. وفي الآية تهديد لهذه الأمة لا سيما مشركي مكة لكي يطيعوا الله ورسوله ولا يعصوه فيصيبهم مثل ما أصابهم.

- روي - عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب: أقسم فقال الحمار الوحش للملك والغزال لي والأرنب للثعلب قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة فإذا هو منجلد بين يدي الأسد ثم قال للثعلب: أقسم هذه بيننا فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء فقال القضاء الذي نزل برأس الذئب ولذلك قيل العاقل من وعظ بغيره:

مرد دركارها چو كرد نظر بهزه اعتبار ازان برداشت

هرچه آن سود مند بود كرفت هرچه ناسود مند بود كذاشت

وفي «التأويلات النجمية» ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ يشير إلى أن الأعمال الصالحة والفاصلة التي ترقم النفوس برقوم السعادة والشقاوة لا يكون لها أثر إلا بقبول دعوة الأنبياء أو بردها فإن السعادة والشقاوة مودعة في أوامر الشريعة ونواهيها ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية﴾ أي: من قرى النفوس ﴿أمرنا مترفيها﴾ وهي النفوس الأمارة بالسوء ﴿ففسقوا فيها﴾ أي: فخرجوا عن قيد الشريعة ومتابعة الأنبياء بمتابعة الهوى واستيفاء شهوات النفس ﴿فحق عليها القول﴾ أي: فوجبت لها الشقاوة بمخالفة الشريعة ﴿فدمرناها تدميراً﴾ بإبطال استعداد قبول السعادة إذ صارت النفس مرقومة برقوم الشقاوة الأبدية ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾ أي: أبطلنا حسن استعدادهم لقبول السعادة برد دعوة الأنبياء عليهم السلام ﴿وكفى بربك بذنوب عباده﴾ إذ لم يقبلوا دعوة الأنبياء ﴿خبيراً بصيراً﴾ فإنه المقدر في الأزل المدبر إلى الأبد أسباب سعادة عباده وأسباب شقاوتهم انتهى.

﴿من كان﴾ [هرکه باشد از روی خساست همت] ﴿يريد﴾ بأعماله ﴿العاجلة﴾ الدار

الدنيا فقط أي: ما فيها من فنون مطالبها وهم الكفرة والفسقة وأهل الرياء والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة والذكر ﴿عجلنا له فيها﴾ أي: في تلك العاجلة ﴿ما نشاء﴾ تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد فإن الحكمة لا تقتضي وصول كل واحد إلى جميع ما يهواه ﴿لمن نريد﴾ تعجيل ما نشاء له فإنها لا تقتضي وصول كل طالب إلى مرامه فإن الله تعالى يتبلى بعض العباد بالطلب من غير حصول المطلوب وبعضهم يتبلى به بحصول المطلوب المشروط به إما مقارناً لطلبه وإما بعده لأن وقت الطلب قد يفارق وقت حصول المطلوب فيحصل الطلب في وقت والمطلوب في وقت وبعضهم لا يتبلى بالطلب بل يصل إليه الفيض بلا طلب فالأول طلب ولا شيء. والثاني طلب وشيء. والثالث شيء ولا طلب قوله: ﴿لمن نريد﴾ بدل من الضمير في له بإعادة الجار بدل البعض فإنه راجع إلى الموصول المنبئ عن الكثرة ﴿ثم جعلنا له﴾ مكان ما عجلنا له ﴿جهنم﴾ وما فيها من أصناف العذاب ﴿بصلاها﴾ يدخلها وهو حال من الضمير المجرور ﴿مذموماً﴾ ملوماً لأن الذم اللوم وهو خلاف المدح والحمد يقال ذمته وهو ذميم غير حميد كما في «بحر العلوم» ﴿مدحوراً﴾ مطروداً من رحمة الله تعالى فإن الدحر الطرد والإبعاد.

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (١٩)

﴿ومن﴾ [هركه از روی علو همت] ﴿أراد﴾ بالأعمال ﴿الآخرة﴾ الدار الآخرة وما فيها من النعيم المقيم ﴿وسعى لها سعيها﴾ أي: السعي اللائق بها وهو الإتيان بما أمر والانتهاه عما نهى لا التقرب بما يخترعون بأرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والإخلاص فإنها للاختصاص ﴿وهو مؤمن﴾ أي: والحال أنه مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب فإنه العمدة ﴿فأولئك﴾ الجامعون الشرائط الثلاثة من إرادة الآخرة والسعي الجميل لها والإيمان ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ مقبولاً عند الله تعالى بحسن القبول مثاباً عليه فإن شكر الله الثواب على الطاعة وفي تعليق المشكورية بالسعي دون قرينه إشعار بأنه العمدة فيها.

اعلم أن الله تعالى خلق الإنسان مركباً من الدنيا والآخرة ولكل جزء منهما ميل وإرادة إلى كله ليتغذى منه ويتقوى ويتكامل به ففي جزئه الدنيوي وهو النفس طريق إلى دركات النيران وفي جزئه الأخروي وهو الروح طريق إلى درجات الجنان وخلق القلب من هذين الجزئين وله طريق إلى ما بين اصبعي الرحمن اصبع اللطف وأصبع القهر فمن يرد الله به أن يكون مظهر قهره أزاغ قلبه وحول وجهه إلى الدنيا فيريد العاجلة ويربي بها نفسه إلى أن تبلغه إلى دركات جهنم البعد ويصلى نار القطيعة ومن يرد الله به أن يكون مظهر لطفه أقام قلبه وحول وجهه إلى عالم العلو فيريد الآخرة ويسعى لها سعيها وهو الطلب بالصدق وهو مؤمن بأن من طلبه وجده فأولئك كان سعيهم في الوجود مشكوراً من الموجد في الأزل.

﴿كَلَّا نَبْدُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (٢٠) أَنْظَرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ (٢٢)

﴿كلا﴾ منصوب بنمد أي: كل واحد من مريدي الدنيا ومريدي الآخرة ﴿نمد﴾ أي: نزيد مرة أخرى بحيث يكون الأنف مدداً للسالف لا نقطعه وما به الإمداد هو ما عجل لأحدهما من

العطايا العاجلة وما أعد للآخر من العطايا الآجلة المشار إليها بمشكورية السعي ﴿هؤلاء﴾ بدل من كلاً ﴿وهؤلاء﴾ عطف عليه أي: نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم ﴿من عطاء ربك﴾ أي: من معطاه الواسع الذي لا يتناهى له لأن العطاء اسم ما يعطي وهو متعلق بنمد ومغن عن ذكر ما به الإمداد ومنه على أن الإمداد المذكور ليس بطريق الاستيجاب بالسعي والعمل بل بمحض التفضل ﴿وما كان عطاء ربك﴾ أي: دنيوياً وأخروياً ﴿محظوراً﴾ ممنوعاً عما يريد من البر والفاجر بل هو فائض على البر في الدنيا والآخرة وعلى الفاجر في الدنيا فقط وإن وجد منه ما يقتضي الحظر وهو الفجور والكفر، قال الشيخ سعدي:

اديم زمين سفره عام اوست برين خوان يگماچه دشمن چه دوست
پس پرده بيند عملهای بد هم او پرده پوشد بآلای خود
وکر برجفا پیشه بشتافتی کی از دست قهرش امان یافتی

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية لا بانظر لأن الاستفهام يحجب أن يتقدم عليه عامله لاقتضائه صدر الكلام أي: انظر يا محمد بنظر الاعتبار كيف فضلنا بعض الأدميين على بعض فيما أمددناهم من العطايا الدنيوية فمن وضع ورفيع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الأخروية ودرجات تفاضل أهلها على طريقة الاستشهاد بحال الأدنى على حال الأعلى كما فصّح عنه قوله تعالى: ﴿وللآخرة﴾ أي: هي وما فيها ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿درجات﴾ نصب على التمييز وهي جمع درجة بمعنى المرتبة والطبقة ﴿وأكبر تفضيلاً﴾ وذلك لأن التفاوت في الآخرة بالجنة ودرجاتها العالية لأن ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ من أهل الدنيا في النعمة والدولة وموافاة المرادات ليتحقق لك أنها من إمدادنا إياهم ﴿وللآخرة﴾ أي: أهل الآخرة ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من أهل الدنيا لأن مراتب الدرجات الأخروية وفضائل أهلها باقية غير متناهية ونعمة الدنيا وفضائل أهلها فانية متناهية، قال الحافظ:

في الجملة اعتماد مكن بر ثبات دهر كين كار خانه ايست كه تغيير ميكنند
فعلى العاقل تحصيل الدرجات الأخروية الباقية. وفي الحديث «أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوي الألباب» أراد بذوي الألباب العلماء ألا يرى إلى قوله عليه السلام: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وفي رواية «كفضل القمر على سائر الكواكب» وقد قال ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ﴾ [المجادلة: ١١] يرفع العالم فوق المؤمن بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فبهذه الشواهد يتضح أن تفاوت درجات أهل الجنة بحسب تفاوت معارفهم الإلهية وعلومهم الحقيقة كما قال عليه السلام: «إن في الجنة مدينة من نور لم ينظر إليها ملك مقرب ولا نبي مرسل جميع ما فيها من القصور والغرف والأزواج والخدم من النور أعدها الله للعاقلين فإذا ميز الله أهل النار ميز أهل العقل فجعلهم في تلك المدينة فيجزى كل قوم على قدر عقولهم فيتفاوتون في الدرجات كما بين المشارق والمغرب بألف ضعف» وعنه عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا أصحاب الهموم» يعني: في طلب الخير والمعيشة وقال عليه السلام: «إن في الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة أقسام: عادل وذو رحم واصل وذو عيال صبور» فقال علي رضي الله

عنه: ما صبر ذي العيال قال: «لا يمن على أهله ما ينفق عليهم».

- روي - أن عدة من الناس اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال لسهيل بن عمرو: إنما أبينا من قبلنا فإنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر فما أعد الله لهم في الجنة أكثر. وقرئ وأكثر تفضيلاً. وفي قول بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل وعنه عليه السلام: «بين المجاهد والقاعد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضر سبعين سنة» أي: عدوه وعنه عليه السلام: «تعلموا العلم بالله تعالى يبعث يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر الخلق على درجاتهم» كما في «بحر العلوم» وفي «المنثوي»:

علم را دوپر کما نرا يك پراست	ناقص آمد ظن به پرواز ابتراست
مرغ يك پر زود افتد سرنكون	بازبر پرد دوکامی يافزون
افت وخيزان ميپرد مرغ کمان	بايکی پر بر اميد آشیان
چون زطن وارست و علمش رونمود	شد دوپير آن مرغ يك پربر کشود
بعد ازان يمشي سويًا مستقيم	نی على وجه مکبا او سقيم

اللهم اجعلنا من أهل اليقين والتمكين.

﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد أمته فإن بعضهم قالوا: الأصل في الأوامر هو وفي النواهي امته. ﴿فتقعد﴾ بالنصب جواباً للنهي والقعود بمعنى الصيرورة وعبارة عن المكث أي: فتمكث في الناس كما تقول لمن سأل عن حال شخص قاعد في أسوأ حال ومعناه ماكث سواء كان قائماً أو جالساً وقد يراد القعود حقيقة لأن من شأن المذموم المخذول أن يقعد حائراً يتفكر أو عبر بغالب حاله وهو القعود ﴿مذموماً مخذولاً﴾ خبران أو حالان أي: جامعاً على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى فإن الشريك عاجز عن النصرة. وفيه إشعار بأن الموحد جامع بين المدح والنصرة وإشارة إلى أن طالب الحق لا يطلب مع الله غيره من الدارين ونعمهما.

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفَنَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (١٣)

﴿وقضى ربك﴾ أي: أمر كل مكلف أمراً مقطوعاً به فضمن قضى معنى أمر وجعل المضمن أصلاً والمضمن فيه قيداً له لأن المقضي يجب وقوعه ولم يقع من بعض المخاطبين التوحيد.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال ربك أراد به النبي لأنه مخصوص بالتربية أصالة والأمة تبع له في هذا الشأن وقوله: ﴿وقضى ربك﴾ أي: حكم وقدر في الأزل ﴿أن لا تعبدوا﴾ أي: بأن لا تعبدوا على أن مصدرية ولا نافية ﴿إلا إياه﴾ لأن العبادة غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية العظمة ونهاية الإنعام ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: بأن تحسنوا بهما إحساناً لأنهما السبب الظاهري للوجود والتعيش والله تعالى هو السبب الحقيقي فأخبر تعظيم

السبب الحقيقي ثم اتبعه بتعظيم السبب الظاهري يعني الله تعالى قرن إحسان الوالدين بتوحيده لمناسبتهم لحضرة الألوهية والربوبية في سببتهما لوجودك وتربيتهما إياك عاجزاً صغيراً وهما أول مظهر ظهر فيهما آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ومع ذلك فهما محتاجان إلى قضاء حقوقهما والله غني عن ذلك. فأهم الواجبات بعد التوحيد إحسانهما وفي الحديث: «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله» ذكره الإمام ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ [اكر برسد نزيك تو بزرگ سالی وكبر سن یكى ازایشان یاهر دو ایشان یعنی بزید تا پیر شوند ومحتاج خدمت تو كردند]، قوله: إما مركبة من أن الشرطية وما المزیدة لتأكيدها ولذلك حل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك وأحدهما فاعل للفعل وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع أن ما سبق على الجمع للاحتراز عن التباس المراد فإن المقصود نهى كل أحد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قبل الجمع بالجمع أو بالتثنية لم يحصل هذا المراد، قال في «الأسئلة المقحمة»: إن قلت كيف خص الله حال الكبر بالإحسان إلى الوالدين وهو واجب في حقهما على العموم والجواب أن هذا وقت الحاجة في الغالب وعند عدم الحاجة إجابتهما ندب وفي حالة الحاجة فرض انتهى ﴿فلا تقل لهما﴾ أي: لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع ﴿أف﴾ هو صوت يدل على تضجر واسم للفعل الذي هو الضجر وقرئ بحركات الفاء فالتنوين على قصد التنكير كصه ومه وإيه وغاق وتركه على قصد التعريف والكسر على أصل البناء إن بني على الكسر لالتقاء الساكنين وهما الفاءان والفتح على التخفيف والضم للاتباع كمنذ وهو بالشاذ. والمعنى لا تتضجر بما تستقذر منهما وتستثقل من مؤنثتهما وهو عام لكل أذى لكن خص بعضه بالذكر اعتناء بشأنه فقل: ﴿ولا تنهرهما﴾ أي: لا تزجرهما بإغلاظ إذا كرهت منهما شيئاً ﴿وقل لهما﴾ بدل التأفيف ﴿قولا كريما﴾ ذا كرم وهو القول الجميل الذي يقتضيه حسن الأدب ويستدعيه النزول على المروءة مثل أن تقول: يا أبتاه ويا أماه كدأب إبراهيم عليه السلام إذ قال لأبيه: يا أبت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء وسوء الأدب وديدن الدعاء إلا أن يكون في غير وجههما كما قالوا ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يجهر لهما بالكلام بل يكلمهما بالهمس والخضوع إلا لضرورة الصمم والإفهام ولا يسب والدي رجل فيسب ذلك الرجل والديه ولا ينظر إليهما بالغضب.

﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ ﴿٤٤﴾

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ جناح الذل استعارة بالكناية جعل الذل والتواضع بمنزلة طائر فأثبت له الجناح تخيلاً أي: تواضع لهما ولين جانبك وذلك أن الطائر إذا قصد أن ينحط خفض جناحه وكسره وإذا قصد أن يطير رفعه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب. قال القاضي وأمره بخفضه مبالغة في إيجاب الذل وترشيحاً للاستعارة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: كن مع الوالدين كالعبد المذنب الذليل الضعيف للسيد اللفظ الغليظ أي: في التواضع والتملق ﴿من الرحمة﴾ من ابتدائية أو تعليلية أي: من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما قالوا: ينظر إليهما بنظر المحبة والشفقة والترحم وفي الحديث «ما من ولد ينظر إلى الوالد وإلى والدته نظر مرحمة إلا كان له بها حجة

وعمره» قيل: وإن نظر في اليوم ألف مرة قال: «وإن نظر في اليوم مائة ألف» كما في «خالصة الحقائق» ويقبل رجل أمه تواضعاً.

- حكي - أن رجلاً جاء إلى الأستاذ أبي إسحق فقال: رأيت البارحة في المنام أن لحيتك مرصعة بالجواهر والياقوت فقال: صدقت فإني البارحة مسحت لحيتي تحت قدم والدتي قبل أن نمت فهذا من ذاك ويباشر خدمتهما بيده ولا يفوضها إلى غيره لأنه ليس بعار للرجل أن يخدم معلمه وأبويه وسلطانهم وضييفه ولا يؤمهم للصلاة وإن كان أفقه منه أي: أعلم بالفقه من الأب ولا يمشي أمامهما إلا أن يكون لإمطة الأذى عن الطريق ولا يتصدر عليهما في المجلس ولا يسبق عليهما في شيء أي: في الأكل والشرب والجلوس والكلام وغير ذلك. قال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر ويأخذ الإناء منه إذا شربها. وعن أبي يوسف إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير أوقد كما في «بحر العلوم» ولا ينسب إلى غير والديه استنكافاً منهما فإنه يستوجب اللعنة قال عليه السلام: «فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً» أي: نافلة وفريضة كما في «الأسرار المحمدية». قال في «القاموس»: الصرف في الحديث التوبة والعدل الفدية أو هو النافلة والعدل الفريضة أو بالعكس أو هو الوزن والعدل الكيل أو هو الاكتساب والعدل الفدية ﴿وقل رب ارحمهما﴾ وادع الله أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وإن كانا كافرين لأن من الرحمة أن يهديهما إلى الإسلام. قال الكاشفي: [حقيقت دعا رحمت ازولد درحق والدين آنست كه اكر مؤمن اند ايشانرا ببهشت رسان و اكر كافرانده راه نمای باسلام و ايمان]. قال ابن عباس: ما زال إبراهيم عليه السلام يستغفر لأبيه حتى مات فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه يعني ترك الدعاء ولم يستغفر له بعدما مات على الكفر كذا في «تفسير أبي الليث» وفي الحديث: «إذا ترك العبد الدعاء للوالدين ينقطع عنه الرزق في الدنيا» سئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو كان شيء أفضل منه لأمرت به في الأبوين ويعضده قوله عليه السلام: «إن الله ليرفع درجة العبد في الجنة فيقول: يا رب أنى لي هذا؟ فيقول: باستغفار ولدك» وفي الحديث: «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كان باراً» قال الشيخ سعدى قدس سره:

سألهما بر تو بكزدر كه كذر نكنى سوى تربت پدردت

تو بجای پدرچه کردی خیر تا همان چشم داری ازپسرت

﴿كما ربياني صغيراً﴾ الكاف في محل نصب على أنه نعت مصدر محذوف أي: رحمة

مثل رحمتهم علي وتربيتهم وإرشادهم لي في حال صغري وفاء بوعدك للراحمين.

- روي - أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما وليا مني

في الصغر فهل قضيتهما حقهما؟ قال: «لا فإنهما كانا يعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما».

﴿رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّلِينَ عَفْوَراً﴾

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ بما في ضمائركم من قصد البر والتقوى وكأنه تهديد على

أن يضمرا لهما كراهة واستثقالاً ﴿إن تكونوا صالحين﴾ قاصدين الصلاح والبر دون العقوق

والفساد ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿كان للأوابين﴾ أي: الرجاعين إليه تعالى مهما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر ﴿غفوراً﴾ لما وقع منهم من نوع تقصير أو أذية فعلية أو قولية. قال الإمام الغزالي رحمه الله: أكثر العلماء على أن طاعة الوالدين واجبة في الشبهات ولم تجب في الحرام المحض لأن ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم أي: واجب. قيل: إذا تعذر مراعاة حق الوالدين جميعاً بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام لأن النسب منه ويرجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام حتى لو دخلا عليه يقوم للأب ولو سألًا منه شيئاً يبدأ في الإعطاء بالأم كما في «منبع الآداب». قال الفقهاء تقدم الأم على الأب في النفقة إذا لم يكن عند الولد إلا كفاية أحدهما لكثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها ومعاناة المشاق في حمله ثم وضعه ثم إرضاعه ثم تربيته وخدمته ومعالجة أوساخه وتمريضه وغير ذلك كما في «فتح القريب»:

جنت سراي ما درانست زیر قد مات ما درانست
روزی بکن ای خدای مارا چیزی که رضای ما درانست

- وشکا - رجل إلى رسول الله ﷺ أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويخل عليّ بماله فبكي عليه السلام فقال: «ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى» ثم قال للولد «أنت ومالك لأبيك» وفي الحديث: «رغم أنفه» فقليل: من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك والداه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة» يعني بسبب برهما وإحسانهما: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنني أخاف تغير الأحوال عليكم بعدى لأمرتكم أن تشهدوا لأربعة أصناف بالجنة: أولهما امرأة وهبت صداقها من زوجها لأجل الله تعالى وزوجها راض، والثاني: ذو عيال كثير يجهد في المعيشة لأجلهم حتى يطعمهم الحلال، والثالث النائب على أن لا يعود إليه أبداً كاللبن لا يعود إلى الثدي، والرابع البار بالديه» ويجب على الأبوين أن لا يحملوا الولد على العقوق بسوء المعاملة والجفاء ويعيناه على البر.

- وحكي - عن بعض العرفاء أنه قال: إن لي ابناً منذ ثلاثين سنة ما أمرته بأمر مخافة أن يعصيني فيحق عليه العذاب. يقول الفقير: فسد الزمان وتغير الإخوان ولنبك على أنفسنا من سوء الأخلاق وقد كانت الصحابة - رضي الله عنهم - وهم هم ييكون دماً من أخلاق النفس فما لنا لا نبكي ونحن منغمسون في بحر الخطايا والذنوب متورطون في بئر القبايح والعيوب لا إنصاف لنا في حق أنفسنا ولا في حق الغير ونعم ما قال الحافظ حكاية لهذا التغير الناشئ من النفس الأمانة بالسوء:

هیچ رحمی نه برادر به برادر دارد هیچ شوقی نه پدر را به پسر می بینم
دخترانرا همه جنکست وجدل بامادر پسرانرا همه بدخواه پدر می بینم
جاهلان راهمه شربت زکلاست وعسل قوت دانا همه از قوت جگر می بینم
اسب تازی شده مجروح بزیر پالان طوق زرین همه برکردن خر می بینم
﴿وَمَا تَدَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّرَ تَبْذِيراً﴾ (٢٦) إِنَّ الْمَبْدُورِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

الشَّيْطَانُ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿١٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرِضَنَّهُمْ لِنَفَقَةٍ أَنتَ لِمَنْ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿١٨﴾

﴿وَأْت﴾ يا أفضل المخلوق ويدخل فيه كل واحد من أمته ﴿ذا القربى﴾ أي: القرابة وهم المحارم مطلقاً عند أبي حنيفة رحمه الله سواء كانت قرابتهم ولادية كالولد والوالدين أو غير ولادية كالأخوة والأخوات ﴿حقه﴾ وهي النفقة أي: إذا كانوا فقراء .

اعلم أنه لا يجب على الفقير إلا نفقة أولاده الصغار الفقراء ونفقة زوجته غنية أو فقيرة مسلمة أو كافرة وأما الغني وهو صاحب النصاب الفاضل عن الحوائج الأصلية ذكراً كان أو أنثى فيجب عليه نفقة الأبوين ومن في حكمهما من الأجداد والجندات إذا كانوا فقراء سواء كانوا مسلمين أو كافرين وهذا إذا كانوا ذمة فإن كانوا حرباً لا يجب وإن كانوا مستأمنين . ويجب نفقة كل ذي رحم محرم مما سوى الوالدين إن كان فقيراً صغيراً أو أنثى أو زمنياً أو أعمى ولا يحسن الكسب لخرقه فإن كان قادراً عليه لا يجب اتفاقاً أو لكونه من الشرفاء والعظماء . وتجب نفقة الأبوين مع القدرة على الكسب ترجيحاً لهما على سائر المحارم وطالب العلم إذا لم يقدر على الكسب لا تسقط نفقته على الأب كالزمن فإن نفقة البنت بالغة والابن زمنياً بالغاً على الأب وإذا كان للفقير أب غني وابن غني فالنفقة على الأبوين ولا نفقة مع اختلاف الدين إلا بالزوجة كما سبق والولاد فنفقة الأصول الفقراء مسلمين أو لا على الفروع الأغنياء ونفقة الفروع الفقراء مسلمين أو لا على الأصول الأغنياء فلا تجب على النصراني نفقة أخيه المسلم ولا على المسلم نفقة أخيه النصراني لعدم الولاء بينهما ويعتبر في نفقة قرابة الولاد أصولاً وفروعاً الأقرب فالأقرب وفي نفقة ذي الرحم يعتبر كونه أهلاً للإرث ولا يجب النفقة لرحم ليس بمحرم اتفاقاً كابناء العم بل حقهم صلته بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والموافقة والتفصيل في باب النفقة في الفروع فارجع إليه وفي الحديث: «البر والصلة يطيلان الأعمار ويعمران الديار ويكثران الأموال» وإن كان القوم فجاراً وإن البر والصلة ليخففان الحساب يوم القيامة .

وفي الآية إشارة إلى النفس فإنها من ذوي قربي القلب ولها حق كما قال عليه الصلاة والسلام: «إن لنفسك عليك حقاً» المعنى لا تبالغ في رياضة النفس وجهادها لئلا تسأم وتمل وتضعف عن حمل أعباء الشريعة وحقها رعايتها عن السرف في المأكول والملبوس والاثاث والمسكن وحفظها عن طرفي الإفراط والتفريط كما في «التأويلات النجمية» ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ أي: وآتهما حقهما مما كان مفترضاً بمكة بمنزلة الزكاة . المسكين من لا شيء له والفقير من له شيء دون نصاب وقيل بالعكس . وابن السبيل أي: الملازم لها هو من له مال لا معه وهو المسافر المنقطع عن ماله ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ بصرف المال إلى من سواهم ممن لا يستحقه فإن التبذير تفريق في غير موضعه وأما الإسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه فقد نهى عنه بقوله: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ سعدي:

نه هرکس سزاوار باشد بمال یکی مال خواهد یکی کو شمال

﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ أي: أعوانهم في إهلاك أنفسهم ونظرأهم في كفران النعمة والعصيان كما قال ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ مبالغاً في الكفر به لا يشكر نعمه بامثال أوامره ونواهيته وكان قریش ينحرون الإبل ويبدرون أموالهم في السمعة وسائر ما لا خير

فيه من المناهي والملاهي [مجاهد فرموده که اگر برابرکوه زردر وجوه خیر صرف کنند اسراف نباشدا اگر جوی یاحبه در باطل خرج نمایند اسراف باشد] وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير، سعدي:

کنون برکف دست نه هرچه هست که فردا بدنندان کزی پشت دست
﴿وإما﴾ [واکر] ﴿تعرضن﴾ [اعراض کنی] ﴿عنهم﴾ أي: إن اعتراك أمر اضطرک إلى أن
تعرض عن أولئك المستحقين من ذوي القربى وغيرهم ﴿ابتغاء رحمة من ربك﴾ أي: لفقد
رزق من ربك إقامة للمسبب مقام السبب فإن الفقد سبب للابتغاء ﴿ترجوها﴾ من الله تعالى
لتعطيهم والجملة صفة رحمة وكان عليه السلام إذا سئل شيئاً وليس عنده سكت حياء وأمر
بالقول الجميل لثلا يعتریهم الوحشة بسكوته فقيل: ﴿فقل لهم قولا ميسورا﴾ سهلاً ليناً وعدهم
بوعد فيه يسر وراحة لهم وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور أي: اليسر فهو مصدر على
مفعول أي: قل لهم أغناكم الله من فضله رزقنا الله وإياكم.

- روي - أن عيسى عليه السلام قال: من ردَّ سائلاً خائباً عن بابه لم تعبّر الملائكة بيته
سبعة أيام ومن مات فقيراً راضياً من الله بفقره لا يدخل الجنة أحد أغنى منه كذا في «الخالصة».

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ﴿١٩﴾

﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ [یدبسته برکردن خود واین کنایتست ازامساك] ﴿ولا
تبسطها كل البسط﴾ [ومکشای دست خودرا همه کشادن یعنی اسراف مکن]. قال أهل
التفسير: هما تمثيلان لمنع الشحيح وإعطاء المسرف زجراً لهما عنهما وحملًا على ما بينهما من
الاقتصاد الذي هو بين التقدير والإسراف وهو الكرم والجود، والمعنى ولا تمسك يدك عن
النفقة في الحق كل الإمساك بحيث لا تقدر على مدها كمن يده مغلولة إلى عنقه فلا يقدر على
إعطاء شيء ولا تجد كل الجود فتعطي جميع ما عندك ولا يبقى شيء منه كمن يبسط كفه كل
البسط فلا يبقى شيء فيها ﴿فتقعد﴾ جواب للنهيين أي: فتصير ﴿ملوما﴾ عند الله وعند الناس
في الدارين وهو راجع لقوله: ﴿ولا تجعل يدك﴾ ﴿محسورا﴾ نادماً أو منقطعاً بك لا شيء
عندك وهو راجع إلى قوله: ﴿ولا تبسطها﴾:

مبند ازسر امساك دست در كردن	که خصلتتست نکوهیده پیش اهل بها
مکن بجانب إسراف نیز چندان میل	که هرچه هست بیکدم کنی زدست رها
چودر میانه این هر دوراه چندانی	تفاوتست که از آفتاب تابستها
پس اختیار وسط راست در جميع امور	بدان دلیل که خیر الأمور أوسطها

وفي «الكواشي»: الصحيح أن هذا خطاب للنبي والمراد غيره لأنه أفسح الناس صدرأ
وكان لا يدخر شيئاً لغد انتهى وسيأتي تحقيق المقام. قال الكاشفي: [در اسباب نزول آمده که
مسلمه بایهودیه کرو بستند ومضمون رهن آنکه حضرت رسالت پناه علیه السلام از موسی کلیم
علیه السلام سخی ترست وسخاوت موسی آن بودکه سائل را رد نمیکرد بچیزیکه ازافاضل
بوده یابسخن خوش اورا خوشنود میساخت القصه ازجهت ازمایش شخصی دختر خودرا
بجانب نبوتآب فرستاد دخترک آمد وکفت که یا رسول الله ما در من از شماپیراهن میطلبد
حضرت فرمود زمان تازمان برسد توساعتی دیگر بازا ئی دخترک بعد از زمانی باز آمده که مادر

من آن پیراهنی میطلبد که دربر شماست حضرت بحجره درآمد و پیراهن بیرون کرده بوی داد و خود برهنه بنشست بلال قامت صلاة کشید و یاران منتظر خروج آن حضرت بودند و آن حضرت بسبب برهنگی بیرون نمی آمد آیت آمد که ولا تجعل الخ. قال في «برهان القرآن»: فدخل وقت الصلاة ولم يخرج للصلاة حياء فدخل عليه أصحابه فأروه على تلك الصفة فلاموه على ذلك فأنزل الله ﴿فتقعد ملوما محسورا﴾ مكشوفاً هذا هو الأظهر من تفسيره انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن أصحابه لاموه فصار ملوماً وبقي عرياناً فصار محسوراً أي: مكشوفاً لأن الحسر الكشف فعلى هذا كان الأنسب أن يراد القعود حقيقة ولم يرض في الإرشاد بهذه الرواية بناء على أن السورة مكية والقصة مدنية والعلم عند الله تعالى.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (۳۰) وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةً إِمَّا لَكُمْ تَنَزُّهُهُمْ وَإِنَّكُمْ إِنَّا قَتَلْتُمْ كَانَ خَطِئًا كَبِيرًا (۳۱) وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (۳۲)

﴿إن ربك یسط الرزق لمن یشاء و یقدر﴾ یوسعه على بعض و یضيقه على بعض آخرین بمشیئته التابعة للحكمة وبالفارسیة [بدرستی که پروردگار تو کشاده می کرداند روزی را برای هر که خواهد و تنگ می سازد برای هر که ارادت او اقتضا کند و این بسط و قبض از محض حکمت است و کس زهره اعتراض ندارد].

وفي «التأویلات النجمية»: یشیر به إلى الخروج عن أوطان البشرية والطبیعة الإنسانية إلى فضاء العبودية بقدومي التوكل على الله وتفويض الأمور إليه فإن كان يبسط للنفس في بعض الأوقات ببعض المراتد ليفرش لها بساط البسط ويقدر عليها في بعض الأوقات متمناها ليضبط أحوالها بمجامع القبض فالأمور موكولة إلى حكمه البالغة وأحكامه الأزلية ﴿إنه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾ أي: يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم قال الله تعالى: «وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الغنى لو أفقرته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الفقر لو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة لو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم لو أصححته لأفسده ذلك إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير» رواه أنس رضي الله عنه كما في «بحر العلوم» فيغني الله ويفقر ويبسط ويقبض ولو أغناهم جميعاً لطغوا ولو أفقرهم لنسوا فهلكوا وفي الحديث: «بادروا بالأعمال خمساً: غنى مطغياً وفقرأ منسياً وهوماً مفنداً ومرضاً مفسداً وموتاً مجهزاً» فإذا كان الغنى لبعض مطغياً صرفه الله تعالى عمن علم ذلك منه وأفقره لأن الفقر علم منه أنه لا ينسبه بل يشغل لسانه بذكره وحمده وقلبه بالتوكل عليه والالتجاء إليه وإذا كان الفقر لبعضهم منسياً صرفه عمن علم ذلك منه، وفي «المثنوي»:

فقر ازين رو فخر آمد جاودان كه بتقوى مانند دست نارسان
زان غنا وزان غنى مردود شد كه ز قدرت صبرها پدرود شد
آدمی را عجز و فقر آمد امان از بلای نفس پر حرص و غمان
فعلى العاقل التسليم لأمر الله تعالى والرضى بقضائه والصبر في موارد القبض والشكر في

مواقع البسط والإنفاق مهما أمكن. قال في «الأسرار المحمدية»: كان أويس القرني رحمه الله إذا أصبح أو أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به ومن مات عرياناً فلا تؤاخذني به. وكان الحلاج رحمه الله يقول مخبراً عن حاله: إذا قعد الرجل عشرين يوماً جائعاً ثم فتح له طعام فعرف أن في البلد من هو أحوج إلى ذلك منه فأكله ولم يؤثر به ذلك المحتاج فقد سقط عن رتبته وهذا مقام عال بالنسبة إلى حال أويس ظاهراً ولكن قال الشيخ الكامل محمد بن علي العربي قدس سره: اعلم أن قول أويس ينبه على مقامه الأعلى وقطبيته المثلى لأن ذلك القول معرب عن حال إمام الوقت فيعطي ما ملك ويتضرع هذا التضرع لمن استخلفه على عبيده بالرحمة لهم والشفقة عليهم والمكمل من سبقت رحمته غضبه كما أخبر الله سبحانه عن أكمل الخلفاء وسيد الأقطاب بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولكن العارف إذا كان صاحب حال مثل الحلاج فرق بين نفسه ونفس غيره فعامل نفسه بالشدة والقهر والعذاب ونفس غيره بالإيثار والرحمة والشفقة. وأما إذا كان صاحب مقام وتمكين وقوة بأن عرف الفرق بين الحال والمقام صارت نفسه عنه أجنبية وارتفع هو علوياً وبقيت مع أبناء جنسها سفلية فلزمه العطف عليها كما لزمه العطف على غيرها لأن أدب العارف من ذي الولاية أنه إذا خرج بصدقة ولقي أول مسكين يليق لدفع الصدقة إليه يدفعها إليه البتة فإذا تركه إلى مسكين آخر ولم يدفع للأول فقد انتقل من ربه إلى هوى نفسه فإنها مثل الرسالة لا يخص بالدعوة شخصاً دون شخص فأول من يلقاه بقوله قل لا إله إلا الله فالولي الكامل خليفة الرسول فإذا وهب الباري للولي رزقاً يعلم أنه مرسل به إلى عالم النفوس الحيوانية فينزل من سماء عقله إلى أرض النفوس ليؤدي إليهم ذلك القدر الذي وجه به فأول نفس تستقبله نفسه لا نفس غيره لأن نفوس الغير ليست متعلقة به فلا تعرفه. وأما نفسه فمتعلقة به ملازمة بابه فلا يفتحه إلا عليها فتطلب أمانتها فيقدمها على غيرها بالإعطاء لأنها أول سائل وإلى هذا السر أشار الشارع ﷺ بقوله: «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول» والأقربون أولى بالمعروف لتعلقهم بك ولزومهم بابك ولا تعلق للغير بك ولا له ملازمة نفسك وأهلك فلما تأخروا أخروا كسائر أسرار الله تعالى متى خرج من عند الحق على باب الرحمة فأى قلب وجد سائلاً متعرضاً دفع إليه حظه من الأسرار والحكم على قدر ما يراقبه من التعطش والجوع والذلة والافتقار وهم خاصة الله وعلى هذا المقام حرص الشارع بقوله: «تعرضوا لنفحات الله سبحانه» وهذا سر الحديث ومراد الشرع فمن تأخر آخر ومن نسي نسي فانظر الآن كم بين المنزلتين والمقامين ثم انظر أيضاً إلى هذا المقام على علوه وسموه كيف اشترك في الظاهر مع أحوال العامة فإنهم أول ما يجودون فعلى نفوسهم ثم إلى غيرها وإنما تصرفهم تحت حكم هذه الحقيقة وهم لا يشعرون وبعماهم عن هذه الأسرار ونزولهم إلى حضيض البهائم بحيث لا يعرفون مواقع أسرار العالم مع الله حرصوا على الإيثار ومدحوا به وهو مقام الحلاج الذي ذكر عنه وظننت أنه غاية في الترقى والعلو وهكذا فلتنزل الحقائق وتحاك حلل الدقائق أه. كلام الشيخ الأكبر والكبيرت الأحمر والمسك الأذفر قدس سره الأطهر.

﴿ولا تقتلوا﴾ يا معشر العرب ﴿أولادكم﴾ [فرزدان شما] ﴿خشية إملاق﴾ مخافة الفقر

ولا لغير مخافته إلا أن الحال اقتضت ذلك يقال أملق: افتقر وقتلهم أولادهم وأدهم بناتهم مخافة الفقر أي: دفنها حية فنهاهم الله تعالى عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال: ﴿نحن نرزقهم

﴿إياكم﴾ لا غيرنا [پس غم روزی ایشان مخورید که هر کرا اوجان دهد نان دهد]، سعدي:
 خداوند کاری که عبدی خرید بدارد فکیف آنکه عبد آفرید
 ترانیست این تکیه بر کردگار که مملوک را بر خداوند کار
 قال هرم لأویس القرني رحمه الله: أین تأمرني أن أكون فأوماً إلى الشام فقال الهرم:
 كيف المعيشة بها قال أویس: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة ﴿إن قتلهم
 كان خطاً كبيراً﴾ ذنباً عظيماً لما فيه من هدم بنیان الله وقطع النسل. والخطیء كالإثم وزناً
 ومعنى من خطیء وقرىء خطاً بفتح الحين بالقصر والمد.

اعلم أن من أول هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿ملوماً مدحوراً﴾ عشر آيات وهو إشارة إلى
 تبدیل عشر خصال مذمومة بعشر خصال محمودة. أما المذمومات فأولها البخل، وثانيها الأمل
 وهما في قوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾ فإن البخل وطول الأمل حملهم على
 قتل أولادهم فدلهم على تبدلها بالسخاء والتوكل بقوله: ﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾.

- يحكى - أن يحيى بن زكريا عليهما السلام لقي إبليس في صورته فقال له: يا إبليس
 أخبرني بأحب الناس إليك وأبغض الناس إليك فقال: أحب الناس إلي المؤمن البخیل وأبغضهم
 إلي الفاسق السخي قال يحيى: وكيف ذلك؟ قال: لأن البخیل قد كفاني بخله والفاسق السخي
 أتخوف أن يطلع الله عليه في سخاه فيقبله ثم ولى وهو يقول: لولا أنك يحيى لم أخبرك.
 قالوا: ولا ينبغي أن يلجى أهل بيته على الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا وإلا تركهم ووسع
 عليهم في دنياهم من غير خروج عن حد الاعتدال وفعل بنفسه ما شاء.

﴿ولا تقربوا الزنى﴾ بالقصر وإتيان المقدمات من القبلة والغمرة والنظر بالشهوة فضلاً عن
 أن تباشروه. وقرىء بالمد لغتان أو مصدر زانى زناء كقاتل قتالاً كما في «الكواشي» ﴿إنه﴾
 أي: الزنى ﴿كان فاحشة﴾ فعلة ظاهرة القبح متجاوزة الحد وهو كالقتل فإن فيه تضييع الأنساب
 فإن من لم يثبت نسبه ميت حكماً ﴿وساء سبيلاً﴾ أي: بش طريق الزنى لأنه يجر صاحبه إلى
 النار وهو طريق أيضاً إلى قطع الأنساب وتهيج الفتن وفي الحديث: «إذا زنى العبد خرج منه
 الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا انقطع رجع إلى الإيمان».

- وروي - عن بعض الصحابة رضي الله عنه أنه قال: «إياكم والزنى فإن فيه ست خصال:
 ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة. فأما التي في الدنيا فنقصان الرزق يعني: تذهب البركة من
 الرزق ويصير محروماً من الخير ونقصان العمر والبغض في قلوب الناس فإنه يذهب بالبهاء.
 وأما الثلاث التي في الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول في النار» وفي الخبر:
 «العينان تزنيان واليدان تزنيان»، وفي «المثنوي»:

مرغ زان دانه نظر خوش ميکند دانه هم از دور راهش می زند
 این نظر ازدور چون تیرست وسم عشقت افزون می شود صبر توکم
 واعلم أن غلبة الشهوة. تورث الزنى فالشهوة هي الثالثة من العشر المذمومة فتبدلها
 الله تعالى بالعفة حين نهاهم عن الزنية.

- حكي - أنه كان بالبصرة رجل معروف بالمسكي لأنه كان يفوح منه رائحة المسك فسل
 عنه فقال: كنت من أحسن الناس وجهاً وكان لي حياء فقيل لأبي: لو أجلسه في السوق
 لانبسط مع الناس فأجلسني في حانوت بزاز فجاءت عبوز فطلبت متاعاً فأخرجت لها ما طلبت

فقلت: لو توجهت معي لثمنه فمضيت معها حتى أدخلتني في قصر عظيم فيه قبة عظيمة عليها سرير فإذا فيه جارية على فرش مذهبة فجذبتني إلى صدرها فقلت: الله فقلت: لا بأس فقلت: إني حاقب ودخلت الخلاء وتغوطت ومسحت به وجهي وبدني فقلت: إنه مجنون فخلصت ورأيت الليلة رجلاً قال لي: أين أنت من يوسف بن يعقوب ثم قال: أتعرفني قلت: لا قال: أنا جبريل ثم مسح يده على وجهي وبدني فمن ذلك الوقت يفوح المسك علي من رائحة جبريل عليه السلام وذلك ببركة العفة والتقوى. ولقي إبليس موسى عليه السلام فقال: يا موسى اذكرني حين تغضب فإن وجهي في قلبك وعيني في عينك وأجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقي الزحف فأني آتي ابن آدم حين يلقي الزحف فاذكره ولده وزوجته وأهله حتى يولي وإياك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فأني رسولها إليك ورسولك إليها كما في «آكام المرحان».

﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَهُ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ (٢٢)

﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله﴾ قتلها بأن عصمها بالإسلام أو بالعهد فدخل فيه الذمي والمعاهد. ﴿إلا بالحق﴾ استثناء مفرغ أي: لا تقتلونها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق أي: بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان وزنى بعد إحصان وقتل نفس معصومة عمداً ﴿ومن﴾ [هركه] ﴿قتل مظلوما﴾ غير مرتكب واحدة من هذه الثلاث ﴿فقد جعلنا لولي﴾ لمن يلي أمره بعد وفاته من الوارث أو السلطان عند عدمه إذ هو ولي من لا ولي له ﴿سلطاناً﴾ تسليطاً واستيلاء على القاتل إن شاء قتل وإن شاء أخذ الدية ﴿فلا يسرف﴾ أي: الولي ﴿في القتل﴾ أي: في أمر القتل بأن يجاوز الحد المشروع بأن يزيد عليه المثلة أو بأن يقتل غير القاتل من أقاربه وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن القتل بواء أي سواء يقال فلان بواء لدم فلان أي سواء. قال الكاشفي: [درجاهليت چون کسی کشته شدی وارث قاتل اورا نکشتی بلکه قصد مهتر قبيله قاتل کردی] أو بأن يقتل الاثنين مكان الواحد كعادة الجاهلية كان إذا قتل منهم شريف لا يرضون بالقاتل بل بأن يقتلوا معه جماعة من أقاربه أو بأن يقتل القاتل في مادة الدية ﴿إنه﴾ أي: الولي ﴿كان منصورا﴾ ينصره الشرع والسلطان يعني أن الله ينصره بأن أوجب له القصاص والدية وأمر الحكام بإعانته في الاستيفاء أو الهاء للمقتول ونصره قتل قاتله وحصول الأجر له. فإن قلت: ما توبة القاتل عمداً؟ قلت: قال رسول الله ﷺ: «توبة القاتل عمداً في ثلاث إما أن يقتل وإما أن يعفى عنه وإما أن يؤخذ منه الدية أي: هذه الخصال فعل به فهي توبته» رواه أنس رضي الله عنه.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَشْهُولًا﴾ (٢٣)
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطِ أَلْمُسْقَمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٢٤) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ
عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْهُولًا﴾ (٢٥)

﴿ولا تقربوا مال اليتيم﴾ فضلاً عن أن تتصرفوا فيه ﴿إلا بالتي هي أحسن﴾ إلا بالخصلة والطريقة التي هي أحسن الخصال والطرائق وهي حفظه واستثماره. يعني: [معامله كنيدكه اصل ما به برای وی بما ندو ربح او بوصله معاش او نشیند] ﴿حتى﴾ غاية لجواز التصرف على الوجه

الأحسن المدلول عليه بالاستثناء. ﴿يَبْلُغْ أَشُدَّهُ﴾ قوته وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين واحد جاء على بناء الجمع كأنك ولا نظير لهما كما في «القاموس». وقال في «بحر العلوم»: بلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يؤنس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة انتهى.

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ سواء جرى بينكم وبين ربكم أو بينكم وبين غيركم من الناس والإيفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه بالمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل إلا بالباء فرقاً بينه وبين الإيفاء الحسي كإيفاء الكيل والوزن ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به فمسؤولاً من سألته الشيء أو كان مسؤولاً عنه على أن يكون من سألته عن الشيء فيكون من باب الحذف والإيصال فإن جعل الضمير بعد انقلابه مرفوعاً مستكناً في اسم المفعول كقوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣] أي: مشهود فيه. وفي «الكواشي» أو يسأل حقيقة توبيخاً لناكثيه كسؤال المؤودة لم قتلت توبيخاً لقاتلها فيكون تمثيلاً أي: جعل العهد تمثيلاً على هيئة من يتوجه السؤال إليه كما تجعل الحسنات أجساماً نورانية والسيئات أجساماً ظلمانية فتوزن كما في «حواشي» سعدي المفتي ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أي: أتموه ولا تخسروه ﴿إِذَا كَلْتُمْ﴾ وقت كيلكم للمشتريين وتقيد الأمر بذلك لأن التطفيف هناك وأما وقت الاكتتيال على الناس فلا حاجة إلى الأمر بالتعديل قال تعالى: ﴿إِذَا أَكَلْتُمْ عَلَى الثَّالِثِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢] ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ﴾ وهو القرسطون أي: القبان وهو معرب كبان بمعنى الميزان العظيم أو هو كل ما يوزن به من موازين العدل صغيراً كان أو كبيراً. قال بعضهم: هو معرب رومي ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية. وقال في «بحر العلوم»: والجمهور على أنه عربي مأخوذ من القسط وهو العدل وهو الأصح فإن كان من القسط وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي على وزن فعلال ﴿المستقيم﴾ أي: العدل السوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الأمر بإيفاء الوزن لما أنه عند استقامته لا يتصور الجور غالباً بخلاف الكيل فإن كثيراً ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما أن الاكتفاء بإيفاء الكيل عن الأمر بتعديله لما أن إيفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد أمر بتقويمه أيضاً في قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ﴾ [هود: ٨٥] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيفاء الكيل والوزن السوي ﴿خير﴾ لكم في الدنيا إذ هو أمانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل ﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة تفعيل من آل إذا رجع والمراد ما يؤول إليه.

اعلم أن رابع الخصال العشر المذمومة الغضب وهي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ فإن استيلاء الغضب يورث القتل بغير الحق فبدله بالحلم في قوله: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً﴾ وفي الحديث: «قرب الخلائق من عرش الرحمن يوم القيامة المؤمن الذي قتل مظلوماً رأسه عن يمينه وقاتله عن شماله وأوداجه تشخب دماً فيقول: رب سل هذا لِمَ قتلني فبِمَ حال بيني وبين صلاتي فيقول الله تعست ويذهب به إلى النار». قال أنوشروان: أربع قبائح وهي في أربعة أقبح البخل في الملوك والكذب في القضاة والحدة في العلماء أي: شدة الغضب والوقاحة في النساء وهي قلة الحياء قيل الحلم حجاب الآفات. وخامسها: الإسراف فإن الإفراط في كل شيء يورث الإسراف فبدله بالقوام في قوله: ﴿فَلَا يَسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً﴾ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: مر رسول الله

بسعد وهو يتوضأ فقال: «ما هذا السرف يا سعد» قال: أفني الوضوء سرف؟ قال: «نعم وإن كنت على نهر جار». وسادسها: الحرص وهو في قوله: ﴿وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ فإن التصرف في مال اليتيم من الحرص فبدله بالقناعة في قوله: ﴿إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ قيل لحكيم: ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب؟ قال: لأنه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب، قال الصائب:

ريشه نخل كهن سال از جوان افزونترست بیشتر دل بستگی باشد بدنیا پیر را
وعن الثوري رحمه الله: من باع الحرص بالقناعة فقد ظفر بالغنى. وسابعها: نقض العهد فبدله بالوفاء به بقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [سلمى آورده كه خدا يرا عهد هست بر جوارح آدمي بملازمت آداب وبرنفس او باداء فرائض وبردل او بخوف وخشيت وبرجان او بآنكه از مقام قرب دور نشود وبر سر او بآنكه مشاهده ما سوى نكند وازهر عهدي خواهند پرسيد]:

تاكسى از عهده آن عهد چون آيد برون

ولا شك أن إخوان الزمان ليس وفاء لا بحقوق الله تعالى ولا بحقوق الناس، حافظ:
وفا مجوى زكس ورسخن نمى شنوى بهره ز طالب سيمرغ وكيما ميباش
وثامنها: الخيانة فبدلها بالأمانة بقوله: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ الآية. واحتضر رجل فإذا هو يقول: جبلين من نار جبلين من نار فسئل أهله عن عمله فقالوا: كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أتى رسول الله التجار فقال: «يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من صدق ووصل وأدى الأمانة» وفي «نوابغ الكلم» الأمين آمن والخائن حائن وهو من الحين بمعنى الهلاك والله در القائل:

امين مجوى ومكو باكسى امانت عشق درين زمانه مكر جبرائيل امين باشد

﴿ولا تقف﴾ أي: لا تتبع من قفا أثره يقفو تبعه ومنه سميت القافية قافية ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي: لا تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلماً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده. قال الزمخشري وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به انتهى. يعني أن الاعتقاد الراجح في حكم الاعتقاد الجازم للإجماع على وجوب العمل بالشهادة والاجتهاد في القبلة ونحو ذلك فلا دليل في الآية على من منع اتباع الظن والعمل بالقياس كالظاهرية ﴿إن السمع﴾ [بدرستی كه كوش] ﴿والبصر﴾ [وچشم] ﴿والفؤاد﴾ [ودل] ﴿كل أولئك﴾ أي: كل واحد من هذه الجوارح فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها ﴿كان عنه﴾ عن نفسه وعمّا فعل به صاحبه ﴿مسؤولاً﴾ [پرسیده شده يعني از ایشان خواهند پرسیدكه صاحب شما باشما چه معامله کرده از سمع سؤال كنند چه شنیدی واز چشم پرسندكه چه دیدی وچرا دیدی واز دل پرسندكه چه دانستی وچرا دانستی]. قال في «بحر العلوم»: اعلم أن المراد بالنهاي عن اتباع كل ما فيه جهل مما يتعلق بالسمع والبصر والقلب كأنه تعالى قال: لا تسمع كل ما لا يجوز سماعه ولا تبصر كل ما لا يجوز إبصاره ولا تعزم على كل ما لا يجوز لك العزم عليه لأن كل واحد منها يسأله الله تعالى ويجازيه ولم يذكر اللسان مع أنه من أعظمها لأن السمع يدل عليه لأن ما يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصاد ألسنتهم وتلك

الحصائد من قبل المسموعات اللازمة للسمع. وفي الآية دلالة على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] أي: بما كسبت مما يدخل تحت الاختيار من خبائث أعمال القلب من حب الدنيا ومن الرياء والعجب والحسد والكبر والنفاق مثلاً وأما ما لا يدخل تحت الاختيار فلا يؤاخذ به ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «عفى عن أمتي ما حدثت بها نفوسها». قال في «الأشباه والنظائر» حديث النفس لا يؤاخذ به ما لم يتكلم أو يعمل به كما في حديث مسلم وحاصل ما قالوه: إن الذي يقع في النفس من قصد المعصية على خمس مراتب: الهاجس وهو ما يلقي فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر ثم حديث النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل أو لا ثم الهم وهو ترجيح قصد العمل ثم العزم وهو قوة ذلك القصد والعزم به فالهاجس لا يؤاخذ به إجماعاً لأنه ليس من فعله وإنما هو شيء أورد عليه لا قدرة له على رده ولا صنع والخطر الذي بعده كان قادراً على دفعه بصرف الهاجس أول ورودها ولكن هو وما بعده من حديث النفس مرفوعان بالحديث الصحيح وإذا ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالأولى. وقال بعض الكبار: جميع الخواطر معفوة إلا بمكة المكرمة ولهذا اختار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما السكنى بالطائف احتياطاً لنفسه ثم هذه الثلاث لو كانت في الحسنات لم يكتب له بها أجر لعدم القصد وأما الهم فقد بين في الحديث الصحيح: «إن الهم بالحسنة يكتب حسنة والهم بالسيئة لا يكتب عليه سيئة وينتظر فإن تركها لله تعالى كتب حسنة وإن فعلها كتب سيئة واحدة» والأصح في معناه أنه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وأن الهم مرفوع وأما العزم فالمحققون على أنه يؤاخذ به ومنهم من جعله من الهم المرفوع. وفي «البرزانية»: من كتاب الكراهية هم بمعصية لا يأثم إن لم يصمم عزمه عليه وإن عزم يأثم إثم العزم لا إثم العمل بالجوارح إلا أن يكون أمراً يتم بمجرد العزم كالكفر.

واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ إشارة إلى تاسع الخصال العشر وهو الظلم وهو وضع الشيء في غير موضعه باستعمال الجوارح والأعضاء على خلاف ما أمر به فبدله بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ فظلم السمع استعماله في استماع الغيبة واللغو والرفث والبهتان والقذف والملاهي والفواحش وعدله استعماله في استماع القرآن والأخبار والعلوم والحكم والمواظب والنصيحة والمعروف وقول الحق:

كذركاه قرآن وپسندست كوش به بهتان وباطل شنیدن مكوش
وظلم البصر النظر إلى المحرمات والشهوات وإلى من فوقه في دنياه وإلى من دونه في دينه وإلى متاع الدنيا وزينتها وزخارفها وعدله النظر في القرآن والعلوم وإلى وجه العلماء والصلحاء وإلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها وإلى الأشياء بنظر الاعتبار وإلى من دونه في دنياه وإلى من فوقه في دينه:

دوچشم از پی صنع باری نکوست نه عیب برا در فرو کیرو دوست
وقد ثبت عن علي رضي الله عنه أنه ما نظر إلى عورته وسوأته منذ ما تعلق نظره إلى رسول الله ﷺ بناء على أن الابصار النازرة لوجهه عليه السلام لا يليق لها أن تنظر إلى السوء فاعتبر وتأدب. ونظيره ما قال عثمان رضي الله عنه ما كذبت منذ أسلمت وما مسست فرجي

باليمن منذ بايعت النبي عليه السلام ولا أكلت الكراث ونحوه منذ قرأت القرآن وظلم الفؤاد قبول الحقد والحسد والعداوة وحب الدنيا والتعلق بما سوى الله تعالى وعدله تصفيته عن هذه الأوصاف الذميمة وتحليته بتبديل هذه الصفات والتخلق بأخلاق الله تعالى:

پیاپی بیفشان از آیینہ کرد کہ صیقل نکیرد چو زنکار خورد

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ ﴿٢٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٢٨﴾

﴿ولا تمش في الأرض﴾ التقييد لزيادة التقرير ﴿مرحاً﴾ ذا مرح فهو مصدر وقع موقع الحال بمعنى التكبر والتبختر. قال الكاشفي: [مرحاً رفتن خداوند تكبر يعني مخرام چنانکه متکبران خرامند] والمراد النهي عن المشي بالتكبر والتعظم ﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ لن تجعل فيها خرقاً ونقباً بشدة وطأتك. ﴿ولن تبلغ الجبال طولا﴾ بتطاولك فالمراد به هو الطول المتكلف الذي يتكلفه المختال وهو تهكم بالمتكبر وتعليل للنهي بأن التكبر حماقة مجردة ولن ينال الإنسان بكبره وتعظمه شيئاً من الفائدة وهو أي: الكبر عاشر الخصال العشر فإن المشية بالخلاء من الكبر فبدله بالتواضع بقوله: ﴿إنك لن تخرق﴾ الآية:

زخاک آفریدت خداوند یاک پس ای بنده افتادگی کن چو خاک
وفي الحديث «من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان».

وجود تو شهرست پرنیک وبد تو سلطان و دستور دانا خرد
هما ناکه دونان کردن فراز درین شهر کبرست وسودا وآز
چو سلطان عنایت کند بآبدان کجا ماند آسایش بخردان

وعن أبي هريرة أنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنما الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله كأنما الأرض تطوى له إنا نجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث».

﴿كل ذلك﴾ إشارة إلى ما ذكر من الخصال الخمس والعشرين من قوله تعالى: ﴿لا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ فهو نهى عن اعتقاد أن مع الله إلهاً آخر وهو أولاً والثانية والثالثة قوله: ﴿وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه﴾ فهو أمر بعبادة الله ونهي عن عبادة غيره والبواقي ظاهرة بعد الأوامر والنواهي ﴿كان سيئه﴾ يعني المنهي عنه وهو أربع عشرة خصلة فإن الأمور به حسن وهو إحدى عشرة ثلاث مستترة وثمان ظاهرة كما في «بحر العلوم» ﴿عند ربك مكروها﴾ المراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بإرادته تعالى. فاندفع تمسك المعتزلة بالآية على مذهبهم في أن القبائح لا تتعلق بها الإرادة وإلا لاجتمع الضدان الإرادة والكراهة ووصف ذلك بمتعلق الكراهة مع أن البعض من الكبائر للإيدان بأن مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك ولذا كان المكروه عند أهل التقوى كالحرام في لزوم الاحتراز ومن لم يعرفه تعدى إلى دائرة الإباحية فتدبر وتحفظ وتأدب.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ ﴿٢٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُم لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا

الْقُرْآنَ لِيَذْكُرُوا وَمَا يُزِيدُهُمْ إِلَّا تَفُورًا ﴿١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَنْبَغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٣﴾

﴿ذلك﴾ أي: الذي تقدم من التكاليف المفصلة ﴿مما أوحى إليك ربك﴾ أي: بعض منه أو من جنسه حال كونه ﴿من الحكمة﴾ التي هي علم الشرائع ومعرفة الحق لذاته وهو مقصود الحكمة النظرية وعمدتها والخير للعمل به وهي الحكمة العلمية أو من الأحكام المحكمة التي لا يتطرق إليها النسخ والفساد ﴿ولا تجعل مع الله إلهاً آخر﴾ الخطاب للرسول والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وتكريره للتنبيه بأن التوحيد مبدأ الأمر ومنتهاه فإن من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه علومه وحكمه وإن بدّ فيها أساطين الحكماء وحك بيافوخه عنان السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضلّ من النعم وقد رتب عليه ما هو عادة الإشراك في الدنيا حيث قيل: ﴿فتتعد مذموماً مخذولاً﴾ ورتب عليه ما هنا نتيجته في العقبى فقيل: ﴿فتلقى في جهنم ملوماً﴾ تلوم نفسك وتذمك وتلومك الناس والملائكة ﴿مدحوراً﴾ مطروداً مبعداً من رحمة الله ومن كل خير وهو تمثيل فإنه تعالى شبه من أشرك بالله استحقاقاً له بخشبة يأخذها أخذ في كفه فيطرحها في التنور فالتوحيد أصل الحسنات والشرك أصل السيئات.

قال أهل التحقيق: إن كلمة لا إله إلا الله إذا قالها الكافر تنفي ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن من قالها في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولى ومقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

أي برادر بى نهايت دركهيست هركجا كه ميرسى بالله مأيست

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: ما طابت الدنيا إلا بذكرك ولا الآخرة إلا بعفوك ولا الجنة إلا ببقائك، وفي الحديث: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم». والتوحيد إثبات الوحدة فأهله على الكمال من يفر من الكثرة إلى الوحدة. قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله: سمعت وصف ولي في جبل فبت عند باب صومعته ليلة فسمعتة يقول: إلهي إن بعض عبادك طلب منك تسخير الخلق فأعطيته مراده وأنا أريد منك أن لا يحسنوا معاملتهم معي حتى لا ألتجئ إلا إلى حضرتك حققنا الله وإياكم بحقائق هذا المقام وشرفنا بالفرار كل لحظة إلى جنبه العلام ومعنى الفرار إثارة تعالى على ما سواه لأن علو الهمة إنما يظهر فيه.

- حكى - أن سلطاناً كان يحب واحداً من وزرائه أكثر من غيره فحسدوه وطعنوا فيه فأراد السلطان أن يظهر حاله في الحب فأضافهم في دار مزينة بأنواع الزينة ثم قال: ليأخذ كل منكم ما أعجبه في الدار، فأخذ كل منهم ما أعجبه من الجواهر والمتاع وأخذ الوزير المحسود السلطان، وقال: ما أعجبنى إلا أنت. قال الحافظ:

كدای کوی تو از هشت خلد مستغنیست اسیر عشق تو از هر دو کون ازادست

يعني أن العاشق الصادق لا يختار إلا المعشوق ويصير حراً عن هوى غيره على كل حال

﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ خطاب للقائلين بأن الملائكة بنات الله وكان المشركون يستنكفون من البنات فيختارون لأنفسهم الذكور ومع ذلك ينسبون إليه تعالى الأناث فأنكر الله ذلك منهم. والإصفاء بالشيء جعله خالصاً والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يفسره المذكور وعبر عن البنات بالأناث إظهاراً لجهة خساستهن لأن الأنوثة أخس أوصاف الحيوان. والمعنى أفضلكم على جنبه فخصكم بأفضل الأولاد على وجه الخلوص وأثر لذاته أخسها وأدناها كما في قوله تعالى: ﴿الْكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ [النجم: ٢١] أي هذا خلاف الحكمة وما عليه عقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات. قال الكاشفي: [ايا بر كزید شمارا پرورد کار شما به پسران و فرا گرفت برای خود را از ملائکه دختران این خلاف آنست که عادت شما بران جاری شده که ازدختران ننگ میدارید و به پسران می نازید] ﴿إنکم لتقولون﴾ بإضافة الولد إليه تعالى ﴿قولا عظيماً﴾ لا يجترئ عليه أحد حيث تجعلونه من قبيل الأجسام المتجانسة السريعة الزوال ثم تضيفون إليه ما تكرهون من أخس الأولاد وتفضلون عليه أنفسكم بالبنين ثم تصفون الملائكة الذين هم من أشرف الخلق بالأنوثة التي هي أخس أوصاف الحيوان.

قال في «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿أفأصفاكم﴾ الآية يشير إلى كمال ظلومية الإنسان وكمال جهوليته أما كمال ظلوميته فإنهم ظنوا بالله سبحانه أنه من جنس الحيوانات التي من خاصيتها التوالد وأما كمال جهوليته فإنهم لم يعلموا أن الحاجة إلى التوالد لبقاء الجنس فإن الله تعالى باق أبدي لا يحتاج إلى التوالد لبقاء الجنس ولم يعلموا أن الله منزّه عن الجنس وليست الملائكة من جنسه فإنه خالق أزلي أبدي وأما الملائكة فهم المخلوقون ومن كمال الظلومية والجهولية أنهم حسبوا أن الله تعالى إنما أصفاهم بالبنين واختار لنفسه البنات لجهله بشرف البنين على البنات فلماذا قال تعالى: ﴿إنکم لتقولون قولا عظيماً﴾ أي: قولاً ينبئ عن عظيم أمر ظلوميتكم وجهوليتكم ﴿ولقد صرفنا﴾ هذا المعنى وكررناه وبيناه. قال الكاشفي: [و بد رستی کرد اندیدیم و مکرر ساختیم برآیت خود را از ولد] ﴿في هذا القرآن﴾ على وجوه من التصريف في مواضع منه ﴿ليذكروا﴾ أي: ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولونه ﴿وما يزيدهم﴾ أي: والحال أنه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ ﴿إلا نفورا﴾ عن الحق وإعراضاً عنه. قال الكاشفي: [مکر رمیدن از حق و دور شدن].

﴿قل﴾ في إظهار بطلان ذلك من جهة أخرى ﴿لو كان معه﴾ تعالى ﴿آلهة كما يقولون﴾ أي: المشركون قاطبة والكاف في محل النصب على أنها وقعت صفة لمصدر محذوف أي: كوناً مشابهاً لما يقولون والمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة ﴿إذا﴾ [آتگاه] ﴿لا تبتغوا﴾ أي: طلبت تلك الآلهة ﴿إلى ذي العرش﴾ [بسوی خداوند عرش] أي: إلى من له الملك والربوبية على الإطلاق ﴿سبيلاً﴾ بالمغالبة والممانعة أي: ليغالبه ويقهروه ويدفعوا عن أنفسهم العيب والعجز كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض يشير إلى أن الآلهة لا يخلو أمرهم من أنهم كانوا أكبر منه أو كانوا أمثاله أو كانوا أدون منه فإن كانوا أكبر منه طلبوا طريقاً إلى إزعاج صاحب العرش ونزع الملك قهراً وغلبة ليكون لهم الملك لا له كما هو المعتاد من الملوك.

فالآية إشارة إلى برهان التمانع على تصويرها قياساً استثنائياً استثنى فيه نقيض التالي وإن كانوا أمثاله لم يرضوا بأن يكون الملك واحداً مثلهم وهم جماعة معزولون عن الملك فأيضاً

نازعوه في الملك وإن كانوا أدون منه فالناقص لا يصلح للإلهية إذاً لا بتغوا إلى ذي العرش الكامل في الإلهية سبيلاً للخدمة والعبودية والقربة فالآية إشارة إلى قياس اقتراني تصويره لو فرض معه آلهة لتقربوا إليه بالطاعة وكل من تقربوا إليه بها لا يكونون آلهة فما فرض آلهة لا يكون آلهة فلو مستعمل لمجرد الشرط لا للامتناع والمراد بالآلهة ما هو من أولي العلم كعيسى وعزير والملائكة كذا في «التأويلات النجمية» مع مزج من «حواشي» سعدي المفطي.

﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بذاته تنزهاً حقيقياً به ﴿وتعالى﴾ متباعداً ﴿عما يقولون﴾ من أن معه آلهة وأن له بنات. قال في «بحر العلوم»: هو تنزيه وتعجيب من قولهم أي ما أبعد من له الملك والربوبية وما أعلاه عما يقولون ﴿علوا﴾ واقع موقع تعالياً كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ [نوح: ١٧] أي: إنباتاً ﴿كبيراً﴾ لا غاية وراءه كيف لا وأنه سبحانه في أقصى غايات الوجود وهو الوجود الذاتي وما يقولون من أن له تعالى شركاء وأولاداً في أبعد مراتب العدم أعني الامتناع.

واعلم أن الله أحد في ذاته وواحد في صفاته والشرك إنما يجيء من التوهم فكما أن للمشركين آلهة بحسب توهمهم فكذا للضعفاء المؤمنين بحسب جهلهم وغفلتهم كما قال الدينوري في قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] منهم من صنمه نفسه قال تعالى: ﴿أَوَيْتَ مِنَ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] ومنهم من صنمه زوجته في المحبة والإطاعة ومنهم من صنمه تجارته بأن اتكل عليها حتى ترك طاعة الله لأجلها.

- حكي - أن مالك بن دينار رحمه الله كان إذا قرأ في الصلاة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] غشي عليه فستل فقال: نقول إياك نعبد ونعبد أنفسنا أي: بإطاعة الهوى ونقول: إياك نستعين ونرجع إلى أبواب غيره:

اي تو بنده اين جهان محبوس جان چند كويى خویش راخواجه جهان
خدمت ديكر كنی هر صبح وشام وانكهی كويى كه من حق را غلام
بنده حق در درس باشد مقيم با خلوص واعتقاد مستقيم

فعلى العاقل أن يكرر ذكر التوحيد ويجدد العهد الذي بينه وبين ذي العرش المجيد فإنه سبب المغفرة والترقي إلى درجات الأبرار والمقربين كما لا يخفى على أرباب اليقين. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله العرش وهو أعظم مخلوق اضطرب أربعة وعشرين ألف عام فأظهر الله أربعة وعشرين حرفاً وهو قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» فسكن أربعة وعشرين ألف عام حتى خلق الله أول خلق وأمره بالتوحيد فقال: لا إله إلا الله محمد رسول الله فاضطرب العرش فقال الله اسكن فقال: كيف اسكن وأنت لا تغفر لقائلها فقال تعالى: أسكن فإني آليت على نفسي قبل أن خلقتك بألفي عام أن لا أجريها على لسان عبد إلا غفرت له» نسأل الله العفو والغفران.

﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [١١] وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ [١٥]

﴿تسبح له السموات والأرض ومن فيهن﴾ التسبيح تنزيه الحق وتبعيده عن نقائص

الإمكان والحدوث وتسبيح السموات والأرض بلسان الحال الدال على وجود الخالق وقدرته وحكمته وتسبيح من فيهن من الملائكة والجن والإنس بلسان القول الناطق بما يسمع منهم على أن المراد بالتسبيح معنى متعظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وهو الاشتغال على ما يدل على التنزيه فإنه مشترك بين اللفظ الدال عليه وبين مثل الحدوث والإمكان الدال على تنزيه الله تعالى عن لوازم الإمكان وتوابع الحدوث ﴿وإن﴾ نافية أي: ما ﴿من شيء﴾ من الأشياء حيواناً كان أو نباتاً يدل على الصانع وقدرته وحكمته فإنها تنطق بذلك. قال الكاشفي: [تنزيه ميكند اورا از سمات نقصان و ستایش مینماید بصفات کمال] ﴿إلا﴾ يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿الفقه عبارة عن فهم غرض المتكلم من كلامه أي: لا تفهمون أيها المشركون لإخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم التسبيح وهم وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا الله إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقرؤا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فإذا لم يفهموا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق ﴿إنه كان حليماً﴾ ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما أئتم عليه من الإعراض عن التدبر في الدلائل والانهماك في الإشراك. والحلم تأخير مكافأة الظالم بالنسبة إلى الخالق والطمأنينة عند صورة الغضب بالنسبة إلى المخلوق ﴿غفوراً﴾ لمن تاب منكم ورجع إلى التوحيد هذا ما عليه الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود ومن يليهم من أهل الظاهر وهم الذين لهم عين واحدة وسمع واحد. وقال الشيخ علي السمرقندي قدس سره في «بحر العلوم»: ذهب السلف الصالح إلى أن التسبيح في الآية في المحلين محمول على حقيقته وهو الأصح فإنه إن كان كلام الجماد مسلماً فينبغي أن يكون تسبيحه أيضاً مسلماً. قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن». وعن ابن مسعود رضي الله عنه ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل على أن شهادة الجوارح والجلود مما نطق به القرآن الكريم. وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ [ص: ١٨] كان داود إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح. وقال مجاهد: كل الأشياء تسبح الله حياً كان أو جماداً وتسبيحاً «سبحان الله وبحمده». وعن المقداد بن معدي كرب أن التراب يسبح ما لم يبتل والخربة تسبح ما لم ترفع من موضعها والورق ما دام على الشجر والماء ما دام جارياً والثوب ما دام جديداً فإذا اتسخ ترك التسبيح والوحش والطير إذا صاحت فإذا سكنت تركت التسبيح وفي الحديث: «ما اصطيد حوت في البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله» كما في «تفسير المدارك». وقال النخعي: كل شيء من جماد وحي يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف. وقال عكرمة: الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح والشجر أو النبات إذا قطع يسبح ما دام رطباً. قال في «الكواشي»: وهذا ممكن عقلاً وقدرة. وذكر في جنائز «الخلاصة» يكره قطع الحطب والحشيش الرطب من القبر من غير حاجة أي: لأنه يسبح. وفي «الملقط»: مقبرة قديمة لم يبق من آثارها شيء ليس للناس أن ينتفعوا بها ولا بالبناء فيها ولا بإرسال الدابة في حشيشها. قال في «فتح القريب» المجيب إذا حصلت البركة بتسبيح الجماد فالقرآن الذي هو أشرف الأذكار أولى بحصول البركة ولا سيما إذا كان من رجل صالح ولهذا استحَب العلماء قراءة القرآن عند القبر. وهل يغرس الرياحان أو الجريد على باب منزل القبر أو على قافية اللحد؟

الجواب: أنه ورد في الحديث مطلقاً فيحصل المقصود بأي موضع غرس في القبر. وكان عليه السلام يخطب مستنداً إلى جذع فصنع رجل منبراً ثلاث درجات وأراد النبي عليه السلام أن يقوم على المنبر فحنّ الجذع فرجع النبي عليه السلام إليه ووضع يده عليه وقال: «اختر أن أغرسك في المكان الذي كنت وتكون كما كنت وإن شئت أغرسك في الجنة فتشرب من أنهارها ويعونها فيحسن نبتك وتثمر فيأكل أولياء الله من ثمرك» فاختار الجنة والدار الآخرة على الدنيا فلما قبض النبي عليه السلام رفع إلى مكان ففني وأكلته الأرضة وقيل: دفن كما قال في «المتنوي»:

استن حنانه از هجر رسول	نالہ می زد ہمچو ارباب عقول
کفت پیغمبر چه خواهی ای ستون	کفت جانم از فراقت کشت خون
مسندت من بودم از من تاختی	بر سر منبر تو مسند ساختی
کفت خواهیکه ترا نخلی کنند	شرقی وغربی ز تو میوه چنند
یا در آن عالم ترا سروی کند	تا ترو تازه بمانی بی کزند
کفت آن خواهم که دائم شد بقاش	بشنو ای غافل کم از جویی مباش
آن ستون را دفن کرد اندر زمین	تا چو مردم حشر گردد یوم دین
آنکه اورا نبود از اسرار داد	کی کند تصدیق او ناله جماد

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ جلس في مكان معه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتناول النبي عليه السلام سبع حصيات فوضعن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً النحل، ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل ثم وضعهن في يد عمر ثم في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل. وذكر عبد الله القرطبي أن داود عليه السلام قال: لأسبحن الله تعالى هذه الليلة تسبيحاً ما سبحه به أحد من خلقه فنادته صفدع من ساقية في داره أتفخر على الله بتسبيحك وإن لي سبعين سنة ما جف لساني من ذكر الله وإن لي عشر ليال ما طعمت ولا شربت اشتغلاً بكلمتين فقال: وما هما؟ قالت: «يا مسبحاً بكل لسان ويا مذكوراً بكل مكان» فقال داود لنفسه وما عسى أن أقول أبلغ من هذا. وذكر الشيخ أبو عمرو في سبب توبته أنني كنت ليلة على ظهري متوجهاً إلى السماء فرأيت خمس حمامات: إحدهن تقول: سبحان من عنده خزائن كل شيء وما ينزله إلا بقدر معلوم. والثاني تقول: سبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى. والثالثة تقول: سبحان من بعث الأنبياء حجة على خلقه وفضل عليهم محمداً ﷺ. والرابعة تقول: كل ما في الدنيا باطل إلا ما كان لله ولرسوله. والخامسة تقول: يا أهل الغفلة قوموا إلى ربكم رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم فلما سمعت ذلك ذهبت عني فلما جئت إلي وجدت قلبي خالياً عن حب الدنيا فلما أصبحت سلكت طريقاً بنية أن أسلم نفسي إلى مرشد فلقيت شيخاً ذا هيبة ووقار فبعد التسليم أقسمت بالله أن يخبرني من هو؟ فقال: أنا الخضر وقد كنت عند الشيخ عبد القادر وهو سيد العارفين في الوقت فقال لي: يا أبا العباس إن رجلاً أصابه جذبة إلهية ونودي من فوق السماء مرحباً بك عبدي وعاهد الله على أن يسلم نفسه إلى شيخ فائتني به ثم قال لي الخضر: فعليك بملازمته ثم وجدت نفسي ببغداد فلقيت الشيخ عبد القادر فقال لي مرحباً بمن جذبه مولاه باللسنة الطير وجمع له كثيراً من الخير وبالجمل فالتسبيح غير ممتنع من الجمادات بل هو كائن من الكائنات لا ينكره إلا منكر خوارق

العادات [درفتوحات مذکور است که اگر مراد ازین تسبیح آنست که ایشان بلسان الحال کویند پس در ایراد ولكن لا تفقهون تسبیحهم فائده نباشد] یعنی أن قوله ولكن الخ يحقق أن المراد هو حقيقة التسبيح لا الدلالة على وحدانيته فالخطاب عند أهل الحقيقة في قوله: لا تفقهون عام للمسلمين والمشرکين أي: لا تسمعون فلا تفقهون تسبیحهم لأنه ليس المقصود سماع اللفظ مجرداً بل التدبر فيه ليدرك ما أدى الالفاظ فيسبح كما سبحه. قال في «الكواشي»: ﴿ولكن لا تفقهون تسبیحهم﴾ لأنه ليس بلغتكم ويجوز أن يفهم تعالى بعض عباده تسبیح بعض الجمادات والعجماوات كداود وسليمان عليهما السلام. يقول الفقير: هذا التعليل غير مناسب لعموم الآية لأن لغات ما له أصوات مختلفة لا تفقه وإن كانت مسموعة ومن الأشياء ما ليس له صوت مسموع وقد أثبت له أيضاً تسبیح فافقه [سلمى از ابو عثمان مغربي قدس سرهما نقل میکنندکه تمام مکونات باختلاف لغات تسبیح الهي میگویند اما آنرا نشنود وفهم نکند مکر عالم رباني که کوش دل او کشاده بود] ونعم ما قال:

بذکرش هرچه بیني درخروشت دلی داند درین معنی که کوششت

نه بلبل برکلش تسبیح خوانست که هر خاری بتسبیحش زبانست

وفي «الخصائص الصغرى» وخص عليه السلام بتسليم الحجر وبكلام الشجر وبشهادتها له ﷺ بالنبوة وإجابتها دعوته. قال السهيلي: يحتمل أن يكون نطق الحجر كلاماً مقروناً بحياة وعلم ويحتمل أن يكون صوتاً مجرداً غير مقترن بحياة. وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أكثر العقلاء بل كلهم يقولون إن الجمادات لا تعقل فوقوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه العلم والحياة في ذلك الوقت والأمر عندنا كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد إلا من علم وقد أخذ الله بأبصار الإنس والجن عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله كنحن وأضرابنا فإننا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق سبحانه قد كشف لنا عن حياتها عيناً وأسمعنا تسبیحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله تعالى ولولا ما عنده من العظمة لما تدكدك [ودرباب ثانی عشر از سفر ثانی فتوحات فرموده که ما بکوش خود شنیدیم که سنکی بزبان قال: ذکر ملک متعال گفت وباما خطاب کرد چون مخاطبه عارفان وسخنان آرا نموده که هر آدمی آنرا درنیابد]. وقال في كتاب «الطريقة» له: إذا رأيت هؤلاء العوالم مشتغلين بالذكر الذي أنت عليه فكشفك خيالي غير صحيح وإنما ذلك خيالك أقيم لك في الموجودات وإذا شهدت في هؤلاء تنوعات الأذكار فهو الكشف الصحيح. قال بعض الكبار: كل معلوم حي لأنه يعطي العلم للعالم فكما أن نور الشمس ينور كل من يراه فكذلك الحي لذاته يحيى به كل من يراه فكل شيء به حي فالأشجار والجمادات لهن حياة عند أبواب الكشف وكلام يسمعه من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. قال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: إن السالك يسمع حركات الأفلاك في أثناء سلوكه وذلك بقوة رياضية وقال خليفته حضرة الهدائي قدس سره: خرجت للوضوء وقت التهجد فسمعت الماء الجاري يقول بهذا الوزن يا دائم يا دائم يا دائم يا دائم ونظائره كثيرة لا تحصى. يقول الفقير: دعا حضرة شيخي وسندي روح الله روحه بعض الصوفية للإفطار وكان وقتئذ لا يفطر إلا على الماء والخبز. ثم لا يأكل إلا عشية الغد فقال:

هذا الخبز له روح حقاني فظااهره يرجع إلى الجسد وروحه يرجع إلى الروح فيتقوى به الجسم والروح جميعاً ولكل موجود روح إما حيواني أو حقاني فجسد الميت له روح حقاني أي: غير روحه الذي فارقه ألا ترى أن الله تعالى لو أنطقه لنطق فنطقه بإنطاق الله تعالى إنما هو لأن له روحاً حقانياً وقد جاء أن كل شيء يسبح بحمده وما هو إلا بكون المسيح ذا روح ولو كان حجراً أو شجراً أو غير ذلك، وفي «المثنوي»:

محرم جان جمادان چون شويد	چون شما سوى جمادی می روید
غلغل اجزای عالم بشنوید	از جمادی عالم جانها یوید
وسوسه تأویلها نر بایدت	فاش تسبیح جمادات آیدت
بهر بینش کرده تأویلها	چون ندارد جان تو قنديلها
دعوی دیدن خیال و غی بود	که غرض تأویل ظاهر کی بود
وقت عبرت میکند تسبیح خوان	بلکه هر بیننده را دیدار آن
آن دلالت همچو گفتن می بود	پس چو از تسبیح یادت می دهد
وای آنکس کوندارد نور حال	این بود تأویل اهل اعتزال
باشد از تصویر غیبی أعجمی	چون زحس بیرون نیامد آدمی

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿يسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ أي: ينزهه عما يقولون من كل نقیصة ذرات المكونات وأجزاء المخلوقات فمن له روح فبلسانه ولغته وهذا مما يفقه العقلاء وأما الجمادات فبلسان الملكوتي كما قال: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾ أي: يحمده على نعمة الإيجاد والتربية ﴿ولكن لا تفقهون تسبیحهم﴾ لأنه ليس من جنس تسبیحهم.

واعلم أن الله أثبت لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوتاً بقوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣] والملكوت باطن الكون وهو الآخرة والآخرة حيوان لا جماد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدَارُكَ الْآخِرَةَ لَهْمَى الْحَيَوَانِ﴾ [العنكبوت: ٦٤] فثبت بهذا الدليل على أن لكل ذرة من ذرات الموجودات لساناً ملكوتياً ناطقاً بالتسبيح والحمد تنزيهاً لصانعه وبارئه وحمداً له على ما أولاه من نعمه وبهذا اللسان نطق الحصى في يد النبي ﷺ وبهذا تنطق الأرض يوم القيامة كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] وبهذا اللسان تشهد أجزاء الإنسان وأبعاضه يوم القيامة ويقولون: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وبهذا اللسان نطق السموات والأرض حين ﴿قَالَتْ أَيْنَنَا مَلَأَيْنَا﴾ [فصلت: ١١] فافهم جداً واغتنم ﴿إنه كان حليماً﴾ في الأزل إذ أخرج من العدم من يتولد منه أن يتخذ مع الله آلهة أخرى ﴿غفورا﴾ لمن تاب عن مثل هذه المقالات انتهى. وقال القاشاني: اعلم أن لكل شيء خاصية لا يشاركه فيها غيره وكما لا يخصصه دون ما عداه يشاقه ويطلبه إذا لم يكن حاصلاً ويحفظه ويحبه إذا حصل فهو بإظهار خاصيته وتوحده في تلك الخاصية ينزهه تعالى عن الشريك فكأنه يقول بلسان الحال أوحده على ما وحدني وإلا لم يكن متفرداً بها متوحداً فيها ويطلبه كماله ينزهه عن صفات النقص كأنه يقول يا كامل كملني وبإظهار كماله بحمده ويقول أحمده على ما كملني حتى أن الحيوان في طلب الرزق يقول: يا رزاق ارزقني وبوجود الرزق يقول: أحمده على ما رزقني وبإشفاقه على ولده يقول: أرأفني الرؤوف وأرحمني الرحيم فالسموات السبع تسبحه وتنزهه عن العجز والفناء وتحمده بالديمومية

والعلو والتأثير والقدرة والبقاء والملك والربوبية وبأن كل يوم هو في شأن والأرض بالدوام والثبات والخلقية والرزاقية وقبول الطاعة وأمثال ذلك والملائكة بالحياة والعلم والقدرة والمجردات منهم بالتزهر عن التعلق بالمادة والوجوب مع جميع ما ذكر منهم مع كونهم مسبحين إياه مقدسين له حامدين فإن كل ما يحمده بصفة كمالية ينزهه ويسبحه بمقابلها وكل مسبح عن نقصان يحمده بكمال يقابله فهم يسبحونه في عين التحميد ويحمدونه في عين التسبيح ولكون لا تفقهون تسبيحهم لقلّة النظر والفكر في ملكوت الأشياء وعدم الإصغاء إليهم للغفلة وإنما يفقه من كان له قلب منور بنور التوحيد أو ألقى السمع وهو شهيد فإن القلب من عالم الملكوت فإذا تنور بنور التوحيد يفقه تسبيح الأشياء لأنه في عالمه أنه كان حليماً لا يعاجلكم بعقوبة ترك التسبيح في طلب كمالكم وإظهار خواصكم التي منها فهم تسبيح الأشياء وتوحيده كما وحدوه وغفوراً يغفر غفلاتكم وإهمالكم انتهى كلامه مع بعض تغييرات وزيادة والله الهادي إلى طريق حقيقة التسبيح والتوحيد لكل سالك مريد.

﴿وإذا قرأت القرآن﴾ [ووجون مى خوانی قرآنرا] ﴿جعلنا بينك﴾ [مى سازیم ومى آريم میان تو] ﴿وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ وهم كفار قريش وكانوا منكري البعث ﴿حججاً﴾ يحجبهم من أن يدركوك على ما أنت عليه من النبوة ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجتروا على أن يقولوا إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ﴿مستوراً﴾ عن الحس بمعنى غير حسي مشاهد فمستور على موضوعه أو ذا ستر فصيغة مفعول للنسبة كقولهم سيل مفعم أي: ذو إفعام من أفعمت الإناء أي: ملأته هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله في هذه الآية. وقال في «الكواشي»: كان المشركون يؤذون النبي ﷺ مصلياً وجاءت أم لهب بحجر لترضخه فزل انتهى فيكون معنى قوله: ﴿وإذا قرأت القرآن﴾ وإذا صليت عبر عن الصلاة بالقرآن لاشتغالها عليه كما عبر عن الخطبة به على بعض الأقوال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا﴾ [الأعراف: ٢٠٤] الآية فيلزم أن تحمل الآية على خصوص المادة فهم إذا لم يروا الحجاب فلا يرون المحتجب به فيسلم من أذاهم ولم يكن كذلك دائماً كما يدل عليه القواطع. وقال سعدي المفتي: لعل الأولى أن يحمل على ما روي أنها أنزلت في أبي سفيان والنضير وأبي جهل وأم جميل امرأة أبي لهب كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن فحجب الله أبصارهم إذا قرأ وكانوا يملكون به ولا يرونه انتهى. وهو ذهول عما بعد الآية في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ كما يأتي مع ما فيه من الرواية وهو اللائح بالضمير في هذا المقام الخطير.

وفي الآية إشارة إلى أن من قرأ القرآن حق قراءته ارتقى إلى أعلى مراتب القرب كما جاء في الأثر: «إن عدد أي القرآن على عدد درج الجنة فمن استوفى جميع أي القرآن استولى على أقصى درج الجنة» واستيفاء جميع أي القرآن في الحقيقة هو التخلق بأخلاق القرآن فالقرآن من أخلاق الله وصفاته والمتخلق بأخلاقه يكون متخلقاً بأخلاق الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية تمكناً في مقعد صدق عند مليك مقتدر فهو الذي جعل بينه وبين الذي لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً ولم يقل ساتراً لأن الحجاب يستر الواصل عن المنقطع ولا يستر المنقطع عن الواصل فيكون الواصل بالحجاب مستوراً عن المنقطع كما في «التأويلات النجمية».

وفيه إشارة إلى أن من تحصن بكتابه فهو في حصن حصين والمضيق لوقته من تحصن بعلمه أو بنفسه فيكون هلاكه في موضع أمته:

هرکه او بیرون شد از حصن خدا جان او آخر شد از جسمش جدا
مرد حق بین کی کند تکیه بغیر هر قضا چون از خدا آید بسیر
﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرَتْ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدَّثُ وَلَوْ عَلَىٰ آذَانِهِمْ
نُفُورًا﴾ (۵۶)

﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية كثيرة جمع كنان وهو الغطاء ﴿أن يفقهوه﴾ مفعول له أي: كراهة أن يفهموا القرآن على كنهه ويعرفوا أنه من عند الله تعالى وهو على رأي الكوفيين ولا يرضاه البصريون لقلة حذف لا بالنسبة إلى حذف المضاف وهذا تمثيل لتجافي قلوبهم عن الحق ونبوها عن قبوله واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تحول بينها وبينه وتمنع من نفوذه فيها كما في «بحر العلوم» يقول الفقير: ذلك التجافي والنبو إنما هو من تراكم الحجب المعنوية على القلب والفطرة الأصلية وإن كانت مقتضية للفقه والإدراك والخروج إلى نور العلم لكن ظلمة تلك الحجب مانعة عن ذلك فالكلام وإن كان وارداً في صورة التمثيل لكنه على حقيقته في نفس الأمر ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ صمماً ونقلاً مانعاً عن سماعه اللائق به وهو تمثيل لمج أسماعهم للحق ونبوها عن الإصغاء إليه كأن بها صمماً يمنع عن سماعه ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكره ما يمنع عن فهم المعنى حق فهمه وإدراك اللفظ حق إدراكه ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ أي: واحداً غير مشفوع به ألهتهم أي: إذا قلت لا إله إلا الله وهو مصدر وقع موقع الحال أصله تحده وحده بمعنى واحداً وحده أي: منفرداً فحذف الفعل الذي هو الحال وأقيم المصدر مقامه ﴿ولوا على أديبارهم﴾ [باز کردند کافران بریستهای خود] ای هربوا ونفروا ﴿نفورا﴾ هو مصدر كالتعود أو جمع نافر أي: أعرضوا ورجعوا حال كونهم نافرين والنفور [برمیدن] كما في «التهذيب».

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَعَيُّونَ إِلَّا رَجُلًا
مَّسْحُورًا﴾ (۵۷) ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (۵۸) ﴿وَقَالُوا أَإِذَا
وَرَفَعْنَا أَعْيُنًا لَّنَبْعُوهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (۵۹) ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (۶۰) ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْتُمُونَ فِي
صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى
هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (۶۱) ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنَّا لَنَشْكُرُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (۶۲)
﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ يَتَّبِعُهُمُ الْإِنْسَانُ عَدُوًّا
مُبِينًا﴾ (۶۳) ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ شَيْئًا يَرْحَمَكُمُ أَوْ إِنَّ شَيْئًا يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (۶۴)
﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّاسِ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآيَاتِنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (۶۵)

﴿نحن أعلم بما يستمعون﴾ ملتبسین ﴿به﴾ من اللغو والاستخفاف والهزء بك وبالقرآن فمحل به حال كما تقول يستمعون بالهزء أي: هازئين فالباء للملابسة ويجوز أن تكون للسببية أي: بسببه ولأجله.

- ویروی - أنه كان يقوم عن يمينه ﷺ إذا قرأ رجلاً من عبد الدار وعن يساره رجلاً من

فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار. ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ ظرف لأعلم وفائدته تأكيد الوعيد بالاخبار بأنه كما يقع الاستماع المزبور منهم يتعلق به العلم لأن العلم يستفاد هناك من أحد وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ لكن لا من حيث تعلقه بما به الاستماع بل بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم. والمعنى نحن أعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما لا خير فيه من الأمور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم ونجوى مرفوع على الخبر بتقدير المضاف أي: ذوو نجوى ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ بدل من إذ هم ووضع الظالمون موضع المضمحل للدلالة على أن هذا القول منهم ظلم وتجاوز عن الحد. وفيه دليل على أن ما يتناجون به غير ما يستمعون به أي: يقول كل منهم للآخرين عند تناجيهم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ أي: ما تتبعون إن وجد منكم الاتباع فرضاً ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي: سحر فجئ فمن ظلمهم وضعوا اسم المسحور موضع المبعوث.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ أي: مثلك بالشاعر والساحر والمجنون. قال الكاشفي: [بزدند برای تو مثلها وترا توصیف کردند بمجنون وساحر وكاهن وشاعر] ﴿فضلوا﴾ في جميع ذلك عن منهاج المحاجة ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى طعن يمكن أن يقبله أحد فيتهافتون ويخطون كالمتحير في أمر لا يدري ما يصنع ويأتون بما لا يرتاب في بطلانه أحد أو فضلوا عن الحق والرشاد فلا يستطيعون سبيلاً إليه لأنهم بالغوا في الضلالة والإنكار وكانوا مستمعين بالهوى فيستمعون الأساطير والسحر والشعر ولو استمعوا بالله لاستمعوا كلام الله وصفاته ولانحراف مزاجهم وحصول المرض في قلوبهم كانوا يتنفرون عند استماع ذكر الواحد الأحد بالوحدانية والوحدة ولا يجدون حلاوة التوحد بل يجدون منه المرارة لسوء المزاج. ومن هذا القبيل إكباب أهل الهوى في كل عصر على استماع القصص والأساطير معرضين عن كلام الله الملك العلي الكبير بل وأكثرهم لا يريد إلا المحادثة الدنيوية والمذاكرة العرفية والتعدي إلى أعراض الناس والاتباع إلى ما يوسوس به الوسواس الخناس والقدح في شأن أهل الحق الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. وقد ورد في التوراة أنه تعالى قال: يا عبدي أما تستحييني مني إذا يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعّد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي أنزلته إليك انظره كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت فيه عليك لتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أو كنت أهون عليك من بعض إخوانك. يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي إلى حديثه بكل قلبك فإن تكلم متكلم أو شغلك شاغل في حديثه أو مات إليه إن كف وها أنا إذن مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك كذا في «الإحياء».

هرکه تعظیم حق کند دائم شود از دل بامراو قائم

﴿وقالوا﴾ أي: الكفرة المنكرون للبعث من أهل مكة نسوا بداية خلقهم أنهم خلقوا من تراب بل أنهم خلقوا من لا شيء كقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مریم: ۹] فقالوا على سبيل الإنكار والاستبعاد ﴿أَنذَا كُنَّا﴾ [آيَا آهَنكَامَ كِه سَوِيمَ مَا بَعْدَ اَزْمَرِكْ بِمَرُورِ زَمَانِ] ﴿عَظَامًا﴾ استخوانها ﴿وَرَفَاتًا﴾ هو ما بولغ في دقه وتفتيته ﴿أَنَّا لِمَبْعُوثُونَ﴾ [آيَابَرِ اَنكِخْتِه شَد كَان شَوِيمِ] ﴿خَلَقًا جَدِيدًا﴾ نصب على المصدر من غير لفظه أو على الحالية على

أن الخلق بمعنى المخلوق. قوله إذا متمحضة للظرفية وهو الأظهر والعامل فيها ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد أن والهمزة واللام لا يعمل فيما قبلها وهو نبعث أو نعاد وهو المرجع للإنكار أي: حياتنا بعد الموت محال منكر لما بين غضاضة الحي وببوسة الرميم من التنافي وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فإنهم منكرون للحياة بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له.

﴿قل﴾ جواباً لهم ﴿كونوا حجارة﴾ [سنك] ﴿أو حديدا﴾ [يا آهن]. ﴿أو خلقا مما يكبر في صدوركم﴾ يعظم عندكم من قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإنكم مبعوثون ومعادون لا محالة أي: فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيايتكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوثة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل الشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد والأمر وارد على التمثيل يعني في المثل [كرديد بتن خود سنك يا آهن] كما في تفسير الكاشفي. وقال في «الكواشي» هو أمر تعجيز وتوبيخ لا أمر الزام. وقال في «بحر العلوم» ليس الأمر ههنا على حقيقته بل على المجاز لأن المقصود إهانتهم وقلة المبالاة بهم لا طلب كونهم حجارة أو حديداً لعدم قدرتهم على ذلك وما يكبر في صدورهم السموات والجبال. والجمهور على أنه الموت إذ ليس في النفس شيء أكبر من الموت أي: لو كنتم الموت بعينه لأميتمكم ولأبعثكم ﴿فسيقولون﴾ [پس زود باشدكه كويند] ﴿من﴾ [كيست كه] ﴿يعيدنا﴾ يبعثنا بعد الموت. يعني [زنده سازد مارا پس ازمرگ] وقد نسوا مبدأهم فلزمهم نسيان معادهم ﴿قل﴾ الذي فطركم أي: يعيدكم القادر العظيم الذي اخترعكم وأنشأكم ﴿أول مرة﴾ من غير مثال وكنتم تراباً ما شئ رائحة الحياة فهو المبدىء والمعيد. يعني: [پس آنكه خاك را تواندجان داد در بدايت هم خاك را زنده تواند ساخت در نهايت] ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ انغض حرك أي: سيحزكونها نحوك تعجباً وإنكاراً ﴿ويقولون﴾ استهزاء ﴿متى هو﴾ أي: ما ذكرت من الإعادة فهو سؤال عن وقت البعث بعد تعيين الباعث ﴿قل﴾ لهم ﴿عسى أن يكون﴾ ذلك ﴿قريباً﴾ فإن كل آت قريب أو لأنه مضى أكثر الزمان وبقي أقله. قال في «بحر العلوم» أي: هو قريب لأن عسى في الأصل للطمع والإشفاق من الله تعالى واجب يعني أنه قرب وقته فقد قرب ما يكون فيه من الحساب والعقاب.

﴿يوم يدعوكم﴾ من الأجداث كما دعاكم من العدم ﴿فتستجيبون﴾ منها استجابة الأحياء أي: اذكروا يوم يبعثكم فتنبعثون وقد استعير لهما الدعاء والإجابة إيذاناً بكمال سهولة التأي. وقال أبو حيان: والظاهر أن الدعاء حقيقة أي: يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الأخيرة كما قال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ الْنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: ٤١] ومعنى فتستجيبون توافقون الداعي فيما دعاكم إليه كما قال الكاشفي: [بخواند شمارا اسرافيل در نفخه اخيره بجهت قيام ازقبور پس شما اجابت كنيد اسرافيل را]. وقال بعضهم: المقصود منها الإحضار للمحاسبة والجزاء. يقول الفقير: لا يخفى أن الدعوى متعددة فدعاء البعث والنشر ودعاء الحشر كما قال تعالى: ﴿مُهَيِّئِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨] أي: مسرعين ودعاء الكتاب كما قال تعالى: ﴿وَرَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِئَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ﴾ [الجاثية: ٢٨] والمراد في هذا المقام هو الدعوة الأولى لأن الكلام في البعث ﴿بحمده﴾ حال من فاعل تستجيبون أي: حامدين لله تعالى على قدرته على البعث كما قال سعيد بن جبیر: إنهم ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك

فيقدسونه ويحمدونه حين لا ينفعهم ذلك.

وفي «الكواشي» «بحمده» أي: بإرادته وأمره كما قال الكاشفي: [در تفسير بصائر حمدرا بمعنی أمر داشت چنانچه درآیت فسبح بحمد ربك أي: صل بأمره پس معنی آیت چنین بود که خدای شمارا بخواند بامر او واجابت كنید اورا] ﴿وتظنون﴾ عندما ترون من الأمور الهائلة ﴿إن لبثتم﴾ أي: ما لبثتم في القبور أو في الدنيا ﴿إلا قليلا﴾ بالنسبة إلى لبثكم بعد الإحياء إلى الأبد. فإن قيل: كل أحد يستقصر مدة حياته في الدنيا ولو عمر أطول الأعمار. قلنا ذلك الاستقصار مع العلم بمدة العمر لطويل أملة وفي القيامة يذهل عن تلك المدة لشدة الهول. قال الكاشفي: [يعني زندكى خودرا در دنیا اندك شمريد نسبت بآن پس بايدكه خردمند آگاه نيز حیات دنيا را در جنب زندكى عقبى اندك شمرد واین اندك فانی را دركار آن بسیار باقى صرف كند تاداران يوز بعداب حسرت وندامت درنماند]. قال الشيخ سعدي قدس سره:

بديني توانی كه عقبی خری بخرجان من ورنه حسرت خوری
كسى كوی دولت زدنيا ببرد كه باخود نصیبي بعقبی ببرد
فلا بد من الاستعداد ليوم القيامة بالأعمال الصالحة والاجتناب عن المعاصي فإنه عما قريب يصير العلم عيناً.

واعلم أنك إذا مت فقد قامت قيامتك لأن الإنسان إذا مات فقد عاين أمر القيامة لأنه يرى الجنة والنار والملائكة ولا يقدر على عمل من الأعمال فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة فختم على عمله بالموت فيقوم يوم القيامة على ما مات عليه فطوبى لمن كان خاتمته بخير. قال أبو بكر الواسطي - رحمه الله -: الدولة ثلاث دولة في الحياة وهي أن يعيش في طاعة الله تعالى، ودولة عند الموت وهي أن تخرج روحه بشهادة أن لا إله إلا الله، ودولة يوم القيامة وهو أن يأتيه البشير بالجنة حين يخرج من قبره ولا ريب في أن العاصي ومنكر البعث يأتيه النذير بالنار فلا بد من الطاعة والإقرار فإن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها وهو دليل على الشور، وفي «المتنوي»:

خاك را ونطفه را ومضغه را	پیش چشم ما همی دارد خدا
کز کجا آوردمت اي بدنیت	که ازان آید همني خفريقیت
توبدان عاشق بدی در دور آن	منکر این فضل بودی آن زمان
این کرم چون دفع آن انکارتست	که میان خاك می کردی نخست
حجت انکار شد انشار تو	از دوابتر ترشد این بيمارتو
خاك را تصویر این کار از کجا	نطفه را خصمی وانکار از کجا
چون دران دم بی دل وبی سربدی	فکرت وانکار را منکر بدی
از جمادی چونکه انکارت برست	هم ازین انکار حشرت شد درست
پس مثال توجوآن حلقه زنیست	کز درونش خواجه کوید خواجه نیست
حلقه زن زین نیست دریابدکه هست	پس ز خلقه بر ندارد هیچ دست
پس هم انکارت مبین میکند	کز جماد او حشر صدفن میکند

﴿وقل﴾ يا محمد ﴿لعبادي﴾ أي: المؤمنین ﴿يقولوا﴾ أي: للمشرکین عند محاورتهم معهم بني على حذف النون لما كان بمعنى الأمر كما بني الاسم المتمكن في النداء في قولك يا

زيد على الضمة لما أشبه قبل وبعد ﴿التي﴾ أي: الكلمة التي ﴿هي أحسن﴾ ولا يخاشنهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن اختصاص بعض العباد بتشريف الإضافة إلى نفسه يؤدي إلى تأثير نظر العناية فيهم فيخرج منهم القول الأحسن والفعل الأحسن والخلق الأحسن. أما القول الأحسن فهو الدعاء إلى الله بلا إله إلا الله مخلصاً. وأما الفعل الأحسن فهو ما كان على قانون الشريعة وآداب الطريقة متوجهاً إلى عالم الحقيقة. وأما الخلق الأحسن فهو مع الله بأن يسلم وجهه لله محسناً في طلبه ومع الخلق بأن يحسن إليهم بلا طمع في الإحسان والشكر منهم ويتجاوز عن إساءتهم إليه ويعيش فيهم بالنصيحة يأمرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ يقال: نزغ بينهم أفسد وأغرى ووسوس أي: يفسد ويهيج الشر والمراء بينهم فلعل المخاشنة بهم تفضي إلى العناد وازدياد الفساد.

وفي «التأويلات ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ إذا لم يعيشوا بالنصيحة فينبغي لعقلاء كل زمان أن يكونوا في باب النصيحة مثل الأصحاب رضي الله عنهم بحيث إن حالهم ومعاملتهم مع أهالي زمانهم لا يتفاوت على حالهم لو كانوا في زمن الرسول ﷺ ﴿إن الشيطان كان﴾ قدماً ﴿للإنسان عدواً مبيناً﴾ ظاهر العداوة لا يزيد صلاحهم أصلاً بل يريد هلاكهم وقد أبان عداوته لهم إذا خرج أباهم من الجنة ونزع عنه لباس النور.

﴿ربكم﴾ أيها المشركون ﴿أعلم بكم﴾ منا ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ بالتوفيق للإيمان ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بالإماتة على الكفر فهو تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي: قولوا لهم هذه الكلمة وما يشاكلها ولا تصرحوا بأنهم من أهل النار فإنه مما يهيجهم على الشر مع أن العقوبة مما لا يعلمه إلا الله فعسى يهديهم إلى الإيمان هذا ما ذهب إليه صاحب الكشف وتبعه البيضاوي وأبو السعود رحمهما الله. وقال الجمهور: المراد بالتي هي أحسن هي المحاورة الحسنة بحسب المعنى والرحمة الإنجاء من كفار مكة وأذاهم والتعذيب تسليطهم عليهم فيكون الخطاب في ربكم للمؤمنين.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعله منكم مظهر صفة لطفه ورحمته فيرحمه ويخلصه من إضلال الشيطان وإغوائه وبمن جعله منكم مظهر صفة قهره وعذابه فيعذبه بإضلاله وإغوائه ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلًا﴾ موكولاً إليك يا محمد أمورهم ومفوضاً تجبرهم على الإيمان كما قال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المخاصمة وعنه عليه السلام: «إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض»، حافظ:

اسايشى دو كيتى تفسير اين دو حرفست بادوستان تلطف بادشمنان مدارا
كما قال بعضهم في عيش الإنسان الكامل: [باخدا بصدق. وباخلق بانصاف. وبانفس بقهر. وبازير دستان بشفقت. وبابزرگان بحرمت. وبادوستان بنصیحت. وبادشمنان بمدارا. وباعلمتا بتواضع. وبادرویشان بسخا. وباجاهلان بخاموشی].

﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ وتفاصيل أحوالهم الظاهرة والباطنة التي بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يستحقه وهو رد لاستبعاد قريش

أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن يكون العراة الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض الأكابر والصناديد وذكر من في السموات لإبطال قولهم: ﴿لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [الفرقان: ٢١] وذكر من في الأرض لرد قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] أي: من إحدى القريتين مكة والطائف كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة بن مسعود الثقفي وقيل غيرهما.

وفي «التأويلات»: هو أعلم بمن جعل منهم مظهر صفة لطفه ومن جعل منهم مظهر صفة قهره في السموات كالملائكة وإبليس والأرض كالمؤمنين والكافرين ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ قال البيضاوي وتبعه أبو السعود أي: بالفضائل النفسانية والتبري من العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والاتباع حتى داود فإنه شرفه بما أوحى إليه من الكتاب لا بما أوتي من الملك انتهى. يقول الفقير: هذا صريح في أنهم متفاضلون في معنى التبري من العلائق الجسمانية وهو خطأ فإن تفاضلهم في ذلك إنما هو على من عداهم من أفراد الأمة لا على إخوانهم الأنبياء وتحقيقه أنه ليس فيهم العلائق الروحانية لمنافاتها الوصول إلى الله تعالى والأخذ من عالم القدس ولذا قالوا: باب العلم بالله لا يفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملوك وأما العلائق الجسمانية كالملك وكثرة الأزواج والأولاد ونحو ذلك فهي وعدمها سواء بالنسبة إليهم فعيى ويحيى عليهما السلام مع ما هما عليه من الزهد والتجرد لا فضيلة لهما في ذلك على داود وسليمان عليهما السلام مع ما هما عليه من الملك وكثرة الأزواج وإسناد العلاقة إليهم ولو صورة ليس من الأدب فالوجه أن التفضيل إنما هو بالكتاب والرسالة والخلة والتكليم والمعراج والرؤية والشفاعة ونحو ذلك كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الآية والقرآن يفسر بعضه بعضاً. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر فضل سليمان عليه السلام بالظهور بمجموع الملك وعيسى بالكلام في المهد والتأييد بروح القدس وإحياء الموتى وخلق الطين طيراً بالإذن ونحو ذلك وموسى بالتكليم واليد والعصا وفرق البحر وانفجار الحجر ونحوها وفضل صالح بخروج ناقة من الحجر ونحوها وهود بالريح العقيم وإبراهيم بالنجاة من النار ونحو ذلك ويوسف بالجمال وتأويل الرؤيا ولما تفاضل استعدادهم لتمام التجلي من حيث النبوة تفاضلوا أيضاً فإنه ليس في الوجود إلا متغذ مرزوق وقد فضل الله بعض المرزوقين على بعض والرزق حسي للجسوم وعقلي للأرواح كالعلوم فأما من حيث ولايتهم الذاتية واستنادهم إلى الله تعالى فهم نفس واحدة فلا فاضل ولا مفضول ولذا قال عليه السلام: «لا تفضلوني بين الأنبياء» ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ تفضيلاً له كان زبور داود مائة وخمسين سورة ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود بل تمجيد وتحميد ودعاء نكر زبورا هنا وعرفه في الأنبياء حيث قال: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] لأنهما واحد كعباس والعباس.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ولقد فضلنا﴾ الآية يشير إلى أن الحكمة الأزلية اقتضت ارتفاع درجات المقبولين واتضاع دركات المردودين فإنهما مظاهر صفة اللطف والقهر ولكل واحد من اللطف والقهر نصيب منه حكمة بالغة في إظهار كمالات اللطف والقهر من الأزل إلى الأبد وفضلنا الأنبياء بعضهم على بعض بارتفاع المكان في القربة وقبول أثر نظر العناية على حسب سرايته في الأمة وخيريتها ألا ترى أنه عليه السلام لما كان أفضل الأنبياء

كانت أمته خير الأمم وكتابه أفضل الكتب ففي قوله: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ إشارة إلى أن فضل النبي ﷺ على داود بقدر فضل القرآن على الزبور انتهى. وقد نعت الله نبينا عليه السلام وأمه المرحومة في جميع الكتب المتقدمة.

أي وصف تو در كتاب موسى وى نعت تو در زبور داود مقصود تویی ز آفرینش باقی بطفیل تست موجود وفضله الله بكثرة الاتباع أيضاً كما قال عليه السلام: «أهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها أمتي». وفي «جامع الأصول»: عن الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ يتذكرون وهم ينتظرون خروجه فخرج حتى دنا منهم فسمعهم يتذكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم: عجباً إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى كلمه تكليماً وقال آخر ماذا بأعجب من جعل عيسى كلمة الله وروحه فقال آخر: ماذا بأعجب من آدم اصطفاه الله عليهم فسلم رسول الله ﷺ على أصحابه وقال: «قد سمعت كلامكم وأعجبكم أن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وأن موسى نجي الله وهو كذلك وأن عيسى روح الله وكلمته وهو كذلك وأن آدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله فأدخلها ومعى فقراء المهاجرين ولا فخر» وفي الحديث «إن الله اختارني على الأنبياء واختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعاً: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً». رضي الله عنهم - كما في «بحر العلوم»، قال المولى الجامي قدس سره:

خدا بر سروران سرداریش داد ز خیل انبیا سا لا ریش داد
پی دیوار ایمان بود کارش شد اورا چار رکن از چار یارش
فكما أن البيت يقوم بالأركان الأربعة فكذا الدين يقوم بالخلفاء الأربعة ولذلك قال عليه السلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» لأنهم أصول بالنسبة إلى من عداهم من المؤمنين.

﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِي فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾

﴿قل ادعوا﴾ [بخوانید ای مشرکان مکہ] ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دونه﴾ أي: متجاوزين الله تعالى كالملائكة والمسيح وأمه وعزير ﴿فلا يملكون﴾ فلا يستطيعون ﴿كشف الضر عنكم﴾ إزالة نحو المرض والفقر والقحط ﴿ولا تحويلاً﴾ ولا تحويله ونقله منكم إلى غيركم من القبائل.

﴿أولئك الذين يدعون﴾ أولئك مبتدأ صفته الذين وخبره يبتغون أي: أولئك الآلهة الذين يدعونهم المشركون من المذكورين ﴿يبتغون﴾ يطلبون لأنفسهم ﴿إلى ربهم﴾ ومالك أمورهم ﴿الوسيلة﴾ أي: القربة بالطاعة والعبادة. قال الكاشفي: [وسيلتي ودست أويزي يعني تقرب ميکنند بطاعت وعبادت او بحضرت او جل جلاله] ﴿أيهم أقرب﴾ بدل من واو يبتغون وأي

موصولة أي: یبتغی من هو أقرب إلى الله منهم الوسيلة فكيف بمن دونه من غیر الأقرب [یعنی آنهاکه مقربان در کاهند از ملائكة و غیر ایشان توسل میکنند بحق سبحانه پس غیر مقرب خود بطریق اولی که وجه توجه بدان حضرت آورد]. قال فی «الکواشی»: أو أيهم استفهام مبتدأ خبره أقرب والجملة نصب بیدعون. والمعنى يطلبون القرب إليه تعالى لينظروا أي: معبودیهم أقرب إليه فیتوسلوا به تلخیصه ألهمهم أيضاً يطلبون القرب إليه تعالى ﴿ویرجون رحمته﴾ بالوسيلة ﴿ویخافون عذابه﴾ بتركها كدأب سائر العباد فأین هم من كشف الضر فضلاً عن الإلهية ﴿إن عذاب ربك كان محذورا﴾ حقیقیاً بأن يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة وإن لم يحذره العصاة لکمال غفلتهم بل يتعرضون له وتخصیصه بالتعلیل لما أن المقام مقام التحذیر من العذاب. فعلى العاقل أن یترك الاعتذار ويحذر من بطش القهار. عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال لعمر رضي الله عنه حين طعن یعنی: [نیزه زده] یا أمیر المؤمنین أسلمت حين كفر الناس وجاهدت مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس وتوفي رسول الله وهو عنك راض ولم يختلف عليك اثنان وقتلت شهيداً قال عمر رضي الله عنه: المغرور من غررتموه والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلاع أي: القيامة وما بعد الموت لأن المرء يطلع فيه على عمله ويلقى أموراً هائلة. قال بعض الحكماء: الحزن يمنع الطعام والخوف يمنع الذنوب والرجاء يقوي على الطاعات وذكر الموت يزهّد عن الفضول والخوف والرجاء إنما يكونان من الله تعالى لأن المعبود مفيض الخير والجود. وأما الأنبياء وورثتهم الكمل فوسائط بين الله تعالى وبين الخلق ولا بد من طاعتهم من حيث نبوتهم ووراثتهم ومن التقرب إليهم لتحصيل الزلفى، وفي «المثنوي»:

از انس فرزند مالک آمده است	که بمهمانی او شخصی شده است
او حکایت کرد کز بعد طعام	دید انس دستار خوانرا زرد فام
چرکن و آلوده گفت ای خادمه	اندر افکن در تنورش یکدمه
در تنور پرز آتش در فکند	آن زمان دستار خوانرا هو شمند
جمله مهمانان دران حیران شدند	انتظار دور کندوری بدند
بعد یکساعت در آورد از تنور	پاک واسپید وازان اوساخ دور
قوم گفتند ای صحابی عزیز	چون نه سوزید و منقی کشت نیز
گفت زانکه مصطفی دست ودهان	پس بمالید اندرین دستار خوان
ای دل ترسنده از نار و عذاب	یا چنان دست ولبی کن اقتراب
چون جمادی را چنین تشریف داد	جان عاشق را چها خواهد کشاد
مر کلوخ کعبه را چون قبله کرد	خاک مردان باش ای جان درنبرد

﴿وَأَنَّ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْفِتْنَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَإِنَّا لَتَمُودُ النَّافَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾

﴿وإن﴾ نافية ﴿من﴾ استغراقية ﴿قرية﴾ [دیهی و شهری]. قال المولى أبو السعود رحمه الله: المراد بها القرية الكافرة أي: ما من قرية الكفار ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ أي: مخربوها البتة

بالخسف بها أو باهلاك أهلها بالكلية لما ارتكبوا من عظام المعاصي الموجبة لذلك ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لأن الهلاك يومئذٍ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق العقوبة وإنما هو لانقضاء عمر الدنيا ﴿أو معذبوها﴾ أي: معذبوا أهلها على الإسناد المجازي ﴿عذاباً شديداً﴾ بالقتل والقحط والزلازل ونحوها من البلايا الدنيوية والعقوبات الأخروية لأن التعذيب مطلق عما قيد به الإهلاك من قبلية يوم القيامة وكثير من القرى العاصية قد أخرت عقوباتها إلى يوم القيامة هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود رحمه الله. يقول الفقير: لا يخفى أن هذا التعميم لا يناسب سوق الآية وقيد قبلية معتبر في الشق الثاني أيضاً وهو لا ينافي العذاب الشديد الواقع بعد يوم القيامة حسبما أفصح عنه القاطع فالوجه حمل الإهلاك على الاستئصال والتعذيب على أنواع البلية التي هي أشد من الموت وعمم في «بحر العلوم» القرية يدل عليه إirاده قوله عليه السلام: «إن أمتي أمة مرحومة إنما جعل عذابها في القتل والزلازل والفتن» وقوله عليه السلام: «إن حظ أمتي من النار بلاها تحت الأرض» وقد قيل: الهلاك للقرى الصالحة والعذاب للطالحة قالوا: خراب مكة من الحبشة وخراب المدينة من الجوع وخراب البصرة من الغرق وخراب أيلة من العراق وخراب الجزيرة من الجبل وخراب الشام من الروم وخراب مصر من انقطاع النيل وخراب الاسكندرية من البربر وخراب الأندلس من الروم وخراب فارس من الزلازل وخراب أصفهان من الدجال وخراب نهاوند من الجبل وخراب خراسان من حوافر الخيل وخراب الري من الديلم وخراب الديلم من الأرمن وخراب الأرمن من الخزر وخراب الخزر من الترك وخراب الترك من الصواعق وخراب السند من الهند وخراب الهند من أهل السد يأجوج ومأجوج.

- وروي - عن وهب بن منبه أن الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب أرمينية وأرمينية آمنة حتى تخرب مصر ومصر آمنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة وإذا كانت الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم ﴿كان ذلك﴾ الذي ذكر من الإهلاك والتعذيب ﴿في الكتاب﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿مسطوراً﴾ مكتوباً لم يغادر منه شيء إلا بين فيه كيفياته وأسبابه الموجبة له ووقته المضروب له وفي الحديث «أول شيء خلق الله القلم من نور فأخذه بيمينه وكلتا يديه يمين والقلم مسيرة خمسمائة عام واللوح مثله فقال للقلم أجز فجزى بما هو كائن إلى يوم القيامة برها وفاجرها رطبها ويابسها فصدقوا بما بلغكم عن الله من قدرته» وفي الحديث «أول ما خلق الله القلم بيده ثم خلق النون وهو الدواة ثم قال: اكتب فقال: وما أكتب؟ قال: ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ثم ختم على فم القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة» رواه ابن عباس رضي الله عنهما.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وإن من قرية﴾ أي: قرية قالب الإنسان ﴿إلا نحن مهلكوها﴾ بموت قلبه وروحه ﴿قبل يوم القيامة﴾ أي: قبل موت القلب فإن من مات فقد قامت قيامته ﴿أو معذبوها﴾ بصب البلاء والمحن والأمراض والعلل والمصائب والنقص في الأموال والأنفس وأنواع الرياضات والمجاهدات ومخالفات الهوى بالاختيار والاضطرار ﴿عذاباً شديداً﴾ فإن الفطام من المآلوفات شديد ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ من الأزل عزة وعظمة وكبرياء وجبروتاً فلا يصل السائر الصادق المحب إلى سرادقات جلاله شوقاً إلى جماله إلا بعد العبور على العقبة الكؤود ﴿فَلَا أَقْنَمَ لَعَقَةً﴾ وَمَا أَدْرَبَكَ مَا لَعَقَةً ﴿البلد: ١١-١٢﴾ فلما كان حال البلوغ إلى بيته قوله: ﴿لَمْ تَكُونُوا بِلَيْلِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ [النحل: ٧] فكيف يكون

حال أهل الوصول إليه ولهذا قال ﷺ: «ما أودى نبي مثل ما أوديت» فلما لم يصل أحد إلى مقامه الذي وصل ما أودى أحد في السير إلى الله والسير في الله والسير بالله مثل ما أودى ﷺ وإيذاء السائرين بإذاية وجودهم في السير ففي السير إلى الله ذوبان الأفعال وفي السير في الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات فافهم جداً، سعدي:

جفا نبرده چه دانى تو قدر يار تحصيل كام دل بتكاپوى خوش ترست
حافظ:

مكن زغصه شكایت كه در طريق طلب برا حتى نرسيد آنكه زحمتي نكشيت
وقال:

خام را طاقت پروانه پرسوخته نیست ناز كانرا نرسد شیوه جان افشانی
اللهم اجعلنا من أهل الصبر على البلاء وارزقنا من غنائم أهل الولاء.

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الباء مزيدة أي: وما صرفنا عن إرسال الآيات التي اقترحها قريش من إحياء الموتى وقلب الصفا ذهباً ورفع جبال مكة لتبسط الأرض وتصلح للزراعة وإجراء الأنهار لتحصل الحقائق ونحو ذلك. ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ استثناء مفرغ من أعم الأشياء أي: وما منعنا عن إرسالها شيء من الأشياء إلا تكذيب الأولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لأن فيهم من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الأمم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال: ﴿وأتينا ثمود الناقة﴾ وهو عطف على ما يفصح عنه النظم الكريم كأنه قيل: وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون حيث آتيناهم ما اقترحوا من الآيات الباهرة فكذبوها وأتينا ثمود الناقة بسؤالهم ﴿مبصرة﴾ بينة ذات أبصار على أن يكون للنسبة فالتاء للمبالغة وأسند إليها حال من يشاهدها مجازاً ﴿فظلّموا بها﴾ فكفروا بها ظالمين أي: لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا أنفسهم وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما أن ثمود عرب مثلهم وأن لهم من العلم بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون آثار هلاكهم وروداً وصدوراً ﴿وما نرسل بالآيات﴾ المقترحة ﴿إلا تخويفاً﴾ من نزول العذاب المستأصل كالطليعة له فإن لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآثار القرآن إلا تخويفاً بعذاب الآخرة فإن أمر من بعث إليهم مؤخر إلى يوم القيامة كرامة لك. قيل: إن الرسول عليه السلام هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فإذا أماتوها أماتهم الله وأهلكهم إذ لهذه الأمة نصيب من عذاب الدنيا بقدر حالهم وذلك في أواخر الزمان كما سبق في المجلس السابق. ومنه الزلازل والمخاوف والطاعون فإنه زجر لأهل الفسق وتسلط الظلمة فإنه عذاب أي عذاب. فينبغي للمؤمن أن يسارع إلى طريق التقوى وإحياء سنة خير الورى وفي الحديث «من أحيأ سنتي فقد أحياني ومن أحياني فقد أحياني كان معي في الجنة» وفي الحديث: «من حفظ سنتي أكرمه الله بأربع خصال: المحبة في قلوب البررة، والهيبة في قلوب الفجرة، والسعة في الرزق، والثقة بالدين» كما أن الرسول عليه السلام أمان ما عاش فكذا وارثه الأكمل فإن اعتقاده واتباع طريقته كالإيمان بالرسول واتباع شريعته إذ هو نائب عنه وخليفة له فلاقتان بأهل الصلاح والتقوى مما يرفع الله به العذاب وقد ورد في الحديث «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره

الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في الأربعين حديثاً والمراد بأهل القبور من مات بالاختيار قبل الموت بالاضطرار، قال الحافظ:

مدد از خاطر رندان طلب ای دل ورنی کار صعبست مبادا که خطایی بکنیم

واعلم أن المؤمن الصادق في إيمانه لا يعذبه الله في الآخرة لأن نبيه يكون فيهم يوم القيامة وما دام هو بين الأمة لا يعذبهم الله وتقول لهم جهنم جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ ناري فإن دخل المجرمون النار فذلك بجهة الخلوص لا الخلود.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ واذكر إذ أوحينا إليك ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: علماً وقدرة فهم في قبضته فامض لأمرك ولا تخف أحداً. قال بعض الكبار: إحاطة الله سبحانه عند العارفين بالموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً وحياة وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة في السموات والأرض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه ولا كإحاطة الكلّي بجزئياته بل كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إِلَّا فتنة للناس﴾ المراد بالرؤيا ما عاينه عليه السلام ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء والتعبير عن ذلك بالرؤيا إما لأنه لا فرق بينه وبين الرؤية كما في «الكواشي» الرؤيا تكون نوماً ويقظة كالرؤية أو لأنها وقعت بالليل وتقضت بالسرعة كأنها منام أو لأن الكفرة قالوا: لعلها رؤيا فتسميتها رؤيا على قول المكذبين. قال في «الحواشي السعدية» قد يقال تسميتها رؤيا على وجه التشبيه والاستعارة لما فيها من الخوارق التي هي بالمنام أليق في مجاري العادات انتهى. أي: وما جعلنا الرؤية التي أريناها ليلة الإسراء عياناً مع كونها آية عظيمة حقيقة بأن لا يتلعم في تصديقها أحد ممن له أدنى بصيرة إِلَّا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ عطف على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعمها على الإسناد المجازي أو إبعادها عن الرحمة فإن تلك الشجرة التي هي الزقوم تنبت في أصل الجحيم في أبعد مكان من الرحمة أي: وما جعلناها إِلَّا فتنة لهم حيث أنكروا ذلك وقالوا: إن محمداً يزعم الجحيم تحرق بالحجارة ثم يقول: ينبت فيها الشجر ولقد ضلوا في ذلك ضلالاً بعيداً حيث كابروا قضية عقولهم فإنهم يرون النعمة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا يضرها ويشاهدون المناديل المتخذة من وبر السمندل تلقى في النار ولا تؤثر فيها. قال الكاشفي: [وعجب از ایشان بود که از درخت سبز آتش میکر فتندد كما قال تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ (يس: ٨٠) وهيچ فکر نمی کردند که آتش در درخت ودیعت نهد چه عجب که درخت در آتش برویاند] وهو المرخ والعفار يوجدان في أغلب بوادي العرب يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما أخضران يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهو أنثى فتنددح النار بإذن الله تعالى ﴿ونخوفهم﴾ بذلك وبنظائره من الآيات فإن

الكل للتخويف ﴿فما يزيدهم﴾ التخويف ﴿إلا طغيانا كبيرا﴾ عتوا متجاوزاً عن الحد فلو أنا أرسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظائرها وفعل بهم ما فعل بأشيعهم وقد قضينا بتأخير العقوبة العامة لهذه الأمة إلى الطامة الكبرى. وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام كم من وجه مليح صبيح ولسان فصيح وبدن صحيح غدا بين طباق النيران يصيح فلا بد من الخوف فإن العارفين يخافون فما ظنك بغيرهم. قال المزني: دخلت على الشافعي رحمه الله في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف أصبحت يا أستاذي؟ قال: أصبحت عن الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولعملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فما أدري أروحي إلى جنة أم إلى نار ثم أنا أقول:

ولم أدر أي الحاليتين تنوبني وأنك لا تدري متى أنت ميت
وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان هست درخور از برای خائفان
هرکه ترسد مرورا ايمن کنند مردل ترسنده را ساكن کنند
آنكه خوفش نيست چون كويى مترس درس چه دهى نيست او محتاج درس
واعلم أن رؤية الآيات واستماعها تزيد المؤمنين إيماناً وتقويهم في باب اليقين لأن التربة الطيبة لا تغير الماء الزلال ولا تخرجه عن طبعه والخبيثة لا يحصل لها به نماء إذ لا يستعد ولا يستحق إلا العقم نسأل الله تعالى أن يفيض علينا سجال العلوم ويزيدنا في الفهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿١٦﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ هَذَا أَلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَىٰ لَيْنٍ أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَخْنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قَالَ أَهَبْ فَمَنْ يَبْعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَّقْشُورًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي: واذكر وقت قولنا للملائكة ما عدا الأرواح العالية وهم الملائكة المهمة الذين لا شعور لهم بخلق آدم عليه السلام ولا بغيره لاستغراقهم في شهود الحق تعالى ﴿اسجدوا لآدم﴾ تحية وتكريماً لما له من الفضائل المستوجبة لذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: أن الله خلق آدم فتجلى فيه فكانت السجدة في الحقيقة للحق تعالى وكان آدم بمثابة الكعبة قبله للسجود ﴿فسجدوا﴾ له من غير تلثم أداء لحقه عليه السلام وامتنالاً للأمر فدل ائتمارهم بأوامر الحق والانتفاء عن نواهيه على السعادة الأزلية ﴿إلا إبليس﴾ فإنه أبى واستكبر فدل المخالفة والاستكبار والإباء على الشقاوة الأزلية إذ الأبد مرآة الأزل يظهر فيها صورة الحال سعادة وشقاوة. قال في «بحر العلوم»: استثنى إبليس من الملائكة وهو جني لأنه قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه تغليب الرجال على المرأة في قولك: خرجوا إلا فلانة ثم استثنى الواحد منهم استثناء متصلاً ﴿قال﴾ اعتراضاً وعجباً وتكبراً وإنكاراً عندما وبخه تعالى بقوله: ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ إِلَّا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٣٢] ﴿ءأسجد﴾ وأنا مخلوق من العنصر العالي وهو النار؟ قال الكاشفي: [أيا سجده كنم يعني نكنم] ولم يصح مني واستحال أن أسجد لأن الاستفهام المعني به الإنكار يكون بمعنى النفي ﴿لمن خلقت طيناً﴾ نصب على نزع الخافض أي: من طين مثل واختار موسى قومه أي: من قومه فاستحق اللعن والطرده والبعد.

﴿قال﴾ إبليس بعدما لعن وطرده وأبعد إظهاراً للعداوة وإقداماً على الحسد كما قال في «الإرشاد» وقال إبليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على الاستنظار المتفرع على الأمر بخروجه من بين الملاء الأعلى باللعن المؤبد وإنما لم يصرح اكتفاء بما ذكر في موضع آخر فإن توسيط قال بين كلامي اللعين للإيدان بعدم اتصال الثاني بالأول وعدم ابتناؤه عليه بل على غيره ﴿أرايتك هذا الذي كرمت علي﴾ الكاف حرف خطاب أي: ليس باسم حتى يكون في محل النصب على أنه مفعول رأيت بل هو حرف أكد به ضمير الفاعل المخاطب لتأكيد الإسناد فلا محل له من الإعراب وهذا مفعول أول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصفة عليه وأرايت ههنا بمعنى أخبرني بأن يجعل العلم الذي هو سبب الاخبار مجازاً عن الاخبار وبأن يجعل الاستفهام مجازاً عن الأمر بجامع الطلب. والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته عليّ بأن أمرتني بالسجود له لم كرمته عليّ وفضلته بالخلافة والسجود وأنا خير منه لأنه خلق من طين وخلق من نار، وفي «المثنوي»:

آنكه آدم را بدن ديد اورميد وأنكه نور مؤتمن ديد او خميد

تو زقر آن ای پسر ظاهر مبین دیو آدم را نه بیند جز که طین

﴿لئن أخرتن﴾ حياً، يعني: [مرك مرا تأخير كنى چنانكه موعودست] ﴿إلى يوم القيامة﴾ يعني على صفة الإغواء والإضلال وهو كلام مبتدأ واللام موطئة وجوابه قوله: ﴿لأحتنكن ذريته﴾ أي: لأستولين على أولاده ونسله استيلاء قوياً بالإغواء كما قال: ﴿فَعِرْكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] يقال: احتنكه استولى عليه كما في «القاموس». قال في «الإرشاد» من قولهم حنكت الدابة واحتنكتها إذا جعلت في حنكها الأسفل حبالاً تقودها به أو لأستأصلنهم بالإغواء. يعني: [هر آينه از بيهج بر كنم فرزندان اورا باغوا وچنان كنم كه بعذاب تو مستأصل شوند] من قولهم احتنك الجراد الأرض إذا جرد ما عليها أكلاً. قال في «الأسئلة المقحمة»: علم إبليس أن فيهم شهوات مركبة فهي سبب ميلهم عن الحق إلى الباطل قياساً على أبيهم حين مال إلى أكل الشجرة بشهوته انتهى وقيل غير ذلك ﴿إلا قليلاً﴾ منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى.

﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿أذهب﴾ على طريقتك السوء بالإغواء والإضلال. وفي «بحر العلوم» ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء بل معناه امض لما قصدته أو طرده وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه أو هو على وجه الإهانة والتهديد تقول لمن لا يقبل منك أذهب وكن على ما اخترت لنفسك. قال الكاشفي: [امراهانت است وابعاد يعني اورا براند ازدركاه قرب وكفت دربی مهم خودبرو] ﴿فمن تبعك منهم﴾ على الضلالة. قال الكاشفي: [هر كه متابعت كندترا وفرمان توبرد] ﴿فإن جهنم جزاؤكم﴾ أي: جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب رعاية لحق المتبوعية ﴿جزاء موفورا﴾ من وفر الشيء كمل أي: تجزون جزاء مكماً فنصبه على المصدر بإضمار فعله. قال الكاشفي: [جزایی تمام يعني عذابی بردوام].

﴿وَأَسْتَغْفِرُ مَنْ أَسْطَغَمَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَعْلَبَ عَلَيْهِمْ بَخِيلِكَ وَرَجَلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ﴿١٦﴾

﴿واستغفر﴾ أي: استخف وحرك ومنه استغفره الغضب استخفه والاستغفر [سبك]

کردن]. وفي «بحر العلوم»: واستزل وحرك. يعني: [ازجای بجنبان وبلغزان] ﴿من استطعت منهم﴾ من قدرت أن تستفزه من ذريته. وقال الكاشفي [هرکه را توانی لغزائید ازایشان] ﴿بصوتك﴾ بوسوستك ودعائك إلى الشر والمعصية وكل داع إلى معصية الله فهو من حزب إبليس وجنده. [وامام زاهدي ازاین عباس نقل میکندکه هر آوازی که نه در رضای خدای تعالی ازدهان بیرون آید آواز شیطانست]. وقال مجاهد بالغناء والمزامير فالمغنون والزامرون من جند إبليس وقد ورد في الخبر الوعيد على الزامر وفي الحديث «بعثت لكسر المزامير وقتل الخنازير» المزامير جمع مزار وهو آلة معروفة يضرب بها ولعل المراد آلات الغناء كلها تغليلاً والكسر ليس على حقيقته بل مبالغة عن النهي لقريظة. فإن قلت الحديث المذكور صريح في قبح المزار والظاهر من قوله عليه السلام حين سمع صوت الأشعري وهو يقرأ «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» خلافه. قلت: ضرب المزامير مثلاً لحسن صوت داود عليه السلام وحلاوة نغمته كأن في حلقه مزامير بها والآل مقحم ومعناه الشخص كذا في «شرح الأربعين» حديثاً لابن كمال.

وفي «التأويلات النجمية»: واستزل بتمويهات الفلاسفة وتشبيهات أهل الأهواء والبدع وخرافات الدهرية وطامات الإباحية وما يناسبها من مقالات أهل الطبيعة مخالفاً للشرعية ﴿وأجلب عليهم بخيلك ورجلك﴾ [وبرانکیزان برایشان بسواران وپیادکان یعنی دیوانی که معاون تواند دروسوسه واغوا همه را جمع کن در تسلط برایشان]. وفي «الكواشي» جلب وأجلب واحد بمعنى الحث والصياح أي: صح عليهم بأعوانك وأنصارك من راكب وراجل من أهل الفساد والخيل الخيالة بتشديد الباء وهي أصحاب الخيول ومنه قوله عليه السلام: «يا خيل الله اركبي». والرجل بالسكون بمعنى الراجل وهو من لم يكن له ظهر يركبه. قال ابن عباس ومجاهد وقتادة أن خيلاً ورجلاً من الجن والإنس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل إبليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل إبليس ويجوز أن يكون استفزازه بصوته وإجلابه بخيله ورجله تمثيلاً لتسلطه على من يغويه فكأنه مغوراً وقع على قوم فصوت بهم صوتاً يزعجهم من أماكنهم ويقلعهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استأصلهم. ﴿وشاركهم﴾ [شرکت ده بایشان] ﴿في الأموال﴾ بحملهم على كسبها أو جمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي من الربا والإسراف ومنع الزكاة وغير ذلك ﴿والأولاد﴾ بالحث على التوصل إليهم بالأسباب المحرمة والوآء والإشراك كتسميتهم بعبد العزى وعبد الحارث وعبد الشمس وعبد الدار وغير ذلك. والتضليل بالحمل على الأديان الزائغة والحرف الذميمة والأفعال القبيحة.

وقال في «التأويلات النجمية»: بتضييع زمانهم وإفساد استعدادهم في طلب الدنيا ورياستها متغافلين عن تهذيب نفوسهم وتزكيتها وتأديبها وتوقفها عن الصفات المذمومة وتحليلتها بالصفات المحمودة وتعليمهم الفرائض والسنن والعلوم الدينية وتحريضهم على طلب الآخرة والدرجات العلى والنجاة من النار والدركات السفلى انتهى. وعن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل باسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل وقد جعل الله له في كثير من الأشياء نصيباً وفي الحديث: «إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال: يا رب أنزلتني الأرض وجعلتني رجيماً فاجعل لي بيتاً قال: الحمام قال: فاجعل لي

مجلساً قال: الأسواق ومجامع الطرق قال: فاجعل لي طعاماً قال: ما لم يذكر اسم الله عليه قال: اجعل لي شرباً قال: كل مسكر قال: اجعل لي مؤذناً قال: المزامير قال: اجعل لي قرآناً قال: الشعر قال: اجعل لي كتاباً قال: الوشم قال: اجعل لي حديثاً قال: الكذب قال: اجعل لي رسلاً قال: الكهنة قال: اجعل لي مصائد قال: النساء» كما في «بحر العلوم» للسمرقندي ﴿وَعَدَهُمُ﴾ المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة بتطويل الأمل وإخبارهم أن لا جنة ولا نار ونحو ذلك ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ اللازم يحتمل العهد والجنس قال عليه السلام: «ما منكم من أحد إلا وله شيطان» ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ يعني: [خطاراً در صورت ثواب می آراید] وهو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب. قال في «بحر العلوم»: هذه الأوامر واردة على طريق التهديد كقوله للعصاة اعملوا ما شئتم وقيل على سبيل الخذلان والتخلية.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿١٥﴾ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزَيِّجُ لَكُمُ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَنَبَّؤُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُمْ كَانَتْ يَكُمُ رَحِيمًا﴾ ﴿١٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرَفُ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهًُا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ ﴿١٧﴾

﴿إن عبادي﴾ الإضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه أن من تبعه ليس منهم [امام قشيري فرموده که بنده حق آنست که دربند غیر نباشد. وشیخ عطار فرماید]:
چوتودر بند صد چیزی خدارا بنده چون باشی

که تودر بند هر چیزی که باشی بنده آنی

﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: تسلط وقدرة على إغوائهم كما قال: ﴿إِنَّهُمْ لَيْسَ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ﴿٩٩﴾ [النحل: ٩٩] ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ لهم يتوكلون عليه ويستمدونه يا إبليس الخلاص من إغوائك.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن عباد الله هم الأحرار عن رق الكونين وتعلقات الكونين فلا يستعبدهم الشيطان ولا يقدر على أن تعلق بهم فيضلهم عن طريق الحق ويغويهم بما سواه عنه ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ لهم في ترتيب أسباب سعادتهم وتفويت أسباب شقاوتهم والحراسة من الشيطان والهداية إلى الرحمٰن. يقول الفقير: لا يلزم من نفي التسلط أن لا يقصدهم الشيطان أصلاً فإن ذلك يردده قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنتَ الَّذِي تَقْتُلُ إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ ﴿٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١] فإن كلمة إذا تدل على التحقيق والوقوع ولكنهم محفوظون من الاتباع لكونهم مؤيدين من عند الله تعالى.

- حكي - أنه جاء يهودي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد نحن نعبد بحضور القلب بلا وسواس الشيطان ونسمع من أصحابك أنهم يصلون بالوساوس فقال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه: «أجبه» فقال: يا يهودي بيتان بيت مملوء بالذهب والفضة والدر والياقوت والأقمشة النفيسة وبيت خراب خال ليس فيه شيء من المذكورات أيقصد اللص إلى البيت المعمور المملوء من الأقمشة النفيسة أم يقصد إلى البيت الخراب فقال لليهودي يقصد إلى البيت المعمور المملوء بذلك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه: قلوبنا مملوءة بالتوحيد والمعرفة والإيمان واليقين والتقوى والإحسان وغيرها من الفضائل وقلوبكم خالية عن هذه فلا

يقصد الخناس إليها فأسلم اليهودي فظهر أن الشيطان قاصد ولكنه غير واصل إلى مراده فإن الله يحفظ أوليائه.

﴿ربكم﴾ [پرور دكار شما] وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذي﴾ القادر الحكيم الذي ﴿يزجي﴾ الإزجاء [راندن] يقال: زجاء وأزجاء ساقه أي: يسوق ويجري بقدرته الكاملة ﴿لكم﴾ لمنافعكم ﴿الفلك﴾ أي: السفن ﴿في البحر﴾ [در دریا]. قال في «القاموس» البحر الماء الكثير ﴿لتبتغوا﴾ لتطلبوا ﴿من فضله﴾ من رزق هو فضل من قبله ﴿إنه كان بكم﴾ أولاً وأبداً ﴿رحيماً﴾ حيث هيا لكم ما تحتاجون إليه وسهل عليكم ما يعسر من أسبابه فالمراد الرحمة الدنيوية والنعمة العاجلة المنقسمة إلى الجلييلة والحقيرة.

﴿وإذا مسكم﴾ [وچون برسد شمارا] ﴿الضر في البحر﴾ خوف الغرق فيه ﴿ضل من تدعون﴾ أي: ذهب عن خواطرکم کل من تدعون في حوادثکم وتستغيثون ﴿إلا إياه﴾ تعالى وحده من غير أن يخطر ببالکم أحد منهم وتدعوه لكشفه استقلالاً أو اشتراكاً ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً أي: ضل كل من تدعونه وتعبدونه من الآلهة كالمسيح والملائكة وغيرهم من عونکم وغوثکم ولكن الله هو الذي ترجونه لصرف النوازل عنکم ﴿فلما﴾ [پس آن هنگام که] ﴿نجاکم﴾ من الغرق وأوصلکم ﴿إلى البر﴾ [بسوی بیابان] ﴿أعرضتم﴾ عن التوحيد وعدتم إلى عبادة الأوثان ونسيتم النعمة وكفرتم بها ﴿وكان الإنسان كفوراً﴾ بليغ الكفران ولم يقل وكنتم كفوراً ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة.

﴿أفأمنتُمْ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ﴿١٨﴾
أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَهًا يُّبْعَثُ ﴿١٩﴾

﴿أفأمنتُمْ﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتُم من ﴿أن﴾ يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم كقارون وبكم في موضع الحال وجانب البر مفعول به أي: يقلبه الله وأنتم عليه ويجوز أن تكون الباء للسببية أي: يلعبه بسبب كونكم فيه. قال سعدي المفتي أي: يقلب جانب البر الذي أنتم فيه فيحصل بخسفه إهلاككم وإلا فلا يلزم من خسف جانب البر بسببهم إهلاكهم. وقال الكاشفي: [آيا ايمن شديدکه از دریا بصحرا آمديد يعني ايمن مباشيد از آنکه فرو بردشمارا بکرانه از زمین يعني آنکه قادراست که شمارا درآب فروبرد توانست برآنکه در خاک نهد]. قال في «القاموس»: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض وخسف الله بفلان الأرض غيبه فيها لازم ومتعد. وفي «التهذيب» الخسف [بزمین فروبردن] قال الله تعالى: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ [القصاص: ٨١] ﴿أو يرسل عليكم﴾ من فوقكم ﴿حاصباً﴾ ريحاً ترمي الحصباء وهي الحصى الصغار يرحمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر وقيل: أي يمطر عليكم حصباء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلاً﴾ يحفظكم من ذلك ويصرفه عنكم فإنه لا راد لأمره الغالب.

﴿أم أمنتُم أن يعيدكم فيه﴾ في البحر بعد خروجكم إلى البر وسلامتكم ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى﴾ بخلق دواعي تلجئكم إلى أن ترجعوا فتركوه فإسناد الإعادة إليه تعالى مع أن العود إليه باختيارهم باعتبار خلق تلك الدواعي الملجئة. وفيه إيماء إلى كمال شدة هول ما لاقوه في

التارة الأولى بحيث لولا الإعادة لما عادوا وأوثرت كلمة في على كلمة إلى المنيئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه ﴿فيرسل عليكم﴾ وأنتم في البحر ﴿قاصفاً من الريح﴾ وهي التي لا تمر بشيء إلا قصفته أي: كسرتة وجعلته كالمريم وذكر قاصفاً لأنه ليس بإزائه ذكر فجرى مجرى حائض كما في «الكواشي». ﴿فيغرقكم﴾ بعد كسر فلحكم كما ينبىء عنه عنوان القصف ﴿بما كفرتم﴾ بسبب إشراككم وكفرانكم لنعمة الإنجاء ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به﴾ [بأن غرق كردن] ﴿تبيعا﴾ مطالباً يتبعنا بانتصار أو صرف. قال في «القاموس»: التبع كأمير التابع ومنه قوله تعالى: ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ أي: ثائراً ولا طالباً انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الشريعة كالفلك في بحر الحقيقة إذ لو لم يكن هذا الفلك ما تيسر لأحد العبور على بحر الحقيقة والمقصود منه جذبة العناية إذ هي ليست بمكتسبة للخلق بل من قبيل الفضل فعلى من يريد النيل إلى هذه الجذبة أن يسير بقدمي العلم والعمل، قال في «المثنوي»:

رهروراه طریقت ایمن بود کاو بأحكام شریعت می رود

ومنها: أن الإعراض عن الحق بالكفران يؤدي إلى الخسران. قال الجنيد: لو أقبل صديق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله. قال أوحى المشايخ في وقته أبو عبد الله الشيرازي: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول: من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذبه الله تعالى بعذاب لم يعذبه به أحداً من العالمين.

درین ره دائماً ثابت قدم باش بروازرهزن غم بی الم باش

زبازار توجه رو مکردان همه سودی که خواهی اندرین دان

ومنها: أن جميع الجوانب والجهات متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وقهره سلطانه لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه فعلى العبد أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب حيث كان فإن الله كان متحلياً بجماله وجلاله في جميع الأنيات ولذا كان أهل اليقظة والحضور لا يفرقون بين أين وأين وبين حال وحال لمشاهدتهم إحاطة الله تعالى فإن الله تعالى لو شاء لأهلك من حيث لا يخطر بالبال ألا ترى أنه أهلك النمرود بالعوض فكان البعوض بالنسبة إلى قدرته كالأسد ونحوه في الإهلاك وربما رأيت من غص بلقمة فمات فانظر في أن تلك اللقمة مع أنها من أسباب الحياة كانت من مبادئ الممات فأما الله من حيث يدري حياته فيه ولو أمعنت النظر لوجدت شؤون الله تعالى في هذا العالم عجيبة:

هرکرا خواهد خدا آرد بچنک نیست کس را قوت بازوی جنک

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠)

قال الله تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ التكريم والإكرام بمعنى والاسم منه الكرامة والمعنى: [بالفارسية] وهر آینه کرامی کریم فرزندان آدم را]. قال المولى أبو السعود: بني آدم قاطبة تكريماً شاملاً لبرهم وفاجرهم.

وفي «التأويلات النجمية»: خصصناهم بكرامة تخرجهم من حيز الاشتراك وهي على ضربين جسدانية وروحانية فالكرامة الجسدانية عامة يستوي فيها المؤمن والكافر وهي تخمير

طینته بیده أربعین صباحاً وتصویره فی الرحم بنفسه وأنه تعالی صورہ فأحسن صورته وسواه فعدله فی أي صورة ما شاء ركبہ ومشاه سویاً علی صراط مستقیم مستقیم القامة أخذاً بیدیه آکلاً بأصابعه مزیناً باللحی والذوائب صانعاً بأنواع الحرف والكرامة الروحانية علی ضربین خاصة وعامة فالعامة أيضاً یتسوي فیها المؤمن والكافر وهي أن كرمه بنفخه فیہ من روحه وعلمه الأسماء كلها وكلمه قبل أن خلقه بقوله: ألسنت بربكم فأسمعه خطابہ وأنطقه بجوابه بقوله: قالوا: بلى وعاهده علی العبودية وأولده علی الفطرة وأرسل إليه الرسل وأنزل علیه الكتب ودعاه إلى الحضرة ووعدہ الجنة وخوفه النار وأظهر له الآيات والدلالات والمعجزات والكرامة الروحانية الخاصة ما كرم به أنبياءه ورسله وأوليائه وعباده المؤمنين من النبوة والرسالة والولاية والإيمان والإسلام والهداية إلى الصراط المستقیم وهو صراط الله والسير إلى الله وفي الله وبالله عند العبور علی المقامات والترقي عن الناسوتية بجذبات اللاهوتية والتخلق بأخلاق الإلهية عند فناء الأنانية وبقاء الهوية [امام قشيري قدس سره فرموده كه مراد از بني آدم مؤمناً نند چه كافرانرا بنص ﴿وَمَنْ يُهِنُ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ۱۸] از تكريم هيچ نصيبي نيست و تكريم مؤمنان بدانست كه ظاهر ايشانرا بتوفيق مجاهدات بياراست وباطن ايشانرا بتحقيق مشاهدات منورساخت] كما قال في «بحر العلوم» الظاهر عندنا تكريمهم بالإيمان والعمل الصالح بدليل قوله عليه السلام: «إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف الرجل أهله وولده وإنه أكرم على الله من ملك مقرب» انتهى [محمد بن كعب رضي الله عنه كفت كه كرامت آدميان بدانست كه حضرت محمد ﷺ از ايشانست].

اي شرف دوده آدم بتو روشنی دیده عالم بتو
کیست درین خانه كه خیل تونیست کیست برین خوان كه طفیل تونیست
از تو صلاهی بالست آمده نیست بمهمانی هممت آمده
﴿وحملناهم﴾ [وبرداشتیم ایشانرا وسوار کردیم] ﴿فی البر﴾ [دریابان بر چهار پایان]
﴿والبحر﴾ [ودردریا بکشتیها] من حملته إذا جعلت له ما یرکبه ولیس من المخلوقات شيء كذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: عبرناهم عن بر الجسمانية وبحر الروحانية إلى ساحل الربانية [ودر حقائق سلمی آمده كه كرامی ساختیم آدمیانرا بمعرفت وتوحید وبرداشتیم ایشانرا دربر نفس وبحر قلب وكفته اند بر آنست كه ظهور دارد از صفات وبحر آنچه مستوراست از حقائق ذات] ﴿ورزقناهم﴾ [وروزی دادیم ایشانرا] ﴿من الطيبات﴾ من فنون النعم المستلزمة مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم كالسمن والزبد والتمر والعسل وسائر الحلاوى.

وفي «التأويلات النجمية»: وهي المواهب التي طيبتها من الحدوث فيطعم بها من بيت عنده ويسقيه بها وهي طعام المشاهدات وشراب المكاشفات التي لم يذق منها الملائكة المقربون اطعم بها أخص عباده في أواني المعرفة وسقاهاهم بها في كأسات المحبة أفردهم بها عن العالمين ولهذا اسجد لهم الملائكة المقربين، قال المولى الجامي قدس سره:

ملائك را چه سود از حسن طاعت چو فیض عشق بر آدم فرو ریخت
وقال الحافظ:

فرشته عشق ندانده كه چیست قصه مخوان بخواه جام وكلابی بخاك آدم ریز

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ﴾ [وافزونی دادیم ایشانرا] أي: في العلوم والإدراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ وهم ما عدا الملائكة عليهم السلام ﴿تفضيلاً﴾ عظيماً فحق عليهم أن يشكروا نعم الله ولا يكفروها ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقّة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله أحد ممن له أدنى تمييز فضلاً عن فضل على من عدا الملائكة الأعلى الذين هم العقول المحضة وإنما استثنى جنس الملائكة من هذا التفضيل لأن علومهم دائمة عارية عن الخطأ والخلل وليس فيه دلالة على الأفضلية بالمعنى المتنازع فيه فإن المراد ههنا بيان التفضيل في أمر مشترك بين جميع أفراد البشر صالحها وطالحها ولا يمكن أن يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله تعالى كما في «الإرشاد». وقال في «بحر العلوم»: فيه دلالة على أن بني آدم فضلوا على كثير وفضل عليهم قليل وهو أبوه آدم وأمهم حواء عليهما السلام لما فيهما من فضل الأصالة على من تفرع منهما من سائر الناس لا الملائكة المقربون كما زعم الكلبي وأبو بكر الباقلاني وحثالة المعتزلة وألا يلزم التعارض بين الآيات وذلك أن الله أمر الملائكة كلهم بالسجود لآدم على وجه التعظيم والتكريم ومقتضى الحكمة الأمر للآدمي بالسجود للأعلى دون العكس وأيضاً قال: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ۳۱] فيفهم منه كل أحد من أهل اللسان قصده تعالى إلى تفضيل آدم على الملائكة وبيان زيادة علمه واستحقاقه التعظيم والتكريم وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَعَالٍ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ۳۳] والملائكة من جملة العالم فمحال أن تدل الآية التي نحن بصدددها على ما زعموا من تفضيل الملك على البشر كلهم وأيضاً مما يدل على بطلان ما زعموا قول النبي ﷺ: «إن الله فضل المرسلين على الملائكة المقربين لما بلغت السماء السابعة لقيني ملك من نور على سرير فسلمت عليه فرد علي السلام فأوحى الله إليه سلم عليك صفيي ونبيي فلم تقم إليه وعزتي وجلالي لتقومن فلا تقعدن إلى يوم القيامة» انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة»: المشهور من مذهب أهل الحق أن الأنبياء أفضل من الملائكة انتهى. قال الكاشفي: [علماراً در تفضيل بشر مباحث دور ودرازاست آنکه جمهور أهل سنت برآنند که بني آدم فاضل ترند از رسل ملائكة ورسول ملائكة افضلند از اوليای بني آدم وأوليای بني آدم شريفترند از اوليای ملائكة وصلحاي أهل ايمانرا افضل است برعوام ملائكة وعوام ملائكة بهترند از فساق مؤمنان].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ يعني على الملائكة لأنهم الخلق الكثير ممن خلق الله تعالى وفضل الإنسان الكامل على الملك بأنه خلق في أحسن تقويم وهو حسن استعداده في قبول فيض نور الله بلا واسطة وقد تفرد به الإنسان عن سائر المخلوقات كما قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الأحزاب: ۷۲] والأمانة هي نور الله كما صرح به في قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ۳۵] إلى أن قال: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ۳۵] فافهم جداً واغتنم فإن هذا البيان أعز من الكبريت الأحمر وأغرب من عنقاء مغرب انتهى. قال الكاشفي: [وعلى الجملة این آیت دلیل فضیلت وجامعیت انسانست که از همه مخلوقات مرآت صافی جهت انعکاسی صفات إلهی همه اوست وبس چنانچه از مضمون این ابیات حقائق سمات فهم توان فرمود]:

آمد آیینہ جملہ کون ولي همچو آیینہ نکرده جلی

به نمودند درو بوجه کمال
زآنکه بوداین تفرق عددی
کشت آدم جلای این مرآت
مظهري کشت کلي وجامع
شد تفاصيل کون را مجمل
بوی این دائره مکمل شد
صورت ذو الجلال والإفضال
مانع از سر جامع واحدی
شدعیان ذات او بجملة صفات
سر ذات از صفات از لامع
بر مثال تعین اول
آخر این نقطه عین اول شد
﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوْقَىٰ كَتَبَهُ يَمِينُهُ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧٦﴾

﴿یوم ندعو﴾ نصب بإضمار اذکر علی أنه مفعول به ﴿کل أناس﴾ [هر گروهی را از بنی آدم] والاناس جمع الناس كما في «القاموس» ﴿ایامهم﴾ أي: بمن ائتموا به من نبي فيقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ونحو ذلك أو مقدم في الدين فيقال: يا حنفي ويا شافعي ونحوهما أو كتاب فيقال: يا أهل القرآن ويا أهل الإنجيل وغيرهما أو دين فيقال يا مسلم ويا يهودي ويا نصراني ويا مجوسي وغير ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ما يتبعه كل قوم وهو إمامهم. فقوم يتبعون الدنيا وزينتها وشهواتها فيدعون يا أهل الدنيا. وقوم يتبعون الآخرة نعيمها ودرجاتها فيدعون يا أهل الآخرة. وقوم يتبعون الرسول ﷺ محبة لله وطلباً لقربته ومعرفته فيدعون يا أهل الله. وقيل: الإمام جمع أم كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم وأمهاتهم إجلال عيسى عليه السلام وتشريف الحسين رضي الله عنهما إذ في نسبتهم إلى أمهما إظهار انتسابهما إلى رسول الله ﷺ نسباً بخلاف نسبتهم إلى أبيهما والستر على أولاد الزنى وينصره ما روي عن عائشة رضي الله عنها وابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترأ منه على عباده» كما في «بحر العلوم» ويؤيده أيضاً حديث التلقين حيث قال رسول الله ﷺ: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوي قاعداً ثم يقول: يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدك الله رحمك الله ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنك رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبله فإن منكراً ونكيراً يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه يقول: انطلق لا نقعد عند من لقن حجته فيكون حجيجه دونهما» فقال رجل: يا رسول الله فإن لم يعرف اسم أمه قال: «فلينسبه إلى حواء» ذكره الإمام السخاوي في «المقاصد الحسنة» وصححه بأسانيده وكذا الإمام القرطبي في «تذكرته» وفهم منه شيآن الأول استحباب القيام وقت التلقين والثاني أن المرء يدعى باسمه واسم أمه لا باسم أبيه ولكن جاء في أحاديث «المقاصد» و«المصابيح» أنه عليه السلام قال: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم» ولعله لا يخالف ما سبق فإنه ورد ترغيباً في تحسين الأسماء وتغيير القبيح منها إذ كانوا يسمون بالأسماء القبيحة على عادة الجاهلية مثل المضطجع وأصرم وعاصية ونحوها وكان عليه السلام يغير القبيح إلى الحسن فغير أصرم وهو من الصرم بمعنى القطع إلى زرعة

وهو بالضم والسكون قطعة من الزرع كأنه قال: لست مقطوعاً بل أنت منبت متصل بالأصل وغير المضطجع إلى المنبعث وعاصية إلى جميلة ﴿فمن﴾ [هر كه را] ﴿أوتي﴾ [داده شود] يومئذ من أولئك المدعوين ﴿كتابه﴾ صحيفة أعماله ﴿بيمينه﴾ وهم السعداء وفي إيتاء الكتاب من جانب اليمين تشريف لصاحبه وتبشير ﴿فأولئك﴾ الجمع باعتبار معنى من ﴿يقرؤون كتابهم﴾ قراءة ظاهرة مسرورين ينتفعون بما فيه من الحسنات ولم يذكر الأشقياء وإن كانوا يقرأون كتبهم أيضاً لأنهم إذا قرأوا ما فيها لم يفصحوا به خوفاً وحياء وليس لهم شيء من الحسنات ينتفعون به ﴿ولا يظلمون﴾ أي: لا ينقصون من أجور أعمالهم المرتسمة في كتبهم بل يؤتونها مضاعفة ﴿فتيلاً﴾ أي: قدر فتيل وهو ما يقتل بين إصبعين من الوسخ أو القشرة التي في شق النواة أو أدنى شيء فإن الفتيل مثل في القلة والحقارة.

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلَّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَٰنَا إِلَيْكَ لِفَتْرِىٰ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذَا لَأَتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن نَّبْنِئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾

﴿ومن﴾ [وهر كه] أي: من المدعوين المذكورين ﴿كان في هذه﴾ الدنيا ﴿أعمى﴾ أعمى القلب لا يهتدي إلى رشده. يعني: [دلش راه صواب نه بیند] ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لا يرى طريق النجاة لأن العمى الأول موجب للثاني فالكافر لا يهتدي إلى طريق الجنة والعاصي إلى ثواب المطيع والقاصر إلى مقامات الكاملين ﴿وأضل سبيلاً﴾ من الأعمى في الدنيا لزوال الاستعداد وتعطل الأسباب والآلات وفقدان المهلة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فمن أوتي كتابه بيمينه﴾ فهو أهل السعادة من أصحاب اليمين وفيه إشارة إلى أن السابقين الذين هم أهل الله تعالى لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون حسابهم ﴿فأولئك يقرؤون كتابهم﴾ لأنهم أصحاب البصيرة والقراءة والدراية ﴿ولا يظلمون فتيلًا﴾ في جزاء أعمالهم الصالحة وفيه إشارة إلى أن أهل الشقاوة الذين هم أصحاب الشمال لا يقرؤون كتابهم لأنهم أصحاب العمى والجهالة ﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ أي: في هذه القراءة والدراية بالبصيرة أعمى في الدنيا لقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦] الآية ﴿فهو في الآخرة أعمى﴾ لأنه يوم تبلى السرائر تجعل الوجوه من السرائر فمن كان في سريرته أعمى ههنا يكون ثمة في صورته أعمى للمبالغة لأن عمى السريرة ههنا كان قابلاً للتدارك وقد خرج ثمة الأمر من التدارك فيكون أعمى عن رؤية الحق. ﴿وأضل سبيلاً﴾ في الوصول إليه لفساد الاستعداد وإعواز التدارك انتهى. يقول الفقير: إن قلت هل يحصل الترقى والتيقظ لبعض الأفراد بعد الموت الصوري؟ قلت: إن السالك الصادق في طلبه إذا سافر من مقام طبيعته ونفسه فمات في الطريق أي: بالموت الاضطراري قبل أن يصل إلى مراده بالموت الاختياري فله نصيب من أجر الواصلين وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُتُّ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [النساء: ١٠٠] كما قال بعض الكبار: من مات قبل الكمال فمراده يجيء إليه كما أن من مات في طريق الكعبة يكتب له أجر حجين انتهى. أشار إلى أن الله تعالى قادر على أن يكمله في عالم البرزخ بواسطة روح من الأرواح أو بالذات

فيصير أمره بعد النقصان الموهوم إلى الكمال المعلوم وقد ثبت في الشرع أن الله تعالى يוכל ملكاً لبعض عباده في القبر فيقرئه القرآن ويعلمه أي: إن كان قد مات أثناء التعلم. وأما غير السالك فلا يجد الترقى بعد الموت أي: بالنسبة إلى معرفة الحق إذ من المتفق شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» فما يدل على عدم الترقى بعد الموت من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ إنما هو بالنسبة إلى معرفة الحق لا لمن لا معرفة له أصلاً فإنه إذا انكشف الغطاء ارتفع العمى بالنسبة إلى دار الآخرة ونعيمها وجحيمها والأحوال التي فيها وأما قوله عليه السلام: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله» فهو يدل على أن الأشياء التي يتوقف حصولها على الأعمال لا تحصل وما لا يتوقف عليها بل يحصل بفضل الله ورحمته فقد يحصل وذلك من مراتب الترقى كما في شرح «الفصوص» للمولى الجامي قدس سره فقله تعالى: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٩] ليس معناه أن ما يحصل للإنسان مقصور على سعيه بل معناه ليس للإنسان إلا ما يمكن أن يكون بسعيه فما يمكن أن يكون بسعيه فهو بسعيه والباقي فضل من الله تعالى كالسعي في مرتبة الملك. وأما الملكوت فلا يمكن إلا بمحض فضل الله فلا مدخل فيه للسعي كما في «الواقعات المحمودية». فعلى العاقل أن يسعى في تحصيل البصيرة قبل أن يخرج من الدنيا ويكون من الذين يشاهدون الله تعالى في كل مرآة من المرايا، وفي «المثنوي»:

او بهشته سرفرو برده بچاه	اين جهان پر آفتاب ونور ماه
سربر آر ازچاه بنكر اي دنى	كه اكر حقست كو آن روشنى
تاتودر چاهى نخواهد برتوتافت	جمله عالم شرق و غرب آن نور يافت
كم ستيز اينجا بدان كاللج شوم	چه رها كن رو بايوان و كروم
خودچه بيند چشم اهل آب و كل	اي بسابيدار چشم و خفته دل
كربخسبد بر كشاید صد بصر	وانكه دل بيدار و دارد چشم سر
طالب دل باش و درپيكار باش	كرتو اهل دل نه بيدار باش
نيست غائب ناظرت از هفت و شش	وردلت بيدار شدمى خسب خوش
ليك كى خسبد دلم اندر وسن	كفت پيغمبركه خسبد چشم من
جان فداى خفتكان دل بصير	شاه بيدارست حارس خفته كير

﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ ذكروا في سبب نزول هذه الآية وجوهاً والأسلم ما في «تفسير الكواشي» من أن المشركين طلبوا من النبي عليه السلام أن يجعل آية رحمة مكان آية عذاب وبالعكس ويمس آلهتهم عند استلام الحجر ويطرد الضعفاء والمساكين عنه ونحو ذلك وأطمعوه في إسلامهم قالوا: فمال إلى بعض ذلك فنزل وإن هي المخففة من المشددة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية أي: أن الشأن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة بالاستئلال ويخدعوك. قال الكاشفي: [بكر دانند ترا] ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ من الأمر والنهي والوعد والوعيد ﴿لتفتري علينا﴾ أي: لتتخلق علينا ﴿غيره﴾ أي: غير الذي أوحينا إليك كما تقدم ﴿وإذا﴾ أي: ولو اتبعت أهواءهم وفعلت ما طلبوا منك ﴿لاتخذوك خليلاً﴾ أي: صديقاً وولياً وكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي.

﴿ولولا أن ثبتناك﴾ أي: ولولا تثبيتنا إياك على الحق وعصمتنا ﴿لقد كدت تركز إليهم شيئاً قليلاً﴾ من الركون الذي هو أدنى ميل فنصبه على المصدرية أي: لقاربت أن تميل إلى اتباع مرادهم شيئاً يسيراً من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتياليهم لكن أدركتك العصمة فمعتك من أن تقرب من أدنى مراتب الركون إليهم فضلاً عن نفس الركون وهو صريح في أنه عليه السلام ما هم بإجابتهم مع قوة الداعي إليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وعنايته. قال بعض الكبار: إنما سماه قليلاً لأن روحانية النبي عليه السلام كانت في أصل الخلقة غالبية على بشريته إذ لم يكن حينئذٍ لروحه شيء يحجب عن الله فالمعنى لولا التثبيت وقوة النبوة ونور الهداية وأثر نظر العناية لقد كدت تركز إلى أهل الأهواء هوى النفسانية لمنافع الإنسانية قدراً يسيراً لغلبة نور الروحانية وخمود نور البشرية.

﴿إذا﴾ لو قاربت أن تركز إليهم أدنى ركنة ﴿لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ أي: عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لأن خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذاباً ضعفاً في الحياة وعذاباً ضعفاً في الممات بمعنى مضاعفاً ثم حذف الموصوف وأقيمت مقامه الصفة وهو الضعف ثم أضيفت إضافة موصوفها ف قيل: ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لأذقناك أليم الحياة وأليم الممات. ﴿ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ يدفع عنك العذاب. [امام ثعلبي أورده كه بعد از نزول این آیت بحضرت فرمود، اللهم لا تكلني إلى نفسي ولو طرفة عين].

الهي برره خوددار مارا دمی بانفس ما مگذار مارا

﴿وإن كادوا﴾ أي: وإن الشأن قارب أهل مكة ﴿ليستفزونك﴾ يقال: استفزه أزعجه أي:

ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم وينزعونك بسرعة وفسر بعضهم الاستفزاز بالاستتلال بالفارسية [بلغزاند] ﴿من الأرض﴾ أي: الأرض التي أنت فيها وهي أرض مكة ﴿ليخرجوك منها﴾. إن قلت أليس أخرجوه بشهادة قوله تعالى: ﴿وَكَاذِبٌ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَةٍ الَّتِي أَخْرَجَكَ﴾ [محمد: ١٣] وقوله عليه السلام حين خرج من مكة متوجهاً إلى المدينة: والله إني لأخرج منك وإني لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت. قلت: لم يتحقق الإخراج بعد نزول هذه الآية ثم وقع بعده حيث هاجر عليه السلام بإذن الله تعالى وكانوا قد ضيقوه قبل الهجرة ليخرج كما قال الكاشفي: [أهل مكة در اخراج آنحضرت عليه الصلاة والسلام مشاورت کردند ورأی ایشان بران قرار گرفت كه در دشمنی بحد افراط نمایند كه آنحضرت بضرورت بیرون باید رفت این آیت نازل شد] ﴿وإذا﴾ أي: ولئن أخرجت ﴿لا يلبثون خلافاً﴾ أي: بعد إخراجك ﴿إلا قليلاً﴾ أي: إلا زماناً قليلاً وقد كان كذلك فإنهم أهلكوا بيدر بعد هجرته عليه السلام.

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رُسُلنا ولا نجد لِسُنِننا تحويلاً﴾ ﴿أَمِ الصَّلَاةُ لِلذَّكَاءِ الشَّمْسِ إِلَى

عَسَى اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا﴾ السنة العادة ونصبها على المصدرية أي: سن الله سنة وهي أن يهلك كل أمة أخرجت رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله تعالى وإضافتها إلى

الرسول لأنها سنت لأجلهم على ما ينطق به قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجِدْ لِسِتْنَا﴾ أي: لعادتنا بإهلاك مخرجي الرسول من بينهم ﴿تحويلاً﴾ أي: تغييراً وفيه إشارة إلى أن من سنة الله تعالى على قانون الحكمة القديمة البالغة في تربية الأنبياء والمرسلين أن يجعل لهم أعداء يبتليهم بهم في إخلاص إبريز جواهرهم الروحانية الربانية عن غش أو صافهم النفسانية الحيوانية وهذا الابتلاء لا يتبدل لأنه مبني على الحكمة والمصلحة والإرادة القديمة وما هو مبني عليها لا يتغير. قال بعض الكبار: أهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فإن خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو ترجع به إلى مولاك خير من حبيب يشغلك عن مولاك وكل بلاء سوط من سياط الله تعالى يسوق إلى حقيقة التوحيد ويقطع أسباب العلاقات فهو لذة في صورة الم، قال الحافظ:

بدرد وصاف تراحمك نیست دم درکش كه هرچه ساقیء ما كرد عین الطافست

واعلم أن النبي عليه السلام لم يتحرك لا في ظاهره ولا في باطنه إلا بتحريك الله تعالى فإلقاء أهل الفتنة لا يؤثر في باطنه المنور بفكر ما وميل لكن الله تعالى أشار إلى لزوم التحفظ والاحتياط في جميع الأمور فإن للإنسان أعداء ظاهرة وباطنة والصابر لا يرى إلا خيراً وهو زوال الابتلاء وهلاك الأعداء كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٦] وفي الحديث القدسي: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» أي: من أغضب وأذى واحداً من أوليائي وهم المتقون حقيقة التقوى فقد بارزني بالمحاربة لأن الولي ينصر الله فيكون الله ناصره فمن عادى من كان الله ناصره فقد برز لمحاربة الله وظهر.

﴿أقم الصلاة﴾ أدمها ﴿لدلوك الشمس﴾ أي: وقت زوالها أو غروبها يقال: دلكت الشمس دلوكاً غربت أو اصفرت ومالت أو زالت عن كبد السماء كما في «القاموس». ﴿إلى غسق الليل﴾ إلى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الأخيرة والغاسق الليل إذا غاب الشفق والمراد إقامة كل صلاة في وقتها المعين لا إقامتها فيما بين الوقتين على الاستمرار ﴿وقرآن الفجر﴾ أي: صلاة الفجر بالنصب عطفاً على مفعول أقم أو على الإغراء أي: الزم وسميت قرآناً لأنه ركنها كما تسمى ركوعاً وسجوداً فالآية تدل على تفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس ﴿إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ يشهده ويحضره ملائكة الليل وملائكة النهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار. يعني: [فرشتكان شب اورا مشاهده ميکنند ودر آخر ديوان اعمال شب ثبت می نمایند وملائكة روز اورا می بینند وافتتاح اعمال روز ثبت می کنند] وفي وقت الصباح أيضاً شواهد القدرة على تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو أخو الموت بالانتباه.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾

﴿ومن الليل﴾ نصب على الظرفية أي: قم بعض الليل ﴿فتهجد به﴾ أي: أزل والنوم الهجود وهو النوم فإن صيغة التفعّل تجيء للإزالة نحو تأثم أي: جانب الإثم وأزاله ويكون التهجد نوماً من الاضداد والضمير المجرور للقرآن من حيث هو لا بقيد إضافته إلى الفجر أو للبعض المفهوم من قوله ﴿ومن الليل﴾ أي: تهجد في ذلك البعض على أن الباء بمعنى في ﴿نافلة لك﴾ النفل في الأصل بمعنى الزيادة أي: فريضة زائدة على الصلوات الخمس

المفروضة خاصة بك دون الأمة كما روت عائشة رضي الله عنها «ثلاث علي فريضة وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل» أو تطوعاً لزيادة الدرجات بخلاف تطوع الأمة فإنه لتكفير الذنوب وتدارك الخلل الواقع في فرائضهم كما قال قتادة ومجاهد أن الوجوب قد نسخ في حقه عليه السلام كما نسخ في حق الأمة فصارت الأمور المذكورة نافلة لأن الله تعالى قال: ﴿نافلة لك﴾ ولم يقل عليك وانتصاب نافلة على المصدرية بتقدير تنفل ﴿عسى﴾ في اللغة للطمع والطمع والاشفاق من الله كالواجب. قال الكاشفي: [شاید والبتة چنین بود] ﴿أن يبعثك ربك﴾ من القبر فيقيمك ﴿مقاماً محموداً﴾ عندك وعند جميع الناس وهو مقام الشفاعة العامة لأهل المحشر يغبطه به الأولون والآخرون لأن كل من قصد من الأنبياء للشفاعة يحيد عنها ويحيل على غيره حتى يأتوا محمداً للشفاعة فيقول: أنا لها ثم يشفع فيشفع فيمن كان من أهلها [صاحب فتوحات آورده كه مقام محمود مقامیست مرجع جميع مقامات ومنظر تمام أسماء الهیة وأن خاصه حضرت محمد است وباب شفاعت درین مقام كشاده میشود].

اي ذات تودردو كون مقصود وجود نام تو محمد ومقامات محمود والآية رد على المعتزلة المنكرين للشفاعة زعموا أنها تبليغ غير المستحق للثواب إلى درجة المستحقين للثواب وذلك ظلم ولم يعلموا أن المستحق للثواب والعقاب من جعله الله لذلك مستحقاً بفضله وعدله ولا واجب لأحد على الله بل هو يتصرف في عبادته على حكم مراده فإن قالت المعتزلة: رويتم عن النبي عليه السلام: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي» فعلى هذا المستحق للشفاعة إنما هو من قتل النفس وزنى وشرب الخمر فإن أصحاب الكبائر هؤلاء وهذا إغراء ظاهر لخلق الله على مخالفة أوامره. فالجواب أنه ليس فيه إغراء وإنما فيه أن صاحب الكبائر مع قربته من عذاب الله واستحقاقه عقوبته تستدركه شفاعتي وتنجيه عنايتي وينقذه أرحم الراحمين بحرمتي ومكانتي ففيه مدح الرسول ﷺ نفسه بما له عند الله تعالى من الدرجة الرفيعة والوسيلة فإذا كان حكم صاحب الكبائر هذا فكيف ظنك بصاحب الصغيرة ودعواهم بأن يكون ظلماً قلت: أليس خلقه الله وخلق له القدرة على ارتكاب الكبائر ومكنه منها ولم يكن ذلك إغراء منه على ارتكاب الكبائر كذلك في حق الرسول ﷺ كذا في «الأسئلة المقحمة». وفي «المنثوي»:

كفت پیغمبرکه روز رستخیز	کی کذارم مجرمانرا اشک ریز
من شفیع عاصیان باشم بجان	تارهانم شان زاشکنجه کران
عاصیان وأهل کبائر رابجهد	وارهانم ازعتاب ونقض عهد
صالحان اتم خود فارغند	از شفاعتهاي من روز کزند
بلکه ایشانرا شفاعتها بود	کفت شان چون حکم نافذمی رود

ثم الآية ترغيب لصلاة التهجد وهي ثمان ركعات قالت عائشة رضي الله عنها: ما كان يزيد رسول الله ﷺ في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً وقال الشيخ عبد الرحمن البسطامي قدس سره في «ترويح القلوب»: إذا دخل الثلث الأخير من الليل يقوم ويتوضأ ويصلي التهجد ثنتي عشرة ركعة يقرأ فيها بما شاء وأراد من حزبه وكان عليه الصلاة والسلام يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر بخمس لا يجلس إلا في آخرهن انتهى وفي

الحديث: «أشرف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل».

دلا بر خيز و طاعت كن كه طاعت به زهركارست

سعادت آنكسى داردكه وقت صبح بيدارست

خروسان در سحر كوينده قم يا ايها الغافل

تو ازمستى نمى داني كسى داندكه هشيارست

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

إذا كثّر الطعام فحذروني فإن القلب يفسده الطعام

إذا كثّر المنام فنبهوني فإن العمر ينقصه المنام

إذا كثّر الكلام فسكتوني فإن الدين يهدمه الكلام

إذا كثّر المشيب فحرّكوني فإن الشيب يتبعه الحمام

وفي الخبر: «إذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فإن قعد وذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة أخرى وإن صلى ركعتين انحلت العقد كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح كسلان خبيث النفس» وليل القائم يتنور بنور عبادته كوجهه.

- يحكى - عن شاب عابد أنه قال: نمت عن وردي ليلة فرأيت كأنّ محرابي قد انشق وكأنني بجوار قد خرج من المحراب لم أر أحسن أوجهاً منهن وإذا واحدة فيهن شوهاء أي: قبيحة لم أر أقبح منها منظرأً فقلت: لمن أنتن ولمن هذه؟ فقلن: نحن لياليك التي مضين وهذه ليلة نومك فلو مت في ليلتك هذه لكانت هذه حظك. وكان بعض الصالحين يقوم الليل كله ويصلي صلاة الصبح بوضوء العشاء كأبي حنيفة رحمه الله ونحوه. قال بعضهم: لأن أرى في بيتي شيطاناً أحب إلي من أن أرى وسادة فإنها تدعو إلى النوم. وقال بعض العارفين إن الله يطلع على قلوب المستيقظين بالأسحار فيملأها نوراً فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾

﴿وقل رب ادخلني﴾ القبر ﴿مدخل صدق﴾ أي: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات ﴿وأخرجني﴾ منه عند البعث ﴿مخرج صدق﴾ أي: إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمناً من السخط يدل على هذا المعنى ذكره أثر البعث. فالمدخل والمخرج مصدران بمعنى الإدخال والإخراج بالإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة نحو حاتم الجود أي: إدخالاً يستأهل أن يسمى ادخالاً ولا يرى فيه ما يكره لأنه في مقابلة مدخل سوء ومخرج سوء وقيل المراد إدخال المدينة والإخراج من مكة فيكون نزولها حين أمر بالهجرة ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليستفزونك﴾ وقيل: إدخاله في كل ما يلابسه من مكان أوامر وإخراجه منه ورجح الأكثرون هذا الوجه فالمعنى حيثما أدخلتني وأخرجتني فليكن بالصدق مني ولا تجعلني ذا وجهين فإن ذا الوجهين لا يجوز أن يكون أميناً ﴿واجعل لي من لدنك﴾ من خزائن نصرتك ورحمتك ﴿سلطاناً﴾ برهاناً وقهراً ﴿نصيراً﴾ ينصرنى من أعداء الدين أو ملكاً وعزاً ناصراً للإسلام مظهراً له على الكفر فأجيب دعوته بقوله: والله يعصمك من الناس فإن حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الأرض ووعدّه لينزعن ملك فارس والروم فيجعل له وعنه عليه

السلام أنه استعمل عتاب بن أسيد على أهل مكة وقال: «انطلق فقد استعملتك على أهل الله» وكان شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: لا والله لا أعلم متخلفاً يتخلف من الصلاة في جماعة إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق فقال أهل مكة: يا رسول الله لقد استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقال عليه السلام: «إني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقها قلقاً شديداً حتى فتح له فدخلها» فأعز الله الإسلام لنصرتة المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٨١)

﴿وقل جاء الحق﴾ الإسلام والقرآن ﴿وزهق الباطل﴾ من زهق روحه إذا خرج أي: ذهب وهلك الشرك والشيطان:

ديو بكریزد ازان قوم كه قرآن خوانند

إمام قشيري قدس سره [فرموده حق آنست که برای خدای بود و باطل آنکه بغیر او باشد صاحب تأویلات بر آنست که حق وجود ثابت و اجبست عز شانه که ازلی و ابديست و باطل وجود بشری امکانی که قابل زوال و فناست و چون اشعه لمعات وجود حقانی ظاهر گردد وجود موهوم ممکن درجنب آن متلاشی و مضمحل شود].

همه هرچه هستند ازان کمترند که باهستیش نام هستی برند

چو سلطان عزت علم برکشد جهان سربجیب عدم درکشد

﴿إن الباطل﴾ کائناً ما كان ﴿كان زهوقاً﴾ أي: شأنه أن يكون مضمحلاً غير ثابت. عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل» فينكب لوجهه حتى ألقي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال: «يا علي ارم به» فصعد فرمي به فكسره.

﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٨٢) وَإِذَا أَعْمَنَا عَلَى

الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَا بَإِحْنَانٍ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (٨٣)

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء﴾ لما في الصدور من أدواء الريب وإسقام الأوهام ﴿ورحمة للمؤمنين﴾ به فإنهم ينتفعون به ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فإن كل القرآن في تقويم دين المؤمنين واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ أي: لا يزيد القرآن الكافرين المكذبين به الواضعين للأشياء في غير مواضعها مع كونه في نفسه شفاء من الأسقام إلا هلاكاً بكفرهم وتكذيبهم. وفيه إيماء إلى أن ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في أثناء الاهتداء والاسترشاد بمنزلة الأمراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك. وفيه تعجيب من أمره حيث يكون مداراً للشفاء والهلاك كبعض المطر يكون درا وسما باستعداد المحل وعدم استعداده، قال الحافظ:

كوهر پاك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك وكلى لؤلؤ ومرجان نشود

واعلم أن القرآن شفاء للمرض الجسماني أيضاً روي أنه مرض للأستاذ أبي القاسم القشيري قدس سره ولد مرضاً شديداً بحيث أيس منا فشق ذلك على الأستاذ فرأى الحق

سبحانه في المنام فشكا إليه فقال الحق تعالى: اجمع آيات الشفاء واقراها عليها واكتبها في إناء واجعل فيه مشروباً واسقه إياه ففعل ذلك فعوفي الولد وآيات الشفاء في القرآن ست ﴿وَيَشْفِ صُدُورٌ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ﴿وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]، ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، ﴿وَنُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]. قال تاج الدين السبكي رحمه الله في طبقاته: ورأيت كثيراً من المشايخ يكتبون هذه الآيات للمريض ويسقاه في الإناء طلباً للعافية وقوله عليه السلام: «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله» يشمل الاستشفاء به للمرض الجسماني والروحاني. قال الشيخ التميمي رحمه الله في «خواص القرآن»: إذا كتبت الفاتحة في إناء طاهر ومحيت بماء طاهر وغسل المريض وجهه عوفي بإذن الله فإذا شرب من هذا الماء من يجد في قلبه ثقلباً أو شكاً أو رجيفاً أو خفقاناً يسكن بإذن الله وزال عنه ألمه وإذا كتبت بمسك في إناء زجاج ومحيت بماء ورد وشرب ذلك الماء البليد الذي لا يحفظ يشربه سبعة أيام زالت بلادته وحفظ ما يسمع. فعلى العاقل أن يتمسك بالقرآن ويداوي به مرضه وقد ورد: «القرآن يدلکم علی دائکم ودوائکم أما داؤکم فذنوبکم وأما دواؤکم فالاستغفار» فلا بد من معرفة المرض أولاً فإنه ما دام لم يعرف نوعه لا تيسر المعالجة وأهل القرآن هم الذين يعرفون ذلك فالسلوك بالوسيلة أولى.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا﴾ [وچون أنعام کنیم ما] ﴿عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ بالصحة والسعة ﴿أَعْرَضَ﴾ [روى بكرداند از شکرم] ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾ [وبنفس خود دور شود وکرانه کیرد یعنی تکبر وتعظم نماید واز طریق حق برطرف گردد] فهو كناية عن الاستكبار والتعظم لأن نأى الجانب وتحويل الوجه من دیدن المستکبرین يقال: نأيته وعنه بعدت وكذا نأى ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيدان بأن الخبر مراد بالذات والشر ليس كذلك ﴿كَانَ يَأْوِسُ﴾ شديد اليأس من روح الله وفضله وهذا وصف للجنس باعتبار بعض أفرادهم ممن هو على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَوَّ دُعَاءَ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١] ونظائره فإن ذلك شأن بعض منهم.

﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾

﴿قل كل﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿يعمل﴾ عمله ﴿على شاكلته﴾ طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، يعني: [هرکس آن کند که از وسزد]:

هرکسی آن کند که وسایند

من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق التي تشعب منه. قال في «القاموس»: الشاكلة الشكل والناحية والنية والطريقة والمذهب ﴿فربكم﴾ الذي برأكم على هذه الطبائع المختلفة ﴿اعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أسد طريقاً وأبين منهاجاً أي: يعلم المهتدي والضال فيجازي كلاً بعمله. وفي الآية إشارة إلى أن الأعمال دلائل الأحوال، وفي «المنثوي»:

درزمین کرنیشکر ورخودنیست ترجمان هرزمین نبت ویست

فمن وجد نفسه في خير وطاعة وشكر فليحمد الله تعالى كثيراً ومن وجدها في شر وفسق وكفران ويأس فليرجع قبل أن يخرج الأمر من يده.

- روي - أن ملكاً صاحب زينة واسع المملكة كثير الخزينة اتخذ ضيافة وجمع أمراءه وأحضر ألوان الأطعمة والأشربة فلما أرادوا التناول إذا طرق رجل حلقة الباب بحيث تزلزل السرير فقال له الغلمان: ما هذا الحرص وسوء الأدب أيها الفقير اصبر حتى نأكل ونطعمك فقال: ما لي حاجة إلى طعامكم وإنما أريد الملك فقالوا: ما لك وللملك فطرق ثانياً أشد من الأول فقصدوا إليه بالسلاح فصاح صيحة وقال: مكانكم أنا ملك الموت جئت أقبض روح ملك دار الفناء فبطلت حواسهم وقواهم عن الحركة فاستمهل الملك فأبى فتأسف وقال: لعن الله المال فإنه غرني فاليوم خرجت صفر اليد وبقي نفعه للأعداء وحسابه وعذابه عليّ فأطلق الله المال فقال: لا تلعنني بل العن نفسك فإني كنت مسخراً لك وكنت مختاراً فالآن لم تترك الظلم لاعتيادك حتى تسب البريء والمذنب أنت ففي هذه الحكاية أمور:

الأول: أن الله تعالى أنعم على هذا الملك بالملك والمال والجاه والجلال فأعرض عن شكرها ولم يقيدها به، سعدي:

خردمند طبعان منت شناس بدوزند نعمت بمیخ سپاس
والثاني: أنه مسه الموت فكان يؤوساً من فضل الله حيث اشتغل باللعن والسب بدل التوبة والتوجه إلى الله تعالى والله تعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر، سعدي:

طریقی بدست آر وصلحی بجوی شفیعی برا نکیز وعذری بکوی
که یکلحظه صورت نبندد امان چون پیمانه پرشد بدور زمان
والثالث: أنه عمل على شاكلته فجوزي الشر إذ لم يكن له استعداد لغيره.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَدَّهَبَنَّ
بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلِيًّا وَكَيْلًا ٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ
عَلَيْكَ كَبِيرًا ٨٧﴾ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ٨٨﴾

﴿ويسألونك﴾ [أورده اندكه كفار عرب نصر بن حارث وأبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط را بمدينة فرستادن تا از يهود يثرب استفسار حال حضرت پیغمبر عليه السلام نمایند چون با ایشان ملاقات کرده احوال باز گفتند يهود متعجب شد گفتند اي صناديد عرب ما دانسته ایم که زمان ظهور پیغمبری نزدیکست واز سخنان شما راتحه احوال آن نبي استشمام ميتوان کرد شما بجهت آزمایش ازوپرسيدکه طواف مشرق ومغرب که کرده و احوال جوانان که در زمان پیشین کم شدند چگونه است وروح چیست اکرهرسه سؤال راجواب دهد يا هيچ کدام را جواب ندهد بدانيدکه او پیغمبر نیست واکر دوراجواب دهد وازروح هيچ نکويد پیغمبراست ایشان بمکه آمده مجلس ساختند وازان حضرت سؤال کردند آن دو سؤال را جواب داد ودر قصه روح اين آيت نازل شد﴾ ﴿ويسألونك﴾ أي: اليهود ﴿عن الروح﴾ الذي هو روح البدن الإنساني ومبدأ حياته سألوه عن حقيقته فأجيبوا بقوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي: من جنس ما استأثر الله بعلمه من الأسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر فالأمر واحد الأمور بمعنى الشأن والإضافة للاختصاص العلمي لا الإيجادي لاشتراك الكل فيه كذا في «الإرشاد». وقال البيضاوي من الإبداعات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء

جسده انتهى .

اعلم أن ما تعلق به الإيجاد ودخل تحت الوجود فإما أن يكون حصوله ووجوده لا من مادة ولا في مدة فهو المبدعات كالمجردات فهي موجودة من كل وجه بالفعل وليس لها حالة منتظرة الوجود وهي مظاهر للأسماء التي بحركة بعضها يتقدر الزمان وإما من مادة وفي مدة فهي المسميات بالمحدثات وهي العناصر والمركبات منها وإما في مدة لا من مادة فقليل لا وجود لهذا القسم لأن كل ما يتحصل في مدة لا بد وأن يكون من مادة إلا على قول من ذهب بحدوث النفس الناطقة عند حدوث البدن وهذه الأقسام الباقية مظاهر الأسماء المتغيرة الأحكام على الوجه الذي اطلع عليه أهل الله ذكره داود القيصري قدس سره . قال: حضرت شيخني وسندي روح الله روحه الطاهر في شرح تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره الخلق عالم العين والكون والحدوث روحاً وجسماً والأمر عالم العلم والاله والوجوب وعالم الخلق تابع لعالم الأمر إذ هو أصله ومبدؤه قل الروح من أمر ربي انتهى وسيجيء غير هذا ﴿وما أوتيتم﴾ أيها المؤمنون والكافرون كما في «تفسير الكواشي» ﴿من العلم إلا قليلاً﴾ لا يمكن تعلقه بأمثال ذلك أي: إلا علماً قليلاً تستفيدونه من طرق الحواس فإن اكتساب العقل للمعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات ولذلك قيل: من فقد حساً فقد علماً ولعل أكثر الأشياء لا يدركه الحس ولا شيئاً من أحوال المعرفة لذاته وهو إشارة إلى أن الروح مما لم يمكن معرفة ذاته إلا بعوارض تميزه عما يلتبس به . قال في «بحر العلوم» الخطاب في ﴿وما أوتيتم﴾ عام ويؤيده ما روي أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال: «بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً» فقالوا: ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وساعة تقول هذا فنزلت ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَةٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] وما قالوه باطل مردود فإن علم الحادث في جنب علم القديم قليل إذ علم العباد متناه وعلم الله لا نهاية له والمتناهي بالنسبة إلى غير المتناهي كقطرة بالإضافة إلى بحر عظيم لا غاية له . قال بعض الكبار: علم الأولياء من علم الأنبياء بمنزلة قطرة من سبعة أبحر وعلم الأنبياء من علم نبينا محمد عليه السلام بهذه المثابة وعلم نبينا من علم الحق سبحانه بهذه المنزلة فالعلم الذي أوتيته العباد وإن كان كثيراً في نفسه لكنه قليل بالنسبة إلى علم الحق تعالى: [شيخ أبو مدين مغربي قدس سره فرمودكه اين اندكى كه خدای تعالى داده است از علم نه ازان ماست بلکه عاريتست نزديك ما وبسياري آن برسیده ايم پس على الدوام جاهلاً نيم وجاهل را دعوى دانش نرسد] قال المولى الجامي:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمت وألهمت لنا الهاما

قال في «الكواشي»: اختلفوا في الروح وماهيته ولم يأت أحد منهم على دعواه بدليل قطعي غير أنه شيء بمفارقة يموت الإنسان وبملازمته له يبقى انتهى . يقول الفقير: الروح سلطاني وحيواني والأول من عالم الأمر ويقال له المفارق أيضاً لمفارقتها عن البدن وتعلقه به تعلق التدبير والتصرف وهو لا يفنى بخراب هذا البدن وإنما يفنى تصرفه في أعضاء البدن ومحل تعينه هو القلب الصنوبري والقلب من عالم الملكوت والثاني من عالم الخلق ويقال له: القلب والعقل والنفس أيضاً وهو سار في جميع أعضاء البدن إلا أن سلطانه قوي في الدم فهو

أقوى مظاهره ومحل تعينه هو الدماغ وهو إنما حدث بعد تعلق الروح السلطاني بهذا الهيكل المحسوس فهو من انعكاس أنوار الروح السلطاني وهو مبدأ الأفعال والحركات فإن الحياة أمر مغيب مستور في الحي لا يعلم إلا بآثاره كالحس والحركة والعلم والإرادة وغيرها ولولا هذا الروح ما صدر من الإنسان ما صدر من الآثار المختلفة لأنه بمنزلة الصفة من الذات فكما أن الأفعال الإلهية تبني على اجتماع الذات بالصفة كذلك الأفعال الإنسانية تنفرد من اجتماع الروح السلطاني بالروح الحيواني وكما أن الصفات الإلهية الكمالية كانت في باطن غيب الذات الأحدية قبل وجود هذه الأفعال والآثار كذلك هذا الروح الحيواني كان بالقوة في باطن الروح السلطاني قبل تعلقه بهذا البدن فإذا عرفت هذا وقفت على معنى قوله عليه السلام: «أولياء الله لا يموتون بل ينقلون من دار إلى دار» لأن الانتقال كالانسلاخ حال الفناء التام. وللروح خمسة أحوال:

حالة العدم: قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ [الإنسان: ١] الآية.
وحالة الوجود في عالم الأرواح قال الله تعالى: «خلقت الأرواح قبل الأجساد بألفي سنة».

وحالة التعلق: قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].
وحالة المفارقة: قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
وحالة الإعادة: قال: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١].
أما فائدة حالة العدم فلحصول المعرفة بحدوث نفسه وقدم صانعه.
وأما فائدة حالة الوجود في عالم الأرواح فلمعرفة الله بالصفات الذاتية من القادرية والحياتية والعالمية والموجودية والسمعية والبصيرية والتمكلمية والمريدية.
وأما فائدة تعلقه بالجسد فلاكتساب كمال المعرفة في عالم الغيب والشهادة من الجزئيات والكمليات.

وأما فائدة نفخ الروح في البدن فلحصول المعرفة بالصفات الفعلية من الرزاقية والتوابع والغفارية والرحمانية والرحيمية والمنعمية والمحسنية والوهابية.
وأما فائدة حالة المفارقة فلدفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام ولشرب الذوق في مقام العندية.
وأما فائدة حالة الإعادة فلحصول التمتع الأخرى.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الله تعالى خلق العوالم الكثيرة ففي بعض الروايات خلق ثلاثمائة وستين ألف عالم ولكنه جعلها محصورة في عالمين اثنين وهما الخلق والأمر كما قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] فعبّر عن عالم الدنيا وما يدرك بالحواس الخمس الظاهرة وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس بالخلق وعبر عن عالم الآخرة وهو ما يدرك بالحواس الخمس الباطنة وهي العقل والقلب والسر والروح والخفي بالأمر فعالم الأمر هو الأوليات العظام التي خلقها الله تعالى للبقاء من الروح والعقل والقلم واللوح والعرش والكرسي والجنة والنار ويسمى عالم الأمر أمراً لأنه أوجده بأمر كن من لا شيء بلا واسطة شيء كقوله: ﴿خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلِ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئاً﴾ [مریم: ١] ولما كان أمره قديماً فما كَوْنُ بالأمير القديم وإن كان حادثاً كان باقياً وسمي عالم الخلق خلقاً لأنه أوجده بالوسائل من شيء كقوله:

﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فلما أن الوسائط كانت مخلوقة من شيء مخلوق سماه خلقاً خلقه الله للفناء فتبين أن قوله: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ إنما هو لتعريف الروح معناه أنه من عالم الأمر والبقاء لا من عالم الخلق والفناء وأنه ليس للاستبهام كما ظن جماعة أن الله تعالى أبهم علم الروح على الخلق واستأثره لنفسه حتى قالوا: إن النبي عليه السلام لم يكن عالماً به جل منصب حبيب الله عن أن يكون جاهلاً بالروح مع أنه عالم بالله وقد من الله عليه بقوله: ﴿وَعَلَّمَكُمَا مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُونَ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] احسبوا أن علم الروح مما لم يكن يعلمه ألم يخبر أن الله علمه ما لم يكن يعلم فأما سكوته عن جواب سؤال الروح وتوقفه انتظاراً للوحي حين سأله اليهود فقد كان لغموض يرى في معنى الجواب ودقة لا تفهمها اليهود لبلادة طباعهم وقساوة قلوبهم وفساد عقائدهم فإنه وما يعقلها إلا العالمون وهم أبواب السلوك والسائرون إلى الله فإنهم لما عبروا عن النفس وصفاتها ووصلوا إلى حريم القلب عرفوا النفس بنور القلب ولما عبروا بالسر عن القلب وصفاته ووصلوا إلى مقام السر عرفوا بعلم السر القلب وإذا عبروا عن السر ووصلوا إلى عالم الروح عرفوا بنور الروح السر وإذا عبروا عن عالم الروح ووصلوا إلى منزل الخفي عرفوا بشواهد الحق الروح وإذا عبروا عن منزل الخفي ووصلوا إلى ساحل بحر الحقيقة عرفوا بأنوار صفات مشاهدات الجميل الخفي وإذا فنوا بسطوات تجلي صفات الجلال عن أنانية الوجود ووصلوا إلى لجة بحر الحقيقة كوشفوا بهوية الحق تعالى وإذا استغرقوا في بحر الهوية وأبقوا ببقاء الألوهية عرفوا الله بالله فإذا كان هذا حال الولي فكيف حال من يقول: علمت ما كان وما سيكون.

واعلم أن الروح الإنساني وهو أول شيء تعلق به القدرة جوهره نورانية ولطيفة ربانية من عالم الأمر وعالم الأمر هو الملكوت الذي خلق من لا شيء وعالم الخلق هو الملك الذي خلق من شيء كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وما خلق الله من شيء والعالم عالمان يعبر عنهما بالدنيا والآخرة والملك والملكوت والشهادة والغيب والصورة والمعنى والخلق والأمر والظاهر والباطن والأجسام والأرواح ويراد بهما ظاهر الكون وباطنه فثبت بالآية أن الملكوت الذي هو باطن الكون خلق من لا شيء إذ ما عداه من الملك خلق من شيء وأما قوله ﷺ: «أول ما خلق الله جوهرية» «وأول ما خلق الله روعي» «وأول ما خلق الله العقل. وأول ما خلق الله القلم». وقول بعض الكبراء من الأئمة: إن أول المخلوقات على الإطلاق ملك كروبي يسمى العقل وهو صاحب القلب وتسميته قلماً كتسمية صاحب السيف سيفاً كما قيل لخالد بن وليد رضي الله عنه سيف الله وهو أول لقب في الإسلام وقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبا: ٣٨] وقد جاء في الخبر «إن الروح ملك يقوم صفّاً» فلا يبعد أن يكون هذا الملك العظيم الذي هو أول المخلوقات هو الروح النبوي فإن المخلوق الأول مسمى واحد وله أسماء مختلفة فبحسب كل صفة فيه سمي باسم آخر ولا ريب أن أصل الكون كان النبي عليه السلام لقوله: «لولاك لما خلقت الكون» فهو أولى أن يكون أصلاً وما سواه أولى أن يكون تبعاً له لأنه كان بالروح بذر شجرة الموجودات فلما بلغ أشده وبلغ أربعين سنة كان بالجسم والروح ثمرة شجرة الموجودات وهي سدرة المنتهى فكما أن الثمرة تخرج من فرع الشجرة كان خروجه إلى قاب قوسين أو أدنى ولهذا قال: «نحن الآخرون السابقون» يعني: الآخرون بالخروج كالثمرة والسابقون بالخلق كالبذر فيلزم من ذلك أن يكون

روحه ﷺ أول شيء تعلق به القدرة وأن يكون هو المسمى بالأسماء المختلفة فباعتبار أنه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة كما جاء في الخبر «أول ما خلق الله جوهره» وفي رواية «درة فنظر إليها فذابت فخلق منها كذا وكذا» وباعتبار نورانيته سمي نوراً وباعتبار وفور عقله سمي عقلاً وباعتبار غلبات الصفات الملكية عليه سمي ملكاً وباعتبار أنه صاحب القلم سمي قلماً وكيف يظن به عليه السلام أنه لم يكن عارفاً بالروح والروح هو نفسه وقد قال: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» والأرواح كلها خلقت من روح النبي ﷺ وأن روحها أصل الأرواح ولهذا سمي أمياً أي: أنه أم الأرواح فكما كان آدم عليه السلام أبا البشر كان النبي عليه السلام أبا الأرواح وأمها كما كان آدم أباً وحوا أمها وذلك أن الله تعالى لما خلق روح النبي عليه السلام كان الله ولم يكن معه شيء إلا روحه وما كان شيء آخر حتى ينسب روحه إليه أو يضاف إليه غير الله فلما كان روحه أول باكورة أثمرها الله تعالى بإيجاده من شجرة الوجود وأول شيء تعلق به القدرة شرفه بتشريف إضافته إلى نفسه تعالى فسماه روحي كما سمي أول بيت من بيوت الله وضع للناس وشرفه بالإضافة إلى نفسه فقال له بيتي ثم حين أراد أن يخلق آدم سواه ونفخ فيه من روحه أي: من الروح المضاف إلى نفسه وهو روح النبي ﷺ كما قال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] فكان روح آدم من روح النبي عليه السلام بهذا الدليل وكذلك أرواح أولاده لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا سُلَاسِمًا مِنْ مَلَأُوهُمُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿ثُمَّ سَوَّيْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [السجدة: ٩٨] وقال في عيسى ابن مريم عليه السلام: «ونفخنا فيه من روحنا» فكانت النفخة لجبريل وروحها من روح النبي عليه السلام المضاف إلى الحضرة وهذا أحد أسرار قوله: «آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة» ثم قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ راجع إلى اليهود الذين سألوا النبي عليه السلام عن الروح يعني أنكم سألتُموني وقد أجبْتُكم أنه من أمر ربي ولكنكم ما تفقهون كلامي لأنني أخبركم عن عالم الآخرة وعن الغيب وأنتم أهل الدنيا والحس وعلمها قليل بالنسبة إلى الآخرة وعلمها فإنكم عن علمها غافلون كقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] انتهى ما في «التأويلات» باختصار.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ اللام الأولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد جوابي القسم والشرط والمعنى والله إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحواه من المصاحف والصدور فلم نترك منه أثراً وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب وهذا الكلام وارد على سبيل الفرض والمحال يصح فرضه لغرض فكيف ما ليس بمحال ﴿ثم لا تجد لك به﴾ بالقرآن أي: بعد ذهابه كما قال الكاشفي: [پس نیابی تو برای خود بآن یعنی نیابی بعد از بردن آن] ﴿علينا وكيلا﴾ [وكيلي كه آنرا استرداد بر ما كند و بسينها و مصحفها باز آرد] وعلينا متعلق بوكيلاً.

﴿إلا رحمة من ربك﴾ إلا أن يرحمك ربك فإرد عليك كأن رحمته تتوكل عليك بالرد فلاستثناء متصل. وقال الكاشفي: [ليكن رحمتست از پروردگار توكه آنرا باقي ميكذارد ومحو نمى كند] فلاستثناء منقطع. وفي «الكواشي» إلا رحمة مفعول له أي: حفظناه عليك للرحمة ثم قال: وهذا خطاب له عليه السلام والمراد غيره ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ بإرسالك وإنزال الكتاب عليك وإبقائه في حفظك. قال الكاشفي: [بدرستی كه فضل اوست بر تو بزرگ

كه تراسيد ولد آدم ساخته و ختم پيغمبران كردانيد ولواء حمد ومقام محمود بتوداد وقرآن بتو فرستاده درميان امت نوباقی ميگذارد ومحو نمی سازد[.

﴿قُلْ﴾ للذين لا يعرفون جلاله قدر التنزيل بل يزعمون أنه من كلام البشر ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن﴾ أي: اتفقوا ﴿على أن يأتيوا﴾ [ييارند] ﴿بمثل هذا القرآن﴾ في البلاغة وكمال المعنى وحسن النظم والاخبار عن الغيب وفهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق وتخصيص الثقلين بالذكر لأن التحدي معهما لا مع الملائكة إذ المنكر لكونه من عند الله منهما لا من غيرهما وإلا فلا يقدر على إتيان مثله إلا الله تعالى وحده. وفي «عين الحياة» لفظ الجن يتناول الملائكة وكل من لم يدركه حس البصر لأنهم مستورون عن البصر يقال جن بترسه إذا ستر به ولذا قيل للترس المجن. وفي «بحر العلوم» ذكر الإنس والجن دون الملائكة إشارة إلى أن من شأن الثقلين أن يجتمعوا على المحال بخلاف الملائكة إذ ليس من شأنهم ذلك ﴿لا يأتون بمثله﴾ بكلام مماثل له في صفاته البديعة وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة وساد مسد جزاء الشرط ولولاها لكان جواباً له بغير جزم لكون الشرط ماضياً.

قال في «التأويلات النجمية»: وإنما قال: لا يأتون بمثله لأنه ليس لكلام الله تعالى مثل إذ كلامه صفته وكما أنه ليس لذاته مثل فكذلك ليس لصفاته مثل لأنها قديمة قائمة بذاته تبارك وتعالى وصفات المخلوقات مخلوقة قابلة للتغيير والفناء ﴿ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ مظاهراً ومعاوناً في الإتيان بمثله أي: لم يكن بعضهم ظهيراً لبعض ولو كان إلخ.

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ بِكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا﴾ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعَنْبٌ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ ﴿٩١﴾

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: بالله قد رددناه وكررناه بوجوه مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ووکاده رسوخ واطمئنان ﴿للناس في هذا القرآن﴾ المنعوت بالنعوت الفاضلة ﴿من كل مثل﴾ من كل معنى بديع هو كالمثل في الغرابة والحسن واستجلاب النفس ليتلقوه بالقبول ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ جحوداً وإنكاراً للحق وإنما جاز الاستثناء من الموجب مع أنه لا يصح ضربت إلا زبداً لأنه متأول بالنفي مثل لم يرد ولم يرض وما قبل وما اختار. وفي الآية فوائد:

منها: أن القرآن العظيم أجل النعم وأعظمها فوجب على كل عالم وحافظ أن يقوم بشكره ويحافظ على أداء حقوقه قبل أن يخرج الأمر من يده. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن أول ما تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا نعلم أبناءنا ويعلم أبناءنا أبناءهم فقال يسري عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب تعالى: ما لك؟ فيقول: يا رب أتلى ولا يعمل بي أتلى ولا يعمل بي وفي الحديث: «ثلاثة هم الغرباء في الدنيا القرآن في جوف الظالم والرجل الصالح في قوم سوء والمصحف في بيت لا يقرأ منه»، قال الشيخ سعدي:

علم چندانکه بیشتر خوانی چون عمل نیست نادانی
نه محقق بود نه دانشمند چار پایی برو کتاب چند
آن تهی مغز را چه علم و خبر که برو هیزمست و یا دفتر
وقال:

عالم اندرمیان جاهل را مثلی گفته اند صدیقان
شاهدی درمیان کورانست مصحفی درسیان زندیقان
ومنها: أنه ليس في استعداد الإنسان ولا في مخلوق غيره أن يأتي بكلام جامع مثل كلام الله تعالى له عبارة في غاية الجزالة والفصاحة وإشارة في غاية الدقة والحذاقة ولطائف في غاية اللطف والنظافة وحقائق في غاية الحقية والنزاهة. قال جعفر بن محمد الصادق - رضي الله عنهما - عبارة القرآن للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء، وفي «المنثوي»:

خوش بیان کرد آن حکیم غزنوی بهر محجوبان مثال معنوی
که زقرآن کرنه بیند غیر قال این عجب نبود ز اصحاب ضلال
کز شعاع آفتاب پر ز نور غیر کرمی می نیابد چشم کور
تو زقرآن ای پسر ظاهر مبین دیو آدم را نبیند جز که طین
ظاهر قرآن چو شخص آدمیست که نقوشش ظاهر وجانش خفیست
اعلم أن القرآن غير مخلوق لأنه صفة الله تعالى وصفاته بأسرها أزلية غير مخلوقة. قال أبو حنيفة رحمه الله: فمن قال إنها مخلوقة أو وقف فيها أو شك فيها فهو كافر بالله وما ذكر من الوجوه الدالة على حدوث اللفظ فهو غير المتنازع فيه عند الأشعرية والمنصورية أيضاً كمن قال بأن كلامه تعالى حرف وصوت يقومان بذاته ومع ذلك قديم وأعجب من هذا قولهم الجدل والعلاقة قديمان أيضاً. وفي «الفتوحات المكية»: قدس الله سر مصدرها أن المفهوم من كون القرآن حروفاً أمران الأمر الواحد يسمى قولاً وكلاماً ولفظاً والأمر الآخر يسمى كتابة ورقماً وخطاً والقرآن يخط فله حروف الرقم وينطق به فله حروف اللفظ فهل يرجع كونه حروفاً منطقاً بها لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه؟.

فاعلم أنه قد أخبرنا نبيه ﷺ أنه سبحانه يتجلى في يوم القيامة بصور مختلفة فيعرف وينكر فمن كان حقيقته تقبل التجلي لا يبعد أن يكون الكلام بالحروف المتلفظ بها المسماة كلاماً لبعض تلك الصور كما يليق بجلاله وكما تقول تجلى في صورة كما يليق بجلاله كذلك تقول تكلم بحرف وصوت كما يليق بجلاله وقال رضي الله عنه بعد كلام طويل فإذا تحققت ما قررناه يثبت أن كلام الله هو هذا المتلو المسموع المتلفظ به المسمى قرآناً توراة وزبوراً وإنجيلاً انتهى. قال بعضهم: كلام الله عين المتكلم في رتبة ومعنى قائم به في أخرى كالكلام النفسي وأنه مركب من الحروف ومتعين بها في عالمي المثال والحس يحس بهما.

ومنها: أن أكثر الناس لا يعرفون قدر النعم الإلهية ولا يتنبهون للتنبيهات الربانية فواحد من الألف للجنة وبعث الباقي إلى النار وهم الجهلاء الذين أعرضوا عن الحق وتعلمه، وفي «المنثوي»:

پند کفتن باجهول خوابناک تخم افکنندن بوددر شوره خاک
چاک حمق و جهل نپذیرد رفو تخم حکمت کم دهش ای پندکو

﴿وقالوا﴾ قال الإمام الواحدي في «أسباب النزول»: روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البخثري والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصّموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك اجتمعوا لك ليكلّموك فجاءهم سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بداء وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ويعز عليه عتبهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفّهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي أمر قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جثت بهذا تطلب به مالاً جعلنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن الرئي بذلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون ما جثتكم بما جثتكم به لطلب أموالكم ولا للشرف فيكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن تقبلوا مني ما جثتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم» قالوا: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك فليسر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا أو يبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا ما مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخاً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فإن صنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول فقال رسول الله ﷺ: «ما بهذا بعثت إنما جثتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله» قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة ويغنيك بها عما سواك فإنك تقوم في الأسواق وتلتمس المعاش فقال عليه السلام: «ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً» قالوا: سلّه أن يسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال عليه السلام: «ذلك إلى الله تعالى إن شاء فعل» وقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلاً وقام عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمه النبي عليه السلام ثم أسلم بعد وحسن إسلامه فقال: لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتينا وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا لما فاته من متابعة قومه لما رأى من مبادئهم عنه فأنزل الله تعالى .

﴿وقالوا﴾ أي: مشركو مكة ورؤساؤهم ﴿لن نؤمن لك﴾ لن نعترف لك يا محمد بنبوتك ورسالتك ﴿حتى تفجر لنا﴾ [تا وقتي كه روان سازى براى ماء] ﴿من الأرض﴾ أرض مكة ﴿ينبوعا﴾ [چشمه پر آب هرگز كم نكردد] فالينبوع العين الكثيرة الماء ينبع ماؤها ولا يغور ولا ينقطع .

﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ﴾ بستان یستر أشجاره ما تحتها من العرصة ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ از درختان خرما وانکور یعنی مشتمل بران درختان] وهما اسم جمع لنخلة وعنبه ﴿فَتَفْجَرُ الْأَنْهَارُ﴾ أي: تجريها بقوة ﴿خِلَالِهَا﴾ [درمیان آن بستانها] قال في «القاموس» خلال الدار ما حوالی جدورها وما بین بیوتها وخلال السحاب مخارج الماء ﴿تَفْجِيرًا﴾ كثيراً والمراد إما إجراء الأنهار خلالها عند سقيها أو إدامة إجرائها كما ينبىء عنه الفاء لا ابتداءه.

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ ﴿٣٦﴾ أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُخْرِكَ حَتَّىٰ تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿٣٧﴾

﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ جمع كسفة كقطع وقطعة لفظاً ومعنى حال من السماء والكاف في كما في محل النصب على أنه صفة مصدر محذوف أي: إسقاطاً مائلاً لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [سبا: ٩] ﴿أَوْ تَأْتِيَ﴾ [ياياري] ﴿بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾ مقابلاً كالعشير والمعاشر كما قال الكاشفي: [در مقابله یعنی عیان نمایی انتهى] أو كقبلاً يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدالتها عليها أي: والملائكة قبلاً.

﴿أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ﴾ من ذهب وأصله الزينة. قال الكاشفي [خانه از زرکه در انجا بنشینی واز درویشی یا زهری] ﴿أَوْ تَرْقَى﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ في معارجها فحذف المضاف يقال رقي في السلم وفي الدرجة كرضي رقياً أي: صعد وعلا صعوداً وعلواً ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَبِّكَ﴾ أي: لأجل ربيك فيها وحده أي: صعودك فاللام للتعليل أو لن نصدق ربيك فيها فاللام صلة ﴿حَتَّىٰ تُنْزِلَ﴾ منها ﴿عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿نَقْرُؤُهُ﴾ نحن من غير أن يتلقى من قبلك وكانوا يقصدون بمثل هذه الاقتراحات اللج والعناد ولو كان مرادهم الاسترشاد لكفاهم ما شاهدوا من المعجزات ﴿قُلْ﴾ تعجباً من شدة شكيمتهم واقتراحهم وتنزيهاً لساحة السبحان ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ [پاکست پروردگار من از آنکه بروی تحكم کند کسی یا شریک او شود در قدرت] ﴿هَلْ كُنْتُ﴾ [آیا هستم من] ﴿إِلَّا بَشَرًا﴾ لا ملكاً حتى يتصور مني الترقى في السماء ونحوه ﴿رَسُولًا﴾ مأموراً من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير أن يكون لي خيرة في الأمر كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله على أيديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم تكن الآيات إليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله بشيء منها وقوله بشراً خبر كنت ورسولاً صفته وفيه إشارة إلى أنهم أرباب الحس الحيواني يطلبون الإعجاز من ظاهر المحسوسات ما لهم بصيرة يبصرون بها شواهد الحق ودلائل النبوة وإعجاز عالم المعاني بالولاية الروحانية والقرة الربانية فيطلبون فيه تزكية النفوس وتصفية القلوب وتحلية الأرواح وتفجير ينابيع الحكمة من أرض القلوب لينبت منها تخيل المشاهدات وأعنان المكاشفات في جنات المواصلات. فعلى السالك الصادق أن يطلب الوصول إلى عالم المعنى فإنه هو المطلب الأعلى ولن يصل إليه إلا بقدمي العلم والعمل والرجوع إلى حالة التراب بالتواضع قال عيسى عليه السلام: أين تنبت الحبة؟ قالوا: في الأرض فقال عيسى: كذلك الحكمة لا تنبت إلا في قلب مثل الأرض يشير إلى التواضع ورفع الكبر وإلى هذا الإشارة بقول سيد البشر ﷺ: «ظهرت ينابيع الحكمة

من قلبه على لسانه» والينابيع لا تكون إلا في الأرض وهو موضع نبع الماء وهذا المقام إنما يحصل بترك الرياسة وهو بمعرفة النفس وعبوديتها فلا يجتمع العبودية والرياسة أبداً فإن واحداً لا يصير سلطاناً ورعية معاً وإلى هذا يشير المولى الجامي بقوله:

بالباس فقر بايد خلعت شاهى درست زشت باشد جامه نيمى اطلس نيمى پلاس
فانظر في هذه الآيات إلى سوء أدب المشركين بالاقتراعات المنقولة عنهم وإلى كمال الأدب المحمدي والفناء الأحمدي وترك الاعتراض.

- حكي - أن ليلى لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلى تحبك فقد كسرت إناءك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر يعني: أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء فالطالب لا يصل إلى مقصوده إلا بعد إفناء وجوده.

خمير مایه هرنیک وبدتویی جامی خلاص ازهمه می بابت زخود بکریز
فالعاقل يسعى في إفناء الوجود واستجلاب الشهود ويجهد في تطهير القلب عن الإدناس ولا يأنس بشيء سوى ذكر رب الناس. وقال الإمام الغزالي رحمه الله: لا يبقى مع العبد عند الموت إلا ثلاث: صفات صفاء القلب أعني طهارته عن أدناس الدنيا وأنسه بذكر الله تعالى وحبه لله وصفاء القلب وطهارته لا يكون إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الذكر والفكر وهذه الصفات الثلاث هي المنجيات.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ﴾ (٩٤) قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ﴾ (٩٥) قُلْ كَفَىٰ بِإِلَهِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۖ﴾ (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى ۖ وَبَكَاءُ وَصُفًا مَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۖ﴾ (٩٧)

﴿وما منع الناس﴾ أي: قريشاً من ﴿أن يؤمنوا﴾ بالقرآن وبالنبوة ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وقت مجيء الوحي ظرف لمنع أو يؤمنوا ﴿إلا أن قالوا﴾ إلا قولهم ﴿أبعث الله بشراً﴾ حال من ﴿رسولاً﴾ منكرين أن يكون رسول الله من جنس البشر فالمانع هو الاعتقاد المستلزم لهذا القول.

﴿قل﴾ جواباً لشبهتهم ﴿لو كان﴾ لو وجد واستقر ﴿في الأرض﴾ بدل البشر ﴿ملائكة﴾ يمشون على أقدامهم كما يمشي الناس ولا يطفرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه ﴿مطمئنين﴾ ساكنين فيها قارين ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً﴾ حال من ﴿رسولاً﴾ ليبين لهم ما يحتاجون إليه من أمور الدنيا والدين لأن الجنس إلى الجنس يميل ولما كان سكان الأرض بشراً وجب أن يكون رسولهم بشراً ليتمكن الإفادة والاستفادة وهم جهلوا أن التجانس يورث التوائس والتخالف يوجب التنافر.

أو بشر فرمود وخوردا مثلکم تا بجنس آیندوكم کر دندوكم
زانکه جنسیت عجائب جاذبیست جاذب جنست هر جاطا لبيست
﴿قل كفى بالله﴾ وحده ﴿شهيداً﴾ على أنني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبت

وعاندتم ﴿بيني وبينكم﴾ لم يقل بيننا تحقيقاً للمفارقة ﴿إنه كان بعباده﴾ من الرسل والمرسل إليهم ﴿خبيراً بصيراً﴾ محيطاً بظواهر أحوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك. وفيه تسلية له عليه السلام وتهديد للكافرين. وفي الآية إشارة إلى أن الجهلاء يستبعدون إرسال الإنسان الكامل من أبناء جنسهم ويحسبون أن الملائكة أعلى درجة منه مع ما جعله الله مسجوداً للملائكة وأودع فيه من سر الخلافة ولو كان الملك مستأهلاً للخلافة في الأرض لكان الله نزل رسولاً من الملائكة وهو شاهد بأنه مستعد للرسالة والخلافة والملك.

﴿ومن يهد الله﴾ ابتداء كلام ليس بداخل تحت الأمر أي: يخلق فيه الاهتداء إلى الحق. قال الكاشفي: [وهر كراره نمايد خدای تعالی یعنی حکم کند بهدایت او وتوفیق] ﴿فهو المهتد﴾ لا غير ﴿ومن يضل﴾ أي: يخلق فيه الضلال بسوء اختياره. قال الكاشفي [وهر کرا کمراه سازد یعنی حکم فرماید بضلالت او وفرو کذا رد اورا] ﴿فلن تجد لهم﴾ أشار بالتوحيد في جانب الهداية إلى وحدة طريق الحق وقلة سالكيه وبالجمع في جانب الضلال إلى تعدد سبل الباطل وكثرة أهله ﴿أولياء﴾ كائنين ﴿من دونه﴾ تعالى فهو في موقع الصفة ويجوز أن يكون حالاً كما في «بحر العلوم» أي: أنصاراً يهدونهم إلى طريق الحق ويدفعون عنهم الضلالة وفي الحديث: «إنما أنا رسول وليس إلي من الهداية شيء ولو كانت الهداية إلي لآمن كل من في الأرض وإنما إبليس مزين وليس له من الضلالة شيء ولو كانت الضلالة إليه لأضل كل من في الأرض ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء»، قال الحافظ:

مكن بجشتم حقارت نكاه برمن مست كه نيست معصيت وزهد بی مشيت او
﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ كائنين ﴿على وجوههم﴾ سحياً أو مشياً فإن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم ﴿عمياً﴾ حال من ضمير وجوههم وهو جمع أعمى ﴿وبكماء﴾ جمع أبكم وهو الأخرس ﴿وصماً﴾ جمع أصم من الصمم محركة وهو انسداد الأذن وثقل السمع. إن قيل ما وجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقوله: ﴿رَوَّاءَ الْمُجْرِئُونَ النَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣] وقوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، قلت: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: معنى الآية لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ولا يستمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا في الدنيا لا يستبصرون بالآيات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يستمعون. وقال مقاتل: هذا إذا قيل لهم احسأوا فيها ولا تكلمون فيصيرون بأجمعهم صماً بكماء عمياً نعوذ بالله من سخطه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ونحشرهم﴾ إلخ لأنهم كانوا يعيشون في الدنيا مكبين ﴿على وجوههم﴾ في طلب السفليات في الدنيا وزخارفها وشهواتها ﴿عمياً﴾ عن رؤية الحق ﴿وبكماء﴾ من قول الحق ﴿وصماً﴾ عن استماع الحق وذلك لعدم إصابة النور المرشوش على الأرواح ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْيُنٌ﴾ [الإسراء: ٧٢] الآية وقال ﷺ: «يموت الإنسان على ما عاش ويحشر على ما مات عليه» ﴿وأواهم﴾ منزلهم ومسكنهم والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً كان أو نهاراً ﴿جهنم﴾ خبر مأواهم والجملة استئناف ﴿كلما خبت﴾ يقال: خبت النار والحرب والحدة خبواً وخبواً سكنت وطفئت كما في «القاموس» ﴿زدناهم سعيراً﴾ [بيفزايم برای ايشان آتش سوزان يابر افروزيم آتش را] أي: كلما سكن لهيبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار زدناهم توقداً بأن بدلناهم جلوداً غيرها فعادت ملتهبة ومسكرة. فإن قلت قوله

تعالى: ﴿كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] يدل على أن النار لا تتجاوز في تعذيبهم عن حد الإنضاج إلى حد الإحراق والإفناء. قلت: النضج مجاز عن مطلب تأثير النار ثم ما ذكر من التجديد بعد الإفناء عقوبة لهم على إنكارهم الإعادة بعد الفناء بتكريرها مرة بعد أخرى لبروها بعد أخرى فيروها عياناً حيث لم يعلموها برهاناً كما يفصح عنه قوله:

﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٣٨﴾﴾
 أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٣٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿٤٠﴾﴾

﴿ذلك﴾ مبتدأ خبر قوله: ﴿جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كفروا بآياتنا﴾ العقلية والنقلية الدالة على صحة الإعادة دلالة واضحة. وفي «التأويلات»: كانوا في جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زادوا سعيها باشتغال طلب شهوة أخرى ولو كانوا مؤمنين بالحشر والنشر ما أكبوا على جهنم الحرص على الدنيا وشهواتها وما أعرضوا عن الآيات البينات التي جاء بها الأنبياء عليهم السلام، وفي «المثنوي»:

كوزة چشم حريصان برنشد تا صدف قانع نشد پرردر نشد
 ﴿وقالوا﴾ منكرين أشد الإنكار ﴿أئذا كنا عظاما﴾ [آيا آن وقت که کردیم استخوان]
 ﴿ورفاتا﴾ الرفات الحطام وهو الفتات المكسر. وقال مجاهد رفاتاً أي: تراباً ﴿أئنا لمبعوثون خلقا جديدا﴾ إما مصدر مؤكد من غير لفظه أي: لمبعوثون بعثاً جديداً وإما حال أي: مخلوقين مستأنفين وقد سبق تفسير هذه الآية في هذه السورة.

﴿أولم يروا﴾ أي: ألم يتفكروا ولم يعلموا ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ من غير مادة مع عظمهم ﴿قادر على أن يخلق مثلهم﴾ في الصغر على أن المثل مقحم والمراد بالخلق الإعادة. قال الكاشفي: [مثل تعبير از نفس شيء كنند چنانكه مثلك لا يفعل كذا اي أنت] ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ عطف على أو لم يروا فإنه في قوة قد رأوا والمعنى قد علموا أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من الإنس وجعل لهم ولبعثهم أجلاً محققاً لا ريب فيه هو يوم القيامة. قال الكاشفي: [بدرستی که خدای تعالی مقرر کرده است برای فناى ایشان مدتی که هیچ شك نیست دران وآن زمان مركست یا بجهت اعاده ایشان أجلي نهاده که قیامتست] ﴿فأبى الظالمون﴾ فامتنعوا من الانقياد للحق ولم يرضوا ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً به.

﴿قل﴾ [بكوكانرا] ﴿لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ خزائن رزقه التي أفاضها على كافة الموجودات وأنتم مرتفع بفعل يفسره المذكور لا مبتدأ لأنها لا تدخل إلا على الفعل والأصل لو تملكون أنتم تملكون ﴿إذاً لأمسكنكم﴾ لبخلتم من قولك للبخل ممسك فلا يقدر له مفعول ﴿خشية الإنفاق﴾ مخافة عاقبته وهو النفاد ﴿وكان الإنسان قتورا﴾ يقال قتر ضيق. والمعنى كان ضيقاً مبالغاً في البخل لأن مبني أمره على الحاجة والضرورة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذل، قال رسول الله ﷺ لحي من الأنصار: «من سيدكم يا بني سلمة» قالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال عليه السلام: «وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم عمر بن

الجموح» فالبخل والحرص من الصفات المذمومة فلا بد من تطهير النفس عنهما وتحليتها بالسخاء والقناعة وترك طول الأمل فإن الشيطان يستعبد البخيل ولو كان مطيعاً وينأى عن السخي ولو كان فاسقاً وجنس الإنسان وإن كان قتوراً مخلوقاً على القبض واليوسة كالتراب إلا أن من أفراده خواص متخلقين بصفات الله تعالى ومتحققين بأسرار ذاته . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في مدح النبي ﷺ :

له راحة لو أن معشار جودها على البركان البر أندى من البحر
الراحة الكف والمعشار بمعنى العشر .

- روي - أن زين العابدين رضي الله عنه لقيه رجل فسهبه فثارت إليه العبيد والموالي فقال لهم زين العابدين : مهلاً على الرجل ثم أقبل عليه وقال ما ستر من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحى الرجل فألقى عليه خميصة كانت عليه وهي كساء أسود معلّم وأمر بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسل ولا يتوهم مغرور أنهم كانوا أهل دنيا ينفقون منها الأموال إنما كانوا أهل سخاء ومروءة كانت تأتيهم الدنيا فيخرجونها في العاجل وفيهم يصدق قول القائل :

وهم ينفقون المال في أول الغنى ويستأنفون الصبر في آخر الفقر
إذا نزل الحي الغريب تقارعوا عليه فلم تدر المقل من المثرى
قال الشيخ سعدى قدس سره :

اكر كنج قارون بچنك آوری نماند مكر آنكه بخشى بری
بخيل توانكر بدينار وسيم طلسمست بالاي كنجى مقيم
ازان سالها مى بماند زرش كه لرزد طلسمى چنين بر سرش
بسنگ أجل ناكهان بشكنند بآسود كى كنج قسمت كنند

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى سِتْرَ عَائِشَةٍ يَتَنَبَّهُ فَشَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ
بِمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات﴾ معجزات ﴿بينات﴾ واضحات الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهي العصا واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات ﴿فاسأل بني إسرائيل﴾ أي : فقلنا له ﴿إذ جاءهم﴾ سلمهم يا موسى من فرعون وقل له ارسل معي بني إسرائيل أي : أولاد يعقوب . وقال الكاشفي : [پس بپرس اي محمد ز بني إسرائيل يعني از علمای ایشان همین آیات را تا صدق قول تو بر مشركان ظاهر كردد] أي : ليظهر صدقك حين اختبروك عندهم على وفق ما أخبرتهم إذ جاءهم [چون آمد موسى برايشان كه چه كذشت میان وی وفرعون].

وفي «التأويلات النجمية» : إذ جاءهم موسى بهذه الآيات هل رأوها واستدلوا بها وآمنوا كأهل الحق ممن جعلهم الله أئمة يهدون بأمره وكانوا بآياته يوقنون ﴿فقال له فرعون﴾ قال في «الإرشاد» الفاء فصيحة أي : فأظهر عند فرعون ما آتينا من الآيات البينات وبلغه ما أرسل به فقال له فرعون : ﴿إني لأظنك يا موسى مسحوراً﴾ سحرت فتخط عقلك ولذا تتكلم بمثل هذه الكلمات الغير المعقولة وهذا يشبه قوله : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء : ٢٧]

ويجوز أن يكون المسحور للنسبة بمعنى ذي السحر كما قال في «التأويلات النجمية»: لما كان فرعون من أهل الظن لا من أهل اليقين رآه بنظر الظن الكاذب ساحراً ورأى الآيات سحراً.

﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءَ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفْرَعُونَ مُثْبُورًا﴾ ﴿١٦٦﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٦٧﴾

﴿قال﴾ موسى ﴿لقد علمت﴾ [بدرستی که تو دانسته ای فرعون بدل خود اگرچه بزبان تلفظ نکنی].

وفي «التأويلات النجمية»: لو نظرت بنظر العقل لعلمت أنه ﴿ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات التي أظهرها ﴿إلا رب السموات والأرض﴾ خالقهما ومدبرهما ﴿بصائر﴾ حال من الآيات أي: بينات مكشوفات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وتكابر. وبالفارسية [آيتهاي روشن که هريك دليلست بر نبوت من].

وفي «التأويلات النجمية»: أي ترى بنور البصيرة والعقل انتهى. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: العلم ليس جالباً للسعادة إلا من حيث طرده الجهل فلا تحجب بعلمك فإن فرعون علم نبوة موسى وإبليس علم حال آدم واليهود علموا نبوة محمد ﷺ وعلى إخوانه وحرموه التوفيق للإيمان فأشقاهم زماناً ذلك الاستيقان قال تعالى: ﴿وَحَمَدُوا بِهَا وَاسْتَفْتَنَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلُمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] قال الكمال الخجندی:

در علم محققان جدل نیست از علم مراد جز عمل نیست
وقال الحافظ:

نه من زبی عملی درجهان ملولم وبس ملالت علما هم ز علم بی عملست
﴿وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾ مصروفاً عن الخير مطبوعاً على الشر من قولهم ما تبرك عن هذا أي: ما صرفك أو هالكاً فإن الثبور الهلاك.

وفي «التأويلات النجمية» أي: بلا بصيرة وعقل والظن ظنان: ظن كاذب، وظن صادق، وكان ظن فرعون كاذباً وظن موسى صادقاً.

﴿فأراد﴾ أي: فرعون من نتائج ظنه الكاذب ﴿أن يستفزه﴾ الاستفزاز الإزعاج. والمعنى بالفارسية [برانكيزد ودور كند موسى وقوم او] ﴿من الأرض﴾ أي: أرض مصر أو من وجه الأرض بالقتل والاستئصال ﴿فأغرقناه﴾ أي: فرعون ﴿ومن معه﴾ من القبط ﴿جميعاً﴾ ونجينا موسى وقومه من نتائج ظنه الصادق. قال في «الإرشاد»: فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالإغراق.

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدَ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ ﴿١٦٨﴾

﴿وقلنا من بعده﴾ أي: من بعد إغراق فرعون ﴿لنبي إسرائيل﴾ أولاد يعقوب ﴿اسكنوا الأرض﴾ التي أراد أن يستفركم منها وهي أرض مصر إن صح أنهم دخلوها بعده أو الأرض مطلقاً ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يعني قيامة الساعة ﴿جئنا بكم﴾ [بياريم شما وإشانرا بحشر كاه] ﴿لفيفاً﴾ [جماعتي آميخته باهم پس حكم كنيم ميان شما] تمييز سعداء وأشقياء. واللفيف الجماعات من قبائل شتى قد لف بعضها ببعض. قال في «القاموس»: ﴿جئنا بكم لفيفا﴾ مجتمعين مختلطين من كل قبيلة انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: يلتف الكافرون بالمؤمنين لعلهم ينجون بهم من العذاب فيخاطبون بقوله تعالى: ﴿وَأَمْتَرُوا أَلِيَّكُمْ أَلِيَّ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ۵۹] ولا ينفعهم التلف بل يقال لهم: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ۷] انتهى. يقول الفقير: وذلك لأن التلفف السوري والارتباط الظاهري لا ينفع الكفار والمنافقين إذ لم يجمع بينهم وبين المؤمنين الاعتقاد الخالص والعمل الصالح فكانوا كمن انكسرت سفينتهم فتعلق من لا يحسن السباحة بالسباح فتعلقه هذا لا ينفعه إذ البحر عميق والساحل بعيد فكم من سباح لا ينجو فكيف غيره، سعدي:

در آبی که پیدا نباشد کنار غرور شناور نیاید بکار

وفي الحديث «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» يعني: من أخره في الآخرة عمله السيء أو تفرطه في العمل الصالح لم ينفعه شرف النسب من جهة الدنيا ولم ينجبر به نقيصته فإن نسبه ينقطع هناك ألا ترى أن الغصن اليابس يقطع من الشجرة ليبوسته ورطوبة الباقي وغضارته إذ لا مناسبة بينه وبين الأغصان الغضة الطرية فهو وإن كان غصن تلك الشجرة متعلقاً بها منسوباً إليها لكنه ليبوسته حري بالقطع وإنما النسب المفيد هو نسبة التقوى ولذا قال عليه السلام: «كل تقي نقي آلي» وكل من لم يكن متصفاً بالتقوى والنقاوة فليس من آله كأبي لهب ونحوه وليس له طريق ينتهي إلى الله تعالى فإيا حسرة قوم ظنوا الوصول مع تضييع الأصول وبذل النقد في الفضول وعرضت على بعض الأكابر عطية من الله تعالى بلا واسطة فقال: لا أقبلها إلا على يد محمد ﷺ يعني على الصراط السوي فجاءته من تم فقد ضوعفت فهذا شاهد بأن صحة الاتصال بالله إنما هي بصحة الاتصال بواسطة وهو الرسول ﷺ وأن الرسول وشريعته محك فتضرب المواهب والعطايا عليه فإن جاءت موافقة لما أمره قبلت وإلا ردت إذ يحتمل أن يكون ذلك من قبل الشيطان والنفس جاء ملبوساً بلباس الحق مزخرفاً فلا بد من التمييز وهو من أصعب الأمور فعليك أيها الأخ في الله بالثبات والوقار ولا يستفزك العدو حتى لا تقع في ورطة البوار، قال الحافظ:

در راه عشق وسوسه اهر من بسیست هش دار وکوش دل بپیام سروش کن
والله المنجي والموفق.

﴿وَالْحَقُّ أَنزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ نَزْلًا وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿۱۵۰﴾ وَفَرَأْنَا أَنَّهُ يَرْفَعُ رَفْعًا عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا ﴿۱۵۱﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِزُونَ لِلدُّقَائِنِ سُجَّدًا ﴿۱۵۲﴾

﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ أي: وما أنزلنا القرآن إلا ملتبساً بالحق المقتضي لأنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق الذي اشتمل عليه فالمراد بالحق في كل من الموضعين معنى يغير الآخر فلا يرد أن الثاني تأكيد للأول. قال الكاشفي: [درتبیان آمده که با بمعنی علی است و مراد از حق محمد ﷺ یعنی و علی محمد نزل. درمدارك آورده احمد بن أبي كجوازي كفت محمد بن سماك بیمارشد قاروزه أو بطیب ترسا می بردیم مردی نیکو روی وخوشبوی وجامه پاکیزه پوشیده بما رسید وصورت حال پرسید بوی کفتم فرمودکه سبحان الله در مهم دوست خدای تعالی از دشمن خدای استعانت می کنید باز کردید وباین سماك بکوییدکه دست خود بر موضع وجع بنه و بکوی ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل﴾ وازچشم ما غائب شد باز کشتیم

وقصه بعرض شيخ ورسانیدیم دست بران موضع نهاد واین کلمات بکفت فی الحال شفا یافت وکفته اند آن کس خضر علیه السلام بود اثر حکمت این کار طیبیان الهیست.

وفی «التأویلات النجمية» إنزال القرآن كان بالحق لا بالباطل وذلك لأنه تعالى لما خلق الأرواح المقدسة في أحسن تقويم ثم بالنفخة رده إلى أسفل سافلين وهو القالب الإنساني احتاجت الأرواح في الرجوع إلى أعلى عليين قرب الحق وجواره إلى حبل تعتصم به في الرجوع فأنزل الله القرآن وهو حبله المتين وقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ۱۰۳] وبالحق نزل ليضل به أهل الشقاوة وبالرد والجحود والامتناع عن الاعتصام به ويبقى في الأسفل حكمة بالغة منه ويهدي به أهل السعادة بالقبول والإيمان والاعتصام به والتخلق بخلق الله إلى أن يصل به إلى كمال قرب به فيعتصم به كما قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: ۷۸] وما أرسلناك إلا مبشراً للمطيع بالشواب ﴿ونذيراً﴾ للعاصي من العقاب فلا عليك إلا التبشير والإنذار.

وفی «التأویلات النجمية»: ﴿مبشراً﴾ لأهل السعادة بسعادة الوصول والعرفان عند التمسك بالقرآن ﴿ونذيراً﴾ لأهل الشقاوة بشقاوة البعد والحرمان والخلود في النيران عند الانفصام عن حبل القرآن وترك الاعتصام به [سلمی قدس سره فرموده که مؤده دهنده آنرا که از ما روی بکرداند وایم کنند آنرا که روی بما آورد یعنی بدکارانرا بشارت دهد بسعت رحمت وکمال عفو ما تا روی بدرگاه ما آرد]:

حافظاً رحمت او بهر کنهکارا نست نا امیدى مکن ای دوست که فاسق باشی
نیکانرا انذار کند از اثر هیبت وجلال تابر اعمال خود اعتماد نمایند:

زاهد غرور داشت سلامت نبرد راه رنده از ره نیاز بدار السلام رفت
﴿وقرآن﴾ منصوب بمضمر یفسره قوله تعالى: ﴿فرقناه﴾ نزلناه مفراً. وبالفارسية [وپرا کنده فرستادیم قر آنرا یعنی آیت آیت وسوره سوره] ﴿لنقرأه على الناس على مكث﴾ أي: مهل وتأن فإنه أيسر للحفظ وأعون على الفهم ﴿ونزلناه﴾ في ثلاث وعشرين سنة ﴿تنزيلاً﴾ على قانون الحكمة وحسب الحوادث وجوابات السائلين.

﴿قل﴾ للذين كفروا ﴿آمنوا به﴾ أي: بالقرآن ﴿أو لا تؤمنوا﴾ فإن إيمانكم به لا يزيده كمالاً وامتناعكم عنه لا يورثه نقصاً:

حاجت مشاطه نیست روی دلارام را

والأمر للتهديد كما في «تفسير الكاشفي» ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ أي: العلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل نحو عبد الله بن سلام واتباعه من اليهود والنجاشي وأصحابه من النصارى ﴿إذا يتلى﴾ أي: القرآن ﴿عليهم يخرون للأذقان﴾ [بيفتند برزنخهای خود] أي: يسقطون على وجوههم فاللام بمعنى على والأذقان الوجوه على سبيل التعبير عن الكل بالجزء مجازاً ﴿سجدا﴾ أي: حال كونهم ساجدين تعظيماً لأمر الله وهو تعليل لما يفهم من قوله آمنوا به أو لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك أي: إن لم تؤمنوا فقد آمن به أحسن إيمان من هو خير منكم. قال البيضاوي ذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخور به. قال سعدي المفتي في حواشيه فيه بحث فإنه ظاهر أن أول ما يلقى

الأرض من وجه الساجد جبهته وأنفه إلا أن يقال إن طريق سجدهم غير ما عرفناه انتهى . يقول الفقير معنى اللقاء هنا كون الذقن أقرب شيء إلى الأرض من الأنف والجبهة حال السجدة إذ الأقرب إلى الأرض بالنسبة إلى حال الخور الركبة ثم اليدان ثم الرأس وأقرب أجزاء الرأس الذقن والأقرب إلى السماء بالإضافة إلى حال الرفع الرأس وأقرب أجزاء الرأس الجبهة فافهم .

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ ﴿١٧٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٧٩﴾

﴿ويقولون﴾ في سجودهم ﴿سبحان ربنا﴾ [پاکست پرورد کارما] عما يفعل الكفرة من التكذيب أو عن خلفه وعده الذي في الكتب السالفة ببعث محمد وإنزال القرآن عليه ﴿إن﴾ أي: أن الشأن ﴿كان وعد ربنا لمفعولا﴾ كائنًا لا محالة واقعًا البتة لأن الخلف نقص وهو محال على الله تعالى . يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالوعد وعد الآخرة كما يدل عليه سياق الآية من قصة موسى وفرعون وما قبلها من قصة قريش في إنكار البعث والله أعلم .

﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾ أي: حال كونهم باكين من خشية الله تعالى كرر الخور للأذقان لاختلاف السبب فإن الأول لتعظيم أمر الله والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن . وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «تضرعوا وابكوا فإن السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم يبكون من خشية الله» ﴿ويزيدهم﴾ أي: القرآن بسماعهم ﴿خشوعا﴾ كما يزيدهم علماً و يقيناً بالله والخشوع [فروتني] وتضرع .

واعلم أن التواضع والسجود من شأن الأرواح والبكاء والخشوع من شأن الأجساد وإنما أرسلت الأرواح إلى الأجساد لتحصيل هذه المنافع في العبودية . قال الكاشفي: [اين سجده چهارم است از سجدهات قرآن وحضرت شيخ قدس سره اين را سجود العلماء خوانده و فرموده كه بحقيقت اين سجود متجليست زيرا كه خشوع از وقوع تجلى باشد بر ظاهر يابر هردو و چون خبر داد كه خشوع ايشان زياده ميشود و خشوع نمى باشد الا از تجلى الهي پس زيادتي خشوع دليل زيادتي تجلى باشد و برآن تقدير اين سجود تجلى بود و ساجد بايد كه ببركت اين سجده از فيض تجلى بهره مند و خضوع او بيفزايد] ما تجلى الله لشيء إلا خضع له :

لمعه نور تجلى از قدم بر حدوث افتد فرو ريزد زهم پس خضوع اينجا زوال هستي است و زيلندي موجب اين بستي است فعليك ببذل الوجود وإفائه فإنه تعالى إنما يتجلى لأهل الفناء نعم إن الفناء من التجلي كما دل عليه الخبر المذكور، وفي «المثنوي» :

چون تجلى کرد أوصاف قديم پس بسوزد وصف محدث را كلیم
﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿١٨٠﴾

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ .

- روي - أن اليهود قالوا لرسول الله ﷺ إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة فنزلت . والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء والمراد بالله والرحمن الاسم لا المسمى وأو للتخيير والمراد أنهما سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود . والمعنى سموا بهذا الاسم أو بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا ﴿أيا ما تدعوا﴾ [هر کدام را بخوانید و بدان حق را

خوانده باشيد] والتونين عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي من الإبهام أي أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم ﴿فله﴾ أي: للمسمى لأن التسمية لمسمى هذين الاسمين وهو ذاته تعالى لا للاسم ﴿الأسماء الحسنى﴾ وحسن جميع أسمائه يستدعي حسن ذينك الاسمين. والحسنى تأنيث الأحسن لأن حكم الأسماء حكم المؤنث نحو الجماعة الحسنى وكونها حسنى لدالاتها على صفات الجلال والجمال. قال في «بحر العلوم» معنى كونها أحسن الأسماء أنها مستقلة بمعاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والإلهية والأفعال التي هي النهاية في الحسن. وقال بعضهم: نزلت هذه الآية حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول: يا الله يا رحمَن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر فالمراد هو التسوية بين اللفظين بأنهما مطلقان على ذات واحدة وإن اختلف معناهما واعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المعبود وأو للإباحة لأن الإباحة يجوز فيها الجمع بين الفعلين دون التخيير والله أعلم.

قال المولى الفناري رحمه الله: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعياً واستعمالياً وللرحمن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمَن الإمامة مسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً انتهى. وقال الإمام السهيلي رحمه الله في كتاب «التعريف والإعلام»: كان مسيلمة قديماً يتكذب ويتسمى بالرحمن وقد قيل إنه تسمى بالرحمن قبل مولد عبد الله والد النبي ﷺ ثم عمَّر عمراً طويلاً إلى أن قتل باليمامة قتله وحشي في خلافة أبي بكر رضي الله عنه انتهى.

- روي - أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته لأن هذا الاسم الجليل لا يليق إلا لجنان الحق تعالى ولهذا لم يشاركه فيه أحد كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥] أي: مشاركاً له في هذا الاسم وقال فرعون مصر للقبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله تعالى. قال حضرة الهدائي قدس سره استمداد جميع الأسماء من الاسم الرحمن الذي هو مقام خاتم النبوة والشفاعة العامة وإليه ينتهي كل الأسماء واستمداده من اسم الذات فينبغي للسالك أن لا يقصر بالعبادة في مراتب بعض الأسماء حتى يصل إلى المسمى ويجمع جميع الأسماء ويكون فوق الكل، وفي «المثنوي»:

دست شد بالاى دست اين تاكجا تابيزدان كه اليه المنتهى

كان يكي درياست بى غور وكران جملہ درياها چوسيلی پيش ان

﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بقراءة صلاتك في المسجد الحرام بحيث تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على سب القرآن ومن أنزله ومن جاء به واللغو فيه ففيه حذف المضاف لأن الجهر والمخافتة صفتان تعتقban على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار أو هو من تسمية الجزء بالكل مجازاً ﴿ولا تخافت بها﴾ أي: بقراءتها بحيث لا تسمع من خلفك من المؤمنين. قال الكاشفي: [وأواز فرو مدار بآن] ﴿وابتغ﴾ اطلب ﴿بين ذلك﴾ أي: بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور ﴿سبيلاً﴾ أمراً وسطاً فإن خير الأمور أوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار أنه أمر يتوجه إليه المتوجهون ويؤمنه المقتدون فيوصلهم إلى المطلوب.

- روي - أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول: أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه يجهر بها ويقول: أطرده الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً.

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرًا﴾



﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ لأن الولادة من صفات الأجسام لا غير وهو رد لليهود والنصارى وبني مدلج حيث قالوا عزيز ابن الله والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ في ملك العالم أي: الألوهية فإن الكل عبده والعبد لا يصلح أن يكون شريكاً لسيده في ملكه وهو ورد للشنوية القائلين بتعدد الآلهة، وفي «المنثوي»:

واحد اندر ملك اورا يا رنى بند كانش را جز او سالا رنى

نیست خلقتش را دكرس مالكى شركتش دعوى كند جزها لكى

﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بمولاته فإنه محال أنه يذل فيحتاج إلى أحد يتعزز به ويدفع عنه المذلة إذ له العزة كلها فليس له مذلة دلالة ولا له احتياج إلى ولي يدفع الذل عنه وهو رد للمجوس والصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله تعالى عن ذلك. وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف جعل عدم الولد علة استحقاق الحمد؟ الجواب أن هذا ليس بتعليل لوجوب الحمد إنما هو بيان من يقع له الحمد كما تقول الحمد لله الأول الآخر الحمد لله رب العالمين انتهى. وفي «الكشاف» كيف رتب الحمد على نفي الولد والشريك والذل؟! أي: مع أنه لم يكن من الجميل الاختياري قلت: إن من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه تعظيماً أو قل الله أكبر من الاتخاذ والشريك والولي. وقال الكاشفي [يعني حق را بزرگتر دان از وصف واصافان ومعرفت عارفان]:

فكرها عاجزست زاوصافش عقلها هرزه ميزند لافش

عقل عقلست جان جانست او آن كزو برترست آنست او

وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وكان يسميها آية العزة.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ يشير إلى أن الله اسم الذات والرحمن اسم الصفة ﴿أيا ما تدعوا﴾ أي: بأي اسم من اسم الذات والصفات تدعونه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي: كل اسم من أسمائه حسن فادعوه حسناً وهو أن تدعوه بالإخلاص ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي: بدعائك وعبادتك رياء وسمعة ﴿ولا تخافت بها﴾ أي: ولا تخفها بالكلية عن نظر لئلا يحرموا المتابعة والأسوة الحسنة ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾ وهو إظهار الفرائض بالجماعات في المساجد وإخفاء النوافل وحداناً في البيوت ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ فيكون كمال عنايته وعواطف إحسانه مخصوصاً بولده ويحرم عباده معه ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فيكون مانعاً له من إصابة الخير إلى عباده وأوليائه ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ فيكون محتاجاً إليه فينعم عليه دون ما استغنى عنه بل أولياؤه الذين آمنوا وجاهدوا في الله حق جهاده وكبروا الله وعظموه بالمحبة والطلب والعبودية وهو معنى قوله: ﴿وكبره تكبيراً﴾ انتهى [علم الهدى فرموده كه حق سبحانه دوست نكيرد تابمديد ايشان از دل بعز رسد بلکه

دوست كيرد تا بلطف وی از حضيض مذلت تابا وج عزت ترقى كند] كما قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] وهذه الولاية عامة مشتركة بين جميع المؤمنين وترقيهم من الجهل إلى العلم وقال تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] وهذه الولاية خاصة بالواصلين إلى الله من أهل السلوك وترقيهم من العلم إلى العین ومن العین إلى الحق. قال في «شرح الحكم العطائية»: إن عباد الله المخلصين قسمان: قوم أقامهم الحق لخدمته وهم العباد والزهاد وأهل الأعمال والأوراد وقوم خصهم بمحبته وهم أهل المحبة والوداد والصفاء واتباع المراد وكل في خدمته وتحت طاعته وحرمة إذ كلهم قاصد وجهه ومتوجه إليه قال الله تعالى : ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءَ وَهَؤُلَاءَ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء: ٢٠] وهذا عام في كل طريق وظاهر في كل فريق ﴿وما كان عطاء ربك محظورا﴾ فيحجر أو يحصر في نوع واحد أو صفة واحدة. وقد قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه: الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة. وقال أبو يزيد البسطامي قدس سره: اطلع الله سبحانه إلى قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة فشغلهم بالعبادة، قال الحافظ:

درین چمن نکنم سرزنش بخودرویی چنانکه پرورشم میدهند میرویم

تمت سورة الإسراء في أوسط جمادى الأولى
من سنة خمس ومائة وألف .

١٨ - سورة الكهف

وهي مائة وعشر آيات مكية وقيل إلا قوله ﴿واصبر نفسك﴾ الآية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ فِيمَا يُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَتَكِينٌ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَنُذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ ﴿٤﴾﴾

﴿الحمد لله﴾ اللام للاستحقاق أي: هو المستحق للمدح والثناء والشكر كله لأن كل وجود شيء نعمة من نعمه فلا منعم إلا هو. قال القيصري رحمه الله الحمد قولِي وفعلِي وحالي أما القولِي فحمد اللسان وثناؤه عليه بما أثنى به الحق على نفسه على لسان أنبيائه عليهم السلام وأما الفعلِي فهو الإتيان بالأعمال البدنية من العبادات والخيرات ابتغاء لوجه الله تعالى وتوجهاً إلى جنبه الكريم لأن الحمد كما يجب على الإنسان باللسان كذلك يجب عليه بحسب مقابلة كل عضو بل على كل عضو كالشكر وعند كل حال من الأحوال كما قال النبي عليه السلام: «الحمد لله على كل حال» وذلك لا يمكن إلا باستعمال كل عضو فيما خلق لأجله على الوجه المشروع عبادة للحق تعالى وانقياداً لأمره لا طلباً لحفظ النفس ومرضاها وأما الحالي: فهو يكون بحسب الروح والقلب كالاتصاف بالكمالات العلمية والعملية والتخلق بالأخلاق الإلهية لأن الناس مأمورون بالتخلق بلسان الأنبياء صلوات الله عليهم لتصير الكمالات ملكة نفوسهم وذواتهم وفي الحقيقة هذا حمداً لحق نفسه في مقامه التفصيلي المسمى بالمظاهر من حيث عدم مغايرتها له وأما حمده ذاته في مقامه الجمعي الإلهي قولاً فهو ما نطق به في كتبه وصحفه من تعريفاته نفسه بالصفات الكمالية وفعلاً فهو إظهار كمالاته الجمالية والجلالية من غيبه إلى شهادته ومن باطنه إلى ظاهره ومن علمه إلى عينه في مجالي صفاته ومحال آيات أسمائه وحالاً فهو تجلياته في ذاته بالفيز الاقدس الأولى وظهور النور الأزلي فهو الحامد والمحمود جمعاً وتفصيلاً، قال المولى الجامي:

آنجا كه كمال كبريای تو بود عالم نمى از بحر عطای تو بود

ما راجه حد حمد وثنای تو بود هم حمد وثنای تو سزای تو بود

﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد الذي يستأهل أن يكون عبداً مطلقاً حقيقةً حراً عن جميع ما سوى الله ولذا يقول: «أمتي أمتي» يوم يقول كل نبي نفسي نفسي وفيه إشعار بأن شأن الرسول أن يكون عبداً للمرسل لا كما زعمت النصارى في حق عيسى عليه السلام: ﴿الكتاب﴾ أي: القرآن الحقيقي باسم الكتاب وهو في اللغة جمع الحروف ورتب استحقاق الحمد على

إنزاله تنبيهاً على أنه من أعظم نعمائه إذ فيه سعادة الدارين ﴿ولم يجعل له﴾ أي: القرآن ﴿عوجاً﴾ [چیزی از کجی] أي: شيئاً من العوج بنوع اختلال في النظم وتناف في المعنى أو عدول عن الحق إلى الباطل واختار حفص عن عاصم السكت على عوجاً وهو وقفة لطيفة من غير تنفس لثلاث يتوهم أن ما بعده صفة له واختار السكت أيضاً على مرقداً إذ لا يحسن القطع بالكلية بين مقوليهما ولا الوصل لثلاث يتوهم أن هذا إشارة إلى مرقداً فافهم.

﴿قيماً﴾ انتصابه بمضمر تقديره جعله قيماً أي: مستقيماً معتدلاً لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيماً بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال والقيم والقيوم والقيام بناء مبالغة للقائم. قال الكاشفي: [در تأویلات آورده كه ضمير له راجع بعبداست ومعنى آنكه نداد بنده خود را ميل بغير خود وكرد انيد اورا مستقيم در جميع احوال] ﴿لينذر﴾ أي: أنزل لينذر الكتاب أو محمد بما فيه الذين كفروا ﴿بأساً﴾ عذاباً ﴿شديداً﴾ صادراً ﴿من لدنه﴾ من عنده تعالى نازلاً من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وهو إما عذاب الاستئصال في الدنيا أو عذاب النار في العقبى أو كلاهما وإنما قال من لدنه لأنه هو المعذب دون الغير ﴿ويبشر﴾ [مزده دهد] ﴿المؤمنين﴾ المصدقين ﴿الذين يعملون الصالحات﴾ أي: الأعمال الصالحة وهي ما كانت لوجه الله تعالى ﴿أن لهم﴾ أي: بأن لهم في مقابلة إيمانهم وأعمالهم المذكورة ﴿أجراً حسناً﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم ﴿ماكثين﴾ حال من ضمير لهم ﴿فيه﴾ أي: في ذلك الأجر ﴿أبداً﴾ من غير انقطاع وانتهاء وتغير حال نصب على الظرفية لماكثين وتقديم الإنذار على التبشير لتقديم التخلية على التحلية.

﴿وينذر﴾ أيضاً خاصاً ﴿الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ كاليهود والنصارى وبني مدلج من كفار العرب.

﴿يَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ﴿فَلَمَّا كَذَبُوا فَعَسَا عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِنْ لَمْ يَأْمُرُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أُسْقُوا﴾

﴿ما لهم به﴾ أي: باتخاذها تعالى ولداً ﴿من علم ولا لآبائهم﴾ الذين قلدهم في ذلك يعني لا يقتضي العلم أن يتخذ الله ولداً لاستحالته في نفسه وإنما قالوا بالجهل من غير فكر ونظر فيما يجوز على الله ويمتنع ومن علم مرفوع على الابتداء ومن مزيدة لتأكيد النفي ﴿كبرت﴾ عظمت أي: نبت ﴿كلمة﴾ تمييز وتفسير للضمير المبهم الذهني في كبرت مثل ربه رجلاً ﴿تخرج من أفواههم﴾ صفة للكلمة تفيد استعظام اجترائهم على التفوه بها والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها يعني: إسناد الخروج إليها مع أن الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملاسته بها. قال القاضي: عظمت مقالته هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيف.

وفي «التأويلات»: كبرت كلمة كفر وكذب قالوها عند الله تعالى وهي أكبر الكبائر إذ نسبوها إلى الله وكذبوا عليه وكذبوه ﴿إن يقولون﴾ أي: ما يقولون في هذا الشأن ﴿إلا كذباً﴾ إلا قولاً كذباً لا يكاد يدخل تحت إمكان الصدق.

﴿فلعلكم﴾ [پس تو مکر] ﴿بأخع﴾ مهلك ﴿نفسك﴾.

قال في «التأويلات النجمية»: معناه نهى أي: لا تبخع نفسك كما يقال لعلك تريد أن

تفعل كذا أي: لا تفعل كذا أو فكأنك كما قال تعالى في شأن عاد ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]. قال في «القاموس»: بخرع نفسه كمنع قتلها غمًا وبخرع بالشاة بالغ في ذبحها حتى بلغ البخاع هذا أصله ثم استعمل في كل مبالغة فلعلك باخرع نفسك أي: مهلكها مبالغاً فيها حرصاً على إسلامهم والبخاع ككتاب عرق في الصدر ويجزي في عظم الرقة وهو غير النخاع بالنون فيما زعم الزمخشري انتهى ﴿على آثارهم﴾ غمًا ووجدًا على فراقهم. قال الكاشفي: [بعد از برکشتن ایشان از تو یاپس از انکار ایشان ترا یعنی کار برخود آسان کبر وغم بردل بی غل منه] ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ أي: القرآن. إن قلت تسمية القرآن حديثاً دليل على حدوثه. قلت: سماه حديثاً لأنه يحدث عند سماعهم له معناه ولأنه عائد إلى الحروف التي وقعت بها العبارة عن القرآن كما في «الأسئلة المقحمة». قال في «الصحاح»: الحديث ضد القديم ويستعمل في قليل الكلام وكثيره ﴿أسفاً﴾ مفعول له لباحع والأسف أشد الحزن كما في «القاموس»: إذ لفرط الحزن والغضب والحسرة مثل حاله ﷺ في شدة الوجد على إعراض القوم عن الإيمان بالقرآن وكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه إهلاك نفسه عند مفارقة أحبه تأسفاً على مفارقتهم وهذه غاية الرحمة والشفقة على الأمة وكمال القيام بأداء حقوق الرسالة والإقدام على العبودية فوق الطاقة وكان من دأبه ﷺ أن يبالي في القيام بما أمر إلى حد أن ينهى عنه كما أنه ﷺ حين أمر بالإنفاق بالغ فيه إلى أن أعطى قميصه وقعد في البيت عرباناً فنهى عن ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] فتكلم بعض الكبار في الحزن فقال: الحزن حلية الأدباء طوبى لمن كان شعاره الحزن ودثاره الحزن وبيته الحزن وطعامه الحزن وشرابه الحزن به يلتذ الصديقون والنبيون إذا أحب الله تعالى عبداً ألقى له نائحة في قلبه ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذة العبادة على أنواعها ولا يغرنك ما تسمع من قول صديق متمكن أن الحزن مقام نازل فإن مراده أن الحزن تابع للمحزون مثل العلم مع المعلوم فيتضع باتضاعه ويرتفع بارتفاعه. قال إبراهيم بن بشار: صحبت إبراهيم بن أدهم فرأيت طويلاً الحزن دائم الفكر واضعاً يده على رأسه كأنما أفرغت عليه الهموم إفراغاً. وكان سفيان عند رابعة فقال: واحزناه فقالت: قل واقلة حزناه فإنك لو كنت حزيناً ما هناك العيش. وعن داود عليه السلام قال: الهي أمرتني أن أطهر قلبي فبماذا أطهر؟ قال: يا داود بالهموم والغموم، قال الحافظ:

روی زردسست وآه درد آلود عاشقانرا دواى رنجورى

اللهم منّ على قلبي بهمك.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

﴿إنا جعلنا ما على الأرض﴾ من الحيوان والنبات والمعدن ﴿زينة لها﴾ ولأهلها.

قال في «التأويلات النجمية»: أي: زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملاءمة لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء ﴿لنبلوهم﴾ لتعاملهم معاملة من يختبر حتى يظهر ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ في ترك الدنيا ومخالفة هوى نفسه طلباً لله ومرضاته وأيهم أقبح عملاً في الإعراض عن الله وما عنده من الباقيات الصالحات والإقبال على الدنيا وما فيها من الفانيات الفاسدات. قال في «الإرشاد»

أي: استفهامية مرفوعة بالابتداء وأحسن خبرها وعملاً تمييزاً والجملة في محل نصب معلقة لفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته. قال الكاشفي: [محققان براندگی ما ای فی ما علی الأرض بمعنی من است و مراد انبیا یا علما یا حفظة قرآن که زینت زمین ایشانند و جمعی کویند آرایش زمین بر رجال الله است ازان روی که قیام عالم بوجود شریف ایشان باز بسته است]:

روی زمین بطلعت ایشان منور است چون آسمان بزهره و خورشید و مشتری ﴿وإنا لجاعلون﴾ فيما سيأتي عند تناهي عمر الدنيا ﴿ما عليها صعيداً﴾ تراباً ﴿جرزاً﴾ لا نبات فيه وسنة جرز لا مطر فيها. قال الكاشفي: [صعيداً جرزاً هامون وبى كياه يعني بآخر این عمارتها را خراب خواهیم ساخت پس دل بر آن منهد و بزینت ناپایدار فریفته مشوید]:

جهان ازرنك وبوسازد اسیرت ولی نزدك ارباب بصیرت نه رنك دلکشش را اعتباریست نه بوی دلفریبش را مداریست قال بعض الكبار صعيداً جرزاً لا حاصل له إلا الندامة والغرامة فالناسك السالك والطالب الصادق والمحب المحق من يحرم على نفسه الدنيا وزينتها حرامها وحلالها وهي ما زين للناس كما قال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكَ مَتَكُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [آل عمران: ١٤] لأن مع حب الله لا يسوغ حب الدنيا وشهواتها بل حب الآخرة ودرجاتها.

- حكى - أنه كان لهارون الرشيد ولد في سن ست عشرة سنة فزهده في الدنيا واختار العباء على القباء فمر يوماً على الرشيد وحوله وزراؤه فقالوا: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك بهذه الهيئة فدعاه هارون الرشيد وقال: يا بني لقد فضحتني بحالك فلم يجبه الولد ثم التفت فرأى طيراً على حائط فقال: أيها الطائر بحق خالفك إلا جئت على يدي فقع الطائر على يده ثم قال: ارجع إلى مكانك فرجع ثم دعاه إلى يد أمير المؤمنين فلم يأت فقال لأبيه: بل أنت فضحتني بين الأولياء بحبك للدنيا وقد عزمت على مفارقتك ثم إنه خرج من بلده ولم يأخذ إلا خاتماً ومصحفاً ودخل البصرة وكان يعمل يوم السبت في الطين ولا يأخذ إلا درهماً ودانقاً للقتل قال أبو عامر البصري: استأجرته يوماً فعمل عمل عشرة وكان يأخذ كفاً من الطين ويضعه على الحائط ويركب الحجارة بعضها على بعض فقلت: هذا فعال الأولياء فإنهم معانوا ثم طلبته يوماً فوجدته مريضاً في خربة فقال:

يا صاحبي لا تغتررت بتنعم فالعمر ينفد والنعيم يزول وإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول ثم وصاني بال غسل والتكفين في جبته فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفئك في الجديد فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت يا أبا عامر الثياب تبلى والأعمال تبقى ثم ادفع هذا المصحف والخاتم إلى الرشيد وقل له: يقول لك ولدك الغريب لا تدومن على غفلتك قال أبو عامر فقضيت شأنه ودفعت المصحف والخاتم إلى الرشيد وحكيت ما جرى فبكى وقال: فيم استعملت قرة عيني وقطعة كبدي قلت: في الطين والحجارة قال: استعملته في ذلك وله اتصال برسول الله ﷺ فقلت: ما عرفته قال: ثم أنت غسلته قلت: نعم فقبل يدي وجعلها على صدره ثم زار قبره ثم رأيته في المنام على سرير عظيم في قبة عظيمة فسألته عن حاله فقال: صرت إلى رب راض أعطاني ما لا عين رأيت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وآلى على ذاته

وَنَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ أَي: قَالَ: بِاللَّهِ الَّذِي خَلَقَنِي لَا يَخْرُجُ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا كَخُرُوجِي إِلَّا أَكْرَمَهُ مِثْلَ كِرَامَتِي.

نکه دار فرصت که عالم دمیست دمی پیش دانا به از عالمیست
برفتند و هرکس درود آنچه کشت نماند بجز نام نیکو و زشت
دل اندر دلارام دنیا میند که ننشست باکس که دل برنکند
اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك.

﴿أَمَرَ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ ﴿١٥﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ﴿١٦﴾

﴿أَمَ حَسِبْتَ﴾ الخطاب للرسول ﷺ والمراد إنكار حسابان أمته وأم منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث إلى حديث لا للإبطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وبيل وحدها عند غيرهم أي: بل أحسبت وظننت بمعنى ما كان ينبغي أن يحتسب ولم حسبت. قال الكاشفي: [آورده اندکه چون یهود قریش راسه سؤال در آمو ختندکه از حضرت رسالت ﷺ پرسیدند بایکدیگر می گفتند که قصه جوانان بس عجیبت عجب ازوی که جواب آن داند حق سبحانه و تعالی آیت فرستاده ﴿أَمَ حَسِبْتَ﴾ نه چنانست که میگویند آیامی پنداری تو] ﴿أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ الکهف الغار الواسع في الجبل فإن لم يكن واسعاً فغار ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ هو كلبهم بلغة الروم.

- یروی - عن صاحب بن عباد أنه كان يتردد في معنى الرقيم وتبارك والمتاع ويدور على قبائل العرب فسمع امرأة تسأل أين المتاع ويجب ابنها الصغير بقوله: الرقيم أخذ المتاع وتبارك الجبل فاستفسر عنها وعرف أن الرقيم هو الكلب وأن المتاع هو ما يبيل بالماء فيمسح به وأن تبارك بمعنى صعد. قال في «القاموس»: الرقيم كأمير قرية أصحاب الكهف أو جبلهم أو كلبهم أو الوادي أو الصحراء أو لوح رصاصي أو حجري نقش ورقم فيه نسبهم وأسماءهم ودينهم ومم هربوا وجعل على باب الكهف فالرقيم عربي فعيل بمعنى مفعول. قال الطبري: كان في بيت الملك رجلان مؤمنان اسم أحدهما يندروس والآخر روناس كتبا اسماءهم وقصتهم وأنسابهم في لوحين من رصاص ووضعاهما في تابوت من نحاس ثم جعلاه على فم الغار في البنيان وقالوا: لعل الله أن يظهر عليهم قوماً مؤمنين قبل يوم القيامة فتعلم أخبارهم ﴿كَانُوا﴾ في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر [يعني در خواب ماندن سیصدونه سال] ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ من بين آياتنا ودلائل قدرتنا ﴿عَجَبًا﴾ أي: آية ذات عجب وضعاً له موضع المضاف أو وصفاً لذلك بالمصدر مبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره وهو خبر لكانوا ومن آياتنا حال منه. والمعنى أن قصتهم وإن كانت خارقة للعادات ليست بعجبية بالنسبة إلى سائر الآيات فإن الله تعالى آيات عجبية قصتهم عندها كالنزر الحقير. قال الكاشفي: [يعني قصه ایشان بنسبت قدرت ما که در آفرینش ارض و سما ظاهر است چندان عجیب و غریب نیست مراد از كهف غاریست جیرم نام واقع درکوه تباخلوس از حوالی شهر افسوس که دار الملك دقیانوس بود آورده اندکه دقیانوس در زمان تسخیر ممالک روم بشهر افسوس رسید و آنجا مذبجی برای بتان که معبودان او بودند ساخته اهل شهر را تکلیف پرستش ایشان کرد هرکه سخن او شنید

خلاص یافت وهرکه تمرد نمود بقتل رسید شش جوان نورسیده خدا پرست از بزرگان زادگان شهر کوشه گرفته بدعا و نیاز مشغول گشتند و از حق سبحانه و تعالی در خواست نمودند که ایشانرا ازفتنه آن جبار ایمن سازد القصه مهم ایشان بعرض دقیانوس رسیده و باحضار ایشان امر کرده تهدید بسیار نمود ایشان بر طریق توحید رسوخ ورزیده مطلقاً فرمان او قبول نکردند دقیانوس بفرمودتا حلی و حلل که دربرداشتند ازایشان انتزاع کردند و گفت شما جوانید و خرد سال و شمارا دوسه روزی مهلت دادم تا درکار خود تأمل کنید و ببینید که مصلحت شما در قبول قول منست یا دررد آن پس ازان شهر متوجه موضعی دیگر شد و جوانان رفتن اورا غنیمت دانسته بایکدیگر درباب مهم خود مشاورت نمودند و رأی همه بر فرار قرار یافت هریک ازخانه پدر قدری مال بجهت زاد و نفقه بر داشته روی بکوهی که نزدیک شهر بود آوردند و درراه شبانی بدیشان رسیدو بدین ایشان در آمد و درمرافقت موافقت نمود سک شبان نیز بر عقب ایشان دویدن آغاز کردچندان که منع کردند ممتنع نشد و خدای اورا بسخن آوردنا بزبان فصیح گفت از من مترسید که من دوستان خدایرا دوست میدارم شما در خواب روید تا من شما را پاسبانی کنم اما چون نزدیک کوه شدند شبان گفت من درین کوه غاری میدانم که بدان پناه می توان گرفت پس اتفاق روی بغار نهادند و حق سبحانه و تعالی ازرفتن ایشان بغار برین وجه خبر میدهد.

﴿إِذْ أَوَى﴾ ظرف لعجباً أو مفعول لا ذکر أي: اذکر حین صار واتی وانضم والتجأ ﴿الفتية﴾ یعنی: فتية من أشراف الروم أكرههم دقیانوس علی الشرك فأبوا وهربوا ﴿إلى الكهف﴾ هو جبروم في جبلهم بنجلوس واتخذوه مأوى. والفتية جمع الفتى وهو الشاب القوي الحدث ويستعار للملوك وإن كان شيخاً كالغلام وعن النبي ﷺ: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي ولكن ليقل فتاي وفتاتي» وعن أبي يوسف من قال: أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك﴾ من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون أهل المعادة فمن ابتدائية متعلقة بآتنا ﴿رحمة﴾ خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء ﴿وهيئ لنا من أمرنا﴾ كلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما في المعنى وأصل التهيئة إظهار هيئة الشيء وفي «الصحاح» هيأت الشيء أصلحته والإصلاح نقيض الإفساد وهو جعل الشيء على الحالة المستقيمة النافعة والإفساد هو الإخراج عن حد الاعتدال. والمعنى أصلح ورتب وأتمم لنا من أمرنا الذي هو مهاجرة الكفار والمثابرة على الطاعة ﴿رشد﴾ إصابة للطريق الموصل إلى المطلوب واهتداء إليه.

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لِسُوءِ أَمَدًا ﴿١٧﴾

﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ﴾ أي: حجاباً يمنع سماعها أي: أنماهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الإنامة الثقيلة المانعة عن وصول الأصوات إلى الآذان بضرب الحجاب عليها وتخصيص الآذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب عن الشعور عند النوم لما أنها المحتاجة إلى الحجب عادة إذ هي الطريقة للتيقظ غالباً لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق والفاء في ضربنا كما في قوله فاستجبنا له بعد قوله إذ نادى فإن الضرب المذكور وما ترتب عليه من التقليب ذات اليمين وذات الشمال وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خافية عن أبصار

التمسكين بالأسباب العادية استجابة لدعواتهم ﴿في الكهف﴾ ظرف مكان لضربنا ﴿سنين﴾ ظرف زمان له ﴿عددا﴾ أي: ذوات عدد هي ثلاثمائة وتسع سنين كما سيأتي ووصف السنين بذلك إما للتكثير وهو الأنسب بإظهار كمال القدرة أو للتقليل وهو الأليق بمقام إنكار كون القصة عجباً من بين سائر الآيات العجيبة فإن مدة لبثهم كبعض يوم عنده تعالى.

﴿ثم بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من تلك النوم الثقيلة الشبيهة بالموت وفيه دليل على أن النوم أخو الموت في اللوازم من البعث وتعطيل الحياة والالتحاق بالجمادات ﴿لنعلم﴾ العلم هنا مجاز عن الاختبار بطريق إطلاق اسم المسبب على السبب وليس من ضرورة الاختبار صدور الفعل المختبر به قطعاً بل قد يكون لإظهار عجزه عنه على سنن التكليف التعجيزية كقوله تعالى: ﴿فَأَتَىٰ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٥٨] وهو المراد هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم ﴿أي الحزين﴾ أي: الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سيأتي.

- وروي - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحد الحزين الفتية والآخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكاً بعد ملك وذلك لأن اللام للعهد ولا عهد لغيرهم وأي مبتدأ خبره قوله: ﴿أحصى﴾ فعل ماضٍ أي: ضبط ﴿لما لبثوا﴾ أي: للبثهم فما مصدرية ﴿أمداً﴾ يقال ما أمدك أي: منتهى عمرك أي: غايته فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك إلى العليم الخبير ويتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم من حفظ أبدانهم وأديانهم فيزدادوا يقيناً بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به أمر البعث ويكون ذلك لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفارهم. والأمد بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية على طريق التجوز بغاية الشيء عنه فالمراد بالمدى المدة كما أن المراد بالغاية المسافة وهو مفعول لأحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة فأحصى فعل ماضٍ هنا وهو الصحيح لا أفعل تفضيل لأن المقصود بالاختيار إظهار عجز الكل عن الإحصاء رأساً لا إظهار أفضل الحزين وتمييزه عن الأدنى مع تحقق أصل الإحصاء فيهما.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿أم حسبت﴾ إشارة إلى النبي ﷺ أي: إنك إن حسبت ﴿أن﴾ أحوال ﴿أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا﴾ أي: من آيات إحساننا مع العبد ﴿عجباً﴾ فإن في أمتك من هو أعجب حالاً منهم وذلك أن فيهم أصحاب الخلوات الذين كهفهم الذي يأوون إليه بيت الخلوة وقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فهم محبي ومحجوبي وألواح قلوبهم مرقومة بالعلوم اللدنية، قال الحافظ:

خاطرت كي رقم قيض پذيرد هيهات مكر از نقش پرا كنده ورق ساده كنى
وإن كان أصحاب الكهف آووا إلى الكهف خوفاً من لقاء دقيانوس وفراراً فإنهم آووا إلى كهف الخلوة شوقاً إلى لقائي وفراراً إلي، قال الحافظ:

شكر كمال حلاوت پس از رياضت يافت نخست درشكن تنك ازان مكان كيرد
وإن كان مرادهم من قولهم ﴿ربنا آتنا﴾ الآية النجاة من شر دقيانوس والخروج من الغار بالسلامة فمراد هؤلاء القوم النجاة من شر نفوسهم والخروج من ظلمات غار الوجود للوصول إلى أنوال جمالي وجلالي، قال الحافظ:

مددی کر بچراغی نکند آتش طور چاره تیره شب وادی ایمن چه کنم

وبقوله: ﴿فَضَرَبْنَا﴾ الآية يشير إلى سد آذان ظاهر أصحاب الخلوة وآذان باطنهم لئلا يقرع مسامعهم كلام الخلق فتنتش ألواح قلوبهم به وكذلك ينعزل جميع حواسهم عن نقش قلوبهم ثم إنهم يحون النقوش السابقة عن القلوب بملازمة استعمال كلمة الطلاسة وهي كلمة لا إله إلا الله حتى تصفو قلوبهم بنفي لا إله عما سوى الله وبإثبات إلا الله تنور قلوبهم بنور الله وتنتش بنور العلوم الدنية إلى أن يتجلى تبارك وتعالى لقلوبهم بذاته وجميع صفاته فيفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: أحييناهم بنا ﴿لِنَعْلَمَ أَيَّ الْحِزْبَيْنِ﴾ أي: حزب أصحاب الكهف وحزب أصحاب الخلوة أحصى أي: أخطأ وأصوب لما لبثوا في كهفهم وبيت خلوتهم أمداً غاية لبثهم.

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٢﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ الْأَرْضِ لَنَنْذَعُوكَ مِنْ دُونِهِ إِنَّهُمْ لَقَدْ قَلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٣﴾﴾

﴿نحن نقص عليك﴾ أي: نخبرك ونبين لك وقد مر اشتقاقه في مطلع سورة يوسف ﴿نَبَأَهُمْ﴾ أي: خبر أصحاب الكهف والرقيم ﴿بِالْحَقِّ﴾ صفة لمصدر محذوف أي: نقص قصاً ملتبساً بالحق والصدق. وفيه إشارة إلى أن القصاص كثيراً يقصون بالباطل ويزيدون وينقصون ويغيرون القصة كل واحد يعمل برأيه موافقاً لطبعه وهواه وما يقص بالحق إلا الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [شبان] ﴿آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾. قال في «التكملة»: سبب إيمانهم أن حوارياً من حواربي عيسى عليه السلام أراد أن يدخل مدينتهم ف قيل له: إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له فامتنع من دخولها وأتى حماماً كان قريباً من تلك المدينة فأجر نفسه فيه فكان يعمل فيه فتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه ثم هرب الحواربي بسبب ابن الملك أراد دخول الحمام بامرأة فنجاه الحواربي فأنثره فلما دخل مع المرأة ماتا في الحمام فطلبه الملك لما قيل له إنه قتل ابنك فهرب ثم قال الملك: من كان يصحبه؟ فسموا الفتية فهربوا إلى الكهف. يقول الفقير: الظاهر أن إيمانهم كان بالإلهام الملكوتي والانجذاب اللاهوتي من غير دليل يدلهم على ذلك كما يشير إليه كلام «التأويلات» وسيأتي. واختلف فيهم متى كانوا فروى بعض الناس أنهم كانوا قبل عيسى ابن مريم وأن عيسى أخبر قومه خبرهم وأن بعثهم من نومهم كان بعد رفع عيسى في الفترة بينه وبين محمد عليهما السلام. وروى بعضهم أن أمرهم كان بعد عيسى وأنهم كانوا على دين عيسى. قال الطبري وعليه أكثر العلماء ﴿وَزِدْنَاهُمْ﴾ [وبيفزودهم إيشانرا] ﴿هُدًى﴾ بأن ثبتناهم على الدين الحق وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه.

وفي «التأويلات النجمية»: سماهم باسم الفتوة لأنهم آمنوا بالتحقيق لا بالتقليد وطلبوا الهداية من الله إلى الله بالله ولكنهم طلبوا الهداية في البداية بحسب نظرهم وقدر هممتهم فالله تعالى على قضية (من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً) زاد في هداهم فضلاً منه وكرماً كما قال: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ أي: زدنا على متمنهم في الهداية فإنهم كانوا يتمنون أن يهديهم الله إلى الإيمان بالله وبما جاء به الأنبياء وبالبعث والنشور وإيماناً بالغيب فزاد الله على متمنهم في الهداية حين بعثهم من رقدهم بعد ثلاثمائة وتسع سنين وما تغيرت أحوالهم وما بليت ثيابهم فصار الإيمان إيقاناً والغيب عيناً وعياناً.

ميوه باشد آخر از هار تو كعبه باشد آخر اسفار تو

﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي: قويناهم حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الأهل والأوطان والنعيم والإخوان واجترأوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذر والرد على دقيانوس الجبار وفي الحديث «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» وذلك لأن المجاهد متردد بين رجاء وخوف وأما صاحب السلطان فمتعرض للتلف فصار الخوف أغلب. قال في «الأساس»: ربطت الدابة شدتها برياط والمربط الخيل ومن المجاز ربط الله على قلبه أي: صبره ولما كان الخوف والقلق يزعج القلوب عن مقارها كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَقَلُّوا بِلَبَّاسٍ﴾ [الاحزاب: ۱۰] قيل في مقابلته ربط قلبه إذا تمكن وثبت وهو تمثيل شبه تثبيت القلوب بالصبر بشد الدواب بالرياط ﴿إِذْ قَامُوا﴾ منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لإظهار شعار الدين وقيل: المراد قيامهم بين يدي دقيانوس الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام فحينئذ يكون ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿هُؤُلَاءِ﴾ منقطعاً عما قبله صادراً عنهم بعد خروجهم من عنده.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا﴾ يعني: لثلا يلتفتوا إلى الدنيا وزخارفها وينقطعوا إلى الله بالكلية ولذلك ما اختاروا بعد البعث الحياة في الدنيا ورغبوا في أن يرجعوا إلى جوار الحق تعالى: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ رب العالم ومالكة وخالقه والصنم جزء من العالم فهو مخلوق لا يصلح للعبادة ﴿لَنْ نَدْعُو﴾ لن نعبد أبداً وبالفارسية [نخواهیم پرستید] ﴿مَنْ دُونَهُ إِلَهًا﴾ معبوداً آخر لا استقلالاً ولا اشتراكاً والعدول عن أن يقال رباً للتخصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون أصنامهم آلهة ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا﴾ [آن هنگام که دیکری را پرستیم] ﴿شَطَطًا﴾ قولاً ذا شطط أي: تجاوز عن الحد فهو نعت لمصدر محذوف بتقدير المضاف أو قولاً هو عين الشطط على أنه وصف بالمصدر مبالغة. قال في «القاموس» شط في سلعته شططا محركة جاوز القدر والحد وتباعد عن الحق انتهى وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما أنها لا تعرى عن الاعتراف بالوهمية المعبود والتضرع إليه قيل لقد قلنا وإذا جواب وجزاء أي: لو دعونا من دونه إلهاً والله لقد قلنا قولاً خارجاً عن حد العقول مفراطاً في الظلم.

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُوا عَلَيْهِمُ الْبُتْرُ فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾

﴿هُؤُلَاءِ﴾ مبتدأ وفي التعبير باسم إشارة تحقير لهم ﴿قومنا﴾ عطف بيان له. يعني: [این گروه که کسان ما اند درنسب یعنی جمعی از اهل افسوس].

وقال في «التأويلات النجمية» إنما قالوا: ﴿قومنا﴾ أي: كنا من جملتهم وبالضلالة في زمرتهم فأنعم الله علينا بالهداية والمعرفة وفرق بيننا وبينهم بالرعاية والعناية وخلصنا من عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿اتخذوا من دونه آلهة﴾ خبره وهو إخبار في معنى الإنكار أي: عبدوا الأصنام وجعلوها آلهة جهلاً منهم. قال أبو حيان: اتخذوا هنا يحتمل أن يكون بمعنى عملوا لأنها أصنام هم نحتوها وأن يكون بمعنى صيروا. وفي «المثنوي»:

پیش چوب و پیش سنک نقشی کنند ای بسا کولان که سرهامی نهند
دیو الحاح غوایت میکند شیخ الحاح هدایت میکند

﴿لولا يأتون﴾ هلا يأتون. وبالفارسية [چرانمی آرند که کافران] ﴿عليهم﴾ علی الوهیتهم ﴿بسلطان بین﴾ بحجة ظاهرة الدلالة علی مدعاهم یعنی یعبدون آلهة لم يتمسکوا فی صحة عبادتها ببرهان سماوی من جهة الوحي والسمع ولا لهم فیها علم ضروري ولا دلیل عقلي. وفيه دلیل علی أن ما لا دلیل علیه من الديانات مردود والآية إنکار وتعجيز وتبکیت لأن الإتيان بالسلطان علی عبادة الأوثان محال ﴿فمن أظلم﴾ [پس کیست سمتکارترا] ﴿ممن افترى علی الله کذباً﴾ بنسبة الشريك إلیه تعالی عن ذلك علواً کبیراً. والمعنی أنه أظلم من کل ظالم وعذابه أعظم من کل عذاب لأن الظلم موجب للعذاب فيكون الأعظم للأظلم.

﴿وَإِذْ أَعْرَضْتَهُمْ وَمَا يَنْبُذُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرٍ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٦﴾

﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ الاعتزال بالفارسية [جداشدن] أي: فارقتمهم فی الاعتقاد وأردتم الاعتزال الجسماني وهو خطاب بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم علی الفرار بدینهم. قال الکاشفي: [قبل أزين کذشت که دقيانوس بعد از معارضة ايشان مهلت دادوايشان فرار کردند يملیخا که مهتر ايشان بود درائناى طريق بايشان کفت] ﴿وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ وچون یکسو شديد ازاهل شرك ودوری جستید از ايشان ﴿وما یعبدون إلا الله﴾ عطف علی الضمير المنصوب وما مصدرية أو موصولة أي: إذ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ ومعبوديهم إلا الله أي: وعبادتهم إلا عبادة الله وعلی التقديرين فالاستثناء متصل علی تقدير كونهم مشرکين كأهل مكة ومنقطع علی تقدير تمحضهم فی عبادة الأوثان ﴿فأوؤا﴾ التجأوا ﴿إلی الکهف﴾ قال الفراء هو جواب إذ كما تقول إذ فعلت فافعل کذا وقيل هو دلیل علی جوابه أي: إذ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ اعتزالاً اعتقادياً فاعتزلوهم اعتزالاً جسمانياً أو إذا أردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالتجاء إلی الکهف. وفيه إشارة إلی أن الاعتزال الاعتقادي یوجب الاعتزال الجسماني. ومن ثم قال فی «مجمع الفتاوی» سئل الرستغفني عن المناکحة بین أهل السنة و بین أهل الاعتزال فقال: لا یجوز ﴿ینشر لکم﴾ یبسط لکم ویوسع علیکم ﴿ریکم﴾ مالک أمرکم ﴿من رحمته﴾ من تفضله وإنعامه فی الدارين ﴿ویهیئ لکم﴾ یسهل لکم ﴿من أمرکم﴾ الذي أنتم بصدده من الفرار بالدين ﴿مرفقاً﴾ ما ترفقون وتنتفعون به وجزمهم بذلك لخلوص یقینهم عن شوب الشک وقوة وثوقهم. وفي الحديث: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» وفي الآية: إشارة إلی أن التائب الصادق والطالب المحق من اعتزل عن قومه وترك أهل صحبته وقطع عن إخوان سؤته واعتقد أن لا یعبد إلا الله یعرض عما سوى الله مستعیناً بالله متوکلاً علی الله فاراً إلی الله من غیر الله، قال الخجندي:

وصل میسر نشود جز بقطع
قطع نخست از همه ببریدنست
ثم یأوي إلی كهف الخلوة، قال الجامي:

زاینای دهر وقت کسی خوش نمیشود
خوش وقت آنکه معتکف کنج عزلتست
متمسکاً بذیل إرادة شیخ کامل مکمل واصل موصل لیریه ویزید فی هدیته ویربط علی
قلبه بنور الولاية وقوة الرعاية كما كان حال أصحاب الکهف، وفي «المثنوي»:

کرچه شیری چون روی ره بی دلیل
خویش بیني در ضلالي وذلیل
هین مہر الا که باپرهای شیخ
تابیني عون لشکرهای شیخ

ولكنهم كانوا مجذوبين من الله مربوبين بربهم وذلك من النواذر ولا حكم للنادر وإليه يشير قوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» وهذا من قدرة الله أن يهدي جماعة إلى الإيمان بلا واسطة رسول أو نبي ويجذبهم بجذبات العناية إلى مقامات القرب ومحل الأولياء بلا شيخ مرشد وهاد مرب ومن سنة الله أن يهدي عباده بالأنبياء والرسل وبخلافاتهم ونيابتهم بالعلماء الراسخين والمشايخ المقتدين ففي قوله: ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ إشارة إلى الالتجاء بالخلوة والتمسك بالمشايخ المسلكين يعني لهذه الطريقة ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي: يخصصكم برحمة الخاصة المضافة إلى نفسه وهو أن يجذبهم بجذبات العناية ويدخلهم في عالم الصفات ليتخلقوا بأخلاقه ويتصفوا بصفاته كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ [الشورى: ٨] وله رحمة عامة مشتركة بين المؤمن والكافر والجن والإنس والحيوان ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ أي: ينشر لكم طريق الوصول والوصال كما في «التأويلات النجمية».

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرَ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ (٧)

﴿وترى الشمس﴾ يا محمد أو يا من يصلح للخطاب ويتأتى منه الرؤية وليس المراد به الإخبار بوقوع الرؤية تحقيقاً بل الإنباء بكون الكهف بحيث لو رأيته ترى الشمس. قال الكاشفي: [أورده اندكه جوانان اتفاق نموده بكوه در آمدند وشبان ايشانرا بغار در آورد وچون درو قرار گرفتند حق سبحانه وتعالى خواب برايشان كداشت همانجا بخفتند دقيانوس بعد ازدوسه روزى بافسوس باز آمده أحوال جوانان پرسيد وچون ازفرار ايشان خبر يافت آباء ايشانرا براحضار ايشان تكليف نمود كفتند اي ملك ميلغي أموال ما برده بدين كوه متحصن شدند دقيانوس باجمعى ازعقب ايشان برفت وايشانرا درون غار تكيه كرده يافت پنداشت كه بيدارندكفت درغاررابسنك بر آريد تاهم آنجا بميرند پس درغاررا استوار كردند ودومؤمن ازمقربان دقيانوس اسامى واحوال جوانرا برلوحى ازسنگ نقش كرد ودر ديوار غار وضع كردند باميد آنكه شايد كسى روزى آنجارسد وازحوال ايشان خبر دار كردد]. يقول الفقير: فيكون ما ذكر في الآية من تزاور الشمس وقرضها طالعة وغاربة قبل أن سد دقيانوس باب الكهف إذ لا يتصور دخول شعاع الشمس من الباب المسدود حتى يحتاج إلى التزاور والقرض كما لا يخفى ﴿إذا طلعت تزاور﴾ أي: تتزاور وتتنحى وتميل بحذف إحدى التاءين من الزور بفتح الواو وهو الميل ﴿عن كهفهم﴾ الذي أووا إليه فالإضافة لأدنى ملابس ﴿ذات اليمين﴾ أي: جهة ذات يمين الكهف عند توجه الداخل إلى قعره أي: جانبه الذي يلي المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً أي: كانت ساحته داخلة في جانب الجنوب أو زورها الله عنهم وصرفها على منهاج خرق العادة كرامة لهم وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين أي: الجهة المسماة باسم اليمين ﴿وإذا غربت﴾ أي: تراها عند غروبها ﴿تقرضهم﴾ القرض القطع ومنه المقراض أي: تقطعهم ولا تقربهم ﴿ذات الشمال﴾ أي: جهة ذات شمال الكهف أي: جانبه الذي يلي المشرق. وفي «القاموس» تقرضهم ذات الشمال أي: تخلفهم شمالاً وتجاوزهم وتقطعهم وتركهم على شمالها ﴿وهم في فجوة منه﴾ الفجوة الفرجة وما اتسع من الأرض

وساحة الدار وهي جملة حالية مبنية لكون ذلك أمراً بديعاً أي: تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ولا تحوم حولهم في نهارهم كله مع أنهم في متسع من الأرض أي: في وسط معرض لإصابتها لولا أن صرفتها عنهم يد التقدير ﴿ذلك﴾ أي: ما صنع الله بهم من تراور الشمس وقرضها حالتي الطلوع والغروب مع كونهم في موقع شعاعها ﴿من آيات الله﴾ العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة أهله عنده ﴿من﴾ [هركه] ﴿يهد الله﴾ إلى الحق بالتوفيق له ﴿فهو المهتد﴾ الذي أصاب الفلاح واهتدى إلى السعادة كلها فلن يقدر على إضلاله أحد والمراد إما الثناء عليهم بأنهم المهتدون أو التنبيه على أن أمثال هذه الآية كثيرة ولكن المتنفع بها من وفقه الله للاستبصار بها ﴿ومن يضل﴾ أي: يخلق فيه الضلالة لصرف اختياره إليها ﴿فلن تجد له﴾ أبداً وإن بالغت في التتبع والاستقصاء ﴿وليا﴾ ناصرأ ﴿مرشدا﴾ يهديه إلى الفلاح لاستحالة وجوده في نفسه لا أنك لا تجده مع وجوده أو إمكانه.

﴿وَتَحْسَبُهُمْ آفَاقًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾﴾

﴿وتحسبهم﴾ تظنهم والخطاب فيه كما في ترى ﴿أيافاً﴾ متبهمين جمع يقظ بفتح القاف وكسرها وهو اليقظان ومدار الحسابان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر ﴿وهم رقود﴾ نيام جمع راقد مثل بكيا وجثيا في سورة مريم جمع باك وجاث والأصل بكوى وجثوى على وزن رقود [در كشف الأسرار آورده كه اين حال نموداركار جوانمردان طريقتست چون بطواهر ايشان درنكرى بينى كه جلوه كراند در ميدان اعمال وچون سرائر ايشان دربابى بينى كه ازهمه فارغند در بوستان لطف ذو الجلال بباطن مست وبظاهر هشيار بمعنى بكار وبصورت دركار].

ظاهري با اين وآن درساخته باطني از جمله واپرد اخته

﴿ونقلبهم﴾ في رقدتهم بأيدي الملائكة ﴿ذات اليمين﴾ نصب على الظرفية أي: جهة تلي إيمانهم ﴿وذات الشمال﴾ أي: جهة تلي شمائلهم كيلا تأكل الأرض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان قال أبو هريرة رضي الله عنه: كانت لهم تقلبتان في السنة. وقال ابن عباس رضي الله عنهما تقلبة واحدة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم وذلك في يوم عاشوراء وتعجب منه الإمام وقال: إن الله قادر على حفظهم من غير تقلب وأجاب عنه سعدي المفتي بقوله: لا ريب في قدرة الله ولكن تعالى جعل لكل شيء سبباً في أغلب الأحوال انتهى. قال بعض الكبار: الميل إلى اليمين عند النفي حين التلفظ بكلمة الشهادة وإلى اليسار عند الإثبات مأخوذ من هذه الآية الشريفة.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة لطيفة وهي أن المريد الذي يريبه الله بلا واسطة المشايخ يحتاج إلى أن يكون كالملت بين يدي الغسال مسلماً نفسه بالكلية إليه مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين حتى يبلغ مبلغ الرجال والمريد الذي يريبه الله بواسطة المشايخ لعله يبلغ مبلغ الرجال البالغين بخلوة أربعين يوماً أو خلوتين أو خلوات معدودة وذلك أن هؤلاء خلفاء الله بواسطة المشايخ وصورة لطفه كما أن الأشجار في الجبال تربى بلا واسطة فلا تثمر كما تثمر الأشجار في البساتين بواسطة الدهاقين وتربيتهم.

زمن اي دوست اين يك پندبپذير برو فتراك صاحب دولتي كير

که قطره تا صدف را درنیاید نکردد کوهر و روشن نتابد ﴿وكلبهم﴾ هو کلب راع قد تبعهم على دينهم واسمه قطمير ﴿باسط ذراعيه﴾ حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل وعند الكسائي وهشام وأبي جعفر من البصريين يجوز إعماله مطلقاً والذراع من المرفق إلى رأس الأصبع الوسطى ﴿بالوصيد﴾ أي: بموضع الباب من الكهف. قال في «القاموس» الوصيد الفناء والعتبة انتهى. قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وإنما أراد أن الكلب منه موضع العتبة من البيت.

- روي - أنه يدخل الجنة مع المؤمنين على ما قال مقاتل عشرة من الحيوانات تدخل الجنة ناقة صالح وعجل إبراهيم وكبش إسماعيل وبقرة موسى وحوت يونس وحمار عزيز ونملة سليمان وهدهد بلقيس وكلب أصحاب الكهف وناقة محمد ﷺ فكلهم يصيرون على صورة كبش ويدخلون الجنة ذكره في «مشكاة الأنوار»، قال الشيخ سعدى قدس سره:

سك أصحاب كهف روزی چند پی نیكان كرفت ومردم شد يعني: [بامردمان داخل جنت شد درصورت كبش. ودر تفسیر امام ثعلبی مذکور است که هرکه در شبانروز بر حضرت نوح علیه السلام درود فرستد از کژدم ضرري بوی نرسد وهرکه این کلمات ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ نوشته باخود دارد از سك متضرر نكرد]. قال في «حياة الحيوان» أكثر أهل التفسير على أن كلب أهل الكهف كان من جنس الكلاب.

- وروي - عن ابن جريج أنه قال: كان أسداً ويسمى الأسد كلباً لأن النبي عليه السلام دعا على عتبة بن أبي لهب أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه فأكله الأسد والكلب نوعان أهلي وسلوقي نسبة إلى سلوق وهي مدينة باليمن ينسب إليها الكلاب السلوقية فإنه يكون فيها كلاب طوال يصيدون بها. ومن بلاغات الزمخشري السوقية والكلاب السلوقية سواء يعني أن السوقية لما فيهم من سوء الخلق ورداءة المعاملة والكلاب السلوقية متساويتان وكلا النوعين في الطبع سواء وفي طبعه الاحتلام وتحيز إنائه. قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كلب أمين خير من صاحب خوان. وكان للحارث بن صعصعة ندماء لا يفارقهم وكان شديد المحبة لهم فخرج في بعض منتزهاته ومعه ندماءه فتخلف منهم واحد فدخل على زوجته فأكلها وشراباً ثم اضطجعا فوثب الكلب عليهما فقتلها فلما رجع الحارث إلى منزله فوجدهما قتيلين عرف الأمر فأندب يقول:

وما زال يرعى ذمتي ويحوطنني ويحفظ عرسي والخليل يخون
فيا عجباً للخل تحليل حرمتي ويا عجباً للكلب كيف يصون
وفي «عجائب المخلوقات»: أن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحي التراب عنها ويشير وإذا رأى القاتل نبج عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به قال المولى الجامي في «ذم أبناء الزمان»:

در لباس دوستی سازند کار دشمنی

حسب الإمكان واجبت ازكيدایشان اجتناب

شكل ایشان شكل انسان فعل شان فعل سباع

هم ذئاب في ثياب أو ثياب في ذئاب

وعن الحسن البصري رحمه الله قال في الكلب عشر خصال ينبغي لكل مؤمن أن تكون فيه :

الأولى : أن يكون جائعاً فإنه من دأب الصالحين .
 والثانية : أن لا يكون له مكان معروف وذلك من علامات المتوكلين .
 والثالثة : أن لا ينام من الليل إلا قليلاً وذلك من علامات المحبين .
 والرابعة : إذا مات لا يكون له ميراث وذلك من صفات المترهدين .
 والخامسة : أنه لا يترك صاحبه وإن ضربه وجفاه وذلك من علامات المريدين الصادقين .
 والسادسة : أنه يرضى من الأرض بأدنى الأماكن وذلك من علامات المتواضعين .
 والسابعة : إذا تغلب على مكانه تركه وانصرف إلى غيره وهذه من علامات الراضين .
 والثامنة : إذا ضرب وطرده وجفى عليه وطرح له كسرة أجاب ولم يحقد على ما مضى وذلك من علامات الخاشعين .

والتاسعة : إذا حضر الأكل جلس بعيداً ينظر وهذه من خصال المساكين .
 والعاشرة : أنه إذا رحل من مكان لا يلتفت إليه وهذه من علامات المحزونين كذا في «روض الرياحين» للإمام الياضي رحمه الله ﴿لو اطلعت عليهم﴾ أي : لو عاينتهم وشاهدتهم وأصل الاطلاع الإشراف على الشيء بالمعينة والمشاهدة ﴿لوليت منهم﴾ أي : هربت ﴿فراراً﴾ نصب على المصدرية من معنى ما قبله إذ التولية والفرار من واحد أي : ولت تولية أو فررت فراراً ﴿ولملت﴾ [وهر آينه پرکرده شوی] ﴿منهم رعباً﴾ خوفاً يملأ الصدر ويرعبه وهو إما مفعول ثان أو تمييز وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة والهيئة كانت أعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم . قال الكاشفي : [مراد آنست كه کسی را طاقت دیدن ایشان نیست بجهت آنکه چشمهای ایشان كشاده است ومویها وناخونهای ایشان دراز شده وایشان درمکان مظلم وموحش اند] وعن معاوية رضي الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : ليس لك ذلك وقد منع الله من هو خير منك فقال : ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً﴾ فقال معاوية : لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناساً وقال لهم : اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف جاءت ريح فأحرقتهم وقيل : فأخرجتهم . فإن قيل : من أين يفهم المنع من الآية؟ قلنا : من حيث دلالتها على أنهم لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة لا يستطيع أحد أن ينظر إليهم نظر الاستقصاء وهذا الذي طلبه معاوية ولم يسمع لأنه ظن أن هذا المعنى وهو امتناع الاطلاع عليهم مختص بذلك الزمان الذي قبل بعثهم والإعثار عليهم وبناء المسجد فوقهم . وأما ابن عباس رضي الله عنه فقد علم أن ذلك عام في جميع الأزمان كذا في «حواشي» سعدي المفتي . يقول الفقير : لا شك أن عبارة الخطاب في لو اطلعت وما يليه لحضرة الرسالة وإشارته لكل من يصلح له من أمته فمعاوية داخل تحت إشارة هذا الخطاب فيكون التفتيش عنهم إذا ضائعاً لا طائل تحته وذلك لأن مطالعة ما خرج عن حد إشكاله من الأمور العجيبة الخارقة لا تيسر لكل نظر ألا ترى أنه عليه السلام مع غلبة الملكية عليه لما رأى جبرائيل على صورته العجيبة وقد سد بأجنحته ما بين المشرق والمغرب خر مغشياً عليه مع أن في النظر إليهم ابتداءً لهم بالنسبة إلى من ليس من أهله وقد جرت عادة الله تعالى على ستر المعاني في الدنيا والصور في البرزخ الذي هو مقدمة عالم

الآخرة فكما لا يشاهد الروح وهو في البرزخ لكون حس الرائي حجاباً مانعاً كذلك الجسد الطاهر الطيب المقدس لكونه متصلاً بمقام الروح ولذا لا تأكله الأرض فافهم .
- حكي - أن صوفياً رأى ولياً من أولياء الله تعالى راكباً لأسد وبيده حية بدل السوط فلما شاهده هلك من هيبة المقام .

خام را طاقه پروانه پر سوخته نیست

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿وكذلك﴾ قال الكاشفي: [چون دقیانوس در غار برایشان استوار کرده باز کشت و بدار الملک باز آمدند که زمانی را باداجل بنای حیاتش درهم فکند و آن همه ملک و مال و جلال متلاشی کشت]:

دمی چند بشمرد و ناچیز شد زمانه بخندید کونیز شد

[وبعد ازو چند مالک دیگر برآن ممالک نظر کرد تا نوبت ملک صالح تندروس و کوند تندروسی رسید و او مردی مؤمن و خدای ترس بود و اکثر اهل زمان او را در حشر جسد شبهه افتاد و منکران شدند هرچند ملک ایشانرا پند داد سود نکرد حق سبحانه و تعالی خراست که دلیل برحشر جسد برایشان نماید اصحاب کهف را از خواب بیدار کرد چنانچه کفت] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما أنماهم تلك الإنامة الطويلة وحفظنا أجسادهم و ثيابهم من البلى والتحلل آية دالة على كمال قدرتنا ﴿بعثناهم﴾ أي: أيقظناهم من النوم ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ أي: ليسأل بعضهم بعضاً فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة ﴿قال﴾ استئناف لبيان تسألهم ﴿قائل منهم﴾ هو رئيسهم مكشليينا. وفي «بحر العلوم»: مكسلمينا ﴿كم﴾ [چند وقت] ﴿لبثتم﴾ في منامكم لعله قال لما رأى من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة ﴿قالوا﴾ أي: بعضهم ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ قيل: إنما قالوه لما أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم آخر النهار فقالوا: لبثنا يوماً فلما رأوا أن الشمس لم تغرب بعد قالوا أو بعض يوم وكان ذلك بناء على الظن الغالب فلم ينسبوا إلى الكذب. وقال الكاشفي: [ایشان بامداد بغار بر آمده بودند چون درنکر یستند آفتاب بوقت چاشت رسیده دیدند قالوا لبثنا گفتند درنک کردیم اینجا يوماً روزی اگر دی روز در خواب شده باشیم او بعضی یوم یاپاره از روزا کردین روز خفته باشیم]. يقول الفقير: هذا أولى مما قبله لأن قوله فابعثوا أحدكم بورقكم يدل على بقاء ما يسع فيه الذهاب والإياب من النهار بخلاف ما لو كان الوقت قبيل الغروب إذ يبعد البعث المذكور فيه لعدم إمكان العود عادة لمكان المسافة بين الكهف والمدينة ﴿قالوا﴾ أي: بعض آخر منهم بما سنع لهم من الأدلة أو بإلهام من الله. وقال الكاشفي: [پس چون ناخنان خود را بالیده و مویهای سر را دراز یافتند گفتند بعضی از ایشان بعضی دیگر را] ﴿وبكم أعلم بما لبثتم﴾ أي: أنتم لا تعلمون مدة لبثكم لأنها متطاوله و مقدارها مبهم وإنما يعلمها الله تعالى وبه يتحقق التحزب إلى الحزبين المعهودين فيما سبق ﴿فابعثوا أحدكم﴾ يملئها ﴿بورقكم هذه إلى المدينة﴾ قالوه

إعراضاً عن التعمق في البحث لأنه ملتبس لا سبيل لهم إلى علمه وإقبالاً على ما يهمهم بحسب الحال كما ينبىء عنه الفاء والورق الفضة مضروبة أو غير مضروبة ووصفها باسم الإشارة يشعر بأن القائل ناولها بعض أصحابه ليشتري بها قوت يومهم ذلك وحملهم لها دليل على أن التزود أي: أخذ الزاد لا ينافي التوكل على الله بل هو فعل الصالحين ودأب المنقطعين إلى الله دون المتوكلين على الإنفاقات والتوكل يكون بعد مباشرة الأسباب، وفي «المثنوي»:

كرتوكل ميكنى دركار كن كشت كن پس تكيه بر جبار كن
رمز الكاسب حبيب الله شنو از توكل در سبب كاهل مشو

وكونهم متوكلين علم من قولهم ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا﴾ والمدينة طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس. قال في «القاموس»: طرسوس كحلزون بلد مخصب كان للأرمن ثم أعيد إلى الإسلام في عصرنا ﴿فلينظر أيها﴾ أي: أهلها على حذف المضاف كقوله: ﴿وَتَشِلُّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢] ﴿أزكى طعاما﴾ أحل وأطيب وأكثر وأرخص طعاماً ﴿فليأتكم﴾ [پس بيارد بشما] ﴿برزق﴾ بقوت وهو ما يقوم به بدن الإنسان ﴿منه﴾ أي: من ذلك الأزكى طعاماً. قال الكاشفي: [در زمان ایشان در آن شهر كسان بودند كه ايمان خود مخفی می داشتند غرض آن بود كه ذبيحه ایشان پیدا كند] ﴿وليتلطف﴾ وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن أو في الاستخفاء لئلا يعرف قال بعض المتقدمين حسب القرآن بالحروف فوجدت النصف عند قوله في سورة الكهف: ﴿وليتلطف﴾ اللام الثاني في النصف الأول والطاء والفاء في النصف الثاني كما في «البستان». ﴿ولا يشعرن بكم أحدا﴾ من أهل المدينة فإنه يستدعي شيوخ أخباركم أي: لا يعلن ما يؤدي إلى الشعور بنا من غير قصد فسمي ذلك إشعاراً منه بهم لأنه سبب فيه فالنهي على الأول تأسيس وعلى الثاني تأكيد للأمر بالتلطف.

﴿إنهم﴾ أي: ليبالغ في التلطف وعدم الإشعار لأنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ويظفروا بكم والضمير للأهل المقدر في أيها ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالرجم وهو الرمي بالحجارة إن ثبت على ما أنتم عليه وهو أخبث القتل وكان من عاداتهم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي: يصيروكم إلى ملة الكفر أو يدخلوكم فيها كرهاً من العود بمعنى الصيرورة كقوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨] وقيل: كانوا أولاً على دينهم فآمنوا. يقول الفقير: هذا هو الصواب لقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم﴾ وذلك لأنه لو لم يكن إيمانهم حادثاً لقليل إنهم فتية مؤمنون وإثبات كلمة في على كلمة إلى للدلالة على الاستقرار الذي هو أشد شيء عندهم كراهة ﴿ولن تفلحوا إذا﴾ أي: إن دخلتم فيها ولو بالكره والإلجاء لن تفوزوا بخير ﴿أبدا﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة لأنكم وإن أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة والاستمرار عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: العجب كل العجب أنهم لما كانوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين في مقام عندية الحق خارجين عن عنديتهم ما احتاجوا إلى طعام الدنيا وقد استغنوا عن الغذاء الجسماني بما نالوا من الغذاء الروحاني كما كان حال النبي ﷺ كان يواصل الأيام ويقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» فلما رجعوا من عندية الحق إلى عندية نفوسهم قالوا: ﴿فابعثوا﴾ الخ ففي طلبهم أزكى طعاماً إشارة إلى أبواب الوصول وأصحاب المشاهدة لما

شاهدوا ذلك الجمال والبهاء وذاقوا طعم الوصال وجدوا حلاوة الأنس وملاطفات الحبيب فإذا رجعوا إلى عالم النفوس تطالبهم الأرواح والقلوب بأغذيتهم الروحانية فيتعللون بمشاهدة كل جميل لأن كل جمال من جمال الله وكل بهاء من بهاء الله ويتوصلون بلطافة الأطعمة إلى تلك الملاطفات كما قالوا: ﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف﴾ أي: في الطعام ﴿ولا يشعروا بكم أحدا﴾ وفيه إشارة إلى الاحتراز عن شعور أهل الغفلة بأحوال أرباب المحبة فإن لهم في النهاية أحوالاً كأنها كفر عند أهل البداية كما قال أبو عثمان المغربي قدس سره إرفاق العارفين باللطف وإرفاق المريدين بالعنف ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يعني: أهل الغفلة ﴿يرجموكم﴾ بالملامة فيما يشاهدون منكم يا أهل المعرفة من وسعة الولاية وقوتها واستحقاق التصرف في الكونين وانعدام تصرفهما فيكم فإنهم بمعزل عن بصيرة يشاهدون بها أحوالكم فمن قصر نظرهم يطعنون فيكم:

عشق درهر دل که سازد بهر دردت خانه اول از سنک ملامت افکند بنیاد او

﴿او﴾ يريدون أن يعيدوكم في ملتهم وهي عبادة أصنام الهوى وطواغيت شهوات الدنيا وزينتها فإن رجعت إليها فلن تفلحوا إذا أبداً. يقول الفقير: اعلم أنه لا يخلو الأعصار من مثل دقيانوس الجبار صورة ومعنى فمن أراد السلامة في بدنه ودينه وعمله واعتقاده وعرضه فليجدها في الوحدة والاعتزال عن الناس والإيواء إلى كهف البيت والذهول عن أحوال الناس صغيرهم وكبيرهم رفيعهم ووضيعهم كالنائم فإنه مسلوب الحس لا يدري ما الدنيا وما فيها لغموض العينين لا يفرق بين سواد وبياض وإن ادعى أحد أنه بحر لا يتغير فذلك غرور محض لأن عدم التغير لا يحصل إلا للمتغير في الاختلاط ضرر كثير وهو كالرضاع يغير الطباع وغايته موافقة أهل الهوى طوعاً أو كرهاً نعوذ بالله من ذلك ونسأله الحفظ من الوقوع في المهالك ونرجو منه الفلاح الأبدي والخلاص السرمدي.

﴿وَكَذَلِكَ أَتَتْكَ آلَتُنَا عَلَيْهِمْ لَعَلَّوْا أَنْتَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَسْتَرْعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿١٦﴾﴾

﴿وكذلك﴾ قال الكاشفي: [يمليخاكه بعقل كامل موصوف بود وصيتها قبول نموده روى بشهر نهاد وبدروازه رسيد أوضاع آن را متغير دید وچون بشهر درآمد بازار ومحلات وأشكال وألوان مردم بر نمطی دیگر یافت حیرى بروی غلبه کرد آخر الأمر بـدكان خباز آمد ودرمی از آنچه همراه داشت بوى داد تادر عوض نان بستاند نان وای زرى دید منقش بنام دقيانوس خیال بست که این مرد کنجی یافته آن زررا ببازاری دیگر بديکری نمود بیک لحظه این خبر دربازار منتشر شده بشحنه رسيد ويمليخارا طلبیده تهدیدی عظیم نمود وطلب باقی زرها کرد يملیخا گفت من کنجی نیافته ام دی روز این زررا ازخانه پدر برداشته ام وأمر وزبازار آورده ام نام پدرش پرسیدند وچون گفت کسی از اهل شهر ندانست ویراتکذیب نمودند واو ازغایت دهشت گفت مراپیش دقيانوس بریدکه او ازمهم من آگاهی دارد مردمان آغاز استهزا کردندکه دقيانوس قریب سیصد ساله شدکه مرده است تو مارا افسوس میکری يملیخا گفت شما بامن سخریه میکنید دیروز ما جماعتی ازوی کریخته بکوه رفتیم وامروز مرا بشهر بطلب طعام فرستادند من بجزاین چیزی ندانم القصه اورانزدیک ملک آوردند وصورت حال تقرير کرد

ملك باجماعتي از مقربان و اشراف بلد روی بغار آوردند و یملیخا بغار در آمد و یارانرا از صورت حال خبر داد و علی الفور ملك برسید و آن لوح که بر در غار بود برخواندند و اسامی و احوال ایشان معلوم کرد و باقوم بغار در آمده ایشانرا دید بارویهای تازه و جامهای نو متحیر شده برایشان سلام کرد جواب دادند حق سبحانه و تعالی ازین حال اخبار فرمود ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: كما أنمناهم وبعثناهم من تلك النومة لما في ذلك من إظهار القدرة الباهرة والحكمة البالغة وازدياد بصيرتهم ویقینهم ﴿أَعْرَضْنَا﴾ أي: أطلعنا الناس ﴿عليهم﴾ أي: على أصحاب الكهف وأصله أن الغافل عن شيء ينظر إليه إذا عثر به فيعرفه فكان العثار سبب العلم به فأطلق اسم السبب على المسبب. قال في «تهذيب المصادر» الإعرار [برسانیدن کسی را بر چیزی] قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا﴾ والاطلاع [بر رسانیدن کسی بر نهانی] العرب تقول: اطلع فلان على القوم ظهر لهم حتى رأوا واطلع عنهم غاب عنهم حتى لا يروه ﴿ليعلموا﴾ أي: الذين اطلعناهم على حالهم وهم قوم تندروس الذين أنكروا البعث ﴿أن وعد الله﴾ أي: وعده بالبعث للروح والجسد معاً ﴿حق﴾ صدق لا خلف فيه لأن نومهم وانتباههم بعده كحال من يموت ثم يبعث إذ النوم أخو الموت ﴿وأن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلائق جميعاً للحساب والجزاء ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك في قيامها ولا شبهة في وقوعها فإن من شاهد أنه تعالى توفي نفوسهم وأمسكها ثلاثمائة سنة وأكثر حافظاً أبدانهم من التحلل والتفتت ثم أرسلها إليها علم يقيناً أنه تعالى يتوفى نفوس جميع الناس ويمسكها إلى أن يحشر أبدانها فيردها إليها للحساب والجزاء.

پیش قدرت کارها دشوار نیست عجزها باقوت حق کار نیست
 يقول الفقير: هذا من لطف الله بالقوم وإرشاده إياهم بصورة النوم حيث أظهر هذه القدرة وبين الحق بوجه يقوم مقام بعث الرسول لمن هو من أهل اليقظة.
 وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَلَيْهِم﴾ إشارة إلى أنا كما اطلعنا بعض منكري البعث والنشور بالأجساد على أحوال أصحاب الكهف ليعلموا ويتحقق لهم أن وعد الله بالبعث وإحياء الموتى حق وأن قيام الساعة لا ريب فيه إنا قادرون على إحياء بعض القلوب الميتة وإن وعد الله به بقوله: ﴿فَلَنَحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وبقوله: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] حق وإن قيام قلوب الصديقين المحبين لا ريب فيه انتهى [در تفسیر امام ثعلبی مذکور است که حضرت رسالت ﷺ را آرزوی آن شد که أصحاب کهف را به بیند جبریل آمد که یا رسول الله نوایشانرا درین دنیا نخواهی دید اما ازاخیار أصحاب خود چهارکس را بفرست تا ایشانرا بدین تو دعوت کنند آن حضرت فرمود که چگونه فرستم و که را برفتن بفرمایم جبریل فرمود رداى مبارك خود بکستران و صديق و فاروق و مرتضى و أبو درداء رضي الله عنهم بکوتا هريك بکوشه نشیند و بادراکه مسخر سلیمان بود بطلب که خدای تعالی اورا مطیع تو گردانید بفرمای تا ایشانرا برداشته بدان غار برد حضرت آنچنان کرد و صحابه بدر غار سیدند سنکی بود برداشتند سک ایشان روشنی بانك در گرفت و حمله آورد و اما چون چشم وی ایشانرا دیدم جنبانیدن آغار نهاد و بسر اشارت کرد که در آید ایشان در آمده گفتند السلام علیکم ورحمة الله وبرکاته حق سبحانه ارواح بأجساد ایشان باز آورد تا بر خاستند و جواب سلام باز دادند صحابه گفتند نبي الله محمد بن عبد الله ﷺ شما سلام رسانیده ایشان گفتند السلام على محمد

رسول الله پس دعوت کردند ایشانرا بدین اسلام وایشان قبول نمودند و حضرت پیغمبر را سلام رسانیدند باز در مضاجع خود تکیه کردند وبار دیگر نزد خروج مهدی از اهل محمد علیه السلام زنده شوند و مهدی برایشان سلام کند و جواب دهند پس بمیرند و در قیامت مبعوث گردند [إذ يتنازعون] قال بعض أصحاب التفسير: هو متعلق بذكر المقدر، يقول الفقير: هو الأظهر والأنسب لترتيب الفاء الآتية عليه فيكون كلاماً منفصلاً عما قبله والمتنازعون هم قوم تندروس ﴿بينهم أمرهم﴾ أي: تدبير أمر أصحاب الكهف حين توفاهم الله ثانياً بالموت كيف يخفون مكانهم وكيف يستر الطريق إليهم ﴿فقالوا﴾ أي: بعض أهل المدينة ﴿ابنوا عليهم﴾ أي: على باب كهفهم ﴿بنيانا﴾ [ديواری که از چشم مردم پوشیده شوند] یعنی لا يعلم أحد تربتهم وتكون محفوظة من تطرق الناس كما حفظت تربة رسول الله بالحظيرة ﴿ربهم أعلم بهم﴾ بحالهم وشأنهم لا حاجة إلى علم الغير بمكانهم ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ من المسلمين وملكهم ﴿لنتخذن عليهم مسجداً﴾ أي: لنبنين على باب كهفهم مسجداً يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم.

- روي - أنه لما اختلف قوم تندروس في البعث مقترحين وجاحدين دخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً جلس على رماد وسأل ربه أن يظهر الحق فألقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف ليتخذة حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله فلما انتشر خبرهم واطلع عليهم الملك وأهل المدينة مسلمهم وكافرهم كلموهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم فناموا وماتوا فألقى عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوتاً من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً. يقول الفقير: هذه حال أهل الفناء ولذا لم يقبل حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره البناء على مرقده فعملوا من الألواح ثم أخذتها الصاعقة كأنه لم يقبل الغطاء وسببه ما سمعته من حضرة شيعي وسندي روح الله وروحه وهو أنه قال إن الشيخ صدر الدين كان من أولاد الملوك كحضرة مولانا صاحب «المثنوي» وكان مولانا تاركاً للدنيا مطلقاً وصدر الدين متجماً صورة حتى كان له خدام متزينون وله إبريق وطشت من فضة وتغير عليه شخص في ذلك فأشار حضرة الشيخ إلى الإبريق فأتى إلى حضرة الشيخ وقربه فتحير الحاضرون وتاب الشخص وقال يوماً لحضرة مولانا نعيش كالملوك ونضطجع كالصعلوك فقال مولانا نعيش كالصعلوك ونضطجع كالملوك ولذا ترى تربة مولانا على الاحتشام العظيم دون مرقد صدر الدين رزقنا الله شفاعتها، قال المولى الجامي:

وصلش مجودر اطللس شاهى كه دوخت عشق

این جامه برتنی که نهان زیر زنده بود

﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحْمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿سيقولون﴾ الضمائر في الأفعال الثلاثة للخائضين في قصتهم في عهد النبي ﷺ من أهل

الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه إسناد كل قول فيها إلى كلهم بل إلى بعضهم سألوا رسول الله فأخبر الجواب إلى أن يوحى إليه فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلهم أي: يقول اليهود هم أي: أصحاب الكهف ﴿ثلاثة﴾ أي: ثلاثة أشخاص ﴿رابعهم كلهم﴾ أي: جاعلهم أربعة بانضمامه إليهم كلهم ﴿ويقولون﴾ أي: النصارى وإنما لم يجيء بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ﴿خمسهم سادسهم كلهم رجماً بالغيب﴾ رمية بالخبر الخفي عليهم وإتياناً به كقوله: ﴿وَيَقْدِرُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٥٣] أي: يأتون به أو ظناً بالغيب من قولهم رجماً بالظن إذا ظن وانتصابه على الحالية من الضمير في الفعلين معاً أي: راجمين أو على المصدر منهما فإن الرجم والقول واحد أي: يرحمون رجماً بالغيب ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلهم﴾ القائلون المسلمون بطرق التلقن من هذا الوحي وما فيه مما يرشددهم إلى ذلك من عدم نظم في سلك الرجم بالغيب وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها وذلك لأن الوحي مقدم على المقالة المذكورة على ما يدل عليه السنن ﴿قل﴾ تحقيقاً للحق ورداً على الأولين ﴿ربي أعلم﴾ قال سعدي المفتي أي: أقوى علماً وأزيد في الكيفية فإن مراتب اليقين متفاوتة في القوة ولا يجوز أن يكون التفضيل بالإضافة إلى الطائفتين الأوليين إذ لا شركة لهما في العلم ﴿بعدهم﴾ بعددهم ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ ما يعلمهم عدتهم إلا قليل من الناس قد وفقهم الله للاستشهاد بتلك الشواهد. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - حين وقعت الواو وانقطعت العدة أي: لم يبق بعدها عدة عاد يعتد بها وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلهم قطعاً وجزماً وعليه مدار قوله أنا من ذلك القليل. وعن علي رضي الله عنهم سبعة نفر أسماؤهم يملخوا ومكشليينا ومشليينا هؤلاء أصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشازنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسمه كفشططوش أو كفيشيططوش. قال الكاشفي: الأصح أنه مرطوش. قال النيسابوري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أسماء أصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب وإطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس وترفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان والحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى ولعسر الولادة تشد على فخذها اليسرى ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ﴿فلا تمار﴾ الممارسة [ستيزه كردن] الفاء لتفريع النهي على ما قبله أي: إذ قد عرفت جهل أصحاب القولين الأولين فلا تجادلهم ﴿فيهم﴾ أي: في شأن أصحاب الكهف ﴿إلا مرأ ظاهراً﴾ إلا جداولاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما في القرآن من غير تصريح بجهلهم وتفضيح لهم فإنه مما يخل بمكارم الأخلاق ﴿ولا تستفت﴾ [وفتوى مجوى يعني مپرس] ﴿فيهم﴾ أي: في شأنهم ﴿منهم﴾ أي: من الخائضين ﴿أحدًا﴾ فإن فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع أنه لا علم لهم بذلك. قال الكاشفي: [أهل تأويل را درباب أصحاب كهف سخن پسياراست بعض كويند اين قصه نمود از أحوال بدلاء سبعة است كه هفت اقليم عالم بوجود ايشان قائمست وكهف خلو تخانه ايشان بود وكلب نفس حيوانية]. وعن الخضر عليه السلام أنه قال: ثلاثمائة هم الأولياء وسبعون هم النجباء وأربعون هم أوتاد الأرض وعشرة هم النقباء وسبعة هم العرفاء وثلاثة هم المختارون

العرفاء وثلاثة هم المختارون وواحد هو الغوث لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية ولكن بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه وهم لا يسبون شيئاً ولا يلعنونه ولا يؤذون من تحتهم ولا يحقرونه ولا يحسدون من فوقهم أطيب الناس خيراً وألينهم عريكة وأسأخاهم نفساً كذا في «روض الرياحين» للإمام الياضي رحمه الله [ونزد جمعي أشارتست بروح وقلب وعقل فطرى ومعيش وقوت قدسيه وسر وخفى كه تعلق بكهف بدن دارد ودقيانوس نفس أماره است].

کند مرددا نفس اماره خوار اگر هو شمندى عزیزش مدار
مبیطاعت نفس شهوت پرست که هرساعتش قبله دیکرست

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولا تقولن﴾ نهى تأديب ﴿لشيء﴾ أي: لأجل شيء تعزم عليه ﴿إني فاعل ذلك﴾ الشيء ﴿غدا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان مطلقاً فيدخل فيه الغد دخولاً أولياً فإنه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه ﷺ فقال: «اثنوني غداً أخبركم» ولم يستثن أي: لم يقل إن شاء الله وتسميته استثناء لأنه يشبه الاستثناء في التخصص فأبطأ عليه الوحي أيام حتى شق عليه. يعني: [غبار ملال بر مرآت دل بي غل آن حضرت نشست] وكذبتة قريش وقالوا ودعه ربه وأبغضه.

﴿إلا أن يشاء الله﴾ استثناء مفرغ من النهي أي: لا تقولن ذلك في حال من الأحوال إلا حال ملابسته بمشيئته تعالى على الوجه المعتاد وهو أن يقال إن شاء الله وفيه إشارة إلى أن الاختيار والمشيئة لله وأفعال العباد كلها مبنية على مشيئته كما قال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ﴾ [الإنسان: ٣٠] ﴿واذكر ربك﴾ أي: قل إن شاء الله ﴿إذا نسيت﴾ ثم تذكرته كما روي أنه عليه السلام لما نزل قال: «إن شاء الله» ﴿وقل عسى﴾ [شایدکه] ﴿أن يهديني ربي﴾ أي: يوفقني ﴿لأقرب من هذا﴾ أي: لشيء أقرب وأظهر من نبأ أصحاب الكهف من الآيات والدلائل الدالة على نبوتي ﴿رشدًا﴾ أي: إرشاداً للناس ودلالة على ذلك وقد فعل حيث أراه من البينات ما هو أعظم من ذلك وأبين كقصص الأنبياء المتباعدة أيامهم والحوادث النازلة في الأعصار المستقبلية إلى قيام الساعة. قال سعدي المفتي: لما جعل اليهود الحكاية عن أصحاب الكهف دالة على نبوته هون الله أمرها وقال: ﴿قل عسى﴾ الآية كما هون المحكي في مفتتح الكلام بقوله: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم﴾ الآية انتهى. وقال السمرقندي في «بحر العلوم»: والظاهر أن يكون المعنى إذا نسيت شيئاً فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه أن تقول عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي أقرب منه رشداً وأدنى خيراً ومنفعة انتهى. قال الإمام في تفسيره: والسبب في أنه لا بد من ذكر هذا القول هو أن الإنسان إذا قال سأفعل الفعل فلاني غداً لم يبعد أن يموت قبل أن يجيء الغد ولم يبعد أيضاً لو بقي حياً أن يعوقه من ذلك الفعل عائق فإذا لم يقل إن شاء الله صار كاذباً في ذلك الوعد والكذب منفر وذلك لا يليق بالأنبياء عليهم السلام فلهذا السبب وجب عليه أن يقول: إن شاء الله حتى أنه بتقدير أن يتعذر عليه الوفاء بذلك الموعود لم يصر كاذباً فلم يحصل التنفير انتهى. قال أبو

الليث - رحمه الله - روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة تأتي بغلام يقاتل في سبيل الله ونسي أن يقول إن شاء الله فلم تأت واحدة منهن بشيء إلا امرأة بشق غلام» فقال النبي عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لولد له ذلك» وذلك أن من لم يعلق فعله بمشيئته تعالى فإن من سنته أن يجري الأمر على خلاف مشيئته ليعلم أن لا مشيئة في الحقيقة إلا الله تعالى وفي الحديث: «إن من تمام إيمان العبد أن يستثني في كل حديثه» أي: سواء كان ذلك باللسان والقلب معاً أو بالقلب فقط فإن مجرد الاستثناء باللسان غير مفيد، وفي «المثنوي»:

ترك استثناء مرادم قسوتيسست نى همين كفتن كه عارض حالتيسست

اي بسا نا ورده استشنا بكفت جان او باجان استشناست جفت

ومن لطائف «روضة الخطيب» أنه سئل رجل إلى أين؟ فقال: إلى الكناسة لأشتري حماراً فقيل: قل إن شاء الله فقال: لست أحتاج إلى الاستثناء فالدراهم في كمي والحمير في الكناسة فلم يبلغ الكناسة حتى سرقت دراهمه من كمه فرجع فقال رجل: من أين؟ قال: من الكناسة إن شاء الله سرقت دراهمي إن شاء الله.

واعلم أن ابن عباس رضي الله عنهما جوز الاستثناء المنفصل بالآية المذكورة وعامة الفقهاء على خلافه إذ لو صح ذلك لما تقرر إقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب في الإخبار عن الأمور المستقبلية. قال القرطبي في تأويل الآية: هذا في تدارك التبري والتخلص من الإثم وأما الاستثناء المغير للحكم فلا يكون إلا متصلاً انتهى. قال في مناقب الإمام الأعظم روي أن محمد بن إسحاق صاحب المغازي كان يحسد أبا حنيفة لما روي من تفضيل المنصور أبي جعفر أبا حنيفة على سائر العلماء فقال محمد بن إسحاق عند أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور لأبي حنيفة ما تقول في رجل حلف وسكت ثم قال: إن شاء الله بعد ما فرغ من يمينه وسكت فقال أبو حنيفة: لا يعمل الاستثناء لأنه مقطوع وإنما ينفعه إذا كان متصلاً فقال محمد بن إسحاق: كيف لا ينفعه وقد قال جد أمير المؤمنين وهو عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه يعمل الاستثناء وإن كان بعد سنة لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ رَّبُّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ فقال أمير المؤمنين: أهكذا قول جدي فقال: نعم فقال المنصور على وجه الغضب لأبي حنيفة: أتخالف جدي يا أبا حنيفة؟ فقال أبو حنيفة لقول ابن عباس تأويل يخرج على الصحة ثم قال لأمر المؤمنين: إن هذا وأصحابه لا يرونك أهلاً للخلافة لأنهم يبايعونك ثم يخرجون فيقولون إن شاء الله ويخرجون من بيعتك ولا يكون في عنقهم حنث فقال أمير المؤمنين لأعوانه: خذوا هذا يعني محمد بن إسحاق فأخذوه وجعلوا رداه في عنقه وحسوه.

ملزم آمد محمد إسحاق مبتلاً شد بنقيض إطلاق

وفيه تعظيم إمام الملة قائل الحق بغير العلة.

﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا شَعَابًا﴾ (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّنِينَ

وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِمْ وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦)

﴿ولبشوا﴾ أي: الفتية وهو بيان لاجمال قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ عَادَاتِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ

عَدَدًا﴾ [الكهف: ١١] ﴿في كهفهم﴾ إحياء نيماً ﴿ثلاث مائة سنين﴾ عطف بيان لثلاثمائة لا

تميز وإلا لكان أقل مدة لبثهم عند الخليل ستمائة سنة لأن أقل الجمع عنده اثنان وعند غيره تسعمائة لأن أقله ثلاثة عندهم هذا على قراءة مائة بالتونين وأما على قراءة الإضافة فأقيم الجمع مقام المفرد لأن حق المائة أن يضاف إلى المفرد وجه ذلك أن المفرد في ثلاثمائة درهم في المعنى جمع فحسن إضافته إلى لفظ الجمع كما في الأخشرين أعمالاً فإنه ميز بالجمع وحقه المفرد نظراً إلى مميزه ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي: تسع سنين وهو إشارة إلى أن ذلك الحساب على اعتقاد أهل الكتاب شمسي وأما عند العرب فهو قمري والقمري يزيد على الشمسي تسعاً لأن التفاوت بينهما في كل مائة سنة ثلاث سنين ولذلك قال وازدادوا تسعاً هو مفعول ازدادوا والسنة الشمسية مدة وصول الشمس إلى النقطة التي فارقتها من ذلك البرج وذلك ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم والسنة القمرية اثنا عشر شهراً قمرياً ومدتها ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وثلاث يوم. قال الكاشفي: [وبتحقيق سيصدسال شمسي سيصدونه سال قمري ودوماه نواذه روز باشد].

﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ ، قال البغوي: إن الأمر في مدة لبثهم كما ذكرنا فإن نازعوك فيها فأجبههم و﴿قل الله أعلم بما لبثوا﴾ أي: بالزمان الذي لبثوا فيه لأن علم الخفيات مختص به ولذلك قال: ﴿له﴾ خاصة ﴿غيب السموات والأرض﴾ أي: ما غاب عن أهل الأرض ﴿أبصر به﴾ [چه بیناست خدای تعالی بهر موجودی] و﴿أسمع﴾ [وجه شنواست بهر مسموعی]. قال الشيخ في تفسيره الضمير في به الله محله رفع لكونه فاعلاً لفعل التعجب والباء زائدة والهمزة في الفعلين للضرورة أصله بصر الله وسمع ثم غير إلى لفظ الأمر وليس بأمر إذ لا معنى للأمر هنا ومعناه ما أبصر الله بكل موجود وما أسمع له لكل مسموع وصيغة التعجب ليست على حقيقتها لاستحالة على الله بل للدلالة على أن شأن علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين لا يحجبه شيء ولا يحول دونه حائل ولا يتفاوت بالنسبة إليه اللطيف والكثيف والصغير والكبير والخفي والجلي ولعل تقديم أمر إبطاره تعالى لما أن الذي نحن بصدده من قبيل المبصرات.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿أبصر به وأسمع﴾ أي: هو البصير بكل موجود وهو السميع بكل مسموع فبه أبصر وبه أسمع انتهى. قال القيصري رحمه الله سمعه تعالى عبارة عن تجليه بعلمه المتعلق بحقيقة الكلام الذاتي في مقام جمع الجمع والأعيان في مقام الجمع والتفصيل ظاهراً وباطناً لا بطريق الشهود وبصره عبارة عن تجليه وتعلق علمه بالحقائق على طريق الشهود وكلامه عبارة عن التجلي الحاصل من تعلق الإرادة والقدرة لإظهار ما في الغيب وإيجاده قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ [يس: ٨٢] الآية ﴿ما لهم﴾ أي: لأهل السموات والأرض ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿من ولي﴾ يتولى أمرهم وينصرهم استقلالاً ومن الأولى متعلقة بولي على الحال والثانية للاستغراق كأنه قيل ما لهم من دونه ولي ما ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ أي: لا يجعل الله تعالى أحداً من الموجودات العلوية والسفلية شريكاً لذاته العالية في قضائه الأزلي إلى الأبد لعزته وغناه. قال الإمام المعنى أنه تعالى لما حكى أن لبثهم هو هذا المقدار فليس لأحد أن يقول بخلافه انتهى. قال بعض الكبار هذه الأمور المدبرة المنزلة بين السموات والأرض الجارية الحادثة في الواقع الظاهرة على أيدي مظاهرها وأسبابها في الخارج في الليل والنهار هي الأمور المحكمة المحفوظة من تبديل غير الحق تعالى وتغييره لأنها

المقادير التي قدرها ودبرها وأحكم صنعها ولا قدرة لأحد غيره على محو ما أثبتته وإثبات ما محاه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ۳۹] وليس لغيره كائناً من كان غير التسليم والرضى إذ ليس بشريك له تعالى في حكمه وفي الحديث القدسي «قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكم الصنع فمن رضي فله الرضى مني حتى يلقاني ومن سخط فله السخط مني حتى يلقاني»، قال الحافظ:

رضا بداده بده وزجبين كره بكشاي كه برمن وتو در اختيار نكشادست
وقال:

در دائره قسمت ما نطقه تسليميم لطف آنچه توانديشى حكم آنچه توفرمایي
يعني: ليس للعبد اعتراض على المولى في حكمه وأمره وإنما له التسليم والرضى وترك التدبير كما قال بعض الكبار عن لسان الحق تعالى يا مهموماً بنفسه كنت من كنت لو ألقىتها إلينا وأسقطت تدبيرها وتركت تدبيرك لها واكتفيت بتدبيرنا لها من غير منازعة في تدبيرنا لها لاسترحت جعلنا الله وإياكم هكذا بفضلله وهذا مقال عال لم يصل إليه إلا أفراد الرجال الذين رفعوا منازعة النفس من البين ومشوا بالتسليم والرضى في كل أين يا رجل أين هم في هذا الزمان وكيف تبين حالهم للإنسان فاجتهد لعلك تظفر بواحد منهم حتى تكون ممن رضي الله عنهم.

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ﴿٣٧﴾

﴿واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك﴾ أي: القرآن للتقرب إلى الله تعالى بتلاوته والعمل بموجبه والاطلاع على أسرارهِ ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله والفرق بين التلاوة والقراءة أن التلاوة قراءة القرآن متابعة كالدراصة والأوراد الموظفة والقراءة أعم لأنها جمع الحروف باللفظ لا اتباعها ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا قادر على تبديله وتغييره غيره تعالى كقوله: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ [النحل: ۱۰۱] فهو عام مخصوص فافهم ﴿ولن تجد﴾ أبد الدهر وإن بالغت في الطلب ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿ملتجدا﴾ ملتجأ تعدل إليه عند نزول بلية. وقال الشيخ في تفسيره ولن تجد من دون عذابه ملتجأ تلجأ إليه إن هممت بذلك التبديل فرضاً انتهى.

واعلم أن القرآن لا يتبدل أبداً ولا يتغير بالزيادة والنقصان سرمداً وكذا أحكامه لأنه محفوظ في الصدور بنظمه ومعانيه وإنما يتبدل أهله بتبدل الأعصار فيعود العلم والعمل إلى الجهل والترك نعوذ بالله تعالى. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر مكتوب عليه قلبني أنفك فقلبتة فإذا مكتوب عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب ما لم تعلم.

كر همه علم عالمت باشد بى عمل ومدعى وكذابى
ومن فرق المتصوفة المبتدعة قوم يسمون بالإلهامية يتركون طلب العلم والدرس ويقولون القرآن حجاب والأشعار قرآن الطريقة فيتركون القرآن ويتعلمون الأشعار فهلکوا بذلك قال الكمال الخجندی:

دل از شنیدن قرآن بکیردت همه وقت چو باطلان ز کلام حقت ملولى چيست
قال إبراهيم الخواص: جلاء القلب ودواؤه خمسة: قراءة القرآن بالتدبر، وإخلاء البطن،

وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين فمن اشتغل بشهوته وهواه عن هذه الأمور الشاقة بقي على مرضه الروحاني ولم يجد لنفسه ملتحداً سوى العذاب والهلاك فانظر يا مسيء الأدب أن لا مرجع إلا إلى الله تعالى فكيف ترجع إليه بالأشعار التي اخترعتها أنت وأمثالك من أهل النفس والهوى بدل القرآن الذي أرسله الله إليك وأمر بالعمل به فما جوابك يوم يجثو المقربون على ركبهم من الهول كما قال الشيخ سعدى:

دران روز كز فعل پرسند و قول اولو العزم را تن بلرزد زهول
بجایى كه دهشت خورد انبیا توعذر كنه را چه دارى بیا

فالواجب أن تجثو في هذا اليوم بين يدي عالم لتعلم القرآن وكيفية العمل به ومعرفة طريق الوصول إلى حقائقه فإنه نسخة إلهية فيها علوم جميع الأنبياء والأولياء فمن أراد دخول الدار من شيخ وشاب فليأت من طرف الباب. وعن علي رضي الله عنه: من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ وهو في غير الصلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات. قالوا: أفضل التلاوة على الوضوء والجلوس شطر القبلة وأن يكون غير متربع ولا متكئ ولا جالس جلسة متكبر ولكن نحو ما يجلس بين يدي من يهابه ويحتشم منه. وفي «الأشباه»: استماع القرآن أثوب من تلاوته انتهى. فما يفعل البعض في هذا الزمان من إخفاء آية الكرسي في بعض الجوامع والمجامع ليس على ما ينبغي وذلك لأن في القوم من هو أُمي لا يحسن قراءة الآية المذكورة فاللائق أن يجهر بها المؤذن لينال المستمعون ثواب التلاوة بل أزيد وهو ظاهر على أرباب الإنصاف ولا يخرج عن هذا الحد إلا أصحاب الاعتساف.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَقْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيضُوا بِغَاوٍ يَمَاءٍ كَلَّا هَلْ يُشَوِّى الْوُجُوهَ يَوْمَئِذٍ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾

﴿واصبر نفسك﴾ احبسها وثبتها مصاحبة ﴿مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ في أول النهار وآخره والمراد الدوام أي: مداومين على الدعاء في جميع الأوقات أو بالغداة لطلب التوفيق والتيسير والعشي لطلب غفو التقصير. نزلت حين طلب رؤساء الكفار طرد فقراء المسلمين من مجالسه عليه السلام كصهيب وعمار وخباب وغيرهم وقالوا: اطرده هؤلاء الذين ريحهم ريح الصنان يعني: [ابن پشمينه پوشان بي قدررا كه بوى خرقهای ايشان مارا متأذى دارد از مجلس خود دورساز] حتى نجالسك فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعا من اتباعك إلا هؤلاء لأنهم قوم أرذلون كما قال قوم نوح ﴿أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فلم يأذن الله في طرد الفقراء لأجل أن يؤمن جمع من الكفار. فإن قيل يرجح الأهم على المهم وطرد الفقراء يسقط حرمتهم وهو ضرر قليل وعدم طردهم يوجب بقاء الكفار على كفرهم وهو ضرر عظيم. قلنا من ترك الإيمان حذراً من مجالسة الفقراء لم يكن إيمانه إيماناً بل يكون نفاقاً قبيحاً يجب أن لا يلتفت إليه كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير شأن النبوة عظيم فلو طردهم لأجل

أمر غير مقطوع كان ذنباً عظيماً بالنسبة إلى منصبه الجليل مع أن الطرد المذكور من ديدن الملوك والأكابر من أهل الظواهر وعظماء الدين يتحاشون عن مثل ذلك الوضع نظراً إلى البواطن والسرائر ﴿يريدون﴾ بدعائهم ذلك ﴿وجهه﴾ تعالى حال من الضمير المستكن في يدعون أي: مريدين لرضاه لا شيء آخر من أعراض الدنيا فالوجه مجاز عن الرضى والمناسبة بينهما أن الرضى معلوم في الوجه وكذا السخط كما في «الحواشي الحسينية» على «التلويح». ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾ أي: لا يجاوزهم نظرك إلى غيرهم. قال الكاشفي: [بايدكه نكزرد چشمهای توازایشان] من عدا الأمر وعنه جاوزه كما في «القاموس» فعيناك فاعل لا تعد وهذا نهى للعينين والمراد صاحبهما يعني نهيه عليه السلام عن الازدراء بفقراء المسلمين لرثاء زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء. وقال ذو النون رحمه الله خاطب الله نبيه عليه السلام وعاتبه وقال له: اصبر على من صبر علينا بنفسه وقلبه وروحه وهم الذين لا يفارقون محل الاختصاص من الحضرة بكرة وعشيا فمن لم يفارق حضرته فحق أن تصبر عليه فلا تفارقه وحق لمن لا تعدو عنهم عني طرفة عين أن لا ترفع نظرك عنهم وهذا جزاؤهم في العاجل ﴿تريد﴾ يا محمد «زينة الحياة الدنيا» أي: تطلب مجالسة الأغنياء والأشراف وأهل الدنيا وهي حال من الكاف وفي إضافة الزينة إلى الحياة الدنيا تحقير لشأنها وتنفير عنها. قال الكاشفي: [بايد دانست كه آن حضرت را هر كزبدينيا وزينت آن ميل نبوده بلكه معنى آيت اينست كه مكن عمل كسى مائل بزينت دنيا چه مائل بدنيا از فقر معرض وبراغنيا مقبل باشد]. وفي «زبدة التفسير»: تريد حال صرف للاستقبال لا أنه حكم على النبي عليه السلام بإرادته زينة الدنيا وهو قد حذر عن الدنيا وزينتها ونهى عن صحبة الأغنياء كما قال: «لا تجالسوا الموتى» يعني الأغنياء ﴿ولا تطع﴾ في تنحية الفقراء عن مجلسك ﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور أي: جعلت قلبه في فطرته الأولى غافلاً عن الذكر ومحتمواً عن التوحيد كرؤساء قريش ﴿واتبع هواه﴾ الهوى بالفارسية [آرزوى نفس] مصدر هواه إذا أحبه واشتهاه ثم سمى به المهوى المشتهى محموداً كان أو مذموماً ثم غلب على غير المحمود وقيل: فلان اتبع هواه إذا أريد ذمه ومنه فلان من أهل الهوى إذا زاغ عن السنة متمعداً وحاصله ميلان النفس إلى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع قالوا يجوز نسبة فعل العبد إلى نفسه من جهة كونه مقروناً بقدرته ومنه واتبع هواه وإلى الله من حيث كونه موجداً له ومنه أغفلنا ﴿وكان أمره فرطاً﴾ قال في «القاموس»: الفرط بضمين الظلم والاعتداء والأمر المجاوز فيه عن الحد انتهى أي: متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من قولهم فرس فرط أي: متقدم للخيال.

وفي «التأويلات»: ﴿وكان أمره﴾ في متابعة الهوى هلاكاً وخسراناً وفي الآية تنبيه على أن الباعث لهم إلى هذا الاستعداد إغفال قلوبهم عن ذكر الله وإشغالها بالباطل الفاني عن الحق الباقي وعلى أن العبرة والشرف بحلية النفس وصفاء القلب وطهارة السرائر لا بزينة الجسد وحسن الصورة والظواهر، قال الحافظ:

قلندران حقيقت به نيم جو نخرند قباى اطلس آنكس كه ازهنر عاريست

وقال الجامي قدس سره:

چه غم منقصت صورت أهل معنى را چو جان زروم بود کوتن از حبش می باش

وفي الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم بل إلى قلوبكم وأعمالكم» يعني: إذا كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونون مقبولين مطلقاً سواء كانت لكم صور حسنة وأموال فاخرة أم لا وإلا فلا مطلقاً وكذا الحكم في الظاهر والباطن فافهم.

- روى - أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم خليلاً قالت الملائكة: يا رب إنه كيف يصلح للخلعة وله شواغل من النفس والولد والمال والمرأة فقال تعالى: أنا لا أنظر إلى صورة عبدي وماله بل إلى قلبه وأعماله وليس لخليلي محبة لغيري فإن شئتم جربوه فجاءه جبريل وكان لإبراهيم عليه السلام اثنا عشر كلباً للصيد ولحفظ الغنم وطوق كل كلب من الذهب إيذاناً بخساسة الدنيا وحقارتها فسلم عليه جبريل فقال: لمن هذه؟ فقال: لله ولكن في يدي فقال تبيع واحداً منها؟ قال: اذكر الله وخذ ثلثها فقال سبوح قدوس رب الملائكة والروح فأعطى الثلث ثم قال اذكره ثانياً وخذ ثلثها واذكر ثالثاً وخذ كلها برعاتها وكلابها ثم اذكره رابعاً وأنا أقرُّ لك بالرق فقال الله تعالى: كيف رأيت خليلي يا جبريل؟ قال: نعم العبد خليلك يا رب فقال إبراهيم لرعاة الغنم سوقوا الأغنام خلف صاحبي هذا فقال جبريل: لا حاجة لي إلى ذلك وأظهر نفسه فقال: أنا خليل الله لا أسترد هبتي فأوحى الله إلى إبراهيم أن يبيعها ويشتري بثمنها الضياع والعقار ويجعلها وقفاً فأوقف الخليل وما يؤكل على مرقده الشريف من ثمنها. واعلم أن قدر الأذكار لا يعرفه إلا الكبار ألا يرى أن الخليل كيف فدى نفسه بعد إعطاء الكل بشرف ذكر الله وتعظيمه فليسارع العشاق إلى ذكر القادر الخلاق فإن صيقل القلوب ذكر علام الغيوب، قال الشيخ المغربي قدس سره:

اكرچه آينه دارى از براى رخس چه سودا كرچه كه دارى هميشه آينه نار
بيا بصيقل توحيد زآينه بزدا غبار شرك كه ناپاك كردد از زنكار
قال أهل التحقيق إن كلمة التوحيد لا إله إلا الله إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر وتثبت في قلبه نور التوحيد وإذا قالها المؤمن تنفي عنه ظلمة النفس وتثبت في قلبه نور الوحدانية وإن قالها في كل يوم ألف مرة فكل مرة تنفي عنه شيء لم تنفعه في المرة الأولى فإن مقام العلم بالله لا ينتهي إلى الأبد وفي الحديث: «جلوسك ساعة عند حلقة يذكرون الله خير من عبادة ألف سنة» كما في مجالس حضرة الهدايي قدس سره والذكر يوصل إلى حضور المذكور وشهوده في مقام النور قال جلال الدين الرومي قدس سره:

آدمي ديدست وباقي پوستست ديدآن ديديكه ديدى دوستست
اللهم اجعلنا من أهل النظر إلى نور جمالك ومن المتشرفين بشرف وصالك.
﴿وقل﴾ لأولئك الغافلين المتبعين هواهم ﴿الحق﴾ ما يكون ﴿من ربكم﴾ من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى فإنه باطل أو هذا الذي أوحى إلي هو الحق كائناً من ربكم فقد جاء الحق وانزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم مما فيه النجاة والهلاك.
وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وقل الحق من ربكم﴾ في التبشير والإنذار وبيان السلوك لمسالك أبواب السعادة والاحتراز عن مهالك أصحاب الشقاوة ﴿فمن شاء فليؤمن﴾ من نفوس أهل السعادة ﴿ومن شاء فليكفر﴾ من قلوب أهل الشقاوة. قال في «الإرشاد»: ﴿فمن شاء فليؤمن﴾ كسائر المؤمنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ﴿ومن شاء فليكفر﴾ لا بأبالي بإيمان من آمن وكفر من كفر فلا أطرده المؤمنين المخلصين لهواكم لرجاء إيمانكم بعدما تبين

الحق ووضح الأمر وهو تهديد ووعد لا تخيير أراد أن الله تعالى لا ينفعه إيمانكم ولا يضره كفركم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فاعلموا أن الله يعذبكم وإن آمنتم فاعلموا أنه يثيبكم كما في «الأسئلة المقحمة» قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَّا عَنْكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: عن إيمانكم ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] وإن تعلق به إرادته من بعضهم ولكن لا يرضى رحمة عليهم لاستمرارهم به ﴿وَأِنْ تَشْكُرُوا﴾ [الزمر: ٧] الله فتؤمنوا ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧] أي: الشكر. قال في «بحر العلوم»: فمن شاء الإيمان فليصرف قدرته وإرادته إلى كسب الإيمان وهو أن يصدق بقلبه بجميع ما جاء من عند الله ومن شاء عدمه فليختره فإني لا أبالي بكليهما. وفيه دلالة بينة على أن للعبد في إيمانه وكفره مشيئة واختياراً فهما فعلاً يتحققان بخلق الله وفعل العبد معاً وكذا سائر أفعاله الاختيارية كالصلاة والصوم مثلاً فإن كل واحد منهما لا يحصل إلا بمجموع إيجاد الله وكسب العبد وهو الحق الواسط بين الجبر والقدرة ولولا ذلك لما ترتب استحقاق العباد على ذلك بقوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: لكل ظالم على نفسه بإرادة الكفر واختياره على الإيمان ﴿نَارًا﴾ عظيمة عجيبة ﴿أَحَاطَ بِهِمْ﴾ يحيط بهم وإيثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق ﴿سَرَادِقَهَا﴾ أي: فسطاطها وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار. وفي «بحر العلوم» السرادق ما يدار حول الخيمة من شقق بلا سقف. وعن أبي سعيد قال عليه السلام: «سرادق النار أربعة جدر كثف كل جدار مسيرة أربعين سنة» ﴿وَأِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ [واكر فرياد خواهي كنند از تشنكي] ﴿يَغَاثُوا﴾ [فرياد رس شونند] ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كالحديد المذاب وقيل غير ذلك والتفصيل في «القاموس» وعلى أسلوب قوله يعني في التهكم فاعتبوا بالصيلم أي: يجعل المهل لهم مكان الماء الذي طلبوه كما أن الشاعر جعل الصيلم لهم أي: الداهية مكان العتاب الذي يجري بين الأحبة ﴿يَشْوِي﴾ [بريان كند ويسوزد] ﴿الْوُجُوهُ﴾ إذا قدم ليشرب من فرط حرارته وعن النبي عليه السلام «هو كعكر الزيت» أي: درديه في الغلظة والسواد فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ ذلك الماء الموصوف لأن المقصود تسكين الحرارة وهذا يبلغ في الإحراق مبلغاً عظيماً ﴿وَسَاءَتْ﴾ النار ﴿مَرْتَفَقًا﴾ تمييز أي: متكاً ومنزلاً وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وأنى ذلك في النار وإنما هو لمقابلة قوله: ﴿وَحَسُنَتْ مَرْتَفَقًا﴾. وقال سعدي المفتي الاتكاء على المرفق كما يكون للاستراحة يكون للتحرير والتحزن وانتفاء الأول هنا مسلم دون الثاني فلا تثبت المشكلة انتهى. يقول الفقير المتكأ بمعنى [تكيه كاه] بالفارسية والاعتماد لا يراد حقيقته وإنما يراد المنزل فيجرد عن الاستراحة لكونه جهنم نعوذ بالله منها. فعلى المؤمن الاجتناب عن الظلم والمعاصي والإصرار عليهما على تقدير الذلة فالتدارك بالاستغفار والندامة والاشتغال بالتوحيد والأذكار وإلا فالسفر بعيد وحر النار شديد وماؤها مهل وصديد وقيدها حديد وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً ينعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعله».

- روي - عن مالك بن دينار أنه قال: مررت على صبي وهو يلعب بالتراب يضحك تارة ويبكي أخرى فأردت أن أسلم عليه فمنعني نفسي فقلت: يا نفس كان النبي ﷺ يسلم على الصغار والكبار فسلمت فقال: وعليك السلام ورحمة الله يا مالك فقلت: ومن أين عرفني؟ قال: ألفت روعي بروحك في عالم الملكوت فعرفني الحي الذي لا يموت فقلت: ما الفرق بين النفس والعقل؟ فقال: نفسك التي منعتك عن السلام وعقلك الذي حرصك عليه فقلت:

لم تلعب بالتراب؟ فقال: لأننا خلقنا منه ونعود إليه فقلت: ولم الضحك والبكاء؟ قال: إذا ذكرت عذاب ربي أبكي وإذا ذكرت رحمته أضحك فقلت: يا ولدي أي: ذنب لك حتى تبكي أي: لأنك لست بمكلف؟ قال: لا تقل هذا فإني رأيت أُمي لم توقد الحطب الكبار إلا بالصغار فعليك بالاعتبار، وفي «المثنوي»:

نی ترا از روی ظاهر طاعتي	نی ترا در سر باطن نیستی
نی ترا شبها مناجات و قیام	نی ترا در روز پرهیز و صیام
نی ترا حفظ زبان ز آزار کس	نی نظر کردن بعبرت پیش و پس
پیش چه بود یاد مرگ و نزع خویش	پس چه باشد مردن یاران ز پیش
نی ترا بر ظلم توبه پر خروش	ای دغا کندم نمای جو فروش
چون ترازوی تو کج بود ودغا	راست چون جویی ترازوی جزا
چونکه پای چب بدی درغدر و کاست	نامه چون آید ترا در دست راست
چون جزا سایه است ای قد تو خم	سایه تو کج فتد در پیش هم

وعن يزيد الرقاشي أنه قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ متغير اللون قال النبي عليه السلام: «يا جبريل ما لي أراك متغير اللون» فقال: يا محمد جئت الساعة التي أمر الله فيها بمنافخ النار فقال ﷺ: «صف لي جهنم» قال: يا محمد إن الله لما خلق جهنم جعلها سبع طبقات إن أهون طبقة منها فيها سبعون ألف جبل من نار وفي كل جبل سبعون ألف ألف واد من نار وفي كل واد سبعون ألف ألف بيت من نار وفي كل بيت سبعون ألف ألف صندوق من نار وفي كل صندوق سبعون ألف ألف نوع من العذاب نعوذ بالله تعالى منه» كذا في «مشكاة الأنوار» وهذا غير محمول على المبالغة بل هو على حقيقته لأنه مقابل بنعيم الجنان فكل من العذاب والنعيم خارج عن دائرة العقل وليس للعقل إلا التسليم والاحتراز عن موجبات العذاب الأليم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (٢٦)

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الأركان. والصالحات جمع صالحه وهي في الأصل صفة ثم غلب استعمالها فيما حسنه الشرع من الأعمال فلم تحتج إلى موصوف ومثلها الحسنه فيما يتقرب به إلى الله تعالى ﴿إنا لا نضيع﴾ [الإضاعة كم كردن] ﴿أجر من أحسن عملاً﴾ الأجر الجزاء على العمل وعملاً مفعول أحسن والتنوين للتقليل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أن الأجر إنما يستحق بالعمل دون العلم إذ به يستحق ارتفاع الدرجات والشرف والرتب كما في الحديث القدسي: «ادخلوا الجنة بفضلني واقتسموها بأعمالكم» وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قام أعرابي إلى النبي ﷺ في حجة الوداع والنبي واقف بعرفات على ناقته العضباء فقال: إني رجل متعلم فخبرني عن قول الله تعالى ﴿إن الذين آمنوا﴾ الآية فقال عليه السلام: «يا أعرابي ما أنت منهم ببعيد وما هم عنك ببعيد هم هؤلاء الأربعة الذين هم وقوف معي أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فأعلم قومك أن هذه الآية نزلت في هؤلاء الأربعة» ذكره الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام».

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾

﴿أولئك﴾ المنعوتون بالنعمة الجليل ﴿لهم جنات عدن﴾. قال الإمام العدن في اللغة: الإقامة فيجوز أن يكون المعنى أولئك لهم جنات إقامة كما يقال هذه دار إقامة ويجوز أن يكون العدن اسماً لموضع معين من الجنة وهو وسطها وأشرف مكان وقوله جنات لفظ جمع فيمكن أن يكون المراد ما قاله تعالى: ﴿وَلَمْ يَخَفْ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤١﴾﴾ [الرحمان: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿١٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] ويمكن أن يكون نصيب كل واحد من المكلفين جنة على حدة ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ الأربعة من الخمر واللبن والعسل والماء العذب وذلك لأن أفضل البساتين في الدنيا البساتين التي تجري فيها الأنهار ﴿يحلون فيها﴾ أي: في تلك الجنات من حليت المرأة إذا لبست الحلي وهي ما تتحلى به من ذهب وفضة وغير ذلك من الجواهر والتحلية [پرايه برکردن]. قال الكاشفي: [پرايه بسته شوند دران بوستانها] ﴿من أساور﴾ من ابتدائية وأساور جمع أسورة وهي جمع سوار بالفارسية [دستوان] ﴿من ذهب﴾ من بيانية صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسننها وتبعيدها من الإحالة به. قال في «بحر العلوم» وتنكير أساور للتكثير والتعظيم. عن سعيد بن جبیر يحلى كل واحد منهم ثلاثة أساور: واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ وياقوت فهم يسورون بالأجناس الثلاثة على المعاقبة أو على الجمع كما تفعله نساء الدنيا ويجمعن بين أنواع الحلي. قال بعض الكبار: أي يتزينون بأنواع الحلي من حقائق التوحيد الذاتي ومعاني التجليات العينية الأحدية فالذهبيات هي الذاتيات والفضيات هي الصفات النوريات كما قال: ﴿وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: ٢١] ﴿ويلبسون ثيابا خضرا﴾ [جامهای سبز] وذلك لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها طراوة وأحبها إلى الله تعالى: ﴿من سندس وإستبرق﴾ ما رق من الديباج وما غلظ منه والديباج الثوب الذي سداه ولحمته ابريسم واستبرق ليس باستفعل من البرق كما زعمه بعض الناس بل معرب استبره جمع بين النوعين للدلالة على أن لبسهما مما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين.

اعلم أن لباس أهل الدنيا إما لباس التحلي وإما لباس الستر فأما لباس التحلي فقال تعالى في صفته: ﴿يحلون﴾ الآية وأما لباس الستر فقال تعالى في صفته ﴿ويلبسون﴾ الآية. فإن قيل: ما السبب في أنه تعالى قال في الحلي يحلون على فعل ما لم يسم فاعله والمحلي هو الله أو الملائكة وقال في السندس والاستبرق ويلبسون بإسناد اللبس إليهم. قلنا: يحتمل أن يكون اللبس إشارة إلى ما استوجبه بعلمهم بمقتضى الوعد الإلهي وأن يكون الحلي إشارة إلى ما تفضل الله به عليهم تفضلاً زائداً على مقدار الوعد وأيضاً فيه إيدان بكرامتهم وبيان أن غيرهم يفعل بهم ذلك ويزينهم به بخلاف اللبس فإنه يتعاطاه بنفسه شريفاً وحقيراً يقول الفقير: لا شك أن لباس الستر يلبسه المرء بنفسه ولو كان سلطاناً فلذا أسند إليه وأما لباس الزينة فغيره يزينه به عادة كما يشاهد في السلاطين والعرائس ولذا أسند إلى غيره على سبيل التعظيم والكرامة ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ جمع أريكة: وهي السرير في الحجال ولا يسمى السرير وحده أريكة. والحجال جمع حجلة وهي بيت يزين بالثياب للعروس وخص الاتكاء لأنه هيئة المتنعمين والملوك على أسرته. قال ابن عطاء متكئين على أرائك الإنس في رياض القدس

وميادين الرحمة فهم على بسايتين الوصلة شاهدون عليكم في كل حال ﴿نعم الثواب﴾ ذلك إشارة إلى جنات عدن ونعيمها والثواب جزاء الطاعة ﴿وحسنت﴾ أي: الأرائك ﴿مرتقفا﴾ أي: متكاً ومنزلاً للاستراحة.

اعلم أنه لا كلام في حسن الجنة وصفة نعيمها وإنما الكلام في الاستعداد لها فالصالحات من الأعمال من الأسباب المعدة لها وهي ما كانت لوجه الله تعالى من الصوم والصلاة وسائر وجوه الخيرات، قال الشيخ سعدى قدس سره:

قيامت كه بازار مينو نهند منازل باعمال نيكو نهند
كسى راكه حسن عمل بيشتتر بدركاه حق منزلت پيشتتر
بضاعت بچندانكه آرى برى اكر مفلسى شر مسار برى
كه بازار چندانكه آكنده تر تهى دست را دل پرا كنده تر

قال في «التأويلات النجمية»: إن لأهل الإيمان والأعمال جزاء يناسب صلاحية أعمالهم وحسنها فمنها أعمال تصلح للسير بها إلى الجنات وغرفها وهي الطاعات والعبادات البدنية بالنية الصالحة على وفق الشرع والمتابعة ومنها أعمال تصلح للسير إلى الله تعالى وهي الطاعات القلبية من الصدق في طلب الحق والإخلاص في التوحيد وترك الدنيا والإعراض عما سوى الله والإقبال على الله بالكلية والتمسك بذيل إرادة الشيخ الكامل الواصل المكمل الصالح لیسلكوا ولا يغتر بالأمانى فإن من زرع الشعر لا يحصد حنطة.

- حكي - أن رجلاً يبلغ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فأراه وقت حصاده وسأله وقال: زرعت شعيراً على ظن أن ينبت حنطة فقال: يا أحمق هل رأيت أحداً زرع شعيراً فحصد حنطة فقال العبد: فكيف تعصى الله أنت وترجو رحمته.

هر كسى آن درود عاقبت كار كه كشت

أما علمت أن الدنيا مزرعة الآخرة؟ قال: حضرة جلال الدين الرومي قدس سره:

جمله دانند اين اكرتو نكروى هرچه مى كاريش روزى بدورى

فتاب الرجل وأعتق غلامه فمن أيقظه الله عن سنة الغفلة عرف الله وكان في تحصيل مرضاته ومرتبة العارف فوق مرتبة العابد والكرامات الكونية لا قدر لها. وقد ثبت فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه على سائر الصحابة رضي الله عنهم حتى قيل في شأنه إن الله يتجلى لأهل الجنة عامة ولأبي بكر خاصة مع أنه لم ينقل عنه شيء من الخوارق وذلك التجلي إنما هو بكرامته العلمية التي أعطاها الله إياه وأحسن التحقيق بحقائقها ولأهلها جنة عاجلة قلبية في الدنيا.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا

زَرْعًا ﴿٣٢﴾﴾

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾ مفعولان لـ «ضرب» أولهما ثانيهما لأنه المحتاج إلى التفصيل والبيان أي: اضرب يا محمد وبين للكافرين المتقلبين في نعم الله والمؤمنين المكابدين لمشاق الفقر مثلاً حال من رجلين مقدرين أو أخوين من بني إسرائيل. قال في الجلالين: يريد ابني ملك كان في بني إسرائيل. قال أبو حيان ويظهر من قوله: ﴿فقال لصاحبه﴾ أنه ليس أخاه انتهى. يقول الفقير: هذا ذهول عن عنوان الكلام إذ التعبير عنهما برجلين يصح إطلاق

الصاحب على الأخ وأيضاً أخذ الكافر بيد أخيه المسلم وإدخاله إياه جنته طائفاً به فيما يأتي مما ينادي على صحة ما ادعيناه إذ لا تنافي هذه الصحبة الأخوة وكل منهما من أخص الأوصاف قالوا: كان أحد الأخوين مؤمناً واسمه يهودا والآخر كافراً واسمه قطروس بضم القاف ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتقاسماها بينهما فاشتري الكافر أرضاً بألف دينار وبنى داراً بألف دينار وتزوج امرأة بألف واشتري خدماً ومتاعاً بألف فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة فتصدق به وإن أخي بنى داراً بألف دينار وأنا أشتري منك داراً في الجنة فتصدق به وإن أخي تزوج امرأة بألف وأنا أجعل ألفاً صدقاً للحرور فتصدق به وإن أخي اشترى خدماً ومتاعاً بألف وأنا أشتري منك الولدان المخلدين بألف فتصدق ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فقام إليه فنظر إليه وقال: ما شأنك؟ قال: أصابتنني حاجة فأتيت لتصيبني بخير فقال: وما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالاً وأخذت شطره فقص عليه القصص قال: إنك إذا لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا أعطيتك شيئاً فطرده ووبخه على التصدق بماله ﴿جعلنا لأحدهما﴾ وهو الكافر ﴿جنتين﴾ بستانين ﴿من أعناب﴾ من كروم متنوعة فإطلاق الأعناب عليها مجازاً ويجوز أن يكون بتقدير المضاف أي أشجار أعناب ﴿وحففناها بنخل﴾ أي: جعلنا النخل محيطة بالجنتين ملفوفاً بها كرومهما وبالفارسية [يعني درختان خرما] خرما كذا كرد در آورديم] يقال: حفه القوم إذا طافوا به أي: استداروا وحففته بهم أي: جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزیده الباء مفعولاً ثانياً مثل غشيته وغشيته به ﴿وجعلنا بينهما﴾ وسطهما يعني [بيدا كرديم میان آن دوباغ] ﴿زرعاً﴾ ليكون كل منهما جامعاً للأقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق.

﴿كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ مَاتَ أَكْلُهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ﴿٣٤﴾

﴿كلنا الجنتين آتت أكلها﴾ بثمرها وبلغ مبلغاً صالحاً للأكل وإفراد الضمير في آتت للحمل على لفظ المفرد. قال الحريري ولا يثنى خبر كلا إلا بالحمل على المعنى أو لضرورة الشعر ﴿ولم تظلم منه﴾ لم تنقص من أكلها ﴿شيئاً﴾ كما يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام واحد وتنقص في عام غالباً وكذا بعض الأشجار تأتي بالثمر في بعض الأعوام دون بعض ﴿وفجّرنا خلالهما﴾ وشققنا فيما بين كل من الجنتين وأخرجنا وأجرينا ﴿نهرًا﴾ على حدة ليدوم شربهما ونزید بهاؤهما ولعل تأخير ذكر تفجير النهر عن ذكر إيتاء الأكل مع أن الترتيب الخارجي على العكس للإيدان باستقلال كل من إيتاء الأكل وتفجير النهر في تكميل محاسن الجنتين ولو عكس لانفهم أن المجموع خصلة واحدة بعضها مرتب على بعض فإن إيتاء الأكل متفرع على السقي عادة وفيه إيماء إلى أن إيتاء الأكل لا يتوقف على السقي كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥] ﴿وكان له﴾ أي: لصاحب الجنتين ﴿ثمر﴾ أنواع من المال غير الجنتين من ثمر ماله الذي ذكر. وقال الشيخ في تفسيره بفتحيتين جمع ثمرة وهي المجني من الفاكهة وذكرها وإن كانت الجنة لا تخلو عنها إيدان بكثرة الحاصل له في الجنتين من الثمار وغيرها. وقال الكاشفي: ﴿وكان له ثمر﴾ [همه ميوه يعني از انكور خرما وميوهای دیگر داشت واختصاص أنها بذكر غالبية بوده] ﴿فقال لصاحبه﴾ أخيه المؤمن ﴿وهو﴾ أي:

والحال أن القائل ﴿يحاوِّره﴾ يكلمه ويراجعه الكلام من حار إذا رجع. قال الكاشفي: [واو] مجادله می کرد با او وسخن باز می کردانید انتهى] ولهذه المحاوراة والمعنية أطلق عليه صاحب ﴿أنا أكثر منك مالا﴾ عن محمد بن الحسن - رحمه الله -: المال كله ما يملكه الناس من دراهم أو دنانير أو ذهب أو فضة أو حنطة أو خبز أو حيوان أو ثياب أو سلاح أو غير ذلك والمال العين هو المضروب ﴿وأعز نفراً﴾ حشماً وأعواناً وأولاداً ذكوراً لأنهم الذين ينفرون معه دون الإناث والنفر بفتحيتين من الثلاثة إلى العشرة من الرجال ولا يقال فيما فوق العشرة يقول الفقير: لاح لي ههنا إشكال وهو أنه إن حمل أفعل على حقيقته في التفضيل يلزم أن يكون الرجلان المذكوران مقدرين لا محققين أخوين لأنه على تقدير التحقيق يقتضي أن لا يكون لأحدهما مال أصلاً كما يفصح عنه البيان السابق وقد أثبت ههنا الأكثرية للكافر والأقلية للمؤمن وجوابه يستنبط من السؤال والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٢٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِّرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِمَّنْ تُطْفِئُ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿ودخل﴾ صاحب الجنتين وهو قطروس ﴿جنته﴾ بصاحبه يطوف به فيها ويعجبه منها ويفاخره بها وتوحيدها يعني: بعد التثنية لاتصال إحداها بالأخرى وإما لأن الدخول يكون في واحدة فواحدة. وقال الشيخ: افردتها إرادة للروضة ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿ظالم لنفسه﴾ ضار لها يعجب بماله وكفره بالمبدأ والمعاد وهو أقبح الظلم كأنه قيل: فماذا قال إذ ذاك؟ ﴿قال ما أظن﴾ كثيراً ما يستعار الظن للعلم لأن الظن الغالب يداني العلم ويقوم مقامه في العادات والأحكام ومنه المظنة للعلم ﴿أن تبید﴾ تفنى وتهلك وتنعدم من باد إذا ذهب وانقطع ﴿هذه﴾ الجنة ﴿أبدًا﴾ الأبد الدهر وانتصابه على الظرف والمراد هنا المكث الطويل وهو مدة حياته لا الدوام المؤبد إذ لا يظنه عاقل لدلالة الحس والحدس على أن أحوال الدنيا ذاهبة باطلة فلطول أمله وتمادي غفلته واغتراره بمهملته قال بمقابلة موعظة صاحبه وتذكيره بفناء جنته والاغترار بها وأمره بتحصيل الباقيات الصالحات.

﴿وما أظن الساعة﴾ أي: القيامة التي هي عبارة عن وقت البعث ﴿قائمة﴾ كائنة فيما سيأتي ﴿ولئن رددت﴾ والله لئن رجعت ﴿إلى ربِّي﴾ بالبعث على الفرض والتقدير كما زعمت فليس فيه دلالة على أنه كان عارفاً بربه مع أن العرفان لا ينافي الإشراك وكان كافراً مشركاً. قال في «البرهان» قال تعالى: ﴿وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٦] وفي حم ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [فصلت: ٥٠] لأن الرد على الشيء يتضمن كراهة المردود ولما كان في الكهف تقديره ولئن رددت عن جنتي هذه التي أظن أن لا تبید أبداً إلى ربِّي كان لفظ الرد الذي يتضمن الكراهة أولى وليس في حم ما يدل على كراهته فذكر بلفظ الرجوع ليقع في كل سورة ما يليق بها ﴿لأجدن﴾ يومئذ ﴿خييراً منها﴾ من هذه الجنة ﴿منقلباً﴾ تمييز أي: مرجعاً وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة اعتقاد أنه تعالى إنما أولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتى وكرامته عليه سبحانه وهو معه أينما توجه ولم يدر أن ذلك استدراج، يعني: [مقتضاي استحقاق من أنست كه فردا بهشت بمن دهد چنانچه امروز این باغ بمن داده] فقول من قال إنه كريم رحيم يعطيني

في الآخرة خيراً مما أعطاني في الدنيا وهو مخالف لأوامره ونواهيه غاية الغرور بالله تعالى كما قال: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الأنفطار: ٦] إلى قوله: ﴿وَلَئِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٤]:

أتشئى خوش بر فرور زيم ازكرم تانما ندجرم وزلت بيش وكم
 ﴿قال له صاحبه﴾ أي: أخوه المؤمن وهو استئناف كما سبق ﴿وهو يحاوره﴾ أي:
 والحال أن القائل يخاطبه ويجادله: قال في «الإرشاد» وفائدة هذه الجملة الحالية التنبيه من الأمر
 الأول على أن ما يتلوه كلام معتنى بشأنه مسوق للمحاورة ﴿أكفرت﴾ حيث قلت: ما أظن
 الساعة قائمة فإنه شك في صفات الله وقدرته ﴿بالذي خلقك﴾ أي: في ضمن خلق أصلك آدم
 عليه السلام ﴿من تراب﴾ فإنه متضمن بخلقه منه إذ هو أنموذج مشتمل إجمالاً على جميع أفراد
 الجنس وهمزة الاستفهام للتقرير والإمكان بمعنى ما كان ينبغي أن تكفر ولم كفرت بمن أوجدك
 من تراب أولاً ﴿ثم من نطفة﴾ أي: من مني في رحم أمك ثانياً وهي مادتك القريبة ﴿ثم
 سواك﴾ جعلك معتدل الخلق والقامة حال كونك ﴿رجلاً﴾ إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. قال
 في «القاموس» الرجل بضم الجيم وسكونها معروف أو إنما هو إذا احتلم وشب.

﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
 بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا
 حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُيْحًا صَعِيدًا زَلَقًا﴾ (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ (٤١)

﴿لكننا هو الله ربي﴾ أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل حركتها إلى نون لكن أو بدون
 نقل على خلاف القياس فتلاقت النونان فكان الإدغام أثبت جميع القراء ألفها في الوقف
 وحذفوها في الوصل غير ابن عامر فإنه أثبتها في الوصل أيضاً لتعويضها من الهمزة أو لإجراء
 الوصل مجرى الوقف وهو ضمير الشأن مبتدأ خبره الله ربي وتلك الجملة خبر أنا والعائد منها
 إليه ياء الضمير في ربي والاستدراك من قوله: أكفرت كأنه قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني
 مؤمن موحد فوقع لكن بين جملتين مختلفتين في النفي والإثبات ﴿ولا أشرك بربي أحدا﴾ فيه
 إيذان بأن كفره كان بطريق الإشراك.

﴿ولولا إذ دخلت جنتك قلت﴾ وهلا قلت عند دخول جنتك ﴿ما شاء الله﴾ ما موصولة
 خبر مبتدأ محذوف أي: الأمر ما شاء الله واللام في الأمر للاستغراق والمراد تحضيضه على
 الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها على حالها عامرة وإن شاء أفناها وجعلها
 خربة ﴿لا قوة إلا بالله﴾ أي: هلا قلت ذلك اعترافاً بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها
 وتبديرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره وفي الحديث: «من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله
 لا قوة إلا بالله لم تضره العين» وفي الحديث: «من رأى أحداً أعطي خيراً من أهل أو مال فقال
 عنده ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم ير فيه مكروهاً» وفسر النبي عليه السلام معنى لا حول ولا
 قوة إلا بالله فقال: «لا حول تحول عن معاصي الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا
 بالله» وروي «أنها دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها اللهم» ﴿إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا﴾
 أصله إن ترني والرؤية إما بصرية بأقل حال وإما علمية فهو مفعول ثان والأول ياء المتكلم
 المحذوفة وأنا على التقديرين تأكيد للياء.

﴿فَعَسَىٰ﴾ لعل ﴿رَبِّي أَن يُؤْتِنِي﴾ أصله يؤتيني ﴿خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ هذه في الآخرة بسبب إيماني لأن الجنة الدنيوية فانية والأخرية باقية والجملة جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا﴾ على جنتك في الدنيا ﴿حَسَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ عذاباً يرميها به من برد أو صاعقة أو نار. قال في «القاموس»: الحسبان بالضم جمع حساب والعذاب والبلاء والشر والصاعقة. يقول الفقير: إنما توقعه في حقه لعلمه بأن الكفران مؤد إلى الخسران وأن الإعجاب سلب للخراب كما قال تعالى: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقْوَرُ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] فكلامه هذا جواب عن قول صاحبه المنكر ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴿فَتَصْبِحُ﴾ الإصباح هنا بمعنى الصيرورة أي: تصير جنتك ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾ مصدر أريد به المفعول مبالغة أي: أرضاً ملساء يزلق عليها بملاصقتها باستتصال نباتها وأشجارها وجوز القرطبي أن تكون زلقاً من زلق رأسه أي: حلقة والمراد أنه لا يبقى فيها نبات كالرأس المحلوق فزلقاً بمعنى مزلق أيضاً.

﴿أَوْ يَصْبِحَ مَأْثَا غَوْرًا﴾ أي: غائراً في الأرض ذاهباً لا تناله الأيدي ولا الدلاء فأطلق هذا المصدر مبالغة ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ﴾ تقدر إيداله ﴿لَهُ﴾ أي: للماء الغائر ﴿طَلْبًا﴾ فضلاً عن وجدانه ورده. قال في الجلالين لا يبقى له أثر تطلبه به.

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ فَاصْبَحْ يَقْلُبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ﴿٢٤﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فَنَّهُ يَصْرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٢٥﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ نَوَابًا وَخَيْرٌ عَقَبًا ﴿٢٦﴾

﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ عطف على مقدر كأنه قيل فوق بعض توقعه من المحذور وأهلك أمواله المعهودة التي هي جنتاه وما حوتاه مأخوذ من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد غلبه واستولى عليه فيهلكه ﴿فَاصْبَحْ﴾ صار ﴿يَقْلُبُ كَفَيْهِ﴾ ظهراً لبطن تأسفاً وتحسراً كما هو عادة النادمين فإن النادم يضرب يديه واحدة على الأخرى. قال في «بحر العلوم» تقلب الكفين وعض الكف والأنامل واليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنيات عن الندم والحسرة لأنها من روادفها فتطلق الرادفة على المردوف فيرتقي الكلام به إلى الذروة العليا ويزيد الحسن بقبول السامع ولأنه في معنى الندم عدي تعديته بعلى كأنه قيل فأصبح يندم ﴿على ما أنفق﴾ [برآن چیزی خرج نموده بود اول] ﴿فيها﴾ في عمارتها من المال، وفي «المثنوي»:

بر گذشته حسرت آوردن خطاست باز ناید رفته یاد آن هباست
ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية يقول الفقير الظاهر أن الإنفاق إنما هو لتملكها فالتحسر على ماله مغن عن التحسر على الجنة لأنها بدله وهذا شائع في العرف كما يقول بعض النادمين قد صرفت لهذا كذا وكذا مالاً وقد آل عمره إلى الهلاك متحسراً على المال المصروف ﴿وهي﴾ أي: الجنة من الأعناب المحفوفة بنخل ﴿خاوية﴾ خالية ساقطة يقال خوت الدار خويا تهدمت وخلت من أهلها ﴿على عروشها﴾ دعائمها المصنوعة للكروم سقطت عروشها على الأرض وسقط فوقها الكروم وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع لكونها العمدة قيل أرسل الله عليها ناراً فأحرقتها وغار مأواها ﴿ويقول﴾ عطف على يقلب ﴿يا ليتني﴾ [كاشكى من] ﴿لم أشرك بربي أحداً﴾ كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه إنما أتى من جهة الشرك فتمنى أنه كان موحداً غير مشرك حين لم ينفعه التمني ولما كان رغبته في الإيمان لطلب الدنيا لم يكن قوله هذا توبة وتوحيداً لخلوه عن

الإخلاص. قال ابن الشيخ في سورة الأنعام: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة لكونه إيماناً وطاعة أما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب فغير مفيدة انتهى، وفي «المثنوي»:

آن ندامت از نتیجه رنج بود نی زعقل روشن چون کنج بود
چونکه شدرنج آن ندامت شد عدم می نیرزد خاک آن توبه ندم
میکنند او توبه و پیر خرد بانک لو ردوا لعادوا میزنند

﴿ولم تكن له فئة﴾ جماعة ﴿ينصرونه﴾ يقدرون على نصره بدفع الهلاك أو على رد المهلك والإتيان بمثله ﴿من دون الله﴾ فإنه القادر وحده على نصره بذلك لا غير لكنه لا ينصره لاستحقاقه الخذلان بكفره ومعاصيه ﴿وما كان منتصراً﴾ ممتنعاً بقوته عن انتقامه سبحانه.

﴿هنالك﴾ أي: في ذلك المقام وتلك الحال [دروقت زوال نعمت] ﴿الولاية لله الحق﴾ أي: النصر له تعالى وحده لا يقدر عليها أحد وهو تقرير لقوله تعالى: ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة ويتقم لهم كما نصر بما فعل بالكافر أخاه المؤمن وحقق ظنه وترك عدوه مخذولاً مقهوراً أو يؤيده قوله تعالى: ﴿هو﴾ أي: الله تعالى ﴿خير ثواباً وخير عقاباً﴾ بمعنى العاقبة أي: لأوليائه. قال سعدي المفتي وعقبي يشمل العاقبة الدنيوية أيضاً كما لا يخفى. قال في «الجلالين»: أفضل ثواباً ممن يرجى ثوابه وعاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره.

واعلم أن هذه القصة مشتملة على فوائد كثيرة وأعظمها أن التوحيد وترك الدنيا سبب للنجاة في الدارين والشرك وحب الدنيا سبب للهلاك فيهما. وعن وهب بن منبه أنه قال: جمع عالم من علماء بني إسرائيل سبعين صندوقاً من كتب العلم كل صندوق سبعون ذراعاً فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قل لهذا العالم لا تنفعك هذه العلوم وإن جمعت أضعافاً مضاعفة ما دام معك ثلاث خصال: حب الدنيا، ومرافقة الشيطان، وإيذاء مسلم وذلك أن فرعون علم نبوة موسى عليه السلام ولكن منعه حب الدنيا والرياسة عن المتابعة فلم ينفعه علمه المجرد وكذا علم إبليس حال آدم عليه السلام واليهود حال نبينا ﷺ وما سعدوا بمجرد علمهم وما وجدوا خير عاقبة ولو عملوا بما وعظوا لنجوا وفي «المثنوي»:

كرچه ناصح را بود صد داعيه پندرا اذنی ببايد واعيه
تو بصد تلطیف پندش می دهی او ز پندت میکنند پهلوی تهی
يك كس نا مستمع زاستیز ورد صد كس كوینده را عاجز كند
ز أنبیا نا صبح ترو خوش لهجه تر کی بود كه رفت دمشان در حجر
زانكه كوه وسنك دركار آمدند می نشد بدبخت را بكشاده بند
آنچنان دلها كه بدشان وما ومن نشان شد بل أشد قسوة

ألا يرى لم ينجع فيه وعظ أخيه المسلم لزيادة قسوة قلبه فآلت عاقبته إلى الندامة.

﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٥٥﴾ أَلَمْ آتِ الْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا﴾ أي: اذكر لقومك وبين ما يشبهها في زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا ولا يعكفوا عليها ولا يعرضوا عن الآخرة بالكلية ﴿كماء﴾ استئناف لبيان المثل أي: هي كماء ﴿أنزلناه من السماء﴾ [از سحاب یا از جانب سما] ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء وحده بل بمجموع ما في حيز الأداة. ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ التف وتكاثف بسببه حتى خالط بعضه بعضاً. يعني: [قوت كرفت ونشو ونمای خود بکمال رسانید وزمین بدو تازه وخرم شد] ﴿فأصبح﴾ فصار ذلك النبات الملتف أثر بهجته ﴿هشيماً﴾ مهشوماً مكسوراً ليبسه من الهشم وهو كسر الشيء الرخو ﴿تذروه الرياح﴾ تحمله وتفرقه يقال ذرت الرياح الشيء وأذرته وذرتة اطارته واذهبتة وذرا هو بنفسه والحنطة نقاها في الريح كما في «القاموس». وهذه الآية مختصرة من قوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَلٍّ﴾ [يونس: ۲۴] الآية. قال الكاشفي: [همچنین آدمی بزندگی وتازگی که دارد خوش برآید همچنین که نامه عمر ازغنوفان بپایان رسد مقتضی أجل در آمده نهال نهاداورا بصر صرفنا خشک سازد وخر منهای از وآرزورا بیاد نیستی بر دهد]:

بهار عمر بسی دلفریب ورنکینست ولی چه سود که دارد خزان مرگ از پی
﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإبقاء والإفناء وغير ذلك ﴿مقتدراً﴾ قادراً على
الكمال لا يعجزه شيء. فعلى العاقل أن لا يغتر بالحياة الدنيا فإنها فانية ولو طال مدتها وزائلة
ولو أعجبت زيتها، قال الشيخ سعدى قدس سره:

چو شیبست در آمد بروی شباب	شبت روزشد دیده برکن زخواب
دریغاکه بگذشت عمر عزیز	بخواهد گذشت این دمی چند نیز
فرو رفت جم را یکی نازنین	کفن کردچون کرمش ابریشمین
بدخمه در آمد پس از چند روز	که بروی بکرید بزاری وسوز
چو پوشیده دیدش حریر کفن	بفکرت چنین گفت باخو یشتن
من از کرم برکنده بودم بزور	بکنندند ازو باز کرمان کور
در یغا که بی ما بسی روز کار	بروید کل وبشکفد نو بهار

واعلم أن الذي أدركته العناية الأزلية بعد تعلق الروح بالجسد كتعلق الماء بالأرض فيبعث الله إليه دهقاناً من دهاقين الأولياء والأنبياء ومعه بذر الإيمان والتوحيد ليلقيه بيد الدعوة وتبليغ الرسالة في أرض نفسه فيقع منها في تربة طيبة وهي القلب كما ضرب الله تعالى مثلاً ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ [إبراهيم: ۳۴] وكقوله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ [الأعراف: ۵۸] فنبت عن بذر التوحيد وهي كلمة لا إله إلا الله شجرة الإيمان بماء الشريعة فيعلو به الروح من أسفل سافلين الإنسانية إلى أعلى درجات الروحانية وأقرب منازل قربات الربانية كقوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ۱۰] والله تعالى قادر على أن يخذله وينفيه في أسفل سافلين الجسمانية الحيوانية ليصير الروح العلوي كالأنعام بل هو أضل وعلى أن يجذبه بجذبات العناية إلى أعلى عليين مراتب القرب ليكون مسجوداً لملائكة المقربين، قال المولى الجامي:

سالکان بی کشش دوست بجایی نرسند سالها کرچه درین راه تک وپوی کنند
نسأل الله تعالى أن يجذبنا بسلاسل محبته ويجعلنا من أهل طاعته وقربته. قال وهب:

رأيت في بعض الكتب الدنيا غنيمة الأكياس وغفلة الجهال فالأنبياء والأولياء صلوات الله عليهم كانوا في الدنيا ولم يلتفتوا إليها ولم يرغبوا فيها قالوا: ليس كل من دخل المحبس يكون محبوساً فيه بل ربما دخله لإخراج المحبوس واستنقاذ المأسور فالنفوس النبوية ومن يتبعها إنما وردت إلى عالم الكون والفساد لاستنقاذ النفوس المحبوسة المأسورة فكما أن المحبوس إذا اتبع ذلك الداخل خرج ونجا فكذلك من اتبع الأنبياء في سنتهم ومناهجهم خرج ونجا.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الزينة مصدر في الأصل أطلق على المفعول مبالغة كأنهما نفس الزينة والمعنى أن ما يفخر به الناس لا سيما رؤساء العرب من المال والبنين شيء يتزينون به في الحياة الدنيا ويفني عنهم عن قريب. وبالفارسية: [مال وپسران آرایش زندگانی دنیا آمد ندوتوشه راه معاد چه بانندك زمانی تلف وهدف زوال خواهد شد] وفي «المثنوي»:

همچنین دنیا اگرچه خوش شکفت بانك هم زد بیوفاییء خویش كفت
كون می كويد بیامن خوش پی ام وإن فسادش كفت رو من لا شي ام
ای زخوبی بهاران لب كزان بنكر آن سردی وزردی خزان
كودكى از حسن شد مولای خلق بعد فردا شد خرف رسوای خلق

﴿والباقیات الصالحات﴾ الباقیات اسم لأعمال الخیر لا وصف ولذا لم يذكر الموصوف أي: أعمال الخیر التي تبقى ثمراتها أبد الآباد من الصلاة والصوم وأعمال الحج وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ونحو ذلك من الكلم الطيب.

- روي - أنه عليه السلام خرج على قومه فقال: «خذوا جنتكم» قالوا: يا رسول الله أمن عدو حضر قال: «لا بل من النار» قالوا: وما جنتنا من النار قال: «سبحان الله» إلى آخر الكلمات. قال الكاشفي: [بعض علما برانندكه باقيات صالحات بنات است كه بحكم هن ستر من النار سبب خلاص والدين باشند] وفي الحديث: «من ابتلي» الابتلاء هو الامتحان لكن أكثر استعمال الابتلاء في المحن والبنات مما تعد منها لأن غالب هوى الخلق في الذكور «من هذه البنات بشيء» من بيانية مع مجرورها حال من شيء «فأحسن إليهن» فسر الشارح هنا الإحسان بالتزويج بالكفاءة لكن الأوجه أن يعمم الإحسان «كن له سترأ من النار» لأن احتياجهن إليه كان أكثر حال الصغر والكبر فمن يسترهن بالإحسان يجازى بالستر من النيران كما في «شرح المشارق» لابن الملك «خير» من الفانيات الفاسدات من المال والبنين «عند ربك» أي: في الآخرة «ثواباً» عائدة تعود إلى صاحبها «وخير أملاً» رجاء حيث ينال بها صاحبها في الآخرة كل ما كان يؤمله في الدنيا وأما ما مر من المال والبنين فليس لصاحبه أمل يناله. والآية تزهيد للمؤمنين في زينة الحياة الدنيا الفانية وتوبيخ للمفتخرين بها قال بعضهم: لا ينجو من زينة الحياة الدنيا إلا من كان باطنه مزيناً بأنوار المعرفة وضيء المحبة ولمعان الشوق وظاهره مزيناً بآداب الخدمة وشرف الهمة وعلو النفس وتغلب زينة باطنه زينة حب الدنيا شوقاً منه إلى ربه وتغلب زينة ظاهره زينة الدنيا لأن زينتها أزين. وعن الضحاك عن النبي عليه السلام أنه قيل: يا رسول الله من أزهّد الناس؟ قال: «من لم ينس القبر والبلى وترك فضول زينة الدنيا وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد من أيامه غداً وعد نفسه من الموتى» وفي الحديث: «قال الله تعالى: يفرح عبدي المؤمن إذا بسطت له شيئاً من الدنيا وذلك أبعد له مني ويحزن إذا أقرت عليه الدنيا وذلك أقرب له مني» ثم تلا عليه السلام هذه الآية «أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُؤْتُهُمْ مِنْ مَالٍ

وَيَنْبَغُ لَكُمْ فِي الْفِتْنَةِ بَلَّ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ [المؤمنون: ٥٦-٥٥] إِنَّ ذَلِكَ فِتْنَةٌ لَكُمْ، قَالَ الشَّيْخُ سَعْدِي:

یکی پارسا سیرت وحق پرست همه شب در اندیشه کین کنج و مال
دکر قامت عجزم از بهر خواست سرایی کنم پای بستش رخام
یکی حجره خاص از پی دوستان بفرسودم از رقعہ بر رقعہ دوخت
دیگر زیر دستان برندم خورش بسختی بکشت این نمذ پستم
خیالش حذف کرد وکالیوه رنگ فراغ مناجات و زارش نماند
بصحرا در آمد سراز عشوه مست یکی بر سرکور کل میسرشت
بانديشه لختی فرو رفت پیر چه پندی درین خشت زرین دلت
توغافل در اندیشه سود و مال بکن سرمه غفلت از چشم پاک

﴿وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ نَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ ﴿٥٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وَيَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالَ﴾ أي: اذکر حین نقلعها من أماكنها وتسیر فی الجو علی هیأتها أو تسیر أجزاؤها بعد أن نجعلها هباء منبثاً والمراد بتذکیره تحذیر المشرکین مما فیہ من الدواهی ﴿وتری﴾ یا محمد أویاکل من یصلح للرؤية ﴿الأرض﴾ جمیع جوانبها ﴿بارزة﴾ ظاهرة لیس علیها ما یسترها من جبل ولا شجر ولا نبات ﴿وحشرناهم﴾ جمعنا أهل الإیمان والكفر إلى الموقف من جانب ﴿فلم نغادر﴾ لم نترك ﴿منهم أحدا﴾ تحت الأرض یقال غادره وأغدره إذا تركه ومنه الغدر الذي هو ترك الوفاء والغدير ما غادره السیل وتركه فی الأرض الغائرة.

﴿وعرضوا﴾ أي: الخلاق یوم القيامة یعنی المحشورین ﴿علی ربك﴾ علی حکمه وحسابه ﴿صفا﴾ مفرد منزل منزلة الجمع کقوله تعالی: ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [غافر: ٦٧] أي: أطفالاً والمعنی صفوفاً یقف بعضهم وراء بعض غیر متفرقین ولا مختلطین شبهت حالهم بحال الجند المعروضین علی السلطان لیحکم فیهم بما أراد لا لیعرفهم ﴿لقد جئتمونا﴾ أي: فیقال لهم ثمة لقد جئتمونا کائین ﴿كما خلقناکم أول مرة﴾ حفاة عراة لا شيء من المال والولد. وعن عائشة رضي الله عنها قلت: یا رسول الله کیف یحشر الناس یوم القيامة؟ قال: «عراة حفاة» قلت: والنساء؟ قال: «نعم» قلت: یا رسول الله نستحي قال: «یا عائشة الأمر أشد من ذلك لن یهمهم أن ینظر بعضهم إلى بعض».

وفي «التأويلات»: ﴿وعرضوا على ربك صفاء﴾ أي: صفاء صفاً من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين والمنافقين ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ في خمسة صفوف: صف من الأنبياء، وصف من الأولياء، وصف من المؤمنين، وصف من الكافرين، وصف من المنافقين ﴿بل زعمتم﴾ أيها الكافرون المنكرو للبعث والزعم الادعاء بالكذب ﴿أن﴾ مخففة من الثقلية ﴿لن نجعل لكم موعداً﴾ بل للخروج والانتقال من قصة إلى أخرى كلاهما للتوبيخ والتفريع أي: زعمتم في الدنيا أنه لن نجعل لكم أبداً وقتاً ننجز فيه ما وعدناه على ألسنة الأنبياء من البعث وما يتبعه. والآية تشير إلى عزته تعالى وعظمته وإظهار شظية من صفة جلاله وقهره وآثار عدله لينتبه النائمون من نوم غفلتهم ويتأهب الغافلون بأسباب النجاة لذلك اليوم ويصلحوا أمر سريرتهم وعلانيتهم لخطاب الحق تعالى وجوابه إذ إليه المرجع والمآب والعرض على الله هو العرض الأكبر ليس كعرض على الملوك. قال عتبة الخواص: بات عندي عتبة الغلام فبكى حتى غشي عليه فقلت: ما يبكيك؟ قال: ذكر العرض على الله قطع أوصال المحيين.

- حكي - أن سليمان بن عبد الملك وهو سابع خلفاء المروانية قال لأبي حازم: ما لنا نكره الآخرة؟ قال: لأنكم عمرتم الدنيا وخريتم الآخرة فتكرهون الانتقال من العمران إلى الخراب فقال: صدقت يا أبا حازم فيا ليت شعري ما لنا عند الله تعالى غداً قال: إن شئت تعلم ذلك ففي كتاب الله فقال: أين أجده؟ فقال في قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي بَحْمِيرٍ ﴿٧٣﴾﴾ [الانفطار: ١٤، ١٣] قال: فكيف يكون العرض على الله تعالى فقال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله مسروراً وأما المسيء فكالأبق يقدم على مولاه محسوراً فبكي سليمان بكاء شديداً، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نر یزد خدا آب روی کسی	که ریزد کناه آب چشمش بسی
کر آیینہ ازآہ کردد سیاه	شود روشن آیینہ دل زآہ
بترس ازکناہان خویش این نفس	که روز قیامت نترسی زکس
پلیدی کند کربہ در جای پاک	چو زشتش نماید بیوشد بخاک
تو آزادی ازنا پسندیدها	نترسی کہ بروی فتد دیدها
بر اندیش ازبندہ پر کناہ	کہ از خواجہ غائب شود چندکاه
اکرباز کردد بصدق ونیاز	بز نجیر وبندش نیار ندباز

- روي - عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: إني لا أغبط ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأ ولا عبداً صالحاً أليس هؤلاء يعاينون القيامة وأحوالها وإنما أغبط من لم يخلق لأنه لا يرى أحوال القيامة وشدايدها وذلك لأن من عاين الأمر على ما هو عليه اشتد خوفه ولم ير لنفسه حالاً ولا مقاماً مع أن المرء لا يخلو عن أسباب منجية ومهلكة فأَي الرجال المذهب.

- روي - أن عمر رضي الله عنه رؤي بعد موته بثنتي عشرة سنة وهو يمسح جبينه ويقول: كنت في الحساب إلى الآن وقد نوقشت في جدي سقط من جسر مكسور فانكسرت رجله على أني لم أجرم له ولم أصلح الجسر حتى سقط الجدي ولكن غفر الله لي وعفا عني بسبب عصفور اشتريته من صبي فأرسلته.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوتِلْنَا مَالٌ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّ رُكُوكَ أَحَدًا﴾ ﴿١٩﴾

﴿ووضع الكتاب﴾ عطف على عرضوا داخل تحت الأمور الهائلة التي أريد تذكيرها بتذكير وقتها وضع صحف الأعمال في إيمان أصحابها وشمائلها أو في الميزان ﴿فتري المجرمين﴾ قاطبة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما فيه﴾ من الذنوب ومن ظهورها لأهل الموقف. شد سية چون نامهای تعزیه بر معاصی متن نامه حاشیه جملہ فسق و معصیت بد یکسری همچو دار الحرب پر از کافری آنچنان نامه پلید و پر وبال در یمین ناید در آمد در شمال خود همینجا نامه خود را ببین دست چپ را شاید آن در یمین چون نباشی راست می دان که چپی هست پیدا نعره شیر و کبی کرچی باحضرت اوراست باش تا ببینی دست برد لطفها ش

﴿ويقولون﴾ عند وقفهم على تضاعفه فقيراً وقطميراً تعجباً من شأنه ﴿يا ويلتنا﴾ منادين لهلكتهم التي هلكتوا بها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لا قوه فإن الويل والويل الهلكة أي: يا هلكتنا احضري وتعالى فهذا أوانك ﴿مال هذا الكتاب﴾. قال البقاعي: رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب وشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة أي: أي شيء له حال كونه ﴿لا يغادر﴾ لا يترك ﴿صغيرة ولا كبيرة﴾ من الزلل تصدر عن جانيها ﴿إلا أحصاها﴾ حواها وضبطها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الصغيرة التسم والكبيرة القهقهة. وعن سعيد بن جبیر: الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا.

وفي «التأويلات النجمية»: الصغيرة كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وإن كان من المناجاة والكبيرة التصرف في الدنيا على حبها وإن كان من حلالها لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة انتهى. وفي الحديث «إياكم ومحقرات الذنوب فإن محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى طبخوا أخبزتهم» وفي الحديث: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنها تجيء يوم القيامة كأمثال الجبال وكفارتها الصدقة» ﴿ووجدوا ما عملوا﴾ في الدنيا من السيئات أو جزاء ما عملوا ﴿حاضراً﴾ مثبتاً في كتابهم.

وفي «التأويلات»: لأنهم كتبوا صالح أعمالهم بقلم أفعالهم في صحائف قلوبهم وسوء أعمالهم في صحائف نفوسهم وقد يوجد عكس ما في هذه الصحائف على صفحات الأرواح نورانياً أو ظلمانياً ﴿ولا يظلم ريك أحدا﴾ فيكتب ما لم يعمل من السيئات أو يزيد في عقابه الملائم لعمله فيكون إظهاراً لمعدلة القلم الأزلي.

وفي «التأويلات»: فإن كان النور غالباً على صفحة روحه فهو من أهل الجنة وإن كانت الظلمة غالبية عليها فهو هالك ومن لا يشوب نوره بالظلمة فهو من أهل الدرجات والقربات ومن أدركته الجذبات وبدلت سيئاته بالحسنات وأخرج إلى النور الحقيقي من الظلمات فهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر انتهى. فعليك بالحسنات والكف عن السيئات فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله. عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءت امرأة قد سترت يدها في كمها فقالت عائشة: ما لك لا تخرجين يدك من كمك؟ قالت: لا تسأليني يا أم المؤمنين إنه كان لي أبوان وكان أبي يحب الصدقة وأما أمي فكانت تبغض الصدقة فلم أرها

تصدقت بشيء إلا قطعة شحم وثوباً خلقاً فلما ماتا رأيت في المنام قد قامت القيامة ورأيت أمي قائمة بين الخلق واضعة الخلقان على عورتها ورأيت الشحم بيدها وهي تلحسه وتنادي واعطشاه ورأيت أبي على شفير الحوض وهو يسقي الماء ولم يكن عند أبي صدقة أحب إليه من سقي الماء فأخذت قدحاً من ماء فسقيت أمي فنوديت من فوق ألا من سقاها شلت يده فاستيقظت وقد شلت يدي، قال الحافظ قدس سره:

دهقان سال خورده چه خوش گفت باپسر ای نور چشم من بجز از کشته ندروی
قال الشيخ سعدي قدس سره:

کنون وقت تخمست اگر پروری کر امیدواری که خر من بری
بشهر قیامت مرو تنکدست که وجهی ندارد بغفلت نشست
مکن عمر ضایع بافسوس و حیف که فرصت عزیزست والوقت سیف
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥١﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصَدًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي: اذكر وقت قولنا لهم ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكریم لا سجود عبادة وكان ذلك مشروعاً في الأمم السالفة ثم نسخ بالسلام ﴿فسجدوا﴾ جميعاً غير الأرواح العالية امتثالاً للأمر وإنما لم يسجد الملائكة العالون لأنهم لم يؤمروا بالسجود وقد سبق في سورة الحجر ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد بل أبى واستكبر وكأنه قيل ما باله لم يسجد فقيل: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أصله جنياً خلق من نار السموم ولم يكن من الملائكة وإنما صح الاستثناء المتصل لأنه أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله: ﴿فسجدوا﴾ ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً كقولك: خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال. قال في كتاب «التكملة» قيل: إن المراد بقوله: ﴿كان من الجن﴾ أي: كان أول الجن لأن الجن منه كما أن آدم من الإنس لأنه أول الإنس. وقيل: إنه كان بقايا قوم يقال لهم الجن كان الله تعالى قد خلقهم في الأرض قبل آدم فسفكوا الدماء وقاتلتهم الملائكة. وقيل: إنه كان من قوم خلقهم الله وقال لهم: اسجدوا لآدم فأبوا فبعث الله عليهم ناراً أحرقتهم ثم خلق هؤلاء بعد ذلك فقال لهم: اسجدوا لآدم ففعلوا وأبى إبليس لأنه كان من بقية أولئك الخلق. قال البغوي: كان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل: إبليس لأنه أبلس من الرحمة أي: يئس والعياذ بالله تعالى ﴿فسق عن أمر ربه﴾ أي: خرج عن طاعته فالأمر على حقيقته جعل عدم امتثاله للأمر خروجاً عنه ويجوز أن يكون المراد المأمور به وهو السجود والفاء للسببية لا للعطف أي: كونه من الجن سبب فسقه ولو كان ملكاً لم يفسق عن أمر ربه لأن الملك معصوم دون الجن والإنس.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿فسق عن أمر ربه﴾ وخلع قلادة التقليد عن عنقه ليعلم أن الأصيل لا يخطيء وعند الامتحان يكرم الرجل أو يهان كما أن البعرة تشابه المسك وتعارضه في الصورة فلما امتحنا بالنار تبين المقبول من المردود والمبغوض من المودود، وقال الحافظ قدس سره:

خوش بود اگر محک تجربه آمد بمیان تا سیه روی شود هرکه دروغش باشد

﴿أَتَتَّخِذُونَهُ﴾ الهزمة للإنكار والتعجب والفاء للتعقيب أي: عقيب عملكم يا بني آدم بصدور الفسق عن إبليس تتخذونه ﴿وَذَرِيَّتَهُ﴾ أي: أولاده وأتباعه جعلوا ذريته مجازاً. قال الكاشفي: [كويّن بمعنى اتباع وتسميه ايشان بذريت از قبيل مجاز بود واكثر برانند كه او زذريت نيست] قال في «القاموس»: ذراً كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثله لنسل الثقلين انتهى وسيأتي الكلام على هذا ﴿أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي أي ذلك الاتخاذ منكر غاية الإنكار حقيق بأن يتعجب منه ومعنى الاستبدال منهم من قوله من دونه فإن معناه مجاوزين عني إليهم وهو عين الاستبدال ﴿وَهُمْ﴾ أي: والحال أن إبليس وذريته ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ أي: أعداء فحقهم أن تعادوهم لا أن توالوهم شبه بالمصادر للموازنة كالقبول ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ من الله إبليس وذريته تمييز.

﴿مَا أَشْهَدْتَهُمْ﴾ إشارة إلى غناه تعالى عن خلقه ونفي مشاركتهم في الألوهية أي: ما أحضرت إبليس وذريته ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ لا اعتضد بهم في خلقهما وأشاورهم في تدبير أمرهما حيث خلقتهما قبل خلقهم. وفيه رد لمن يدعي أن الجن يعلمون الغيب لأنهم لم يحضروا خلق السموات والأرض حتى يطلعوا على مغيباتهما ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ ولا أشهدت بعضهم خلق بعضهم كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النساء: ۲۹] ﴿وَمَا كُنْتَ تَتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ﴾ أي: الشياطين الذين يضلون الناس عن الدين والأصل متخذهم فوضع المظهر موضع المضمّر ذماً لهم وتسجيلاً عليهم بالإضلال ﴿عُصْدًا﴾ أعواناً في شأن الخلق وفي شأن من شؤوني حتى يتوهم شركتهم في التولي بناء على الشركة في بعض أحكام الربوبية. قال في «القاموس»: العصد الناصر والمعين وهم عضدي وأعضادي انتهى.

اعلم أن الله تعالى منفرد في الألوهية والكل مخلوق له وقد خلق الملائكة والجن والإنس فباين بينهم في الصورة والأشكال والأحوال. قال سعيد بن المسيب الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون والجن يتوالدون وفيهم ذكور وإناث ويموتون والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون بل يخلدون في الدنيا كما خلد فيها إبليس وإبليس هو أبو الجن وقيل: إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض بيضة فتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين: قال الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والاعلام» سمي من ولد إبليس في الحديث الأقبص دهامة بن الأقبص وسمي منهم بلزون وهو الموكل بالأسواق وأهم طرطة ويقال: بل هي حاضنتهم ذكره النقاش باضت ثلاثين بيضة عشرين في المشرق وعشرين في المغرب وعشرين في وسط الأرض وأنه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالغفاريات والغيلان والقطارية والجان وأسماءهم مختلفة وكلهم عدو لبني آدم بنص هذه الآية إلا من آمن منهم انتهى. قال الكاشفي: [در تبیان آورده كه چون حق سبحانه وتعالى إبليس را برانداز پهلوی چپ او زوجه وراكه آودنام دارد بیافريد واورا بشمار ريكهای بیابان فر زندانند واز اولاد او یکی مره است كنيست بدو يافته است وديكر لا قيس موسوس صلوات و«ولهان» بالتحريك موسوس طهارتست يعني «الولهان شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء ويضحكهم عند الوضوء» وإمام أحمد غزالي رحمه الله در اربعين آورده كه شيطان را چند فرزندااست وباتفاق زلنبور از اولاد او صاحب اسواقست كه بدروغ وكم فروشی وخیانت وسوسه ميكند واعول صاحب ابواب زنانست يعني «صاحب الزنى الذي يأمر به ويزينه» وثبر صاحب مصائب كه بشور ونوحه وشق جيوب ولطم

حدود ودعوى الجاهلية ميفرمايد وميسوط صاحب اراجيفست يعنى: «صاحب الكذب الذي يسمع فيلقى الرجل فيخبر بالخبر فيذهب الرجل إلى القوم فيقول لهم: قد رأيت رجلاً أعرف وجهه ما أدري ما اسمه حدثني بكذا وكذا» وداسم باخورنده طعام كه بسم الله نكفته باشد شركت ميكنند. وفي آكام المرجان داسم هو الذي يدخل مع الرجل وأهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم [ومدهيش موكل علما است كه ايشانرا براهواء مختلفه ميدارد]. ثم في الآيتين إشارات:

منها ما يتعلق بالله تعالى أراد أن يظهر صفة لطفه وصفة قهره وكمال قدرته وحكمته فأظهر صفة لطفه بآدم إذ خلقه من صلصال من حمأ مسنون وأمر ملائكته الذين خلقوا من النور بسجوده من كمال لطفه وجوده وأظهر صفة قهره بإبليس إذ أمره بسجوده لآدم بعد أن كان رئيس الملائكة ومقدمهم ومعلمهم وأشهدهم اجتهداً في العبادة حتى لم يبق في سبع السموات ولا في سبع الأرضين موضع شبر إلا وقد سجد لله تعالى عليه سجدة حتى امتلأ من العجب بنفسه حتى لم ير أحداً فأبى أن يسجد لآدم استكباراً وقال: أنا خير منه فلعنه الله وطرده إظهاراً للقهر وأظهر كمال قدرته وحكمته بأن بلغ من غاية القدرة والحكمة من خلق من قبضة تراب ظلماني كثيف سفلي إلى مرتبة يسجد له جميع الملائكة المقربين الذين خلقوا من نور علوي لطيف روحاني.

ومنها ما يتعلق بآدم عليه السلام وهو أنه تعالى لما أراد أن يجعله خليفة في الأرض أودع في طينته عند تخميرها بيده أربعين صباحاً سر الخلافة وهو استعداد قبول الفيض الإلهي بلا واسطة وقد اختصه الله وذريته بهذه الكرامة بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ۷۰] من بين سائر المخلوقات كما أخبر عليه السلام عن كشف قناع هذا السر بقوله: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه» ولهذه الكرامة صار مسجوداً للملائكة المقربين، قال الحافظ قدس سره:

فرشته عشق ندانده چيست قصه مخوان بخواه جام وكلابى بخاك آدم ريز

ومنها ما يتعلق بالملائكة وهو أنهم لما خلقوا من النور الروحاني العلوي كان من طبعهم الانقياد لأوامر الله تعالى والطاعة والعبودية فلما أمروا بسجود آدم وامتحنوا به وذلك غاية الامتحان لأن السجود أعلى مراتب العبودية والتواضع لله فإذا امتحن أحد أن يسجد لغير الله فذلك غاية الامتحان للامتحان فلم يتلعموا في ذلك وسجدوا لآدم بالطوع والرغبة من غير كره وإباء امتثالاً وانقياداً لأوامر الله كما قال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ۶].

ومنها ما يتعلق بإبليس وهو أنه لما خلق للضلالة والغواية والإضلال والإغواء خلق من النار وطبعها الاستعلاء والاستكبار وإن نظمته الله في سلك الملائكة منذ خلقه وكساه كسوة الملائكة وهو قد تشبه بأفعالهم تقليداً لا تحقيقاً حتى عد من جملتهم وذكر في زمريهم بل زاد عليهم في الاجتهاد والاعتقاد بالاعتقاد فاتخذوه رئيساً ومعلماً لما رأوا منه اشتداده في الاجتهاد بالإرادة دون الإرادة فلما امتحن بسجود آدم في جملة الملائكة هبت نكباء النكبة وانخلع عنه كسوة أهل الرغبة والرغبة ليميز الله الخبيث من الطيب فطاشت عنه تلك المخادعات وتلاشت منه تلك المبادرات وعاد الميشوم إلى طبعه وقد تبين الرشد من غيه فسجد الملائكة وأبى إبليس واستكبر من غيه وظهر أنه كان من الجن وأنه طبع كافراً، قال الحافظ قدس سره:

زاهد ايمن مشو از بازى غيرت زنهان كه ره از صومه تا دير مغان اين همه نيست

ومنها أن في أولاد آدم من هو في صورة آدم لكنه في صفة إبليس وأنهم شياطين الإنس وأماراتهم أنهم يتخذون إبليس وذريته أولياء من دون الله فيطيعون الشيطان ولا يطيعون الرحمن ويتبعون ذرية الشيطان ولا يتبعون ذرية آدم من الأنبياء والأولياء ولا يفرقون بين الأولياء والأعداء فبجهلهم يظلمون على أنفسهم ويبدلون الله وهو وليهم بالشياطين وهم لهم عدو وأولياء الله تعالى هم الذين لا يبدلون الله تعالى بما سواه ويتخذون ما سواه عدواً كما قال إبراهيم خليل الله ﴿فَأَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] لأنه رأى صحة الخلقة مع الله في صحة العداوة مع ما سواه.

ومنها: أن إخباره تعالى بأنه ما أشهد الشياطين خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم دليل على أنه يشهد بعض أوليائه على ما لم يشهد أعداءه فيبصر بنوره الأزلي ابتداء تعلق قدرته ببعض الأشياء المعدومة وكيفية إخراجها من العدم إلى الوجود وأما قول أهل النظر لا يبحث عن كيفية وجود الباري تعالى وكيفية تعلق القدرة بالمعدومات وكيفية العذاب بعد الموت ونحو ذلك فلا ينافيه إذ المستبعد عند العقل الجزئي مستقرب عند الكشف الكلي وكلامنا مع أهل الكشف لا مع غيره، قال الصائب:

سخن عشق باخرد كفتن بررك مرده نيشت زدنست

وفي «المنوي»:

ای که برد عقلي هديه با اله عقل اينجا كمتريست ازخاك راه

﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ [٥٦] ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [٥٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [٥٨]

﴿ويوم يقول﴾ أي: يوم يقول الله للكفار توبيخاً وتعجيزاً وهو يوم القيامة وقال بعضهم: يقول على السنة الملائكة: يقول الفقير: الأظهر هو الأول لأنه قد ثبت أن الله تعالى يتجلى يوم القيامة للخلق مسلمهم وكافرهم بصور شتى حتى يرويه بحسب ما اعتقدوه في هذه الدار فلا يبعد كلامه معهم أيضاً لأنه كلام بالعيب والتوبيخ لا بالرضى والتشريف كما كلم إبليس بعد اللعن والطرده على ما سبق في سورة الحجر ونحوها ﴿نادوا شركائي﴾ أضافهم إليه على زعمهم تهكماً بهم وتقريعاً لهم ﴿الذين زعمتم﴾ ادعيتهم أنهم شفعاءكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل من عبد من دونه تعالى ﴿فدعوههم﴾ أي: نادوهم للإعانة ذكر كيفية دعوتهم في آية أخرى قالوا ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [إبراهيم: ٢١] ﴿فلم يستجيبوا لهم﴾ فلم يغيثوهم أي: لم يدفعوا عنهم ضرراً ولا أوصلوا إليهم نفعاً إذ لا إمكان لذلك فهو لا ينافي إجابتهم صورة ولفظاً كما قال حكاية عن الأصنام أنها تقول: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَاكِسًا رُءُوسًا﴾ [الفصل: ٦٣]. وفيه إشارة إلى أن امتثال أوامره ونواهيه ينفع العبد إذا كان في الدنيا قبل موته وبشره في الآخرة فأما إذا كان في الآخرة فلا ينفعه الإيمان والأعمال فإن قوله: ﴿نادوا شركائي﴾ أمر من الله تعالى وقد امتثلوا أمره بقوله: ﴿فدعوههم﴾ فلم ينفعهم الامتثال لأن الشركاء ﴿لم يستجيبوا لهم﴾ وجعلنا بينهم وبينهم وبين الداعين والمدعويين ﴿موبقاً﴾ اسم مكان أو مصدر من سبق وبوقاً كوثب وثوباً أو سبق وبوقاً كفرحاً فرحاً إذا هلك مهلكاً يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هي في الشدة

نفس الهلاك. وقال الفراء: ﴿وجعلنا﴾ تواصلكم في الدنيا هلاكاً في الآخرة فالبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من قرأ بالرفع ومفعول أول لجعلنا وعلى الوجه الأول مفعول ثان. قال في «القاموس»: الموبق كمجلس المهلك وواد في جهنم وكل شيء حال بين الشيئين انتهى فالمعنى على الثاني بالفارسية [وادی ازوادهای دوزخ پیدا کنم میان ایشان که مهلكه عظیم باشد وهمه ایشانرا دران معذب سازیم]. يقول الفقير الظاهر أن المعنى على الثالث أي: جعلنا بينهم برزخاً يفصل أحدهما على الآخر فلا يشفع مثل الملائكة وعيسى وعزير وتبرأ غيرهم وهو لا ينافي الاجتماع. والاشتراك في النار بمن قضي له الدخول كما لا يخفى.

﴿ورأى المجرمون النار﴾ حين أمروا بالسوق إليها. قال الكاشفي: [وبه بيند مشركان آتش دوزخ را از جهل ساله را] ﴿فظنوا﴾ فأيقنوا ﴿أنهم واقعوها﴾ مخالطوها واقعون فيها فإن المخالطة إذا قويت سميت واقعة. قال الإمام: والأقرب أنهم يرون النار من بعيد فيظنون أنهم واقعوها مع الرؤية من غير مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَعَوْا لَهَا تَفِيْطًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] والمكان البعيد مسيرة خمسمائة سنة ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ انصرفاً أو مكاناً ينصرفون إليه. قال الكاشفي: [مصرفا مکانی باز کردند بد آن یا کریز کاهی] لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

﴿ولقد صرفنا﴾ أي: أقسم قسماً لقد كررنا وأدركنا على وجوه كثيرة من النظم ﴿في هذا القرآن للناس﴾ لمصلحتهم ومنفعتهم ﴿من كل مثل﴾ كمثل الرجلين المذكورين ومثل الحياة الدنيا ليتذكروا ويتعظوا أو من كل معنى داع إلى الإيمان هو كالمثل في غرابته وحسنه. قال الكاشفي: [ازهر مثل بران محتاجند از قصص گذشته که سبب عبرت گردد ودلائل قدرت کامله که موجب ازدیاد بصیرت شود]:

حق تعالى بمحض فضل عميم در کتاب کریم وحکم قدیم
آنچه مر جملہ را بکار آید گفته است آنچنانکه می آید

﴿وكان الإنسان﴾ جنس الإنسان بحسب جبلته ﴿أكثر شيء جدلاً﴾ جديلاً تمييز أي: أكثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل كالجن والملك أي: جدله أكثر من جدل كل مجادل وهو ههنا شدة الخصومة بالباطل لاقتضاء خصوصية المقام وإلا فالجدل لا يلزم أن يكون بالباطل قال تعالى: ﴿وَحَدِّثْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وهو من الجدل الذي هو الفتل والمجادلة الملاوة لأن كلاً من المجادلين يلتوي على صاحبه وفي الحديث «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» رواه أبو أمامة كما في «تفسير أبي الليث».

قال في «التأويلات النجمية» من طبيعة الإنسان المجادلة والمخاصمة وبها يقطعون الطريق على أنفسهم. فتارة مع الأنبياء يجادلون لا يقبلون بالنبوة والرسالة حتى يقاتلونهم. وتارة يجادلون في الكتب المنزلة ويقولون ما أنزل الله على بشر من شيء. وتارة يجادلون في محاكماتها. وتارة يجادلون في متشابهاتها. وتارة يجادلون في ناسخها ومنسوخها. وتارة يجادلون في تفسيرها وتأويلها. وتارة يجادلون في أسباب نزولها. وتارة يجادلون في قراءتها. وتارة يجادلون في قدمها وحدثها على هذا حتى لم يفرغوا من المجادلة إلى المجاهدة ومن المخاصمة إلى المعاملة ومن المنازعة إلى المطاوعة ومن المناظرة إلى المواصله فلهذا قال

تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ومن هذا عالجهم بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ۹۱] الآية ومن كلمات مولانا قدس سره:

ماراچه ازين قصه كه كاو آمد وخر رفت اين وقت عزيزست ازين عربده بازای فعلى العاقل أن يشتغل بنفسه ويترك المراء والجدل فإن مرجعه هو النقيض والتمزيق للغير وهو من مقتضى السعيه وفي الحديث: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء وإن كان محققاً» فإذا لزم ترك الجدال وهو محق فكيف وهو مبطل أعاذنا الله تعالى وإياكم منه بفضلہ وجعلنا من المتكلمين بالخير والمعرضين عن لغو الغير قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ۷۲] الآية وقال: ﴿وَإِذَا حَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ۶۳].

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْقُلُوبَ ۖ وَيَتَذَكَّرُوا أَيْنَتِي وَمَا أُنذِرُوا ۚ هُزُوا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا ۖ وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ ۖ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝﴾

﴿وما منع الناس﴾ أي: لم يمنع أهل مكة من ﴿أن يؤمنوا﴾ بالله تعالى ويترك الشرك الذي هم عليه ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ وهو الرسول الكريم الداعي والقرآن العظيم الهادي ﴿و﴾ من أن ﴿يستغفروا ربهم﴾ من أنواع الذنوب ﴿إلا﴾ انتظار ﴿أن يأتيهم سنة الأولين﴾ أي: سنة الله وعادته في الأمم الماضية وهو الاستئصال لما كان تعنتهم مفضياً إليه جعلوا كأنهم منتظرون له ﴿أو﴾ انتظار أن ﴿يأتيهم العذاب﴾ عذاب الآخرة حال كونه ﴿قبلاً﴾ أنواعاً جمع قبيل أو عياناً لهم أي: معيانياً. وبالفارسية [روى باروى]. قال في «الجلالين» يعني القتل يوم بدر. وقال في «الأسئلة المقحمة»: كيف وعدهم في هذه الآية بإحدى العقوبتين إن لم يؤمنوا ولم يفعل ذلك بمن لم يؤمنوا منهم الجواب إنما وعدهم بذلك إن تركوا الإيمان كلهم فقد آمن أكثرهم يوم فتح مكة.

﴿وما نرسل المرسلين﴾ إلى الأمم ملتبسين بحال من الأحوال ﴿إلا مبشرين﴾ للمؤمنين والمطيعين بالشواب والدرجات ﴿ومنذرين﴾ للكافرين والعاصين بالعقاب والدركات فإن طريق الوصول إلى الأول والحذر عن الثاني مما لا يستقل به العقل فكان من لطف الله ورحمته أن أرسل الرسل لبيان ذلك. يقول الفقير: إشارة إلى أن العلماء الذين هم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل رحمة الله من الله تعالى أيضاً إذ بيانهم يضمنحل ظلم الشبه وينحل عقد الشكوك وبارشادهم يحصل كمال الاهتداء ويتم أمر السلوك ﴿ويجادل الذين كفروا﴾ أي: يجادلون الرسل المبشرين والمنذرين ﴿بالباطل﴾ [به يهوده] حيث يقولون: ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ويقترحون آيات بعد ظهور المعجزات تعنتاً ﴿ليدحضوا﴾ ليزيلوا ﴿به﴾ بالجدال ﴿الحق﴾ الذي مع الرسل عن مقره ومركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو إزلاقها عن موطنها والدحض الزلق. ومن بلاغات الزمخشري حجج الموحدين لا تدحض بشبه المشبه كيف يضع ما رفع إبراهيم أبرهه، وفي «المثوي»:

هرکه بر شمع خدا آرد پفو شمع کی میرد بسوزد پوزاو

﴿واتخذوا آياتي﴾ الدالة على الوحدة والقدرة ونحوهما ﴿وما أنذروا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿هزوا﴾ سخرية يعني موضع استهزاء فيكون من باب الوصف بالمصدر مبالغة.

﴿ومن أظلم﴾ استفهام على سبيل التوبيخ أي: من أشد ظلماً ﴿ممن ذكر بآيات ربه﴾ أي: وعظ بالقرآن الكريم ﴿فأعرض عنها﴾ لم يتدبرها ولم يتفكرها ﴿ونسي ما قدمت يدها﴾ من الكفر والمعاصي ولم يتفكر في عاقبتها ولم ينظر في أن المسيء والمحسن لابد لهما من جزاء ولما كان الإنسان يباشر أكثر أعماله بيديه غلب الأعمال باليدين على الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدين له يداك. قال بعضهم: أحق الناس تسمية بالظلم من يرى الآيات فلا يعتبر بها ويرى طريق الخير فيعرض عنها ويرى مواقع الشر فيتبعها ولا يجتنب عنها ﴿إننا جعلنا﴾ إهمالهم كما في «تفسير الشيخ» ﴿على قلوبهم أكنة﴾ أغطية جمع كنان وهو تعليل لإعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع على قلوبهم ﴿أن يفقهوه﴾ كراهة أن يقفوا على كنه الآيات وتوحيد الضمير باعتبار القرآن ﴿و﴾ جعلنا ﴿في آذانهم وقرا﴾ ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه. وفيه إشارة إلى أن أهل اللغو والهيذان لا يصيخون إلى القرآن، قال الكمال الخجندي قدس سره:

دل از شنیدن قرآن بکبر درهمه وقت چو باطلان ز کلام حقت ملولی چیست

﴿وإن تدعهم إلى الهدى﴾ أي: إلى طريق الفلاح وهو دين الإسلام ﴿فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ أي: فلن يكون منهم اهتداء البتة مدة التكليف كلها لأنه محال منهم. قال الكاشفي: [مراد جمعي اند از كفار مکه که علم حق بعدم ایمان ایشان متعلق بود] وإن جواب عن سؤال النبي ﷺ وجزاء للشرط أما كونه جواباً فلان قوله: ﴿إننا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ في معنى لا تدعهم إلى الهدى ثم نزل حرصه عليه السلام على إسلامهم منزلة قوله ما لي لا أدعوهم فأجيب بقوله: ﴿وإن تدعهم﴾ الآية وأما كونه جزاء فلأنه على انتفاء الاهتداء لدعوة الرسول على معنى أنهم جعلوا ما هو سبب لوجود الاهتداء سبباً لانتفائه بالإعراض عن دعوته.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْعِلاً﴾ ﴿٥٨﴾

﴿وربك﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿الغفور﴾ البليغ في المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلbas الشيء ما يصونه من الدنس ﴿ذو الرحمة﴾ الموصوف بالرحمة وهي الإنعام على الخلق خبر بعد خبر وإيراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب وأن المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب وأما الرحمة فهي فعل وإيجاد ولا يدخل تحت الوجود إلا ما يتناهى وتقديم الوصف الأول لأن التخلية قبل التحلية ﴿لو يؤاخذهم﴾ لو يريد مؤاخذتهم ﴿بما كسبوا﴾ من الذنوب ﴿لعجل لهم العذاب﴾ في الدنيا من غير إمهال لاستيجاب أعمالهم لذلك ولكنه لم يعجل ولم يؤاخذ بغتة ﴿بل لهم موعد﴾ بالفارسية [زمان وعد] فهو اسم زمان والمراد يوم بدر أو يوم القيامة فيعذبون فيه ﴿ولن يجدوا﴾ ألبتة حين مجيء الموعد ﴿من دونه﴾ من غيره تعالى ﴿موثلاً﴾ منجى وملجأ يقال وأل أي: نجا ووأل إليه أي: لجأ إليه وقيل من دون العذاب. قال سعدي المفتي: هو أولى وفيه دلالة على أبلغ وجه على أن لا ملجأ لهم ولا منجى فإن من

يكون ملجأه العذاب كيف يرى وجه الخلاص والنجاة انتهى. ويجوز أن يكون المعنى لن يجدوا عند حلول الموعد موثلاً بالفارسية [بناهي وكريز كاهي] وهو اللائح والله أعلم.

﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ ﴿٥٩﴾

﴿وتلك القرى﴾ أي: قرى عاد وثمود وأضرابهما وهي مبتدأ على تقدير المضاف أي: وأهل تلك القرى خبره قوله تعالى: ﴿أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: وقت ظلمهم مثل ظلم أهل مكة بالتكذيب والجدال وأنواع المعاصي ولما إما حرف كما قال ابن عصفور وإما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد به الوقت المعين الذي عملوا فيه الظلم بل زمان من ابتداء الظلم إلى آخره ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ أي: عيناً لهلاكهم لأن المهلك بفتح اللام وكسرهما الهلاك ﴿موعداً﴾ ممتداً لا يتأخرون عنه [پس چرا قریش عبرت نکیرند وازشرك ونافرمانی دست باز نمی دارند «السعيد من وعظ بغيره» . ورشيد الدين وطواط در ترجمه اين كلام سعادت فرموده]:

نيكبخت آن كسى بودكه دلش آنچه نيكو تراست بپذيرد
ديكرانرا چوپند داده شود او ازان پند بهره بر كيرد
وفي الآيات إشارات:

منها: أن أسباب الهداية وإن اجتمعت بالكلية لا يهتدي بها الناس ولا يؤمنون إلا بجذبات العناية كما قال عليه السلام: «لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا» قال المولى الجامي: سالكان بى كشن دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وهوى كنند فالاهتداء بهداية الله تعالى وبالسيف كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وكما قال: «أنا نبي السيف ونبي الملمحة».

ومنها أن أهل الباطل يرون الحق باطلاً والباطل حقاً وذلك من عمى قلوبهم وسخافة عقولهم فيجادلون الأنبياء والأولياء جهلاً منهم وضلالة ويسعون في إبطال الحق وأما أهل الحق فينقادون للأنبياء والأولياء ويستسلمون لهم من غير عناد وجدال وذلك لأنهم ينظرون بنور الله فيرون الحق حقاً ويتبعونه ويرون الباطل باطلاً ويجتنبونه لا جرم أنهم يتخذون آيات الله جداً لا هزواً فيأتمرون بما أمروا به وينتهون عما نهوا عنه.

ومنها: أن رحمة الله تعالى في الدنيا تعم المؤمن والكافر لأنه لا يؤاخذهم بما كسبوا في الدنيا بقطع الرزق ونحوه وتخص يوم القيامة بالمؤمن والعذاب يخص الكافر كقوله تعالى: ﴿وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا﴾ أي: إنما أهلكنا أهل تلك القرى بعد أن كان من سنتنا أن تعم رحمتنا المؤمن والكافر في الدنيا لأنهم ضموهم مع كفرهم الظلم ومن سنتنا أن لا نهمل الظالم ولا نهمله كما قال عليه السلام: «الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم» وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ١٢٩] وذلك لأن همم المظلومين المظطربين مؤثرة ودعاؤهم مستجاب قال عليه السلام: «اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب» ومن هذا المقام يعرف سر قوله عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» فإن إطلاق العادل على أنوشروان بالنسبة إلى انتفاء الظلم الآفاقي عنه وقد كان في نفسه مجوسياً والشرك ظلم عظيم، قال الشيخ سعدى:

مهازورمندی مکن برکهان که بریک نمط می نماند جهان
پریشانی خاطر داد خواه بر اندازد از مملکت بادشاه
خنک روز محشر تن داد کر که در سایه عرش دارد مقرر

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتَّبِعَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا نَدَّاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٣﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾:

- روي - أن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني إسرائيل بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه إنعام الله عليهم فخطب خطبة بليغة رقت بها القلوب وذرفت العيون فقال واحد من علماء بني إسرائيل: يا موسى من أعلم؟ قال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه تعالى فأوحى إليه بل أعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان في أيام أفريدون الملك العادل العاقل قبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى وهو قد بعث في أيام كشتاسف بن لهراسب كما قاله ابن الأثير في «تاريخه» فقال: يا رب أين أطلبه وكيف يتيسر لي الظفر به والاجتماع معه قال: اطلبه على ساحل البحر عند الصخرة وخذ حوتاً مملوحاً في مكتل يكون زاداً لك فحيث فقدته أي: غاب عنك فهو هناك فأخذ حوتاً فجعله في مكتل فقال لفتاه: إذا فقدت الحوت فأخبرني. والمعنى اذكر وقت قول موسى بن عمران لما فيه من العبرة وزعم أهل التوراة أن موسى هذا هو موسى بن ميثا بن يوسف النبي عليه السلام وأنه كان نبياً قبل موسى بن عمران لاستبعادهم أن يكون كليم الله المختص بالمعجزات الباهرة مبعوثاً للتعليم والاستفادة ممن هو دونه فلهذا لا يبعد عن العالم الكامل أن يجهل بعض الأشياء فالفاضل قد يكون مفضولاً من وجه بل المراد منه صاحب التوراة وإطلاق هذا الاسم يدل عليه لأنه لو أراد غيره لقیده كما يقال: قال أبو حنيفة الدينوري تمييزاً عن أبي حنيفة الإمام ﴿لفتاه﴾ وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو ابن أخت موسى وكان من أكبر أصحابه ولم يزل معه إلى أن مات وخلفه في شريعته وكان من أعظم بني إسرائيل بعد موسى سمي فتاه إذ كان يخدمه ويتبعه ويتعلم منه ويسمى الخادم والتلميذ فتى وإن كان شيخاً وإليه يشير القول المشهور: «تعلم يا فتى فالجهل عار» وهو عبد حكمي كما قال شعبة: من كتبت عنه أربعة أحاديث فانا عبده إلى أن أموت وقيل لعبده وإنما قال لفتاه تعليماً للأدب قال عليه السلام: «ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وأمتي» قال أبو يوسف: من قال أنا فتى فلان كان إقراراً منه بالرق. يقول الفقير المشهور وهو الوجه الأول وتأبى جلالة هذا السفر إلا أن يكون صاحب من أولي الخطر ونظيره أن نبينا ﷺ لما أراد الهجرة لم يرض برفاقته في سفره إلا الصديق رضي الله عنه لكونه أعز أصحابه وخليفته بعده كما أن يوشع صار خليفة موسى بعده ﴿لا أبرح﴾ من برج الناقص كزال يزال أي: لا أزال أسير فحذف الخبر اعتماداً على قرينة الحال إذ كان ذلك عند التوجه إلى السفر ويدل عليه أيضاً ذكر السفر في قوله: ﴿لقد لقينا من سفرنا﴾ فقول سعدي المفتي: لا دلالة في نظم القرآن على هذا ولعله علم من الأثر أو من أخبار المؤرخين ذهول عما بعد الآية ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ هو ملتقى بحر فارس والروم

مما يلي المشرق وهو المكان الذي وعد الله موسى بلقاء الخضر فيه . قال سعدي المفاتيح بحراً فارس والروم إنما يلتقيان في المحيط على ما سيجيء في سورة الرحمن أعني المحيط الغربي فإن الالتقاء هناك كما لا يخفى على من يعرف وضع البحار فالمراد بملتقاهما هنا موضع يقرب التقاؤهما فيه مما يلي المشرق ويعطي لما يقرب من الشيء حكم ذلك الشيء ويعبر به عنه انتهى . وفيه إشارة: إلى أن موسى والخضر عليهما السلام بحران لكثرة علمهما أحدهما وهو موسى بحر الظاهر والباطن والغالب عليه الظاهر على الشريعة والآخر وهو الخضر بحرهما والغالب عليه الباطن أي: الحقيقة إذ تفاوتوا الأنبياء عليهم السلام بحسب غلبة الجمال أو الجلال على نشأتهم وسيأتي التحقيق إن شاء الله تعالى فملتقاهما إذا المكان الذي يتفق اجتماعهما فيه لا موضع معين ﴿أو أمضي﴾ من مضى في الأمر بمعنى نفذ وأمضاه أنفذه ﴿حقباً﴾ هو بضم القاف وسكونه ثمانون سنة . والمعنى أسير زماناً طويلاً أتيقن معه فوات المطلب يعني حتى يقع إما بلوغ المجمع أو مضي الحقب . وفي بعض التفاسير: أسيرُ دهرًا طويلاً حتى أجد هذا العالم . قال الكاشفي: [موسى فرمود كه مدام میروم تا برسم بمنزل او یا میروم زمان دراز كه هشتاد سال باشد یعنی بهیچ وجهی روی از سفر نمی تابم تا اورا بیابم]: دست از طلب ندارم تا کام من بر آید

وفي «المثنوي»:

کر کران و کر شتابنده بود آنکه جوینده است یا بنده بود
در طلب زن دائماً تو هر دو دست که طلب در راه نیکو رهبرست
قال الإمام في تفسيره: هذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سار من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك انتهى . قال في «روضة الخطيب» رجل جاء من المدينة إلى مصر لحديث واحد ولذا لم يعد أحد كاملاً إلا بعد رحلته ولا وصل مقصده إلا بعد هجرته . وقالوا: كل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع ويكشف عن قلبه القناع فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له دعي لا نسب له انتهى . ومن كلام أبي يزيد البسطامي قدس سره: من لم يكن له شيخ فشيخة الشيطان، وفي «المثنوي»:

پیر را بکزین که بی پیر این سفر هست بس پرافت و خوف و خطر
چون کرفتی پیر هین تسلیم شو همچو موسی زیر حکم خضر رو
قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:
منها: أن شرط المسافر أن يطلب الرفيق ثم يأخذ الطريق .
ومنها: أن من شرط الرفيقين أن يكون أحدهما أميراً والثاني مأموراً له ومتابعاً .
ومنها: أن يعلم الرفيق عزمته ومقصده ويخبر عن مدة مكثه في سفره ليكون الرفيق واقفاً على أحواله فإن كان موافقاً له يرافقه في ذلك .

ومنها: أن من شرط الطالب الصادق أن يكون نيته في طلب شيخ يقتدي به أن لا يبرح حتى يبلغ مقصوده ويظفر به فإن طلب الشيخ طلب الحق تعالى على الحقيقة انتهى كلامه قدس سره .

﴿فلما بلغا﴾ قال الكاشفي: [موسى عليه السلام فرمود كه اي يوشع توبامن موافقت نماي

در طلب این بنده صالح یوشع فرمود آری من بتو موافقم ورفاقت تو مغتنم می شمارم:

خوشست آوار کی آنرا که همراهی چنین باشد

پس یوشع علیه السلام تهی چندان وماهی برداشته باتفاق موسی روانه شد [والفاء فصیحة أي: فذهب موسی و یوشع یمشیان فلما بلغا ﴿مجمع بینهما﴾ بینهما ظرف أضعف له اتساعاً فالمعنی مکاناً یکاد یلتقی وسط ما امتد من البحرین طویلاً. قال الکاشفی: [بمجمع که میان دو دریاست آنجا برصحره برکنار چشمه حیات بود نشستند موسی علیه السلام درخواب رفته بود و یوشع دران چشمه وضو ساخت و قطره برآن ماهی بریان چکید فی الحال زنده شد روی بدربا نهاد و یوشع متحیر شد و موسی از خواب در آمده تفقد حال یوشع و ماهی ننموده روی براه نهاد و از غایت تعجیل سفر] ﴿نسیا حوتهما﴾ الذي جعل فقدانه أمانة وجدان المطلوب أي: نسی موسی تذکر الحوت لصاحبه وصاحبه نسی الأخبار بأمره فلا یخالفه ما فی حدیث الصحیحین من إسناد النسیان إلى صاحبه. وفي «الأسئلة المقحمة»: كانا جميعاً قد زوداه لسفرهما فجاز إضافة ذلك إليهما وإن كان الناسي أحدهما وهو یوشع یقال: خرج القوم وحملوا معهم الزاد وإنما حمله بعضهم ﴿فاتخذ﴾ الحوت. إن قلت کیف أتى بالفاء وذهب الحوت مقدم على النسیان؟ قلت: الفاء فصیحة ولا یلزم أن یكون المعطوف علیه الذي یفصح عنه الفاء معطوفاً على نسیا بالفاء بل بالواو والتقدير وحيی الحوت فسقط فی البحر فاتخذ ﴿سبیله﴾ أي: طریق الحوت ﴿فی البحر سرباً﴾ مفعول ثان لاتخذ و فی البحر حال منه أي: مسلکاً کالسرب وهو بیت فی الأرض وثقب تحتها وهو خلاف النفق لأنه إذا لم یکن له منفذ یقال له سرب وإذا كان له منفذ یقال له نفق وذلك أن الله تعالى أمسك جریة الماء على الحوت فصار كالطاق علیه وهو ما عقد من أعلى البناء وبقي ما تحته خالیاً یعنی أنه إنجاب الماء عن مسلک الحوت فصار كوة لم تلتئم هكذا فسر النبی ﷺ هذا المقام كما فی حدیث الصحیحین. وبالفارسیة [سرباً مثل سردابه که دران توان رفت هر جا که ما هی بریان میرفت آب بالای او مرتفع می ایستاد در زمین خشک میکشت] فلا وجه لقول بعض المفسرین کالقاضي ومن یتبعه سرباً أي: مسلکاً یسلک فیهِ و یدهب من قوله: ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [الرعد: ۱۰] وهو الذاهب على وجهه فی الأرض.

﴿فلما جاوزا﴾ أي: مجمع البحرین الذي جعل موعداً للملاقاة أي: انطلقا بقية يومهما ولیلتهما حتی إذا كان الغد ألقى على موسی الجوع لیتذکر الحوت ویرجع إلى مطلبه فعند ذلك ﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾ ما نتغدی به وهو الحوت كما ینبئ عنه الجواب والغداء بالفتح هو ما یعد للأكل أول النهار والعشاء ما یعد له آخره ﴿لقد لقینا من سفرنا هذا﴾ أي: بالله لقد لقینا من هذا السفر الذي سرناه بعد مجاوزة مجمع البحرین ﴿نصباً﴾ تعباً وإعیاء. قال النووي: إنما لحقه النصب والجوع لیطلب موسی الغداء فیتذکر به یوشع الحوت و فی الحدیث «لم یجد موسی النصب حتی جاوز المكان الذي أمره به». وفي «الأسئلة المقحمة»: کیف جاع موسی ونصب فی سفرته هذه وحين خرج إلى المیقات ثلاثین يوماً لم یجع ولم ینصب قیل لأن هذا السفر کان سفر تأدیب وطلب علم واحتمال مشقة وذلك السفر کان إلى الله تعالى انتهى والجملة فی محل التعلیل للأمر بإیتاء الغداء إما باعتبار النصب إنما یعتری بسبب الضعف الناشئ عن الجوع وإما باعتبار ما فی أثناء التغدی من استراحة ما كما قال الکاشفی: [بیار طعام چاشت مارا تا بخوریم که کرسنه شدید ودمی بر آسیایم چون یوشع سفره پیش آورد وقصه ما هی بیادش آمد].

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنَسِينِي إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَأَرْسَلْنَا عَالِيَاءَ نَارِهِمَا فَصَصَا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾

﴿قال﴾ فتاه ﴿أرأيت﴾ [خبردارى]. وقال ابن ملك هو يجيء بمعنى أخبرني وهنا بمعنى التعجب ومفعوله محذوف وذلك المحذوف عامل في قوله: ﴿إذ أَوَيْنَا إِلَى الصخرة﴾ يعني عجبت ما أصابني حين وصلنا إلى الصخرة ونزلنا عندها ﴿فإني نسيت الحوت﴾ أن أذكر لك أمره وما شاهدت منه من الأمور العجيبة ثم اعتذر بإنساء الشيطان إياه لأنه لو ذكر ذلك لموسى ما جاوز ذلك المكان وما ناله النصب فقال: ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان﴾ بوسوسته الشاغلة عن ذلك ﴿أن أذكره﴾ بدل احتمال من الضمير أي: وما أنساني أن أذكره لك ﴿واتخذ سبيله في البحر﴾ سبيلاً ﴿عجبا﴾ وهو كون مسلكه كالطاق والسرب فعجباً ثاني مفعولي اتخذ والظرف حال من أولهما أو ثانيهما وهو بيان لطرف من أمر الحوت منبئ عن طرف آخر وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء بالاعتذار كأنه قيل حيى واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلاً عجباً يعني: أن قوله ﴿وما أنسانيه﴾ اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه سببه ما يجري مجرى العذر والعلة لوقوع ذلك النسيان. قال الإمام: فإن قيل انقلاب السمكة المألحة حية حالة عجيبة جعل الله تعالى حصول هذه الحالة العجيبة دليلاً على الوصول إلى المطلوب فكيف يعقل حصول النسيان في هذا المعنى أجاب العلماء عنه بأن يوشع كان قد شاهد المعجزات الباهرة من موسى كثيراً فلم يبق لهذه المعجزة عنده وقع عظيم فجاز حصول النسيان وعندي فيه جواب آخر وهو أن موسى لما استعظم علم نفسه أزال الله تعالى عن قلب صاحبه هذا العلم الضروري تنبيهاً لموسى على أن العلم لا يحصل إلا بتعليم الله تعالى وحفظه على القلب الخاطر انتهى. وقال بعضهم: لعله نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشه إلى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وهي حياة السمكة المملوحة المأكول بعضها وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وإنما نسبته إلى الشيطان هضماً لنفسه أي: لمقتضى نفسه من الاغترار والافتخار بأمثاله.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الطالب الصادق إذا قصد خدمة شيخ كامل يسلكه طريق الحق يلزمه مرافقة رفيق التوفيق ومعه حوت قلبه الميت بالشهوات النفسانية المملح بملح حب الدنيا وزينتها ومجمع البحرين هو الولاية بين الطالب وبين الشيخ ولم يظفر المريد بصحبة الشيخ ما لم يصل إلى مجمع ولايته فافهم جدا وعند مجمع الولاية عين الحياة الحقيقية فباول قطرة من تلك العين تقع على حوت قلب المريد يحيى ويتخذ سبيله في البحر عن الولاية سرّاً.

ومنها: أن الله يحول بين المرء وقلبه فينسى المريد قلبه حين فقده وينسى القلب المريد إذا وجد الشيخ، وفي «المنوي»:

اي خنك آن مرده كزخودرسته شد دروجود زنده پيوشته شد

وای آن زنده كه بامرده نشست مرده كشت وزنده كى ازوى پرست

ومنها أن المريد لو تطرق إليه الملالة في أثناء السلوك وأصاب قلبه الكلاله وسولت له

نفسه التجاوز عن خدمة الشيخ وترك صحبته حتى يظن أن لو سافر عن خدمته واشتغل بطاعة ربه وجاهد نفسه في طلب الحق تعالى لعله يصل مقصده ويحصل مقصوده بلا واسطة الشيخ والاقتداء به هيهات فإنه ظن فاسد ومتاع كاسد وأنه يضيع عمره ويتعب نفسه ويضل عن سبيل الرشاد ويبعد عن طريق السداد إلا إن أدركته العناية الأزلية التي هي الكفاية الأبدية وردت إليه صدق الإرادة، وفي «المثنوي»:

آن رهى كه بارها تورفته بى قلاوز اندرآن آشفته
پس رهى راکه نرفتستی توهیج هین مروتنها زرهبر سرمیج
هین میرالا که باپرهای شیخ تاببینی عون ولشکرهای شیخ
ومنها: أن صحبة الشيخ المرشد غداء للمريد لاشتمالها على ما يجري مجرى الغداء للروح من الأقوال الطيبة والأفعال الحسنة ومتى جاوز صحبته أتعب نفسه بلا فائدة الوصول ونيل المقصود ولا يحمل على هذا إلا شيطان الخذلان فيلزم الرجوع والعود إلى ملازمة الخدمة في مرافقة رفيق التوفيق كما رجع موسى ويوشع عليهما السلام قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي: في صحبتهم ولا تكونوا مع الكاذبين، وفي «المثنوي»:

هر طرف غولى همى خواند ترا کای برادرراه خواهی هین بیا
رهنمایم هم رعت باشم رفیق من قولاوزم درین راه دقیق
نمی قلاوزست ونی ره دانداو یوسفا کم روسوی آن کرک خو
نسأل الله العصمة والتوفيق.

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ذلك﴾ الذي ذكرت من أمر الحوت ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿كنا نبغ﴾ أصله نبغي والضمير العائد إلى الموصول محذوف أي: نبغيه ونطلبه لكونه أمانة للفوز بالمرام من لقاء الخضر عليه السلام ﴿فارتدا﴾ رجعا من ذلك الموضع وهو طرف نهر ينصب إلى البحر ﴿على آثارهما﴾ طريقهما الذي جاء منه والآثار الإعلام جمع أثر وأثر وخرج في أثره وأثره أي: بعده وعقبه. وبالفارسية: [برنشانهای قدم خود] ﴿قصصا﴾ مصدر فعل محذوف أي: يقصان قصصاً أي: يتبعان آثارهما اتباعاً ويتفحصان تفحصاً حتى أتيا الصخرة التي حبي الحوت عندها وسقط في البحر واتخذ سبيله سرياً.

﴿فوجدنا عبدا﴾ التنكير للتفخيم ﴿من عبادنا﴾ الإضافة للتشريف وكان مسجى بثوب فسلم عليه موسى وعرفه نفسه وأفاد أنه جاء لأجل التعلم والاستفادة. والجمهور على أنه الخضر بفتح الخاء المعجمة وكسر الضاد وهو لقبه وسبب تلقيبه بذلك ما جاء في الصحيح أنه عليه السلام قال: «إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء» الفروة وجه الأرض اليابسة وقيل النبات اليابس المجتمع والبيضاء الأرض الفارغة لا غرس فيها لأنها تكون بيضاء واهتزاز النبات تحركه وكنيته أبو العباس واسمه بلبا بباء موحدة مفتوحة ثم لام ساكنة ثم مثناة تحت ابن ملكان بفتح الميم وإسكان اللام ابن فالغ بن عابر بن شالغ بن ارفخشذ بن سام بن نوح. قال أبو الليث: إنه عليه السلام ذكر قصة الخضر فقال: «كان ابن ملك من الملوك فأراد أبوه أن يستخلفه من بعده فلم يقبل وهرب منه ولحق بجزائر البحر فلم يقدر عليه» وتفصيله على ما في كتاب «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي وهو أن أباه كان ملكاً

وأن أمه كانت بنت فارس واسمها إلهأ وإنها ولدته في مغارة وأنه ترك هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فأخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك أبوه كاتباً وجمع أهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي نزلت على إبراهيم وشيث كان فيمن قدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته ونجابته سأله عن جلية أمره فعرف أنه ابنه فضمه لنفسه وولاه أمر الناس ثم إن الخضر فر من الملك وزهد في الدنيا وسار إلى أن وجد عين الحياة فشرب منها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخضر ابن آدم لصلته ونسب له في أجله حتى يكذب الدجال وفيه إشارة إلى أن لكل دجال في كل عصر مكذباً ومبطلاً لأمره، قال الحافظ:

كجاست صوفى دجال فعل ملحد شكل بكويسوزكه مهديء دين پناه رسيد
وأخرج عن ابن عساكر: أن آدم لما حضره الموت أوصى بنيه أن يكون جسده الشريف معهم في غار فكان جسده في المغارة معهم فلما بعث الله نوحاً ضم ذلك الجسد في السفينة بوصية آدم فلما خرج منها قال لبيه: إن آدم دعا بطول العمر لمن يدفنه من أولاده إلى يوم القيامة فذهب أولاده إلى الغار ليدفنوه وكان فيهم الخضر فكان هو الذي تولى دفن آدم فأنجز الله ما وعده فهو يحيي ما شاء الله له أن يحيي. قال في «فتح القريب»: ومن أغرب ما قيل: إنه ابن آدم لصلبه وقيل إنه من الملائكة وهذا باطل ومن أعجب ما قيل: إنه ابن فرعون صاحب موسى كما في «تواريخ مصر» وقيل أنه ابن خالة ذي القرنين كان في سفره معه وشرب من ماء الحياة مد الله عمره إلى الوقت المعلوم ولا بعد فإنه كان من بني آدم من يعيش ثلاثة آلاف سنة أو أكثر وقيل: إنه ابن عاميل بن شماليخ بن ارما بن علقما بن عيصو بن إسحاق النبي وكان عاميل ملكاً. والجمهور على أنه نبي غير مرسل وعند الصوفية المحققين ولي غير نبي واختلفوا في حياته والأكثر على أنه موجود بين أظهرنا وهذا متفق عليه عند الصوفية لأن حكاياتهم أنهم رأوه في المواضع الشريفة وكالموه أكثر من أن يحصى نقله الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية وأبو طالب المكي في كتبه والحكيم الترمذي في نوادره وغير ذلك من المحققين من سادات الأمة الذين لا يتصور اجتماعهم على الكذب والافتراء بمجرد الأخبار النقلية حاشاهم عن ذلك وقد ثبت وجوده فلا يكون عدمه إلا بدليل ولا دليل على موته ولا نص فيه من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا نقل أنه مات بأرض كذا في وقت كذا في زمن ملك من الملوك. وفي «تفسير البغوي»: أربعة من الأنبياء أحياء إلى يوم البعث اثنان في الأرض وهما الخضر وإلياس أي: وإلياس في البر والخضر في البحر يجتمعان كل ليلة على ردم ذي القرنين يحرسانه وأكلهما الكرفس والكمأة واثنان في السماء إدريس وعيسى عليهما السلام. وفي كتاب «التمهيد» لأبي عمر إمام الحديث في وقته أن رسول الله ﷺ حين غسل وكفن سمعوا قائلاً يقول: السلام عليكم يا أهل البيت إن في الله خلفاً من كل هالك وعوضاً من كل تالف وعزاء من كل مصيبة فعليكم بالصبر فاصبروا واحتسبوا ثم دعا لهم ولا يرون شخصه فكانوا أي: الأصحاب وأهل البيت يرونه أنه الخضر. وفي كتاب «الهواتف» أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقي الخضر وعلمه هذا الدعاء وذكر فيه ثواباً عظيماً ومغفرة ورحمة لمن قاله في أثر كل صلاة وهو «يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلظه المسائل ويا من لا يتبرم من إلحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك». قال الهروي: إن الخضر قد جاء النبي عليه السلام مراراً وأما

قوله عليه السلام: «لو كان حياً لزارني» فلا يمنع وقوع الزيارة بعده. قال في فصل الخطاب: إن الخضر قد صحب النبي عليه السلام وروى عنه أحاديث. وفي «الخصائص الصغرى»: أن في غزوة تبوك اجتمع عليه السلام بالياس فعن أنس رضي الله عنه غزونا مع النبي عليه السلام حتى إذا كنا بفج الناقة عند الحجر سمعنا صوتاً يقول: اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها فقال عليه السلام: «يا أنس انظر ما هذا الصوت» فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بياض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلاثمائة ذراع فلما رأيته قال: أنت رسول النبي عليه السلام؟ قلت: نعم قال: ارجع إليه وأقرئه السلام وقل له هذا أخوك الياس يريد أن يلقاك فرجعت إلى النبي عليه السلام فأخبرته فجاء عليه السلام يمشي وأنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثنا طويلاً فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعواني فأكلت معهما قليلاً فإذا فيها كمأة ورماني وحوث وتمر وكرفس فلما أكلت قمت فتنحيت ثم جاءت سحابة فاحتلمته فأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى به قبل الشام فقلت للنبي عليه السلام بأبي أنت وأمي هذا الطعام الذي أكلنا من السماء نزل عليه؟ قال عليه السلام: «سألته عنه فقال: يأتييني به جبرائيل في كل أربعين يوماً أكلة وفي كل حول شربة من ماء زمزم وربما رأيته على الجب يملأ بالدلو فيشرب وربما سقاني» والأكثر من المحدثين على وفاة الخضر سئل البخاري عن الخضر والياس هل هما في الأحياء؟ قال: كيف يكون ذلك وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى على رأس المائة ممن هو اليوم على وجه الأرض أحد» وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] والجواب أن هذا الحكم جار على الأكثر ولا حكم للنادر الذي يعيش فوق المائة فقد عاش سلمان ومعدي كرب وأبو طفيل فوق المائة وكانوا موجودين في ذلك الزمان عند إخباره عليه السلام والمراد بالخلود هو التأيد ولا شك أن حياة الخضر وغيره منقطعة عند الصعقة قبل القيامة فيمتنع الخلود. وأما من قال من العلماء لا يجوز أن يكون الخضر باقياً لأنه لا نبي بعد نبينا فلا عبرة لكلامه لأنه لم يتنبأ بعده بل قبله كعيسى أبقاه الله لمعنى وحكمة إلى أن يرتفع القرآن من وجه الأرض. وذكر الشيخ الأكبر قدس سره في بعض كتبه أنه يظهر مع أصحاب الكهف في آخر الزمان عند ظهور المهدي ويستشهد ويكون من أفضل شهداء عساكر المهدي. وفي آخر صحيح مسلم في أحاديث الدجال أنه يقتل رجلاً ثم يحيى قال إبراهيم بن سفيان صاحب مسلم يقال: إن هذا الرجل هو الخضر وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - يلتقي الخضر والياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان على هذه الكلمات «بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله» من قالهن ثلاث مرات حين يصبح ويمسي آمنه الله من الحرق والغرق والسرقة ومن الشيطان والحية والعقرب، وزاد أحمد في الزهد أنهما يصومان رمضان في بيت المقدس. وعن علي رضي الله عنه مسكن الخضر بيت المقدس فيما بين باب الرحمة إلى باب الأسباط. قال القاشاني: الخضر كناية عن البسط والياس عن القبض وأما كون الخضر شخصاً إنساناً باقياً من زمان موسى إلى هذا العهد أو روحانياً يتمثل بصورته لمن يرشده فغير متحقق عندي بل قد يتمثل ويتخيل معناه له بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس انتهى. يقول الفقير: تمثل الروح بالصفة الغالبة قد وقع لكثير من أهل

السلوك ولكن ليس كل مرئي في اليقظة تمثلاً كما في المنام فقد يظهر المثل وقد يظهر حقيقة والله في كل شيء حكمة بالغة ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ هي الوحي والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصه بجناب الكبرياء. قال الإمام مسلم: إن النبوة رحمة كما في قوله تعالى: ﴿أَمْهُمْ يُقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ونحوه ولكن لا يلزم أن تكون الرحمة نبوة فالرحمة هنا هي طول العمر على قول من ذهب إلى عدم نبوته ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ خاصاً هو علم الغيوب والإخبار عنها بإذنه تعالى على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما أو علم الباطن. قال في «بحر العلوم»: إنما قال من لدنا مع أن العلوم كلها من لدنه لأن بعضها بواسطة تعليم الخلق فلا يسمى ذلك علماً لدنيا بل العلم اللدني هو الذي ينزله في القلب من غير واسطة أحد ولا سبب مألوف من خارج كما كان لعمر وعلي ولكثير من أولياء الله تعالى المرتاضين الذين فاقوا بالشوق والزهد على كل من سواهم كما قال سيد الأولين والآخرين عليه السلام: «نفس من أنفاس المشتاقين خير من عبادة الثقلين» وقال عليه السلام: «ركعتان من رجل زاهد قلبه خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين إلى آخر الدهر» وقد صدق لكنه قليل كما قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ١٣] وقال: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجنات: ٢٦] ومن هنا يتبين لك معرفة رفعة الصحابة رضي الله عنهم وعظمهم رتبة ومكاناً من الله فإنهم أئمة المشتاقين والزاهدين الشاكرين ونجوم لهم يهتدون بهم انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فوجدنا عبداً من عبادنا﴾ أي: حراً من رق عبودية غيرنا من أحرارنا أي: ممن أحررناهم من رق عبودية الأغيار واصطفيناهم من الأخيار ﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾ يعني جعلناه قابلاً لفيض نور من أنوار صفاتنا بلا واسطة ﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾ وهو علم معرفة ذاته وصفاته الذي لا يعلمه أحد إلا بتعليمه إياه.

واعلم أن كل علم يعلمه الله تعالى عباده ويمكن للعباد أن يتعلموا ذلك العلم من غير الله تعالى فإنه ليس من جملة العلم اللدني لأنه يمكن أن يتعلم من لدن غيره يدل عليه قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٨٠] فإن علم صنعة اللبوس مما علمه الله داود عليه السلام فلا يقال إنه العلم اللدني لأنه يحتمل أن يتعلم من غير الله تعالى فيكون من لدن ذلك الغير وأيضاً إن العلم اللدني ما يتعلق بلدن الله تعالى وهو علم معرفة ذاته وصفاته تعالى انتهى. قال الجنيد قدس سره: العلم اللدني ما كان تحكماً على الأسرار بغير ظن فيه ولا خلاف لكنه مكاشفات الأنوار عن مكنونات المغيبات وذلك يقع للعبد إذا زم جوارحه عن جميع المخلوقات وأفنى حركاته عن كل الإرادات وكان شبحاً بين يدي الحق بلا تمن ولا مراد. قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: باب الملكوت والمعارف من المحال أن ينفتح وفي القلب شهوة هذا الملكوت وأما باب العلم بالله تعالى من حيث المشاهدة فلا ينفتح وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملك والملكوت [درفتوحات ازسلطان العارفين قدس سره نقل ميكندكه باجمعی دانشمندان می گفت] أخذتم علمكم ميتاً عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت:

كلشني كز نقل روید یکدمست كلشني كز عشق روید خرمست

كلشني كز كل دمد كردد تباه كلشني كز دل دمد وافرحتاه

علم چون بر دل زند یاری شود علم چون بر كل زند باری شود

واعلم أن الصوفية سموا العلوم الحاصلة بسبب المكاشفات العلوم اللدنية وتفصيل الكلام

أنا إذا أدركنا أمراً من الأمور وتصورنا حقيقة من الحقائق فلما أن نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لا نحكم وهو التصور وكل واحد من هذين القسمين فلما أن يكون ضرورياً حاصلًا من غير كسب وطلب وإما أن يكون كسبياً أما العلوم الضرورية فهي تحصل في النفس والعقل من غير كسب وطلب مثل تصورنا الألم واللذة والوجود والعدم ومثل تصديقنا بأن النفي والإثبات لا يجتمعان ولا يرتفعان وأن الواحد نصف الاثنين وأما العلوم الكسبية فهي التي لا تكون حاصلة في جوهر النفس ابتداء بل لا بد من طريق يتوصل به إلى اكتساب تلك العلوم فإن كان التوصل إلى استعلام المجهولات بتركيب العلوم البديهية فهو طريق النظر وإن كان بتهيئة المحل وتصفيته عن الميل إلى ما سوى الله تعالى فهو طريق الكشف والكشف أنواع أعلاها أسرار ذاته تعالى وأنوار صفاته وآثار أفعاله وهو العلم الإلهي الشرعي المسمى في مشرب أهل الله علم الحقائق أي: العلم بالحق سبحانه وتعالى من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما ليس في الطاقة البشرية وهو ما وقع فيه الكمل في ورطة الحيرة وأقروا بالعجز عن حق المعرفة وهذا العلم الجليل بالنسبة إلى سائر العلوم كالشمس بالنسبة إلى الذرات وكالبحر إلى القطرات فعلوم أهل الله مبنية على الكشف والعيان وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح وبداية طريق غيرهم تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذي لا يدوم وقال المولى الجامي:

جان زاهد ساحل وهم وخيال جان عارف غرقه بحر شهود

قال حضرة شيخني وسندي روح الله روحه الطيب وقُدس سره الزكي في كتاب «اللائحات البرقيات» المراد بالرحمة علم العبادة والدراسة والظاهر والشرعية ولذلك عبر عنه بالرحمة بناء على عمومته مثلها حيث قال: ﴿وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ولكون مقام هذا العلم الظاهري مقام القرب الصفاتي عبر عن مقامه بما يعبر به عن مقام هذا القرب الصفاتي من قوله تعالى: ﴿من عندنا﴾ أي: من مقام واحدة صفاتنا ومرتبة قربها والمراد بالعلم علم الإشارة والوراثية والباطن والحقيقة ولذلك عبر عنه بلفظ العلم بناء على التعبير بالمطلق على الفرد الكامل إذ العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الروح واللب من الجسد والقشر وبمنزلة المعنى من الصورة فلا جرم أن العلم الباطني من العلم الظاهري بمنزلة الفرد الكامل من الفرد الناقص والعلم الظاهري من العلم الباطني بمنزلة الفرد الناقص من الفرد الكامل والنقصان الموهوم المعتبر في العلم الظاهري بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الباطني باعتبار المقام الذي يوجب الامتياز بينهما من جهة الصورة لا يقدح في كماله الذاتي الحقيقي في عينه ونفسه كما أن الكمال المعتبر في العلم الباطني بحسب الإضافة والنسبة إلى العلم الظاهري باعتبار المقام الموجب للافتراق بينهما من جهة التعين لا يزيد في كماله الذاتي الحقيقي في نفسه وذاته بل كل منهما من حيث هو بالنظر إلى ذاته مع قطع النظر إلى الإضافة والنسبة المعتبرة بينهما بحسب المقامات والتعلقات وغير ذلك كمال محض لا يتصور في واحد منهما نقصان أصلاً فكما أن الجهل والغفلة في أنفسهما محض نقصان حقيقي فكذلك العلم والمعرفة في أنفسهما محض كمال حقيقي وإنما الاعتبار لثلاث تبطل حقائق الأحكام ولذا قيل لولا الاعتبار أي: الإضافات والنسب المعتبرة بين الأشياء لبطلت الحقائق ولما كان مقام هذا الباطن مقام القرب الذاتي عبر عن مقام ما يعبر به عن مقام القرب الذاتي من قوله: ﴿من لدنا﴾ أي: من مقام

أحدية ذاتنا ومرتبها ولذا خص كبار الصوفية في اصطلاحاتهم لفظ العلم اللدني بهذا العلم الباطني الحاصل بمحض تعليم الله تعالى من لدنه بغير واسطة عبارة ولذلك قال بعضهم:

تعلمنا بلا حرف وصوت قرأناه بلا سهو وفوت

يعني بطريق الفيض الإلهي والإلهام الرباني لا بطريق التعليم اللفظي والتدريس القولي ولكون مقام العلم الظاهري من مقام العلم الباطني بمنزلة الظاهر من الباطن حيث يتعلق العلم الظاهري بظواهر الشريعة وصورها والعلم الباطني بمنزلة الباب من البيت ومن أراد دخول البيت فليأت من باب وبيت العلم ومدينته هو النبي عليه السلام وباب هذا البيت والمدينة هو علي رضي الله عنه - كمال قال عليه السلام: «أنا مدينة العلم وعلي بابها».

كرتشنه فيض حق بصدقى حافظ سر چشمه آن زساقى كوثر پرس

واعلم أن التحقيق الحقيقي في هذا المقام أن العلم المأمور موسى عليه السلام بتعلمه من الخضر هو العلم الباطني المتعلم بطريق الإشارة لا العلم الباطني المتعلم بطريق المكاشفة ولا العلم الظاهري المتعلم بطريق العبارة والدليل عليه إرسال الحق سبحانه موسى إلى عبده الخضر وعدم تعليمه بواسطة أمين الوحي جبرائيل وتعليم الخضر بطريق الإشارة بالأمر الثلاثة لكن لما كان الظاهر بالنظر إلى غلبة جانب علم الظاهر في وجود موسى أن يطلب تعلمه بطريق العبارة لا بطريق الإشارة وطريقه طريق الإشارة لا طريق العبارة قال: إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً من طريق التعلم بالإشارة لا بالعبارة والغالب عليك إنما هو طريق العبارة لا طريق الإشارة كما أن الغالب على طريق الإشارة لا طريق العبارة ولكل وجهة هو موليها قل كل يعمل على شاكلته. ثم إن الإمام الأعظم من الحسن البصري رحمهما الله تعالى بمنزلة موسى من الخضر عليهما السلام كما أن العكس بالعكس من جهة ما هو الغالب في نشأة كل منهما ولذلك أفاد الإمام الهمام العلم الظاهري غالباً وتقيد بترتيب أنوار الشريعة وأحكامها عبارة وصراحة وأفاد العلم الباطني نادراً وتعرض لأسرار الحقيقة ودقائقها إشارة وكناية بخلاف الحسن البصري فالإمام شمسي المشرب والحسن قمري المشرب ولذلك كان فلك الإمام أعظم وأوسع من فلك الحسن البصري وكان الإمام رحمة لأهل العموم عامة وكان الحسن البصري رحمة لأهل الخصوص خاصة والإمام مظهر اسم الرحمن والحسن مظهر اسم الرحيم ويدل على هذا كله انتشار مذهبه شرقاً وغرباً وهو من جميع المذاهب بمنزلة النبوة المحمدية والولاية العيسوية من جميع النبوات والولايات من جهة الخاتمية وحيث يختم به جميع المذاهب الحققة كما ختم بالنبوة المحمدية جميع النبوات ويختم بالولاية العيسوية جميع الولايات ولكون مشربه ومذهبه شمسياً سمي سراج الأمة وكاشف الغمة ورافع الظلمة ودافع البدعة ومحبي الدين وحافظ الشريعة بالكتاب والسنة ولكون مشرب الحسن ومذهبه قمرياً أثار القلوب والنفوس والطباع المظلمة بظلمة الغفلة والهوى بأنوار المعرفة وأسرار الحقيقة والهدى تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً وفي تقديم السراج على القمر المنير إشارة إلى تقديم رتبة الإمام على رتبة الحسن إذ هو مظهر اسم الأول والظاهر والحسن مظهر اسم الآخر والباطن والأولان مقدمان على الثانيين بتقديم إلهي في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] وهذا التفاوت إنما هو باعتبار ترتيب المراتب وأما في أصل الكمال وحقيقة الفضل فهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها لسر يعرفه من يعرف ويغفل

عنه من يغفل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنفية هو الإمام الأعظم الأكمل ورئيس أهل الذكر الصوفية الشافعية هو الإمام الشافعي الأفضل ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنبلية هو الإمام الحنبلي التقي ورئيس أهل الذكر الصوفية المالكية هو الإمام مالك الزكي وهؤلاء الأئمة العظام كالخلفاء الأربعة الفخام كالنجوم بل كالأقمار بل كالشموس بأيهم اقتدى السالك اهتدى الحق المبين وهم لدين الحق كالأركان الأربعة للبيت وهم أيضاً من سائر الأقطاب والأولياء كالعرش والشمس من الأفلاك والنجوم وليس لغيرهم ممن بعدهم إلى يوم القيامة بدون الاقتداء بهم اهتداء إلى طريق الجنة والرؤية ومن اقتدى بهم في الشريعة والطريقة والحقيقة وعلم علومهم وعمل أعمالهم وتأدب بأدابهم على مذهب أيهم كان بحسب وسعه فلا شك أنه اقتفى أثر رسول الله عليه السلام ومن لم يقتد بهم في ذلك فلا شك أنه ضل عن أثر الرسول وخرج عن دائرة القبول هذا كله كلام حضرة شيخنا وسندي مع اختصار. وأما ما يلوح من كلمات بعض المشايخ من أن المجتهدين لم ينالوا العشق فله محامل ذكرنا بعضاً منها في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض» والذي يظهر أنها كلمات صدرت حالة السكر والغلبات فلا اعتبار بها والأدب التام أن يمسك عنهم إلا بخير الكلام.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبَعُ، عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ (١٦) ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا﴾ (١٨)

﴿قال له موسى﴾ استئناف مبني على سؤال نشأ من السياق كأنه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل: قال له موسى أي: للخضر عليهما السلام: ﴿هل أتبعك﴾ أصحابك ﴿على أن تعلمن﴾ على شرط أن تعلمن وهو في موضع الحال من الكاف وهو استئذان منه في اتباعه له على وجه التعليم ويكفيك دليلاً في شرف الاتباع ﴿مما علمت رشدًا﴾ أي: علماً ذا رشد أرشد به في ديني والرشد إصابة الخير. قال الكاشفي: [علمي كه مبني بررشد باشد] يعني: إصابة خير ولقد راعى في سوق الكلام غاية التواضع معه فينبغي للمرء أن يتواضع لمن هو أعلم منه. قال الإمام: والآية تدل على أن موسى راعى أنواع الأدب جعل نفسه تبعاً له فقال: ﴿هل أتبعك﴾ واستأذن في إثبات هذه التبعية وأقر على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم في قوله: ﴿على أن تعلمن﴾ ومن في قوله: ﴿مما علمت﴾ للتبعيض أي: لا أطلب مساواتك في العلوم وإنما أريد بعضاً من علومك كالفقير يطلب من الغني جزءاً من ماله وقوله: ﴿مما علمت﴾ اعتراف بأنه أخذ من الله وقوله: ﴿رشدًا﴾ طلب للإرشاد أي: ما لولاه لضل وهذا يدل على أنه طلب أن يعامله بمثل ما عامله الله به أي: ينعم بالتعليم كما أنعم الله عليه فإن البذل من الشكر، قال الحافظ:

أي صاحب كرامت شكرانه سلامت روزی تفقدی کن درویش بی نوارا

قال قتادة: لو كان أحد مكثفياً من العلم لاكتفى نجي الله موسى ولكنه قال: ﴿هل أتبعك﴾ الآية. وقال الزجاج وفيما فعل موسى وهو من أجلة الأنبياء من طلب العلم والرحلة في ذلك ما يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته ولذا ورد «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»، وفي «المنوي»:

خاتم ملك سليمانست علم جملة عالم صورت وجانست علم

قال العلماء ولا ينافي نبوة موسى وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من نبي آخر ما لا يتعلق له بأحكام شريعته من أسرار العلوم الخفية وقد أمر الله بأخذ العلم منه فلا دلالة له. قال شيخنا وسندي روح الله روحه تعليم موسى وتربيته بالخضر إنما هو من قبيل تعليم الأكمل وتربيته بالأكمل لأنه تعالى قد يطلع الكامل على أسرار يخفيها عن الأكمل وإذا أراد أن يطلع الأكمل عليها أيضاً فقد يطلعه بالذات وقد يطلعه بواسطة الكامل ولا يلزم من توسط الكامل أن يكون أكمل من الأكمل أو مثله والأكمل كامل مطلقاً والأكمل أكمل مطلقاً والرجحان للأكمل جداً ولا تسمع إلى غير ذلك مما يقول الضالون وقول الخضر لموسى عليه السلام يا موسى أنت على علم علمك الله وأنا على علم علمني الله إنما هو بناء على الامتياز المعتبر بينهما بحسب الغالب في نشأة كل منهما وإلا فالعلم الظاهر والباطن حاصلان في نشأة كل منهما انتهى وفهم منه جواب ما سبق من قوله إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك فإن المراد إثبات أعلميته في علم من العلوم الخاصة دون سائرهما وقد انعقد الإجماع على أن نبينا عليه السلام أعلم الخلق وأفضلهم على الإطلاق وقد قال: «أنتم أعلم بأمور دنياكم». وفي قصص الأنبياء بينما هما على ساحل البحر إذ أقبل طائر وغمس منقاره في البحر ثم أخرجه ومسحه على جناحه ثم طار نحو المشرق ثم أطار نحو المغرب ثم رجع وصاح فقال الخضر: يا موسى أتروي ما قال هذا الطائر؟ قال: لا قال: إنه يقول ما أوتي بنو آدم من العلم إلا بمقدار ما أخذت من هذا البحر بمقاري.

ازعلم تونكته ايست عالم زان دائره نقطه ايست آدم
وفي «التأويلات النجمية»: من آداب المريد الصادق بعد طلب الشيخ ووجدانه أن يستجيز منه في اتباعه وملازمة صحبته تواضعاً لنفسه وتعظيماً لشيخه بعد مفارقة أهاليه وأوطانه وترك مناصبه واتباعه وإخوانه وأخذانه كما كان حال موسى إذ قال للخضر: ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ بإرشاد الله لك أي: تعلمني طريق الاسترشاد من الله بلا واسطة جبريل والكتاب المنزل ومكالمة الحق تعالى فإن جميع ذلك كان حاصله له. فإن قيل فهل مرتبة فوق هذه المراتب الثلاث؟ قلنا إن هذه المراتب وإن كانت عزيزة جليلة ولكن مجيء جبريل يقتضي الوساطة وإنزال الكتاب يدل على البعد والمكالمة تنبئ عن الإثنية والرشد الحقيقي من الله للعبد هو أن يجعله قابلاً لفيض نور الله بلا واسطة وذلك يتجلى جماله وجلاله الذي كان مطلوب موسى بقوله: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فإن فيه رفع الإثنية وإثبات الوحدة التي لا يسع العبد فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل. ومنها أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ واصل ينبغي أن يخرج عما معه من الحسب والنسب والجاه والمنصب والفضائل والعلوم ويرى نفسه كأنه أعجمي لا يعرف الهر من البر أي: ما يهره مما يبره أو القط من الفار أو العقوق من اللطف أو الكراهية من الإكرام كما في «القاموس»، قال الحافظ:

خاطرت كي رقم فيض پذيرد هيهات مكر از نقش پراكنده ورق ساده كني
وينقاد لأوامره ونواهيه كما كان فإن كليم الله لم يمنعه النبوة والرسالة ومجيء جبريل وإنزال التوراة ومكالمة الله واقتداء بني إسرائيل به أن يتبع الخضر ويتواضع له وترك أهاليه وأتباعه وأشياعه وكل ما كان له من المناصب والمناقب وتمسك بذيل إرادته منقاد لأوامره ونواهيه.

﴿قال﴾ الخضر ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنه مما لا يصح ولا يستقيم والمراد نفى الصبر على ما يدل عليه قوله وكيف تصبر ويلزم من نفىها نفیه. وفيه دليل على أن الاستطاعة مع الفعل [موسى] كفت چرا صبر نتوانم كرد كفت بجهت آنكه تو پیغمبری وحکم تو بر ظاهر است شایدکه ازمن عملی صادر شود در ظاهر آن منکر وناشایسته نماید وجه حکمت آتراندانی وبرآن صبر کردن نتوانی].

﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ تمييز من خبر يخبر كنصر وعلم بمعنى عرف أي: لم يحط به خبرك أي: علمك وهو إيذان بأنه يتولى أموراً خفية منكورة الظواهر والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يصبر إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار. قال الإمام المتعلم قسمان منه من مارس العلوم ومنه من لم يمارسها والأول إذا وصل إلى من هو أكمل منه عسر عليه التعلم جداً لأنه إذا رأى شيئاً أو سمع كلاماً فربما أنكره وكان صواباً فهو لألفته بالقليل والقال يغتر بظاهره ولا يقف على سره وحقيقته فيقدم على النزاع ويثقل ذلك على الأستاذ وإذا تكرر منه الجدل حصلت النفرة وإليه أشار الخضر بقوله: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا﴾ لأنك ألفت الكلام والإثبات والإبطال والاعتراض والاستدلال ﴿وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: لست تعلم حقائق الأشياء كما هي. قال حضرة شيخى وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» كل واحد من العلمين أي: الظاهر والباطن موجود في وجود كل من موسى والخضر عليهما السلام إلا أن الغالب في نشأة موسى هو العلم الظاهري كما يدل عليه رسالته وقوله للخضر ﴿هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا﴾ لأن المتعلم من المخلوق إنما هو العلم الظاهري المتعلم بالحرف والصوت لا العلم الباطني المتعلم من الله بلا حرف وصوت بل بذوق وكشف إلهي وإلقاء وإلهام سبحانه لأن جميع علوم الباطن إنما تحصل بالذوق والوجدان والشهود والعيان لا بالدليل والبرهان وهي ذوقيات لا نظريات فإنها ليست بطريق التأمل السابق ولا بسبيل التعلم اللاحق بترتيب المبادي والمقدمات وعلى اعتبار حصولها بطريق الانتقال بالواسطة لا بطريق الذوق بغير الواسطة والغالب في نشأة الخضر هو العلم الباطني كما يدل عليه ولايته ولو قيل بنبوته وقوله لموسى عليه السلام: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ يعني: بحسب غلبة جانب علم الظاهر وعلم الرسالة على جانب علم الباطن وعلم الولاية إذ الحكم للأغلب القاهر انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يكون المرید ثابتاً في الإرادة بحيث لو يردہ الشيخ كرات بعد مرات ولا يقبله امتحاناً له في صدق الإرادة يلزم عتبة بابه ويكون أقل من ذباب فإنه كلما ذب أب كما كان حال كليم الله فإنه كان الخضر يردہ ويقول له: ﴿إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا﴾ أي: كيف تصبر على فعل يخالف مذهبك ظاهراً ولم يطلعك الله على الحكمة في إتيانه باطناً ومذهبك أنك تحكم بالظاهر على ما أنزل الله عليك من علم الكتاب ومذهبي أن أحكم بالباطن على ما أمرني الله من العلم اللدني وقد كوشفت بحقائق الأشياء ودقائق الأمور في حكمة إجرائها وذلك أنه تعالى أفناني عني بهويته وأبقاني به بألوهيته فبه أبصر وبه أسمع وبه أنطق وبه آخذ وبه أعطي وبه أفعل وبه أعلم فإني لا أعلم ما لم يعلم وأنه يقول ستجدني.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (٦٩) قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾

﴿قال﴾ موسى عليه السلام: ﴿ستجدني﴾ [زود بأشدكده يابى مرا] ﴿إن شاء الله صابراً﴾ معك غير معترض عليك والصبر الحبس يقال صبرت نفسي على كذا أي: حبستها وتعليق الوعد بالمشيئة إما طلباً لتوفيقه في الصبر ومعوته أو تيمناً به أو علماً منه بشدة الأمر وصعوبته فإن الصبر من مثله عند مشاهدة الفساد شديد جداً لا يكون إلا بتأييد الله تعالى. وقيل: إنما استثنى لأنه لم يكن على ثقة فيما التزم من الصبر وهذه عادة الصالحين. ويقال إن أمزجة جميع الأنبياء البلغم إلا موسى فإن مزاجه كان المرة. فإن قلت ما معنى قول موسى للخضر: ﴿ستجدني﴾ الآية ولم يصبر وقول إسماعيل عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْقَدِيرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢] فصبر. قال بعض العلماء لأن موسى جاء صحبة الخضر بصورة التعلم والمتعلم لا يصبر إذا رأى شيئاً حتى يفهمه بل يعترض على أستاذه كما هو دأب المتعلمين وإسماعيل لم يكن كذلك بل كان في معرض التسليم والتفويض إلى الله تعالى وكلاهما في مقامهما واقفان. وقيل: كان في مقام الغيرة والحدة والذبيح في مقام الحكم والصبر. قال بعض العارفين قال الذبيح من الصابرين أدخل نفسه في عداد الصابرين فدخل وموسى عليه السلام تفرد بنفسه وقال صابراً فخرج والتفويض من التفرد أسلم وأوفق لتحصيل المقام ووصول المرام. ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ عطف على صابراً أي: ستجدني صابراً وغير عاص أي: لا أخالفك في شيء ولا أترك أمرك فيما أمرتني به وفي عدم هذا الوجدان من المبالغة ما ليس في الوعد بنفس الصبر وترك العصيان.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن لا يكون معترضاً على أفعال الشيخ وأقواله وأحواله وجميع حركاته وسكناته معتقداً له في جميع حالاته وإن شاهد منه معاملة غير مرضية بنظر عقله وشرعه فلا ينكره بها ولا يسيء الظن فيه بل يحسن فيه الظن ويعتقد أنه مصيب في معاملاته مجتهد في آرائه وإنما الخطأ من قصور نظري وسخافة عقلي وقلة علمي.

﴿قال فإن اتبعنتي﴾ صحبتني لأخذ العلم وهو أذن له في الاتباع بعد اللتيا والتي والفاء لتفريع الشرطية على ما مر من التزامه للصبر والطاعة ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ تشاهده من أفعالي وتنكره مني في نفسك أي: لا تفتاحنني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ حتى ابتدء ببيانه. وفيه إيذان بأن كل ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من آداب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع.

قال في «التأويلات النجمية»: ومن الآداب أن يسد على نفسه باب السؤال فلا يسأل الشيخ عن شيء حتى يحدث له منه ذكراً إما بالقال وإما بالحال انتهى.

- روي - أن لقمان دخل على داود عليه السلام وهو يسرد دروعاً ولم يكن رآها قبل ذلك فتعجب منه فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فأمسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ قام داود ولبسها ثم قال نعم الدرع للحرب. وقيل: كان يتردد إليه سنة وهو يريد أن يسأل ذلك فلم يسأل. قالت الحكماء إن كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب. وعن بعض الكبار الصمت على قسمين: صمت باللسان عن الحديث بغير الله مع غير الله جملة وصمت بالقلب عن خاطر

كوني البتة فمن صمت لسانه ولم يصمت قلبه خف وزره ومن صمت قلبه ولم يصمت لسانه فهو ناطق بلسان الحكمة ومن صمت لسانه وقلبه ظهر له سره وتجلي له ربه ومن لم يصمت لسانه وقلبه كان مسخرة للشيطان. فعلى العاقل أن يجتهد حتى يسلم قلبه من الانقباض ولسانه من الاعتراض وينسى ما سوى الله تعالى ولا تلعب به الأفكار ويصبر عند مظان الصبر ويستسلم لأمر الله الملك الغفار فإن الله تعالى في كل شيء حكمة وفي كل تلف عوضاً، وفي «المثنوي»:

لا نسلم واعتراض ازما برفت چون عوض می آیداز مفقودزفت
چونکه بی آتش مرا کرمی رسد راضیم کر آتش مارا کشد
بی چراغی چون دهد اوروشنی کر چراغت شدجه افغان میکنی
دانه پر مغز باخاک دزم خلوتی وصحبتي کرد ازکرم
خوشتن درخاک کلی محو کرد تانماندش رنك وبوی سرخ وزرد
از پس آن محو قبض اونماند بر کشاد وبست شد مرکب براند
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الخلوة به والصحة بالأهل والتسليم للأمر.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٦٣﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ أي: ذهب موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان السفينة وأما يوشع فقد صرفه موسى إلى بني إسرائيل. وقال الكاشفي: [يوشع بر عقب ایشان میرفت]. يقول الفقير وهو الظاهر فإن ثنية الفعل إنما هي لأجل الانتقال من قصة موسى مع يوشع إلى قصته مع الخضر فكان يوشع تبعاً لهما فلم يذكر ويدل على هذا قوله عليه السلام: «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول» على ما في المشارق ولا مقتضى لرده إلى بني إسرائيل فإن هارون عليه السلام كان معهم والله أعلم. ﴿حتى إذا ركبا﴾ دخلا ﴿في السفينة﴾. وقال في «الإرشاد» في سورة هود: معنى الركوب العلو على شيء له حركة إما إرادية كالحيوان أو قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فإذا استعمل في الأول يوفر له حظ الأصل فيقال: ركبت الفرس وإن استعمل في الثاني يلوح بمحلية المفعول بكلمة في فيقال ركبت في السفينة. وفي «الجلالين»: ﴿حتى إذا ركبا﴾ البحر ﴿في السفينة﴾.

- روي - أنهما مرا بالسفينة فاستحملا ملاحيتها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول بفتح النون أي: بغير أجرة ﴿خرقها﴾ ثقبها الخضر وشقها لما بلغوا اللج أي: معظم الماء حيث أخذ فأساً فقلع بغتة أي: على غفلة من القوم من ألواحها لوحين مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بتيابه وأخذ الخضر قدحاً من زجاج ووقع به خرق السفينة أو سده بخرقه.

- روي - أنه لما خرق السفينة لم يدخلها الماء. وقال الإمام في تفسيره والظاهر أنه خرق جدارها لتكون ظاهرة العيب ولا يتسارع إلى أهلها الغرق فعند ذلك ﴿قال﴾ موسى منكراً عليه ﴿أخرقتها﴾ يا خضر ﴿لتغرق أهلها﴾ فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها وهم قد أحسنوا بنا حيث حملونا بغير أجرة وليس هذا جزاءهم فالام للعاقبة. وقال سعدي المفتي ويجوز أن يحمل على التعليل بل هو الأنسب لمقام الإنكار ﴿لقد جئت﴾ أي: أتيت وفعلت ﴿شيئاً إمراً﴾ [چیزی شکفت وشنیع وبر دل کران]. قال في «القاموس» أمر أمر

منكر عجب. ومن بلاغات الزمخشري كم أحدث بك الزمان أمراً أمراً كما لم يزل يضرب زيد عمراً أي: كما ثبت دوام هذه القصة. قال في «الأسئلة المقحمة» كان من حق العلم الواجب عليه الإنكار بحكم الظاهر إلا أنه كان يلزم مع ذلك التوقف وقت قلب العادة، قال الحافظ: مزن زچون چرادم كه بنده مقبل قبول كرديجان هرسخن كه جانان كفت

﴿قال﴾ الخضر لموسى ﴿ألم أقل﴾ أي: قد قلت: ﴿إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ ما تقدر أن تصبر معي البتة وهو تذكير لما قاله من قبل متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعد.

﴿قال﴾ [كفت موسى كه آن سخن از خاطر م رفته بود] ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ بنسياني وصيتك بعدم السؤال عن حكمة الأفعال قبل البيان فإنه لا مؤاخذة على الناسي كما ورد في صحيح البخاري «من أن الأول كان من موسى نسياناً والثاني فرطاً والثالث عمدًا» ﴿ولا ترهقني﴾ يقال رهقه كفرح غشيه وأرهقه إياه والإرهاق أن يحمل الإنسان على ما لا يطيقه وأرهقه عسراً كلفه إياه في «القاموس» أي: ولا تغشني ولا تكلفني ولا تحملني. قال الكاشفي: [ودر مرسان مرا] ﴿من أمري﴾ وهو اتباعه إياه ﴿عسراً﴾ [دشواری] مفعول ثاني للإرهاق أي: لا تعسر عليّ متابعتك ويسرها عليّ فإنني أريد صحبتك ولا سبيل لي إليها إلا بالإغضاء والعفو وترك المناقشة.

بپوش دامن عفوي بروی جرم مرا مریزآب رخ بنده بدین چون وچرا
وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ وشرائطه في الشيخوخة أن لا يحرص على قبول المريد بل يمتحنه بأن يخبره عن دقة صراط الطلب وعزة المطلوب وعسرته وفي ذلك يكون له مبشراً ولا يكون منفراً فإن وجده صادقاً في دعواه وراغباً فيما يهواه معرضاً عما سواه يتقبله بقبول حسن ويكرم مثواه ويقبل عليه إقبال مولا ويربيه تربية الأولاد ويؤدبه بآداب العباد. ومنها أن يتغافل عن كثير من زلات المريد رحمة عليه ولا يؤاخذ به بكل سهو أو خطأ أو نسيان عهد لضعف حاله إلا بما يؤدي إلى مخالفة أمر من أوامره أو مزاوله نهى من نواهيه أو يؤدي إلى إنكار واعتراض على بعض أفعاله وأقواله فإنه يؤاخذ به وينبهه عن ذلك فإن رجع عن ذلك واستغفر منه واعترف بذنبه وندم شرط معه أن لا يعود إلى أمثاله ويعتذر عما جرى عليه كما كان حال الكليم حيث قال: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ أي: لا تضيق عليّ أمري فإنني لا أطيق ذلك انتهى. وفي الآية تصريح بأن النسيان يعتري الأنبياء عليهم السلام للإشعار بأن غيره تعالى معيوب غير معصوم ولكن العصيان يعني غالباً فكيف بنسيان قارنه الاعتذار وقد قيل:

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن برّ عندك فيما قال أو فجراً
ثم إن امتحان الله وامتحان أوليائه شديد فلا بد من الصبر والتسليم والرضى:
قفل زفتست وكشاینده خدا دست در تسلیم زن اندر رضا
قال الخجندي:

بجفا دوشدن از تو نباشد محمود هرکجا پای ایازست سر محمودست
وعن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف قدس سره قال: دخلت بغداد قاصداً الحج وفي رأسي نخوة الصوفية يعني حدة الإرادة وشدة المجاهدة وإطراح ما سوى الله قال: ولم آكل أربعين يوماً ولم أدخل على الجنيد وخرجت ولم أشرب وكنت على طهارتي فرأيت ظبياً في

البرية على رأس بئر وهو يشرب وكنت عطشاناً فلما دنوت من البئر ولى الظبي وإذا الماء في أسفل البئر فمشيت وقلت: يا سيدي أأمالي عندك محل هذا الظبي فسمعت من خلفي يقال: جربناك فلم تصبر ارجع فخذ الماء إن الظبي جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت ومعك الركوة والحبل فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتي وكنت أشرب منها وأتطهر إلى المدينة ولم ينفذ الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع فلما وقع بصر الجنيد قدس سره عليّ قال: لو صبرت لنبيع الماء من تحت قدمك لو صبرت صبر ساعة اللهم اجعلنا من أهل العناية.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾

﴿فانطلقا﴾ الفاء فصيحة والانطلاق الذهاب أي: فقبل الخضر عذر موسى عليه السلام فخرجوا من السفينة فانطلقا ﴿حتى إذا﴾ [تاجون] ﴿لقيا﴾ في خارج قرية مرا بها ﴿غلاما﴾ [پسری را زیباروی وبلندقامت خضر اورا درپس دیواری ببرد] ﴿فقتله﴾ عطف على الشرط بالفاء أي: فقتله عقيب اللقاء واسمه جيسور بالجيم أو حيسور بالحاء أو حينون قاله السهيلي ومعنى قتله أشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقطع رأسه كما قال رسول الله ﷺ: «ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله» كذا في الصحيحين برواية أبي بن كعب رضي الله عنه ﴿قال﴾ موسى والجملة جزاء الشرط ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ طاهرة من الذنوب لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث أي: الإثم والذنب وهو قول الأكثرين. قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو زاكية والباقون زكية فعيلة للمبالغة في زكاتها وطهارتها وفرق بينهما أبو عمرو بأن الزاكية هي التي لم تذنّب قط والزكية التي أذنبت ثم تابت ﴿بغير نفس﴾ بغير قتل نفس محرمة يعني لم تقتل نفساً فيقتص منها. قيل الصغير لا يقاد فالظاهر من الآية كبر الغلام وفيه أن الشرائع مختلفة فلعل الصغير يقاد في شريعته ويؤيد هذا الكلام ما نقل البيهقي في «كتاب المعرفة» أن الأحكام إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد الهجرة. وقال الشيخ تقي الدين السبكي إنها إنما صارت متعلقة بالبلوغ بعد أحد. وقال في «إنسان العيون»: إنما صح إسلام علي رضي الله عنه مع أنهم أجمعوا على أنه لم يكن بلغ الحلم ومن ثم نقل عنه رضي الله عنه أنه قال:

سبقتكمو إلى الإسلام طراً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

أي كان عمره ثماني سنين لأن الصبيان كانوا إذ ذاك مكلفين لأن القلم إنما رفع عن الصبي عام خيبر. قال في «الإرشاد»: وتخصيص نفي هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الإيمان والزنى بعد الإحصان لأنه أقرب إلى الوقوع نظراً إلى حال الغلام وفي الحديث «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً»، فإن قلت: ما معنى هذا وقد قال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، قلت: المراد بالفطرة استعداده لقبول الإسلام وذلك لا ينافي كونه شقياً في جليلته أو يراد بالفطرة قولهم بلى حين قال الله: «أأنت بربكم»، قال النووي لما كان أبواه مؤمنين كان هو مؤمناً أيضاً فيجب تأويله بأن معناه والله أعلم أن ذلك الغلام لو بلغ لكان كافراً ﴿لقد جئت﴾ فعلت ﴿شيئاً نكراً﴾ منكر أنكر من الأول لأن ذلك كان

خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه . وقيل الأمر أعظم من النكر لأن قتل نفس واحدة أهون من إغراق أهل السفينة . قال جماعة من القراء نصف القرآن عند قوله تعالى : ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ .

﴿قال﴾ الخضر : ﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ توبيخ لموسى على ترك الوصية وزيادة لك هنا لزيادة العتاب على تركها لأنه قد نقض العهد مرتين .

﴿قال﴾ موسى ﴿إن سألتك عن شيء﴾ [أي چیزی که صادر شود مثل این افعال منكره] ﴿بعدها﴾ أي : بعد هذه المرة ﴿فلا تصاحبني﴾ أي : لا تكن صاحبي ومقارني بل أبعدني عنك وإن سألت صحبتك ﴿قد بلغت من لدني﴾ [بدرستی که رسیدی از نزدیک من] ﴿عذراً﴾ أي : قد وجدت عذراً من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات . وبالفارسية [چون سه بار مخالفت کنم هر آینه در ترک صحبت من معذور باشی] العذر بضميتين والسكون في الأصل تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه بأن يقول لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو فعلت فلا أعود وهذا الثالث التوبة فكل توبة عذر بلا عكس . والاعتذار عبارة عن محو أثر الذنب وأصله القطع يقال : اعتذرت إليه أي : قطعت ما في قلبه من الموجدة وفي الحديث : «رحم الله أخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب» . وفي «الخصائص الصغرى» : ومن خصائصه ﷺ أنه جمعت له للمشرية والحقيقة ولم يكن للأنبياء إلا أحدهما بدليل قصة موسى مع الخضر عليهما السلام والمراد بالشرية الحكم بالظاهر وبالحقيقة الحكم بالباطن وقد نص العلماء على أن غالب الأنبياء إنما بعثوا ليحكموا بالظاهر دون ما اطلعوا عليه من بواطن الأمور وحقائقها وبعث الخضر ليحكم عليه من بواطن الأمور وحقائقها ومن ثمة أنكر موسى على الخضر في قتله للغلام بقوله : ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ فقال له الخضر : وما فعلته عن أمري ومن ثمة قال الخضر لموسى إني على علم من عند الله لا ينبغي لك أن تعمل به لأنك لست مأموراً بالعمل به وأنت على علم من عند الله لا ينبغي لي أن أعمل به لأنني لست مأموراً بالعمل به . وفي «تفسير ابن حبان» : والجمهور على أن الخضر نبي وكان علمه معرفة بواطن أمور أوحيت إليه أي : ليعمل بها وعلم موسى الحكم بالظاهر أي : دون الحكم بالباطن ونبينا ﷺ حكم بالظاهر في أغلب أحواله وحكم بالباطن في بعضها بدليل قتله عليه السلام للसारق وللمصلي لما اطلع على باطن أمرهما وعلم منهما ما يوجب القتل . وقد ذكر بعض السلف أن الخضر إلى الآن ينفذ الحكم بالحقيقة وأن الذين يموتون فجأة هو الذين يقتلهم فإن صح ذلك فهو في هذه الأمة بطريق النيابة عن النبي ﷺ فإنه صار من أتباعه عليه السلام كما أن عيسى عليه السلام عندما ينزل يحكم بشريعته نيابة عنه لأنه من أتباعه . وفيه أن عيسى اجتمع به ﷺ اجتماعاً متعارفاً ببيت المقدس فهو صحابي كذا في «إنسان العيون» ، يقول الفقير : لا وجه لتخصيص عيسى فإنه عليه السلام كما اجتمع به عليه السلام ذلك الاجتماع كذلك الخضر والياس عليهما السلام اجتماعاً به اجتماعاً متعارفاً كما سبق فهما صحبايان أيضاً . وفيه بيان شرف نبينا ﷺ حيث إن هؤلاء الأنبياء الكرام استمهلوا من الله تعالى ليكونوا من أمته :

سر خیل انبیا و سپهدار اتقیا سلطان بارکاه دنی قائد امم

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ

فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٦﴾

﴿فانطلقا﴾ أي: ذهباً بعدما شرطاً ذلك ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية﴾ هي أنطاكية بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة قاعدة العواصم وهي ذات أعين وسور عظيم من صخر داخله خمسة أجبل دورها اثنا عشر ميلاً كما في «القاموس». قال الكاشفي: [واهل ديه چون شب شدی دروازه در بستندی و برای هیچکس نکشاندی نماز شام موسی و خضر بدان ديه رسیدند و خواستند که بدیه در آیند کسی دروازه مکشود و اهل ديه را گفتند اینجا غریب رسیده ایم کرسنه نیز هستیم چون مارا در ديه جای ندادید باری طعام جهت ما بفر ستید] و ذلك قوله تعالى: ﴿استطعما أهلها﴾ أي: طلباً منهم الطعام ضيافة. قيل: لم يسألهم ولكن نزولهما عندهم كالسؤال منهم. قال في «الأسئلة المقحمة»: استطعم موسى ههنا فلم يطعم وحين سقى لبنات شعيب ما استطعتم وقد أطعم حيث قال: ﴿إِنَّكَ أَيْ يَدْعُوكَ لِجَزَيْكَ أَجَرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ۲۵] والجواب ههنا أن الحرمان كان بسبب المعارضة بحيث لم يكتف بعلم الله بحاله بل جنح إلى الاعتماد على مخلوق فأراد السكون بحادث مسبوق وهناك جرى على توكله ولم يدخل وساطة بين المخلوقين وبين ربه بل حط الرحل ببابه فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ۲۸] قال الحافظ:

فقير وخسته بدرکاهت آدمم رحمی که جزدعای توام نیست هیچ دست آویز
وقال:

ما آبروی فقر وقناعت نمی بریم باپادشه بکوی که روزی مقدرست
قوله: ﴿استطعما أهلها﴾ في محل الجر على أنه صفة لقرية وجه العدول عن استطعامهم على أن يكون صفة للأهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم فإن الإباء من الضيافة وهم أهلها قاطنون بها أقبح وأشنع ﴿فأبوا﴾ امتنعوا ﴿أن يضيفوهما﴾ أي: من تضيفهما وهو بالفارسية [مهمان کردن] يقال ضافه إذا نزل به ضيفاً وأضافه وضيفه أنزله وجعله ضيفاً له هذا حقيقة الكلام ثم شاع كناية عن الإطعام وحقيقة ضاف مال إليه من ضاف السهم عن الغرض إذا مال وعن النبي عليه السلام: «كانوا أهل قرية لثاماً»، قال الشيخ سعدی قدس سره:

بزرگان مسافر بجان پرورند که نام نکویی بعالم برند
غریب آشناباش و سیاح دوست که سیاح جلاب نام نکوست
تبه کرددان مملکت عن قریب کز و خاطر آزرده کردد غریب
نکو دار ضیف و مسافر عزیز وز آسیب شان بر حذر باش نیز
وفي الحکایة أن أهلها لما سمعوا الآية جاؤوا إلى النبي عليه السلام بحمل من الذهب وقالوا: نشترى بهذا أن تجعل الباء تاء يعني فأتوا أن يضيفوهما أي: لأن يضيفوهما وقالوا: غرضنا دفع اللؤم فامتنع وقال: تغييرها يوجب دخول الكذب في كلام الله والقدح في الإلهية كذا في «التفسير الكبير» ﴿فوجدوا فيها﴾ قال الكاشفي: [ایشان کرسنه بیرون ديه بودند بامداد روی براه نهادند پس یافتند در نواحی ديه] ﴿جداراً﴾ [دیواری مائل شده بیک طرف] ﴿یرید أن ینقض﴾ الإرادة نزوع النفس إلى شيء مع حکمه فيه بالفعل أو عدمه والإرادة من الله هي الحكم وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما يقول العرب داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها. قال في «الإرشاد» أي: يداني أن يسقط فاستعيرت الإرادة للمشاركة للدلالة على المبالغة في ذلك. والانقضاض الإسراع في

السقوط وهو انفعال من القرض يقال قرضته فانقض ومنه انقضاى الطير والكواكب لسقوطها بسرعة. وقيل هو افعال من النقص كأحمر من الحمرة ﴿فأقامه﴾ فسواه الخضر بالإشارة بيده كما هو المروي عن النبي عليه السلام وكان طول الجدار في السماء مائة ذراع ﴿قال﴾ له موسى لضرورة الحاجة إلى الطعام. قال الكاشفي: [كفت موسى اين أهل ديه مارا جاى ندادند وطعام نيز نفرستادند پس چرا ديوار ايشانرا عمارت كردى] والجملة جزاء الشرط ﴿لو شئت لاتخذت﴾ افتعل من اتخذ بمعنى أخذ كأتبع وليس من الأخذ عند البصريين ﴿عليه﴾ على عملك ﴿أجرا﴾ أجرة حتى نشترى بها طعاماً. قال بعضهم لما قال له ﴿لتغرق أهلها﴾ قال الخضر: أليس كنت في البحر ولم تغرق من غير سفينة ولما قال: ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾ فقال: أليس قتلت القبطي بغير ذنب ولما قال: ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجرا﴾ قال: أنسيت سقياك لبنات شعيب من غير أجرة وهذا من باب لطائف المحاورات. قال القاسم لما قال موسى هذا القول وقف ظبي بينهما وهما جائعان من جانب موسى غير مشوي ومن جانب الخضر مشوي لأن الخضر أقام الجدار بغير طمع وموسى رده إلى الطمع. قال ابن عباس رضي الله عنهما: رؤية العمل وطلب الثواب به يبطل العمل ألا ترى الكلیم لما قال للخضر: ﴿لو شئت﴾ الآية كيف فارقه. وقال الجنيد قدس سره: إذا وردت ظلمة الاطماع على القلوب حجبت النفوس عن نظرها في بواطن الحكم. يقول الفقير: إن قلت كيف جوز موسى طلب الأجر بمقالة العمل الذي حصل بمجرد الإشارة وهو من طريق خرق العادة الذي لا مؤونة فيه. قلت: لم ينظر إلى جانب الأسباب وإنما نظر إلى النفع العائد إلى جانب أصحاب الجدار ألا ترى أنه جوز أخذ الأجر بمقالة الرقية بسورة الفاتحة ونحوها وهو ليس من قبيل طلب الأجرة على الدعوة فإنه لا يجوز للنبي أن يطلب أجراً من قومه على دعوته وإرشاده كما أشير إليه في مواضع كثيرة من القرآن.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ ﴿٧٨﴾

﴿قال﴾ الخضر ﴿هذا فراق بيني وبينك﴾ أي: هذا الوقت وقت الفراق بيننا وهذا الاعتراض الثالث سبب الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني وإضافة الفراق إلى البين إضافة المصدر إلى الظرف اتساعاً ﴿سأنبئك﴾ سأخبرك السين للتأكيد لعدم تراخي التنبئة ﴿بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾ التأويل رجع الشيء إلى مآله والمراد به ههنا المآل والعاقبة إذ هو المنبأ به دون التأويل وهو خلاص السفينة من اليد العادية وخلاص أبوي الغلام من شره مع الفوز بالبدل الأحسن واستخراج اليتيمين للكنز قال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» أي: يبين الله لنا بالوحي.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن آداب الشيخ أنه لو ابتلي المرید بنوع من الاعتراض أو مما يوجب الفرقه يعفو عنه مرة أو مرتين ويصفح ولا يفارقه فإن عاد إلى الثالثة فلا يصاحبه لأنه قد بلغ من لدنه عذراً ويقول كما قال الخضر هذا فراق بيني وبينك. ومنها أنه لو آل أمر الصحبة إلى المفارقة بالاختيار أو بالاضطرار فلا يفارقه إلا على النصيحة فينبئه عن سر ما كان عليه الاعتراض ويخبره عن حكمته التي لم يحط بها خبراً ويبين له تأويل ما لم يستطع عليه صبراً لثلا يبقى معه إنكار فلا يفلح إذا أبدا انتهى. يقول الفقير وهو المراد بقول بعض الكبار من قال لأستاذه لم لم يفلح؟ قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا

من سقط من عين الله فروي بعد ذلك من المحشئين وسرق فقتلته يده هذا لما نكث العهد فأين هو ممن وفى ببيعته مثل تلميذ أبي سليمان الداراني قدس سره قيل له: ألقي نفسك في التنور فألقى نفسه فيه فعاد عليه برداً وسلاماً وهذه نتيجة الوفاء، وفي المثنوي:

جرعه بر خاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زو كريخت
جعلنا الله وإياكم من المتحققين بحقائق المواثيق والعهود.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨٢﴾

﴿أما السفينة﴾ التي خرقتها ﴿فكانت لمساكين﴾ لضعفاء لا يقدرّون على مدافعة الظلمة وكانوا عشرة إخوة خمسة منهم زمني ﴿يعملون في البحر﴾ بها مؤاجرة طلباً للكسب فإسناد العمل إلى الكل بطريق التغليب أو لأن عمل الوكلاء بمنزلة عمل الموكلين.

اعلم أن الفقير في الشريعة من له مال لا يبلغ نصاباً قدر مائتي درهم أو قيمتها فاضلاً عن حاجته الأصلية سواء كان نامياً أو لا والمسكين من لا شيء له من المال هذا هو الصحيح عند الحنفية والشافعية يعكسون. قال القاضي في الآية دليل أن المسكين يطلق على من يملك شيئاً لم يكفه وحمل اللام على التملك. وقال مولانا سعدى: إنما يكون دليلاً إذا ثبت أن السفينة كانت ملكاً لهم لكن للخصم أن يقول اللام للدلالة على اختصاصها بهم لكونها في يدهم عارية أو كونهم أجراء كما ورد في الأثر انتهى. وقد نص على هذين الوجهين صاحب «الكفاية في شرح الهداية» ولئن سلمنا أن السفينة كانت ملكاً لهم فإنما سماهم الله مساكين دون فقراء لعجزهم عن دفع الملك الظالم ولزمانتهم والمسكين يقع على من أذله شيء وهو غير المسكين المشهور في مصرف الصدقة هذا هو تحقيق المقام ﴿فأردت﴾ بحكم الله وإرادته ﴿أن أعيبها﴾ أي: اجعلها ذات عيب ﴿وكان﴾ [و حال أنكه هست] ﴿وراءهم﴾ أمامهم كقوله: ومن ورائهم برزخ فوراء من الأضداد مثل قوله فما فوقها أي: دونها أريد به ههنا الأمام دون الخلف على ما يأتي من القصص ﴿ملك﴾ كافر اسمه جلندي بن كرکرد كان بجزيرة الأندلس ببلدة قرطبة وأول فساد ظهر في البحر كان ظلمه على ما ذكره أبو الليث وأول فساد ظهر في البر قتل قابيل هابيل على ما ذكره أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ﴾ [الروم: ٤١] الآية ﴿يأخذ كل سفينة﴾ صحيحة جيدة وهو من قبيل إيجاز الحذف ﴿غصباً﴾ من أصحابها وانتصابه على أنه مصدر مبين لنوع الأخذ أو على الحالية بمعنى غاصباً والغصب أخذ الشيء ظلماً وقهراً ويسمى المغصوب غصباً وخوف الغصب سبب لإرادة عيبها لكنه أخرج عنها لقصد العناية بذكرها مقدماً وجه العناية أن موسى لما أنكر خرقتها وقال: أخرقتها لتغرق أهلها اقتضى المقام الاهتمام لدفع مبنى إنكاره بأن الخرق لقصد التعيب لا لقصد الإغراق.

- وروي - أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره. وفي قصص الأنبياء فبينما هم كذلك استقبلتهم سفينة فيها جنود الملك وقالوا إن الملك يريد أن يأخذ سفينتكم إن لم يكن فيها عيب ثم صعدوا إليها وكشفوها فوجدوا موضع اللوح مفتوحاً فانصرفوا فلما بعدوا عنهم أخذ الخضر ذلك اللوح ورده إلى مكانه، وفي المثنوي:

کر خضر در بحر کشتی را شکست
فظاهر فعله تخریب وباطنه تعمیر، وفي المثنوي:

آن یکی آمد زمین را می شکافت
کین زمین را ازچه ویران میکنی
کفت ای ابله برو برمن مران
کی شود کلزار وکندم زار این
کی شود بستان وکشت وبرک بر
تا نشکا فی بنشتر ریش چغز
تا نشوزد خلطه‌هایت از دوا
پاره پاره کرد درزی جامه را
که چرا این اطلس بکزیده را
هر بنای کهنه کآبادان کنند
همچنین نجار وحداد وقصاب
آن هلیله وان بليله کوفتن
تا نکوبی کندم اندر آسیا

وفي إفناء الوجود المجازي تحصيل للوجود الحقيقي فما دامت البشرية وأوصافها باقية على حالها لا يظهر آثار الأخلاق الإلهية البتة.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارات:

منها: أن خرق السفينة وإعابتها لثلا تؤخذ غصباً ليس من أحكام الشرع ظاهراً ولكنه لما كان فيه مصلحة لصاحبها في باطن الشرع جوز ذلك ليعلم أنه يجوز للمجتهد أن يحكم فيما يرى أن صلاحه أكثر من فساد في باطن الشرع بما لا يجوز في ظاهر الشرع إذا كان موافقاً للحقيقة كما قال: ﴿وكان وراءهم﴾ الآية.

ومنها: أن يعلم عناية الله في حق عباده المساكين الذين يعملون في البحر غافلين عما وراءهم من الآفات كيف أدركتهم العناية بنبي من أنبيائه وكيف دفع عنهم البلاء ودرأ عنهم الآفة.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى في بعض الأوقات يرجح مصلحة بعض السالكين على مصلحة نبي من أنبيائه في الظاهر وإن كان لا يخلو في باطن الأمر من مصلحة النبي في إهمال جانبه في الظاهر كما أن الله تعالى رجح رعاية مصلحة المساكين في خرق السفينة على رعاية مصلحة موسى لأنه كان من أسباب مفارقتة عن صحبة الخضر ومصلحته ظاهراً كانت في ملازمة صحبة الخضر وقد كان فراقه عن صحبته متضمناً لمصالح النبوة والرسالة ودعوة بني إسرائيل وتربيتهم في حق موسى باطناً انتهى. يقول الفقير: ومنها أن أهل السفينة لما لم يأخذوا النول من موسى والخضر عوضهم الله تعالى خيراً من ذلك حيث نجى سفينتهم من اليد العادية وفيه فضيلة الفضل.

﴿وأما الغلام﴾ الذي قتلته وهو جيسور ﴿فكان أبواه﴾ اسم أبيه كازبرا واسم أمه سهوى كما في التعريف ﴿مؤمنين﴾ مقرين بتوحيد الله تعالى ﴿فخشينا﴾ خفنا من ﴿أن يرهقهما﴾ رهقه

غشيه ولحقه وأرهقه طغياناً أغشاه إياه وألحق ذلك به كما في «القاموس». قال الشيخ أي: يكلفهما ﴿طغياناً﴾ ضلالة ﴿وكفراً﴾ ويتبعان له لمحبتهما إياه فيكفران بعد الإيمان ويضلان بعد الهداية وإنما خشي الخضر من ذلك لأن الله أعلمه بحال الولد أنه طبع أي: خلق كافراً. ﴿فأردنا﴾ [پس خواستیم ما] ﴿أن يبدلهما ربهما﴾ يعوضهما ويرزقهما ولداً ﴿خييراً منه زكاة﴾ طهارة من الذنوب والأخلاق الرديئة ﴿وأقرب﴾ منه ﴿رحماً﴾ رحمة وبراً بوالديه. قال ابن عباس رضي الله عنهما أبدلهما الله جارية تزوجها نبي من الأنبياء فولدت سبعين نبياً. قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض المرء بقضاء الله فإن قضاء الله للمؤمن خير له من قضائه فيما يحب:

آن پسر را کش خضر ببرید خلق سر آنرا در نیابد عام خلق
آنکه جان بخشد اگر بکشدرواست نائب است ودست او دست خداست
بس عداوتها که آن یاری بود بس خرابیها که معماری بود
فرب عداوة هي في الحقيقة محبة ورب عدو هو في الباطن محب وكذا عكسه وانتفاع
الإنسان بعدو مشاجر يذكر عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يخفي عليه عيوبه، وفي المثنوي:
در حقیقت دوستان دشمنند که زحضرت دور و مشغولت کنند
در حقیقت هر عدو داروی تست کیمیا و نافع و دلجوی تست
که ازو اندر کریزی در خلا استعانت جویی از لطف خدا
- وكان - واعظ كلما وعظ ودعا أشرك في دعائه قطاع الطريق ودعا لهم فسئل عن ذلك فقال: إنهم كانوا سبباً لسلوكي هذا الطريق أي: طريق الفقراء واختياري الفقر على الغنى فإني كنت تاجراً فأخذوني وأذوني وكلما خطر ببالي أمر التجارة ذكرت أذاهم وجفاهم فتركت التجارة وأقبلت على العبادة.

وفي الآية إشارات:

منها أن قتل النفس الزكية بلا جرم منها محظور في ظاهر الشرع وإن كان فيه مصلحة لغيره ولكنه في باطن الشرع جائز عند من يكشف بخواتيم الأمور ويتحقق له أن حياته سبب فساد دين غيره وسبب كمال شقاوة نفسه كما كان حال الخضر مع قتل الغلام لقوله تعالى: ﴿وأما الغلام﴾ الآية فلو عاش الغلام لكان حياته سبب فساد دين أبويه وسبب كمال شقاوته فإنه وإن طبع كافراً شقياً لم يكن يبلغ كمال شقاوته إلا بطول الحياة ومباشرة أعمال الكفر. ومنها تحقيق قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] الآية فإن أبوي الغلام كانا يكرهان قتل ابنهما بغير قتل نفس ولا جرم وكان قتله خيراً لهما وكانا يحببان حياة ابنهما وهو أجمل الناس وكان حياته شراً لهما وكان الغلام أيضاً يكره قتل نفسه وهو خير له ويحب حياة نفسه وهو شر له لأنه بطول حياته يبلغ إلى كمال شقاوته.

ومنها: أن من عواطف إحسان الله تعالى أنه إذا أخذ من العبد المؤمن شيئاً من محبوباته وهو مضر له والعبد غافل عن مضرتة فإن صبر وشكر فالله تعالى يبدله خيراً منه مما ينفعه ولا يضره كما قال تعالى ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما﴾ الآية كما في «التأويلات النجمية»: نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الصابرين الشاكرين في الشريعة والطريقة ويوصلنا إلى ما هو خير وكمال في الحقيقة.

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

﴿وأما الجدار﴾ المعهود ﴿فكان لغلامين يتيمين﴾ اسمهما اصرم وصريم ابنا كاشح وكان سياحاً تقياً واسم أمهما دنيا فيما ذكره النقاش ﴿في المدينة﴾ في القرية المذكورة فيما سبق وهي أنطاكية ﴿وكان تحته﴾ أي: تحت الجدار ﴿كنز لهما﴾ [كنجى براى ايشان] هو في الأصل مال دفنه إنسان في أرض وكنزه يكنزه أي: دفنه أي مال مدفون لهما من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعاً وهو الظاهر لإطلاق الدم على كنزهما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: ٣٤] لمن لا يؤدي زكاتها وما تعلق بهما من الحقوق. وقيل كان لوحاً من ذهب أو من رخام مكتوب فيه «بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر» أي: أن الأمور كائنة بقضاء الله تعالى وتقديره «كيف يحزن»؟ أي: على فوات نعمة وإتيان شدة «وعجبت لمن يؤمن بالرزق» أي: أن الرزق مقسوم والله تعالى رازق كل أحد «كيف ينصب»؟ أي: يتعب في تحصيله «وعجبت لمن يؤمن بالموت» أي: أنه سيموت وهو حق «كيف يفرح»؟ أي: بحياته القليلة القصيرة «وعجبت لمن يؤمن بالحساب» أي: أن الله تعالى يحاسب على كل قليل وكثير «كيف يغفل»؟ أي: عن ذلك ويشغل بتكثير متاع الدنيا «وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وعجبت لمن يؤمن بالنار كيف يضحك» وفي الجانب الآخر مكتوب «أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقت له للشر وأجريته على يديه» وهو قول الجمهور كما في «بحر العلوم». ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ كان الناس يضعون الودائع عند ذلك الصالح فيردها إليهم سالمة فحفظاً بصلاح أبيهما في مالهما وأنفسهما. قال جعفر بن محمد: كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء فيكون الذي دفن ذلك الكنز جدهما السابع ﴿فأراد ربك﴾ بالأمر بتسوية الجدار ﴿أن يبلغا أشدهما﴾ أي: حلمهما وكمال رأيهما. قال في «بحر العلوم»: الأشد في معنى القوة جمع شدة كأنعم في نعمة على تقدير حذف الهاء وقيل لا واحد له وبلوغ الأشد بالإدراك وقيل إن يونس منه الرشد مع أن يكون بالغاً وآخره ثلاث وثلاثون سنة أو ثمانين عشرة وإنما قال الخضر في تأويل خرق السفينة ﴿فأردت أن أعيبيها﴾ بالإسناد إلى نفسه لظاهر القبح وفي تأويل قتل الغلام ﴿خشينا﴾ بلفظ خشية والإسناد إلى نا لأن الكفر مما يجب أن يخشاه كل أحد وقال في تأويل الجدار ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ بالإسناد إلى الله تعالى وحده لأن بلوغ الأشد وتكامل السن ليس إلا بمحض إرادة الله تعالى من غير مدخل وأثر لإرادة العبد فالأول في نفسه شر قبيح والثالث خير محض والثاني ممتزج. وقال بعضهم لما قال الخضر ﴿فأردت﴾ ألهم من أنت حتى يكون لك إرادة فجمع في الثانية حيث قال: ﴿فأردنا﴾ فالهم من أنت وموسى حتى يكون لكما إرادة فخص في الثالثة الإرادة بالله أي: دون إضافة الإرادة إلى نفسه وادعاء الشركة فيهما أيضاً ﴿ويستخرجنا كنزهما﴾ من تحت الجدار ولولا أنني أقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية. فإن قيل إن عرف واحد من اليتيمين والقيم عليهما الكنز امتنع أن يترك

سقوط الجدار وإن لم يعرفوا فكيف يسهل عليهم استخراجهم. قلنا لعلهما لم يعلماه وعلم القيم إلا أنه كان غائباً كذا في «تفسير الإمام». يقول الفقير قوله وإن لم يعرفوا الخ غير مسلم لأن الله تعالى قادر على أن يعرفهما مكان ذلك الكنز بطريق من الطرق ويسهل عليهما استخراجهما على أن واجد الكنز في كل زمان من غير سبق معرفة بالمكان ليس بنادر واللام في كنز لهما لاختصاص الوجدان بهما ومن البعيد أن يعيش الجد السابع إلى أن يولد للبطن السادس من أولاده ويدفن له مالا أو يعين له ﴿رحمة من ربك﴾ لهما مصدر في موقع الحال أي: مرحومين من قبله تعالى أو علة لأراد فإن إرادة الخير رحمة أو مصدر لمحذوف أي: رحمهما الله بذلك رحمة ﴿وما فعلته﴾ أي: ما فعلت ما رأيته يا موسى من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عن أمري﴾ عن رأيي واجتهادي وإنما فعلته بأمر الله ووحيه وهذا إيضاح لما أشكل على موسى وتمهيد للعذر في فعله المنكر ظاهراً وهكذا الطريق بين المرشد والمسترشد في إزالة الشكوك والشبه عنه شفقة له ﴿ذلك﴾ المذكور من العواقب ﴿تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾ أي: لم تسطع فحذف التاء للتخفيف وهو إنجاز للتنبيه الموعودة.

- روي - أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له الخضر: لو صبرت لأتيت على ألف عجب كل عجب أعجب مما رأيت فبكى موسى على فراقه وقال له: أوصني يا نبي الله، قال: لا تطلب العلم لتحديث به الناس واطلبه لتعمل به وذلك لأن من لم يعمل بعلمه فلا فائدة في تحديثه بل نفعه يعود إلى غيره، وفي المثنوي:

جوع يوسف بود آن يعقوب را	بوی نانش می رسید ازدورجا
آنکه بستد پیرهن رامی شتافت	بوی پیراهان یوسف می نیافت
وانکه صدفرسنگ زآن سوبوی او	چونکه بد یعقوب می بویید بو
ای بسا عالم زدانش بی نصیب	حافظ علمست آنکست نی حبیب
مستمع ازوی همی باید مشام	کرچه باشد مستمع ازجنس عام
زانکه پیراهان بدستش عاریه است	چون بدست آن نخاسی جاریه است
جاریه پیش نخاسی سرسریست	در کف او ازبرای مشتریست

ومن وصايا الخضر: كن نفاعاً ولا تكن ضراراً، وكن بشاشاً ولا تكن عبوساً غضاباً، وإياك والللجاجة، ولا تمش في غير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولا تعير المذنبين خطاياهم بعد الندم، وإياك على خطيئتك ما دمت حياً، ولا تؤخر عمل اليوم إلى الغد، واجعل همك في معادك، ولا تخض فيما لا يعينك، ولا تأمن لخوف من أمئك، ولا تيأس من الأمن من خوفك، وتدبر الأمور في علانيتك، ولا تذر الإحسان في قدرتك. فقال له موسى: قد أبلغت في الوصية فآتم الله عليك نعمته وغمرك في رحمته وكلاؤك من عدوه، فقال له الخضر: أوصني أنت يا موسى فقال له موسى: إياك والغضب إلا في الله، ولا تحب الدنيا فإنها تخرجك من الإيمان وتدخلك في الكفر فقال له الخضر: قد أبلغت في الوصية فأعانك الله على طاعته وأراك السرور في أمرك وحببك إلى خلقه وأوسع عليك من فضله قال له: آمين كما في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله. وفي بعث موسى إلى الخضر إشارة إلى أن الكمال في الانتقال من علوم الشريعة المبنية على الظواهر إلى علوم الباطن المبنية على التطلع إلى حقائق الأمور كما في «تفسير الإمام». قال بعض العارفين: من لم يكن له نصيب من هذا

العلم أي: العلم الوهبي الكشفي أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب التصديق به وتسليمه لأهله وأقل عقوبة من ينكره أن لا يرزق منه شيئاً وهو علم الصديقين والمقربين كذا في «إحياء العلوم».

وفي الآية إشارات:

منها: أنه تعالى من كمال حكمته وغاية رأفته ورحمته في حق عباده يستعمل نبين مثل موسى والخضر عليهما السلام في مصلحة الطفلين.

ومنها: أن مثل الأنبياء يجوز أن يسعى في أمر دنيوي إذا كان فيه صلاح أمر أخروي لا سيما فائدة راجعة إلى غيره في الله.

ومنها: أن يعلم أن الله تعالى يحفظ بصلاح قوماً وقبيلة ويوصل بركاته إلى البطن السابع منه كما قال: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾. قال محمد بن المنكدر إن الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وعشيرته والدويرات أي: أهلها حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره. وقال سعيد بن المسيب إني أصلي وأذكر ولدي فأزيد في صلاتي. وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ أنه قال: حفظاً بصلاح أبيهما وما ذكر منهما صلاحاً فإذا نفع الأب الصالح مع أنه السابع كما قيل في الآية فما بالك بسيد الأنبياء والمرسلين بالنسبة إلى قرابته الطاهرة الطيبة المطهرة. وقد قيل: إن حمام الحرم إنما أكرم لأنه من ذرية حماتين عششتا على غار ثور الذي اختفى فيه النبي عليه السلام عند خروجه من مكة للهجرة كما في «الصواعق» لابن حجر. وذكر أن بعض العلوية هم هارون الرشيد بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلق سبيله فقيل: بـم دعوت حتى أنجأك الله منه؟ فقال: قلت: يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما أحفظني لصلاح آبائي كما في «العرائس».

ومنها: ليتأدب المرید فيما استعمله الشيخ وينقاد له ولا يعمل إلا لوجه الله ولا يشوب عمله بطمع دنيوي وغرض نفساني ليحبط عمله ويقطع حبل الصلابة ويوجب الفرقه.

ومنها: أن الله تعالى يحفظ المال الصالح للبعد الصالح إذا كان فيه صلاح.

ومنها: ليتحقق أن كل ما يجري على أرباب النبوة وأصحاب الولاية إنما يكون بأمر من أوامر الله ظاهراً وباطناً. أما الظاهر فكحال الخضر كما قال: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: فعلته بأمر ربي. وأما الباطن فكحال موسى واعتراضه على الخضر في معاملته ما كان خالياً عن أمر باطن من الله تعالى في ذلك لأنه كان اعتراضه على وفق شريعته.

ومنها: أن الصبر على أفاعيل المشايخ أمر شديد فإن زل قدم مرید صادق في أمر من أوامر الشيخ أو تطرق إليه إنكار على بعض أفعال المشايخ أو اعتراه اعتراض على بعض معاملاته أو أعوزه الصبر على ذلك فليعذره ويعف عنه ويتجاوز إلى ثلاث مرات فإن قال بعد الثالثة هذا فراق بيني وبينك يكون معذوراً ومشكوراً ثم ينبئه عن أفاعيله ويقول له ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً. قال في «العوارف» ويحذر المرید الاعتراض على الشيخ ويزيل اتهام الشيخ عن باطنه في جميع تصاريفه فإنه السم القاتل للمريدين وقل أن يكون مرید يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح ويذكر المرید في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى ثم لما كشف له عن معناها بأن لموسى وجه الصواب في ذلك فهكذا ينبغي للمرید أن يعلم أن كل تصرف أشكل عليه صحته

من الشيخ عند الشيخ فيه بيان وبرهان للصحة انتهى ، قال الحافظ :

نصيحتي كنمت بشنو وبهانه مكير هر آنكه ناصح مشفق بكويدت بپذير
وينبغي أن يكون المرشد محققاً ومشفقاً لا مقلداً غير مشفق كيلا يضيع سعي من اقتدى
به فإنه قيل :

إذا كان الغراب دليل قوم سيهديهم إلى أرض الجفاف
قال الحافظ :

دردم نهفته به زطبيبان مدعى باشد که ازخزانه غيبش دواکنند
قال الصائب :

ربي دردان علاج درد خودجستن بآن ماند که خاراز پابرون آرد کسی بانیش عقربها
ومنها : أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أھونھما لدفع أعظمھما وهو أصل مھد غير
أن الشرائع في تفاصيله مختلفة مثاله . رجل عليه جرح لو سجد سال جرحه وإن لم يسجد لم
يسل فإنه يصلي قاعداً يومي بالركوع والسجود لأن ترك الركوع والسجود أھون من الصلاة مع
الحدث . وشيخ لا يقدر على القراءة إن صلى قائماً ويقدر عليها إن صلى قاعداً يصلي قاعداً مع
القراءة ولو صلى في الفصلين قائماً مع الحدث وترك القراءة لم يجز . ورجل لو خرج إلى
الجماعة لا يقدر على القيام ولو صلى في بيته صلى قاعداً صححه في «الخلاصة» وفي «شرح
المنية» يصلي في بيته قائماً قال ابن نجيم وهو الأظهر ومن اضطر وعنده ميتة ومال الغير أكلها
دونه . ورجل قيل له لتلقين نفسك في النار أو من الجبل أو لأقتلنك وكان الإلقاء بحيث لا
ينجو يختار ما هو الأھون في زعمه عند الإمام وعندهما يصبر حتى يقتل كذا في «الأشياء» .

﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ﴿٨٢﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ

شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ فَأَنْبَغَ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾

﴿ويسألونك عن ذي القرنين﴾ هم اليهود سألوه على وجه الامتحان عن رجل طواف بلغ
شرق الأرض وغربها أو سأل قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على
ذلك إلى ورود الجواب وهو ذو القرنين الأكبر واسمه اسكندر بن فيلقوس اليوناني ملك الدنيا
بأسرها كما قال مجاهد ملك الأرض أربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان وذو القرنين
والكافران نمروذ وبخت نصر وفي «مشكاة الأنوار» شداد بن عاد بدل بخت نصر وكان ذو
القرنين بعد نمروذ في عهد إبراهيم عليه السلام على ما يأتي ولكنه عاش طويلاً ألفاً وستمائة
سنة على ما قالوا . وفي «تفسير الشيخ» وكان بعد ثمود وكان الخضر على مقدمة جيشه بمنزلة
المستشار الذي هو من الملك بمنزلة الوزير . قال ابن كثير والصحيح أنه ما كان نبياً ولا ملكاً
وإنما كان ملكاً صالحاً عادلاً ملك الأقاليم وقهر أهلها من الملوك وغيرهم وانقادت له البلاد
مات بمدينة شهرزور بعدما خرج من الظلمة ودفن فيها وفي «التبيان» مدة دوران ذي القرنين في
الدنيا خمسمائة ولما فرغ من بناء السد رجع إلى بيت المقدس ومات به وإنما سمي بذي
القرنين لأنه بلغ قرني الشمس أي : جانبيها مشرقها ومغربها كما لقب أردشير واضع النرد بطويل
اليدين لتنفيذ أمره حيث أراد . وفي «القاموس» : لما دعاهم إلى الله ضربوه على قرنه الأيمن
فمات فأحياء الله ثم دعاهم فضرَبوه على قرنه الأيسر فمات ثم أحياء الله كما سمي علي بن أبي

طالب رضي الله عنه بذى القرنين لما كان شجتان في قرني رأسه إحداهما من عمرو بن ود والثانية من ابن ملجم لعنه الله . وفي «قصص الأنبياء» وكان قد رأى في منامه أنه دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها في شرقها وغربها فلما قص رؤياه على قومه سموه به . وقال الإمام السيوطي رحمه الله في «الأوائل» أول من لبس العمامة ذو القرنين وذلك أنه طلع له في رأسه قرنان كالظلفين يتحركان فلبسها من أجل ذلك ثم إنه دخل الحمام ومعه كاتبه فوضع العمامة وقال لكاتبه هذا أمر لم يطلع عليه غيرك فإن سمعت به من أحد قتلتك فخرج الكاتب من الحمام فأخذه كهيئة الموت فأتى الصحراء فوضع فمه بالأرض ثم نادى ألا إن للملك قرنين فأثبت الله من كلمته قصبتين فمر بهما راع فقطعهما واتخذهما مزماراً فكان إذا زمر خرج من القصبتين ألا إن للملك قرنين فانتشر ذلك في المدينة فقال ذو القرنين هذا أمر أراد الله أن يبيده . وأما ذو القرنين الثاني وهو اسكندر الرومي الذي يؤرخ بأيامه الروم فكان متأخراً عن الأول بدهر طويل أكثر من ألفي سنة كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلاثمائة سنة وكان وزيره أرسطا طاليس الفيلسوف وهو الذي حارب دارا وأذل ملوك الفرس ووطىء أرضهم وكان كافراً عاش ستاً وثلاثين سنة فالمراد بذى القرنين في القرآن هو الأول دون الثاني وقد غلط كثير من العلماء في الفرق بينهما فظنوا أن المذكور في الآية هو الرومي سامحهم الله تعالى ﴿قل﴾ لهم في الجواب: ﴿سأتلو عليكم﴾ سأذكر لكم أيها السائلون ﴿منه﴾ أي: من خبر ذو القرنين وحاله فحذف المضاف ﴿ذكر﴾ نبأ مذكوراً وبياناً أو سأتلو في شأنه من جهته تعالى ذكراً أي: قرآناً والسين للتأكيد والدلالة على التحقق أي: لا أترك التلاوة ألبتة.

﴿إنا مكننا له في الأرض﴾ شروع في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ههنا الإقدار وتمهيد الأسباب فلا يحتاج إلى المفعول يقال مكنه ومكن له ومعنى الأول جعله قادراً قوياً ومعنى الثاني جعل له قدرة وقوة ولتلازمهما في الوجود وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الآخر كما في قوله: ﴿مَكَّنَهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمُ﴾ [الأنعام: ٦] أي: جعلناهم قادرين من حيث القوى والأسباب والآلات على أنواع التصرفات فيها ما لم نجعله لكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب فكأنه قيل ما لم نمكن لكم فيها أي: ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها أو مكننا لهم في الأرض ما لم نمكن لكم وهذا إذا كان التمكين مأخوذاً من المكان بناء على توهم أن ميمه أصلية أو المعنى إنا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف من حيث التدبير والرأي والأسباب حيث سخر له السحاب ومد له في الأسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في الأرض وذللت له طرقها . وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - كان إبراهيم عليه السلام بمكة فأقبل عليها ذو القرنين فلما كان بالأبطح قيل له في هذه البلدة إبراهيم خليل الرحمن فقال ذو القرنين ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها إبراهيم خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى إلى إبراهيم فسلم عليه إبراهيم واعتنقه فكان هو أول من عانق عند السلام كما في «إنسان العيون ودرر الغرر» فعند ذلك سخر له السحاب لأن من تواضع رفعه الله فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع آلاتهم إذا أرادوا غزوة قوم وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه .

چون نه‌د در تو صفات جبرئیل همچو فرخی برهوا جویی سبیل

چون نهند در تو صفتهای خری صد پرت کرهست در آخور پری
چونکه چشم دل شده محرم بنور ظلمت کون و مکان شد از تو دور
هرکه نا بینا شود اندر جهان روز او باشب برابر بی کمان
﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أراده من مهمات ملکه و مقاصده المتعلقة بسلطانہ ﴿سَبَّأً﴾ أي :
طريقاً يوصل إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة . وبالفارسية
[دست آویزی که بدان سبب اورا آن چیز میسر میشد].

﴿فَاتَّبَعْ﴾ بالقطع أي : فأراد بلوغ المغرب فأتبع ﴿سَبَّأً﴾ يوصله إليه أي : لحقه وتبعه
وسلكه وسار . قال في «القاموس» : واتبعتهم تبعتهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحقتهم واتبعتهم
أيضاً غيري وقوله تعالى : ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ [يونس : ٩٠] أي : لحقهم ففي الاتباع معنى الإدراك
والإسراع . قال ابن الكمال : يقال تبعه اتباعاً إذا طلب الثاني للحقوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به
ومضى معه . قال في «الإرشاد» : ولعل قصد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية
انتهى . وقال في «التبيان» : قصد إلى ناحية المغرب يطلب عين الحياة عند بحر الظلمات لأنه
قليل له ثمة عين الحياة من شرب منها لم يمت أبداً إلى يوم القيامة فمشى نحو الظلمات لعله
يقع بالعين .

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ الآية إلى أن السائل لا يرد وأن في
القصص للقلوب عبرة وتقوية وتثباتاً وبقوله : ﴿إِنَّا مَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ يشير إلى تمكن الخلافة
أي : مكانه بخلافتنا في الأرض وآتيناه بالخلافة ما كان سبب وجود كل مقدور من مقدوراتنا
بالأصالة حتى صار قادراً على قلب الأعيان وكانت الدنيا مسخرة له فلو أراد طويت له الأرض
وإذا شاء مشى على الماء وإذا أحب طار في الهواء ويدخل النار فأتبع سبباً كل مقدور فصار
مقدوراً له بالخلافة في الأرض ما كان مقدوراً لنا بالأصالة في السماء والأرض انتهى . يقول
الفقيه : إنما بدأ بالسير إلى المغرب إشارة إلى كون ترتيب السلوك عروجاً فإن المغرب إشارة
إلى الأجسام والمشرق إلى الأرواح فما دام لم يتم سير الأجسام من الأكوان لا يحصل الترقى
إلى عالم الأرواح ثم إلى عالم الحقيقة .

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَرْغَبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَرْغُبُ فِي عَيْنٍ حُمُوءٍ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَّاقُوا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعُذَّبَ
وَإِمَّا أَنْ نُنْخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ (٨١)

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تا چون رسید] ﴿مغرب الشمس﴾ إلى منتهى الأرض من جهة المغرب
بحيث لا يتمكن أحد من مجاوزته ووقف على حافة البحر المحيط . قال الشيخ : أي بلغ قوماً
في جهة ليس وراءهم أحد لأنه لا يمكنه أن يبلغ موضع غروب الشمس . قال في «التبيان» ولما
وصل ذو القرنين إلى مغرب الشمس يطلب عين الحياة قال له شيخ : هي خلف أرض الظلمة
ولما أراد أن يسلك في الظلمة سأل أي : الدواب في الليل أبصر قالوا الخيل فقال : أي : الخيل
أبصر قالوا الإناث فقال أي : الإناث : أبصر قالوا البكارة فجمع من عسكره ستة آلاف فرس
كذلك فركبوا الرماك وترك بقية عسكره فدخلوا الظلمات فساروا يوماً وليلة فأصاب الخضر
العين لأنه كان على مقدمة جيشه صاحب لوائه الأكبر فشرب منها واغتسل وأخطأ ذو القرنين ،
قال الحافظ :

فيض ازل بزور زر ار آمدی بدست آب خضر نصيبه اسكندر آمدی
فساروا على حصاحص من حجارة لا يدرون ما هي فسألوه عنها فقال الإسكندر: خذوا
من هذه الحجارة ما استطعتم فإنه من أقل منها ندم ومن أكثر منها ندم فأخذوا وملأوا مخالي
دوابهم من تلك الحجارة فلما خرجوا نظروا إلى ما في مخالبهم فوجدوه زمرداً أخضر فندموا
كلهم لكونهم لم يكثروا من ذلك ﴿وجدها﴾ أي: رأى الشمس ﴿تغرب في عين حمئة﴾ أي:
ذات حمأة وهي الطين الأسود، بالفارسية: [آب مكدر لای آمیز] من حمئت البثر إذا كثرت
حماتها ولعله لما بلغ ساحل البحر رآها كذلك إذ ليس في مطمح نظره غير الماء كراكب البحر
ولذلك قال: ﴿وجدها تغرب﴾ ولم يقل كانت تغرب. وقال بعضهم: لما بلغ موضعاً لم يبق
بعده عمارة في جانب المغرب وجد الشمس كأنها تغرب في وهدة مظلمة كما أن راكب البحر
يراها كأنها تغرب في البحر إذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر وإلا فقد علم أن
الأرض كرة والسماء محيطة بها والشمس في الفلك وجلوس قوم في قرب الشمس غير موجود
والشمس أكثر من الأرض بمرات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض. قال
السمرقندي رحمه الله في «بحر العلوم»: فإن قيل قد ورد في الحديث أن الشمس تشرق من
السماء الرابعة ظهرها إلى الدنيا ووجهها يشرق لأهل السموات وعظمها مثل الدنيا ثلاثمائة مرة
أو ما شاء الله فكيف يمكن دخولها في عين من عيون الأرض قلنا إن قدرة الله تعالى باهرة
وحكمته بالغة فالله تعالى قادر أن يدخل السموات السبع والأرضين السبع في أصغر شيء
وأحقره فما ظنك بما فيها من الشمس وغيرها انتهى.

وفي «التأويلات»: فإن قال قائل: إنا قد علمنا أن الشمس في السماء الرابعة ولها فلك
خاص يدور بها في السماء فكيف يكون غروبها في عين حمئة قلنا: إن الله تعالى لم يخبر عن
حقيقة غروبها في عين حمئة وإنما أخبر عن وجدان ذي القرنين غروبها فيها فقال: ﴿وجدها
تغرب في عين حمئة﴾ وذلك أن ذا القرنين ركب بحر الغرب وأجرى مركبه إلى أن بلغ في
البحر موضعاً لم يتمكن جريان المراكب فيه فنظر إلى الشمس عند غروبها وجدها تغرب بنظره
في عين حمئة انتهى. قال بعضهم: إذا كان ذو القرنين نبياً فنظر النبي ثاقب يرى الأشياء على ما
هي عليها كما رأى النبي عليه السلام النجاشي من المدينة وصلى عليه وإن لم يكن نبياً فذلك
الوجدان بحسب حسابه ﴿ووجد عندها﴾ عند تلك العين يعني عند نهاية العمارة. وبالفارسية:
[يافت نزدیک آن چشمه بر ساحل دریای محیط غربی] ﴿قوما﴾ [كروهي را در ناسك
مذكور است كه ايشان قومي بودند بت پرست سبز چشم سرخ موى لباس ايشان پوست
حيوانات وطعام ايشان كوشت حيوان آبی] قال بعضهم قوماً في مدينة لها اثنا عشر ألف باب
لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجب. وقال الإمام السهيلي: هم أهل
جابلص بالفتح وهي مدينة يقال لها بالسريانية جرجيسا لها عشرة آلاف باب بين كل بابين فرسخ
يسكنها قوم من نسل ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح عليه السلام وأهل جابلص آمنوا بالنبي عليه
السلام لما مر بهم ليلة الإسراء. وقال في أسئلة الحكم: أما حديث جابلصا وجابلقا وإيمان
أهاليهما ليلة المعراج وأنهما من الإنسان الأول فمشهور ﴿قلنا﴾ بطريق الإلهام ويدل على نبوته
كونه مأموراً بالقتال معهم كما قال عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا
الله» كما في «التأويلات» قال الحدادي: لا يمكن إثبات نبوة إلا بدليل قطعي. ﴿يا ذا القرنين

إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً ﴿٨٦﴾ أمراً ذا حسن فحذف المضاف أي أنت مخير في أمرهم بعد الدعوة إلى الإسلام إما تعذيبك بالقتل إن أبوا وإما إحسانك بالعفو أو الأسر وسماهما إحساناً في مقابلة القتل ويجوز أن يكون إما وإما للتوزيع والتقسيم دون التخيير أي: ليكن شأنك معهم إما التعذيب وإما الإحسان فالأول لمن بقي على حاله والثاني لمن تاب.

﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ وَسَنُوقُلُ لَهُمْ مِنْ أَمْرٍ نَّاسِرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَنَبَ سَبَّأًا ﴿٨٩﴾﴾

﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿أما من﴾ [أما كسى كه] ﴿ظلم﴾ نفسه بالإصرار على الكفر ولم يقبل الإيمان مني ﴿فسوف نعذبه﴾ أنا ومن معي في الدنيا بالقتل. وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور ومن آمن أعطاه وكساه ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ في الآخرة ﴿فيعذبه﴾ فيها ﴿عذاباً نكراً﴾ منكرًا لم يعهد مثله وهو عذاب النار.

﴿وأما من آمن﴾ بموجب دعوتي ﴿وعمل﴾ عملاً ﴿صالحاً﴾ حسبما يقتضيه الإيمان ﴿فله﴾ في الدارين ﴿جزاء الحسنی﴾ أي: فله المثوبة الحسنى حال كونه مجزياً بها فجزاء حال أو فله في الدار الآخرة الجنة ﴿وسنقول له من أمرنا﴾ أي: مما نأمر به ﴿يسراً﴾ أي: سهلاً متيسراً غير شاق. وبالفارسية [كارى آسان فراخور طاقت او] وتقديره ذا يسر وأطلق عليه المصدر مبالغة يعني لا نأمره بما يصعب عليه بل بما يسهل. قال الكاشفي: [أورده اندكه لشكر ظلمت مرا برقوم ناسك كاشت تابكوش ودهن در آمد وزنهار خواستند وبوى ايمان آوردند]. قال في «قصص الأنبياء» سار ذو القرنين نحو المغرب فلا يمر بأمة إلا دعاها إلى الله تعالى فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه غشيتهم الظلمة فألبيت مدنتهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم وأبصارهم ودخلت أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم فلا يزالون منها متحيرين حتى يستجيبوا له حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها القوم الذين ذكرهم الله في كتابه ففعل بهم كما فعل بغيرهم ثم مشى على ما في الظلمة ثمانية أيام كمالاً وثمانى ليال وأصحابه ينتظرون حتى انتهى إلى الجبل الذي هو محيط بالأرض كلها وإذا بملك قابض على الجبل وهو يقول: سبحان ربي من الأزل إلى منتهى الدهر وسبحان ربي من أول الدنيا إلى آخرها وسبحان ربي من موضع كفي إلى عرش ربي وسبحان ربي من منتهى الظلمة إلى النور بصوت رفيع شديد لا يفتر فلما رأى ذلك ذو القرنين خر ساجداً لله فلم يرفع رأسه حتى قواه الله وأعانه على النظر إلى ذلك الجبل والملك القابض عليه فقال له الملك: كيف قويت على أن تبلغ هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك قال: قواني الله الذي قواك على قبض هذا الجبل فأخبرني عن قبضك على هذا الجبل فقال: إني موكل به وهو جبل قاف المحيط بالأرض ولولا هذا الجبل انكفأت الأرض بأهلها وليس على ظهر الأرض جبل أعظم منه فلما أراد ذو القرنين الرجوع قال للملك: أوصني قال الملك: يا ذا القرنين لا يهمنك رزق غد، ولا تؤخر عمل اليوم لغد، ولا تحزن على ما فاتك وعليه بالرفق ولا تكن جباراً متكبراً.

تکبر کند مرد حشمت پرست ندانده حشمت بحلم اندرست
وجود تو شهرست پرنیک وید تو سلطان و دستور دانا خرد
همانا که دونان کردن فراز درین شهر کبرست و سود آواز

چو سلطان عنایت کند بآبدان کجا ماند آسایش بخردان
 تو خود را چو کودکی ادب کن بچوب بکرز کران مغز مردم مکوب
 ﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي: تبع وسلك طريقاً راجعاً من مغرب الشمس موصلاً إلى مشرقها.
 قال الكاشفي: [قوم تماسك را باخودبرده لشكر نوررا زپيش روان كرد وعسكر ظلمت را ازپس
 بداشت وبجانب جنوب متوجه شده قوم هاويل راكه قطر ايمن بود مسخر كرد بهمان طريق كه
 درناسك المذكور شد پس روى بمشرق نهاد].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَطَلَّعَ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سَبِيلًا﴾ ﴿٩١﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا
 بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩٢﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٣﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاچون رسید] ﴿مطلع الشمس﴾ يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس
 أولاً من معمورة الأرض. وبالفارسية: [موضعي كه مبدأ عماراتست از جانب شرق] إذ لا
 يمكنه أن يبلغ موضع طلوع الشمس قبل بلوغه في اثنتي عشرة سنة وقيل في أقل من ذلك بناء
 على ما ذكر من أنه سخر له السحاب وطوى له الأسباب ﴿وجدها تطلع على قوم﴾ عراة ﴿لم
 نجعل لهم من دونها﴾ من أمام الشمس ﴿سترا﴾ من اللباس والبناء يعني ليس لهم لباس
 يتسترون به من حر الشمس ولا بناء يستظلون فيه لأن أرضهم لا تمسك الأبنية لغاية رخاوتها
 وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوا الأسراب أو البحر من شدة الحر وإذا ارتفعت عنهم
 خرجوا يعني: [وقتي كه آفتاب ارتفاع پذیرفتی وازسمت رأس ایشان دور کشتی از زیر زمین
 بیرون آمده ماهی گرفتندی وبا آفتاب بریان کرده خوردندی]. قال الحدادي: ليس على
 رؤوسهم ولا على أجسادهم شعر وليس لهم حواجب وكأنما سلخت وجوههم وذلك من شدة
 حر بلادهم.

- وحكي - عن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا: بينك
 وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلتحف بالأخرى ومعني صاحب يعرف
 لسانهم فقالوا له: جئنا ننظر كيف تطلع الشمس قال: فبينما نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة
 الصلصلة فغشي علي ثم أفقت وهم يمسخونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذ هو
 فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلونا سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر يصطادون السمك
 ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
 الشمس أكثر من جميع أهل الأرض وهم الزنج. وقال الكاشفي: [ایشان قوم منسل بودند].
 وقال السهيلي - رحمه الله -: هم أهل جابلق بالفتح وهي مدينة لها عشرة آلاف باب بين كل
 بابين فرسخ يقال لها بالسريانية مرقيشاً وهم نسل مؤمني قوم عاد الذين آمنوا بهود عليه السلام
 وأهل جابلق آمنوا بالنبي عليه السلام ليلة أسري به ووراء جابلق أمم وهم من نسل وثاقيل
 وفارس وهم لم يؤمنوا بالنبي عليه السلام.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن هذا العالم عالم الأسباب لم يبلغ
 أحد إلى شيء من الأشياء ولا إلى مقصد من المقاصد إلا أن مكنه الله تعالى وآتاه سبب بلاغ
 ذلك الشيء والمقصد ووفقه لاتباع ذلك السبب فباتباع السبب بلغ ذو القرنين مغرب الشمس
 ومطلعها.

﴿كذلك﴾ أي: أمر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره في أهل الغرب من التخيير والاختيار. قال الكاشفي: [همچنان کرد اسکندر با ایشان که با اهل مغرب کرد و بجانب قطر ایسر روان شد و بقومی رسید که ایشان را تاویل خوانند و با ایشان همان سلوک نمود] «وقد أحطنا بما لديه» من الأسباب والعدد. وبالفارسية [و بدرستی که ما احاطه داشتیم بآنچه نزدیک او بود] «خیراً» تمييز أي: علماً تعلق بظواهره وخفایاه. وبالفارسية [از روی آگاهی] یعنی أن ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به إلا علم اللطيف الخبير فانظر إلى سعة لطف الله تعالى وإمداده بمن شاء من عباده فإنه ذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل الاسكندرية ابن امرأة عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان خارجاً عن قومه ولم يكن بأفضلهم حسباً ولا نسباً ولكنه نشأ في ذات حسن وجمال وحلم ومروءة وعفة من لدن كان غلاماً إلى أن بلغ رجلاً ولم يزل منذ نشأ يتخلق بمكارم الأخلاق ويسمو إلى معالي الأمور إلى أن علا صيته وعز في قومه وألقى الله تعالى عليه الهبة ثم إنه زاد به الأمر إلى أن حدث نفسه بالأشياء فكان أول ما أجمع عليه رأيه الإسلام فأسلم ثم دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا عنوة منه عن آخرهم ثم كان من أمره ما كان [اسکندر را پرسیدند مشرق و مغرب بچه گرفتی که ملوک پیشین را خزائن و لشکر بیش از تو بود چنین فتح میسر نشد گفت بعون خدای عز و جل که هر مملکت را که گرفتم رعیتش را نیازدم و نام پادشاهان را جز بنیکویی نبردم]:

بزرکش نحو انند اهل خرد که نام برز کان بزشتی برد
وقال بعضهم:

فلم أرَ مثل العدل للمرء رافعاً ولم أرَ مثل الجور للمرء واضعاً
كنت الصحيح وكنا منك في سقم فإن سقمت فإننا السالمون غدا
دعت عليك اكفت طالما ظلمت ولن ترد يد مظلومة أبداً

وفي تفسير «التبيان»: كان أي: ذو القرنين ملكاً جباراً فلما هلك أبوه ولي مكانه فعظم تجبره وتكبره فقبض الله له قريناً صالحاً فقال له: أيها الملك دع عنك التجبر وتب إلى الله تعالى قبل أن تموت فغضب عليه الإسكندر وجبسه فمكث في المحبس ثلاثة أيام فبعث الله إليه ملكاً كشف سقف المحبس وأخرجه منه وأتى به منزله فلما أصبح أخبر الإسكندر بذلك فجاء إلى السجن فرأى سقف السجن قد ذهب فاقشعر جلد الإسكندر وعلم أن ملكه ضعيف عند قدرة الله تعالى فانصرف متعجباً وطلب الرجل المحبوس فوجده قائماً يصلي على جبل طالس فقال الرجل لذي القرنين تب إلى الله فهمم بأخذه وأمر جنوده به فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقتهم وخر الإسكندر مغشياً عليه فلما أفاق تاب إلى الله تعالى وتضرع إلى الرجل الصالح وأطاع الله وأصلح سيرته وقصد الملوك الجبارة وقهرهم ودعا الناس إلى طاعة الله وتوحيده وكان من أول أمره أن بنى مسجداً واسعاً طوله أربعمائة ذراع وعرض الحائط اثنان وعشرون ذراعاً وارتفاعه في الهواء مائة ذراع. وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للغني عند أول أمره أن يصرف شطراً من ماله إلى وجه من وجوه الخير لا إلى ما يشتهيه طبعه ويميل إليه نفسه كما أن المفتي إذا تصدر يبدأ في فتواه بما يتعلق بالتوحيد ونحوه وكذا لابس جديد أو مغسول يبدأ بالمسجد والصلاة والذكر ونحوها لا بالخروج إلى السوق وبيت الخلاء ونحوهما. ثم إن الفتح الصوري إنما يُبتنى على الأسباب الصورية إذ لا يحصل التسخير غالباً إلا بكثرة العدد والعدد وأما الفتح المعنوي

فحصلوه مبني على الفناء وترك الأسباب والتوجه إلى مسبب الأسباب كما قال الصائب:

هركس كشيد سربكربان نيستی تسخير كرد مملكت بى زوال را
فالاسكندر الحقيقي الذي لا يزول ملكه ولا يحيط بما لديه إلا الله تعالى هو من ايد
ظاهره بأحكام الطاعات ومعاملات العبودية وباطنه بأنوار المشاهدات وتجليات الربوبية فإنه
حينئذ تموت النفس الأمارة وتزول يدها العادية القاهرة عن قلعة القلب ويظهر جنود الله التي لا
يعلمها إلا هو لكثرتها اللهم اجعلنا من المؤيدين بالأنوار الملكوتية والأمداد اللاهوتية إنك على
ما تشاء قدير .

﴿ثم أتبع سبباً﴾ أي: أخذ طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب
إلى الشمال .

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۖ قَالُوا يَنْذِ الْأَرْزَاقَ إِنَّا يَأْجُوجُ
وَمَاجُوجٌ مُّسْئِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۚ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي
خَبِيرٌ فَأَعْيَوْنِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٤٥﴾

﴿حتى إذا بلغ﴾ [تاجون رسيد] ﴿بين السدين﴾ بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهما
جبلان عالبيان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق من ورائهما يأجوج ومأجوج . والسد
بالفتح والضم واحد بمعنى الجبل والحاجز أو بالفتح ما كان من عمل الخلق وبالضم ما كان من
خلق الله لأن فعل بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله وخلقته وانتصاب بين على المفعولية لأنه
مبلوغ وهو من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفاً كما ارتفع في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَ
بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] وانجر في قوله: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الكهف: ٧٨] ﴿وجد من
دونهما﴾ أمام السدين ومن ورائهما مجاوزاً عنهما . وقال الكاشفي: [يافت درپیش آن دوکوه]
وفسره في «تفسير الجلالين» أيضاً بقوله عندهما ﴿قوما﴾ أمة من الناس ﴿لا يكادون يفقهون
قولا﴾ أي: لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم لغرابة لغتهم . وقال الزمخشري: ﴿لا
يكادون يفقهون﴾ إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم البكم وهو الترك . قال أهل
التاريخ: أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافت فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبش
والزنج والنوبة ويافت أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج . وقال في «أنوار المشارق»
أصل الترك بنو قنطورا وقنطورا أمة كانت لإبراهيم عليه السلام فولدت له أولاداً فانتشر منهم
الترك .

﴿قالوا﴾ على لسان ترجمانهم بطريق الشكاية والظاهر أن ذى القرنين كان قد أوتي
اللغات ففهم كلامهم .

وفي «التأويلات النجمية»: كيف أخبر عنهم أنهم ﴿لا يكادون يفقهون قولا﴾ ثم قال:
﴿قالوا﴾ الآية قلنا كلمة كاد ليست لوقوع الفعل كقوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ﴾
[مریم: ٩٠] أي: قاربت الانفطار فلن تنفطر وإذا دخل فيها لا الجحود وما النفي تكون لوقوع
الفعل كقوله تعالى: ﴿فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] أي: قرب أن لا يذبحوها
فذبحوها وكذلك قوله: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣] أي: لا يفقهون قولاً يلين به قلب
ذي القرنين ليجعل لهم السد ففقهوا بإلهام الحق تعالى حتى قالوا: ﴿يا ذا القرنين إن يأجوج

و**مأجوج** اسمان أعجميان بدليل منع الصرف أو عريان ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث لأنهما علمان لقبيلتين من أولاد يافث بن نوح كما سبق أو من احتلام آدم عليه السلام كما ذكر في «عين المعاني» وغيره أن آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فهم منها يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم. وقال في «أنوار المشارق» هذا منكر جداً لا أصل له وكذا قال في «بحر العلوم»: «واعلم أن هذا مخالف لقوله عليه السلام: «ما احتلم نبي قط» انتهى.

يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخني وسندي روح الله روحه أنه قال في أول من ابتلي بالاحتلام أبونا آدم عليه السلام لحكمة خفية كما ابتلي نبينا عليه السلام ببعض السهو لحكمة عليّة والحديث المذكور مخصوص بمن عداه والمنع عن الكلام فيه إنما هو لرعاية الأدب فافهم جداً **«مفسدون في الأرض»** أي: في أرضنا بالقتل والتخريب وإتلاف الزروع وكانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر إلا أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وربما أكلوا الناس إذا لم يجدوا شيئاً من الأنعام ونحوها وكان لا يموت أحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما بنو آدم عشرهم:

چو پوزینکان آمده در وجود مژه زرد ورخ سرخ ویدیہ کبود
ندارند جز خواب وخور هیچ کار نمیرد یکی تا نزاید هزار

وهم أصناف صنف منهم طول الرجل منهم مائة وعشرون ذراعاً وصنف منهم قد هم على شبر واحد طولهم وعرضهم سواء وصنف منهم كبار الأذان يفتersh أحدهم أحد أذنيه ويلتحف بالأخرى ولهم من الشعر في أجسادهم ما يواريههم وما يقيههم من الحر والبرد فلا يغزلون ولا ينسجون يعوون الذئب ويتسافدون كتسافد البهائم يقال سفد الذكر على أنثى نزا لهم مخالب في أيديهم وأضراس كأضراس السباع وأنياب يسمع لها حركة كحركة الجرس في حلق الإبل لا يمرون بفيل ولا جمل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه ويأكلون الحشرات والحيات والعقارب. قال في «حياة الحيوان»: التين ضرب من الحيات كأكبر ما يكون فيها وفي فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف براق العينين يبتلع كثيراً من الحيوان يخافه حيوان البر والبحر إذا تحرك يموج البحر لشدة قوته وأول أمره يكون حية متمردة تأكل من دواب البر ما ترى فإذا كثر فسادها احتملها ملك وألقاها في البحر فتفعل بدواب البحر ما كانت تفعل بدواب البر فيعظم بدنّها حتى يكون رأسها كالتل العظيم فيبعث الله تعالى ملكاً يحملها ويلقيها إلى **«مأجوج»** قال في «قصص الأنبياء»: إذا قذفوا بها خصبوا وإلا قحطوا **«فهل»** [پس آیا] **«نجم لك خرجا»** جعلاً من أموالنا أي: أجراً نخرجه لك والخرج والخراج واحد كالنول والنوال أو الخراج ما على الأرض والزمة والخرج المصدر أو الخرج ما كان على كل رأس والخراج ما كان على البلد أو الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك أداؤه **«على أن تجعل»** [بشرط أنك بكنی] **«بيننا وبينهم سداً»** حاجزاً يمنعهم من الخروج والوصول إلينا.

«قال» ذو القرنين **«ما مكني»** بالادغام وقرئ بالفك أي: الذي مكني وبالفارسية: [آنچه دست رس داده مرا] **«فيه ربي»** وجعلني فيه مكيناً قادراً من الملك والمال وسائر الأسباب **«خير»** مما تريدون أن تبذلوه إليّ من الخراج فلا حاجة لي إليه ونحوه قول سليمان عليه السلام: **«فما آتاني الله خير مما آتاكم»** **«فأعينوني بقوة»** بفعله وصناع يحسنون البناء

والعمل بآلات لا بد منها في البناء ﴿أجعل﴾ جواب الأمر ﴿بينكم وبينهم ردمًا﴾ حاجزاً حصيناً وحجاباً عظيماً. وبالفارسية [حجابي سخت كه بعضی ازان بر بعضی مرکب باشد] وهو أكبر من السد وأوثق يقال ثوب مردم أي: فيه رقاع فوق رقاع وهذا إسعاف بمراهم فوق ما يرجونه.

﴿ءَاتُونِي زَبَرَ الْحَدِيدِ حَقَّ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنْفُخُوا حَقَّ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

وفي «التأويلات النجمية»: قوله تعالى: ﴿آتوني زبر الحديد﴾ تفسير للقوة فيكون المراد بها ترتيب الآلات. وزبر جمع زبرة كغرف جمع غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لأن المأمور به الإيتاء بالثمن والمناولة ولأن إيتاء الآلة من قبيل الإعانة بالقوة دون الخراج على العمل. قال في «القصص»: قالوا من أين لنا من الحديد ما يسع هذا العمل فدلهم على معدن الحديد والنحاس ولعل تخصيص الأمر بالإيتاء بها دون سائر الآلات من الصخور ونحوها لما أن الحاجة إليها أمس إذ هي الركن في السد. قال الكاشفي: [منقولست كه فرمود تاخشتها از آهن بساختند بفارغ دلی جانبجان زدند همه روزشب خشت آهن زدند وحكم كرد تامين آن كوه را چهار هزار قدم بود درشصت وپنج كز عرض بكنند تا باب رسيد]. وفي «القصص»: قاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال. وقال بعضهم: حفر ما بين السدين وهو مائة فرسخ حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب بدل الطين لها والبنيان من زبر الحديد بين كل زبرتين الحطب والفحم ﴿حتى إذا﴾ [تاجون] ﴿ساوى بين الصدفين﴾ الصدف منقطع الجبل أو ناحيته وبين مفعول كبين السدين أي: آتوه إياها فجعل بيني شيئاً فشيئاً حتى إذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين مساوياً لهما في السمك يعني ملأ ما بينهما إلى أعلاهما وكان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعاً ثم وضع المنافخ حوله ﴿قال﴾ للعملة ﴿انفخوا﴾ على زبر الحديد بالكير والنار ﴿حتى إذا جعله﴾ أي: المنفوخ فيه وهو زبر الحديد ﴿نارا﴾ كالنار في الحرارة والهيئة وإسناد الجعل المذكور إلى ذي القرنين مع أنه فعل الفعلة للتنبيه على أنه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة ﴿قال﴾ للذين يتولون أمر النحاس من الإذابة ونحوها ﴿آتوني﴾ قطراً أي: نحاساً مذاباً ﴿أفرغ عليه قطراً﴾ الإفرغ الصب أي: اصعب على الحديد المحمى قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وإسناد الإفرغ إلى نفسه للسر الذي وقفت عليه آنفاً.

بهر روی فرشی برانکیختند برو روی حل کرده می ریختند

﴿فما استطاعوا﴾ بحذف تاء الافتعال تخفيفاً وحذراً من تلاقي المتقاربين، وقال في «برهان القرآن»: اختار التخفيف في الأول لأن مفعوله حرف وفعل وفاعل ومفعول فاختير فيه الحذف والثاني مفعوله اسم واحد وهو قوله نقباً انتهى. والفاء فصيحة أي: فعلوا ما أمروا به من إيتاء القطر فافرغ عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلاً صلباً أي: صلباً أملس فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا أن يعلوه وينقبوه فما قدروا ﴿أن يظهروه﴾ أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وملاسته ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾ أي: وما قدروا أن ينقبوه ويخرقوه من أسفله لصلابته وثخانتة وهذه معجزة عظيمة لأن تلك الزبر الكثيرة إذا أثرت فيها حرارة النار لا يقدر الحيوان

على أن يحوم حولها فضلاً عن النفخ فيها إلى أن تكون كالنار أو عن إفراغ القطر عليها فكانه سبحانه صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك المباشرين للأعمال فكان ما كان والله على كل شيء قدير كذا في «الإرشاد»: أخذاً عن «تفسير الإمام». يقول الفقير: ليس ببعيد أن يكون المباشرة بالنفخ والصب من بعيد بطريق من طرق الحيل ألا ترى أن نار نمرود لما كانت بحيث لا يقرب منها أحد عملوا المنجنيق فألقوا بها إبراهيم عليه السلام فيها وعن رسول الله ﷺ أن رجلاً أخبره به أي: بالسد فقال: «كيف رأيته» قال: كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال: «قد رأيته» وذلك لأن الطريقة الحمراء من النحاس والسوداء من الحديد.

﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ بِمَوْجٍ فِي بَعْضٍ وَفُتِحَ فِي الصُّورِ فُجِعْنَهُمْ جَمْعًا﴾ ﴿٩٩﴾

﴿قال﴾ ذو القرنين ﴿هذا﴾ السد ﴿رحمة﴾ عظيمة ونعمة جسيمة ﴿من ربي﴾ على كافة العباد لا سيما على مجاهديه. وفيه إيذان بأنه ليس من قبيل الآثار الحاصلة بمباشرة الخلق عادة بل هو إحسان إلهي محض وإن ظهر بمباشرتي ﴿فإذا جاء﴾ [بس چون بیايد] ﴿وعد ربي﴾ مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال ونزول عيسى ونحو ذلك ﴿جعله﴾ أي: السد أشار إليه مع متانته ﴿دكاء﴾ أرضاً مستوية وقرىء دكاً أي: مذكوكاً مستوياً بالأرض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك وفيه بيان لعظم قدرته تعالى بعد بيان سعة رحمته ﴿وكان وعد ربي﴾ أي: وعده المعهود أو كل ما وعد به ﴿حقاً﴾ ثابتاً لا محالة واقعاً ألبتة.

وفي «التأويلات النجمية»: وفي قوله: ﴿هذا﴾ إلى آخر الآية دلالة على نبوته فإنه أخبر عن وعد الحق وتحقيق وعده وهذا من شأن الأنبياء وإعجازهم انتهى. وهذا آخر حكاية ذي القرنين. قيل: إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون الشعاع قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرون غداً ولم يستثن فيعيده الله كما كان فيأتون غداً فيجدونه كالأول فإذا أراد الله خروجهم خلق فيهم رجلاً مؤمناً فيحفرون السد حتى يبقى منه اليسير فيقول لهم: ارجعوا فستحفرون غداً إن شاء الله تعالى فإذا عادوا من الغد إلى الحفر قال لهم: قولوا بسم الله فيحفرونه ويخرجون على الناس فكل من لحقوه قتلوه وأكلوه ولا يمرون على شيء إلا أكلوه ولا بماء إلا شربوه فيشربون ماء دجلة والفرات ويأكلون ما فيه من السمك والسرطان والسلحفاة وسائر الدواب حتى يأتوا بحيرة طبرية بالشام وهي مملوءة ماء فيشربون فيأتي آخرهم فلا يجدون فيها قطرة ماء فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء وطافوا الأرض إلا أنهم لا يستطيعون أن يأتوا المساجد الأربعة مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس ومسجد طور سيناء ثم يسIRON حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض هلم فنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوبة دماً ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه في جبل الطور حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيدعون عليهم عيسى عليه السلام فيرسل الله عليهم دوداً تسمى النغف فتأخذهم في رقابهم فيصيحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط عيسى وأصحابه من الطور فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم وتنتهم فيدعو الله فيرسل الله طيراً كأعناق

البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ويستوقد المسلمون من قسيهم ونشابهم وجعابهم سبع سنين منتخب من «المصاييح وتفسير التبيان» وغيرهما. وعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها» قالت زينب: فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث» أي: الزنى والمراد بهذا الحديث أنه لم يكن في ذلك الردم ثقبه إلى هذا اليوم وقد انفتحت فيه ثقبه وانفتح الثقبه فيه من علامات قرب القيامة وإذا توسعت خرجوا منها وخرجهم بعد خروج الدجال. قال في «فتح القريب» المراد بالويل الحزم وقد وقع ما أخبر به عليه السلام بما استأثر به عليهم من الملك والدولة والأموال والأمانة وصار ذلك في غيرهم من الترك والعجم وتشتتوا في البوادي بعد أن كان العز والملك والدنيا لهم ببركته عليه السلام وما جاء من الإسلام والدين فلما لم يشكروا النعمة وكفروها بقتل بعضهم بعضاً وسلب بعضهم أموال بعض سلبها الله منهم ونقلها إلى غيرهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨] فعلى العاقل أن يحترز من فتنه يأجوج النفس والطبيعة والشيطان ويبني عليها سد الشريعة الحصينة والطريقة المتينة ويكون اسكندر إقليم الباطن والملكوت واللاهوت.

﴿وتركنا﴾ في «القاموس»: الترك الجعل كأنه ضد أي: وجعلنا ﴿بعضهم﴾ بعض الخلائق ﴿يومئذ﴾ يوم إذ جاء الوعد بمجيء بعض مبادئه ﴿يموج في بعض﴾ آخر والموج الاضطراب أي: يضطربون اضطراب أمواج البحر ويختلط إنسهم وجنهم حيارى من شدة الهول. وبالفارسية [روز قيامت انس وجن از روی تحير واضطراب درهم آمیزند]. قال في «الإرشاد»: لعل ذلك قبل النفخة الأولى ﴿ونفخ في الصور﴾ هي النفخة الثانية التي عندها يكون الحشر بمقتضى الفاء التي بعدها ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الأولى لثلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الأولى من الأحوال والأهوال وبين ما يقع منها في النشأة الآخرة. والمعنى: نفخ إسرافيل في الصور أرواح الخلائق عند استعداد صور الأجساد لقبول الأرواح كاستعداد الحشيش لقبول الاشتعال فتشتعل بأرواحها فإذا هم قيام ينظرون وكل يتخيل أن ذلك الذي كان فيه منام كما يتخيله المستيقظ وقد كان حين مات وانتقل إلى البرزخ كالمستيقظ هناك وأن الحياة الدنيا كانت له كالمنام وفي الآخرة يعتقد في أمر الدنيا والبرزخ أنه منام في منام وأن اليقظة الصحيحة هي التي هو عليها في الدار الآخرة حيث لا نوم فيها. وسئل رسول الله ﷺ عن الصور فقال: «هو قرن من نور ألقمه إسرافيل».

واعلم: أن لا شيء من الأكوان أوسع منه وإذا قبض الله الأرواح من هذه الأجسام الطبيعية حيث كانت أودعها صوراً جسدية في مجموع هذا القرن النور فجمع ما يدركه الإنسان بعد الموت في البرزخ من الأمور إنما يدركه بعين الصورة التي هو فيها في القرن وبنورها وهو إدراك حقيقي فمن الصور ما هي مقيدة عن التصرف. ومنها مطلقة كأرواح الأنبياء كلهم وأرواح الشهداء. ومنها ما يكون لها نظر إلى عالم الدنيا في هذه الدار. ومنها ما يتجلى للنائم في حضرة الخيال التي هي فيه وهو الذي يصدق رؤياه أبداً وكل رؤيا صادقة ولا تخطئ ولكن العابر الذي يعبرها هو المخطئ حيث لم يعرف ما المراد بها وكذلك قوم يعرضون على النار غدواً وعشياً في تلك الصور ولا يدخلونها فإنهم محبوسون في ذلك القرن ويوم القيامة

يدخلون أشد العذاب وهو العذاب المحسوس لا المنخيل كما في «تفسير الفاتحة» للفناري.
﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: جمعنا الخلائق بعدما تمزقت أجسادهم في صعيد واحد للحساب والجزاء
﴿جَمْعًا﴾ عجباً لم نترك من الملك والإنس والجن والحيوانات أحداً وفي الحديث: «السعيد في ذلك اليوم في ذلك الجمع من يجد مكاناً يضع عليه أصابع رجله» كما «في ربيع الأبرار».
 وقال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الله تعالى من كمال قدرته يحيي الخلق بسبب يميتهم به وهو النفخة وبالنفخة الأولى كما أماتهم كقوله تعالى: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾** [الزمر: ٦٨] كذلك بالنفخة الأخيرة أحياهم كقوله: **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجُمِعَتْهُمْ جَمْعًا﴾** [الكهف: ٩٩] وفيه إشارة إلى أن الخلق محتاجون إلى اتباع سبب كل شيء ليلبغوا إليه وهم لا يقدرون على أن يجعلوا سبباً لشيء سبباً لشيء آخر على ضده والخالق سبحانه هو المسبب فهو قادر على أن يجعل الشيء الواحد سبباً لوجود الشئين المتضادين كما جعل النفخة في الصورة سبباً للممات والحياة، وفي «المثنوي».

سازد اسرافیل روزی ناله را	جان دهد پوسیده صد ساله را
انبیارا در درون هم نغمه‌است	طالبانرا زان حیات بی بهاست
نشنود آن نغمه‌ارا کوش حس	کز ستمها کوش حس باشد نجس
نشنود نغمه پری را آدمی	کوبود زاسرار پریان أعجمی
کرچه هم نغمه پری زین عالمست	نغمه دل بر تر از هر دودمست
کر پری و آدمی زندانینند	هر دو در زندان این نادانینند
نغمه‌ای اندرون اولیا	اولا کویدکه ای اجزای لا
هین زلای نفی سرها بر زنید	این خیال ووهم یکسو افکنید
ای همه پوشیده درکون وفساد	جان باقیتان نروید و نزاد
هین که اسرافیل وقتند اولیا	مرده را زیشان حیاتست و نما
جان هریک مرده از کورتن	بر جهد ز آواز شان اندر کفن
کوید این آواز زآواها جداست	زنده کردن کار آواز خداست
ما بمردیم ویکلی کاستیم	بانک حق آمد همه بر خاستیم
مطلق آن آواز خود ازشه بود	کرچه از حلقوم عبد الله بود

﴿وَعَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ (١١٧) الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (١١٨)

﴿وعرضنا﴾ يقال: عرض الشيء له أظهره أي: أظهرنا **﴿جهنم﴾** معرب والأصل [چه نم] كذا قال البعض **﴿يومئذ﴾** يوم إذ جمعنا الخلائق كافة **﴿للكافرين﴾** منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيطاً وزفيراً **﴿عرضاً﴾** هائلاً لا يعرف كنهه وفي الحديث: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» أي: يؤتى بها يوم القيامة من المكان الذي خلقها الله فيه فتوضع بأرض حتى لا يبقى طريق للجنة إلا الصراط وهذه الأزمة تمنعها عن الخروج على أهل المحشر إلا من شاء الله كذا في «شرح المشارق» لابن ملك وتخصيص العرض بالكافرين مع أنها بمرأى من أهل الجمع قاطبة لأن ذلك لأجلهم

خاصة وهذا العرض يجري مجرى العقاب لهم من أول الأمر لما يتداخلهم من الغم العظيم .
وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن جهنم لو كانت معروضة على أرواح الكافرين قبل يوم القيامة كما كانت معروضة على أرواح المؤمنين آمنوا بها كما آمن المؤمنون بها إذ لم تكن أعينهم في غطاء عن ذكر الله وكانوا يستطيعون سمعاً لكلام الله تعالى لأن آذان قلوبهم مفتوحة .

﴿الذين﴾ الموصول مع صلته نعت للكافرين أو بدل ولذا لا وقف على عرضا كما في «الكواشي» . ﴿كانت أعينهم﴾ وهم في الدنيا ﴿في غطاء﴾ غلاف غليظ محاطة بذلك من جميع الجوانب . والغطاء ما يغطي الشيء ويستتره . وبالفارسية: [برده وبوشش] ﴿عن ذكرى﴾ عن الآيات المؤدية لأولي الأبصار المتدبرين فيها إلى ذكرى بالتوحيد والتمجيد كما قيل :

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

برك درختان سبز درنظر هوشيار هرورقی دفتريست معرفت کرد کار
﴿وكانوا﴾ مع ذلك ﴿لا يستطيعون﴾ لفط تصاممهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول ﷺ ﴿سمعا﴾ استماعاً للذكرى وكلامي يعني أن حالهم أعظم من الصمم فإن الأصم قد يستطيع السمع إذا صبح به وهؤلاء زالت عنهم تلك الاستطاعة :

چون توقر آن خوانی ای صدر امم کوش شانرا پرده سازم از صمم

چشمشانرا نیز سازم چشم بند تابینند وکلامت نشنوند

قال في «الإرشاد»: وهذا تمثيل لإعراضهم عن الأدلة السمعية كما أن الأول تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار قال بعض الكبار: كانت أعين نفوسهم في غطاء الغفلة عن نظر العبرة وأعين قلوبهم في غطاء حب الدنيا وشهواتها عن رؤية درجات الآخرة ودركاتها وأعين أسرارهم في غطاء الالتفات إلى الكونين عن شواهد المكون وأعين أرواحهم في غطاء تذكاري ما سوى الله تعالى عن ذكر الله تعالى فإذا فتحت العين الباطنة بالمشاهدة فتحت العين الظاهرة بنظر الاعتبار وكذا السمع بظاهر السمع تابع لسمع الباطن ويدخل في سماع كلام الحق سماع سنن المصطفى ﷺ وسير الصالحين .

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾

﴿أفحسب الذين كفروا﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ على معنى إنكار الواقع واستقبحه كما في قولك أضربت أباك لإنكار الوقوع كما في أتضرب أباك والفاء للعطف على مقدر تفصح عنه الصلة على توجيه الإنكار والتوبيخ إلى المعطوفين جميعاً أي: أكفروا بي مع جلالة شأني فحسبوا وظنوا ﴿أن يتخذوا عبادي﴾ من الملائكة وعيسى وعزير وهم تحت سلطاني وملكوتي ﴿من دوني﴾ مجاوزين إياي أي: تاركين عبادتي ﴿أولياء﴾ معبودين ينصرونهم من بأسى على معنى أن ذلك ليس من الاتخاذ في شيء لما أنه إنما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانه أنت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثاني محذوف أي: أفحسبوا اتخاذهم نافعاً لهم والوجه هو الأول لأن في هذا تسليماً لنفس الاتخاذ واعتداداً به في الجملة كذا في «الإرشاد» . ﴿إننا أعتدنا جهنم﴾ هيأناها ﴿للكافرين﴾ للمعهودين ﴿نزلاً﴾ وهو ما يعد للنزول والضيء أي: أحضرنا جهنم للكافرين كالنزل المعد للضيف وفيه تهكم بهم

كقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] وإيماء إلى أن لهم وراء جهنم من العذاب ما هي أنموذج له وهو كونهم محجوبين عن رؤية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [١٥] ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ [المطففين: ١٦-١٥] جعل الصلّي أي: الدخول تالياً في المرتبة للمحجوبة فهو دونها في الرتبة وفسره ابن عباس - رضي الله عنهما - بموضع النزول والمثوى. فالمعنى بالفارسية [منزل ومأوى] كه برای مهمان آرند ودرین معنی تهکم است برآنکه ایشانرا عذابها خواهد بود که دوزخ درپیش آن چیزى محقر باشد. وفي الآية إشارة إلى أن من ادعى محبة الله وولاءه لا يتخذ من دون الله أولياء إذ لا يجتمع ولاية الحق وولاية الخلق ومن كفر بنعمة الولاء واتخذ من دون الله أولياء فله جهنم البعد والقطيعة أبداً. وقد قال بعض المحققين: أبَت المحبة أن تستعمل محباً لغير محبوبه وحب الله تعالى قطب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لأنواع الكرامات وعلامته الجريان على موجب الأمر والنهي كما قال بعضهم نزه ربك وعظمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك فالذين كفروا أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وعبدوا المعدوم وهو ما سوى الله الملك العلام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام فلا جرم جعل الله لهم جهنم نزلاً وشر مقام وأما المؤمنين فقد جاهدوا في الله بالطاعات واشتغلوا بالرياضات والمجاهدات وما عبدوا غير الموجود الحقيقي في وقت من الأوقات فلا جرم أحسن الله إليهم بالدرجات العاليات فالخلاص والنجاة في التوجه إلى الله رفيع الدرجات.

- حكى - أنه كان ملك مشرك جبار فأخذه المسلمون فجعلوه في قمقمة ووضعوها في نار شديدة فأسلم وتضرع إلى الله تعالى فأمطرت السماء فخرجت ريح شديدة وألقته في مملكة فرأها أهل تلك المملكة وسألوه فقال: أنا الملك الفلاني فلما أسلمت وتضرعت إلى الله خلصني من الشدة فأسلم أهل تلك المملكة لِمَا رَأَوْا عَظَمَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى وشاهدوا شواهد توحيده والحمد لله تعالى.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [١٣] الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٤﴾

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾ نخبركم أنا ومن تبني من المؤمنين أيها الكفرة. ﴿بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ نصب على التمييز والجمع للإيذان بتنوعها أي: بالقوم الذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا. وبالفارسية [برزيانكار ترين مردمان از روی کردارها]. قال في «الإرشاد»: هذا بيان حال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الأعمال الحسنة في أنفسها من صلة الرحم وإطعام الفقراء وعتق الرقاب ونحوها وفي حسابانهم أيضاً حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان حالهم باعتبار أعمالهم السيئة في أنفسها مع كونها حسنة في حسابانهم.

﴿الذين﴾ كأنه قيل منهم فقليل هم الذين ﴿ضل سعيهم﴾ في إقامة الأعمال الحسنة في أنفسها أي: ضاع وبطل بالكلية. وبالفارسية [كم شد وضائع كشت شتافتن ایشان بعملهای نیکونمای] ﴿في الحياة الدنيا﴾ متعلق بالسعي لا بالضلال لأن بطلان سعيهم غير مختص بالدنيا ﴿وهم﴾ أي: ضل والحال أنهم ﴿يحسبون﴾ يظنون ﴿أنهم يحسنون صنعا﴾ يعني: يعملون عملاً ينفعهم في الآخرة. وبالفارسية [وايشان می پندارند آنکه ایشان نیکویی میکنند کاررا]

والإحسان الإتيان بالأعمال على الوجه اللائق وهو حسنهما الوصفى المستلزم لحسنهما الذاتى أي: يحسبون أنهم يعملون ذلك على الوجه اللائق وذلك لإعجابهم بأعمالهم التي سعوا في إقامتها وكابدوا في تحصيلها. وفي الآية: إشارة إلى أهل الأهواء والبدع وأهل الرياء والسمعة فإن اليسير من الرياء شرك وأن الشرك محبط الأعمال كقوله تعالى: ﴿لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَجْطَنَّ عَمَّاكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وأن هؤلاء القوم يتدعون في العقائد ويرأون بالأعمال فلا يعود وبال البدعة والرياء إلا إليهم والحاصل أن العمل المقارن بالكفر باطل وإن كان طاعة وكذا العمل المقارن بالشرك الخفي وإذا كان ما هو طاعة مردوداً لمجاورته المنافي فما ظنك بما هو معصية في نفسه وهو يظنه طاعة فيأتي به فمثل أهل الرياء والسمعة والبدعة وطالب المنة والشكر من الخلق على معروفه وكذا الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع وحملوها على الرياضات الشاقة ليسوا على شيء:

کرت بیخ إخلاص در بوم نیست ازين درکسی چون تومحروم نیست
کرا جامه پاکست وسیرت پلید در دوز خش را بناید کلید

وعن علي - رضي الله عنه - هم أهل حروراء قرية بالكوفة وهم الخوارج الذين قاتلهم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كما في «التكملة». والخوارج قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن إطاعة علي - رضي الله عنه - عند رضاه بالتحكيم بينه وبين معاوية قالوا كفر بالتحكيم إن الحكم إلا لله وكانوا اثني عشر ألف رجل اجتمعوا ونصبوا راية الخلاف وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل فخرج إليهم علي رضي الله عنه ورام رجوعهم فأبوا إلا القتال فقاتلهم بالنهروان فقتلهم واستأصلهم ولم ينج منهم إلا القليل وهم الذين قال فيهم ﷺ: «يخرج قوم في أمتي يحقر أحدهم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم» وقال عليه السلام: «الخوارج كلاب النار» كذا في «شرح الطريقة».

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۖ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَتَوَخَّذُوا بَيْنِي وَرُسُلِي هَٰؤُلَاءِ﴾

﴿أولئك﴾ المنعوتون بما ذكر من ضلال السعي مع الحسبان المزبور ﴿الذين كفروا﴾ بآيات ربهم ﴿بدلائله الداعية إلى التوحيد عقلاً ونقلاً﴾ ولقائه ﴿بالبعث وما يتبعه من أمور الآخرة على ما هي عليه﴾ ﴿فحبطت﴾ بطلت بذلك ﴿أعمالهم﴾ المعهودة حبوطاً كلياً فلا يثابون عليها ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة﴾ أي: لأولئك الموصوفين بما مر من حبوط الأعمال ﴿وزناً﴾ أي: فنزدي بهم ولا نجعل لهم مقداراً واعتباراً [بلكه خوار ومبتذل خواهند بود] لأن مداره الأعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا الازدراء من عواقب حبوط الأعمال عطف عليه بطريق التفريع وأما ما هو من أجزية الكفر فسيجيء بعد ذلك وفي الحديث «يؤتى بالرجل الطويل الأكل الشروب فلا يزن جناح بعوضة» أي: لا يوضع له قدر لخساسته وكفره وعجبه «أقروا إن شئتم: ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أي: لا نضع لأجل وزن أعمالهم ميزاناً لأنه إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليميز به مقادير الطاعات والمعاصي ليرتب عليه التكفير أو عدمه لأن ذلك في الموحدين بطريق الكمية وأما الكفر فإحباط للحسنات بحسب الكيفية دون الكمية فلا يوضع لهم الميزان قطعاً.

وفي «التأويلات النجمية»: لأن وزن الأشخاص والأعمال في ميزان القيامة إنما يكون بحسب الصدق والإخلاص فمن زاد إخلاصه زاد ثقل وزنه ومن لم يكن فيه وفي أعماله إخلاص لم يكن له ولا لعمله وزن ومقدار كما قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: بلا إخلاص ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ فلا يكون للهباء المنثور وزن ولا قيمة.

﴿ذلك﴾ أي: الأمر ذلك وقوله تعالى: ﴿جزأؤهم جهنم﴾ جملة مبينة له ﴿بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا﴾ يعني: بسبب كفرهم وإنكارهم لما يجب إيمانهم وإقرارهم به واتخاذهم القرآن وغيره من الكتب الإلهية ورسل الله وأنبياءه سخرية واستهزاء من قبيل الوصف بالمصدر للمبالغة يعني أنهم بالغوا في الاستهزاء بآيات الله ورسله فكأنهم جعلوها وإياهم عين الاستهزاء أو المعنى مهزوا بهما أو مكان هزء.

واعلم أن العلماء ورثة الأنبياء وعلومهم مستنبطة من علومهم فكما أن العلماء العاملين ورثة الأنبياء والمرسلين في علومهم وأعمالهم كذلك المستهزون بهم ورثة أبي جهل وعقبة ونحوهما في استهزائهم وضلالهم. ومن استهزاء أبي جهل بالنبي ﷺ أنه كان يخلج بأنفه وفمه خلف رسول الله يسخر به فاطلع عليه عليه السلام يوماً فقال: «كن كذلك» فكان كذلك إلى أن مات. ومن استهزاء عقبة به عليه السلام أنه بصق يوماً في وجه النبي ﷺ فعاد بصاقه على وجهه وصار برصاً وفي حقه نزل ﴿وَيَوْمَ يَصْخُرُ الْأَعْيُنُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧] أي: في النار يأكل إحدى يديه إلى المرفق ثم يأكل الأخرى فتنبت الأول فيأكلها وهكذا كذا في «إنسان العيون» وفي الحديث: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكرهه وغمه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما يأتيه» كما في «الطريقة» اللهم اجعلنا من أهل الجد لا من أهل الهزل ووقفنا للعمل بما في القرآن الجزل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الأعمال وهي ما كانت خالصة لوجه الله تعالى ﴿كانت لهم﴾ في علم الله تعالى ﴿جنت الفردوس﴾ [بهشتهاى فردوس يعني بوستانهاى مشتمل بر اشجاركه أكثر آن تاك بود]. قال في «القاموس»: الفردوس البستان يجمع كل ما يكون في البساتين يكون فيه الكروم وقد يؤنث عربية أو رومية نقلت أو سريانية انتهى ﴿نزلاً﴾ خبر كانت والجار والمجرور متعلق بمحذوف على أنه حال من نزلاً والنزل المنزل وما هبء للضيف النازل أي: كانت جنت الفردوس منازل مهياة لهم أو ثمار جنت الفردوس نزلاً أو جعلت نفس الجنت نزلاً لمبالغة في إكرام. وفيه إيذان بأنها عندما أعدها الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» بمنزلة النزول بالنسبة إلى الضيافة. قال الكاشفي: هي دولة اللقاء، قال الحافظ:

نعمت فردوس زاهد راوما راروى دوست

قيمت هرکس بقدر همت والاى اوست

وفي «المثنوي»:

هشت جنت هفت دوزخ پیش من

هست پیدا همچو بت پیش شمن

ومن هنا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره لو عذبني الله يوم القيامة لشغلني بالجنة ونعيمها فلا جنة أعلى من جنة اللقاء والوصال ولا نار أشد من نار الهجران والفراق:

روزشب غصه وخون ميخورم وچون نخورم

چون زدیدار تو دورم بچه باشم دلشاد

﴿خالدين فيها﴾ حال مقدرة أي: مقدرين الخلود في تلك الجنات ﴿لا يبغون عنها حولا﴾ مصدر كالصغر والجملة حال من صاحب خالدين أي: لا يطلبون تحولا وانتقالا عنها إلى غيرها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار إذا لا مزيد عليها وفيها كل المطالب. قال الإمام وهذا الوصف يدل على غاية الكمال لأن الإنسان في الدنيا إذا وصل إلى أي درجة كانت في السعادة فهو طامح الطرف إلى ما هو أعلى منها ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود كما في «تفسير الشيخ» وهذا كناية عن التخليد وقال المراد بالفردوس ربوة خضراء في الجنة أعلاها وأحسنها يقال لها سرّة الجنة وفي الحديث «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض الفردوس أعلاها فيها تتفجر الأنهار الأربعة وفوقها عرش الرحمن فإذا سألتهم الله فاسألوا الفردوس» وفي الحديث: «جنتان الفردوس أربع جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما فضة وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ذهب» [ودرتيان آورده كه خدای تعالی فردوس را بيد قدرت خود آفریده وبمقدار هر روز از روزهای دنیا پنجاه كرت بدو نظر کرده وميفرما يدكه «ازدادی طیباً وحسناً لأوليائي» افزون ساز حسن جمال وتازه كی وپاكی خودرا برای دوستان من] وفي بعض الروايات «يفتحها كل يوم خمس مرات». يقول الفقير التوفيق بين الروايتين أن الأولى من مقام التفصيل والثانية من مقام الإجمال إذ المقصود ازدياد حسناتها وطيبها كلما أدى الصلوات الخمس وهي في الأصل خمسون صلاة كما سبق في بحث المعراج وفي الحديث: «إن الله غرس الفردوس بيده ثم قال: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث» قيل ما الديوث يا رسول الله؟ قال: «الذي يرضى الفواحش لأهله» كما في «تفسير الحدادي». وقال في «بحر العلوم»: قال عليه السلام: «إن الله كبس عرصة جنة الفردوس بيده ثم بناها لبنة من ذهب مصفى ولبنة من مسك مذى وغرس فيها من طيب الفاكهة وطيب الريحان وفجر فيها أنهارها ثم أوفى ربنا على العرش فنظر إليها فقال: وعزتي لا يدخلك مدمن خمر ولا مصر على زنى». يقول الفقير: إن قلت فعلى ما ذكر من أوصاف الفردوس يكون مقام المقربين فكيف يترتب جزاء الخاصة على العامة. قلت: يؤول العنوان بمن جمع بين الإيمان والعمل على وجه الكمال وهو بأن آمن إيماناً عيانياً بعدما آمن برهانياً وعمل بإخلاص الباطن وشرائط الظاهر على وفق الشريعة وقانون الطريقة فيدخل فيه الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر على ما فسر كعب فإن الدلالة على الخير والمنع من الشر من فواضل الأعمال وخواص الرجال. ويدل على ما ذكرنا ما قبل الآية من قوله تعالى في حق الكفار ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾ فإن المراد ببيان المؤمنين المتصفين بأضداد ما اتصفوا به والإيمان باللقاء أي: الرؤية والمشهود بعد الإيمان بالآيات والشاهد وهو بالترقي من العلم والغيب والآثار إلى العين والشهادة والأنوار ويدل عليه ما بعد الآية أيضاً من قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو﴾ إلى آخره فافهم وهكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال نسأل الله الفردوس بل

وتجلي جماله والاحتفاظ بكاسات وصاله، قال الحافظ :

كدای کوی تو از هشت خلد مستغنیست اسیر عشق تو از هردو کون آزادست
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِثًّا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ ﴿١٨٩﴾

﴿قل لو كان البحر﴾ [بكوا كرباشد دریای محیط كه شامل ارضست] كذا في «تفسير الكاشفي». وقال غيره: يريد الجنس يعني لو كان ماء جنس البحر ﴿مداداً﴾ نقساً وحبراً والثلاثة بمعنى ما يكتب به نزلت حين قال حيي بن أخطب في كتابكم ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩] ثم تقرأون ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] كأنه يشير إلى أن التوراة خير كثير فكيف يخاطب أهلها بهذا الخطاب يعني أن ذلك خير كثير بالنسبة إلينا ولكنه قطرة من بحر كلمات الله :

علمها از بحر علمش قطره این چو خورشیدست وآنها ذره
کر کسی در علم صد لقمان بود پیش علم کاملش نادان بود
لأنه لو كان ماء البحر مداداً ﴿لكلمات ربي﴾ لكلمات علمه وحكمته يعني لمعلوماته وحكمه فتكتب من ماء البحر كما تكتب من المداد والحبر. قال في «تفسير الجلالين» ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لكتابتها وهي حكمه وعجائبه والكلمات هي العبارات عنها انتهى ﴿لنفد البحر﴾ يعني: ماء جنس البحر بأسره مع كثرته ولم يبق فيه شيء لأن كل جسم متناه ﴿قبل أن تنفذ كلمات ربي﴾ أي: من غير أن تفنى معلوماته وحكمه فإنها غير متناهية لا تنفذ كعلمه فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وإنما اختار جمع القلة على الكثرة وهي الكلم تنبيهاً على أن ذلك لا يقابل بالقليل فكيف بالكثير كما في «بحر العلوم». وقال أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: ما معنى قوله كلمات ربي فذكر بلفظ الجمع وكلمته واحدة صفة له والجواب قيل معاني كلمات ربي فلا نهاية لها لأن متعلقات الصفات القديمة غير متناهية والفلاسفة يحملون كل كلمة جاءت في القرآن على الروح ويقولون بأن الروح الإنسانية قديمة منه بدت وإليه تعود. ورأيت في كلمات بعض المعاصرين الذين يدعون التحقيق في الكلام ويحومون حول هذا الحمى إظهاراً من نفوسهم التفتن في الشطح ولكن تارة يعرض بها وتارة يصرح بذلك وإياكم ثم إياكم والاعتراض بها فإنها من أوائل حكم الفلسفة وأوائل العلوم مسوقة ولكنها عند البحث قلما تعود بطائل يتروج وهو مطوي ويهجر وهو منشور انتهى. ﴿ولو جثنا بمثله﴾ بمثل البحر الموجود يعني بمائة. وقال الكاشفي: [واكرنيز بياريم مثل دریای محیط] ﴿مداداً﴾ تمييز أي زيادة ومعونة أي: لنفذ أيضاً والكلمات غير نافذة لعدم تناهيها فحذف جزاء الثاني للدلالة الأول عليه ويجوز أن يكون التقدير ولو جثنا بمثله مدداً ما نفدت كلمات الله وهو أحسن لكونه أوفق بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّكَ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمَ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧] ولأنه يدل به على تحقق نفاد البحر وعدم تحقق نفاد الكلمات صريحاً فيكفي مؤنة كثيرة من الكلام كما في «بحر العلوم». قال في «الإرشاد»: قوله: ﴿ولو جثنا﴾ كلام من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن يجيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله والواو لعطف الجملة على نظيرتها أي: لنفذ البحر من غير نفاد كلماته تعالى لو لم يجيء بمثله مدداً ولو جثنا بقدرتنا القاهرة بمثله عوناً وزيادة لأن مجموع المتناهيين متناه

بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الأجسام لا يكون إلا متناهيًا لقيام الأدلة القاطعة على تنامي الأبعاد. قال الإمام قولنا الله تعالى قادر على مقدرات غير متناهية مع قولنا إن حدوث ما لا نهاية له محال معناه أن قادية الله تعالى لا تنتهي إلى حد إلا ويصح منه الإيجاد بعد ذلك انتهى أي: فلا يلزم منه عدم تنامي الممكنات. قال شيخنا وسندي قدس الله سره في بعض تحريراته قوله كلمات علمه وحكمته الظاهر أن المراد الكلمات التي يعبر بها عن معلومات الله تعالى وما يتعلق به حكمته فكلمة قبل على المجاز عن نفاد البحر دون أن يكون لها تحقق النفاد أي: ينفد البحر ولا يتحقق لكلمات الرب نفاد. فإن قلت إنما يتم ما ذكرتم إذا كانت الكلمات هي المعلومات المحكومة والمقدورة كالممكنات والممتنعات فكيف يتم ما ذكرتم إذ كل منهما مما ينفد ويتناهي فهنا إشكال لأنه إن قيل: إنهما ليسا من المعلومات فيلزم أنهما من غير المعلومات فيلزم على الباري تعالى ما هو المحال والمفقود في حقه الأعلى من الجهل والغفلة فهو غير متصور في شأنه العلي. قلنا: إن البحر إذا كان مداداً وكانت كل قطرة منه قد عينت لأن يكتب بها نفسها باعتبار كونها من الكلمات والمعلومات ينفد بكتابة نفسه وقطراته ولا يبقى منه شيء يكتب به ما عدها من الكلمات ولو جيء بمثله مداداً لأن جميع المتناهي متناه فضلاً عن نفاد الكلمات وتنامي المعلومات فإنها غير متناهية لا تنفذ أو قلنا: إن المراد مطلق المعلومات العام الشامل لكل ما يتعلق به علمه سواء كان ذات الباري تعالى وصفاته العليا وأسماءه الحسنى أو غيره من الموجودات الممكنة والمعدومات الممتنعة فحينئذ يتم ما ذكرنا وإن كان يرى في صورة ما لا يتم ولا يصح باعتبار أن يكون من المعلومات ما له تناء ونفاد من الممكنات والممتنعات ثم إن في إطلاق الكلمات على بعض ما يتعلق به علمه تعالى ما ليس في إطلاق المعلومات عليه من الإشكال والخفاء كذات الباري تعالى وصفاته مع أنهما من المعلومات المعبر عنها بالكلمات فيرى أن تفسير الكلمات بالمحكومات أو بالمقدرات أولى منه بالمعلومات إذ في إضافة الكلمات إلى الرب إشعار به وإشارة إليه وتسمية الممكنات بالكلمات من تسمية المسبب باسم السبب لأنها إنما تكونت بكلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ﴾ [يس: ٨٢] الآية ومحصل الكلام أن نفاد البحر وقوعاً أو فرضاً أمر ذاتي غير معلل مطلقاً كان مداداً أم لا فإن كل جسم متناه ونافذ قطعاً وعدم نفاد كلمات الرب لا وقوعاً ولا فرضاً أمر أصلي غير معلل أزلاً فإنها غير متناهية أبداً ولا نافذة سرمداً انتهى كلام حضرة الشيخ روح الله روحه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ رِجَؤُا لِّقَآءِ رَبِّيَ فَلَیْمَعَلَّ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّيَ ۝ۙ﴾

﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ قل يا محمد ما أنا إلا آدمي مثلكم في الصورة ومساو بكم في بعض الصفات البشرية ﴿يوحى إلي﴾ من ربي ﴿أنما إلهكم إله واحد﴾ ما هو إلا متفرد في الألوهية لا نظير له في ذاته ولا شريك له في صفاته، يعني: أنا معترف ببشريتي ولكن الله من علي من بينكم بالنبوة والرسالة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بني آدم في البشرية واستعداد الإنسانية سواء النبي والولي والمؤمن والكافر والفرق بينهم بفضيلة الإيمان والولاية والنبوة والوحي والمعرفة بأن إله

العالمين إله واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد انتهى كما قال الشيخ سعدي:
 ره راست باید نه بالای راست که کافرهم از روی صورت چو ماست
 ﴿فمن كان يرجو﴾ شرط جزاؤه فليعمل. والمعنى بالفارسية: [پس هرکه امید میدارد]
 ﴿لقاء ربه﴾. قال في «الإرشاد»: كان للاستمرار ولرجاء توقع وصول الخبر في المستقبل
 والمراد بلفظه كرامته أي: فمن استمره على رجاء كرامته تعالى. وقال الإمام: أصحابنا حملوا
 لقاء الرب على رؤيته والمعتزلة على لقاء ثوابه يقال لقيه كرضيه رآه كما في «القاموس».
 ﴿فليعمل﴾ لتحصيل ذلك المطلوب العزيز ﴿عملاً صالحاً﴾ [کاری شایسته یعنی بسندیده
 خدای]. قال الأنطاكي: من خاف المقام بين أيدي الله فليعمل عملاً يصلح للعرض عليه
 والرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل كما في البغوي. وقال ذو النون العمل الصالح هو
 الخالص من الرياء. وقال أبو عبد الله القرشي: العمل الصالح الذي ليس للنفس إليه التفات ولا
 به طلب ثواب وجزاء.

وقال في «التأويلات النجمية»: العمل الصالح متابعة النبي عليه السلام والتأسي بستته ظاهراً
 وباطناً فأما سنة باطنه فالتبتل إلى الله وقطع النظر عما سواه [يعني دیده همت از ماسوی بریستن و جز
 بشهود حضرت مولی نا کشودن] كما قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ۱۷].

روی از همه برتافتم وسوی تو کردم چشم از همه بریستم ودیدار تودیدم
 ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [شريك نیارد وانباز نسازد بپرستش پروردکار خود یکی
 را]. قال أبو البقاء أي: في عبادة ربه ويجوز أن يكون على بابه أي: بسبب عبادة ربه انتهى.
 وفي «الإرشاد»: إشراكاً جلياً كما فعله الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا إشراكاً خفياً كما
 يفعله أهل الرياء ومن يطلب به أجراً انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل ولا يشرك
 به لأنه أراد العمل الذي يعمل به ويحب أن يحمد عليه. وعن الحسن هذا فيمن أشرك بعمل يريد
 الله به والناس على ما روي أن جندب بن زهير رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: إني لأعمل
 العمل لله فإذا اطلع عليه أحد سرنى فقال: «إن الله لا يقبل ما شورك فيه» فنزلت تصديقاً له عليه
 السلام وروي أنه قال له: «لك أجران أجر السر وأجر العلانية» وهذا على حسب النية فإذا سره
 ظهوره ليقنتي به كما هو شأن الكاملين المخلصين المعرضين عما سوى الله أو تتنفي عنه التهمة
 إذ كان ذلك من الواجبات فله أجران فأما إذا أراد به مجرد مدح الناس وانتشار الصيت والذكر
 فهو محض الرياء والشرك فيخفى المقتدي احترازاً عن إفساد العمل. وعن عبد الله بن غالب أنه
 كان إذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيراً قرأت كذا وصليت كذا فإذا قيل له يا أبا فراس
 أمثلك يقول مثل هذا يقول قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ۱۱] وأنتم
 تقولون لا تحدث بنعمة الله وإنما يجوز مثله إذا قصد به اللطف وأن يقتدي به غيره وأمن على
 نفسه الفتنة والستر أولى ولو لم يكن فيه إلا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى كذا في «الكشاف»
 في سورة الضحى. والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والإخلاص في العمل،
 قال الشيخ سعدي قدس سره:

عبادت باخلاص نیت نکوست	وکرنه چه آید زبی مغز پوست
چه زناز مغ درمیانت چه دلچ	که دریوشی ازبهر پندار خلق
بروی ریا خرقة سهلست دوخت	کرش باخدا درتوانی فروخت

قال في «بحر العلوم» إن قلت: ما معنى الرياء؟ قلت العمل لغير الله بدليل قوله عليه السلام «إن أخوف ما أخاف على أمتي الإشراف بالله أما أني لا أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا شجراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله تعالى». قال في «الأشياء»: ولا يدخل الرياء في الصوم انتهى هذا إذا لم يجوّع نفسه إظهاراً لأثره في وجهه أو لم يقل ولم يعرض به كما لا يخفى على ما روي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صلى صلاة يرثي بها فقد أشرك ومن صام صوماً يرثي به فقد أشرك» وقرأ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ الآية كما في «الحدادي» وقس عليه التصديق والحج وسائر وجوه البر:

مرايى هرکسى معبود سازد مرايى را ازان کفتند مشرک
وفي الحديث: «إنما حرم الله الجنة على كل مثالي» ليس البر في حسن اللباس والزينة ولكن البر المسكنة والوقار.

کراجامه پاکست وسيرت پليد در دوز خش را نبايد کليد
بنزدیک من شب رو راهزن به ازفاسق پارسا پيرهن
وفي الحديث: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثواب عمله من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك».

زعمرو ای پسر چشم اجرت مدار چو درخانه زيد باشی بکار
وفي الحديث: «إن في جهنم وادياً تستعيد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم مائة مرة أعد ذلك للمرائين» وفي الحديث: «اتقوا الشرك الأصغر» قيل وما الشرك الأصغر؟ قال: «الرياء»، وفي الحديث «إن أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي فإياكم وشرك السرائر فإن الشرك أخفى من ديب النمل على الصفا في الليلة الظلماء» فشق على الناس فقال عليه السلام: «أفلا أدلكم على ما يذهب صغير الشرك وكبيره قولوا: اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم» كذا في «عين المعاني».

- حكي - أن بعض الخلفاء أراد أن يتطهر فعدا غلمانه ليصبوا عليه الماء فصدّهم عن ذلك وتلا هذه الآية وأظنه المرتضى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - كذا في الأسئلة المقحمة لأبي القاسم الفزاري. يقول الفقير: كان المرتضى رضي الله عنه عمو الإشراف إلى الرياء والاستعانة في الوضوء ونحوه نظراً إلى ظاهر النظم وذلك زيادة في التقوى ونظيره أن الشافعي أوجب الوضوء من لمس المرأة باليد ونحوها نظراً إلى إطلاق قوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [النساء: ٤٣] وهو عمل بالعزيمة كما لا يخفى. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال» رواه مسلم قال ابن ملك اللام فيه للعهد ويجوز أن تكون للجنس لأن الدجال من يكثر منه الكذب والتلبس وقد جاء في الحديث «يكون في آخر الزمان دجالون» فأهل الأهواء والبدع دجاجة زمانهم والسر في العصمة منه أن هذه الآيات العشر مشتملة على قصة أصحاب الكهف وهم لما التجأوا إلى الله تعالى من شر دقيانوس الكافر أنجاهم الله منه فالمرجو منه تعالى أن يحفظ قارئها من الدجال ويثبت على الدين القويم. وفي رواية للنسائي «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ

الكهف كما أنزلت كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه» رواه الحاكم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين». وعن أبي سعيد قال: «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق» رواه الدارمي في مسنده موقوفاً على أبي سعيد كذا في «الترغيب والترهيب» للإمام المنذري. وفي تفسير «التيان»: روى عبد الله بن فردة رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «سورة الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطي نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال». وفي «تفسير الحداوي» عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «من قرأ سورة الكهف فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فيها ومن قرأ الآية التي في آخرها حين يأخذ مضجعه كان له نور يتلأل إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه وإن كان مضجعه بمكة فتلاها كان له نور يتلأل من مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه ويستغفرون له حتى يستيقظ». وفي «تفسير البيضاوي» عن النبي عليه السلام: «من قرأ عند مضجعه ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾ كان له نور في مضجعه يتلأل إلى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ». وفي «فتح القريب» من قرأ عند إرادة النوم ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ الخ ثم قال اللهم أبقظني في أحب الأوقات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك فإنه سبحانه يوقظه ويكتبه من قوام الليل. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا أردت أن تقوم أية ساعة شئت من الليل فاقرأ إذا أخذت مضجعك ﴿قل لو كان البحر مداداً﴾ الآية فإن الله يوقظك متى شئت من الليل. وتكلموا في القراءة في الفراش مضطجعا. قال في «الفتاوى الحمديدية»: لا بأس للمضطجع بقراءة القرآن انتهى. والأولى أن لا يقرأ وهو أقرب إلى التعظيم كما في «شرح الشرعة» ليحيى الفقيه. وعن ظهير الدين المرغيناني لا بأس للمضطجع بالقراءة مضطجعا إذا أخرج رأسه من اللحاف لأنه يكون كاللبس وإلا فلا نقله قاضي خان. وفي «المحيط»: لا بأس بالقراءة إذا وضع جنبه على الأرض لكن يضم رجله إلى نفسه انتهى. نسأل الله تعالى أن يوقظنا من الغفلة قبل انقضاء الأعمار ويؤنسنا بالقرآن آناء الليل وأطراف النهار تمت سورة الكهف والحمد لله تعالى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر رمضان من سنة خمس ومائة وألف.

ثمان أو تسع وتسعون آية وهي مكية إلا آية السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكَ زَكَرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾

﴿كهيعص﴾ اسم للسورة ومحلّه الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير هذا كهيعص أي: مسمى به وإنما صحت الإشارة إليه مع عدم جريان ذكره لأنه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان، كذا في «الإرشاد».

وقال في تفسير الشيخ قسم أقسم بالله تعالى أو هي اسم من أسمائه الحسنی ويدل عليه ما قرأوا في بعض الأدعية من قولهم يا كهيعص يا جمعسق أو أنه مركب من حروف يشير كل منها إلى صفة من صفاته العظمى. فالكاف من كريم وكبير. والهاء من هاد. والياء من رحيم. والعين من عليم وعظيم. والصاد من الصادق أو معناه هو تعالى كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق في وعده.

قال الكاشفي: [در مواهب صوفیان از مواهب الهی که بر حضرت شیخ رکن الدین علاء الدولة سمنانی قدس سره فرود آمده مذکور است که حضرت رسالت را ﷺ سه صورتست یکی بشری کقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ [الكهف: ١١٠] دوم ملکی چنانکه فرموده است (لست كأحد ایت عند ربی) سیوم حقیی كما قال: (لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل) وازین روشنتر «من رأيي فقد رأي الحق» وحق سبحانه را با او درهر صورتی سخن بعبارتی دیگر واقع شده است در صورت بشری کلمات مرکبه چون ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ودر صورت ملکی حروف مفرده مانند ﴿كهيعص﴾ واخوانه ودرصورت حقیی کلامی مبهم که ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]:

درتنکنای حرف نکنجد بیان ذوق زان سوی حرف ونقطه حکایات دیگرست]

وفي «التأويلات النجمية» في سورة البقرة يحتمل أن يكون ﴿الم﴾ وسائر الحروف المقطعة من قبيل المواضعات والمعميات بالحروف بين المحبين لا يطلع عليها غيرهم وقد واضعها الله تعالى مع نبيه عليه السلام في وقت لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل ليتكلم بها معه على لسان جبريل بأسرار وحقائق لا يطلع عليها جبريل ولا غيره. يدل على هذا ما روي في الأخبار أن جبريل عليه السلام نزل بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ فلما قال كاف قال النبي عليه السلام: «علمت» فقال ها فقال: «علمت» فقال يا فقال: «علمت» فقال عين فقال: «علمت» فقال صاد فقال: «علمت» فقال جبريل: كيف علمت ما لم أعلم؟ وفي «أسئلة

الحكم» علوم القرآن ثلاثة:

علم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه وهو ما استأثر به من علوم أسرار كتابه من معرفة كنه ذاته ومعرفة حقائق أسمائه وصفاته وتفصيل علوم غيوبه التي لا يعلمها إلا هو وهذا لا يجوز لأحد الكلام فيه بوجه من الوجوه إجمالاً، العلم الثاني ما اطلع عليه نبيه من أسرار الكتاب واختصه به وهذا لا يجوز الكلام فيه إلا له عليه السلام أو لمن أذن له وأوائل السور من هذا القسم وقيل من القسم الأول.

العلم الثالث: علوم علمها الله نبيه مما أودع كتابه من المعاني الجليلة والخفية وأمره بتعليمها ﴿ذكر﴾ أي: هذا المثل ذكر ﴿رحمة ربك﴾ ذكر مضاف إلى مفعوله ﴿عبده﴾ مفعول رحمة ﴿زكريا﴾ بدل منه وهو زكريا يمد ويقصر ابن أزر.

قال الكاشفي: [واو ازاولاد رجعيم بن سليمان بن داود عليهم السلام بوده بيغمبر عاليشان ومهتر احبار بيت المقدس وصاحب قربان]. قال الإمام زكريا من ولد هارون أخي موسى وهما من ولد لاوي بن يعقوب بن إسحاق ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ ظرف لرحمة ربك. والمعنى بالفارسية [چون ندا کرد وبخواند پروردگار خودرا در محراب بيت المقدس بعد از تقريب قربان وخواندن پنهان] ولقد راعى عليه السلام حسن الأدب في دعائه فإنه مع كونه بالنسبة إليه تعالى كالجهر أدخل في الإخلاص وأبعد من الرياء وأقرب إلى الخلاص من غائلة مواليه الذين كان يخافهم فإنه إذا أخفى لم يطلعوا عليه ومن لوم الناس على طلب الولد لتوقفه على مبادي لا يليق به تعاطيها وقت الكبير والشيخوخة وكانت سنه وقتئذ تسعاً وتسعين على ما اختاره الكاشفي.

فإن قلت شرط النداء الجهر فكيف يكون خفياً.

قلت: دعا في الصلاة فأخفاه.

يقول الفقير النداء وإن كان بمعنى الصوت لكن الصوت قد يتصف بالضعف ويقال صوت خفي وهو الهمس فكذا النداء وقد صح عن الفقهاء أن بعض المخافتة يعد من أدنى مراتب الجهر وتفصيله في «تفسير الفاتحة» للفناري. ولي فيه وجه خفي لاح عند المطالعة وهو أن النداء الخفي عند الخواص كالذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة فضلاً عن الناس لا يخفض به الصوت والوجه في عبارة النداء الإشارة إلى شدة الإقبال والتوجه في الأمر المتوجه إليه كما هو شأن الأنبياء ومن له بهم أسوة حسنة من كمل الأولياء.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِكَ وَكَانَتْ آمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۝ ۞ بَرِّئُ مِنْ بَرِّئُ مَنْ عَالٍ يَغُفُّ ۝ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝﴾

﴿قال﴾ استئناف وقع بياناً للنداء ﴿رب﴾ [اي پروردگار من] ﴿إني وهن العظم مني﴾

الوهن الضعف وإنما أسنده إلى العظم وهو بالفارسية [استخوان] لأنه عماد بيت البدن فإذا أصابه الضعف مع صلابته وقلة تأثره من العلل أصاب سائر الأجزاء. قال قتادة: اشتكى سقوط الأضراس كما في البغوي وإفراده للقصد إلى جنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من أفرادها ولو جمع لخرج بعض العظام عن الوهن. «ومني» متعلق بمحذوف وهو حال من

العظم وهو تفصيل بعد الإجمال لزيادة التقرير لأن العظم من حيث إنه يصدق على عظمه يفيد نسبته إليه إجمالاً ﴿واشتعل الرأس﴾ مني حذف اكتفاء بما سبق ﴿شيباً﴾ شبه الشيب في بياضه وإنارته بشواظ النار وانتشاره في الشعر ومنبته مبالغة وإشعاراً لشمول الشيب جملة الرأس حتى لم يبق من السواد شيء وجعل الشيب تمييزاً إيضاحاً للمقصود والأصل اشتعل شيب رأسي فوزانه بالنسبة إلى الأصل وزان اشتعل بيته ناراً بالنسبة إلى اشتعل النار في بيته، قال الشيخ سعدى:

چو شيبت در آمد بروى شباب شبت روز شد ديده بركن زخواب
من آن روز از خود بربدم اميد كه افتادم اندر سياهى سفيد
چو دوران عمر از چهل در گذشت مزن دست و پا كآب از سر گذشت
دريغاكه بگذشت عمر عزيز بخواهد گذشت اين دمی چندنيز
﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ ولم أكن بدعائي إياك خائباً في وقت من أوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك استجبت لي وهذا توسل منه بما سلف من الاستجابة عند كل دعوة أثر تمهيد ما يستدعي الرحمة ويستجلب الرأفة من كبر السن وضعف الحال فإنه تعالى بعدما عود عبده بالإجابة دهرأ طويلاً لا يخيه أبداً لا سيما عند اضطرار وشدة افتقار .
- روي - أن محتاجاً قال لبعضهم: أنا الذي أحسنت إلى وقت كذا فقال: مرحباً بمن توسل بنا إلينا وقضى حاجته ووجهه أن الرد بعد القبول يحبط الإنعام الأول والمنعم لا يسعى فيه وكأنه يقول ما رددتني حين ما كنت قوي القلب والبدن غير متعود بلطفك فلو رددتني الآن بعدما عودتني القبول مع نهاية ضعفي لتضاعف ألم قلبي وهلكته يقال سعد بحاجته إذا ظفر بها وشقي بها إذا خاب كذا في «تفسير الإمام» ثم بين أن ما يريده متفجع به في الدين فقال:
﴿وإني خفت الموالى من ورائي﴾ أي بعد موتي فلا بد لي من الخلف وهو متعلق بمحذوف ينساق إليه الذهن أي جور الموالى لا بخفت لفساد المعنى والجملة عطف على قوله أني وهن مترتب مضمونه على مضمونها فإن ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه من يلي أمره بعد موته ومواليه بنوا عمه وكانوا شرار بني إسرائيل فخاف أن لا يحسنوا خلافته في أمته ويبدلوا عليهم دينهم .

قال في «القاموس» المولى المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه والمحب والتابع والصهر انتهى . ﴿وكانت امرأتى﴾ هي ايشاع بنت فاقوذ بن فيل وهي أخت حنة بنت فاقوذ . قال الطبري وحنة هي أم مريم . وقال القتيبي امرأة زكريا هي ايشاع بنت عمران فعلى هذا القول يكون يحيى ابن خالة عيسى على الحقيقة وعلى القول الآخر يكون ابن خالة أمه وفي حديث الإسراء: «فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى» وهذا شاهد للقول الأول قاله الإمام السهيلي في كتاب «التعريف والإعلام» ﴿عاقراً﴾ أي: لا تلد من حين شبابها فإن العاقر من الرجال والنساء من لا يولد له ولد وكان سنها حينئذ ثمانين وتسعين على ما اختاره الكاشفي ﴿فهب﴾ [پس ببخش] ﴿لي من لدنك﴾ كلا الجارين متعلق بهب لاختلاف معنيهما، فاللام صلة له ومن لا ابتداء الغاية مجازاً، ولدن في الأصل ظرف بمعنى أول غاية زمان أو مكان أو غيرهما من الذوات، أي اعطني من محض فضلك الواسع وقدرتك بطريق الاختراع لا

بواسطة الأسباب العادية فإني وامرأتي لا نصلح للولادة ﴿ولياً﴾ ولدأ من صليبي يلي أمر الدين بعدي كما قال :

﴿يرثني﴾ صفة لوليا أي: يرثني من حيث العلم والدين والنبوة فإن الأنبياء لا يورثون المال كما قال عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة». فإن قلت وقد وصف الولي بالورثة ولم يستجب له في ذلك فإن يحيى خرج من الدنيا قبل زكريا على ما هو المشهور. قلت: الأنبياء وإن كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا كذلك في جميع الدعوات حسبما تقتضيه المشيئة الإلهية المبنية على الحكم البالغة ألا يرى إلى دعوة إبراهيم عليه السلام في حق أبيه وإلى دعوة النبي عليه السلام حيث قال: «وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعها» وقد كان من قضائه تعالى أن يهبه يحيى نبياً مرضياً ولا يرثه فاستجيب دعاؤه في الأول دون الثاني ﴿ويرث من آل يعقوب﴾ بن إسحاق بن إبراهيم الملك يقال ورثه وورث منه لغتان. وآل الرجل خاصة الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة أو الصحبة أو الموافقة في الدين. وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان أخو عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام أبو مريم وكان آل يعقوب أحوال يحيى بن زكريا. قال الكلبي: كان بنو ماثان رؤوس بني إسرائيل وملوكهم وكان زكريا رئيس الأحبار يومئذ فأراد أن يرث ولده حبورته ويرث من بني ماثان ملكهم ﴿واجعله﴾ أي: الولد الموهوب ﴿رب رضيعاً﴾ مرضياً عندك قولاً وفعلًا وتوسيط رب بين مفعولي الجعل كتوسيطه بين كان وخبرها فيما سبق لتحريك سلسلة الإجابة بالمبالغة في التضرع ولذلك قيل إذا أراد العبد أن يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من أسمائه وصفاته. واعلم أن الله تعالى لا يمكن العبد من الدعاء إلا لإجابته كلاً أو بعضاً كما وقع لزكريا:

هم زاول تو دهى ميل دعا تو دهى آخر دعاها را جزا

ترس وعشق تو كمند لطف ماست زیر هر یارب تو لبیکهاست

وفي الحديث: «من فتح له باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة» وذلك لأن في الدعاء إظهار الذلة والافتقار وليس شيء أحب إلى الله من هذا الإظهار ولذا قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: كابدت العبادة ثلاثين سنة فرأيت قائلاً يقول لي: يا أبا يزيد خزائنه مملوءة من العبادات إن أردت الوصول إليه فعليك بالذلة والافتقار ولذا قال عند دخوله عالم الحقيقة:

چار جیز آورده ام شاهاکه درکنج تونیست نیستی وحاجت وعجز ونیاز آورده ام

وعن بعض أهل المعرفة:

نعم السلاح الدعاء، ونعم المطية الوفاء، ونعم الشفيح البكاء، كما في «خالصة الحقائق» ثم إن الدعاء إما للدين أو للدنيا والأول مطمح نظر الكامل ألا ترى أن زكريا طلب من الله أن يكون من ذريته من يرث العلم الذي هو خير من ميراث المال لأن نظام العالم في العلم والعمل والصلاح والتقوى والعدل والإنصاف وفيه إشارة إلى أنه لا بد للكامل من مرآة يظهر فيها كمالاته ألا ترى أن الله تعالى خلق العوالم وبث فيها أسماءه الحسنى وجعل الإنسان الكامل في كل عصر مجلى أنواره ومظهر أسرارته فمن أراد الوصول إلى الله تعالى فليصل إلى الإنسان الكامل فعليك بطلب خير الأول ليحيى به ذكرك إلى يوم التناد ومن الله رب العباد الفيض والإمداد والتوفيق لأسباب الوصول إلى المراد.

﴿يُزَكِّرُنَا إِنَّا تَشِيرُكَ يُعَلِّمُ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝۷﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى
عُلْمٌ وَكَانَتْ أَمْرًا قَدَرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝۸﴾

﴿يا زكريا﴾ على إرادة القول أي: قال تعالى على لسان الملك يا زكريا كما قال في سورة آل عمران ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ۳۹] ﴿إنا نبشرك﴾ [ما بشارت ميدهم ترا] والبشارة بكسر الباء الإخبار بما تظهر سروراً في المخبر ﴿بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً﴾ [همنام] أي: شريكاً له في الاسم حيث لم يسم أحد قبله يحيى وهو شاهد بأن التسمية بالأسماء الغربية تنويه للمسمى وإياها كانت العرب تعني لكونها أنبه وأنوه وأنزله عن النبز [در زاد المسير فرموده كه وجه فضيلت نه ازان رويست كه پيش ازو كسى مسمى بدين اسم نبوده چه بسيار آدمى بدين وجه يافت شودكه پيش ازو مسمى نبوده باشد پس فضيلت آنست كه حق سبحانه وتعالى بخود تولى تسميه او نموده به پدر ومادر حواله نكرد] كما أن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها زوجها الله بالذات حبيبته عليه السلام حيث قال: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا﴾ [الأحزاب: ۳۷] ولذا كانت تفتخر بهذا على سائر الأزواج المطهرة: [وامام ثعلبي آورده كه ذكر قبل ازان فرمودكه بعد ازو كسى ظهور خواهد كردكه اورا بچند بن اسم خاص اختصاص دهد واسم سامى اورا ازانام همايون فرجام خود مشتق سازد] كما قال حسان رضي الله عنه.

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ای خواجه كه عاقبت كارامتست محمود ازان شدست كه نامت محمداست

والأظهر أن يحيى اسم أعجمي وإن كان عربياً فهو منقول عن الفعل كيتمر ويعيش. قيل سمي به لأنه حيى به رحم أمه أو حيى دين الله بدعوته أو حيى بالعلم والحكمة التي أوتيتها. وفيه إشارة إلى أن من لم يحيه الله بنوره وعلمه فهو ميت أو حيى به ذكر زكريا كما أن آدم حيى ذكره بشيث ونوحاً حيى ذكره بسام وكذا الأنبياء الباقون ولكن ما جمع الله لأحد من الأنبياء في ولده قبل ولادة يحيى بين الاسم العلم الواقع منه تعالى وبين الصفة الحاصلة في ذلك النبي إلا لزكريا عناية منه إليه وهذه العناية إنما تعلقت به إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ فقدم الحق تعالى حيث كنى عنه بكاف الخطاب على ذكر ولده حين عبر عنه بالولي فأكرمه الله بأن وهبه ولياً طلبه وسماه بما يدل على صفة زكريا وهو حياة ذكره كذا قال الشيخ الأكبر قدس سره: قال الإمام السهيلي: في كتاب «التعريف والإعلام» كان اسمه في الكتاب الأول حيا وكان اسم سارة زوجة إبراهيم يسارة وتفسيرها بالعربية لا تلد فلما بشرت بإسحاق قيل لها سارة سماها بذلك جبريل فقالت يا إبراهيم لم نقص من اسمي حرف فقال ذلك إبراهيم لجبرائيل عليه السلام فقال: إن ذلك الحرف قد زيد في اسم ابن لها من أفضل الأنبياء واسمه حيا وسمي يحيى ذكره النقاش.

﴿قال﴾ استئناف مبني على السؤال كأنه فماذا قال زكريا حينئذ ف قيل قال: ﴿رب﴾ ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى إليه بتوسط الملك للمبالغة في التضرع والمناجاة والجد في التبتل إليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم خطابه للملك من توهم إن علمه بما صدر عنه متوقف على توسطه كما أن علم البشر بما يصدر عنه سبحانه متوقف على ذلك في عامة

الأوقات ﴿أنى﴾ [جكونه] ﴿يكون لي غلام﴾ أي: كيف أو من أين يحدث لي غلام ﴿و﴾ الحال أنه قد ﴿كانت امرأتي عاقراً﴾ لم تلد في شبابها وشبابي فكيف وهي عجوز الآن ﴿وقد بلغت﴾ أنا ﴿من الكبر﴾ من أجل كبر السن ﴿عتياً﴾ ييوسة وجفافاً كالعود اليابس من قولهم عتا العود إذا يبس وعتا الشيخ إذا كبر وهرم وولى ويقال لكل شيء انتهى قد عتا وإنما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافاً بأن المؤثر فيه كمال قدرته وأن الوسائط عند التحقيق ملغاة فأنى استعجاب واستبعاد من حيث العبادة لا من حيث القدرة.

قال الإمام فان قيل لم تعجب زكريا بقوله: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ مع أنه طلبه قلنا تعجب من أن يجعلهما شابين ثم يرزقها الولد أو يتركهما شيخين ويلدان مع الشيخوخة يدل عليه قوله تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ لَمْ زَوْجَكُمُ﴾ [الأنبياء: ٩٠، ٨٩] أي: أعدنا له قوة الولادة انتهى. وفي «الأسئلة المقحمة» أراد من التي يكون منه هذا الولد أمن هذه المرة وهي عاقر أم من امرأة أخرى أتزوج بها أو مملوكة.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ ﴿٩٠﴾

﴿قال﴾ الملك المبلغ للبشارة ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [همجنين است كه تو كفتی از پیری] وضعف أما ﴿قال ربك هو﴾ [ابن كاركه آفریدن فرزندانست درین سن ازین دو شخص] مع بعده في نفسه ﴿علي﴾ [برقدت من خاصة] ﴿هين﴾ [آسانست] أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع وأفتق رحم امرأتك بالولد كما في تفسير «الجلالين والكاشفي». وقال في «الإرشاد» الكاف في كذلك مقحمة كما في مثلك لا يبخل فمحلها النصب على أنه مصدر تشبيهي لقول الثاني وذلك إشارة إلى مصدره الذي هو عبارة عن الوعد السابق لا إلى قول آخر شبه هذا به وقوله: ﴿هو علي هين﴾ جملة مقررة للوعد المذكور دالة على إنجازه داخله في حيز قال الأول كأنه قيل قال الله مثل ذلك القول البديع قلت: أي مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو علي خاصة هين وإن كان في العادة مستحيلاً ويجوز أن يكون محل الكاف في كذلك الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وذلك إشارة إلى ما تقدم من وعده تعالى أي: قال عز وعلا أمر كما وعدت وهو واقع لا محالة وقوله: ﴿قال ربك﴾ استئناف. مقرر لمضمونه ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ من قبل يحيى في تضاعيف خلق آدم ﴿ولم تك﴾ إذ ذاك ﴿شيئاً﴾ أصلاً بل عد ما صرفا فخلق يحيى من البشرين اهون من خلقك مفردا والمراد خلق آدم لأنه انموذج مشتمل على جميع الذرية.

قال الإمام وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وقد خلقتك﴾ إلخ أن خلقه من العدم الصرف خلق للذات والصفات وخلق الولد من شيخين لا يحتاج إلا إلى تبديل الصفات والقادر على خلق الذات والصفات أولى أن يقدر على تبديل الصفات انتهى.

قال في «بحر العلوم» ولفظ الشيء عندنا يختص بالموجود وبالعكس، ونفي كون الشيء تقرير لعدمه فالآية دليل على أن المعدوم ليس بشيء.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ ﴿٩١﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿٩٢﴾

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ الجعل إبداعى وقيل بمعنى التصيير أي: علامة على وقوع الحبل لا تلقى تلك النعمة الجليلة بالشكر من حين حدوثها وهذا السؤال ينبغى أن يكون بعدما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روي أن يحيى كان أكبر من عيسى بستة أشهر أو ثلاث سنين ولا ريب في أن دعاء زكرياء كان في صغر مريم لقوله تعالى: ﴿هَٰئِلِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [آل عمران: ٣٨] وهي إنما ولدت عيسى وهي بنت عشر سنين أو ثلاث عشرة سنة كذا في «الإرشاد» والأسئلة المقحمة ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿آيتك أن لا تكلم الناس﴾ أي أن لا تقدر على أن تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح كما هو المفهوم من تخصيص الناس ﴿ثلاث ليال﴾ مع أيامهن للتصريح بها في سورة آل عمران ﴿سويا﴾ حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار أي: تمنع الكلام فلا تطبق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس قالوا: رجع تلك الليلة إلى امرأته فقربها ووقع الولد في رحمها فلما أصبح امتنع عليه الكلام الناس.

﴿فخرج﴾ صبيحة حمل امرأته ﴿على قومه من المحراب﴾ من المصلى أو من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرون أن يفتح لهم الباب فيدخلوه ويصلوا إذ خرج عليهم متغيراً لونه فأنكروه صامتاً وقالوا: ما لك يا زكريا ﴿فأوحى إليهم﴾ أي: أوماً إليهم لقوله تعالى: ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ [آل عمران: ٤١] ﴿أن سبحوا﴾ أن إما مفسرة لأوحى أو مصدرية والمعنى أي: صلوا أو بأن صلوا ﴿بكرة﴾ هي من طلوع الفجر إلى وقت الضحى ﴿وعشيا﴾ هو من وقت زوال الشمس إلى أن تغرب وهما ظرفا زمان للتسبيح.

عن أبي العالية أن المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر أو نزها ريكهم طرفي النهار وقولوا سبحان الله ولعله كان مأموراً بأن يسبح شكراً ويأمر قومه بذلك كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: هو الظاهر لأن معنى التسبيح في هذا الموضع تنزيه الله تعالى عن العجز عن خلق ولد يستبعد وقوعه من الشيخين لأن الله على كل شيء قدير وقد ورد في الاذكار «لكل أعجوبة سبحان الله».

وفي «التأويلات النجمية» في قوله: ﴿يا زكريا﴾ إلى ﴿بكرة وعشيا﴾ إشارة إلى بشارات: منها: أنه تعالى ناداه باسمه زكريا وهذه كرامة منه.

ومنها: أنه سماه يحيى ولم يجعل له من قبل سمياً بالصورة والمعنى أما بالصورة فظاهر وأما بالمعنى فإنه ما كان محتاجاً إلى شهوة من غير علة ولم يهّم إلى معصية قط وما خطر بباله همها كما أخبر عن حاله النبي عليه السلام وفي قوله: ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ إشارة إلى أنه تعالى يتولى تسمية كل إنسان قبل خلقه وما سمي أحد إلا بإلهام الله كما أن الله تعالى ألهم عيسى عليه السلام حين قال: ﴿وَبَشِّرْهُ بِرُسُولِي يُأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَهْدَى﴾ [الصف: ٦] وفي قوله: ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ الآية، إشارة إلى أن أسباب حصول الولد منفية من الوالدين بالعقر والكبر وهي من السنة الإلهية فإن من السنة أن يخلق الله الشيء من الشيء كقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] ومن القدرة أنه تعالى يخلق الشيء من لا شيء فقال: ﴿أنى يكون لي غلام﴾ أي: أمن السنة أم من القدرة فأجابه الله تعالى بقوله: ﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر لا يخلو من السنة أو القدرة وفي قوله: ﴿قال ربك هو عليّ هين﴾ إشارة إلى أن كلا الأمرين عليّ هين إن شئت أردت عليكما أسباب حصول الولد من القوة على الجماع وفتح الرحم بالولد كما جرت

به السنة وإن شئت أخلق لك ولداً من لا شيء بالقدره كما خلقتك من قبل ولم تك شيئاً أي: خلقت روحك من قبل جسدك من لا شيء بأمركن ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ۸۵] وهو أول مقدور تعلقت القدرة به، وفي «المثنوي»:

آب از جوشش همی کردد هوا وان هوا کردد ز سردی آبها
بلکه بی اسباب بیرون زین حکم آب رویانید تکوین از عدم
تو ز طفلی چون سببها دیده در سبب از جهل بر چفسیده
﴿يَبْحِثُ خُذِ الْكِتَابَ يَقُوْ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَتْ تَقِيًّا﴾ ﴿وَبَرًّا
بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ﴿١٤﴾

﴿یا یحیی﴾ علی إرادة القول أي: ووهبنا له یحیی وقلنا له یا یحیی. قال الکاشفی: [القصة سه روز بدین منوال گذشت پس بحال خود آمد ویحیی علیه السلام بعد از مزی مدت حمل متولد شد ودر کودکی پلاس پوشیده باحبار عبادت بطریق ریاضت موافقت می نمود تا وقتی که وحی بدو فرود آمد وازحق سبحانه وتعالی خطاب رسید که یا یحیی] ﴿خذ الكتاب﴾ أي: التوراة ﴿بقوة﴾ بجد واستظهار بالتوفیق والتأيید. قال فی «الجلالین» أي: أعطیتکها وقویتک علی حفظها والعمل بما فیها. قال المولی الجامی فی «شرح الفصوص»: لولا إمداد الحق زکریا وزوجته بقوة غیبیة ربانیة خارجة عن الأسباب المعتادة ما صلحت زوجته ولا تيسر لها الحمل ثم إنه كما سرت تلك القوة من الحق فی زکریا وزوجته تعدت منهما إلى یحیی ولذلك قال له الحق ﴿یا یحیی خذ الكتاب بقوة﴾. قال فی «الأسئلة المقحمة»: أي: دلیل فیها علی المعتزلة؟ الجواب أنه دلیل علی أن الاسم والمسمى واحد لأنه تعالی قال: ﴿اسمه یحیی﴾ ثم نادى الشخص فقال: ﴿یا یحیی﴾ ﴿وآتیناه الحكم﴾ حال کونه ﴿صبیاً﴾. قال ابن عباس: الحكم النبوة استنبأه الله تعالی وهو ابن ثلاث سنین أو سبع وإنما سمیت النبوة حکماً لأن الله تعالی أحکم عقله فی صباه وأوحى إلیه. وقیل: الحكم الحکمة وفهم التوراة والفقه فی الدین فهو بمعنى المنع ومنه الحاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم والحکمة ما يمنع الشخص من السفه.

- روي - أنه دعاه الصبيان إلى اللعب فقال: ما للعب خلقنا. قال الکاشفی: [درین سخن پندی عظیم است بیخبران بازیچه کاه غفلت راکه عمر عزیز ببازی میگذرانند وبدام فریب ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ﴾ [محمد: ۳۶] مقید شده اند]:

عمر ببازیجه بسر میبری پای باندازه بدر میبری
به که زبازی جهان پاکشی طفل نه چند ببازی خوشی
يقول الفقير: مثل یحیی علیه السلام فی هذه الأمة المرحومة الشیخ العارف المحقق سهل بن عبد الله التستري قدس سره فإنه تم له أمر السلوك من ثلاث سنین إلى سبع سنین كما سمعت من شیخی وسندی روح الله روحه یعنی وقع له الانکشاف والإلهام وظهر له الحال التام وهو ابن ثلاث سنین فکان ما کان إلى سبع فسبحان القادر وهذا من لطافة الحجاب وأما من کان کثیف الحجاب فیحتاج فی إزالته إلى مجاهدات شاقة فی مدة طويلة.

واعلم أن روح الكامل سریع التعلق ببدنه یعنی أن مادة النطفة تصل سریعاً إلى الأبوين

فيحصل العلوق والولادة على أحسن وصف وفي أعدل زمان فيجيء الولد غالباً عليه أحكام الوجوب اللهم أعنا على إزالة الحجب الظلمانية والنورانية واجعلنا مكاشفين للأنوار الربانية.

﴿وحنانا من لدنا﴾ عطف على الحكم وتنوينه للتفخيم وهو التحنن والاشتياق يقال حنّ أي: ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة أي: وآتيناه رحمة عظيمة عليه كائنه من جنابنا أو رحمة في قلبه وشفقة على أبويه وغيرهما ﴿وزكاة﴾ أي: طهارة من الذنوب. قال الإمام: لم تدعه شففته إلى الإخلال بواجب لأن الرأفة ربما أورثت ترك الواجب ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] فالمعنى جمعنا له التعطف عليهم مع الطهارة عن الإخلال بالواجبات انتهى. أو صدقة أي: تصدق الله به على أبويه أو وفقناه للتصدق على الناس ﴿وكان تقياً﴾ مطيعاً متجنباً عن المعاصي لم يعمل خطيئة ولم يهم بها قط.

﴿وبراً بالديه﴾ عطف على تقياً أي: باراً بهما لطيفاً بهما محسناً إليهما ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ متكبراً عاقاً لهما أو عاصياً لربه. قال في «بحر العلوم» الجبار المتكبر وقيل هو الذي يضرب ويقتل على الغضب لا ينظر في العواقب وقيل هو المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله.

﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾

﴿وسلام﴾ سلامة من الله تعالى وأمان ﴿عليه﴾ على يحيى أصله وسلمنا عليه في هذه الأحوال وهي أوحش المواطن لكن نقل إلى الجملة الاسمية للدلالة على ثبات السلام واستقراره فإن وحشتها لا تكاد تزول إلا بثبات السلام فيها ودوامه ﴿يوم ولد﴾ من رحم أمه من طعن الشيطان كما يطعن سائر بني آدم ﴿ويوم يموت﴾ بالموت الطبيعي من هول الموت وما بعده من عذاب القبر ﴿ويوم يبعث﴾ حال كونه ﴿حياً﴾ من هول القيامة وعذاب النار. وفيه إشارة إلى الولادة من أم الطبيعة والموت بالفناء عن مقتضيات الطبيعة في الله والبعث بالبقاء بعد الفناء. وقال ابن أبي عيينة أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال يوم ولد فيخرج مما كان ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلام في هذه المواطن.

واعلم أن زكريا إشارة إلى الروح الإنساني وامرأته إلى الجثة الجسدانية التي هي زوج الروح ويحيى إلى القلب وقد استبعد الروح بسبب طول زمان التعلق بالقلب أن يتولد له قلب قابل لفيض الألوهية بلا واسطة كما قال: «لا يسعني أرضى ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن» وهو الفيض الأزلي لم يؤت لواحد من الحيوانات والملائكة كما قال المولى الجامي:

ملائك را چه سود از حسن طاعت چو فيض عشق بر آدم فرو ريخت

ثم إنه لما بشر بولادة القلب الموصوف بما ذكر طلب آية يهتدي بها إلى كيفية حمل القلب العاقر بالقلب الحي الذي حيى بنور الله تعالى قال: ﴿آيتك أن لا تكلم الناس﴾ أي: لا تخاطب غير الله ولا تلتفت إلى ما سوى الله ثلاث ليال وبها يشير إلى مراتب ما سوى الله وهي ثلاث: الجمادات، والحيوانات، والروحانيات، فإذا تقرب إلى الله تعالى بعدم الالتفات إلى ما سواه يتقرب إليه بموهبة الغلام الذي هو القلب الحي بنوره فخرج زكريا الروح من محراب هواه وتبعه على قوم صفات نفسه وقلبه وأنانيته فقال: كونوا متوجهين إلى الله معرضين عما سواه آناء

الليل وأطراف النهار بل بكرة الأزل وعشي الأبد فلما ولد له يحيى القلب قيل له يا يحيى خذ كتاب الفيض الإلهي بقوة ربانية لا بقوة إنسانية لأنه خلق الإنسان ضعيفاً وهو عن القوة بمعزل وأن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فجاء صاحب علم وحكمة ورحمة وطهارة من الميل إلى ما سوى الله واتقاء ﴿وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصياً﴾ كالنفس الأمارة بالسوء أما بره بوالد الروح فتنويره بنور الفيض الإلهي إذ هو محل قبول الفيض لأن الفيض الإلهي وإن كان نصيب الروح أو لا ولكن لا يمسكه للطافة الروح بل يعبر عنه الفيض ويقبله القلب ويمسكه لأن فيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه كما لا هي أن الشمس فيضها يقبل الهواء لصفائه ولكن لا يمسكه للطافة الهواء فأما المرة فتقبل فيضها بصفائها وتمسكه لكثافتها وهذا أحد أسرار حمل الأمانة التي حملها الإنسان ولم تحملها الملائكة وأما برّه بوالدة القلب فباستعمالها على وفق أوامر الشرع ونواهيه لينجيها من عذاب القبر ويدخلها الجنة كذا في «التأويلات النجمية» باختصار. قال بعض الأولياء: كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أنا أخوك الخضر فقلت له: أريد أن أسألك قال: سل قلت: بأي وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي. فعلى العاقل أن يكون باراً بوالديه مطلقاً أنفسين أو أفاقين فإن البر يهدي إلى الجنة ودار الكرامة ويشر في شدائد الأحوال بالأمن والأمان وأنواع السلامة.

﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مَرَمَ إِذْ أَنْبَأْتُ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧﴾ قَالَتْ إِنَّهُ عَوْدٌ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝١٩﴾

﴿واذكر﴾ يا محمد للناس ﴿في الكتاب﴾ أي: القرآن أو السورة الكريمة فإنها بعض من الكتاب فصح إطلاقه عليها ﴿مريم﴾ على حذف المضاف أي: خبر بنت عمران وقصتها فإن الذكر لا يتعلق بالأعيان ومريم بمعنى العابدة قال بعض العلماء في حكمة ذكر مريم باسمها دون غيرها من النساء أن الملوك والأشراف لا يذكرون حرائرهم في ملاء ولا يتنزلون أسماءهن بل يكونون عن الزوجة بالعرس والعيال والأهل ونحو ذلك فإذا ذكروا الإماء لم يكونوا عنهن ولم يصونوا أسماءهن عن الذكر والتصريح بها فلما قالت النصارى في حق مريم ما قالت وفي ابنها صرح الله تعالى باسمها ولم يكن عنها تأكيداً للأموّة والعبودية التي هي صفة لها وإجراء للكلام على عادة العرب في ذكر إمائهم ومع هذا فإن عيسى عليه السلام لا أب له واعتقاد هذا واجب فإذا تكرر ذكره منسوباً إلى الأم استشعرت القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه وتنزيه الأم الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله تعالى كذا في «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي. وقال في «أسئلة الحكم»: سميت مريم في القرآن باسمها لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل فذكرت باسمها كما يذكر الرجال من موسى وعيسى ونحوهما عليهم السلام وخطبت كما خطب الأنبياء كما قال تعالى: ﴿يَمْرَأَةُ أَقْنَىٰ لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] ولذا قيل: بنيتها ﴿إذ أنبتت﴾ ظرف لذلك المضاف من النبذ وهو الطرح والانتباز افتعال منه ﴿من أهلها﴾ من قومها متعلق بانتبذت ﴿مكاناً شرقياً﴾ مفعول له باعتبار ما في ضمنه من معنى الإتيان. قال الحسن ومن ثمة اتخذ النصارى المشرق قبلة كما

اتخذ اليهود المغرب قبلة لأن الميقات وإيتاء التوراة واقعاً في جانب الجبل الغربي كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْفَرْقِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ [القصص: ٤٤] والمعنى حين اعتزلت وانفردت وتباعدت من قومها وأنت مكاناً شرقياً من دار خالتها ايشاع زوجة زكريا فإن موضعها كان المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها وإذا طهرت عادت إلى المسجد فاحتاجت يوماً إلى الاغتسال وكان الوقت وقت الشتاء فجاءت إلى ناحية شرقية من الدار وموضع مقابل للشمس.

﴿فاتخذت من دونهم﴾ أي: أرخت من أدنى مكان أهلها. قال الكاشفي: [از پيش ايشان يعني از سوى ايشان] ﴿حجاباً﴾ سترأ تستر به. قال الكاشفي: [برده كه مانع باشد ازديدن] فبينما هي في مغتسلها وقد تطهرت ولبست ثوبها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ أي: جبريل فإنه كان روحانياً فأطلق عليه الروح للطافته مثله ولأن الدين يحيى به. وقال بعض الكبار جبرائيل هو الروح حقيقة باعتبار حقيقته المجردة مجازاً باعتبار صورته المثالية ومن خصائص الأرواح المجردة التي من صفاتها الذاتية الحياة ومن شأنها التمثل بالصور المثالية لأنها لا تمس شيئاً في حال تمثيلها إلا حيى ذلك الشيء وسرت منها الحياة فيه ولذا قبض السامري قبضة تراب من أثر بـاف جبرائيل فنبذها في صورة العجل المتخذة من حلي القوم فخار العجل بسرارية الحياة فيه وقيل سماه روحاً مجازاً محبة له وتقريباً كقولك أنت روحي لمن تحب ﴿فتمثل لها﴾ [پس متمثل شد جبريل برای مريم] يعني فتشبه لأجلها فانتصاب قوله: ﴿بشراً﴾ على أنه مفعول به ﴿سويّاً﴾ تام الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئاً وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع استماع كلامه ولأنه جاء للنفخ المنتج للبشر فتمثل بشراً ولو جاء على صورة الملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين كما لا يخفى. وفيه إشارة إلى أن القربان بعد الطهر التام أظهر والولد إذن أنجب فافهم.

وفي «التأويلات»: الروح هو نور كلمة الله التي يعبر عنها بقوله كن وإنما سمي نور كلمته روحاً لأنه به يحيى القلوب الميتة كما قال: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية فتارة يعبر عن الروح بالنور وتارة يعبر عن النور بالروح كقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] الآية فأرسل الله إلى مريم نور كلمة كن فتمثل لها بشراً سويّاً كما تمثل نور التوحيد بحروف لا إله إلا الله والذي يدل على أن عيسى من نور الكلمة قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أي: نور من لقائه فلما تمثلت الكلمة بالبشر أنكرتها مريم ولم تعرفها فاستعادت بالله منه.

﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياد به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها. قال في «الكشاف»: دل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ﴿إن كنت تقيا﴾ تتقي الله وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقة بدلالة السياق عليه أي: فأني عائدة به. وقال الكاشفي: [يعني تومتقى ومتورعى من از توپر هيز ميكنم وپناه بحق ميبرم فكيف كه چنين نباشى]. قال الشيخ في تفسيره: وإنما قالت ذلك لأن التقى يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف

بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال في «التأويلات النجمية» يعني: أنك إن كنت تقياً من أهل الدين تعرف الرحمن فلا تقربني بعوذي به وإن كنت شقياً لا تعرف الرحمن فأتعوذ منك بالخلق فأجابها.

﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾ يريد أنني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لأهب لك غلاماً﴾ أي: لأكون سبباً في هبته بالنفخ في الدرع ﴿زكياً﴾ طاهراً من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الإنسانية.

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ﴿٥٧﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ ﴿٥٨﴾

﴿قالت﴾ استبعاداً ظاهراً أي: متعجبة من حيث العادة لا مستبعدة من حيث القدرة ﴿أنى يكون لي﴾ [چگونه بودمرا] ﴿غلام﴾ كما وصف ﴿ولم يمسسني بشر﴾ أي: والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل فإن المس كناية عن الوطء الحلال أما الزنى فإنما يقال خبث بها أو فجر أو زنى وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها عن مبادي الولادة ﴿و﴾ الحال أنه ﴿لم أك بغياً﴾ فعول بمعنى الفاعل أصله بغوياً. قال الشيخ في «تفسيره»: ولم يقل بغية لأنه وصف غالب على المؤنث كحائض أي: فاجرة تبغي الرجال. وبالفارسية [زنا كار وجوينده فجور] يريد نفى الوطء مطلقاً وأن الولد إما من النكاح الحلال أو الحرام أما الحلال فلأنها لم يمسه بشر وأما الحرام فلأنها لم تك بغياً فإذا انتفى السببان جميعاً انتفى الولد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولم يمسسني بشر﴾ قبل هذا ﴿ولم أك بغياً﴾ ليمسسني بشر بعد هذا بالزنى أو بالنكاح لأنني محررة محرم عليّ الزوج.

﴿قال كذلك﴾ أي: الأمر كما قلت. وبالفارسية: [يعني چنین است كه توميكوبی هیچ كس بنكاح وسفاح ترامس نكرده است] فأما ﴿قال ربك﴾ الذي أرسلني إليك ﴿هو﴾ أي: ما ذكرت من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلاً ﴿علي﴾ خاصة ﴿هين﴾ يسر وإن كان مستحيلاً عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قال كذلك﴾ الذي تقولين ولكن ﴿قال ربك هو علي هين﴾ أن أخلق ولداً من غير ماء مني والد فإني أخلقه من نور كلمة كن كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿ولنجعله﴾ أي: ونفعل ذلك لنجعل وهب الغلام ﴿آية للناس﴾ وبرهاناً يستدلون بها على كمال قدرتنا فالواو اعتراضية أو لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله الخ.

وفي «التأويلات النجمية» ﴿آية﴾ أي: دلالة على قدرتي بأني قادر على أن أخلق ولداً من غير أب كما أني خلقت آدم من غير أب وأم وخلقت حواء من غير أم ﴿ورحمة﴾ عظيمة كائنة ﴿منا﴾ عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وبين قوله: ﴿ورحمة منا﴾ وقوله: ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾ فرق عظيم وهو أنه تعالى إذا أدخل عبداً في رحمته يرحمه ويدخله الجنة ومن جعله رحمة منه يجعله متصفاً بصفته وكذا بين قوله: ﴿رحمة منا﴾ وقوله في حق نبيينا عليه السلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] أبداً أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جداً كذا في «التأويلات

النجمية» ﴿وكان﴾ خلقه بلا فحل ﴿أمرًا مقضيا﴾ قضيت به في سابق علمي وحكمت بوقوعه لا محالة فيمتنع خلافه فلا فائدة في الحزن وهو معنى قوله: «من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب». يقول الفقير: ذلك أن العلم تابع للمعلوم فكل ما يقتضيه من الأحوال فالله تعالى يظهره بحكمته وخلق عيسى عليه السلام على الصفة المذكورة كان في الأزل بمقتضى الحكمة القديمة مقدراً فجميع الأعيان وما يتبعها من الأحوال المختلفة داخلية تحت الحكمة فمن كوشف عن سر هذا المقام هانت عليه المصائب والآلام إذ كل ما نبت في مزرعة الوجود الخارجي فهو من بذر الحكم الأزلي على حسب تفاوت الاستعدادات كتفاوت المزارع فمن وجد خيراً فيحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، قال الحافظ:

نمی کنم کله لیکن ابر رحمت دوست بکشت زار جگر تشنکان ندانمی
أی: لا أشتكي من هذا المعنى فإنه من مقتضى ذاتي، وقال:

درین چمن مکنم سرزنش بخود رویی چنانکه پرورشم میدهند ومیرویم
أی: لا تثريب علي في هذا المعنى فإنه من قضاء الله تعالى. قال الإمام أبو القاسم القشيري قدس سره: سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في آخر عمره وقد اشتدت به العلة من أمارات التأيد حفظ التوحيد في أوقات الحكم ثم قال كالمفسر لفعله مفسراً لما كان فيه من حاله هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة وأنت شاکر حامد انتهى. فقصه مريم من جملة أحكام الله تعالى ولذا عرفت الحال لأنها كانت صديقة وصبرت على أذى القوم وشماتتهم وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضي اصطفاه» فالواجب على العبد الحمد على البلية لما تضمنته من النعمة فإن فقد فالصبر وكلاهما من طريق العبودية وإذا وقف مع الجزع المستفاد من وجود الشفقة على نفسه فهو من غلبة الهوى. قال أحمد بن حنبل قدس سره الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العمى وفي الحديث خطاباً لابن عباس رضي الله عنهما «إن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل وإلا ففي الصبر على ما تكره خير كثير». قال في «شرح الحكم العطائية» ثم إذا تأملت ظهر لك أن التحقق بالمعرفة منطوق في وجود البلايا إذ ليست المعرفة إلا بتحقيق أوصافه تعالى حتى يفنى في أوصافه كل شيء من وجودك فلا يبقى لك عز مع عزه ولا غنى مع غناه ولا قدرة مع قدرته ولا قوة مع قوته وهذا يتحقق لك بوجود البلية إذ هي مشعرة بقهر الربوبية فافهم هذا وفقنا الله وإياكم للتحقق بحقيقة الحال والتمكن في مقام الصبر والحمد على جميع الأحوال، وفي «المثنوي»:

صد هزاران کیمیا حق آفرید کمیایى همچو صبر آدم ندید
وذلك لأن بالبلاء تحترق الأوصاف الرديئة الخلقية وبالصبر يحصل الأخلاق الإلهية والصفات الحقية.

﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾ ﴿فَلَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِئِجِ النَّخْلِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِثُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾ ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ ﴿٢٢﴾

﴿فحملته﴾ قال ابن عباس - رضي الله عنهما - فاطمأنت مريم إلى قول جبريل فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة إلى بطنها فحملت عيسى عقيب النفخ. يقول الفقير:

وصول النفخ إلى الجوف لا يحتاج إلى منفذ من المنافذ كالفم ونحوه ألا ترى أن الروح حين دخل جسد آدم دخل من اليافوخ وهو وسط الرأس إذا اشتد وقبل اشتداده كما في رأس الطفل يقال له الفادية بالفاء ثم نزل إلى العينين ثم إلى الفم ثم إلى سائر الأعضاء.

واعلم أن لعيسى عليه السلام جهة جسمانية وجهة روحانية وأحدية جمع للجهتين فإذا نظر إلى جهة الجسمانية يظن أنه تكون من ماء مريم وإذا نظر إلى جهة الروحانية وآثارها من إحياء الموتى وخلق الطير من الطين يحكم أنه من نفخ جبريل وإذا نظر إلى أحدية جمعها يقال إنه تكون منهما فالتحقيق أن الملك لما تمثل لها بشراً سوياً نزل الماء منها إلى الرحم لشدة اللذة بالنظر إليه فتكون عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة منها فهو من ماء أمه فقط خلافاً للطبعيين فإنهم ينكرون وجود الولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر. فإن قلت: قد ثبت أن ماء الرجل يكون منه العظم والعصب وماء المرأة يكون منه اللحم والدم فكيف جاء عيسى مركباً من هذه الأجزاء؟ قلت: خروجه على الصورة البشرية كامل الأجزاء إنما هو من أجل أمه لأن ماءها محقق ومن أجل تمثل جبريل في صورة البشر فإنه إنما مثل في صورة البشر حتى لا يقع التكوين في هذا النوع الإنساني إلا على الحكم المعتاد الذي جرت به العادة غالباً وهو تولده من شخصين إنسانين وقد توهمت في النفخ الماء فحصل الماء المتوهم أيضاً ووجود بعض الأشياء قد يترتب على توهمه كترتب السقوط عن الجذع على توهمه ولأجل تكونه من نفخ جبريل طالبت إقامته في صورة البشر لأن للأرواح صفة البقاء.

- روي - أن مولد عيسى عليه السلام كان قبل مولد نبينا عليه السلام بخمسمائة وخمس وخمسين سنة وقد بقي بعد وسينزل ويدعو الناس إلى دين نبينا عليه السلام. قال بعض الكبار: لو لم يتمثل جبريل عند النفخ بالصورة البشرية لظهر عيسى على صورة الروحانيين ولو نفخ فيها وقت الاستعاذة على الحالة التي كانت عليها من تحرّج صدرها وضجرتها لتخيلها أنه بشر يريد موافقتها على وجه لا يجوز في الشرائع لخرج عيسى بحيث لا يطيقه أحد لشكاسة خلقه أي: رداءه لسراية حال أمه فيه لأن الولد إنما يتكوّن بحسب ما غلب على الوالدين من المعاني النفسانية والصور الجسمانية. نقل في الأخبار: أن امرأة ولدت ولداً صورته صورة البشر وجسمه جسم الحية فلما سئلت عنها أخبرت أنها رأت حية عند المواقعة، وأن امرأة ولدت ولداً له عين أربع ورجلان كرجل الدب وكانت قبضية جامعها زوجها وهي ناظرة إلى دبين كانا عند زوجها فلما قال لها جبريل: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ جثت من عنده ﴿لَأَهْبَ لَكَ غَلَامًا زَكِيًّا﴾ انبسطت عن ذلك القبض لما عرفت أنه مرسل إليها من عند ربها وانشرح صدرها لما تذكرت بشارة ربها إياها بعيسى ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِكَلِمَةٍ يَكُونُ مِنْهُ نَسَبٌ مَبْرُورٌ﴾ [آل عمران: ٤٥] فنفخ فيها في حين الانبساط والانشراح فخرج عيسى منبسطاً منشرح الصدر لسراية حال أمه فيه. ولذا قالوا: يتفكر عند الجماع الأقوياء ويمثل بين عينيه صورة رجل على أحسن خلقه وأقوم جثة وأفضل خلق وأكمل حال قالوا: حملته وسنها وقتئذ ثلاث عشرة سنة وقد حاضت حيضتين قبل أن تحمل. واختلف في مدة حملها كما اختلف في مدة حمل آمنة والدة النبي عليه السلام. ففي رواية عن ابن عباس كانت مدة الحمل والولادة ساعة واحدة وجعله بعضهم أصح لأن عيسى كان مبدعاً ولم يكن من نطفة يدور في أحوال الخلقة ويؤيده عطف قوله ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ بالفاء التعقيبية.

يقول الفقير: القول بأن مثل هذه الفاء قد يدل على ترتيب الحكم وعدم تكونه من نطفة ظاهرة البطلان لأنه من ماء محقق وماء متوهم كما سبق وكونه من المبدعات بلا سبب ظاهر لا يستلزم أن يكون جميع أحواله بطريق خرق العادة. وفي رواية أخرى عنه كانت تسعة أشهر كحمل أكثر النساء إذ لو كان أقل لذكر ههنا في جملة مدائحها وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية إلا عيسى وكان ذلك آية أخرى. قال الحكماء في بيان سبب ذلك: أن الولد عند استكمال سبعة أشهر يتحرك للخروج حركة عنيفة أقوى من حركته في الشهر السادس فإن خرج عاش وإن لم يخرج استراح في البطن عقيب تلك الحركة المضغفة فلا يتحرك في الشهر الثامن ولذلك تقل حركته في البطن في ذلك الشهر فإذا تحرك للخروج وخرج فقد ضعف غاية الضعف فلا يعيش لاستيلاء حركتين مضغفتين له مع ضعفه. وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره لم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش وعلى فرض أن يعيش يكون معلولاً لا ينتفع بنفسه وذلك لأن الشهر الثامن يغلب فيه على الجنين البرد واليبس وهو طبع الموت **﴿فانتبذت به﴾** الباء للملابسة والجار والمجرور في حيز النصب على الحالية أي: فاعتزلت ملتبسة به أي: وهو في بطنها كقوله تنبت بالدهن أي: تنبت ودهنها فيها **﴿مكانا قصياً﴾** مفعول انتبذت على تضمين معنى الإتيان كما سبق أي: أتت مكاناً بعيداً من أهلها. قال الكاشفي: [مكانى دورز شهر ايليا كويند بكوهى رفت درجانب شرقي از شهرىا بواى بيت لحم كه شش ميل دور بود از ايليا] وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديث الإسراء: «فقال لي جبريل أنزل فصل فصلت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم» وهو حديث صحيح أو حسن رواه النسائي والبيهقي في «دلائل النبوة» أو أقصى الدار وهو الأنسب لقصر مدة الحمل كما في «الإرشاد». وقال في «قصص الأنبياء»: لما دنت ولادة مريم خرجت في جوف الليل من منزل زكريا إلى خارج بيت المقدس وأحبت أن لا يعلم بها زكريا ولا غيره.

﴿فأجاءها﴾ تعدية جاء بالهمزة أي: جاء بها واضطرها **﴿المخاض﴾** وجع الولادة. وبالفارسية [درد زادن] يقال مخضت المرأة إذا تحرك الولد في بطنها للخروج **﴿إلى جذع النخلة﴾** لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة إذ لم تكن لها قابلة تعينها. وقال في القصص: رأت نخلة يابسة في جوف الليل فجلست عند أصلها.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾** لإظهار المعجزة في الجذع انتهى. والجذع ما بين العرق والغصن أي: أسفلها ما دون الرأس الذي عليه الثمر وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء ولعله تعالى ألهمها ذلك ليربها من آياته ما يسكن روعتها فإن النخلة اليابسة التي لا رأس لها قد أثمرت في الشتاء وهي أقل شيء صبراً على البرد وثمرها إنما هو من جمارها بعد اللقاح والجمار رأس النخلة وهو شيء أبيض لين وليطعمها الرطب الذي هو خرست النفساء الموافقة لها والخرسة بالتاء طعام النفساء وبدونها طعام الولادة **﴿قالت يا ليتني مت﴾** [كفت كاشكى من مردمى] وهو بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرىء بضمها من مات يموت **﴿قبل هذا﴾** اليوم أو هذا الأمر كما في «الجلالين» وإنما قالته مع أنها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل من الوعد الكريم استحياء من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله وخوفاً من ملامتهم وحذراً من وقوع

الناس في المعصية بما تكلموا فيها أو جرياً على سنن الصالحين عند اشتداد الأمر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه أنه أخذ تبنة من الأرض فقال: يا ليتني هذه التبنة ولم أكن شيئاً وعن بلال أنه قال: ليت بلالاً لم تلده أمه.

فقلولي تارة يا رب زدني وأخرى ليت أمني لم تلدني وفي «التأويلات النجمية»: ﴿قبل هذا﴾ أي: قبل هذا الحمل فإنه بسبب حملي ولدي يدخل الله النار خلقاً عظيماً لأن بعضهم يتهمني بالزنى وبعضهم يتهم ولدي بآب الله ﴿وكنتم﴾ [ويودمي] ﴿نسيا﴾ شيئاً حقيراً شأنه أن ينسى ولا يعتد به أصلاً ﴿منسيا﴾ لا يخطر ببال أحد من الناس وهو نعت للمبالغة.

وفي «التأويلات»: ﴿نسيا منسيا﴾ في العدم لا يذكرني الله بالإيجاد. وقال الكاشفي: [يعني هيجكس مرا ندانستی وازمن حساب نداشتی و حال آنکه همه اخبار بیت المقدس مرا می شناسند که دختر امام ایشانم در کفالت زکریا بوده ام وهنوز بکارت من زائل نشده وشوهری نکرده ام واکنون فرزند می زایم واز خجالت آن حال نمی دانم چه کنم]:

هرچند بروی کار درمینکرم محنت زده چو خود نمی بینم من ﴿فناداها﴾ أي: جبرائیل حین سمع جزعها لأن عیسی لم یتکلم حتی أتت به قومها ﴿من تحتها﴾ من مکان أسفل منها تحت الأکمة. وقال في «القصص»: من تحت النخلة. وفي «الأسئلة المقحمة» قرىء بفتح الميم يعني به عيسى لما خرج من البطن ناداها ﴿أن لا تحزني﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لا تحزني بولادة عيسى وبمكان القحط [وتمنای مړك مكن] أو مصدرية على حذف الباء تقديره بأن لا تحزني. والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار ﴿قد جعل ربك تحتك﴾ أي: في مكان أسفل منك ﴿سرياً﴾ نهراً صغيراً على ما فسره النبي عليه السلام. قال ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل ضرب برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب فجرى جدولاً. وقال بعض أرباب الحقيقة: أنبا عيسى عن نبوته في المهد بقوله: ﴿ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي بَيْتًا﴾ [مريم: ٣٠] وفي بطن أمه بقوله: ﴿لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ أي: سيداً على القوم بالنبوة انتهى. فيكون من السرو وهو السؤدد.

﴿وَهَزَى إِلَيْكَ بِجَنَاحِ النَّخْلَةِ سُلِّطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا﴾

﴿وهزي﴾ هز الشيء تحريكه إلى الجهات المتقابلة تحريكاً عنيفاً متداركاً والمراد ههنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ أي: إلى جهتك ﴿بجذع النخلة﴾ الباء صلة للتأكيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] قال الفراء: تقول العرب هزه وهز به ﴿نساقط﴾ أي: تسقط النخلة ﴿عليك﴾ إسقاطاً متواتراً حسب تواتر الهمز ﴿رطباً﴾ [خرماى تازه] ﴿جنياً﴾ وهو ما قطع قبل يسه فاعيل بمعنى مفعول أي: رطباً مجنياً أي: صالحاً للاجتماع قد بلغ الغاية. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف أمرها بهز النخلة ههنا وقبل ذلك كان زكريا يجد رزقها في المحراب فالجواب أنها في حالة الطفولية كانت بلا علاقة أوجبت العناء والمشقة. وقال في «أسئلة الحكم» ما الحكمة في أمرها بالهز قيل لأنها تعجبت من ولد بغير أب فأراها الرطب من نخل يابس آية منه تعالى كيلا تتعجب منه. وأما سر كون الآية في النخلة فلأنها خلقت من طينة آدم وفيها نسبة معنوية لحقيقة الإنسانية دون غيرها لعدم حصولها بغير

زوج ذکر یسمى بالتأبیر وقال: لم أجرى الله النهر بغير سعی مريم ولم يعطها الرطب إلا بسعيها؟ قيل: لأن الرطب غذاء وشهوة والماء سبب للطهارة والخدمة وقيل ثمرة الرطب صورة العمل الكسبي والماء صورة سر الفيض الإلهي فأجرى كل شيء في منزله ومقامه لأن كل كرامة صورة عمل السالك إذا تحقق وتخلق به وقيل جرت عادة الله تعالى في الرطب بأسباب العمل كالغرس والسقي والتأبیر والماء ليس له سبب أرضي بل هو وهبي سماوي ولذا أجرى النهر لمريم بغير سبب.

﴿فَكُلِّي وَاشْرَبِي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنِ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنسِيًّا﴾ (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤُكُمْ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

﴿فكلي﴾ من ذلك الرطب ﴿واشربي﴾ من ماء السري وكان ذلك إرهاباً لعيسى أو كرامة لأمه وليس بمعجزة لفقد شرطها وهو التحدي كما في «بحر العلوم». قال الإمام في تفسيره قدم الأكل لأن حاجتها إليه أشد من حاجتها إلى الماء لكثرة ما سال منها من الدماء. فإن قيل مضرة الخوف أشد لأنه ألم الروح والجوع والعطش ألم البدن ونقل أنه أجمع شاة ثم قدم إليها العلف وربط عندها ذئب فلم تأكل ثم أبعد الذئب وكسر رجلها فتناولت فدل على أن ألم الخوف أشد فلم أخرج الله سبحانه دفع ضرره. قلنا: كان الخوف قليلاً لبشارة جبريل فلم يحتج إلى التذكير مرة أخرى انتهى. قالوا: التمر للنساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وهو بالفارسية [كام كودك بمالیدن] يقال حنك الصبي مضغ تمرأ أو غيره فذلك بهنكه وقالوا: كان من العجوة وهي بالحجاز أم التمر كما في «القاموس» وفي الحديث: «إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل الرطب فإن لم يكن رطب فتمر فإنه لو كان شيء أفضل منه لأطعمه الله تعالى مريم بنت عمران حين ولدت عيسى». قال الربيع بن خيثم: ما للنساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل ﴿وقري عينا﴾ وطيب نفسي وارضضي عنها ما أحزنك وأهمك فإن الله تعالى قد نزه ساحتك بالخوارق من جري النهر واخضرار النخلة اليابسة وإثمارها قبل وقتها لأنهم إذا رأوا ذلك لم يستبعدوا ولادة ولد بلا فحل واشتقاقه من القرار فإن العين إذا رأت ما يسر النفس سكنت إليه من النظر إلى غيره يقال أقر الله عينك أي: صادف فؤادك ما يرضيك فيقر عينك من النظر إلى غيره. قال في «القاموس»: قرت عينه تقر بالكسر والفتح قرّة ويضم وقروراً بردت وانقطع بكاؤها أو رأت ما كانت متشوفة إليه انتهى. أو من القر بالضم وهو البرد فإن دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرّة العين وسخنة العين للمحبوب والمكروه. وقال الكاشفي: [وقري عينا] وروشن ساز چشم را بفرزند یاخود بسبز شدن درخت وبر دادن او که مناسبت باحال تو دارد چه آنکه قادراست بر اظهار خرما از درخت یابس قدرت دارد بر ایجاد ولد از مادری پدر وحق سبحانه وملائکه فرستاد تابکرد مريم در آمدند وچون عيسى عليه السلام متولد شد اورا فرا گرفته پشستند ودرحریر بهشت پیچیده درکنار مريم نهادند] قالوا: ما من مولود يستهل غيره [وندا رسید] ﴿فإما ترين من البشر أحدا﴾ أي: فإن ترى آدمياً كائناً من كان وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وهي بمنزلة لام القسم في أنها إذا دخلت على الفعل دخلت معها النون المؤكدة ﴿فقللي﴾ له إن استنطقك أي: سألك على ولدك [يعني پرسند این فرزند از کجاست] ولأمك عليه ﴿إني نذرت﴾ أوجبت على نفسي ﴿للمرحمن

صوماً أي: صمتاً أو صياماً وكان صيام المجتهدين من بني إسرائيل بالإمساك عن الطعام والكلام حتى يمسي وقد نسخ في هذه الأمة لأنه عليه السلام نهى عن صوم الصمت. قال في أبحار الأذكار السكوت في وقته صفة الرجال كما أن النطق في موضعه شرف الخصال:

اكرچه پيش خرمند خامشی ادبست بوقت مصلحت آن به كه درسخن كوشی
دوچیز طیره عقلست دم فرو بستن بوقت كفتن وكفتن بوقت خاموشی

وأما إثارة أصحاب المجاهدة السكوت فلعلمهم بما في الكلام من حظ النفس وإظهار صفات المدح والميل إلى حسن النطق. فأما صمت الجاهلية فمنهي عنه كما ورد لا يتم بعد الاحتلام ولا صمات يوم إلى الليل فكان أهل الجاهلية من نسكهم اعتكاف يوم وليلة بالصمات فنهوا في الإسلام عن ذلك وأمرُوا بالحديث بالخير والذكر. يقول الفقير: إن المنهي عنه هو السكوت مطلقاً. وأما السكوت عن كلام الناس مع ملازمة الذكر فمقبول بل مأمور به ولذا جعل دوام السكوت أحد الشرائط الثمان فصحة الانقطاع وفائدة السلوك إنما تحصل به وباخواته **«فلن أكلم اليوم إنسياً»** [پس سخن نخواهم كفت امروز باهیچ آدمی بلکه باملائكه وباحق سخن میگویم ومناجات میكنم] أمرت بأن تخبر بنذرهما بالإشارة فالمعنى قولي ذلك بالإشارة لا باللفظ. قال الفراء: العرب تسمي كل وصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد لم يكن إلا حقيقة الكلام وإنما أمرت بذلك لكراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتماء بكلام عيسى أنه قاطع لظعن الطاعن والرائب في براءة ساحتها وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى فتكلم ببراءة أمه وهو في المهد وفيه أن السكوت عن السفیه واجب ومن أذل الناس سفیه لم يجد مسافهاً، قال الصائب:

درجنك میكنند لب خاموش كار تیغ داد جواب مردم نادان چه لازمست
وقال:

باكران جانان مكو حرف كران تانشنوی كوه در رد صدا بی اختیار افتاده است
ومن بلاغات الزمخشري: ما قدع السفیه بمثل الإعراض وما أطلق عنانه بمثل العراض سورة السفیه تكسرهما الحلماء والنار المضطربة يطفئها الماء يعني أن سورة السفیه كالنار المضطربة ولا يطفأها إلا الحلم كما لا يطفئ النار إلا الماء والنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله. وفي الآية: إشارة إلى الصوم عن الالتفات لغير الله تعالى كما قال بعض الكبار الدنيا يوم ولنا فيه صوم ولا يكون إفطاره إلا على مشاهدة الجمال. فعلى السالك أن ينقطع عن عالم الناسوت ويقطع لسانه عن غير ذكر اللاهوت حتى يحصل قطع الطريق والوصول إلى منزل التحقيق وكما أن مريم هزت النخلة فأسقطت عليها رطباً جنيماً فكذا مريم القلب إذا هزت بنخلة الذكر وهي كلمة «لا إله إلا الله» تسقط عليها من المشاهدات الربانية والمكاشفات الإلهية ما به يحصل التمتع التي هي مشارب الرجال البالغين كما كان حال النبي ﷺ يقول: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني» اللهم اجعلنا من الذين كوشفوا عن وجه حقيقة الحال ووصلوا إلى تجليات الجمال والجلال.

«فأتت به قومها» والباء بمعنى مع أي: جاءتهم مع ولدها راجعة إليهم عندما ظهرت من نفاسها وجعلها الكاشفي للتعديّة حيث قال: [پس آورد مريم عيسى را]. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنها خرجت من عندهم حين شرقت الشمس وجاءتهم عند الظهر ومعها

صبي ﴿تحمله﴾ في موقع الحال أي: حاملة له.

- روي - أن زكريا اقتقد مريم فلم يجدها في محرابها فاغتم غماً شديداً وقال لابن خالها يوسف: اخرج في طلبها فخرج يقص أثرها حتى لقيها تحت النخلة فلما رجعت إلى قومها وهم أهل بيت صالحون وزكريا جالس معهم بكوا وحزنوا ثم ﴿قالوا﴾ موبخين لها ﴿يا مريم لقد جئت شيئا﴾ على حذف الباء من شيئا ومآله فعلت شيئا ﴿فريا﴾ أي: عظيماً بديعاً منكراً مقطوعاً بكذبه من فري الجلد إذا قطعه. والفرية بالكسر الكذب والفري الأمر المختلق المصنوع أو العظيم وهو يفري الفري يأتي بالعجب في عمله. وفي «الأختري»: أنه من الأضداد يجيء بمعنى الأمر الصالح والسيئ. قال الكاشفي: [چیزی شکفت یا زشت که در میان اهل بیت مثل این واقع نبوده].

﴿يَا أُخْتُ هَٰؤُلَاءِ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ۖ فَاسْأَرْتِ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ تُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ۖ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾

﴿يا أخت هارون﴾ روي عن النبي عليه السلام أنهم إنما عنوا به هارون النبي عليه السلام وكانت من أعقاب من كان معه في مرتبة الأخوة وذلك بأن تكون من أخت هارون أو أخيه وكان بينها وبينه ألف وثمانمائة سنة وقيل كان هارون أخاها من أبيها وكان رجلاً صالحاً وقيل هو أخو موسى نسبت إليه بالأخوة لأنها من ولده كما يقال يا أخا العرب أي: يا واحداً منهم ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿أمراً سوءاً﴾ المرء مع ألف الوصل الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه كما في «القاموس». وسوء بفتح السين وبإضافة امرأ إليه وهي أكثر استعمالاً من الصفة والمعنى ما كان عمران زانياً قاله ابن عباس - رضي الله عنهما - قال الكاشفي: [نبودیدرتو عمران مردی بد بلکه مردی که مسجد اقصارا اشرف احبار بود] ﴿وما كانت أمك﴾ حنة بنت فاقوذ ﴿بغياً﴾ زانية فمن أين لك هذا الولد من غير زوج وهو تقرير لكون ما جاءت به فريا منكراً وتنبیه على أن ارتكاب الفواحش من أولاد الصالحين أفحش.

واعلم أن المعتاد من أهل الزمان إذا أظهر الله في كل زمان نبياً أو ولياً يخصه بمعجزة أو كرامة أن ينكر عليه أكثرهم وينسبوه إلى الجنون والضلالة والافتراء والكذب والسحر وأمثالها وأما الأقلون فيعرفون أن من سافر عن منزل الجمهور فإنه يرجع عن سفره ومعه من العلوم الغريبة والأحوال العجيبة ما لم يألّف بها العقول ولم يشاهدها الأنظار فلا يرجعون بالرد عليه بل بالاعتقاد، وفي «المثنوي»:

مغزرا خالی کن از انکار یار تا که ریحان یابد از کلزار یار

تابیابی بوی خلد از یار من چون محمد بوی رحمان از یمن

﴿فأشارت إليه﴾ أي: إلى عيسى أن كلموه ليحببكم ويكون كلامه حجة لي والظاهر أنها حينئذٍ بينت نذرهما وأنها بمعزل عن محاوراة الإنس ﴿قالوا﴾ منكرين لجوابها ﴿كيف نكلم﴾ نحدث ﴿من كان في المهد﴾ [در كهواره یعنی درخور كهواره] ﴿صبياً﴾ ولم نعهد فيما سلف صبياً رضيعاً في الحجر يكلمه عاقل لأنه لا قدرة له على فهم الخطاب ورد الجواب وكان لإيقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو ههنا لقريبه خاصة بدليل

أنه مسوق للتعجب أو زائدة والظرف صلة من وصيباً حال من المستكن فيه أو تامة أو دائمة كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح: ٤]. يقول الفقير: الظاهر إن كان لتحقيق صباوته فإن الماضي دال على التحقق.

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل: قال عيسى بلسان فصيح ﴿إني عبد الله﴾ أقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم رداً على من يزعم بربوبيته من النصارى وإزالة للتهمة عن الله مع إفادة إزالة تهمة الزنى عن أمه لأنه تعالى لا يخص الفاجرة بولد مثله. قال الجنيد لست بعبد سوء ولا عبد طمع ولا عبد شهوة وفيه إشارة إلى أن أفضل أسماء البشرية العبودية. يقول الفقير: سمعت من فم حضرة شيخني وسندي روح الله روحه أنه قال عبد الله فوق عبد الرحمن وهو فوق عبد الرحيم وهو فوق عبد الكريم ولذا جعل رسول الله ﷺ عبد الله وكذا عبد الحي وعبد الحق أعلى الأسماء وأمثلها لأن بعض الأسماء الإلهية يدل على الذات وبعضها على الصفات وبعضها على الأفعال والأولى أرفع من الثانية وهي من الثالثة. قيل: كان المستنطق لعيسى زكريا وقد أكرم الله تعالى أربعة من الصبيان بأربعة أشياء: يوسف بالوحي في الحب، وعيسى بالنطق في المهد، وسليمان بالفهم، ويحيى بالحكمة في الصباوة. وأما الفضيلة العظمى والآية الكبرى أن الله أكرم سيد المرسلين عليه وعليهم السلام في الصباوة بالسجدة عند الولادة بأنه رسول الله وشرح الصدر وختم النبوة وخدمة الملائكة والحوار عند ولادته وأكرم بالنبوة في عالم الأرواح قبل الولادة والصباوة وكفى بذلك اختصاصاً وتفصيلاً:

شمسه نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجه پيغمبران

﴿أتاني الكتاب﴾ الإنجيل ﴿وجعلني نبيا وجعلني﴾ مع ذلك ﴿مباركا﴾ نفاعاً معلماً للخير أخبر عما يكون لا محالة بصيغة الماضي والجمهور على أن عيسى آتاه الله الإنجيل والنبوة في الطفولية وكان يعقل عقل الرجال كما في «بحر العلوم». يقول الفقير المشهور أنه أوحى الله إليه بعد الثلاثين فتكون رسالته متأخرة عن نبوته ﴿أينما كنت﴾ حيثما كنت فإنه لا يتقيد بأين دون اين ﴿وأوصاني بالصلاة﴾ أي: أمرني بها أمراً مؤكداً ﴿والزكاة﴾ أي: زكاة المال ملكية. يقول الفقير: الظاهر أن إيصاءه بها لا يستلزم غناء بل هي بالنسبة إلى أغنياء أمته وعموم الخطابات الإلهية منسوب إلى الأنبياء تهيباً للأمة على الائتمار والانتهاز ﴿ما دمت حياً﴾ في الدنيا. قال في «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أن العبد ما دام حياً لا يسقط عنه التكاليف والعبادات الظاهرة فالقول بسقوطها كما نقل عن بعض الإباحيين كفر وضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أنه ما دام العبد حياً لا بد من مراقبة السر وإقامة العبودية وتزكية النفس. يقول الفقير: إقامة التكاليف عبودية وهي إما للتزكية كالمبتدئين وإما للشكر كالمنتهين وكلا الأمرين لا يسقط ما دام العبد حياً بالغاً فإذا تغير حاله بالجنون ونحوه فقد عذر.

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْ لِنَفْسِهِ جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ ﴿٣٣﴾

﴿وبراً﴾ [مهربان] ﴿بوالدي﴾ عطف على مباركاً أي: جعلني باراً بها محسناً لطيفاً وهو إشارة إلى أنه بلا فحل ﴿ولم يجعلني جباراً﴾ متكبراً. وبالفارسية [کرد نكشی متعظم كه خلق

را تكبر كنم وانسانرا بر نجانم] **«شقياً»** عاصياً لربه .

«والسلام علي» [سلام خدای بر منست] **«يوم ولدت»** بلا والد طبيعي أي : من طعن الشيطان **«ويوم أموت»** من شدائد الموت وما بعده **«ويوم أبعث حياً»** حال أي : من هول القيامة وعذاب النار كما هو على يحيى يعني السلامة من الله وجهت إلي كما وجهت إلى يحيى في هذه الأحوال الثلاثة العظام على أن التعريف للعهد والأظهر على أنه للجنس والتعريض باللعن عن أعدائه فإن إثبات جنس السلام لنفسه تعريض لإثبات ضده لأضداده كما في قوله تعالى : **«وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ أَهْلَهُ»** [طه : ٤٧] فإنه تعريض بأن العذاب على من كذب وتولى فلما كلمهم عيسى بهذا الكلام أيقنوا ببراءة أمه وأنها من أهل العصمة والبعد من الريبة ولم يتكلم بعد حتى بلغ سن الكلام . قال في «الأسئلة المقحمة» قوله : **«ويوم أبعث حياً»** يدل على أن لا حياة في القبر لأنه ذكر حياة واحدة والجواب أنه أراد بها الدائمة الباقية بخلاف حياة القبر انتهى . يقول الفقير : لا شك أن حياة البرزخ على النصف من حياة يوم البعث فإن الأولى حياة الروح فقط والثانية حياة الروح والجسد معاً وهي المرادة ههنا ولا انقطاع لحياة الأرواح مذ خلقت من الأبديات فافهم . ثم إنه نكر في سلام يحيى وعرف في سلام عيسى لأن الأول من الله والقليل منه كثير قال بعضهم قليلك لا يقال له قليل ولهذا قرأ الحسن اهدنا صراطاً مستقيماً أي : نحن راضون بالقليل ، كذا في «برهان القرآن» . قال شيخني وسندي في «كتاب البرقيات» له قدس سره : إنما أتى بطريق الغيبة في حق يحيى عليه السلام لأن كلا منهما أهل الحقيقة والفناء والكمال الجامع بين الجلال والجمال وأهل الشريعة والبقاء والجلال والجمال مندرجون تحت حيلة الكمال إلا أن الميل الاستعدادي الأزلي إلى جانب الحقيقة والفناء وكمال الجلال غالب في جمعية يحيى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة ليست اختيارية بل اضطرارية أزلية حاصلة باستيلاء سلطنة الحقيقة والفناء وكمال الجلال على قلبه وهذا الميل إلى جانب الشريعة والبقاء جمال غالب في جمعية عيسى عليه السلام بحسب الفطرة الإلهية الأزلية وهذه الغلبة أيضاً ليست اختيارية بل اضطرارية حاصلة باستيلاء دولة الشريعة والبقاء وجمال الكمال على قلبه ومقتضى الغلبة اليحياوية السكوت وترك النطق ولذا كان المتكلم في بيان أحواله هو الله تعالى وأتى بطريق الغيبة لا نفسه وهو من قبيل من عرف كل لسانه لغلبة الفناء على البقاء وكل من عرف الله في معرفة الله فهو على مشرب يحيى ومقتضى الغلبة العيسوية النطق وترك السكوت ولذا كان المتكلم في بيان أحوال نفسه وأتى بطريق الحكاية دون الله تعالى وهو من قبيل من عرف الله طال لسانه لغلبة البقاء على الفناء وكل من طال لسانه في معرفة الله فهو على مشرب عيسى عليه السلام وحال كل منهما بقضاء الله ورضاه وهما مشتركان في الجمعية الكبرى مجتمعان في ميل الأهلية العظمى ومنفردان في غلبة العليا بأن تكون غلبة ميل يحيى عليه السلام إلى الفناء وغلبة ميل عيسى عليه السلام إلى البقاء ولو اجتمعا في تلك الغلبة أيضاً لما امتاز حال أحدهما عن الآخرة بل يكون عبثاً نوعاً تعالى الله عن العبث ولذا لم يتجل لأحد بعين ما يتجلى به لغيره بل إنما يتجلى لكل متجل له بوجه آخر ولهذه الحكمة كان الجلال غالباً في قلب يحيى والجمال غالباً في قلب عيسى عليه السلام حتى يكون التجلي لكل منهما بوجه آخر مع أحدية أصله ويوجد بينهما فرق بعد الجمع وكل من ورث هذا المقام بعدهما إلى يوم القيامة من أولياء الله الكرامة يقول الله له بطريق الفيض والإلهام السلام عليك

يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهو من قبيل مبشراتهم الدنيوية التي أشير إليها بقوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٤] إلا أنهم يكتمون أمثاله لكونهم مأمورين بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم ولا حاجة لهم بعلم غيرهم وأما الأنبياء عليهم السلام فهم يخبرون بسلامتهم لكونهم شارعين فلا بد لغيرهم من العلم بسلامتهم حتى يؤمن ويقبل دعوتهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل انتهى. قال في «أسئلة الحكم»: أخير رسول الله ﷺ عن مقامهما حيث قال: «إن عيسى ويحيى التقيا فقال يحيى لعيسى كأنك قد أمنت مكر الله وقال عيسى ليحيى كأنك قد أيسست من فضل الله ورحمته فأوحى الله تعالى إليهما أن أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي» وكان عاقبة أمره في مقام الجلال أن قتل فلم يزل فائراً دمه حتى قتل من أجله سبعون ألفاً قصاصاً منه فسكن فورانه وكان عاقبة أمر عيسى في مقام البسط والجمال أن رفع إلى السماء أي إلى الملاء الأعلى من مظاهر الجمال فكلاهما في مقامهما فائزان كاملان انتهى.

وفي «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ويوم أموت﴾ فيه إشارة إلى أن عيسى المعنى المتولد من نفخ الحق في القلب قابل الموت بسم غلبات صفات النفس والمعاملات المنتجة منها لثلاث يغتر الواصل بأنه إذا حي بحياة لا يموت المعنى الذي في قلبه، يقول الفقير:

ای بسازنده بمرده مغرور شده از دائره زندگی دور
کشت بروی متغیر حالش زهر شد جملہ فیض بالش
ماند دوعین قفا صورت او کرچه در صورت ظاهر شده رو
درپی نفس بدش هرکه دوید تانبندارکه سر منزل دید

قال في «التكملة»: ولد عيسى عليه السلام في أيام ملوك الطوائف لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على أرض بابل وقيل لأكثر من ذلك وكان حمل مريم به وهي ابنة ثلاث عشرة سنة ونبيء عيسى وهو ابن ثلاثين سنة ورفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وعاشت مريم بعده ست سنين وخرجت به أمه من الشام إلى مصر وهو صغير خوفاً عليه من هيردوس الملك وذلك أن ملك فارس علم بمولده لطلوع نجمه فوجه له هدايا من الذهب والمر واللبان فأنت رسله بالهدايا حتى دخلت على هيردوس فسألوه عنه فلم يعلم به فأخبروه بخبره وبأنه يكون نبياً وأخبروه بالهدايا فقال لهم: لم أهديتم الذهب؟ قالوا: لأنه سيد المتاع وهو سيد أهل زمانه قال لهم: ولم أهديتم المر؟ قالوا: لأنه يجبر الجرح والكسر وهو يشفي السقام والعلل قال: ولم أهديتم اللبان؟ قالوا: لأنه يصعد دخان إلى السماء وكذلك هو يرفع إلى السماء فخافه هيردوس وقال لهم: إذا عرفتم مكانه فعرّفوني به فإني راغب فيما رغبتم فيه فلما وجدوه دفعوا الهدايا لمريم وأرادوا الرجوع إلى هيردوس فبعث الله لهم ملكاً وقال لهم إنه يريد قتله فرجعوا ولم يلقوا هيردوس وأمر الله مريم أن ينتقل به إلى مصر ومعهما يوسف بن يعقوب النجار فسكنت به في مصر حتى كان ابن اثنتي عشرة سنة ومات هيردوس فرجعت إلى الشام انتهى.

- روي - أن مريم سلمت عيسى إلى معلمه فعلمه أبجد فقال عيسى: أتدري ما «أبجد»؟ قال: لا فقال: أما الألف فألاء الله والباء بهاء الله والجيم جلال الله والدال دين الله فقال المعلم: أحسنت فما «هوز»؟ فقال: الهاء هو الله الذي لا إله إلا هو والواو ويل للمكذبين

والزاي زبانية جهنم أعدت للكافرين فقال المعلم: أحسنت فما «حطي»؟ قال: الحاء حطة الخطايا عن المذنبين والطاء شجرة طوبى والياء يد الله على خلقه فقال: أحسنت فما «كلمن»؟ قال: الكاف كلام الله واللام لقاء أهل الجنة بعضهم بعضاً والميم ملك الله والنون نور الله فقال: أحسنت فما «سعفص»؟ قال: السين سناء الله والعين علم الله والفاء فعله في خلقه والصاد صدقه في أقواله فقال: أحسنت فما «قرشت»؟ قال: القاف قدرة الله والراء ربوبيته والشين مشيئته والتاء تعالى الله عما يشركون فقال له المعلم: أحسنت ثم قال لمريم: خذي ولدك وانصرفي فإنه علمني ما لم أكن أعرفه كذا في «قصص الأنبياء». قيل: هذه الكلمات وهي أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وتخذ وضطف أسماء ثمانية ملوك فيما تقدم. وقيل هي أسماء ثمانية من الفلاسفة. وقيل هذه الكلمات وضعها اليونانيون لضبط الأعداد وتمييز مراتبها كذا في «شرح التقويم». وقال محمد بن طلحة في «العقد الفريد»: أول من وضع الخط العربي وأقامه وصنع حرفه وأقسامه ستة أشخاص من طسم كانوا نزولاً عند عدنان بن داود وكانت أسماؤهم أبجد وهوز حطي وكلمن وسعفص وقرشت ووضعوا الكتابة والخط على أسمائهم فلما وجدوا في الألفاظ حروفاً ليست في أسمائهم ألحقوها بها وسموها الروادف وهي الثاء والحاء والذال والضاد والظاء والغين على حسب ما يلحق حروف الجمل هذا تلخيص ما قيل في ذلك وقيل غيره انتهى.

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٢٣) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٥﴾

﴿ذلك﴾ الذي فصلت نعوته الجليلة ﴿عيسى ابن مريم﴾ لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الأبلغ والطريق البرهاني حيث جعله موصوفاً بأضداد ما يصفونه ثم عكس على الحكم ﴿قول الحق﴾ قول الثابت والصدق وهو بالنصب على أنه مصدر مؤكد لقال إني عبد الله الخ وقوله ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [مريم: ٣٤] اعتراض ﴿الذي فيه يمترون﴾ أي: يشكون فإن المرية الشك فيقولون هو ابن الله.

﴿ما كان لله﴾ ما صح وما استقام له تعالى: ﴿أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ أي: ولدأ وجاء بمن لتأكيد النفي العام.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: جزءاً فإن الولد جزء الوالد كما قال عليه السلام: «فاطمة بضعة مني» ﴿سبحانه﴾ أي: تنزه وتعالى تنزيهاً عن بهتان النصارى لأنه ليس للقديم جنس إذ لا جنس له ولذلك قالوا: لا فضل له ﴿إذا قضى أمراً﴾ أي: أراد كونه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ قال لعيسى: كن فكان من غير أب والقول ههنا مجاز عن سرعة الإيجاد. والمعنى أنه تعالى إذا أراد تكوين الأشياء لم تمتنع عليه ووجدت كما أرادها على الفور من غير تأخير في ذلك كالمأمور المطيع الذي إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء وهو المجاز الذي يسمى التمثيل.

﴿وإن الله ربي وربكم فاعبدوه﴾ من تمام كلام عيسى عطف على قوله: ﴿إني عبد الله﴾ داخل تحت القول ﴿هذا﴾ الذي ذكرته من التوحيد ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه.

﴿فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢٦) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا

لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

﴿فاختلف الأحزاب﴾ جمع حزب بمعنى الجماعة ﴿من بينهم﴾ أي: من بين الناس المخاطبين بقوله: ﴿ربكم فاعبدوه﴾ وهم القوم المبعوث إليهم فقالت النسطورية: هو ابن الله واليعقوبية هو الله هبط إلى الأرض ثم صعد إلى السماء وقالت الملكانية هو عبد الله ونبه.

وفي «التأويلات النجمية» أي: تحزبوا ثلاث فرق: فرقة يعبدون الله بالسير على قدمي الشريعة والطريقة بالعبور على المقامات والوصول إلى القربات وهم الأولياء والصادقون وهم أهل الله خاصة وفرقة يعبدون الله على صورة الشريعة وأعمالها وهم المؤمنون المسلمون وهم أهل الجنة وفرقة يعبدون الهوى على وفق الطبيعة ويزعمون أنهم يعبدون الله كما أن الكفار يعبدون الأصنام ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى فهؤلاء ينكرون على أهل الحق وهم أهل البدع والأهواء والسمعة والنفاق وهم أهل النار ﴿فويل للذين كفروا﴾ وهم المختلفون. والويل الهلاك وهو نكرة وقعت مبتدأ وخبره ما بعده ونظيره سلام عليك فإن أصله منصوب نائب مناب فعله لكنه عدل به إلى الرفع على الابتداء للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ﴿من مشهد يوم عظيم﴾ أي: من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو يوم القيامة.

﴿أسمع بهم وأبصر﴾ [جه شنو باشد كافران وجه بينا] وهو تعجب من حدة سمعهم وأبصارهم يومئذ ومعناه أن استماعهم وأبصارهم للهدى ﴿يوم يأتوننا﴾ للحساب والجزاء يوم القيامة جدير بأن يتعجب منه بعد أن كانوا في الدنيا صماً وعمياً والتعجب استعظام الشيء مع الجهل بسببه ثم استعمل لمجرد الاستعظام ﴿لكن الظالمون اليوم﴾ أي: في الدنيا ﴿في ضلال مبين﴾ في خطأ ظاهر لا يدرك غايته حيث أغفلوا الاستماع والنظر بالكلية حين ينفعهم.

عمر مكن ضايح بافسوس وحيف كه فرصت عزيزست والوقت سيف كه فردا پشيمان برآرى خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش ﴿وأنذرهم﴾ خوفهم يا محمد يعني الظالمين ﴿يوم الحسرة﴾ أي: من يوم يتحسر فيه ويتحزن الناس ويندمون قاطبة أما المسيء فعلى إساءته وأما المحسن فعلى قلة إحسانه ﴿إذ قضى الأمر﴾ بدل من يوم الحسرة أي: فرغ من الحساب وتصادر الفريقان إلى الجنة والنار.

- وروي - أن النبي عليه السلام سئل عن ذلك فقال: «حين يجاء بالموت على صورة الكبش الأملح فيذبح والفريقان ينظرون فينادي المنادي يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرح وأهل النار غماً إلى غم» ﴿وهم في غفلة﴾ أي: عما يفعل بهم في الآخرة ﴿وهم لا يؤمنون﴾ وهما جملتان حاليتان من الضمير المستتر في قوله تعالى: ﴿في ضلال مبين﴾ أي: مستقرون في ذلك وهم في تينك الحاليتين وما بينهما اعتراض.

﴿إنا نحن﴾ تأكيد لأننا ﴿نرث﴾ نملك ﴿الأرض ومن عليها﴾ ذكر من تغليبا للعقلاء أي: لا يبقى لأحد غيرنا عليهم ملك ولا ملك وقد سبق في سورة الحجر ما يتعلق بهذه الآية ﴿وإلينا يرجعون﴾ أي: يردون للجزاء لا إلى غيرنا استقلالاً أو اشتراكاً.

اعلم أن الرجوع على نوعين: رجوع بالقهر وهو رجوع العوام لأن نفوسهم باقية مطمئنة بالدنيا فلا يخرجون مما هم عليه إلا بالكراهة ورجوع باللطف وهو رجوع الخواص لأن نفوسهم فانية غير مطمئنة بالدنيا والعقبى بل بالمولى الأعلى فيخرجون من الدنيا والموت ولقاء الله تعالى أحب إليهم من كل شيء. فعلى السالك أن يجتهد في تحصيل الفناء والبقاء وتكميل الشوق إلى اللقاء ويرجع إلى الله تعالى قبل أن يرجع فإن سرّ لمن الملك اليوم دائر على هذا.

صرصر قهروى از ممكن وحدت بوزيد حس وخاشاك تعين همه برباد ببرد
هرچه در عرصه امكان بوجود آمده بود سيل عزت همه را تا عدم آباد ببرد
ولله عباد خوطبوا فصار كلهم اذناً وشهدوا فصار كلهم عيناً ووجدوا في الرحيل حتى
حطوا الرحل عند الملك الجليل:

نظرت في الراحة الكبرى فلم أرها تنال إلا على جنس من التعب
والجد منها بعيد في تطلبها فكيف تدرك بالتقصير واللعب
قال الشيخ أبو الحسن المزين رحمه الله: دخلت البادية على التجريد حافياً حاسراً فخطر ببالي أنه ما دخل بهذه البادية في هذه السنة أحد أشد تجريداً مني فجذبني إنسان من ورائي وقال: يا حجام كم تحدث نفسك بالأباطيل فظهر أن الترك والتجرد والرجوع في الحق على مراتب ولكل سالك خطوة فلا يغتر أحد بحاله ولا يخطر العجب بباله. وعن إبراهيم الخواص قدس سره قال: دخلت البادية فأصابني شدة فكابدتها وصابرتها فلما دخلت مكة داخلني شيء من الإعجاب فنادتني عجوز من الطواف يا إبراهيم كنت معك في البادية فلم أكلملك لأنني لم أرد أن أشغل شرك عنه أخرج هذا الوسواس عنك فظهر أن التوفيق للرجوع إلى الله إنما هو من الله وكل كمال فبحوله وقوته ونصرته ومعونته.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِرَبِّهِ يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعُلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣﴾
يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤﴾ يَتَّابِتْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ
الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥﴾

﴿واذكر في الكتاب إبراهيم﴾ أي: اتل يا محمد على قومك في السورة أو القرآن قصة إبراهيم وبلغها إياهم كقوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ١٩﴾ [الشعراء: ٦٩] وذلك أن أهل الملل كانوا يعترفون بفضله ومشركو العرب يفتخرون بكونهم من أبنائه فأمر الله تعالى حبيبه عليه السلام أن يخبرهم بتوحيده ليقنعوا عن الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا﴾ ملازماً للصدق في كل ما يأتي وما يذر مبالغاً فيه قائماً في جميع الأوقات ﴿نبيًّا﴾ خبر آخر لكان مقيد للأول مخصص له أي: كان جامعاً بين الصديقية والنبوة وذلك أن الصديقية تلو النبوة ومن شرطها أن لا يكون نبياً إلا وهو صديق وليس من شرط الصديق أن يكون نبياً. ولأرباب الصدق مراتب صادق وصادق وصديق وصديق فالصادق من صدق في قيامه مع الله بالله وفي الله وهو الفاني عن نفسه والباقي بربه. والفرق بين الرسول والنبي أن الرسول من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان.

﴿إِذْ قَالَ﴾ بدل من إبراهيم بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها أي: اذكر

وقت قوله: ﴿لأبيه﴾ آزر متلطفاً في الدعوة مسهلاً له ﴿يا أبت﴾ أي: يا أبي فإن التاء عوض عن ياء الإضافة ولذلك لا يجتمعان أي: لا يقال يا أبتي ولا يقال يا أبتا لكون الألف بدلاً من الياء ﴿لم تعبد ما لا يسمع﴾ ثناءك وتضرعك له به عند عبادتك له وما عبارة عن الصور والتماثيل ولام الإضافة التي دخلت على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك: بسم، وعلام، وفيسم، ولام، ومم، وعم، حذفت الألف لأن ما والحرف كشيء واحد وقل استعمال الأصل ﴿ولا يبصر﴾ خضوعك وخشوعك بين يديه ﴿ولا يغني عنك﴾ أي: لا يقدر على أن ينفعك ﴿شيئاً﴾ لا في الدنيا ولا في الآخرة وهو مصدر أي: شيئاً من الإغناء وهو القليل منه أو مفعول به أي: ولا يدفع عنك شيئاً من عذاب الله تعالى.

﴿يا أبت إنني قد جاءني﴾ بطريق الوحي ﴿من العلم ما لم يأتك فاتبعني﴾ ولا تستنكف عن التعلم مني ﴿أهدك﴾ [ما بنمايم ترا] ﴿صراطاً سوياً﴾ أي: مستقيماً موصلاً إلى أعلى المراتب منجياً من الضلال لم يشافهه بالجهل المفرط وإن كان في أقصاه ولم يصف نفسه بالعلم الفائق وإن كان كذلك بل جعل نفسه في صورة رفيق له في مسير يكون أعرف وذلك من باب الرفق واللطف.

﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ فإن عبادتك للأصنام عبادة له إذ هو الذي يزينها لك ويغريك عليها ﴿إن الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ ومن جملة عصيانه إباؤه عن السجدة ومعلوم أن طاعة العاصي تورث النقم وزوال النعم والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه.

﴿يا أبت إنني أخاف﴾ إن مت على ما أنت عليه من متابعة الشيطان وعصيان الرحمن ﴿أن﴾ أي: من أن ﴿يمسك﴾ يصيبك. وبالفارسية [بر سيد بتو] ﴿عذاب﴾ كائن ﴿من الرحمن﴾ وذلك الخوف للمجاملة ﴿فتكون﴾ [پس باشی] ﴿للشيطان ولياً﴾ أي: قريباً له في اللعن المخلد أو قريباً تليه ويليك من الولي وهو القرب.

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۖ ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرَ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۖ ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۖ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا آعَزَهِمْ وَمَا يَعْزُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِيحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۖ ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۖ ﴿٥٠﴾﴾

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال أبوه عندما سمع منه هذه النصائح الواجبة القبول فقيل قال مصراً على عناده ﴿أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ أي: أ معرض ومنصرف أنت عنها بتوجيه الإنكار إلى نفس الرغبة مع ضرب من التعجب كأن الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلاً عن ترغيب الغير عنها قدم الخبر على المبتدأ للاهتمام والأولى كونه مبتدأ وأنت فاعله سد مسد الخبر لثلاث يلزم الفصل بين الصفة وما يتعلق بها وهو عن كذا في «تفسير الشيخ». ﴿لئن لم تنته﴾ والله لئن لم ترجع عما كنت عليه من النهي عن عبادتها ﴿لأرجمنك﴾ بالحجارة حتى تموت أو تبعد عني وقيل باللسان يعني: الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن وأصل الرجيم الرمي بالرجام بالكسر وهي الحجارة ﴿واهجرني﴾ عطف على ما دل عليه لأرجمنك أي: فاحذرني واطركني ﴿ملياً﴾ أي: زماناً طويلاً سالماً مني ولا تكلمني من الملاوة وهو الدهر ﴿قال﴾ إبراهيم وهو استئناف بياني.

﴿سَلامٌ عَلَيْكَ﴾ [سلام برتو یعنی میروم ووداع میکنم] فهو سلام مفارقة لا سلام لطف وإحسان لأنه ليس بدعاء له كقوله: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْنِيَنَّ الْجَهْلَيْنِ﴾ [الفصل: ٥٥] على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة ودل على جواز متاركة المنصوح إذا أظهر اللجاج. والمعنى سلمت مني لا أصيبك بمكروه بعد ولا أشافهك بما يؤذيك ولكن ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ السين للاستقبال أو لمجرد التأكيد أي: استدعيه أن يغفر لك بأن يوفقك للتوبة ويهديك إلى الإيمان كما يلوح به تعليل قوله: ﴿وَاعْفُ رِيبِي﴾ [الشعراء: ٨٦] بقوله: ﴿إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْغَالِينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين أنه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وإنما المحذور استدعاؤه له مع بقاءه على الكفر فإنه مما لا مساغ له عقلاً ولا نقلاً وأما الاستغفار له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وإنما الذي يمنعه السمع ألا يرى إلى أنه عليه السلام قال لعمه أبي طالب «لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه» فنزل قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ لِلنَّفْسِ وَالْذِّبِكِ مَأْمُوراً أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية ولا اشتباه في أن هذا الوعد من إبراهيم وكذا قوله: ﴿لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المنحنة: ٤] وما ترتب عليهما من قوله ﴿وَاعْفُ رِيبِي﴾ [الشعراء: ٨٦] إنما كان قبل انقطاع رجائه عن إيمانه لعدم تبين أمره ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] إنه كان بي حفيماً أي: بليغاً في البر والإلطف يقال حفيت به بالغت وتحفيت في إكرامه بالغت.

﴿واعتزل لكم﴾ أي: أنباعد عنك وعن قومك بالمهاجرة بديني حيث لم يؤثر فيكم نصائحي ﴿وما تدعون من دون الله﴾ أي: تعبدون ﴿وأدعوا ربِّي﴾ أي: اعبدوه وحده ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيماً﴾ أي: بدعائي إياه خائباً ضائع السعي وفيه تعريض لشقائهم في عبادتهم آلهتهم.

حاجت زكسى خواه كه محتاجا نرا بى بهره نكرداند از انعام عميم

وفي تصدير الكلام بعسى إظهار التواضع ومراعاة حسن الأدب.

﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ بالمهاجرة إلى الشام. قال في «تفسير الشيخ»: فارتحل من كوثي إلى الأرض المقدسة ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ ابن إسحاق بدل من فارقه من أقربائه الكفرة لا عقيب المجاوزة والمهاجرة فإن المشهور أن الموهوب حينئذ إسماعيل لقوله: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصفات: ١٠١] إثر دعائه بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصفات: ١٠٠] ولعل تخصيصهما بالذكر لأنهما شجرة الأنبياء أو لأنه أراد أن يذكر إسماعيل بفضل على انفرادة ﴿وكللاً جعلنا نبياً﴾ أي: كل واحد منهم جعلناه نبياً لا بعضهم دون بعض فكللاً مفعول أول لجعلنا قدم عليه للتخصيص لكن لا بالنسبة إلى من عداهم بل بالنسبة إلى بعضهم.

﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾ كل خير ديني ودنيوي مما لا يوهب لأحد من العالمين ﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾ ثناء حسناً رفيعاً فإن لسان الصدق هو الثناء الحسن على أن يكون المراد باللسان ما يوجد به من الكلام ولسان العرب وإضافته من إضافة الموصوف إلى الصفة أي: يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

اعلم أن في الآيات إشارات:

منها: الرفق وحسن الخلق فإن الهادي إلى الحق يجب أن يكون رقيقاً فإن العنف يوجب إعراض المستمع وفي الحديث «أوحى الله إلى إبراهيم يا خليل حسن خلقك ولو مع الكفار

تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه بأن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواربي»، قال الصائب:

كذشت عمرو نكردی كلام خود را نرم ترا چه حاصل ازین آسیای دندانست

ومنها المتابعة قال أبو القاسم: الطريق إلى الحق المتابعة من علت مرتبته اتبع الكتاب ومن نزل عنهم اتبع الرسول عليه السلام ومن نزل عنهم اتبع الصحابة رضي الله عنهم ومن نزل عنهم اتبع أولياء الله والعلماء بالله وأسلم الطرق إلى الله طريق الاتباع لأن سهل بن عبد الله قال: أشد ما على النفس الاقتداء فإنه ليس للنفس فيه نفس ولا راحة.

ومنها العزلة قال أبو القاسم: من أراد السلامة في الدنيا والآخرة ظاهراً وباطناً فليعتزل قرناء السوء وأخذان السوء ولا يمكنه ذلك إلا بالالتجاء والتضرع إلى ربه في ذلك ليوفقه لمفارقتهم فإن المرء مع من أحب. قال بعض الكبار: العزلة سبب لصمت اللسان فمن اعتزل عن الناس لم يجد من يحادثه فأداه ذلك إلى صمت اللسان وهي على قسمين: عزلة المريدين بالأجسام عن الأغيار وعزلة المحققين بالقلوب عن الأكوان فليست قلوبهم محالاً لغير علم الله الذي هو شاهده الحاصل فيها من المشاهدة ونية أهل العزلة إما اتقاء شر الناس وإما اتقاء شره المتعدي إليهم وهو أرفع من الأول إذ سوء الظن بالنفس أولى من سوء الظن بالغير وإما إثارة صجة المولى على صجة السوى فأعلى المعتزلين من اعتزل عن نفسه إثارة لصجة ربه فمن أثر العزلة على المخالطة فقد أثر ربه على غيره ولم يعرف أحد ما يعطيه الله من المواهب والأسرار والعزلة تعطي صمت اللسان لا صمت القلب إذ قد يتحدث المرء في نفسه بغير الله ومع غير الله فلهذا جعل الصمت ركناً برأسه من أركان الطريق وحال العزلة التنزيه عن الأوصاف سالكاً كاد المعتزل يكون صاحب يقين مع الله تعالى حتى لا يكون له خاطر متعلق بخارج بيت عزلته والهجرة سبب للعزلة عن الأشرار من هاجر في طلب رضى الله أكرمه الله في الدنيا والآخرة. فعلى العاقل أن يجتهد في تحصيل الرضى بالهجرة والخلوة والعزلة ونحوها، قال الصائب:

در مشرب من خلوت اگر خلوت کوراست بسیار به از صحبت ابنای زمانست
ومنها: أن من فارق محبوبه ابتغاء لمرضاة الله تعالى فإن الله تعالى يجعل له بدلاً خيراً من ذلك وأحب فيأنس به ويتوحش عما ألف به فيما مضى فيحصل الحل والعقد على مراد الله اللهم اجعلنا من المنقطعين إليك والمستوحشين عما سواك والسالكين إلى سبيل الفناء والطالبين لرضاك.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا آخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ قدم ذكره على إسماعيل لثلاث ينفصل عن ذكر يعقوب ﴿إنه كان مخلصاً﴾ أخلصه الله من الادناس والنقائص ومما سواه وهو معنى الفتح الموافق للصدیق فإن أهل الإشارة قالوا: إن الصادق والمخلص بالكسر من باب واحد وهو التخلص من شوائب الصفات النفسانية مطلقاً والصدیق والمخلص بالفتح من باب واحد وهو التخلص أيضاً من شوائب الغيرية.

قال في «التأويلات النجمية»: اعلم أن الإخلاص في العبودية مقام الأولياء فلا يكون ولي إلا وهو مخلص ولا يكون كل مخلص ولياً ولا يكون رسولاً إلا وهو نبي ولا يكون كل نبي رسولاً والمخلص بكسر اللام من أخلص نفسه في العبودية بالتزكية عن الأوصاف النفسانية الحيوانية والمخلص بفتح اللام من أخلصه الله بعد التزكية بالتحلية بالصفات الروحانية الربانية كما قال النبي عليه السلام: «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» وقال تعالى: «الإخلاص سرّ بيني وبين عبدي لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل أنا الذي أتولى تحلية قلوب المخلصين بتجلي صفات جمالي وجلالي لهم» وفي الحقيقة لا تكون العبودية مقبولة إلا من المخلصين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ولإخلاص المخلصين مراتب أدناها أن تكون العبودية لله خالصة لا يكون لغير الله فيها شركة وأوسطها أن يكون العبد مخلصاً في بذل الوجود لله إلى الله وأعلى درجة المخلصين أن يخلصهم من حبس وجودهم بأن يفنيهم عنهم ويبقيهم بوجوده ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ أرسله الله إلى الخلق فأنبأهم عنه ولذلك قدم رسولاً مع كونه أخص وأعلى. يقول الفقير: تأخير نبياً لأجل الفواصل.

﴿ونادينه من جانب الطور الأيمن﴾ الطور جبل بين مصر ومدين والأيمن في الأصل خلاف الأيسر أي: جانب اليمن وهو صفة للجانب أي: نادينه من ناحيته اليمنى وهي التي تلي يمين موسى إذ لا يمين للجبل ولا شمال أو من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندائه منه أنه تمثل له الكلام من تلك الجهة. وقال في «الجلالين»: أقبل من مدين يريد مصر فنودي من الشجرة وكانت في جانب الجبل على يمين موسى ﴿وقربناه نجياً﴾ تقرب تشريف مثل حاله بحال من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته حيث كلمه بغير واسطة ملك ونجياً أي: مناجياً حال من أحد الضميرين في نادينه والمناجاة [راز كفتن] كما في «التهذيب» يقال ناجاه مناجاة ساره كما في «القاموس».

﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾ أي: من أجل رحمتنا ورأفتنا به ﴿أخاه هارون﴾ أخاه مفعول وهبنا وهارون عطف بيان لأخاه ﴿نبياً﴾ حال منه ليكون معه وزيراً معيناً كما سأل ذلك ربه فقال: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ﴾ [طه: ٢٩] فالهبة على ظاهرها كما في قوله: ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٤٩] فإن هارون كان أسن من موسى فوجب الحمل على المعاضدة والموازرة [صاحب كشف الأسرار كويد حضرت موسى عليه السلام را هم روش بود وهم كشش اشارت بروش او ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى﴾ [الأعراف: ١٤٣] عبارت از كشش او ﴿وقربناه نجياً﴾ سالك تا در روش است خطر دارد وچون كشش در رسيد خطر را باوكار نيست يعنى در سلوك شوب تفرقه هست وجذبه محض جمعيت است:

با خود روى بيحاصلى چون او كشيدت واصلى

رفتن كجا بردن كجا اين سر ربانيست اين

قال المولى الجامي:

سالكان بى كشش دوست بجايى نرسند سالها كرچه درين راه تك وپوى كنند
وفي «التأويلات النجمية»: قوله: ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ يشير إلى أن

النبوة ليست بكسبية بل هي من مواهب الحق تعالى يهب لمن يشاء النبوة ويهب لمن يشاء الرسالة من رحمته وفضله لا من كسبهم واجتهادهم على أن توفيق الكسب والاجتهاد أيضاً من مواهب الحق تعالى وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام أشد اختصاصاً بالقربة والقبول عند الله تعالى حتى يهب أخاه هارون النبوة والرسالة بشفاعته والعجب أن الله تعالى يهب النبوة والرسالة بشفاعته موسى عليه السلام وأنه يهب الأنبياء والرسل محمد ﷺ لقوله: «الناس يحتاجون إلى شفاعتي حتى إبراهيم عليه السلام» اللهم اجعلنا من المستسعين بشفاعته واحشرنا تحت لوائه ورايته.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٦﴾﴾

﴿واذكر في الكتاب إسماعيل﴾ فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه لإبراز كمال الاعتناء بأمره بإيراده مستقلاً أي: واتل على قومك يا محمد في القرآن قصة جدك إسماعيل وبلغها إليهم ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ فيما بينه وبين الله وكذا بين الناس.

قال في «التأويلات النجمية»: فيما وعد الله بأداء العبودية انتهى. والوعد عبارة عن الإخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها وإيراده بهذا الوصف لكمال شهرته به واتصاله بأشياء في هذا الباب لم تعهد من غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أن إسماعيل عليه السلام وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة:

نيسب بر مردم صاحب نظر صورتی از صدق و وفا خوبتر و ناهيك أنه وعد الصبر على الذبح فوفى حيث قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصفات: ١٠٢] وفيه حث على صدق الوعد والوفاء به والأصل فيه نيته لقوله عليه السلام: «إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يفى فلم يف ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه».

واعلم أن الله تعالى أثنى على إسماعيل بكونه صادق الوعد وإشارة إلى أن الثناء إنما يتحقق بصدق الوعد وإتيان الواعد بالموعود لا بصدق الوعيد وإتيان المتوعد بما توعد به إذ لا يشني عقلاً وعرفاً على ما يصدر منه الآفات والمضرات بل على من يصدر منه الخيرات والمبرات ومن هذا ذهب بعض العلماء إلى الخلف في الوعيد جائز على الله تعالى دون الوعد صرحه الإمام الواحدي في «الوسيط» في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مَوْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣] الآية وفي الحديث: «من وعد لأحد على عمله ثواباً فهو منجز له ومن أوعده على عمله عقاباً فهو بالخيار» والعرب لا تعد عيباً ولا خلفاً أن يعد أحد شراً ثم لا يفعله بل ترى ذلك كرمًا وفضلاً كما قيل:

وإني إذا أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي
وقيل:

إذا وعد السراء نجز وعده وإن أوعد الضراء فالعقل مانعه
وأحسن يحيى بن معاذ في هذا المعنى حيث قال الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على ما ضمن لهم إذا فعلوا ذلك أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من الله والوعيد حقه على العباد قال: لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما العفو

والكرم لأنه غفور رحيم كذا في «شرح العضد» للجلال الدواني ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ أرسله الله تعالى إلى جرهم وإلى العماليق وإلى قبائل اليمن في زمن أبيه إبراهيم عليهما السلام. قال في «القاموس»: جرهم كقنفذ حي من اليمن تزوج فيهم إسماعيل ﴿نَبِيًّا﴾ يخبر عن الله وكان على شريعة أبيه إبراهيم ولم يكن له كتاب أنزل إليه بإجماع العلماء وكذا لوط وإسحاق ويعقوب.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ الخاص وهو من اتصل به بجهة الزوجية والولاد والعام وهو من اتصل به بجهة الدعوة وهم قومه ويجوز أن يرجح الأول لأن الأهم أن يقبل الرجل بالتكميل على نفسه ومن هو أقرب الناس إليه قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه: ١٣٢] ﴿فَوَأَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦] فإنهم إذا صلحوا صلح الكل وتزوى بزيتهم في الخير والصلاح ﴿بِالصَّلَاةِ﴾ التي هي أشرف العبادات البدنية ﴿وَالزَّكَاةِ﴾ التي هي أفضل العبادات المالية. وفيه إشارة إلى أن من حق الصالح أن ينصح للأقارب والأجانب ويحظيهم بالفوائد الدينية:

ای صاحب کرامت شکرانه سلامت روزی تفقیدی کن درویش بی نوارا
﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ في الأقوال والأفعال والأحوال. وفي «الجلالين»: مرضياً لأنه قد قام بطاعته انتهى:

ای مرد اکرت رضاء دلبر باید آن باید کرد هرچه او فرماید
کر کوید خون کری مکو ازچه سبب ورکوید جان بده مکوکه ناید
وعن بعض الصالحين أنه قال: نزل عندي أضياف وعلمت أنهم من أبدال فقلت لهم: أوصوني بوصية بالغة حتى أخاف الله قالوا: نوصيك بستة أشياء: أولها: من كثر نومه فلا يطعم في رقة قلبه. ومن كثر أكله فلا يطعم في قيام الليل. ومن اختار صحبة ظالم فلا يطعم في استقامة دينه. ومن كان الكذب والغيبة عادته فلا يطعم في أن يخرج من الدنيا مع الإيمان. ومن كثر اختلاطه بالناس فلا يطعم في حلاوة العبادة. ومن طلب رضى الناس فلا يطعم في رضى الله تعالى.

واعلم أن المرضي المطلق هو الإنسان الكامل الجامع لجميع الكمالات المحيط بحقائق جميع الأشياء والصفات وأما من دونه فمرضي بوجه دون وجه وعلى حال دون حال نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الرضى واليقين والسكون والتمكين آمين.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [٥٦] وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ هو جد أبي نوح فإن نوحاً بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو إدريس النبي عليه السلام ابن يرد بن مهلايل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم ولد وآدم حي قبل أن يموت بمائة سنة كذا في «روضة الخطيب». وقال الكاشفي: [در جامع الأصول آورده كه ادريس بصد سال بعد ازوفات آدم متولد شده] هو أول من وضع الميزان والمكيال وأول من اتخذ السلاح وجاهد في سبيل الله وسبى واسترق بني قابيل وأول من خط بالقلم ونظر في علم الحساب والنجوم وأول من خاط الثياب وكانوا يلبسون الجلود وأول من لبس ثوب القطن واشتقاقه من الدرس يمنعه منع صرفه نعم لا يبعد أن يكون في تلك اللغة قريباً من ذلك فلقلب به لكثرة دراسته إذ روي أنه تعالى أنزل عليه ثلاثين صحيفة ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾

ملازماً للصدق في جميع أحواله ﴿نبياً﴾ خبر آخر لكان مخصص للأول إذ ليس كل صديق نبياً. قال عباس بن عطاء: أدنى منازل المرسلين أعلى مراتب النبيين وأدنى مراتب النبيين أعلى مراتب الصديقين وأدنى مراتب الصديقين أعلى مراتب المؤمنين.

﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ وهو السماء الرابعة فإن النبي عليه السلام رأى آدم ليلة المعراج في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وإدريس في الرابعة وهارون في الخامسة وموسى في السادسة وإبراهيم في السابعة. واختلف القائلون بأنه في السماء أهو حي فيها أم ميت فالجمهور على أنه حي وهو الصحيح وقالوا: أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض وهما الخضر والياس واثنان في السماء إدريس وعيسى كما في «بحر العلوم». قال الكاشفي: [در رفع ادريس اخبار متنوعه هست ابن عباس فرمود كه روزی ادريس را حرارت آفتاب غلبه كرد مناجات كرد كه الهی باوجود اين مقدار بعدكه ميان من و آفتاب هست از حرارت او باحترق نزدك شدم آیا آن فرشته كه حامل اوست چه حال داشته باشد خدايا بار آفتاب شدت بروسبك كردان واورا از تاب حرارت آفتاب درسايه عنايت خود محفوظ دار:

از تاب آفتاب حوادث چه غم خورد آنرا كه سائبان عنايت پناه اوست
حق سبحانه وتعالى دعای او مستجاب فرمود روز ديكر آن فرشته كه حامل آفتابست خود را سبكباز يافت وتأثيری از حرارت او فهم نكرد سبب آنرا از حضرت عزت استدعا نمود خطاب رسيد كه بنده من ادريس در حق تو دعا كرده ومن اجابت كردم آن فرشته اجازت خواست كه بزيارت ادريس آيد اجازت يافت وبرزمين آمد وبالتماس ادريس اورا به پر بافر خود نشانيد بآسمان بردو نزدك مطلع آفتاب رسانيده وباستدعای ادريس كميت عمرو كيفيت اجل وى از ملك الموت پرسيد وعزرائيل ديوان اعمار نگاه كرده فرمود كه حكم الهی درباره اين كس كه توميكويي آنست كه حالى نزدك مطلع آفتاب متوفى شود وچون آن فرشته باز آمد ادريس را يافت نقد جان بخازن اجل سپرده طوطى روحش بشكرستان قدس يرواز كرده. وروايتي ديكر آنست كه ملك الموت از كثرت طاعت ادريس مشتاق ديدارش شد وباذن حق تعالى برزمين آمده ويرادريافت وبامر الهی بالتماس ادريس جانش برداشت وباز حق سبحانه جانش داد وعزرائيل اورا بآسمان برد ودوزخ بدو نمود واز آنجا ببهشت رفت وديكر بيرون نيامد] فالآية دلت على رفعته وعلى علو مكانه وهو فلك الشمس أما رفعته فبتبعية مكانه وأما علو مكانه فبوجهين: أحدهما باعتبار ما تحته من الكرات الفلكية والعنصرية وثنائهما باعتبار المرتبة بالنسبة إلى جميع الأفلاك وذلك أن فلك الشمس تحته سبعة أفلاك: فلك الزهرة، وفلك عطارد، وفلك القمر، وكرة الأثير أي: النار، وكرة الهواء، وكرة الماء، وكرة التراب، وفوقه سبعة أفلاك أيضاً: فلك المريخ، وفلك المشتري، وفلك زحل، وفلك الثوابت، والفلك الأطلس، وفلك الكرسي، وفلك العرش، فأعلى الأمكنة بالمكانة والمرتبة فلك الشمس الذي هو قطب الأفلاك إذ الفيض إنما يصل من روحانيته إلى سائر الأفلاك كما أن من كوكبه يتنور الأفلاك جميعاً وذلك كما يقال على القلب يدور البدن أي: منه يصل الفيض إلى سائر البدن وفي فلك الشمس مقام روحانية إدريس كما يشعر به حديث المعراج.

وفي «التأويلات النجمية»: المكان العلي فوق المكونات عند المكون في مقعد صدق عند ملك مقتدر انتهى. وقد أعطى الله تعالى للمحمدين علو المكانة لكن العبد لا يتصور أن

يكون علياً مطلقاً إذ لا ينال درجة إلا ويكون في الوجود ما هو فوقها وهي درجات الأنبياء والملائكة نعم يتصور أن ينال درجة لا يكون في جنس الإنس من يفوقه وهي درجة نبينا عليه السلام ولكنه قاصر بالإضافة إلى العلو المطلق لأنه علو بالإضافة إلى بعض الموجودات والآخر علو بالإضافة إلى الوجود لا بطريق الوجوب بل يقارنه إمكان وجود إنسان فوقه فالعلي المطلق هو الذي له الفوقية لا بالإضافة وبحسب الوجوب لا بحسب الوجود الذي يقارنه إمكان نقيضه، وفي «المنوي»:

دست بر بالای دست این تا کجا تا بیزدان که الیه المنتهی
 کان یکی دریاست بی غور و کران جمله دریاها چوسیلی پیش آن
 حیلها و چارها کر ازدهاست پیش الا الله انها جمله لاست

فعلى العامة أن لا يلتفتوا إلى العلو الإضافي الحاصل من بعض الرياسات كالقضاء والتدريس والإمامة والإمارة ونحوها وعلى الخاصة أن لا ينظروا إلى العلو الاعتباري الحاصل من بعض المقامات كالأفعال والصفات فإن الكمال الحقيقي هو الترقى من كل إضافة فانية وعلاقة زائلة والتجرد من ملابس كل كون حادث صورة ومعنى ألا ترى إلى حال أصحاب الصفة رضي الله عنهم نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا من المفتخرين بغيره.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَكِكًا ۝٥٨﴾

﴿أولئك﴾ إشارة إلى المذكورين في هذه السورة من زكريا إلى إدريس وهو مبتدأ خبره قوله ﴿الذين أنعم الله عليهم﴾ بأنواع النعم الدينية والدنيوية وأصناف المواهب الصورية والمعنوية وقد أشير إلى بعض ما يخص كلاً منهم ﴿من النبيين﴾ بيان للموصول ونظيره في سورة الفتح ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿من ذرية آدم﴾ بدل منه بإعادة الجار يقال ذراً الشيء كثر ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين كما في «القاموس» ﴿وممن حملنا مع نوح﴾ أي: ومن ذرية من حملنا معه في سفينته خصوصاً وهم من عدا إدريس فإن إبراهيم كان من ذرية سام بن نوح ﴿وممن ذرية إبراهيم﴾ وهم الباقون ﴿وإسرائيل﴾ عطف على إبراهيم أي: ومن ذرية إسرائيل أي: يعقوب وكان منهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. وفيه دليل على أن أولاد البنات من الذرية لأن عيسى من مريم وهي من نسل يعقوب ﴿وممن هدينا واجتبتنا﴾ أي: ومن جملة من هديناهم إلى الحق واصطفيناهم للنبوة والكرامة قالوا من فيه للتبيين إن عطف على من النبيين وللتبعض إن عطف على ومن ذرية آدم ﴿إذا تلى﴾ تقرأ ﴿عليهم﴾ على هؤلاء الأنبياء ﴿آيات الرحمن﴾ أي: آيات الترغيب والترهيب في كتبهم المنزلة ﴿خروا﴾ سقطوا على الأرض حال كونهم ﴿سجداً﴾ ساجدين جمع ساجد ﴿وبكياً﴾ باكين جمع باك وأصله بكوا والمعنى أن الأنبياء قبلكم مع ما لهم من علو الرتبة في شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله تعالى كانوا يسجدون ويكسبون لسماع آيات الله فكونوا مثلهم وفي الحديث «اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا» يقال تباكى فلان إذا تكلف البكاء أي: إن لم تبك أعينكم فلتبك قلوبكم يعني تحزنوا عند سماع القرآن فإن القرآن نزل بحزن على المحزونين. قال الكاشفي: [كلام دوست مهيج شوقست چون آتش شوق

بركانون دل بر افروخته كردد ازديده خون ريختن كيرد:

ای دریغا اشك من دریابدی تانشار دلبر زیبا بدی
اشك کان ازبهر آن بارند خلق کوهرست واشك پندارند خلق]

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿خروا﴾ بقلوبهم على عتبة العبودية ﴿سجدا﴾ بالتسليم للأحكام الأزلية ﴿وبكيا﴾ بكاء السمع بذوبان الوجود على نار الشوق والمحبة انتهى. قالوا: ينبغي أن يدعو الساجد في سجده بما يليق بآياتها فهنا يقول: «اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهيدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك» وفي آية الإسرائ «اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك» وفي آية تنزيل السجدة يقول: «اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك». قال الكاشفي: [اين سجده پنجمست از سجدهات كلام الله حضرت شيخ قدس سره اين سجده راكه بجهت تلاوت آيات رحمانی می باید سجود انعام عام گفته و كریه كه متفرع براوست انرا كریه فرح و سرور میداند چه رحمت رحما نیست مقتضى لطف و رأفت است و موجب بهجت و مسرت پس نتیجه او طربست نه اندوه و تعب].

﴿خَلْفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۝٩١﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٩٢﴾

﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ يقال لعقب الخير خلف بفتح اللام ولعقب الشر خلف بالسكون أي: فعقب الأنبياء المذكورين وجاء بعدهم عقب سوء من أولادهم. وفي «الجلالين» بقي من بعد هؤلاء قوم سوء يعني اليهود والنصارى والمجوس انتهى. وفي الحديث «ما من نبي بعثه الله في أمة إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» ذكره مسلم ﴿أضاعوا الصلاة﴾ تركوها أو أخروها عن وقتها أو ضيعوا ثوابها بعد الأداء بالنميمة والغيبة والكذب ونحوها أو شرعوا فيها بلا نية وقاموا لها بلا خضوع وخشوع ﴿واتبعوا الشهوات﴾ من شرب الخمر واستحلال نكاح الأخت من الأب والانهماك في فنون المعاصي. وعن علي رضي الله عنه هم من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وفي الحديث «أوحى الله إلى داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها أفتحب أن تكون كلباً مثلهم فتجر معهم يا داود طيب الطعام ولين اللباس والصيت في الناس والجنة في الآخرة لا يجتمعان أبداً».

واعلم أن تيسير أسباب الشهوات ليس من أماره الخير وعلامة النجاة في الآخرة ومن ثمة امتنع عمر رضي الله عنه من شرب ماء بارد يعسل وقال: اعزلوا عني حسابها. وقال وهب بن منبه: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ فقال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد والشهوة في الأصل التمني ومعناها بالفارسية [آرزو خواستن] والمراد بها في الآية المشتبهات المذمومة. والفرق بين الهوى والشهوة أن الهوى هو المذموم من جملة الشهوات والشهوة قد تكون

محمودة وهي من فعل الله تعالى وهي ما يدعو الإنسان إلى الصلاح وقد تكون مذمومة وهي من فعل النفس الأمانة بالسوء وهي استجابتها لما فيه لذاتها البدنية ولا عبادة لله أعظم وأشرف من مخالفة الهوى والشهوات وترك الذات، قال الشيخ سعدي:

مبر طاعت نفس شهوت يرسر كه هر ساعتش قبله ديكرست
مرو درپی هرچه دل خواهدت كه تمكين تن نورجان كاهدت
كند مردرا نفس اماره خوار اكر هو شمندي عزيزش مدار

﴿فسوف يلقون غيًّا﴾ أي: شرًّا فإن كل شر عند العرب غي فكل خير رشاد. وعن الضحاك جزاء غي كقوله تعالى ﴿يَلْقَوْنَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي: جزاء أثم. وقيل غي واد من جهنم يستعيز من حره أوديتها أعد للزاني وشارب الخمر وآكل الربا وشاهد الزور ولأهل العقوق وتارك الصلاة.

﴿إلا من تاب﴾ رجع من الشرك والمعاصي ﴿وآمن﴾ اختيار الإيمان مكان الكفر ﴿وعمل صالحا﴾ بعد التوبة والندم ﴿فأولئك﴾ المنعوتون بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿يدخلون الجنة﴾ بموجب الوعد المحتوم ﴿ولا يظلمون﴾ لا ينقصون من جزاء أعمالهم ﴿شيئا﴾ ولا يمنعونه فالظلم بمعنى النقص والمنع شيئاً مفعوله ويجوز أن يكون شيئاً في موضع المصدر أي: ولا يظلمون البتة شيئاً من الظلم.

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُومًا﴾ ﴿٦١﴾ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ ﴿٦٢﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من الجنة بدل البعض لأن الجنة تشتمل على جنات عدن وما بينهما اعتراض وجنات عدن علم لجنة مخصوصة كشهر رمضان وقد يحذف المضاف حيث يقال جاء رمضان وقيل جنات عدن علم لدار الثواب جميعها والعدن الإقامة وهو الأنسب بمثل هذا المقام فإن جنة عدن المخصوصة وجنة الفردوس لا يدخلهما العوام بالأصالة لأنهما مقام المقربين ﴿التي وعد الرحمن عباده﴾ أي: وعدها إياهم ملتبسة ﴿بالغيب﴾ أي: وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو غائبين عنها لا يرونها وإنما آمنوا بها بمجرد الأخبار والتعرض لعنوان الرحمة للإيذان بأن وعدها وإنجازه لكمال سعة رحمته تعالى. وفي الإضافة إشارة إلى أن المراد من يعبده مخلصاً له في العبودية لا يعبد الدنيا والنفس والهوى إذ كمال التشريف بالإضافة إنما يحصل بهذا المعنى فله جنة عدن المخصوصة ﴿إنه﴾ أي: الله تعالى ﴿كان وعده﴾ أي: موعوده الذي هو الجنة ﴿مأثياً﴾ أي: يأتيه من وعد له لا محالة بغير خلف فالمأثي بمعنى المفعول من الإتيان أو بمعنى الفاعل أي: جائياً ألبتة.

﴿لا يسمعون فيها﴾ في تلك الجنات ﴿لغوا﴾ أي: فضول كلام لا طائل تحته وهو كناية عن عدم صدور اللغو عن أهلها. وفيه تنبيه على أن اللغو مما ينبغي أن يجتنب عنه في هذه الدار ما أمكن ﴿إلا سلاماً﴾ استثناء منقطع أي: لكن يسمعون تسليم الملائكة عليهم أو تسليم بعضهم على بعض ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة﴾ [بامداد] ﴿وعشياً﴾ [شبانكاه] والمراد دوام الرزق كما يقال أنا عند فلان صباحاً ومساءً يراد الدوام منه وقيل يؤتى طعامهم على مقدار البكرة والعشي إذ لا نهار ثمة ولا ليل بل هم في نور أبداً وإنما وصف الله الجنة بذلك لأن العرب لا

تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي. قال الإمام في تفسيره فإن قيل المقصود من الآيات وصف الجنة بأمر مستعظمة وليس وصول الرزق بكرة وعشياً منها قلنا قال الحسن: أراد أن يرغب كل قوم بما أحبوه في الدنيا فلذلك ذكر أساور الذهب والفضة ولبس الحرير الذي كان عادة العجم والأرائك التي كانت عادة أشراف اليمن ولا شيء أحب إلى العرب من الغداء والعشاء.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾ من رؤية الله تعالى ﴿بَكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ كما جاء في الخبر: «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشياً» انتهى.

﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ﴿١٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَمَا هُمْ بِخَالِفِينَ ﴿١٤﴾

﴿تلك﴾ إشارة إلى الجنة المذكورة المتقدمة يريد تلك التي بلغك وصفها وسمعت بذكرها ﴿الجنة﴾ قال في «الإرشاد»: مبتدأ وخبر جيء به لتعظيم شأن الجنة وتعيين أهلها ويجوز أن يكون الجنة صفة للمبتدأ الذي هو اسم الإشارة وخبره قوله: ﴿التي نورث﴾ أي: نورثها ونعطيها بغير اختيار الوارث ﴿من عبادنا من كان تقياً﴾ مجتنباً عن الشرك والمعاصي مطيعاً لله أي: بنقيها عليهم بتقواهم وامتعتهم بها كما بنقي على الوارث مال مورثه ونمته به. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال نورث والميراث ما انتقل من شخص إلى شخص والجواب أن هذا على وجه التشبيه أراد أن الأعمال سبب لها كالنسب ملك بلا كسب ولا تكلف وكذا الجنة عطاء من الله ورحمة منه خلافاً للقدرية انتهى. والوراثه أقوى ما يستعمل في التملك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا إبطال ولا إسقاط. قال في «الأشباه»: لو قال الوارث تركت حقي بطل حقه انتهى. وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا وأطاعوا زيادة في كرامتهم. قال المولى الفناري في تفسير الفاتحة: اعلم أن الجنات ثلاث:

الأولى جنة اختصاص إلهي وهي التي يدخلها الأطفال الذين لم يبلغوا حد العمل وحدهم من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام ويعطي الله من شاء من عباده من جنات الاختصاص ما شاء ومن أهلها المجانين الذين ما عقلوا ومن أهلها أهل التوحيد العلمي ومن أهلها أهل الفترات ومن لم تصل إليهم دعوة رسول.

والجنة الثانية: جنة ميراث ينالها كل من دخل الجنة ممن ذكرنا من المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها.

والجنة الثالثة: جنة الأعمال وهي التي ينزل الناس فيها بأعمالهم فمن كان أفضل من غيره في وجوه التفاضل كان له من الجنة أكثر سواء كان الفاضل بهذه الحال دون المفضل أو لم يكن فما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها ورد في الحديث الصحيح عن النبي عليه السلام أنه قال لبلال: «يا بلال بَمَ سبقتني إلى الجنة فما وطئت منها موضعاً إلا سمعت خشخشتك أمامي» فقال: يا رسول الله ما أحدثت قط إلا توضأت وما توضأت إلا صليت ركعتين فقال رسول الله ﷺ: «بهما» فعلمنا أنها كانت جنة مخصوصة بهذا العمل فما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير ولا ترك محرم ومكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص

يناله من دخلها ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة فيصرف سمعه وبصره ويده فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل الطاعة.

﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾. قال مجاهد: أبطأ الملك على رسول الله ﷺ ثم أتاه فقال له عليه السلام: «ما حبسك يا جبرائيل» قال: وكيف آتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تنقون براجمكم ولا تستاكون ثم قرأ ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ كما في «أسباب النزول» و«سفينة الأبرار» وفي الحديث: «نقوا براجمكم» وهي مفاصل الأصابع والعقد التي على ظهرها يجتمع فيها الوسخ واحدا برجمة وما بين العقدتين يسمى راجبة والجمع رواجب وذلك مما يلي ظهرها وهو قصبه الأصبع فلكل أصبع برجتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن له برجمة وراجبتين فأمر بتنقيته لثلا يدرن فيبقى فيه الجنبانة ويحول الدرن بين الماء والبشرة ذكره القرطبي. وقال بعض المفسرين: هو حكاية لقول جبريل حين استبطأ رسول الله لما سئل عن أصحاب الكهف وذوي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه فأبطأ عليه أربعين يوماً أو خمسة عشر فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل ببيان ذلك قال له: «أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك» فقال جبريل: إني كنت أشوق ولكني عبد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست فأنزل الله هذه الآية وسورة والضحى. والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع للتنزيل والمعنى قال الله لجبريل: قل لمحمد وما ننزل وقتاً غب وقت إلا بأمر الله على ما تقتضيه حكمته.

﴿له﴾ أي: لله بالاختصاص ﴿ما بين أيدينا﴾ من الأمور الآخروية الآتية ﴿وما خلفنا﴾ من الأمور الدنيوية الماضية ﴿وما بين ذلك﴾ ما بين ما كان وما سيكون أي: من هذا الوقت إلى قيام الساعة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿له ما بين أيدينا﴾ من التقدير الأزلي ﴿وما خلفنا﴾ من التدبير الأبدى ﴿وما بين ذلك﴾ من أزل إلى الأبد انتهى. ونظيره قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ﴿وما كان ربك نسيا﴾ [فراموشكار يعنى از حال تو آگاهست هرگاه كه خواهد مارا بتوفرستد]. قال أهل التفسير فعيل بمعنى فاعل من النسيان بمعنى الترك أي: تاركاً لك كما زعمت الكفرة وإن تأخر عنك الوحي لمصلحة أو بمعنى نقيض الذكر الذي هو الغفلة أي: غافلاً عنك.

﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ﴿٦٥﴾

﴿رب السموات والأرض﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: هو مالهما ﴿وما بينهما﴾ من الخلق فكيف يجوز النسيان على الرب ﴿فاعبده﴾ أي: إذا كان هو الرب فاثبت على عبادته يا محمد والعبادة قيام العبد بما تعبد به وتكلف من امتثال الأوامر والنواهي.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فاعبده﴾ بجسدك ونفسك وقلبك وسرك وروحك فعبادة جسدك إياه بأركان الشريعة وهي الائتمار بما أمرك الله به والانتهاة عما نهاك الله عنه وعبادة نفسك بأداب الطريقة وهي ترك موافقة هواها ولزوم مخالفة هواها وعبادة القلب والإعراض عن

الدنيا وما فيها والإقبال على الآخرة ومكافئها وعبادة السر خلوه عن تعلقات الكونين اتصالاً بالله تعالى ومحبة وعبادة الروح ببذل الوجود لنيل الشهود ﴿واصطبر لعبادته﴾ أي: اصبر لمشاقها ولا تحزن بإبطاء الوحي واستهزاء الكفرة وشماتتهم بك فإنه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والآخرة. وتعدية الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلاء كما في قوله ﴿وَأَصْطَبِرْ عَلَيَّهَا﴾ [طه: ١٣٢] لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورّد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك أي: اثبت له فيما يورّد عليك من شدائده وحملاته ﴿هل تعلم له سمياً﴾ السمي الشريك في الاسم والمثل والشبيه أي: مثلاً يستحق أن يسمى إلهاً وإنما قيل للمثل سمي لأن كل متشاكلين يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والنظير وكل واحد منهما سمي لصاحبه أو أحداً يسمى الله غيره فإن المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة أصلاً والمراد بإنكار العلم ونفيه إنكار المعلوم ونفيه أي: لا يكون ولم يكن ذلك. قال الكاشفي: [يكي از آثار سطوت آلهی آن بود که هیچ کس از اهل شرك معبود خود را الله نکفته اند عزت احدیت و غیرت الوهیت این اسم سامی را از تصرف کفار و تسمیه ایشان در حصن حصین امان محفوظ داشت و زبان اهل ایمان را در نعمت و محنت و سرا و ضرا بتکرار آن نام نامی جاری ساخت]:

الله الله چه طرفه نامست این حرزدل وردجان تمامست این

بس بود نزد صاحب معنی حسبی الله کواه این دعوی

روي أن بعض الجبابرة سمى نفسه بلفظ الجلالة فصهر ما في بطنه من دبره وهلك من ساعته وقال فرعون مصر للقيبط أنا ربكم الأعلى ولم يقدر أن يقول أنا الله. قال ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى أحد الرحمن وغيره. قال المولى الفناري في ترتيب أسماء البسملة: إن لاسم الجلالة اختصاصاً وضعيّاً واستعمالياً وللرحمن اختصاصاً استعمالياً وقولهم رحمن الإمامة لمسيلمة تعنت في كفرهم كما لو سموه الله مثلاً ولا اختصاص للرحيم قالت قريش لرسول الله ﷺ: بلغنا أنك إنما تعلمك رجل بالإمامة يقال له الرحمن وإنا والله لنؤمن بالرحمن أبداً وقد عنوا بالرحمن مسيلمة الكذاب وقيل عنوا كاهناً كان لليهود بالإمامة وقد رد الله عليهم بأن الرحمن المعلم له هو الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابُ﴾ [الرعد: ٣٠] أي: توبتي ورجوعي كما في «إنسان العيون» وتكره التسمية بالأسماء التي لا تليق إلا بالله تعالى كالرحمن والرحيم والإله والخالق والقدوس ونحوها قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] قال بعض المفسرين قل سموهم بأسمائي ثم انظروا هل تليق بهم أي: لا تليق بهم وغير رسول الله ﷺ اسم العزيز لأن العزة لله وشعار العبد الذلة والاستكانة كما في «إبكار الأفكار».

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذْ مَا مِتْ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا﴾ (١٦) ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ

شَيْئًا﴾ (١٧) ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (١٨)

﴿ويقول الإنسان﴾ بطريق الإنكار والاستبعاد للبعث وهو أبي بن خلف حين فت عظماء بالياً فقال: يزعم محمد أنا نبعت بعدما نموت ونصير إلى هذه الحال ﴿أنذا ما مت﴾ وكنت رميمًا ﴿لسوف أخرج﴾ من القبر حال كوني ﴿حياً﴾ وبالفارسية [آياچون بميرم من هر آينه زود

بيرون شوم از خاک زنده يعني چگونه تواند بود که مرده زنده شود و از خاک بیرون آید [تقديم الظرف وإيلاؤه حرف الإنكار لما أن المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج وهو البعث لا به فإن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها لصدارتها وهي في الأصل للحال وههنا للتأكيد المجرد أي: لتأكيد معنى همزة الإنكار في أنذا ولذا جاز اقترانها بسوف الذي هو حرف الاستقبال. وفي «التكملة» اللام في قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ﴾ ليست للتأكيد فإنه منكر فكيف يحقق ما ينكر وإنما كلامه حكاية لكلام النبي عليه السلام كأنه ﷺ قال إن الإنسان إذا مات لسوف يخرج حياً فأنكر الكافر ذلك وحكي قوله فنزلت الآية على ذلك حكاه الجرجاني في كتاب «نظم القرآن». قال في «بحر العلوم» لما كانت هذه اللام لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر وجب تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله لأنا سوف أخرج حياً وما في أنذا ما للتوكيد أيضاً وتكرير التوكيد إنكار على إنكار.

﴿أولاً يذكر الإنسان﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه يقول. والذكر في الأصل هو العلم بما قد علم من قبل ثم تخلله سهو وهم ما كانوا عالمين فالمراد به هنا التذكر والتفكر والمعنى أيقول ذلك ولا يتفكر ﴿إنا خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقاءه ﴿ولم يك﴾ أصله لم يكن حذف النون تخفيفاً لكثرة الاستعمال أو تشبيهاً بحروف العلة في امتداد الصوت. وقال الرضي: النون مشابهة للواو في الغنة ﴿شيئاً﴾ بل كان عدماً صرفاً فيعلم أن من قدر على الابتداء من غير مادة قدر على الإعادة بجمع المواد بعد تفريقها وفي هذا دليل على صحة القياس حيث أنكر عليه وجهه في ترك قياس النشأة الأخرى على الأولى فيستدل به على البعث والإعادة قيل لو اجتمع الخلق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا.

﴿فوربك﴾ الواو للقسم. والمعنى بالفارسية [پس بحق پرورد کار تو که بوقت قیامت] ﴿لنحشرنهم﴾ لنجمعن القائلين بالسوق إلى المحشر بعد ما أخرجناهم من الأرض أحياء ﴿والشياطين﴾ معهم وهم الذين أغووههم إذ كل كافر سيحشر مع شيطانه في سلسلة ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم﴾ حال كونهم ﴿جثياً﴾ جمع جاث من جثا يجثو ويجثي جثوا وجثياً فيهما جلس على ركبتيه كما في «القاموس» أي: جالسين على الركب لما يعرضهم من شدة الأمر التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما جثيا جماعات جمع جثوة وهي الجماعة واختاره في تفسير «الجلالين».

﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا﴾ ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًا ﴿٢٠﴾

﴿ثم لننزعن﴾ لنخرجن قاله البغوي والنزع الجذب ﴿من كل شيعه﴾ أمة وفرقة شاعت أي: نبعت غاويًا من الغواة ﴿أيهم﴾ موصول حذف صدر صلتته منصوب بنزعن الذين هم أو استفهام مبتدأ خبره أشد فرفعه على الحكاية أي: لننزعن الذين يقال لهم أيهم ﴿أشد﴾ [سختتر وبيسارتر] ﴿على الرحمن﴾ [برخداى تعالى] ﴿عتياً﴾ [از جهت سرکشى وجرأت يعنى أول ازهر امتى آنراکه نافرمان تربوده جدا كنيم] يقال عتا على فلان إذا تجاوز الحد في الظلم

والمقصود أنه يميز من كل طائفة منهم الأعصى فالأعصى فإذا اجتمعوا يطرح في النار على الترتيب. قال في الكبير يحضرهم أولاً ثم يخص أشدهم تمرداً بعذاب أعظم إذ عذاب الضال المضل يجب أن يكون فوق عذاب من يضل تبعاً وليس عذاب من يورد الشبهة كعذاب من يقتدي به غافلاً قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] انتهى. يقول الفقير في الآية تهديد عظيم لأبي المذكور وأنه أول منزوع من مشركي العرب لكونه أشد على الرحمن عتياً من جهة مقالته المذكورة. واعلم أن أول الأمر البعث ثم الحشر ثم الإحضار ثم النزاع ثم الإدخال في النار وهو قوله تعالى:

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَى﴾ [سزاوار ترند] ﴿بِهَا﴾ [بآتش دوزخ] ﴿صَلِيًّا﴾ دخولاً يعني [ميدانيم] كه كيست سزای انكه اورا نخست در آتش افكنند] وهم المنتزعون يقال صلى يصلي كلقى يلقي ومضى يمضي إذا دخل النار.

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا ﴿٧٧﴾

﴿وإن منكم﴾ أي: وما منكم أيها الناس ﴿إلا واردها﴾ أي: واصل جهنم وداخلها ﴿كان﴾ أي: ورودهم إياها ﴿على ربك حتما﴾ مصدر حتم الأمر إذا أوجبه فسمي به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الأمير أي: أمراً محتوماً أوجبه الله على ذاته ﴿مقضياً﴾ حتى أنه لا بد من وقوعه ألبتة.

﴿ثم نجى الذين اتقوا﴾ [يس نجات دهيم آنانرا كه پرهيز كردند از شرك يعنى بيرون آريم ازدوزخ] أحال الورد إلى الوارد وأحال النجاة إلى نفسه تعالى. ففيه إشارة إلى أن كل وارد يرد بقدّم الطبيعة في هاوية الهوى إن شاء وإن أبى ولو خلى إلى طبيعته لا ينجو منها أبداً ولكن ما نجا من نجا إلا بإنحاء الله تعالى إياه ﴿ونذر﴾ نترك ﴿الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فيها﴾ في جهنم ﴿جنّتاً﴾ [بزانو در آمد كان] وهو إشارة إلى هوانهم وتقاعدهم عن الحركة إلى الجنة مع الناجين. وفي تفسير «الجلالين» جنّتاً أي: جميعاً انتهى.

اعلم أن الوعيدية وهم المعتزلة قالوا: إن من دخلها لا يخرج منها وقالت المرجئة لا يدخلها مؤمن قط وقالوا إن الورد ههنا هو الحضور لا الدخول فأما أهل السنة فقالوا يجوز أن يعاقب الله العصاة من المؤمنين بالنار ثم يخرجهم منها. وقالوا معنى الورد الدخول كقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وقال تعالى ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتَرُ لَهَا وَرُدُّوْكَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وبديل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ والنجاة إنما تكون بعد الدخول فيها كقوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨] فإن قلت كيف يدخلونها والله تعالى يقول: ﴿أَوَلَيْكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿١٧٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١ - ١٠٢]. قلت: المراد به الإبعاد عن عذابها. قال في «الأسئلة المقحمة» يجوز أن يدخلوها ولا يسمعون حسيسها لأن الله تعالى يجعلها عليهم برداً وسلاماً كما جعلها على إبراهيم عليه السلام فالمؤمنون يمرون بجهنم وهي برد وسلام والكافرون وهي نار كما أن الكوز الواحد كان يشربه القبطي فيصير دماً والإسرائيلي فيكون ماء عذاباً:

مؤمن فسون چه داند بر آتشش بخواند سوزش درو نماند كردد چونور روشن
وفي الحديث: «جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لهي»، وفي «المثنوي»:

كويدش بكذر سبك ای محتشم ورنه آتشهای تومرد آتشم
فإن قلت إذا لم يكن في دخول المؤمنين عذاب فما الفائدة فيه؟ قلت وجوه:
الأول: أن يزيدهم سروراً إذا علموا الخلاص منه.

والثاني: يزيد غم أهل النار لظهور فضيحتهم عند المؤمنين والأولياء الذين كانوا يخوفونهم بالنار.

والثالث: يرون أعداءهم المؤمنين قد تخلصوا منها وهم يبقون فيها.

والرابع: أن المؤمنين إذا كانوا معهم فيها بكتوهم فيزداد غمهم.

والخامس: أن مشاهدة عذابهم توجب مزيد التذاذهم بنعيم الجنة.

يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن جهنم صورة النفس الأمارة ففي الدنيا يرد كل من الأنبياء والأولياء والمؤمنين والكافرين هاوية الهوى بقدم الطبيعة لكن الأنبياء لكون نفوسهم من المطمئنة يجدونها خامدة وأما الأولياء فيردون عليها وهي ملتهبة ثم يجهدون إلى أن يطفئوها بنور الهدى ويلتحق بهم بعض المؤمنين وهم المعفو عنهم ولا يمر هؤلاء الطوائف الجليلة بالنار في الآخرة فلا يحترقون بها أصلاً وأما الكفار فلما كان كفرهم كبريت الهوى في الدنيا فلا جرم يدخلون النار في الآخرة وهي ملتهبة فيبقون هناك محترقين مخلصين ويلتحق بهم بعض العصاة وهم المعذبون لكنهم يخرجون منها بسبب نور تقواهم عن الشرك. وقال ابن مسعود والحسن وقتادة ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها وذلك لأنه لا طريق إلى الجنة سوى الصراط فالمرور في حكم الورود وفي الحديث: «لا يموت لمسلم ثلاث من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم» وهي قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا وادها﴾ والتحلة مصدر حللت اليمين أي: أبررتها وتحلة القسم ما يفعله الحالف مما أقسم عليه مقدار ما يكون باراً في قسمه فهو مثل في القليل المفرط القلة. وقال مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء» وفي الحديث: «الحمى حظ كل مؤمن من النار» وقد جاء «إن حمى ليلة كفارة سنة ومن حم يوماً كان له براءة من النار وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» وعن جابر رضي الله عنه استأذنت الحمى على رسول الله عليه السلام فقال: «من هذه» قالت أم ملى فأمروا بها عليه السلام إلى أهل قبا فلقوا منها ما لا يعلمه إلا الله فشكوا إليه عليه السلام فقال: «إن شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وإن شئتم تكون لكم طهوراً» قالوا: أوفعل ذلك قال: «نعم» قالوا فدعها قالت عائشة رضي الله عنها قدما المدينة وهي أوبى أرض الله ولما حصلت لها الحمى قال لها عليه السلام: «ما لي أراك هكذا» قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله هذه الحمى وسببتها فقال: «لا تسبها فإنها مأمورة ولكن إن شئت علمتك كلمات إذا قلتها أذهب الله عنك» قالت: فعلمني قال: «قولي اللهم ارحم جليدي الرقيق وعظمي الدقيق من شدة الحريق يا أم ملى إن كنت آمنت بالله العظيم فلا تصدعي الرأس ولا تتنتني الفم ولا تأكلي اللحم ولا تشربي الدم وتحولي عني إلى من اتخذ مع الله إلهاً آخر» فقالت فذهبت عنها كذا في إنسان العيون.

﴿وَإِذَا نُنَاجِيهِمْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٦﴾ وَكَوْهَلِكُنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتُنَا وَرِءَايَا ﴿٧٧﴾﴾

﴿وإذا تتلى﴾ [وچون خوانده شود] ﴿عليهم﴾ أي: على المشركين ﴿آياتنا﴾ القرآنية ﴿بينات﴾ واضحات الاعجاز والمعاني وهي حال مؤكدة فإن آيات الله لا ينفك عنها الوضوح ﴿قال﴾ [كوبند] ﴿الذين كفروا﴾ كنضر بن الحارث وأصحابه ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين واللام للتبليغ كما في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧] أو لام الأجل أي: لأجلهم في حقهم ﴿أي الفريقين﴾ أي: المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا أينا ﴿خير﴾ نحن أو أنتم ﴿مقاماً﴾ مكاناً ومسكناً يعني [مارا منازل نزه است وهمه اسباب معيشت] ﴿وأحسن ندياً﴾ أي: مجلساً ومجتمعاً. قال بعض المفسرين الندى المجلس الجامع لوجوه قومهم وأعوانهم وأنصارهم يعني [در مجمع ما همه صناید قریش وأشرف عرب اند ودر مجلس او همه موالی وضعفا].

- یروی - أنهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها ويتطيبون ويتزينون بالزین الفاخرة فإذا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها قالوا مفتخرين بالخطوط الدنيوية على فقراء المؤمنين لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا أحسن لأن الحكيم لا يليق به أن يوقع أولياءه في العذاب والذل وأعداءه في العز والراحة لكن الأمر بالعكس وقصدهم بهذا الكلام صرفهم عن دينهم فرد الله عليهم بقوله:

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ كم مفعول أهلكنا ومن قرن بيان لإبهاهما وأهل كل عصر قرن لمن بعدهم لأنهم يتقدمونهم مأخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها. وقال الكاشفي: [من قرن: كروهي را مجتمع بودند در زمان واحد] انتهى كأنه أخذه من الاقتران ﴿هم أحسن﴾ في محل النصب على أنه صفة لكم ﴿أثاثاً﴾ تمييز عن النسبة وهو متاع البيت يعني [نيکوتر از جهت امتعه بيت كه آرایش منازل بدان باشد] ﴿ورثياً﴾ هو المنظر والهيئة فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن والمعنى كثيراً من القرون التي كانوا أفضل منهم فيما يفتخرون به من الخطوط الدنيوية كعاد وثمود وأضرابهم من الأمم العاتية قبل هؤلاء أي: كفار قريش أهلكناهم بفنون العذاب لو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا. وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى كأنه قيل فلينظر هؤلاء أيضاً مثل ذلك. قال الكاشفي: [نه آن مال هلاك از ايشان دفع کرد و نه آن جمال عذاب از ايشان باز داشت]:

برمال وجمال خویشان تکیه مکن کانرا بشبی برند وآنرا بتبی

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن أهل الإنكار وأهل العزة بالله ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾ من الحقائق والأسرار ﴿قال الذين كفروا﴾ ستروا الحق بالإنكار والاستهزاء ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل التحقيق إذا رأوهم مرتاضين مجاهدين مع أنفسهم متحملين متواضعين متذللين متخاشعين وهم متنعمون متمولون متكبرون متبعو شهوات أنفسهم ضاحكون مستبشرون ﴿أي الفريقين﴾ منا ومنكم ﴿خير مقاماً﴾ منزلة ومرتبة في الدنيا ووجاهة عند الناس وتوسعاً في المعيشة ﴿وأحسن ندياً﴾ مجلساً ومنصباً وحكماً فقال تعالى في جوابهم ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ أي: أهلكناهم بحب الدنيا ونعيمها إذ أغرقناهم في بحر شهواتها واستيفاء لذاتها والتعزز

بمناصبها ﴿هم أحسن أثاثاً ورثياً﴾ استعداداً واستحقاقاً في الكمالات الدينية منكم كما قال عليه السلام: «خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا».

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ ﴿٧٥﴾

﴿قل﴾ للمفتخرين بالمال والمال ﴿من﴾ شرطية والمعنى بالفارسية [هركه] ﴿كان﴾ مستقراً ﴿في الضلالة﴾ [درکمر اهی ودر دوری ازراه حق] مغموراً بالجهل والغفلة عن عواقب الأمور ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: يمد له ويمهله بطول العمر وأعطاه المال والتمكين من التصرفات وإخراجه على صيغة الأمر للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير أو للاستدراج واعتبار الاستقرار في الضلالة لما أن المد لا يكون إلا للمصرين عليها إذ رب ضال يهديه الله والتعرض لعنوان الرحمانية لما أن المد من أحكام الرحمة الدنيوية. قال شيخي وسندي قدس سره في بعض تحريراته ﴿فليمدد له الرحمن مداً﴾ أي: فليستدرجه الرحمن استدراجاً بمد عمره وتوسيع ماله وتكثير ولده أو فليمهله الرحمن إمهالاً بمد راحته على الطغيان وإيصال نعمته على وجه الإحسان حتى يقع في العقاب والعذاب على سبيل التدرج لا التعجيل فيكون عقابه وعذابه أكمل وأشمل أثراً وألماً لأن الأخذ على طريق التدرج والنعمة أشد منه على طريق التعجيل والنقمة مع أن مبدأ المد مطلقاً هو الرحمن دون القهار أو الجبار لأن كلا منهما مبدأ الشدة ولذلك عبر به لا بغيره هذا هو الخاطر ببالي في وجه التعبير بالرحمن وإن كانت أشدية عقاب الرحمن وجهاً لكن وجه أشدية عقابه ما ذكرنا لأنه إذا أراد العقاب يأتي به على وجه الرحمة والنعمة فيكون كدراً بعد الصفاء وألماً بعد الراحة وشدة بعد الرخاء فهذا أقوى أثراً والحاصل لا يتصور وقوع المد المذكور إلا من الرحمن لأنه أصله ومنشأه انتهى كلامه روح الله روحه ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ [تاوقتى كه ببينند آنچه بيم کرده شده اند بدان] غاية للمد الممتد وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى من كما أن الأفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها ﴿إما العذاب وإما الساعة﴾ تفصيل للموعود على سبيل البدل فإنه إما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين واستيلائهم عليهم وتعذيبهم إياهم قتلاً وأسراً وإما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الحزن والنكال على طريقة منع الخلو دون الجمع فإن العذاب الأخروي لا ينفك عنهم بحال. قال الإمام أي: لو فرض أن هذا الضال المتنعم قد مد له في أجله أليس أنه ينتهي إلى عذاب في الدنيا أو في الآخرة فسيعلم أن النعم لا تنفعه كما قال تعالى: ﴿فسيعلمون﴾ جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى فإنها هي التي تحكي بعدها الجملة ولذا وقع بعد الجملة الشرطية أي: حتى إذا عاينوا ما يوعدون من العذاب الدنيوي أو الأخروي فقط فسيعلمون حينئذ ﴿من هو شر مكاناً﴾ من الفريقين بأن يشاهدوا الأمر على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون أنهم شر مكاناً لا خير مقاماً. قال الكاشفي: [پس بدانند آنرا که بدترست از هر دو گروه از جهت مکان که جای مؤمنان درجات جنان باشد ومأواى ایشان درکات نيران]:

افتخار از رنك وپو واز مكان هست شادى وفريب كودكان

قال في «بحر العلوم»: جعلت الشرارة للمكان ليفيد إثباتها لأهله لأنه إذا ثبت الأمر في

مكان الرجل فقد ثبت له كما في قولهم المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه ﴿وَأُضْعِفَ جَنْدًا﴾ أي: فئة وأنصاراً لا أحسن ندياً كما كانوا يدعونهم. قال في «تفسير الجلالين» وذلك أنهم إن قتلوا ونصر المؤمنون عليهم علموا أنهم أضعف جنداً ضعفاء كلا ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتَّةً يَصْرُوكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ [الكهف: ٤٣] وإنما ذكر ذلك رداً لما كانوا يزعمون أن لهم أعواناً من الأعيان وأنصاراً من الأخيار ويفتخرون بذلك في الأندية والمحافل.

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْقَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧٦)

﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾ كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين إثر بيان حال الضالين أي: ويزيد الله المؤمنين إيماناً وعملاً و يقيناً ورشداً كما زاد الضالين ضلالاً ومدهم في استدراجهم ﴿والبقيات الصالحات خير﴾ كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل أعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى: ﴿عند ربك ثواباً﴾ هو الجزاء لأنه نفع يعود إلى المجزى وهو اسم من الإثابة أو التشويب أي: الأعمال التي تبقى عائدتها أبداً خير عند ربك من مفاخرات الكفار وحظوظهم العاجلة ﴿وخير مرداً﴾ مرجعاً وعاقبة لأن مآلها رضوان الله والنعيم الدائم ومآل هذا السخط والعذاب المقيم. وقال الكاشفي يعني [اكر كافر انرا در دنيا جاه ومال است ودر آخرت وبال ونكال خواهد شد اما مؤمن در دنيا هم هدايت دارند و هم حمايت ودر آخرت هم ثواب خواهند داشت وهم حسن المآب]:

بدنيى سرفراز ونام دارند بعقبى كامدار وكام كارند

ففي الآية إشارة إلى أن الضرر القليل المتناهي الذي يعقبه نفع كثير غير متناه كما هو حال المؤمنين خير من عكسه كما هو حال الكافرين فإمهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله كما أن قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لأن الله تعالى أراد به ما هو خير له وعوضه منه.

واعلم أن البقيات الصالحات هي أعمال الآخرة كلها ومنها الكلمات الطيبة. قال أبو الدرداء رضي الله عنه: جلس رسول الله عليه السلام ذات يوم وأخذ عوداً يابساً وأزال الورق عنه ثم قال: «إن قول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ليحط الخطايا كما يحط ورق هذه الشجرة الريح خذهن يا أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فهن البقيات الصالحات وهي من كنوز الجنة».

وفي «التأويلات النجمية»: البقيات الصالحات هي الأعمال الصالحات التي هي من نتائج الواردات الإلهية التي ترد من عند الله إلى قلوب أهل الغيوب يعني كل عمل يصدر من عند نفس العبد من نتائج طبعه وعقله لا يكون من البقيات الصالحات يدل عليه قوله ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦] انتهى. فعلى العاقل أن يجتهد في إصلاح النفس وتزكيتها ليتولد منها الأعمال الباقية والأحوال الفاضلة ويحصل له نسل بلا عقم ونكاح منتج قوانا الله وإياكم في ذلك آمين.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٧٧) أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ

عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَتَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرْتُّهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا

فَرْدًا ﴿٨٠﴾

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ نزلت فيمن سخر بالبعث وهو العاص بن وائل كان لخباب بن الأرت عليه مال فنقضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا أكفر بمحمد حياً ولا ميتاً ولا حين نبعث قال: وإذا بعثت جئتني فيكون لي مال وولد فأعطيتك والهمزة للتعجب من حاله والإيذان بأنها من الغرابة والشناعة بحيث يجب أن يرى ويقضي منها العجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أنظرت فرأيت الذي كفر بآياتنا التي من جملتها آيات البعث ﴿وقال﴾ مستهزئاً بها مصدراً كلامه باليمين الفاجرة ﴿لأوتين﴾ في الآخرة إن بعثت يعني [بمن دهمند] ﴿مالاً وولداً﴾ أي: أنظر إليه يا محمد فتعجب من حاله البديعة وجراسته الشنيعة.

﴿أطلع الغيب﴾ همزته استفهام وأصله أطلع من قولهم اطلع الجبل إذا ارتقى إلى أعلاه وطلع الثنية. والمعنى أقد بلغ من عظمة الشأن إلى أن ارتقى إلى علم الغيب الذي توحده به العليم الخبير حتى ادعى أن يؤتى في الآخرة مالاً وولداً وأقسم عليه ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ أو اتخذ من عالم الغيب عهداً بذلك فإنه لا يتوصل إلى العلم به إلا بأحد هذين الطريقين علم الغيب وعهد من عالمه وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فإن وعد الله بالثواب عليهما كالعهد الموثق عليه ﴿كلاً﴾ ليس الأمر على ما يقول.

﴿سنكتب ما يقول﴾ سنحفظ عليه ما يقول من الكذب والكفر والاستهزاء فنجازيه به ﴿ونمد له من العذاب مداً﴾ مكان ما يدعيه لنفسه من الإمداد بالمال والولد أي: نطول له من العذاب ما يستحقه.

﴿ونرثه﴾ بموته ﴿ما يقول﴾ أي: مسمى ما يقول ومصدقه وهو ما أوتيه في الدنيا من المال والولد. وفيه إيذان بأنه ليس لما يقوله مصداق موجود سوى ما ذكر أي: ننزع ما آتيناه كما في «الإرشاد». وقال في «العيون» ما بدل من هاء نرثه بدل اشتمال أي: نهلكه ونورث ماله وولده غيره. وقال الكاشفي: [وميراث ميكيريم آنجه ميكويدكه فردا بمن خواهند داد يعني مال وفرزند] ﴿ويأتينا﴾ يوم القيامة ﴿فرداً﴾ وحيداً خالياً لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلاً عن أن يؤتى ثمة زائداً. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الغرور يدعون الإحراز للفضيلتين المال والولد في الدنيا والنجاة والدرجات في الآخرة وينكرون على أهل التجرد في الإعراض عن الكسب واعتزال النساء والأولاد ولا يدرون أنهم يقعون بذلك في عذاب البعد إذ لا سند لهم أصلاً، قال الكمال الخجندي:

بشكن بت غروركه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزَّهُمْ أَزًّا﴾ ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾

﴿واتخذوا﴾ أي: مشركو قريش ﴿من دون الله آلهة﴾ أي: اتخذوا الأصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ﴿ليكونوا لهم عزاً﴾ أي: ليتعزوا بهم بأن يكونوا لهم وصلة إليه تعالى وشفعاء عنده وأنصاراً ينجون بهم من عذاب الله تعالى. قال بعضهم: كيف تظفر بالعز وأنت تطلبه في محل الذل ومكانه إذ ذلت نفسك بسؤال الخلق ولو كنت موفقاً لأعززت نفسك بسؤال الحق أو بذكره أو بالرضى لما يرد عليك منه فتكون عزيزاً في كل حال دنیا وآخرة.

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر على ما ظنوا ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ سينكروا الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم بعبادتهم لهم ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ أعداء للآلهة كافرين بها بعد أن كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها. وقال في تفسير الجلالين ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: يجحدونها لأنهم كانوا جماداً لم يعرفوا أنهم يعبدون ويكونون عليهم ضداً أي: أعواناً وذلك أن الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم ويركب فيهم العقول فتقول: يا رب عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك انتهى فالضمير في يكفرون ويكونون للآلهة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أي: سلطناهم عليهم بسبب سوء اختيارهم حال كون تلك الشياطين ﴿تُؤْذِمُهُمْ أَزًّا﴾ أي: تغريهم وتهيجهم على المعاصي تهيجاً شديداً بأنواع الوسواس والتسويلات فإن الاز والهز والاستفزاز أخوات معناها شدة الازعاج. وفي «العيون» الاز في الأصل هو الحركة مع صوت متصل من ازيز القدر أي: غليانه والمراد تعجيب رسول الله عليه السلام من أقاويل الكفرة وتماديهم في الغي والانهماك في الضلال والإفراط في العناد والإجماع على موافقة الحق بعد اتضاحه وتنبيه على أن جميع ذلك منهم بإضلال الشياطين وإغوائهم لا لأن له مسوغاً في الجملة.

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: بأن يهلكوا حسبما تقضيه جنایاتهم حتى تستريح أنت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الأرض من فسادهم يقال عجلت عليه بكذا إذا استعجلته منه ﴿إِنَّمَا نَعِدُ لَهُمْ﴾ أيام آجالهم ﴿عَذَابًا﴾ أي: لا تعجل بهلاكهم فإنه لم يبق لهم إلا أيام محصورة وأنفاس معدودة فيجازيهم بها. وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا قرأها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخول قبرك. وكان ابن السماك رحمه الله عند المأمون فقرأها فقال: إذا كانت الأنفاس بالعدد ولم يكن لها مبدد فما أسرع ما تنفذ قال أعرابي: كيف تفرح بعمر تقطعه الساعات وسلامة بدن تعرض للآفات. قال العلامة الزمخشري استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل وأقطع ذكر المعاذير والعلل فإنك في أجل محدود وعمر ممدود. قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: من حافظ على الأنفاس فالساعات في حكمه إلى ما فوق ذلك ومن كان وقته الساعات فآتته الأنفاس ومن كان وقته الأيام فآتته الساعات ومن كان وقته الشهور فآتته الأسابيع ومن كان وقته السنون فآتته الشهور ومن كان وقته العمر فآتته السنون ومن فاته عمر لم يكن له وقت ولم تعد همته بهمة:

على نفسك فليبك من ضاع عمره

ويطول الوقت ويقصر بحسب حضور صاحبه فمنهم من وقته ساعة ويوم وجمعة وشهر وسنة ومرة واحدة في عمره ومن الناس من لا وقت له لغلبة بهيميته عليه واستغراقه في الشهوات، قال المولى الجامي:

هردم از عمر کرامی هست کنج بی بدل میرود کنج چنین هر لحظه برباد آخ آخ
وقال:

عمر توکنج وهر نفس ازوی یکی کهر کنجی چنین لطیف مکن رایکان تلف
وقال الحافظ:

کاری کشیم ورنه خجالت بر آورد روزیکه رخت جان بجهان ذکر کشیم

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾

﴿یوم نحشر المتقين﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك بطريق الترغيب والترهيب يوم نجتمع أهل التقوى والطاعة ﴿إلى الرحمن﴾ إلى ربهم الذي يغمرهم برحمته الواسعة حال كونهم ﴿وفدا﴾ وافدين عليه كما يفد الوفود على الملوك منتظرين لكرامتهم وإنعامهم والوافد من يأتي بالخير. وفي «التهذيب» الوفد والوفادة [بنزدك امير شدن بحاجت] وفي «القاموس» وفد إليه وعليه قدم ورد وهم وفود ووفد.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما خص حشر وفد المتقين إلى حضرة الرحمانية لأنها من صفات اللطف ومن شأنها الجود والانعام والفضل والكرم والتقريب والمواهب انتهى. والرحمة إن كانت من صفات الذات يراد بها إرادة إيصال الخير ودفع الشر وإن كانت من صفات الفعل يراد بها إيصال الخير ودفع الشر كما في «بحر العلوم». وعن علي رضي الله عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها ياقوت وأزمتها زبرجد ثم ينطق بهم حتى يقرعوا باب الجنة. قال الكاشفي: ﴿وفدا﴾ [در حالتی که سواران باشند بر ناقهای بهشت یعنی ایشانرا سوار ببهشت برند چنانچه وافدانرا بدرکاه ملوک میبرند، امام قشیری رحمه الله فرمود که بعضی بر نجائب طاعات وعبادات باشند و قومی بر مراکب همم و نیات. آنانکه بر مراکب طاعت باشند بهشت جویانند ایشانرا بروضه جنان برند. و آنانکه بر نجائب همت باشند خدای طلبانند ایشانرا بقرب رحمت خوانند جنان جوی دیگرست ورحمان جوی دیگر. در کشف الاسرار آورده که ممشاد دینوری رحمه الله در حال نزع بود درویشی پیش وی ایستاده ودعا می کرد که خدایا برو رحمت کن و بهشت اورا کرامت کن ممشاد بانک بروزد که ای غافل سی سالت که بهشت را باشرف وعزت و حور وقصور بر من جلوه میدهند و من گوشه چشم هست برو نیفکنده ام اکنون بدرکاه قرب میروم زحمت خود آورده و برای من بهشت و رحمت می خواهی]:

باغ فردوس از برای دیدنش باید مرا بی جمالش روضه رضوان چه کار آید مرا
﴿ونسوق المجرمين﴾ العاصين كما تساق البهائم ﴿إلى جهنم وردا﴾ مشاة عطاشا فإن من يرد الماء لا يرده إلا العطش وحقيقة الورد المسير إلى الماء.

﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ إن كانت الشفاعة مصدراً من المبني للفاعل والعهد بمعنى الاذن لأنه يقال عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره به فالمعنى لا يملك أحد من العباد أياً من كان أن يشفع للعصاة إلا من اتخذ من الله إذناً فيها كقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ۲۵۵] وإن كانت مصدراً من المبني للمفعول والعهد عهد الإيمان فالمعنى لا يملك المجرمون أن يشفع لهم إلا من كان منهم مسلماً. وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي عليه السلام قال لأصحابه ذات يوم «أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساءً عند الله عهداً» قالوا: وكيف ذلك؟ قال: «يقول كل صباح ومساءً اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد إليك أنني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنتك إن تكلني إلى نفسي تقربني من الشر وتباعدي من

الخير وأني لا أثنى إلا برحمتك فاجعل لي عهداً توفينيهِ يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع» أي: ختم عليه بخاتم «ووضع تحت العرش فإذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين لهم عند الرحمن عهداً فيدخلون الجنة» كما في «بحر العلوم الكبير».

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ أي: قال اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب أن الملائكة بنات الله فقال الله تعالى.

﴿لقد جئتم شيئاً إدا﴾ الإد والإدة بكسرهما العجب والأمر الفظيع والداهية والمنكر كالآد بالفتح كما في «القاموس» أي: فعلتم أمراً منكراً شديداً لا يقادر قدره فإن جاء وأتى يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته. وقال الكاشفي: [بدرستی كه آوردی چیزی زشت یعنی ناخوش وبی ادبانه].

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا﴾ ٩٠ ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ٩١ ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ٩٢ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ ٩٣ ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ٩٤ ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ ٩٥

﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ﴾ صفة الأد أي: تقرب من أن ﴿يتفطرن منه﴾ يتشققن مرة بعد أخرى من عظم ذلك الأمر فإن التفطر التشقق وهو بالفارسية [شكافته شدن] وأصل الفعل التكلف. و﴿وتنشق الأرض﴾ وتكاد تنشق الأرض وتنصدع أجزاؤها.

- وروي - عن بعض الصحابة أنه قال: كان بنو آدم لا يأتون شجرة إلا أصابوا منها منفعة حتى قالت فجرة بني آدم اتخذ الرحمن ولداً فاقشعرت الأرض وشاك الشجر ﴿وتخر الجبال﴾ أي: تسقط وتتهدم ﴿هذا﴾ مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال أي: تهد هذا أي: تكسر كسرا يعني [پاره پاره كردن]. قال في «القاموس» الهد: الهدم الشديد والكسر كالهودود. والمعنى أن هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمتها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لم تطق بها هاتيك الأجرام العظام وتفتتت من شدتها أو أن فظاعتها في استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى على أهل الأرض وأنه لا يعالجهم بالعقاب لخرب العالم وبدد قوائمه غضباً على من تفوه بها.

﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ منصوب على حذف اللام المتعلقة بتكاد أو مجرور بإضمارها أي: تكاد السموات تفطرن والأرض تنشق والجبال تخر لأن دعوا له سبحانه ولداً ودعوا من دعا بمعنى سمي المتعدي إلى المفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعي له من عيسى وعزير والملائكة ونحوهم إذ لو قيل دعوا عيسى ولداً لما علم الحكم على العموم أو من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ادعى إلى فلان أي: انتسب إليه.

﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ حال من فاعل قالوا وينبغي مطاوع بغى إذا طلب أي: قالوه والحال أنه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلاً لاستحالته في نفسه وذلك لأن الولد بضعة من الوالد فهو مركب ولا بد للمركب من مؤلف فالمحتاج إلى المؤلف لا يصلح أن يكون إلهاً.

﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ما منهم أحد من الملائكة والثقلين فإن بمعنى النفي كما ولك مبتدأ خبره أتى ومن موصوفة لأنها وقعت بعد كل نكرة ﴿إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ﴾

حال كونه ﴿عبدًا﴾ أي: إلا وهو مملوك يأوي إليه بالعبودية والانقياد. وفي «العيون»: سيأتي جميع الخلائق يوم القيامة إلى الرحمن خاضعاً ذليلاً مقرأً بالعبودية كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم يعني: يلتجئون إلى ربوبيته منقادين كما يفعل العبيد للملوك فلا يليق به اتخاذ الولد منهم انتهى. قال أبو بكر الوراق رحمه الله: ما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين عليه من ملازمة العبودية وإظهار الافتقار لأن ملازمة العبودية تورث دوام الخدمة وإظهار الافتقار إليه يورث دوام الالتجاء والتضرع، قال الحافظ:

فقير وخسته بدركاها آدم رحمي كه جزدعاى توام نيست هيچ دست آوين
﴿لقد أحصاهم﴾ أي: حصرهم وأحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم أحد من حيطه علمه وقبضة قدرته وملكوته مع إفراط كثرتهم ﴿وعدهم عدًا﴾ أي: عد أشخاصهم وأنفاسهم وآجالهم.
﴿وكلهم آتية يوم القيامة فردًا﴾ أي: كل واحد منهم آت إياه تعالى منفرداً من الاتباع والأنصار فلا يجانسه شيء من ذلك ليتخذ ولدًا ولا يناسبه ليشرك به وفي الحديث القدسي «كذبي ابن آدم» أي: نسبني إلى الكذب «ولم يكن له ذلك» يعني لم يكن التكذيب لائقاً به بل كان خطأ «وشتمني» الشتم وصف الغير بما فيه نقص وإزراء «ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله لن يعيدني كما بداني» يعني: لن يحييني الله بعد موتي كما خلقتني وليس أول الخلق بأهون عليّ أي: بأسهل والخلق بمعنى المخلوق من إعادته أي: من إعادة المخلوق بل إعادته أسهل لوجود أصل البنية.

اعلم أن هذا مذكور على طريق التمثيل لأن الإعادة بالنسبة إلى قوانا أيسر من الإنسان وأما النسبة إلى قدرة الله تعالى فلا سهولة في شيء ولا صعوبة «وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدًا» وإنما صار هذا شتماً لأن التولد هو انفصال الجزء عن الكل بحيث ينمو وهذا إنما يكون في المركب وكل مركب محتاج إلى المؤلف أو لأن الحكمة في التولد استحقاق النوع عند فناء الآباء تعالى الله عما لا يليق. فإن قلت قوله «اتخذ الله» تكذيب أيضاً لأنه تعالى أخبر أن لا ولد له وقوله «لن يعيدني» شتم أيضاً لأنه نسبة له إلى العجز فلم خص أحدهما بالشتم والآخر بالتكذيب. قلت: نفي الإعادة نفي صفة كمال واتخاذ الولد إثبات صفة نقصان له والشتم افحش من التكذيب ولذلك نفاه الله عنه بأبلغ الوجوه فقال: «وانا الأحد» أي: المتفرد بصفات الكمال من البقاء والتنزه وغيرهما الواو فيه للحال «الصمد» بمعنى المصمود يعني المقصود إليه في كل الحوائج «الذي لم يلد» هذا نفي للتشبيه والمجانسة «ولم يولد» هذا وصف بالقدم والأولية «ولم يكن له كفواً أحد» هذا تقرير لما فعله. فإن قلت لا يلزم من نفي الكفو في الماضي نفيه في الحال والاستقبال. قلت يلزم لأنه إذا لم يكن في الماضي فوجد يكون حادثاً والحادث لا يكون كفواً للقديم كذا في «شرح المشارق» لابن ملك فإذا ثبت أن الألوهية والربوبية لله تعالى وأنه لا يجانسه ولا يشاركه شيء من المخلوقات ثبتت العبودية والمربوبية للعبد وأن من شأنه أن لا يعبد شيئاً من الأجسام والأرواح ولا يتقيد بشيء من العلويات والسفليات بل يخص عبادته بالله تعالى ويجرد توحيده عن هواه. قال علي رضي الله عنه قيل للنبي عليه السلام: هل عبت وثناً قط قال: لا قيل: هل شربت خمراً قط قال: لا وما زلت أعرف أن الذي هم أي: الكفار عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان فهذا من آثار حسن الاستعداد حيث استغنى عن البرهان بقاطع العقل فليتبّع العاقل أثر متبوعه المصطفى عليه

السلام وقد لاح المنار واستبان النور من النار فالنور هو التوحيد والإقرار والنار هو الشرك والإنكار والتوحيد إذا تجلى بحقائقه ظهر التجريد وهو إذا حصل بمعانيه ثبت التفريد فالفردانية صفة السر الأعلى وهي حاصلة للعارفين في هذه الدار ولغيرهم يوم القيامة وما في هذه الدار اختياري مقبول وما في الآخرة اضطراري مردود فيا أرباب الشرك أين التوحيد ويا أهل التوحيد أين التجريد ويا أصحاب التجريد أين التفريد ﴿وكلهم آتية يوم القيامة فرداً﴾ وقد قيل: قيامة العارفين دائمة، قال الصائب:

ترك هستی کن که آسودست از تاراج سیل

هر که پیش از سیل رخت خود برون از خانه ریخت

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۖ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ لِمَن يَشَاءُ ۗ﴾
﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۖ﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ جمعوا بين عمل القلب وعمل الجوارح ﴿سيجعل لهم الرحمن وداً﴾ أي: سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض منهم لأسبابها من قرابة أو صداقة أو اصطناع معروف أو غير ذلك سوى ما لهم من الإيمان والعمل الصالح والسين إما لأن السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك إذا قوي الإسلام وإما أن يكون ذلك يوم القيامة يحببهم الله إلى خلقه بما يظهر من حسناته.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن بذر الإيمان إذا وقع في أرض القلب وترى بماء الأعمال الصالحات ينمو ويتربى إلى أن يثمر فتكون ثمرته محبة الله ومحبة الأنبياء والملائكة والمؤمنين جميعاً كما قال تعالى: ﴿تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٤٥] انتهى.

واعلم أن المحبة الموافقة ثم الميل ثم الود ثم الهوى ثم الوله فالموافقة للطبع والميل للنفس والود للقلب والمحبة للفؤاد وهو باطن القلب والهوى غلبة المحبة والوله زيادة الهوى يقال نور المحبة ثم نار العشق ثم حرارة الشهوة ثم البخار اللطيف ثم النفس الرقيق ثم الهواء الدقيق. قال رجل لعبد الله بن جعفر: إن فلاناً يقول أنا أحبك فبم أعلم صدقه فقال استخبر قلبك فإن توده فإنه يودك قيل:

وعلى القلوب من القلوب دلائل بالود قبل تشاهد الأشباح

وفي الحديث: «أكثرنا من الاخوان فإن ربكم حي كريم يستحيي أن يعذب عبده بين اخوانه يوم القيامة» وعنه عليه السلام: «من نظر إلى أخيه نظر مودة ولم يكن في قلبه إحسن لم يطرף حتى يغفر الله له ما تقدم من ذنبه» يقال طرّف بصره إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر. قال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبتن الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وأن توسع له في المجلس وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه. وقال سقراط اثن على ذي المودة خيراً عند من لقيت فإن رأس المودة حسن الثناء كما أن رأس العداوة سوء الذكر. ومن بلاغات الزمخشري محك المودة الإخاء حال الشدة دون حال الرخاء. وقال أبو علي الدقاق قدس سره لما سعى غلام الخليل بالصوفية إلى الخليفة أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد فإنه تستر بالفقه وكان يفتي على مذهب أبي ثور وأما الشحام والرقام والنوري وجماعة فقبض عليهم فبسط النطع لضرب أعناقهم فتقدم النوري فقال السيف تدري لماذا تبادر فقال: نعم فقال: وما يعجلك فقال: أوتر أصحابي

بحياة ساعة فتحير السيف فانتهى الخبر إلى الخليفة فردهم إلى القاضي ليتعرف حالهم فألقى القاضي على أبي الحسن النوري مسائل فقهية فأجاب عن الكل ثم أخذ يقول وبعد فإن الله عبداً إذا قاموا قاموا بالله وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً أبكى القاضي فأرسل القاضي إلى الخليفة وقال إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلم فانظر واعتبر من معاملة النوري مع إخوانه فإنه أثرهم حال الشدة على نفسه بخلوص جنانه:

حديث عشق ازان بطلال منيوش که درسختی کند یاری فراموش

﴿فإنما يسرناه﴾ أي: سهلنا القرآن. وبالفارسية [پس جزاین نیست که آسان کردانیده قرآنرا] ﴿بلسانك﴾ بأن أنزلناه على لغتک والباء بمعنى على والفاء لتعليل أمر ينساق إليه النظم الكريم كأنه قيل بعد إحياء السورة الكريمة بلغ هذا المنزل وبشر به وأنذر فإنما يسرناه بلسانك العربي المبين ﴿لتبشر به﴾ [تامزده دهی بدو] ﴿المتقين﴾ أي: الصائرين إلى التقوى بامثال ما فيه من الأمر والنهي ﴿وتنذر به﴾ يقال انذره بالأمر إنذاراً أعلمه وحذره وخوفه في إبلاغه كما في «القاموس» ﴿قوماً لداً﴾ لا يؤمنون به لجاجاً وعناداً. واللد جمع الألد وهو الشديد الخصومة اللجوج المعاند. قال في «القاموس» الألد الخصم الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق وفي الحديث «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن حقيقة القرآن التي هي صفة الله تعالى القديمة القائمة بذاته لا تسعها ظروف الحروف المحدثه المعدودة المتشابهة لأنها قديمة غير معدودة ولا متناهية وإنما يسر الله درايته بقلب النبي عليه السلام وقراءته باللسان العربي المبين ليبشر به المتقين لأنهم أهل البشارة وهم أصناف ثلاثة فصنف منهم يتقون الشرك بالتوحيد وصنف يتقون المعاصي بالطاعة وصنف يتقون عما سوى الله تعالى بالله وينذر به قوماً لداً شداداً في الخصومة لأنهم أهل الإنذار وهم ثلاث فرق ففرقة منهم الكفار الذين يقاتلون على الباطل وفرقة منهم أهل الكتاب الذين يخاصمون على أديانهم المنسوخة وفرقة منهم أهل الأهواء والبدع والفلاسفة الذين يجادلون أهل الحق بالباطل.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحْسِ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ سَمِعَ لَهُمْ رِكْزًا﴾

﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾ سبق معنى القرن أي: قروناً كثيرة أهلكنا قبل هؤلاء المعاندين بعد أن أنذرهم أنبيأؤهم بآيات الله وحذروهم عذابه وتدميره ﴿هل تحس منهم من أحد﴾. قال في «تهذيب المصادر»: الإحساس [دانستن وديدن] قال الله تعالى: ﴿هل تحس منهم من أحد﴾ الخ أي: هل تشعر بأحد منهم وترى أي: لا وبالفارسية [هیچ می باید و می بینی ازان هلاک شد کان یکی را] ﴿أو تسمع لهم﴾ [یامی شنوی مرا یشانرا] ﴿ركزاً﴾ أي: صوتاً خفياً وأصل الركز هو الخفاء ومنه ركز الرمح إذا غيب طرفه في الأرض والركاز المال المدفون المخفي والمعنى أهلكناهم بالكلية واستأصلناهم بحيث لا يرى منهم أحد ولا يسمع منهم صوت خفي. وبالفارسية يعني: [چون عذاب ما بدیشان فرود آمد مستأصل شدند نه ازایشان شخصی باقی ماندکه کسی بیند ونه آواز برجای که کسی بشنود بلکه مؤکل قهر الهی باهیچکس درساخت وهمه را بدست فنا دردام خمول ونسیان انداخت]:

کأن لم یخلقوا ولم یكونوا

کواثر از سروران تاج بخش کونشان از خسروان تاجدار
 سوخت دیهیم شهان کامجوی خاک شد تحت ملوک کامکار
 وفي الآية وعد لرسول الله ﷺ عليه في ضمن وعيد الكفرة بالإهلاك وحث له على
 الإنذار قال الشيخ سعدي قدس سره:

بکوی آنچه دانی سخن سودمند وکر هیچکس را نیاید پسند
 که فردا پشیمان بر آرد خروش که آوخ چرا حق نکردم بکوش
 بکمراه کفتن نکو میروی کناه بزرکست وجور قوی
 مکو شهد شیرین شکر فایقست کسی را که سقمونیا لایقست
 چه خوش کفت یکروز دار وفروش شفا بایدت داروی تلخ نوش
 وفي «المثنوي»:

هرکسی کو ازصف دین سرکشست میرود سوی صفی کان واپست
 تو زکفتار تعالوا کم مکن کیمیائی پس شکر فست این سخن
 کرمسی گردد زکفتارت نفیر کیمیارا هیچ ازوی وامگیر
 این زمان کریست نفس ساحرش کفت تو سودش کند دد آخرش
 قل تعالوا قل تعالوا ای غلام هین که ان الله يدعو بالسلام

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإجابة الدعوة إنه قريب مجيب.
 تمت سورة مريم وقت الضحى من يوم الاثنين التاسع عشر
 من ذي القعدة من سنة خمس ومائة وألف

مائة وخمس وثلاثون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَزِيلًا وَمِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ

وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

﴿طه﴾ اختلافوا فيه أكثر مما في غيره من المقطعات. فقال بعضهم هو اسم القرآن أو اسم السورة أو اسم الله أو مفتاح الاسم الطاهر والهادي. وقال بعضهم هو اسم من أسماء رسول الله ﷺ مثل أحمد ويس وغير ذلك كما قال عليه السلام: «أنا محمد وأنا أحمد والفتح والقاسم والحاشر والعاقب والمحي وطه ويس» ويؤيده الخطاب في عليك فيكون حرف النداء محذوفاً أي: يا طه والطاء والهاء إشارة إلى أنه عليه السلام طالب الشفاعة للناس وهادي البشر أو أنه طاهر من الذنوب وهاد إلى معرفة علام الغيوب. قال الكاشفي: [يا طاه طهارت دل اوست از غير حق تعالى وها هدايت او بقرب حق]. قال الإمام جعفر الصادق - رضي الله عنه - طه قسم بطهارة أهل البيت وهدايتهم كما قال تعالى: ﴿وَيُطَهِّرُهُ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] أو بطوبى والهاوية أي: الجنة والنار. وفي «زاد المسير» الطاء طيبة والهاء مكة والله تعالى أقسم بهذين الحرمين أو الطاء طلب الغزاة والهاء هرب الكفار أو طلب أهل الجنان وهوان أبواب النيران.

وفي «التأويلات النجمية»: يا من طوى به بساط النبوة وأيضاً يا من طوى به المكونات إلى هويتنا انتهى. وقال بعضهم: إنه ليس من الحروف المقطعة بل هو موضوع بإزاء يا رجل بلغة عك أو بلسان الحبشة أو النبطية أو السريانية والمراد به حضرة الرسالة [ودر بعضی تفاسیر آمده که طا بحساب جمل نه است وهاپنچ و مجموع چهارده باشد وغالب آنست که ماه را مرتبه بدریت در چهاردهم حاصل شود پس در ضمن این خطاب مندر جست که ای ماه شب چهارده و منادی حضرت رسالتست و بدریت اشارت بکمال مرتبه جامعیت آن حضرت] كما لا يخفى على العرفاء:

ماه چون کامل شود انور بود وآنکه او مرآت نور خور بود

کاه ماه بدری وکه شاه بدر صدرتو مشروح وکارت شرح صدر

درشب تاریکی وکفر وضلال از مهت روشن شود نور جلال

جوز الحسن طه بوزن هب على أنه أمر للرسول عليه السلام بأن يطأ الأرض بقدميه معاً فإنه لما نزل عليه الوحي اجتهد في العبادة وكان يصلي الليل كله ويقوم على إحدى رجليه تخفيفاً على الأخرى لطول القيام ويتعب نفسه كل الإتعاب فيكون أصله طاً من وطىء يطأ قلبت

همزته هاء. وفي الحديث «إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت: طوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لأمة محمد ينزل هذا عليهم وطوبى لألسن تتكلم بهذا» رواه الطبراني وصاحب الفردوس. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «أعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت طه وطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من تحت العرش وأعطيت المفصل نافلة» كذا في «بحر العلوم».

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ الشقاء شائع بمعنى التعب ومن أشقى من راض المهر أي: أتعب ممن يجعل المهر وهو ولد الفرس صالحاً للركوب بأن تزول عنه الصعوبة وينقاد لصاحبه وفي ذلك العمل مشقة وتعب للرائض ولذلك يضرب به المثل والمعنى لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش إذ ما عليك إلا البلاغ وقد فعلت فلا عليك أن يؤمنوا به بعد ذلك أو بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق إذ ما بعثت إلا بالحنيفية السمحة. وبالفارسية [نفر ستاديم ما برتوقر آنرا تادررنج افتي وشب خواب نكنی وبواسطه قيام درنماز الم ورم بپای مبارکت رسد].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ في الدنيا أو العقبى بل أنزلناه على قلبك لتسعد بتخلقلك بخلقه لتكون على خلق عظيم وليسعد بك أهل السموات وأهل الأرضين فتكون الشقاوة ضد السعادة ويجوز أن يكون رداً للمشركين وتكذيباً لهم فإن أبا جهل والنضر بن الحارث قالوا له: إنك شقي لأنك تركت دين آبائك وأن القرآن أنزل عليك لتشقى به فأريد رد ذلك بأن دين الإسلام وهذا القرآن هو السلم إلى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها.

﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ نصب على أنه مفعول له لأنزلنا معطوف على تشقى بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستدراك المستفاد من الاستثناء المنقطع فإن الفعل الواحد لا يتعدى إلى علتين إلا من حيث البدلية أو العطف كأنه قيل ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكيراً وموعظة لمن يعلم الله منه أن يخشى بالتذكرة والتخويف وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلاً لفاعل الفعل المعلل وتخصيصها بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لقوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١] لأنهم المنتفعون بها. قال في «الكبير» ويدخل تحت قوله: ﴿لمن يخشى﴾ الرسول لأنه في الخشية والتذكرة فوق الكل.

﴿تنزيلاً﴾ أي: نزل القرآن تنزيلاً ﴿ممن﴾ متعلقة بتنزيلاً ﴿خلق﴾ أخرج من العدم إلى الوجود ﴿الأرض والسموات العلى﴾ تخصيص خلقهما لأنهما قوام العالم وأصوله وتقدير الأرض لكونها أقرب إلى الحس وأظهر عنده من السموات ووصف السموات بالعلی وهو جمع العليا تأنيث الأعلى للدلالة على عظم قدرة خالقها بعلوها وعطف السموات على الأرض من عطف الجنس على الجنس لأن التعريف مصروف إلى الجنس لا من عطف الجمع على المفرد حتى يلزم ترك الأولى من رعاية التطابق بين المعطوف والمعطوف عليه.

﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٥ ﴿لَمْ يَأْكُلْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ ٦
وَلَنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾

﴿الرحمن﴾ رفع على المدح أي: هو الرحمن أو مبتدأ واللام فيه للعهد مشاراً به إلى من خلق خبره ما بعده ﴿على العرش﴾ الذي يحمله الملائكة متعلق بقوله: ﴿استوى﴾ اعلم أن العرش سرير الملك والاستواء الاستقرار والمراد به ههنا الاستيلاء ومعنى الاستيلاء عليه كناية عن الملك لأنه من توابع الملك فذكر اللازم وأريد الملزوم يقال استوى فلان على سرير الملك على قصد الاخبار عنه بأنه ملك وإن لم يقعد على السرير المعهود أصلاً فالمراد ببيان تعلق إرادته الشريفة بإيجاد الكائنات وتدبير أمرها إذ الباري مقدس الانتقال والحلول وإنما خلق العرش العظيم ليعلم المتعبدون إلى أين يتوجهون بقلوبهم بالعبادة والدعاء في السماء كما خلق الكعبة ليعلموا إلى أين يتوجهون بأبدانهم في العبادة في الأرض [وشيخ أكبر قدس سره در فتوحات فرموده كه استواء خداوند بر عرش در قرآنست و مراد بدين ايمانست تأويل نجوييم كه تأويل درين باب طغيانست بظاهر قبول كنيم و بباطن تسليم كه اين اعتقاد سفيانست اما ميدانم كه نه محتاج مكانست و نه عرش بر دارنده اوست كه اوست بر دارنده مكان و نكه دارنده عرش]:

نی مکان ره یافت سويش نه زمان نی بیان دارد خبرزو نه عيان
 اين همه مخلوق حكم داورست خالق عالم زعالم بر ترست
 قال بعضهم ليس على الكون من أثر ولا على الأثر من كون. قال بعضهم: إنا نقطع بأن الله منزّه عن المكان وإلا لزم قدم المكان وقد دل الدليل على أن لا قديم سوى الله تعالى وأنه تعالى لم يرد من الاستواء الاستقرار والجلوس بل مراده به شيء آخر إلا أنا لا نشتغل بتعيين ذلك المراد خوفاً من الخطأ ونفوض تأويل المتشابهات إلى الله تعالى كما هو رأي من يقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] وعليه أكثر السلف كما روي عن مالك وأحمد الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والبحث عنها بدعة وما كان مقصود الإمامين الأجلين بذلك إلا المنع من الجدل وقد أحسنا حيث حسما بذلك باب الجدل وكذلك فعل الجمهور لأن في فتح باب الجدل ضرراً عظيماً على أكثر عباد الله تعالى. وقد روي أن رجلاً سأل عمر رضي الله عنه عن آيتين متشابهتين فعلاه بالدرة. وقال بعض كبار المحققين من أهل الله تعالى المراد بهذا الاستواء استواؤه سبحانه لكن لا باعتبار نفسه وذاته تعالى علواً كبيراً عما يقول الظالمون من المجسمة وغيرهم بل باعتبار أمره الإيجادي وتجليه الحسي الأحدي وإنما كان العرش محل هذا الاستواء لأن التجليات الذاتية التي هي شروط التجليات المتعينة والأحكام الظاهرة والأمور البارزة والشؤون المتحققة في السماء والأرض وفيما بينهما من عالم الكون والفساد بالأمر الإلهي والإيجاد الأولي إنما تمت باستيفاء لوازمها واستكمال جوانبها واستجماع أركانها الأربعة المستوية في ظهور العرش بروحه وصورته وحركته الدورية لأنه لا بد في استواء تجليات الحق سبحانه في هذه العوالم بتجليه الحسي وأمره الإيجادي من الأمور الأربعة التي هي من هذه التجليات الحسية والإيجادية بمنزلة الشكل المستوي المشتمل على الحد الأصغر والأكبر والأوسط المكرر الكائن به السورة ذات الأركان الأربعة من النتيجة وتلك الأمور أربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وتلك الحركة الصورية الحسية هي حركة العرش وهي بمنزلة الحد الأكبر ولما استوى أمر تمام حصول الأركان الأربعة الموقوف عليها بتوقيف الله تعالى التجليات الإيجادية الأُمريّة

المتنزة بين السموات السبع والأرضين السبع بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجب قابليات أصحاب الزمان في كل يوم بل في كل آن كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿يَنْزِلُ أَمْرُهُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] وقوله تعالى: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمان: ٢٩] في العرش كان العرش مستوي الحق سبحانه بالاعتبار المذكور الثاني لا بالاعتبار المزبور الأول وفي الحقيقة بالنظر إلى هذا الاعتبار هو مستوي أمره الإيجادي لا مستوى نفسه وذاته فلا اضطراب ولا خلجان في الكلام والمقال والحال. ثم إن استواء الأمر الإرادي الإيجادي على العرش بمنزلة استواء الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع فكما أن كل واحد من الأمرين قلب الآخر وعكسه المستوي السوي فكذلك كل واحد من العرش والشرع قلب الآخر وعكسه السوي المستوي. يقول الفقير قواه الله القدير لا شك أن بين زيد والعالم فرقاً من حيث إن الأول يدل على الذات المجردة والثاني على المتصفة بصفة العلم فإسناد الاستواء إلى عنوان الاسم الرحمن الذي يراد به صفة الرحمة العامة وإن كان مشتملاً على الذات دون الاسم الله الذي يراد به الذات وإن كان مستجمعاً لجميع الصفات ينادي بتنزه ذاته تعالى عن الاستواء وأن الذي استوى على العرش المحيط بجميع الأجسام هو الرحمة المحيطة بالكل ومن لم يفرق بين استواء الذات واستواء الصفة فقد أخطأ وذلك أن الله تعالى غني بذاته عن العالمين جميعاً متجل بصفاته وأسمائه في الأرواح والأجسام بحيث لا يرى في مرائي الأكوان إلا صور التجليات الأسمائية والصفائية ولا يلزم من هذا التجلي أن تحل ذاته في كون من الأكوان إذ هو الآن على ما كان عليه قبل من التوحد والتجرد والتفرد والتقديس ولذا كان أعلى المراتب الوصول إلى عالم الحقيقة المطلقة إطلاقاً ذاتياً كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا أَلْطَّهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] وفي الحديث «إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار وإن الملائكة الأعلى يطلبونه كما يطلبونه أنتم» ذكره في «الروضة» فهذا يدل على أن الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض ولو كان لانقطع الطلب وأما قوله عليه السلام: «يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فما علامة غضبك من رضاك قال إذا استعملت عليكم خياركم فهو علامة رضاي عنكم وإذا استعملت عليكم شراركم فهو علامة سخطي عليكم» على ما ذكره الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «كتاب المسامرة». وقوله عليه السلام لجارية معاوية بن الحكم السلمي: «أين الله» فقالت: في السماء فقال: «من أنا» فقالت: أنت رسول الله فقال: «أعتقها فإنها مؤمنة» ونحو ذلك من الأخبار الدالة على ثبوت المكان له تعالى فمصروفة عن ظواهرها محمولة على محل ظهور آثار صفاته العليا ولذا خص السماء بالذكر لأنها مهبط الأنوار ومحل النوازل والأحكام ومن هذا ظهر أن من قال: إن الله في السماء عالم أراد به المكان كفر وإن أراد به الحكاية عما جاء في ظاهر الأخبار لا يكفر لأنها مؤولة والأذهان السليمة والعقول المستقيمة لا تفهم بحسب السليقة من مثل هذه التشبيهات إلا عين التنزيه.

- يروى - أن إمام الحرمين رفع الله درجته في الدارين نزل ببعض الأكابر ضيفاً فاجتمع عنده العلماء والأكابر فقام واحد من أهل المجلس فقال: ما الدليل على تنزيهه تعالى عن المكان وهو قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] فقال: الدليل عليه قول يونس عليه السلام في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فتعجب منه الناظرون فالتمس صاحب الضيافة بيانه فقال الإمام: إن ههنا فقيراً مديوناً بألف

درهم أد عنه دينه حتى أبينه فقبل صاحب الضيافة دينه فقال: إن رسول الله ﷺ لما ذهب في المعراج إلى ما شاء الله من العلى قال هناك: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولما ابتلي يونس عليه السلام بالظلمات في قعر البحر ببطن الحوت قال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] فكل منهما خاطب بقوله أنت وهو خطاب الحضور فلو كان هو في مكان لما صح ذلك فدل ذلك على أنه ليس في مكان. فإن قلت فليكن في كل مكان. قلت: قد أشرت إلى أنه في كل مكان بآثار صفاته وأنوار ذاته لا بذاته كما أن الشمس في كل مكان بنورها وظهورها لا بوجودها وعينها ولو كان في كل مكان بالمعنى الذي أراد جهالة المتصوفة فيقال فأين كان هو قبل خلق هذه العوالم ألم يكن له وجود متحقق فإن قالوا لا فقد كفروا وإن قالوا بالحلول والانتقال فكذلك لأن الواجب لا يقارن الحادث إلا بالتأثير والفيض وظهور كمالاته فيه لكن لا من حيث إنه حادث مطلقاً بل من حيث إن وجوده مستفاض منه فافهم. فإن قلت فإذا كان تعالى منزهاً عن الجهة والمكان فما معنى رفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء؟ قلت: معناه الاستعطاء من الخزانة لأن خزائنه تعالى في السماء كما قال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] وقال: ﴿وَلَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١] فثبت أن العرش مظهر استواء الصفة الرحمانية وإن من يثبت له تعالى مكاناً فهو من المجسمة ومنهم جهلة المتصوفة القائلون بأنه تعالى في كل مكان ومن يليهم من العلماء الزاغين عن الحق الخارجين عن طريق العقل والنقل والكشف فمثل مذهبه وقدره كمثل مذهبه وقدره فنعوذ بالله تعالى من التلوث بلوث الجهل والزيف والضلال ونعتصم به عما يعصم من الوهم والخيال والحق حق والأشياء أشياء ولا ينظر إلى الحق بعين الأشياء إلا من ليس في وجهه حياء.

﴿له ما في السوات وما في الأرض﴾ سواء كان ذلك بالجزئية منهما أو بالحلول فيهما ﴿وما بينهما﴾ من الموجودات الكائنة في الجو دائماً كالهواء والسحاب أو أكثرياً كالطير أي: له تعالى وحده دون غيره لا شركة ولا استقلالاً كل ما ذكر ملكاً وتصرفاً وإحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً ﴿وما تحت الثرى﴾ الثرى التراب الندي أي: الرطب والأرض كما في «القاموس» ويجوز الحمل على كليهما في هذا المقام فإن ظاهر الأرض تراب جاف وما هو أسفل منه تراب مبتل. فإن قلت الثرى إذا كان محمولاً على السطح الأخير من العالم فما الذي تحته حتى يكون الله تعالى مالكاً له. قلت: هو إما الثور أو الحوت أو الصخرة أو البحر أو الهواء على اختلاف الروايات وقال بعضهم أراد الثرى الذي تحت الصخرة التي عليها الثور الذي تحت الأرض ولا يعلم ما تحت الثرى إلا الله تعالى كما لا يعلم أحد ما فوق السدرة إلا هو أي: الذي هو التراب الرطب مقدار خمسمائة عام تحت الأرض ولولا ذلك لأحرقت النار الدنيا وما فيها كما في «إنسان العيون». قال الكاشفي: [زمين بردوش فرشته ايست وقديمين فرشته بر صخره ايست وصخره برشاخ كاوى وقوائم كاو برپشت ما هي ازحوض كوثر وما هي ثابت است بر بحر وبحر بر جهنم مبنى بر ريح وريح بر حجابى از ظلمت وآن حجاب بر ثرى وعلم أهل آسمان وزمين تاثرى بيش نرسد وما تحت الثرى جز حق سبحانه نداند] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الأرضين على ظهر النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة المذكورة في سورة لقمان في قوله:

﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ [لقمان: ١٦] والصخرة على قرن ثور والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فإذا جعل الله البحار بحراً واحداً سالت في جوفه فإذا وقعت في جوفه يبست ذكره البغوي.

﴿وإن تجهر بالقول﴾ أي: إن تعلن بذكره تعالى ودعائه. فاعلم أنه تعالى غني عن جهرك وإعلانك ﴿فإنه﴾ تعالى ﴿يعلم السر وأخفى﴾ يقال فلان يحسن إلى الفقراء لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد جود الإحسان منه في جميع الأزمنة والأوقات ومنه قوله ﴿يعلم السر وأخفى﴾ علمهما منه مستمر دائم وذلك أن علمه تعالى منزّه عن الزمان كما هو منزّه عن المكان بأسره فالتغيير على المعلوم لا على العلم عندنا والسر واحد الأسرار وهو ما يكتّم ومنه أسر الحديث إذا أخفاه وتنكير أخفى للمبالغة في الخفاء أي: يعلم ما أسرته إلى غيرك وشيئاً أخفى من ذلك وهو ما أخطرت به أنك من غير أن تفوّقه به أصلاً وما أسرته في نفسك وأخفى منه وهو ما ستسره فيما سيأتي أي: ما يليقه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك وهذا إما نهى عن الجهر كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وإما إرشاد للعباد إلى أن الجهر ليس لاسماعه بل لغرض آخر من تصور النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها بالتضرع والجوار وإيقاظ الغير ونشر البركات إلى مدى صوته وتكثير إشارات ونحو ذلك وجاء أنه عليه السلام لما توجه إلى خبير أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر لا إله إلا الله فقال عليه السلام: «أربعوا على أنفسكم» أي: ارفقوا بأنفسكم لا تبالغوا في رفع أصواتكم «إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم» ويحتاج إلى الجمع بين هذا وبين أمره عليه السلام برفع الأصوات بالتلبية وقد يقال المنهي عنه هنا الرفع الخارج عن العادة الذي ربما أذى بدليل قوله عليه السلام أربعوا على أنفسكم أي: ارفقوا بها كذا في «إنسان العيون». يقول الفقير: إنما نهى النبي عليه السلام أصحابه عن رفع الصوت إخفاء لأمره عن العدو ولأن أكثر أصحابه كانوا أرباب أحوال فشانهم الاعتدال بل الإخفاء إلا لضرورة قوية كما في إزاء العدو أو اللصوص تهيباً لهم ولا شك أن أعدى العدو النفس وأشد اللصوص الشيطان ولذا اعتاد الصوفية بجهر الذكر تهيباً لهما وطرداً للوسوسة وقد اختار الحكماء للسلطان جهارة الصوت في كلامه ليكون أهيب لسامعيه وأوقع في قلوبهم كما في «العقد الفريد».

وفي «التأويلات النجمية»: السر باصطلاح أهل التحقيق لطيفة بين القلب والروح وهو معدن أسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الإلهية وهو مهبط أنوار الربوبية وأسرارها ولهذا قال عقيب قوله: ﴿يعلم السر وأخفى﴾ الله لا إله إلا هو ﴿الآية إشارة إلى أن مظهر ألوهية صفاته العليا إنما هو الخفي الذي هو أخفى من السر أي: ألطف وأعز وأعلى وأشرف وأقرب إلى الحضرة ألا وهو سر وعلم آدم الأسماء كلها وهو حقيقة قوله عليه السلام: «إن الله خلق آدم فتجلى فيه».

ثم اعلم أن لطيفة السر التي بين القلب والروح تكون موجودة في كل إنسان عند نشأته الأولى والخفي ينتشئ عند نشأته الأخرى فلذا يمكن أن يكون كل إنسان مؤمن أو كافر معدن أسرار الروحانية وجملتها المعقولات ولا يمكن إلا لمؤمن موحد أن يكون مهبط أنوار الربانية وأسرارها وجملتها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم الدنية.

﴿الله﴾ خبر مبتدأ محذوف أي: ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة الله ﴿لا إله إلا هو﴾ لا معبود في الأرض ولا في السماء إلا هو دل على الهوية بهذا القول فإن هو كناية عن غائب موجود والغائب عن الحواس الموجود في الأزل هو الله تعالى وفيه معنى حسن وهو التعالي عن درك الحواس حتى استحق اسم الكناية عن الغائب من غير غيبة كما في «بحر العلوم». يقول الفقير على هذا المعنى بنى الصوفية ذكرهم بالاسم هو إخفاء وجهراً اجتماعاً وانفراداً مع أن مرجعه هو الله فيكون في حكم الاسم المظهر ولا ينافي فيه إلا مكابر وفي الحديث «إن الله خلق ملكاً من الملائكة قبل أن خلق السموات والأرض وهو يقول أشهد أن لا إله إلا الله ماداً بها صوته لا يقطعها ولا يتنفس فيها ولا يتمها فإذا أتمها أمر إسرافيل بالنفخ في الصور وقامت القيامة» كما في «التفسير الكبير» فعلم منه أن الركن الأعظم للعالم ودوام وجوده إنما هو الذكر فإذا انقطع الذكر انهدم العالم وكل فوت إنما هو من أجل ترك الذكر.

- ذكر - أن صياداً كان يصيد السمكة وكانت ابنته تطرحها في الماء وتقول إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها. وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله» أكدته بالتكرار ولا شك أن لا يذكر الله ذكراً حقيقياً وخصوصاً بهذا الاسم الجامع الأعظم المنعوت بجميع الأسماء إلا الذي يعرف الحق المعرفة التامة وأتم الخلق معرفة بالله في كل عصر خليفة الله وهو كامل ذلك العصر فكأنه يقول عليه السلام: لا تقوم الساعة وفي الأرض إنسان كامل وهو المشار إليه بأنه العماد المعنوي الماسك فإن شئت قلت الممسك لأجله فإذا انتقل انشقت السماء وكورت الشمس وانكدرت النجوم وانتثرت وسيرت الجبال وزلزلت الأرض وجاءت القيامة كذا في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين قدس سره ﴿له الأسماء الحسنى﴾ بيان لكون ما ذكر من الخالق والرحمانية والمالكية والعالمية أسماء وصفاته من غير تعدد في ذاته تعالى فإنه روى أن المشركين حين سمعوا النبي عليه السلام يقول يا الله يا رحمن قالوا: ينهانا أن نعبد إلهين وقد يدعو إلهاً آخر. والحسنى تأنيث الأحسن يوصف به الواحدة المؤنثة والجمع من المذكر والمؤنث كمارب أخرى وآياتنا الكبرى وفضل أسماء الله في الحسن على سائر الأسماء لدلالته على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الفضل والحسن. قال في «تفسير الكبير»: يقال إن لله أربعة آلاف اسم ثلاثة آلاف منها لا يعلمها إلا الله والأنبياء أما الألف الرابعة فإن المؤمنين يعلمونها فثلاثمائة في التوراة وثلاثمائة في الإنجيل وثلاثمائة في الزبور ومائة في القرآن تسعة وتسعون ظاهرة وواحد مكنون من أحصاها دخل الجنة وليس حسن الأسماء لذواتها لأنها ألفاظ وأصوات بل حسنها لحسن معانيها ثم ليس حسن المسمى حسناً ينطلق بالصورة والخلقة فإن ذلك محال على من ليس بجسم بل حسن يرجع إلى معنى الإحسان مثلاً اسم الستار والغفار والرحيم إنما كانت حسنى لأنها دالة على معنى الإحسان.

- روي - أن حكيماً ذهب إليه قبيح وحسن والتمسا الوصية فقال للحسن: أنت حسن ولا يليق بك الفعل القبيح وللقبيح أنت قبيح إذا فعلت القبيح عظم قبحك الهنا أسماؤك حسنة وصفاتك حسنة فلا تظهر لنا من تلك الأسماء الحسنة والصفات الحسنة إلا الإحسان ويكفيها قبح أفعالنا وسيرتنا فلا تضم إليه قبح العقاب ووحشة العذاب. وفي الحديث: «اطلبوا الحوائج عند حسان الوجوه» وذلك لأنهم إذا قضوا الحاجات قضوا بوجه طلق وإن ردوا ردوا بوجه طلق:

كشته از لطف حق بعصره خاك حسن صورت دليل سيرت پاك

وقال بعضهم:

يدل على معروفة حسن وجهه وما زال حسن الوجه إحدى الشواهد وفي الحديث «إذا بعثتم إليّ رجلاً فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم» إلهنا حسن وجوهنا قبيح بعضيانا فمن هذا الوجه نستحي طلب الحوائج وحسن الأسماء والصفات يدلنا عليك فلا تردنا عن إحسانك خائبين خاسرين. قال موسى: إلهي أي خلق أكرم عليك قال الذي لا يزال لسانه رطباً من ذكرى قال: فأني خلقتك أعلم؟ قال: الذي يلتمس إني أعلم علم غيره قال فأني خلقتك أعدل؟ قال: الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فأني خلقتك أعظم جرماً قال الذي يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له إلهنا لانتهمك فإننا نعلم أن كل ما أحسنت فهو فضل وكل ما لا تفعله فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا، قال الحافظ:

در دائره قسمت ما نقطه تسليم لطف آنچه تواندیشی حکم انچه توفّر مای

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٤١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدَ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴿٤٢﴾﴾

﴿وهل آتاك حديث موسى﴾ يحتمل أن يكون أول ما أخبر الله به من أمر موسى فإن السورة من أوائل ما نزل فيكون الاستفهام للإنكار أي: لم يأتك إلى الآن خبر موسى وقصته وقد أتاك الآن بطريق الوحي فتنبه له واذكر لقومك ما فيه من أمر التوحيد ونحوه ويحتمل أنه قد أتاه ذلك سابقاً فيكون استفهام تقرير فكأنه قال قد أتاك. ﴿إذ رأى ناراً﴾ ظرف للحديث.

- روي - أن موسى عليه السلام تزوج صفوراء وقال السهيلي صفوراء بنت شعيب عليه السلام فاستأذن منه في الخروج من مدين لزيارة أمه وأخيه هارون في مصر فخرج بأهله وأخذ على غير الطريق خوفاً من ملوك الشام فلما أتى وادي طوى وهو بالجانب الغربي من الطور ولد له ولد في ليلة مظلمة ذات برد وشتاء وثلج وكانت ليلة الجمعة فقدح زنده فصلد أي: صوّت ولم يخرج ناراً وقيل كان موسى رجلاً غيوراً يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيره منه لثلا يروا امرأته فلذا أخطأ الرفقة والطريق فبينما هو في ذلك إذ رأى ناراً من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور فظن أنها من نيران الرعاة ﴿فقال لأهله﴾ لامرأته وولده وخادمه فإن الأهل يفسر بالأزواج والأولاد والعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن ملك ﴿امكثوا﴾ أقيموا مكانكم ولا تتبعوني ﴿إني آنست ناراً﴾ الإيناس الإبصار البين الذي لا شبهة فيه ومنه إنسان العين لأنه يبين به الشيء والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم أي: أبصرتها إبصاراً بيناً لا شبهة فيه فأذهب إليها ﴿لعلّي آتيكم منها﴾ راجياً أن أجيئكم من النار ﴿بقبس﴾ بشعلة من النار أي: بشيء فيه لهب مقبّس من معظم النار وهي المرادة بالجدوة في سورة القصص وبالشهاب القبس في سورة النمل يقال قبست منه ناراً في رأس عود أو فتيلة أو غيرهما لم يقطع بأن يقول إني آتيكم لثلا يعد ما لم يتيقن الوفاء به انظر كيف احترز موسى عن شائبة الكذب قبل نبوته فإنه حينئذ لم يكن مبعوثاً. قال أكثر المفسرين: إن الذي رآه موسى لم يكن ناراً بل كان نور الرب تعالى ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً. وقال الإمام الصحيح أنه رأى ناراً ليكون صادقاً في خبره إذ الكذب لا يجرز على الأنبياء

انتهى. قال بعض الكبار لما كانت النار بغية موسى تجلى الله له في صورة مطلوبة المجازي ليقبل عليه ولا يعرض عنه فإنه لو تجلى له في غير صورة مطلوبة أعرض عنه لاجتماع ما تجلى فيه:

كنار موسى يراها عين حاجته وهو الاله ولكن ليس يدريه
أي: ليس يعرف الاله المتجلي في صورة النور والمتكلم فيها ﴿أو أجد على النار هدى﴾
هادياً يدلني على الطريق لأن النار قلما تخلو من أهل لها وناس عندها على أنه مصدر سمي به
الفاعل مبالغة أو حذف منه المضاف أي: ذا هداية كقوله في سورة القصص ﴿لَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْهَا
يَخْبَرُ أَوْ جَذَوْهُ مِنَ النَّارِ﴾ [القصص: ٢٨] وكلمة أو في الموضعين لمنع الخلو دون منع
الجمع ومعنى الاستعلاء في على أن أهل النار يكتنفونها عند الاصطلاء قياماً وقعوداً فيشرفون
عليها.

﴿فَلَمَّا أَنَّهُمَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ۖ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ﴾

﴿فلما أتاها﴾ أي: انتهى إلى النار التي أنسها قال ابن عباس رضي الله عنه: رأى شجرة
خضراء أحاطت بها من أسفلها إلى أعلاها نار بيضاء تتقد كأضواء ما يكون ولم ير هناك أحداً
فوقف متعجباً من شدة ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا
كثرة ماء الشجرة تغير ضوء النار فسمع تسبيح الملائكة ورأى نوراً عظيماً تكل الأبصار عنه
فوضع يديه على عينيه وخاف وبهت فألقيت عليه السكينة والطمأنينة ثم نودي وكانت الشجرة
سمرة خضراء أو عوسجة أو عليقاً أو شجرة العناب وهي شجرة لا نار فيها بخلاف غيرها من
الأشجار. قالوا: النار أربعة أصناف: صنف يأكل ولا يشرب وهي نار الدنيا، وصنف يشرب
ولا يأكل وهي نار الشجر الأخضر، وصنف يأكل ويشرب وهي نار جهنم، وصنف لا يأكل ولا
يشرب وهي نار موسى. وقالوا أيضاً هي أربعة أنواع: نوع له إحراق بلا نور وهي نار الجحيم،
ونوع له نور بلا إحراق وهي نار موسى، ونوع له إحراق ونور وهي نار الدنيا، ونوع ليس له
إحراق ولا نور وهي نار الأشجار. يقول الفقير: النور للمحبة والنار للعشق وعندما كمل وامتلاً
نور محبة موسى وتم واشتعل نار عشقه وشوقه تجلى الله له بصورة ما في بطنه وذلك لأنه لما
ولد له ولد القلب الذي هو طفل خليفة الله في أرض الوجود في ليلة شاتية هي ليلة الجلال
ظهر له نور ذاتي في صورة نار صفاتية لأن الصورة إنما هي للصفات واحترق جميع أنانيته
وحصل له التوجه الوحداني فعند ذلك ﴿نودي﴾ فقيل: ﴿يا موسى﴾ ﴿إني أنا﴾ للتوكيد
والتحقق يعني [شك مكن ومتيقن شوكة من] ﴿ربك﴾ [بروردكار توام] ﴿فاخلع﴾ [پس بیرون
کن وبيکفن ازپای خود] ﴿نعليك﴾ أمر بذلك لأن الحفوة أدخل في التواضع وحسن الأدب
ولذلك كان بشر الحافي ونحوه يسرون حفاة وكان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين:

كنجی که زمین و آسمان طالب اوست چون درنکری برهنه پایان دارند

أو ليتشرف مشهد الوادي بقدم قدميه وتتصل بركة الأرض إليه. وقيل للحبيب تقدم على
بساط العرش بنعليك ليتشرف العرش بغبار نعال قدميك ويصل نور العرش يا سيد الكونين إليك
أو لأنه لا ينبغي لبس النعل بين يدي الملوك إذا دخلوا عليهم وهذا بالنسبة إلى المرتبة الموسوية
دون الجاه المحمدي كما مر آنفاً. وذكر في فضائل أبي حنيفة أنه كان إذا قدم على الخليفة

للزيارة استدعى منه الخليفة أن لا ينزل عن بغلته بل يطأ بها بساطه. أو لأنهما كانا غير مدبوغين من جلد الحمار فالخطاب خطاب التأديب كما في «حل الرموز». قال الكاشفي: [أصبح أنست كه نعلين از جلد بقربود و طاهر] أو لأن النعل في النوم يعبر بالزوجة فأراد تعالى أن لا يلتفت بخاطره إلى الزوجة والولد. قال في «الأسرار المحمدية» جاء في غرائب التفسير في قوله سبحانه ﴿فاخلع نعليك﴾ يعني همك بامرأتك وغنمك. وقال حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره يعني الطبيعة والنفس. يقول الفقير: لا شك أن المرأة صورة الطبيعة والولد صورة النفس لأن حبه من هواها غالباً وأيضاً أن المرأة في حكم الرجل نفسه لأنها جزء منه في الأصل والغنم ونجوه إنما هو من المعاش التابع للوجود فكأنه قيل فاخلع فكر النفس وما يتبعها أياً كان وتعال. وقال بعضهم: «المراد بالنعلين الدنيا والآخرة كأنه أمره بالاستغراق في معرفة الله ومشاهدته والوادي المقدس قدس جلال الله وطهارة عزته». وقال بعضهم إن إثبات الصانع يكون بمقدمتين فشبهتا بالنعلين إذ بهما يتوصل إلى المقصود وينتقل إلى معرفة الخالق فبعد الوصول يجب أن لا يلتفت إليهما ليبقى القلب مستغرقاً في نور القدس فكأنه قيل فاخلع فكر الدليل والبرهان فإنه لا فائدة فيه بعد المشاهدة والعيان:

ساكنان حرم از قبله نما آزادند

وفي «المثنوي»:

چون شدی پریمهای آسمان سرد باشد جست وجوی نردبان
آینه روشن که شد صاف و جلی جهل باشد برنهادن صیقلی
پیش سلطان خوش نشسته در قبول زشت باشد جستن نامه رسول

ولهذا غسل حضرة الشيخ الشبلي قدس سره جميع كتبه بعد الوصول إلى الله تعالى فتدبر ﴿إنك بالواد المقدس﴾ المطهر والمتبعد من السوء ﴿طوى﴾ اسم الوادي عطف بيان له. قال في «القاموس» الوادي مفرج بين جبال أو تلال أو آكام وطوى واد بالشام وهو بالتنوين منصرف بتأويل المكان وبتركه غير منصرف بتأويل البقعة المعروفة.

- روي - أن موسى عليه السلام خلعهما وألقاهما وراء الوادي.

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾

﴿وأنا اخترتك﴾ أي: اصطفتيك للنبوة والرسالة وقرأ حمزة «وأنا اخترناك» ﴿فاستمع﴾ [پس کوش فرا دار] ﴿لما يوحى﴾ للذي يوحى إليك مني من الأمر والنهي اللام متعلقة بالسمع مزيدة في المفعول كما في ردف لكم.

﴿إنني أنا الله﴾ [بدرستی که منم خدای تعالی] وهو بدل من يوحى دال على تقدم علم الأصول على الفروع فإن التوحيد من مسائل الأصول والعبادة الآتية من الفروع ﴿لا إله إلا أنا﴾ [نیست خدای بغیر من] فإذا كان كذلك ﴿فاعبدني﴾ فخصني بالعبادة والتوحيد ولا تشرك بعبادتي أحداً ﴿وأقم الصلاة﴾ من عطف الخاص على العام لفضله ﴿لذكری﴾ من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: لتذكرني وتكون ذاكرة لي فإن ذكر الله كما ينبغي عبارة عن الاشتغال بعبادته باللسان والجنان والأركان والصلاة جامعة لها أو من إضافته إلى فاعله أي لأذكرك بالإثابة.

وفي «التأويلات النجمية»: وأدم المناجاة والمحاضرة معي ببذل الوجود لنيل ذكرى إياك بالتجلي على الدوام لإفناء وجودك المتجدد.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿٥٦﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ ﴿٥٧﴾

﴿إن الساعة آتية﴾ تعليل لوجوب العبادة وإقامة الصلاة. والساعة اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة حقيقة يحدث فيها أمر عظيم أي: القيامة كائنة لا محالة وإنما عبر عن ذلك بالإتيان تحقيقاً لحصولها بإبرازها في معرض أمر محقق متوجه نحو المخاطبين ﴿أكاد أخفيها﴾. قال في «تفسير الجلالين»: استرها للتحويل والتعظيم وأكاد صلة انتهى. وقال بعضهم: كاد وإن كان موضوعاً للمقاربة إلا أنه من الله للتحقق والوجوب فالمعنى أريد إخفاء وقتها عن الخلق ليكونوا على الحذر منها كل وقت كما أن عسى في قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١] للقطع بقربه أي: هو قريب. وفي «الإرشاد» لا أظهرها بأن أقول هي آتية ولولا ما في الاخبار بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت.

وفي «التأويلات النجمية»: أكاد أخفي الساعة وإتيانها وأخفي أحوال الجنة ونعيمها وأحوال النار وعذاب جحيمها لئلا تكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار بل تكون خالصة لوجهي كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] وفي ذلك تهديد عظيم للعباد وإظهار عزة وعظمة لنفسه إلا أنه سبقت رحمتي غضبي فما أخفيت الساعة وإتيانها ﴿لتجزي كل نفس بما تسعى﴾ متعلقة بآتية وما بينهما اعتراض وما مصدرية أي: بسعيها وعملها خيراً كان أو شراً لتمييز المطيع من العاصي وتخصيص السعي بالذكر للإيذان بأن المراد بالذات من إتيانها هو الإثابة بالعبادة وأما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: لا يمنعك عن ذكر الساعة ومراقبتها ﴿من لا يؤمن بها﴾ أي: بالساعة هذا وإن كان بحسب الظاهر نهياً للكافر عن صد موسى عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عن الانصداد عنها على أبلغ وجه وأكدته فإن النهي عن أسباب الشيء ومبادئه المؤدية إليه نهى عنه بالطريق البرهاني وإبطال للسببية من أصلها ﴿واتبع هواه﴾ مراده المبني على ميل النفس لا يعصده برهان سماوي ولا دليل عقلي. وفي «الإرشاد» ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية ﴿فتردى﴾ من الردى وهو الموت والهلاك أي: فتهلك فإن الإغفال عنها وعن تحصيل ما ينجي من أحوالها مستتبع للهلاك لا محالة والمراد بهذا النهي الأمر بالاستقامة في الدين وهو خطاب له والمراد غيره.

واعلم أن هذه الآيات والآتية بعدها دلت على أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وأنه سمع كلام الله تعالى. فإن قيل بأي شيء علم موسى أنه كلام الله. قيل: لم ينقطع كلامه بالنفس مع الحق كما ينقطع به مع المخلوق بل كلمه تعالى بمدد وحداني غير منقطع وبأنه سمع الكلام من الجوانب الستة وبجميع الأجزاء فصار الوجود كله سمعاً وكذا المؤمن في الآخرة وجه محض وعين محض وسمع محض ينظر من كل جهة وبكل جهة وعلى كل جهة وكذا يسمع بكل عضو من كل جهة وإذا شاهد الحق يشهده بكل وجه ليس في جهة من الجهات لا يحتجب سمعه وبصره بالجهات ويجوز أن يخلق الله تعالى علماً ضرورياً بذلك كما خلق لنبينا عليه السلام عند ظهور جبريل بغار حراء.

ثم اعلم أن للكلام مراتب فكلام هو عين المتكلم وكلام هو معنى قائم به كالكلام النفسي وكلام مركب من الحروف ومتعين بها وهو في عالمي المثال والحس بحسبهما فموسى عليه السلام قد تنزل له الكلام في مرتبة الأمر إلى مرتبة الروح ثم إلى مرتبة الحس ومن مشى على المراتب لم يعثر ألا ترى أن نبينا عليه السلام إذا نزل عليه الوحي كان يسمع في بعض الأحيان مثل صلصلة الجرس فإن التجلي الباطني لا يمنع مثل هذا. فإن قلت لماذا كلم الله موسى حتى صار كليم الله دون سائر الأنبياء؟ قلت: لأن الجزء إنما هو من جنس العمل وكان قد احترق لسانه عليه السلام عند الامتحان الفرعوني فجازاه الله بمناجاته اسماع كلامه:

هر محنتى مقدمه راحتى بود شد همزيان حق چوزبان كليم سوخت

رؤي بعضهم في النوم فقيل: ما فعل الله بك؟ فقال رضي الله عني ورحمني وقال لي كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فجوزي من حيث عمل حيث لم يقل له كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف. وقيل لبعضهم وقد رؤي يمشي في الهواء بم نلت هذه الكرامة؟ فقال: تركت هواي لهواه فسخر لي هواه فالعلم والحكمة إنما هي في معرفة المناسبات قضاء عقلياً وقضاء إلهياً حكماً ومن قال إن الله تعالى يفعل خلاف هذا فليس عنده معرفة بمواقع الحكم.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّىٰ﴾ (٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿٨﴾ قَالَ أَلَيْهَا يَمْوَسَّىٰ ﴿٩﴾ فَأَلْقَنَهَا فَإِذَا هِيَ حَبََّةٌ سَعَىٰ ﴿١٠﴾

﴿وما تلك﴾ السؤال بما تلك عن ماهية المسمى أي: حقيقته التي هو بها هو كقولك ما زيد تعني ما حقيقة مسمى هذا اللفظ فيجاب بأنه إنسان لا غير. قال الكاشفي: [جون موسى نعلين بيرون كرد در وادي مقدس خطاب رسيدكه] وما تلك أي شيء هذه حال كونها مأخوذة ﴿بيمينك يا موسى﴾ فما استفهامية في حيز الرفع بالخبرية لتلك المشار إليها أي: العصا وهو أوفق بالجواب من عكسه والعامل في الحال معنى الإشارة ولم يقل بيدك لاحتمال أن يكون في يساره شيء مثل الخاتم ونحوه فلو أجمل إليه لتحير في الجواب للاشتباه وسيأتي سر الاستفهام إن شاء الله تعالى.

﴿قال﴾ موسى ﴿هي عصاي﴾ نسبها إلى نفسه تحقيقاً لوجه كونها بيمينه وتمهيداً لما يعقبه من الأفاعيل المنسوبة إليه عليه السلام ﴿أتوكأ عليها﴾ أي: اعتمد عليها عند الإعياء في الطريق وحال المشي وحين الوقوف على رأس القطيع في المرعى ﴿وأهش بها على غنمي﴾ الهش [بيفشانندن برك ازدرخت] يقال هش الورق يهشه ويهشه خبطه بعصا ليتحات أي: ضربه ضرباً شديداً ليسقط. والمعنى أخبط بها الورق وأسقطه على رؤوس غنمي لتأكله. وبالفارسية [وفروميريزم برك ازدرختها] ﴿ولي فيها مآرب﴾ جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهي الحاجة ﴿أخرى﴾ لم يقل آخر لرعاية الفاصلة أي: حاجات آخر غير التوكي والهش وهي أنه إذا سار ألقاها على عاتقه وعلق بها قوسه وكنانته وحلابه ومطهرته وحمل عليها زاده وتحذته. يعني [درراه باموسى سخن كفتى] وكان لها شعبتان ومحجن فإذا طال الغصن حناه بالمحجن وإذا حاول كسره لواه بالشعبتين وفي أسفلها سنان ويركزها فيخرج الماء وتحمل أي: ثمرة أحب وربما يدلها في البئر وتصير شعبتها كاللدو فيخرج الماء وإذا قصر الرشاء وصله بها وتضيء

بالليل كالشمع وتحارب عنه . يعني : [بإدشمن وى حرب كردى] وإذا تعرضت لغنمه السباع قاتل بها وتطرد الهوام في النوم واليقظة ويستظل بها إذا كان قعد يعني إذا كان في البرية ركزها وألقى كساءه عليها فكان ظلاً وكانت اثني عشر ذراعاً بذراعه عليه السلام من عود آس من شجر الجنة استودعها عند شعيب ملك من الملائكة في صورة إنسان . وقال الكاشفي : [آن عصا ازچوب مرد بهشت بود طول اوده كز وسراو دوشاخه ودر زيراو سناني نشانده نامش علق بود يانيه از آدم ميراث بشعيب رسيده بود وازو بموسى رسيد] وفي العصا إشارة إلى أن الأنبياء عليهم السلام رعاة الخلق والخلق مثل البهائم محتاجون إلى الرعي والكلاءة من ذئاب الشياطين وأسد النفس فلا بد من العمل بإرشادهم والوقوف بالخدمة عند باب دارهم ، قال الحافظ :

شبان وادى ايمن كهى رسد بمراد كه چند سال بجان خدمت شعيب كند
قال بعض أهل المعرفة لما كانت العصا صورة النفس المطمئنة المفنية للموهومات والمتخيلات لأن صورة الحية تستعد للإيمان كما ظهر بعض الجن بالمدينة في صورة الحية ونهوا عن قتلها كما ذكر في «الصحاح» لذلك قال موسى عليه السلام : ﴿هي عصاي أتوكأ عليها﴾ أي : أستعين بها على مطالبي في السر ﴿وأهش بها على غمي﴾ أي : على رعايا أعضائي وحواسي وعلى ما تحت يدي من القوى الطبيعية والبدنية ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي : مقاصد لا تحصل إلا بها من الكمالات المكتسبة بالمجاهدات البدنية والرياضات النفسية فإذا جاهدت وارتاضت وأنابت إلى ربها انقلبت المعصية التي هي السيئة طاعة أي : حسنة كما قال تعالى في صفة التائبين ﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان : ٧٠] . فإن قيل السؤال للاستعلام وهو محال على العلام فما الفائدة فيه قلنا فائدته أن من أراد أن يظهر من الحقير شيئاً نفيساً يعرضه أولاً على الحاضرين ويقول ما هذا فيقال فلان ثم إنه يظهر صنعه الفائق فيه فيقول لهم : خذوا منه كذا وكذا كما يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة حديد ثم يريك بعد أيام لبوساً مسرداً فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما ترى من عجيب الصنع وأنيق السرد فالله تعالى لما أراد أن يظهر من العصا تلك الآيات الشريفة عرضها أولاً عليه فقال : هل حقيقة ما في يدك إلا خشبة لا تضر ولا تنفع ثم قلبها ثعباناً عظيماً فنبه به على كمال قدرته ونهاية حكمته . قال الكاشفي : [استفهام متضمن تنبيه است يعني حاضر شو تا عجايب بيني].

وقال في «التأويلات النجمية» : إنما امتحن موسى بهذا السؤال تنبيهاً له ليعلم أن للعصا عند الله اسماً آخر وحقيقة أخرى غير ما علمه منها فيحيل علمها إلى تعالى فيقول : أنت أعلم بها يا رب فلما اتكل على علم نفسه وقال هي عصاي فكانه قيل له أخطأت في هذا الجواب خطئين أحدهما في التسمية بالعصا والثاني في إضافتها إلى نفسك وهو ثعباني لا عصاك . فإن قيل هذا سؤال من الله مع موسى ولم يحصل لمحمد عليه السلام . قلنا خاطبه أيضاً في قوله : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم : ١٠] إلا أنه ما أفشاه وكان سرّاً لم يؤهل له أحداً من الخلق وأيضاً فإن دار الكلام بينه وبين موسى فأمه محمد يخاطبونه في كل يوم مرات على ما قاله عليه السلام : «المصلي يناجي ربه» وقال بعضهم : فهم موسى أن هذا السؤال ليس للاستعلام لأنه تعالى منزّه عن ذلك بل للتذكّر واستحضار حقيقتها وما يعلم من منافعتها ولذا زاد في الجواب . وقال الكاشفي : [جواب داد وجهت تعداد نعم رباني برآن افزود] وقال بعضهم :

سأل الله عما في يده للتقرير على أنها عصا حتى لا يخاف إذا صارت ثعباناً ويعلم أنها معجزة عظيمة لإزالة الوحشة عن موسى ولذا كرر يا موسى يعني: ليحصل زيادة الانبساط والاستئناس وإزالة تلك الهيبة والدهشة الحاصرة من استماع ذلك الكلام الذي لم يشبه كلام الخلق مع مشاهدة تلك النار وتلك الشجرة وسمع تسبيح الملائكة ومن ثمة لما زالت بذلك اطنب في الجواب قال نبينا عليه السلام: قلت أي: ليلة المعراج: اللهم إنه لما لحقني استيحاش سمعت منادياً ينادي بلغة تشبه لغة أبي بكر رضي الله عنه فقال لي: قف فإن ربك يصلي فعجبت من هاتين هل سبقني أبو بكر إلى هذا المقام وإن ربي لغني عن أن يصلي فقال تعالى: أنا الغني عن أن أصلي لأحد وإنما أقول سبحاني سبحاني سبقت رحمتي على غضبي اقرأ يا محمد هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً فصلاتي رحمة لك ولأمتك وأما أمر صاحبك يا محمد فإن أخاك موسى كان أنسه بالعصا فلما أردنا كلامه قلنا وما تلك بيمينك يا موسى قال: هي عصاي وشغل بذكر العصا على عظيم الهيبة وكذلك أنت يا محمد لما كان أنسك بصاحبك أبي بكر خلقنا ملكاً على صورته ينادي بلغته ليزول عنك الاستيحاش لما يلحقك من عظيم الهيبة كذا في «إنسان العيون». وذكر الراغب الأصفهاني في «المحاضرات» أنه قال الإمام الشاذلي قدس سره صاحب الحزب البحر اضطجعت في المسجد الأقصى فرأيت في المنام قد نصب تحت خارج الأقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير أفواجاً أفواجاً فقلت: ما هذا الجمع فقالوا: جمع الأنبياء والرسل عليهم السلام قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه السلام في إساءة أدب وقعت منه فنظرت إلى التخت فإذا نبينا ﷺ جالس عليه بانفراده وجميع الأنبياء على الأرض جالسون مثل إبراهيم وموسى وعيسى ونوح عليهم السلام فوقفت أنظر وأسمع كلامهم فخطب موسى نبينا عليه السلام وقال له: إنك قد قلت: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» فأرنا منهم واحداً فقال: هذا وأشار إلى الإمام الغزالي قدس سره فسأله موسى سؤالاً فأجابه بعشرة أجوبة فاعترض عليه موسى بأن الجواب ينبغي أن يطابق السؤال والسؤال واحد والجواب عشرة فقال الإمام: هذا الاعتراض وارد عليك أيضاً حين سئلت ﴿وما تلك بيمينك﴾ وكان الجواب عصاي فأوردت صفات كثيرة فقال: فبينما أنا متفكر في جلالة قدر محمد عليه السلام وكونه جالساً على التخت بانفراده والخليل والكليم والروح جالسون على الأرض إذ رفسنى شخص برجله رفسة مزعجة أي: ضربني فانتبهت فإذا بقيم يشعل قناديل الأقصى قال: لا تعجب فإن الكل خلقوا من نوره فخررت مغشياً فلما أقاموا الصلاة أفقت وطلبت القيم فلم أجده إلى يومي هذا ومن هذا قال في قصيدة البردة:

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم
وقال آخر:

سر خيل انبيا وسيهدار اتقيا سلطان باركاه دنا قائد امم
﴿قال﴾ الله تعالى استئناف بياني ﴿الْقها يا موسى﴾ اطرحها لترى من شأنها ما لم يخطر ببالك والالقاء والنبد والطرح بمعنى واحد.

﴿فألقاها﴾ على الأرض. قال الكاشفي: [موسى كمان بردكه اورانيزجون نعلين می باید افکند پس بیفکند آترا از قفای خود في الحال آوازی عظیم بکوش وی رسید باز نکرست] ﴿فإذا

هي ﴿[پس از آنجا آن عصا] ﴿حیه﴾ [مارى بود] ﴿تسعى﴾ [مى شتافد بهر جانب] والسعى المشى بسرعة وخفة حركة والجملة صفة حية.

- روي - أنه حين ألقاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان تارة وهو الخفيف كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُ جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠] أي: باعتبار ابتداء حالها وسميت ثعباناً أخرى وهو أعظمها كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُيِّنٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي: باعتبار انتهاء حالها وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين أي: الصغير والكبير والظاهر أنها انقلبت من أول الأمر ثعباناً وهو الأليق بالمقام كما يفصح عنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُيِّنٌ﴾ وإنما شبهت بالجان في الجلادة وسرعة الحركة. قال بعض أهل المعرفة أما انقلاب العصا حيواناً فإيماء إلى انقلاب المعصية طاعة وحسنة فإن العصا من المعصية والمعصية إذا انقلبت صارت طاعة كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَرَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا التبديل من مقام المغفرة وأما المحو في قوله عليه السلام: «اتبع السيئة الحسنة تمحها» فعبارة عن حقيقة العفو. قال المولى الجامي في قوله: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ يعني في الحكم فإن الأعيان أنفسها لا تتبدل ولكن تنقلب أحكامها انتهى. يقول الفقير على هذا يدور انقلاب العصا حية حين الإلقاء ويحول النحاس فضة عند طرح الأكسير وتمثل جبريل في الصورة البشرية فاعرفه فإنه باب عظيم من دخله بالعرفان التام أمن من الأوهام، قال الحافظ:

دست از مس وجود چو مردان ره بشوی تا کیمیای عشق بیابی وزر شوی
وقال المولى الجامي:

چو کسب علم کردی در عمل کوش که علم بی عمل زهریست بی نوش
چه حاصل زآنکه دانی کیمیارا مس خود را نکرده زرسارا

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٢١) وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيَظًا مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةٍ أُخْرَى (٢٢) لِزَيْكٍ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٤) ﴿

﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿خذها ولا تخف﴾ روي أنها انقلبت ثعباناً ذكراً يبتلع كل شيء يمر به من صخر وحجر وعينه تنقدان كالنار ويسمع لأنبائه صريف شديد وكان بين لحييه أربعون ذراعاً أو ثمانون فلما رآه كذلك خاف ونفر لأن الخوف والهرب من الحيات ونحوها من طباع البشر. فإن قيل لم خاف موسى من العصا ولم يخف إبراهيم من النار؟ قلنا: لأن الخليل كان أشد تمكيناً إذ فرق بين بداية الحال ونهايتها وقد أزال الله هذا الخوف من موسى بقوله: ولا تخف ولذا تمكن من أخذ العصا كما يأتي فصار أهل تمكين كالخليل عليهما السلام ألا ترى أن نبينا عليه السلام أول ما جاءه جبريل خافه فرجع من الجبل مرتعداً ثم كان من أمره ما كان حتى استعد لرؤيته على صورته الأصلية ليلة المعراج كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (٢٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٤، ١٣].

وفي «التأويلات النجمية» ﴿خذها ولا تخف﴾ يعني كنت تحسب أن لك فيها المنافع والمآرب في البداية ثم رأيتها وأنت خائف من مضارها فخذها ولا تخف لتعلم أن الله تعالى هو الضار والنافع فيكون خوفك ورجاؤك منه إليه لا من غيره، وفي «المثنوي»:

هرکه ترسید از حق و تقوی کزید ترسد ازوی جن و انس و هرکه دید ﴿سنعیدها﴾ [زود باشد که گردانیم ویرا] ﴿سیرتها الأولى﴾ السيرة فعلة من السير أي: نوع منه تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الجار أي: سنعيدها بعد الأخذ إلى هيئتها الأولى التي هي الهيئة العصوية فوضع يده في فم الحية فصارت عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي يضعها فيه إذا توکأ وأراه هذه الآية كيلا يخاف عند فرعون إذا انقلبت حية وفي الحديث «يجاء لصاحب المال الذي لم يؤد زكاته بذلك المال على صورة ثعبان» يقول الفقير: لا شك عند أهل المعرفة أن لكل جسد روحاً ولو كان معنوياً ولكل عمل وخلق ووصف صورة معتدلة في الدنيا تتحول صورة محسوسة في الآخرة كما قال تعالى: ﴿فَيُنْشِئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أي: يظهر لهم صور أعمالهم كما مر في سورة الأنعام ولما كان حب المال من أشد صفات النفس الأمارة التي هي في صورة ثعبان ضار لا جرم يظهر يوم تبلى السرائر على هذه الصورة المزعجة ويصير طوقاً لعنق صاحبه فإذا تزكى موسى القلب من حب المال وأحب بذله في سبيل الله جاء في صورة حسنة يهواها مناسبة لما عمل به من الخيرات وقس حال البواقي عليه. ثم أراه آية أخرى فقال:

﴿واضمم﴾ [ضم كن وبر] ﴿يدك﴾ اليمنى ﴿إلى جناحك﴾ [بسوى بهلوى خود درزير بغل] وجناح الإنسان جنبه وعضده إلى أصل إبطه كما أن جناحي العسكر ناحيته مستعار من جناحي الطائر وقد سميا جناحين لأنه يجنحهما أي: يميلها عند الطيران. والمعنى اضمم يدك إلى جنبك تحت العضد ﴿تخرج﴾ [تأبيرون أيد جواب] ﴿بيضاء﴾ [در حالتی که سفید و روشن] حال من الضمير فيه ﴿من غير سوء﴾ حال من الضمير في بيضاء أي: كائنه من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوء عن العورة لما أن الطباع تعافه وتنفر عنه.

- روي - أن موسى عليه السلام كان أسمر اللون فإذا أدخل يده اليمنى تحت إبطه الأسمر وأخرجها كان عليها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر ويسد الأفق ثم إذا ردها إلى جنبه صارت إلى لونها الأول بلا نور وبريق ﴿آية أخرى﴾ أي: معجزة أخرى غير العصا وانتصابها على الحالية من الضمير في بيضاء.

﴿لنريك﴾ أي: فعلنا ما فعلنا من قلب العصا حية وجعل اليد بيضاء لنريك بهاتين الآيتين ﴿من آياتنا الكبرى﴾ أي: بعض آياتنا الكبرى فكل من العصا واليد من الآيات الكبرى وهي تسع كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١] وقد سبق بيانها ونظير الآية قوله تعالى في حق نبينا عليه السلام ﴿لَقَدْ رَأَى﴾ [النجم: ١٨] أي: محمد ليلة المعراج ﴿مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكَرُورِ﴾ [النجم: ١٨] والفرق بين آيات موسى وآيات نبينا عليهما السلام أن آيات موسى عجائب الأرض فقط وآيات نبينا عجائب السموات والأرض كما لا يخفى هذا هو اللائح في هذا المقام فاعرفه.

واعلم أن موسى عليه السلام أدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء من غير سوء وهذا من كرامات اليد بعد التحقق بحقيقة الجود والكرم والسخاء والإيثار فالجود عطاؤك ابتداء قبل السؤال والكرم عطاؤك ما أنت محتاج إليه وبالعطاء صحت الخلّة.

- روي - أن الله تعالى أرسل إلى إبراهيم جبريل عليهما السلام على صورة شخص فقال له: يا إبراهيم أراك تعطي الأوداء والأعداء فقال: تعلمت الكرم من ربي رأيت لا يضيعهم فأنا لا

أضیعهم فأوحى الله إليه أن یا إیراهیم أنت خلیلی حقاً. ومن کرامات الید ما روی أن نبینا علیه السلام نبع الماء من بین أصابعه فی غزوة تبوک حتی شرب منه ورفعہ خلق کثیر ورمى التراب فی وجوه الأعداء فانهمزوا وسبح الحصى فی یدہ، قال العطار قدس سره:

داعی ذرات بود آن پاک ذات در کفش تسبیح ازان کفتی حصات
وقبض من شاء من الأولیاء فی الهواء فیفتح یدہ عن فضاء أو ذهب إلى أمثال هذا فإذا سمعت هذا عرفت أن کل کمال یظهر فی النوع الإنسان فهو أثر عمل من الأعمال أو حال من الأحوال فبین کل شئین إما مناسبة ظاهرة أو باطنة إذا طلبها الحکیم المراقب وجدها نسأل الله تعالی أن یوفقنا لصرف الأعضاء والقوى إلى ما خلقت هی لأجله ویفیض علینا فضله بسجله.

﴿اذهب﴾ یا موسی بطریق الدعوة والتحذیر ﴿إلی فرعون﴾ وملئه بهاتین الآتین العصا والید لقوله تعالی فی سورة القصص ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [القصص: ۳۲] وأما قوله تعالی: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ يُتَائِي﴾ [طه: ۴۲] فسیأتی معنی الجمع فیہ إن شاء الله تعالی ﴿إنه طغی﴾ أي: جاوز حد العبودیة بدعوى الربوبیة استقلالاً لا اشتراكاً كما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ۲۴]. وفیه إشارة إلى معنیین:

أحدهما: أن السالك الصادق إذا بلغ مرتبة کماله یقیضه الله لدلالة عبادہ وتریتهم.
والثانی: أن کمال البالغین فی أن یرجعوا إلى الخلق ومخالطتهم والصبر علی أذاهم لیختبروا بذلك حلمهم وعفوهم.

فإن قیل لم أرسله الله بالعصا؟ قلنا: لأن العصا من آلات الرعاة وموسى علیه السلام کان راعياً فأرسله الله مع آلهة وأيضاً کان فرعون بمنزلة الحمار فاحتاج إلى العصا والضرب، وفی «المنثوی»:

کر ترا عقلست کردم لطفها	ورخری آورده ام خررا عصا
آنچنان زین آخرت بیرون کنم	کز عصا کوش وسرت پر خون کنم
اندوین آخر خران ومردمان	می نیابند از جفای تو امان
یک عصا آورده ام بهر ادب	هر خری را کونباشد مستحب
ازدهائی میشود در قهر تو	کازدهائی کشته در فعل وخو
ازدهائی کوهی تو بی امان	لیک بنکر ازدهای آسمان
این عصا ازدوزخ آمد چاشنی	که هلا بکریز اندر روشنی
ورنه درمانی تو دردندان من	مخلصت نبود زدرندان من
این عصائی بود این دم ازدهاست	تانکوئی دوزخ یزدان کجاست
هرکجا خواهد خدا دوزخ کند	اوج را بر مرغ دام و فسخ کند
هم زندانت برآید دردها	تابکوئی دوز خست واژدها
یا کند آب دهانت را غسل	که بکوئی که بهشتست وحلل
از بن دندان برو یاند شکر	تابدانی قوت حکم قدر
پس بدندان بی کنهانرا مکز	فکر کن از ضربت نا محترز

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (١٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿١٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿١٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿١٨﴾

وَأَجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِّنْ أَهْلِ (٢٩) هَرُونَ أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى (٣١) وَأَشْرِكْ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ سَيْحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَتَذَكَّرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥)

﴿قال﴾ موسى مستعيناً بالله لما علم أنه حمل ثقیل وتكليف عظیم، یعنی: [باخود اندیشیده که من تنها بافرعون و لشکر او چگونه مقاومت توانم کرد پس از خدا تقویت طلبیده آغاز دعا کرد و از روی نیاز گفت] ﴿رب﴾ [ای پروردگار من] ﴿اشرح لی صدري﴾ [کشاده کردن برای من سینه مرا] والمراد بالصدر هنا القلب لا العضو الذي فيه القلب أي: وسع قلبي حتی لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم ولا يخاف من شوكتهم وكثرتهم.

واعلم أن شرح الصدر من نعم الله تعالى على الأنبياء وكمل الأولياء وقد أخذ منه نبينا عليه السلام الحظ الأوفى لأنه حصل له بصورته ومعناه إذ شق صدره في صباوته وألقى عنه العلقه التي هي حظ الشيطان ومغمزه وغسل في طست من الذهب وأيضاً في البلوغ إلى الأربعين لينشرح لتحمل أثقال الرسالة وفي المعراج ليتسع لأسرار الحق تعالى فجاء حاملاً للأوصاف الجليلة التي لا توصف من الحلم والعفو والصبر والكف واللفظ والدعاء والنصيحة إلى غير ذلك.

﴿ويسر لي أمري﴾ سهل علي أمر التبليغ بإحداث الأسباب ورفع الموانع.
﴿واحلل﴾ وافتح، وبالفارسية [وبکشای] ﴿عقدة﴾ لکنه، وبالفارسية [کرهی را] ﴿من لسانی﴾ متعلق بالفعل وتنكير عقدة يدل على قتلها في نفسها قالوا ما الإنسان لولا اللسان الابهيمة مرسله أو صورة ممثلة والمرء بأصغريه قلبه ولسانه.

﴿يفقهوا قولي﴾ أي: يفهم هو وقومه كلامي عند تبليغ الرسالة فإنما يحسن التبليغ من البليغ وكان في لسانه رته، وبالفارسية [بستکی زبان] من جمره أدخلها فاه وذلك أن فرعون حمله يوماً فأخذ لحيته ونفثها لما كانت مرصعة بالجواهر فغضب وقال إن هذا عدوي المطلوب وأمر بقتله فقالت آسية زوجته: أيها الملك إنه صبي لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يدي موسى بأن جعل الجمر في طست والياقوت في آخر فقصد إلى أخذ الجوهر فأمال جبرائيل يده إلى الجمر فرفعه إلى فيه فاحترق لسانه فكانت منه لکنه وعجمة وإلى هذه القصة أشار العطار قدس سره بقوله:

همچو موسی این زمان در طشت آتش مانده ایم

طفل فرعونیم ما کام ودهان پراخکرتست

ولعل تبيض يده لما كانت آلة لأخذ الجمر واللحية والنتف. فإن قيل لم احترق لسان موسى ولم يحترق أصابعه حين قبض على الجمر عند امتحان فرعون؟ قلنا ليكون معجزة بعد رجوعه إلى فرعون بالدعوة لأنه شاهد احتراقه عنده فيكون دليلاً على إعجازه كأنه يقول الكليم أخرجني الله من عندك يا فرعون مغلولاً ذا عقدة ثم ردني إليك فصيحاً متكلماً وأورثني ذلك ابتلاء من ربي حال كوني صغيراً أن جعلني كليماً مع حضرته حال كوني كبيراً وأورث تناول يدي إلى النار آية نيرة بيضاء كشعلة النار في أعينكم فكل بلاء حسن. قال في «الأسئلة المقحمة»: لما دعا موسى بهذا الدعاء هل انحلت أي: كما يدل عليه قوله قال: قد أوتيت سؤلك فلماذا قال وأخي هارون هو أفصح مني لساناً وقال فرعون فيه ولا يكاد يبين؟ الجواب:

يجوز أن يكون هارون هو أفصح منه مع زوالها وقول فرعون تكلم به على وجه المعاندة والاستصغار كما يقول المعاند لخصمه: لا تقول شيئاً ولا تدري ما تقول وقالوا لشعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وقالوا لهود ما جئتنا ببينة ولنبيناً عليه السلام قلوبنا في أكنة انتهى وإلى هذا التأويل جنح المولى أبو السعود في «الإرشاد».

﴿واجعل لي وزيراً﴾ الوزير حباء الملك أي: جلسه وخاصته الذي يحمل ثقله ويعينه برأيه كما في «القاموس» فاشتقاقه من الوزر بالكسر الذي هو الثقل لأنه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر محركة وهو الملجأ والمعتصم لأن الأمير يعتصم برأيه ويلجأ إليه في أموره والمعنى واجعل لي موازراً يعاونني في تحمل أعباء ما كلفته ﴿من أهلي﴾ من خواصي وأقربائي فإن الأهل خاصة الشيء ينسب إليه ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي مِّنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥] وأهل الله خاصته كما في الحديث «إن لله أهليين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» كما في «المقاصد الحسنة» وهو صفة لوزير أو صلة لأجل.

﴿هارون﴾ مفعول أول لأجل قدم عليه الثاني وهو وزيراً للعناية به لأن مقصوده الأهم طلب الوزير ﴿أخي﴾ بدل من هارون.

﴿اشدد به أزري﴾ الإزر القوة والظهر أي: احكم به قوتي أو قوّ به ظهري.
﴿وأشركه في أمري﴾ واجعله شريكاً في أمر الرسالة حتى تتعاون على أدائها كما ينبغي.
فإن قيل كيف سأل لأخيه النبوة؟ فإنما هي باختيار الله تعالى كما قال: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] قلت إن في إجابة الله دليلاً على أن سؤاله كان بإذن الله وإلهاماً منه ولما كان التعاون في الدين درجة عظيمة طلب أن لا يحصل إلا لأخيه. وفيه إشارة إلى أن صحبة الأخيار وموازرتهم مرغوب للأنبياء فضلاً عن غيرهم ولا ينبغي أن يكون المرء مستبدّاً برأيه مغوراً بقوته وشوكته وينبغي أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويجوز لنفسه الشريك في أمور المناصب ولا تقدح وزارة هارون في نبوته وقد كان أكثر أنبياء بني إسرائيل كذلك أي: كان أحدهم موازراً ومعيناً للآخر في تبليغ الرسالة وكان هارون بمصر حين بعث موسى نبياً بالشام.
﴿كي﴾ غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة، والمعنى بالفارسية [تا] ﴿نسبحك﴾ تسبيحاً
﴿كثيراً﴾ أي: ننزهك عما لا يليق بك من الأفعال والصفات التي من جملتها ما يدعيه فرعون ﴿ونذكرك﴾ ذكراً ﴿كثيراً﴾ أي: على كل حال ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال فإن التعاون يهيج الرغبات ويؤدي إلى تكاثر الخير وتزايده.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن للجلس الصالح والصدّيق الصديق أثراً عظيماً في المعاونة على كثرة الطاعة والموافقة والمرافقة في اقتحام عقبات السلوك وقطع مفارزه، قال الحافظ:

دريغ ودردكه تا اين زمان ندانستم كه كيميای سعادت رفيق بود رفيق
﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ الباء متعلقة ببصيراً قدمت عليه لرعاية الفواصل أي: عالماً بأحوالنا وإن التعاون يصلحنا وإن هارون نعم الوزير والمعين لي فيما أمرتني به فإنه أكبر مني سنّاً وأفصح لساناً وكان أكبر من موسى بأربع سنين أو بسنة على اختلاف الروايات.

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ ﴿وَلَقَدْ مَنَّاْ عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ ﴿٢٧﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ مسؤولك ومطلوبك فعل بمعنى مفعول

كالخبز بمعنى المخبوز والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له . قال داود القيصري قدس سره : ومن جملة كمالات الأقطاب ومنن الله عليهم ألا يتبليهم بصحبة الجاهل بل يرزقهم صحبة العلماء الأدباء الأمناء يحملون عنهم أثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم انتهى وذلك كما كان آصف بن برخيا وزيراً لسليمان عليه السلام الذي كان قطب وقته ومتصرفاً وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من إتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى في القرآن . وكان أنوشروان يقول لا يستغني أجود السيوف عن الصيقل ولا أكرم الدواب عن السوط ، ولا أعلم الملوك عن الوزير وفي الحديث : «إذا أراد الله بملك خيراً قيض له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره وإن نوى خيراً أعانه وإن نوى شراً كفه» وقد كان لرسول الله ﷺ وزراء كما قال : «إن لي وزيرين في الأرض أبا بكر وعمر ووزيرين في السماء جبريل وإسرافيل» فكان من في السماء يمدّه عليه السلام من جهة الروحانية ومن في الأرض من جهة الجسمانية قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِقُرْآنٍ مَّعْرُومٍ وَيَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢] فنصر الله سماوي ونصر المؤمنين أرضي وبالكمل يحصل الإمداد مطلقاً وفي الحديث : «إذا تحيرتم في الأمور فاستعينوا من أهل القبور» ذكره الكاشفي في «الرسالة العلية» وابن الكمال في «شرح الأربعين» حديثاً والمراد من أهل القبور الروحانيون سواء كانوا في الأجساد الكثيفة أو اللطيفة فافهم . ثم إن العادل يرث من النبي عليه السلام هذه الوزارة وأما الظالم فيجعل له وزير سوء وهو علامة غضب الله وانتقامه ، قال الشيخ سعدي قدس سره :

بقومي که نیکی پسندد خدای دهد خسرو عادل نیک رای
چو خواهد که ویران کند عالمی کند ملک درپنجه ظالمی
وقال الحافظ :

زمانه کرنه سر قلب داشتی کارش بدست آصف صاحب عیار بایستی
ولما كان السلطان ظل الله في الأرض ظهر مظهر الحقيقة الجامعة الإلهية وهو القطب الذي هو مدار العالم فكما أن للقطب وزراء من العلماء الأمناء كذلك لمن هو ظله وزراء من العادلين الأدباء وهذه الوزارة ممتدة إلى زمن المهدي ووزراؤه سبعة هم أصحاب الكهف يحييهم الله في آخر الزمان يختم بهم رتبة الوزراء المهديّة ومنهم الوزراء السبعة للملوك العثمانية وهم الذين يسمون بوزراء القبة .

واعلم أن موسى بطريق الإشارة سلطاننا في الآفاق وروحنا في الأنفس وهارون هو الوزير أياً من كان في الآفاق والعقل في الأنفس وفرعون هو رئيس أهل الحرب من النصارى وغيرهم والنفوس الأمارة بالسوء فإذا قارن الروح بالعقل الكامل المشير المدبر وهو عقل المعاند يغلب على النفس وقواها ويخلص حصن القلب من أيديها كما أن السلطان إذا اصطفى لوزارته رجلاً صالحاً عادلاً يغلب إن شاء الله تعالى على الأعداء ويتصرف في بلادهم وحصونهم ، وفي «المنثوي» :

عقل تو دستور مغلوب هواست در وجودت رهزن راه خداست
وای آن شه که وزیرش این بود جای هردو دوزخ برکین بود
شاد آن شاهی که اورا دستگیر باشد اندرکار چون آصف وزیر
شاه عادل چون قرین اوشود نام او نور علی نور این بود

چون سلیمان شاه و چون آصف وزیر
 شاه فرعون و چو هامانش وزیر
 پس بود ظلمات بعضی فوق بعض
 عقل جزوی را وزیر خودمکیر
 مر هوارا تو وزیر خود مساز
 کین هوا پر حرص و حالی بین بود
 وفي الحديث: «من قلد إنساناً عملاً وفي رعيته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المؤمنين»، قال الشيخ سعدي قدس سره:

کسی را که باخواجه تست جنک
 بدستش چرامی دهی چوب و سنک
 سک آخر که باشد که خوانش نهند
 بفرمای تا استخوانش نهند
 مکافات مودی بمالش مکن
 که بیخش بر آورد باید زبن
 سرکرت باید هم اول برید
 نه چون کوسفندان مردم درید

﴿ولقد مننا عليك﴾ من قولهم من عليه منا بمعنى أنعم عليه لا من قولهم عليه منه بمعنى امتن عليه لأن المنة تهدم الصنعة. وفي «الكبير»: فإن قيل ذكر تلك النعم بلفظ المنة مؤذ والمقام مقام التلطف قلنا عرفه أنه لم يستحق شيئاً منها بذاته وإنما خصه بها بمحض التفضل والمعنى وبالله لقد أنعمنا عليك يا موسى أكرمناك بكرامات من غير أن تسألنا ﴿مرة أخرى﴾ في وقت ذي مر وذهاب أي: وقتاً غير هذا الوقت فإن أخرى تأنيث آخر بمعنى غير والمرة في الأصل اسم للمر الواحد الذي هو مصدر قولك مر يمر مرأ ومروراً أي: ذهب ثم أطلق على فعلة واحدة من الفعلات متعدية كانت أو لازمة ثم شاع في كل فرد واحد من أفراد افراد متحدة فصار علماً في ذلك حتى جعل معياراً لما في معناه من سائر الأشياء فقليل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة المراد به ههنا الوقت الممتد الذي وقع فيه ما سيأتي ذكره من المنن العظيمة الكثيرة.

﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أَمِّكَ مَا يُوحَىٰ ۖ ۞٢٨ أَن أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ۖ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ۖ﴾ ۞٢٩

﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾ ظرف لمننا والمراد من هذا الوحي ليس الوحي الواصل إلى الأنبياء لأن أم موسى ما كانت من الأنبياء فإن المرأة لا تصلح للإمارة والقضاء فكيف تصلح للنبوة بل الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] بأن أوقع الله في قلبها عزيمة جازمة على ما فعلته من اتخاذ التابوت والقذف. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف يجوز لها أن تلقي ولدها في البحر وتخطر بروحه بمجرد الإلهام؟ والجواب كانت مضطرة إلى ركوب أحد الخطرين فاختارت له خير الشرين انتهى والظاهر أن الله تعالى قدر أنها تكون صدف درة وجود موسى فكما أن الصدف يتنور بنور الدرة نور صدر أمه أيضاً بنور الوحي من تلالؤ أنوار نبوته ورسالته فهذا الإلهام من أحوال الخواص من أهل الحال ﴿ما يوحى﴾ المراد به ما سيأتي من الأمر بقذفه في التابوت والبحر أبهم أولاً تهويلاً له وتفخيماً لشأنه عليه السلام ثم فسر ليكون أقر عند النفس.

﴿أن اقدفيه في التابوت﴾ أن مفسرة بمعنى أي: لأن الوحي من باب القول أي: قلنا لها اقدفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وفي قوله: ﴿فاقدفيه في اليم﴾ الإلقاء وليس المراد القذف بلا تابوت واليم نيل مصر في قول جميع المفسرين فإن اليم يقع على البحر والنهر العظيم. فإن قيل ما الحكمة بإلقاء موسى في اليم دون غيره فيه؟ قلنا: له جوابان بلسان الحكمة والمعرفة قيل: بلسان الحكمة إن المنجمين إذا ألقى شيء في الماء يخفى عليهم أمره فأراد الله أن يخفي حال موسى على النجمين حتى لا يخبروا به فرعون وقيل بلسان الحال ألقى في التلغف لأنجيه بالتلف من التلف قيل لها بلسان الحال سلميه إلي صبياً أسلمه إليك نبياً وقيل أنجاه من البحر في الابتداء كذلك أنجاه من البحر في الانتهاء بإغراق فرعون بالماء. وقال بعض أرباب المعارف: التابوت إشارة إلى ناسوت موسى عليه السلام أي: صورته الإنسانية واليم إشارة إلى ما حصل له من العلم بواسطة هذا الجسم العنصري فلما حصلت النفس في هذا الجسم وأمرت بالتصرف فيه وتدبيره جعل الله لها هذا القوى آلات يتوصل بها إلى ما أراده الله منها في تدبير هذا التابوت فرمى في اليم ليحصل له بهذا القوى من فنون العلم تكميل استعداداته بذلك الأمر من النفس الكلية التي هي أمه المعنوية وأبوه الروح الكلي فكل ولد منها يأخذ استعداداته بحسب القابلية فكمّل لموسى الاستعداد الأصلي بذلك الإلقاء من توجه النفس الكلية له، وقال المولى الجامي قدس سره:

ديدم رخت آفتاب عالم اينست در طور وجود نور اعظم اينست

افتاد دلم اسير تابوت بدن در بحر غمت القى في اليم اينست

﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الوقوع لتعلق الإرادة الربانية به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع أمر بذلك وأخرج الجواب مخرج الأمر فصورته أمر ومعناه خبر والضمائر كلها لموسى والمقدوف في البحر والملقى بالساحل وإن كان التابوت أصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعاً له في ذلك. والساحل فاعل بمعنى مفعول من السحل لأنه يسحل الماء أي: يقشره ويسلخه وينزع عنه ما هو بمنزلة القشر على ظاهره يقال قشرت العود نزعته عنه قشره ﴿يأخذه العدو لي وعدو له﴾ الجزم جواب للأمر بالإلقاء وتكرير العدو للمبالغة أي: دعيه حتى يأخذه العدو فإنني قادر على تربية الولي في حجر العدو ووقايته من شره بإلقاء محبة منه عليه. فإن قيل كيف يجوز أن يكون مثل فرعون له رتبة معاداته تعالى حتى سمي عدو الله؟ قلنا معناه يأخذه مخالف لأمري كالعدو كذا في «الأسئلة المقحمة». قالوا: ليس المراد بالساحل نفس الشاطيء بل ما يقابل الوسط وهو ما يلي الساحل من البحر بحيث يجري ماؤه إلى نهر فرعون لما روي أنها جعلت في التابوت قطناً ووضعته فيه ثم أحكمته بالقيصر وهو الزفت لئلا يدخل فيه الماء وألقته في اليم وكان يدخل منه إلى بستان فرعون نهر فدفعه الماء إليه فأتى به إلى بركة في البستان وكان فرعون جالساً ثمة مع أسيه بنت مزاحم فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أصبح الناس وجهاً ولما وجده في اليم عنده الشجر سماه موسى و«مو» هو الماء بالقطبية و«سا» هو الشجر وأحبه حباً شديداً لا يكاد يتمالك الصبر عنه وذلك قوله تعالى: ﴿والقيت عليك محبة﴾ عظيمة كائنة ﴿مني﴾ قد زرعته في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذا أحبك عدو الله وآله.

- روي - أنه كان على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحه لا يكاد يصبر عنه من رآه.

ماه زیباست ولی روی تو زیباتر ازوست

چشم نرکس چه کنم چشم تور عناتر ازوست

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وَأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً﴾ من محبتي ليجبك بمحبتني من أحبني بالتحقيق ويجبك عدوي وعدوك بالتقليد كما أن آسية أحبته بحب الله على التحقيق وفرعون أحبه لما ألقى الله عليه محبته بالتقليد ولما كانت محبة فرعون بالتقليد فسدت وبطلت بأدنى حركة رآها من موسى ولما كانت محبة آسية بالتحقيق ثبتت عليها ولم تتغير وهكذا يكون إرادة أهل التقليد تفسد بأدنى حركة لا تكون على وفق طبع المريد المقلد ولا تفسد إرادة المريد المحقق بأكبر حركة تخالف طبعه وهواه وهو مستسلم في جميع الأحوال:

نشان اهل خدا عاشقی وتسليمست که درمريد شهر اين نشان نمی بینم
﴿ولتصنع على عيني﴾ عطف على علة مضمرة لألقيت أي: ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة ويحسن إليك وأنا راقبك ومراعيك وحافظك كما يراعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به من قولهم صنع إليه معروفاً إذا أحسن إليه. وعيني حال من الضمير المستتر في لتصنع لا صلة له جعل العين مجازاً عن الرعاية والحراسة بطريق إطلاق اسم السبب على المسبب فإن الناظر إلى الشيء يحرسه مما لا يريد في حقه ويراعيه حسبما يريد فيه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أدركته العناية الأزلية يكون في جميع حالاته منظور نظر العناية لا يجري عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة إلا وقد يكون له فيه صلاح وتربية إلى أن يبلغه درجة ومقاماً قد قدر له.

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۖ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَلَّتِ نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَيْرِ ۖ فَوَنَّكَ فَفُونًا ۚ فَلْيَتَّخِذْ سِينِينَ ۚ وَهِيَ أُمَّةٌ حَنِيتٌ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ۖ﴾

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ مريم ظرف لتصنع على أن المراد به وقت وقع فيه مشيها إلى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع إلى أمها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله ﴿ولتصنع على عيني﴾ إذ لا شفقة أعظم من شفقة الام. قال ابن الشيخ تقيد التربية بزمان مشي أخته صحيح لأن التربية إنما وقعت زمان المشي ورده إلى أمه ﴿فتقول﴾ أي: لفرعون وآسية حين رأتهما يطلبان له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدياً وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية أي: قالت: ﴿هل أدلكم﴾ [أي دالات كنم شمارا] أي: حاضران ﴿على من يكفله﴾ [برکسي کمه له تکفل أين طفل کند واوراشير دهد] أي يضمه إلى نفسه ويربيه وذلك إنما يكون بقبول ثديها.

- يروى - أنه فشا الخبر بمصر أن آل فرعون أخذوا غلاماً من النيل لا يرضع ثدي امرأة واضطروا إلى تتبع النساء فخرجت مريم لتعرف خبره فجاءتهم منكرة فقالت ما قالت وقالوا من هي: قالت: أُمِّي قالوا: أَلْهَا لِبْن؟ قالت: نعم لبن أخي هارون فجاءت بها فقبل ثديها ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ الفاء فصيحة معربة عن محذوف قبلها يعطف عليه ما بعدها أي: فقالوا: دلينا عليها فجاءت بأمك فرجعناك إليها أي: ردناك، وبالفارسية: [پس بازکر دانیديم ترابوسی ما درتو وبوعده وفا کردیم] وهو قوله: ﴿إِنَّا رَأَوُہُ إِلَیْکَ وَجَعَلُوہُ مِنَ الْمَرْسَلِکَ ۖ﴾ [القصص:

٧] وذلك لأن إلهامها كان من إلهام الخواص الذي بمنزلة الوحي فلا تستبعد عليها هذه المكالمة المعنوية ويجوز أن يكون ذلك من قبيل الإعلام بالمبشرة ﴿كي تقرر عينها﴾ [تأشيدكه روشن شود چشم مادر بقاء تو]. وقال بعضهم: تطيب نفسها بلفائك يقال قرت عينه إذا بردت نقيص سخنت هذا أصله ثم استعير للسرور وهو المراد ههنا كما في «بحر العلوم» ﴿ولا تحزن﴾ على فقدك، وبالفارسية: [واندو هناك نكردد بفراق تو]. قال في «الكبير» فإن قيل: ﴿ولا تحزن﴾ فضل لأن السرور يزيل الغم لا محالة قلنا تقرر عينها بوصولك إليها ولا تحزن بوصول لبن غيرها إلى باطنك انتهى. وفي «الإرشاد» أي: لا يطرأ عليها الحزن بفراقك بعد ذلك وإلا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فإن التخلية متقدمة على التحلية انتهى. يقول الفقير: الواو لمطلق الجمع وأيضاً أن الثاني لتأكيد الأول فلا يرد ما قالوا ﴿وقتل نفساً﴾ هي نفس القبطي الذي استغاثه الإسرائيلي عليه كما يأتي في سورة القصص ﴿فنجيناك من الغم﴾ أي: غم قتله خوفاً من عقاب الله بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالإنجاء منه بالمهاجرة إلى مدين ﴿وفتنك فتوناً﴾ الفتنة والفتون المحنة وكل ما شق على الإنسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة ولا يطلق الفتان على الله لأنه صفة ذم عرفاً وأسماء الله توقيفية. فإن قيل: كيف يجوز ذكر الفتن عند ذكر النعم؟ قلنا: الفتنة تشديد المحنة ولما أوجب تشديد المحنة كثرة الثواب عده الله في النعم ألا ترى إلى قوله عليه السلام: «ما أودى نبي مثل ما أوديت» وقد فسره البعض بقوله ما صفى نبي مثل ما صفيت والمعنى ابتليناك ابتلاء. وقال بعضهم: طحناك بالبلاء طحناً، وبالفارسية: [ويياز موديم ترا آز مودنى يعنى ترادر بوتاه بلاها افكنديم وخالص بيرون آمدى] ومن ابتلائه قتله القبطي ومهاجرته من الوطن ومفارقة الأحباب والمشي راجلاً وفقد الزاد ونحو ذلك مما وقع قبل وصوله إلى مدين بقضية الفاء الآتية.

وفي «التأويلات النجمية»: منها فتنة صحبتك مع فرعون وتربيتك مع قومه فحفظناك من التدين بدينهم.

ومنها: فتنة قتل نفس بغير الحق وفرارك من فرعون بسبب قتل القبطي فنجوت منها.

ومنها: ابتليناك بابتني شعيب واحتياجهما إليك في سقي غنمهما فلولا حفظناك لملت إليهما ميل البشر للنساء.

ومنها: ابتليناك بخدمة شعيب وصحبته واستنجاره فوفقناك للخروج من عهدة حقوقه وعهوده.

قال بعض الكبار: اختبره في مواطن كثيرة ليتحقق في نفسه صبره على ما ابتلاه به فأول ما ابتلاه الله به قتل القبطي بما ألهمه الله في سره وأن يعلم بذلك الإلهام ولكن كان فيه علامة ذلك وهو إن لم يجد في نفسه مبالاة بقتله فعدم مبالاته بقتله مع عدم انتظاره الوحي علامة كونه ملهماً به في السر وألا ينبغي أن يعتريه وحشة عظيمة من ذلك الفعل. وإنما قلنا إنه عليه السلام كان ملهماً في قتل القبطي لأن باطن النبي معصوم من أن يميل إلى أمر ولم يكن مأموراً به من عند ربه وإن كان في السر ولكون النبي معصوم الباطن من حيث لا يشعر حتى يخبر بأن ذلك الأمر مأمور به في السر أراه الخضر حين قصد تنبيهه على ما ذهل عنه من كونه ملهماً بقتل القبطي قتل الغلام فأنكر عليه قتله ولم يتذكر قتله القبطي فقال له الخضر: ما فعلته عن أمري ينبهه على مرتبته قبل أن ينبأ أنه كان معصوم الحركة في قتله في نفس الأمر وإن لم يشعر بذلك

وأراه أيضاً خرق السفينة الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة من يد الغاصب جعل له ذلك في مقابلة التابوت الذي كان في اليم مطبقاً عليه فإن ظاهره هلاك وباطنه نجاة وإنما فعلت به أمه ذلك خوفاً من يد الغاصب فرعون أن يذبحه مع الوحي الذي ألهمها الله من حيث لا تشعر فوجدت في نفسها أنها ترضعه فإذا خافت عليه ألقته في اليم وغلب على ظنها أن الله ربما رده إليها لحسن ظنها به وقالت حين ألهمت ذلك لعل هذا هو الرسول الذي يهلك فرعون والقبط على يده فعاشت وسرت بهذا التوهم والظن بالنظر إليها إذ لم يكن عندها دليل يفيد العلم بذلك وهذا التوهم والظن علم باعتبار أن متعلقه حق مطابق للواقع متحقق في نفس الأمر ﴿فلبث سنين﴾ عشر سنين ﴿في أهل مدين﴾ أي: عند شعيب لرعي الأغنام لأن شعيباً أنكحه بنته صفوراء على أن يخدمه ثماني سنين فخدمه عشرأ قضاء لأكثر الأجلين كما يأتي في سورة القصص ومدين على ثماني مراحل من مصر وذكر اللبث دون الوصول إليهم إشارة إلى مقاساة شدائد أخرى في تلك السنين كييجار نفسه ونحوه مما كان من قبيل الفتون.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فلبث سنين في أهل مدين﴾ لتستحق بتربية شعيب وملازمته النبوة والرسالة، قال الحافظ:

شبان وادی ایمن کھی رسد بمراد کہ چند سال بجان خدمت شعيب کند
يقول الفقير: انظر كيف أن الله تعالى جعل في الأمر المكروه أمراً محبوباً فإن قتل القبطي ساق موسى إلى خدمته شعيباً إلى أن استعد للنبوة وقس على هذا ما عداه وإذا كانت النبوة مما يقدم لها الخدمة مع كونها اختصاصاً إلهياً فما ظنك بالولاية ﴿ثم جئت﴾ أي: الوادي المقدس بعد ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة ونحوها ﴿على قدر﴾ تقدير قدرته لأن أكلملك وأستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر أو على مقدار من السن يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة وفي الحديث: «ما بعث الله نبياً إلا على رأس أربعين سنة» كما في «بحر العلوم» وأورده البعض في الموضوعات لأن عيسى عليه السلام نبىء ورفع إلى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين ونبىء يوسف عليه السلام في البئر وهو ابن ثماني عشرة وكذا يحيى عليه السلام أوتي الحكم وهو صبي فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء كما في «المقاصد الحسنة» ﴿يا موسى﴾ كرهه تشريفاً له عليه السلام وتنبهها على انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الأخرى التي وقعت قبل المرة المحكية.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَلَوْ أَنَّكَ بِإِيَّائِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾

﴿واصطنعتك لنفسى﴾ تذكير لقوله ﴿وأنا اخترتك﴾ أي: اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فهو تمثيل لما أعطاه تعالى من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه لنفسه وترشيحه لبعض أموره الجليلة. وقال الكاشفي: [وترا بر كزیدم وخالص ساختیم برای محبت خود یعنی ترا دوست کرفتم]. وفي «حواشي» ابن شيخ أي: اخترتك لتحبني وتتصرف على إرادتي ومحبتني وتشتغل بما أمرتك من إقامة حجتي وتبليغ رسالتي وأن تكون في حركاتك وسكناتك لوجهي لا لنفسك ولا لغيرك. والاصطناع افتعال من الصنع بالضم وهو مصدر قولك صنع إليه معروفاً واصطناع فلان اتخاذه صنيعاً محسناً إليه بتقريبه وتخصيصه بالتكريم والإجلال. عن القفال قال: اصطنعتك أصله من قولهم اصطنع فلان فلاناً

إذا أحسن إليه حتى يضاف إليه فيقال هذا صنيع فلان كما يقال هذا جريح فلان. وفي «القاموس» واصطنعتك لنفسي اخترتك لخاصة أمر استكفيكه انتهى وحقيقته جعله عليه السلام مرآة قابلة لأنوار صفات الجمال والجلال. وفيه إشارة إلى أن الخواص إنما خلقوا لأجل هذا المعنى الخاص وأما غيرهم فبعضهم للدنيا وبعضهم للآخرة فالخواص هم عباد الله حقاً وقد تخلصوا من شوب الميل إلى الباطل وهو ما سوى الله تعالى، قال ليبد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وفي الحديث «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضي اصطفاه» فالصبر تجرع المرارات عند نزول المصيبات والرضى سرور القلب بمر القضايا فالعبد الذي أراد الله اصطفاه يجعله في بوتقة البلاء أولاً فيخلص جوهره مما سواه فطريق هذا المنزل صعب جداً، قال المولى الجامي:

مكوكه قطع بيابان عشق آسانست كه كوههای بلا ريك آن بیابانست
اللهم اجعلنا من الصابرين الشاكرين الراضين الواصلين.

﴿أذهب أنت﴾ يا موسى والذهاب المضي يقال ذهب بالشيء وأذهب ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني قال تعالى: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَيْكَ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] وقال: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [هود: ٧٤] ﴿وَأَخُوكَ﴾ أي: وليذهب أخوك هارون حسبما استدعيت عطف عليه لأنه كان غائباً عن موسى وقتئذ. والأخوة المشاركة في الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع ويستعار الأخ لكل مشارك لغيره في القبلة أو في الدين أو في صنعة أو في معاملة أو في مودة أو في غير ذلك من المناسبات ﴿بآياتي﴾ بمعجزاتي والباء للمصاحبة لا للتعدية إذ المراد ذهابهما إلى فرعون ملتبسين بالآيات متمسكين بها في إجراء أحكام الرسالة وإكمال أمر الدعوة لا مجرد إذهابهما وإيصالهما إليه. قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الآيات التسع التي أنزلت عليه وإن كان وقوع بعضها بالفعل مترقباً بعد. ويحتمل أن يكون الجمع للتعظيم والمراد العصا واليد. أو لما أن أقل الجمع عند الخليل اثنان يعني إن إطلاق الآيات على الآيتين وارد على الأدنى ﴿ولا تنيا﴾ لا تفترا، وبالفارسية: [وسستی میکنید] من ونى يني ونيا فهو وإن مثل وعد يعد وعداً فهو وأعد بمعنى فتر يفتقر فتوراً ﴿في ذكرى﴾ أي: في مداومته على كل حال لساناً وجناناً فإنه آلة لتحصيل كل المقاصد فإن أمراً من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكرى فالفتور في الأمور بسبب الفتور في ذكر الله وهو تذكير لقوله: ﴿كَي نَسْبَحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً﴾. قال بعضهم: الحكمة في هذا التكليف أن من ذكر جلال الله تعالى وعظمته استخف غيره فلا يخاف أحداً غيره فيتقوى روحه بذلك الذكر فلا يضعف في مقصود. قال مرجع طريقتنا الجلوتية بالجيم حضرة الهدايي قدس سره التوحيد قبل الوعظ باعث لإصغاء السامعين وموجب للتأثير بعون الله الملك القدير. وفي «العرائس»: لا تغيبا عن مشاهدتي باشتغالكما بأمري حتى تكونا فاترين بي عني. وفي «الإرشاد»: في ذكرى أي: بما يليق بي من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء إليّ انتهى. يقول الفقير: أهل الشهود ليسوا بغائبين عن المشهود. ففي الآية إشارة إلى إدامة الأوراد وتنبيه للطالبين في الجهد والاجتهاد ونعم ما قيل:

يا خاطب الحوراء في حسنها شمر فتقوى الله في مهرها

وكن مجدداً لا تكن وانيا وجاهد النفس على صبرها
قال الخجندی:

بکوش تا بکف آری کلید کنج وجود که بی طلب نتوان یافت کوهر مقصود
وقال المولى الجامي:

بی طلب نتوان وصالت یافت آری کی دهد دولت حج دست جز راه بیابان برده را
وقال الحافظ:

مقام عیش میسر نمیشود بی رنج بلی بحکم بلا بسته اند حکم ألسنت
- روي - أنه تعالى لما نادى موسى بالواد المقدس وأرسله إلى فرعون وأعطاه سؤله انطلق من ذلك الموضع إلى فرعون وشيعته الملائكة يصافحون وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه [درتیسیر آورده که کسان موسی شب انتظار بردند و نیامد و روز نیز از وی خبری نیافتند دران صحرا متحیر بماندند] فلم یزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فحملهم إلى شعيب فمكثوا عنده حتى بلغهم خبر موسى بعدما جاوز بني إسرائيل البحر وغرق فرعون قومه وبعث بهم شعيب إلى موسى بمصر . ففيه إشارة إلى أن المؤمن إذا عرض له الأمران أمر الدنيا وأمر الآخرة يختار أمر الآخرة فإنه أمر الله تعالى ألا ترى أن موسى عليه السلام لم ينظر وراءه حين أمر بالذهاب إلى فرعون ولم يلتفت إلى الأهل والعيال بل ولم يخطر بباله سوى الحكيم الفعال إذ يكفيه أن الله خليفته في كل أمر من أموره وقت غيبته وحضوره ومثله إبراهيم عليه السلام حين ترك إسماعيل وأمه هاجر بأرض مكة وهي يومئذ أرض قفر ولا ماء بها ولا نبات امتثالاً لأمر الله تعالى من غير اعتراض وانقباض وهكذا تكون المسارعة في هذا الباب . وسمعت من شيعي وسندي قدس سره أنه نام نومة الضحى يوماً في مدينة قلبه من البلاد الرومية فأمر بالهجرة إلى مدينة قسطنطينية فلما استيقظ توضأ وصلى فلم يلبث لحظة حتى خرج راجلاً وترك الأهل والعيال في تلك المدينة حتى كان ما كان على ما استوفيناه في كتابنا الموسوم «بتمام الفيض» ، قال الحافظ:

خرم آن روز که زین مرحله بر بندم رخت وز سر کوی تو پرسند رفیقان خبرم

﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾

﴿اذھبا إلى فرعون﴾ هذا الخطاب إما بطريق التغليب أو بعد ملاقة أحدهما الآخر وتكریر الأمر بالذهاب لترتيب ما بعده عليه . وفرعون اسم أعجمي لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى وقد اعتبر غوايته فقیل تفرعن فلان إذا تعاطى فعل فرعون وتخلق بخلق كما يقال أبلس وتبلس ومنه قيل للطغاة الفراعنة والأبالسة ﴿إنه طغى﴾ الطغیان مجاوزة الحد في العصیان أي: تجاوز حد العبودية بدعوى الربوبية . قال في «العرائس»: أمر الله موسى وهارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون لقطع حجته وإظهار كذبه في دعواه وهذا تهديد لكل مدع لا يكون معه بينة من الله في دعواه والحكمة في إرسال الأنبياء إلى الأعداء ليعرفوا عجزهم عن هداية الخلق إلى الله ومن يعجز عن هداية غيره فأيضاً يعجز عن هداية نفسه كالطبيب العاجز عن معالجة الغير فإنه عاجز عن معالجة نفسه أيضاً ولتعلموا أن الاختصاص لا يكون بالأسباب ويشكروا الله بما أنعم عليهم بلطفه وربما يصطادون من بين الكفرة من يكون له استعداد بنظر الغيب مثل حبيب

النجار والرجل من آل فرعون وامرأة فرعون والسحرة. قال ابن عطاء: الإشارة إلى فرعون وهو المبعوث بالحقيقة إلى السحرة فإن الله يرسل أنبياءه إلى أعدائه ولم يكن لأعدائه عنده من الخطر ما يرسل إليهم أنبياءه بسببه ولكن يبعث الأنبياء إليهم ليخرج أوليائه المؤمنين من أعدائه الكفرة:

حافظ ازبهر تو آمد سوى اقليم وجود قدمی نه بوداعش كه روان خواهد شد

وفي «التأويلات النجمية» اعلم أن فائدة إتيانهما ورسالتهما إلى فرعون وتبليغ الرسالة كانت عائدة إلى موسى وهارون لنفسهما لا إلى فرعون في علم الله تعالى فالحكمة في إرسالهما أن يكونا رسولين من ربهما مبلغين منذرين لتحقيق رسالتهما وينكرها فرعون ويكفر بهما ليتحقق كفره كما قال ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

﴿فقولاً له قولاً ليناً﴾ أي: كلماه باللين والرفق من غير خشونة ولا تعنيف ويسرا ولا تعسرا فإنه ما دخل الرفق في شيء إلا وقد زانه وما دخل الخرق في شيء إلا وقد شانه وكان في موسى حدة وصلابة وخشونة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً فعالج حدته وخشونته باللين ليكون حليماً وهو معنى قول من قال طبع الحبيب كان على اللين والرحمة فلذا أمر بالغلظة كما قال تعالى: ﴿وَأَغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] تحقيقاً بكمال الجلال وطبع الكلیم على الشدة والحدة والصلابة فلذا أمر بالقول اللين تحقيقاً بكمال الجمال وقد قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» فالخطاب خطاب الأمر بالتخلق جمالاً وجلاً فكل واحد منهما أوفق بمقامه وأيضاً إن فرعون كان من الملوك الجبابة ومن عادتهم أن يزدادوا عتواً إذا خوشنوا في الوعظ فاللين عندهم أنفع وأسلم كما أن الغلظة على العامة أوفق حكمة وأشد دعوة فلو كان في قول موسى خشونة لم يحتمل طبع فرعون بل هاج غضبه فلعنه يقصد موسى بضرب أو قتل ففائدة اللين عائدة إلى موسى. وفي «الأسئلة المقحمة» إنما أمرهما بذلك لأنه كان ابتداء حال الدعوة وفي ابتداء الحال يجب التمكين والإمهال لينظر المدعو فيما يدعى إليه كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿وَحَدِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] قيل أمهلهم لينظروا ويستدلوا فبعد أن ظهر منهم التمرد والعناد فحينئذ يتوجه العنف والتشديد ويختلف ذلك باختلاف الأحوال انتهى فكل من اللين والخشونة يمدح به طوراً ويذم به طوراً بحسب اختلاف الواقع وعليه يحمل نحو قوله عليه السلام: «لا تكن مرأ فتعقي ولا حلواً فتستطر» يقال أعقيت الشيء إذا أزلته من فيك لمرارته واستراطه ابتلاعه ومن أمثال العرب لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكسر وذلك لأن خير الأمور أوسطها ورعاية مقتضى الحال قاعدة الحكيم، قال الشيخ سعدى قدس سره:

چو نرمی کنی خصم گردد دلیر وکر خشم کیری شوند ازتوسیر

درشتی ونرمی بهم در بهست چورك زن كه جراح ومرهم نهست

وقيل: أمر الله موسى باللين مع الكافر مراعاة لحق التربية لأنه كان رباه فنبه به على نهاية تعظيم حق الأبوين. وفي الإحياء سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على والده فقال: يعظه ما لم يغضب فإذا غضب سكت فعلم منه أنه ليس للولد الحسبة على الوالد بالتعنيف والضرب وليس كذلك التلميذ مع الأستاذ إذ لا حرمة لعالم غير عامل. وقيل أمر موسى باللين ليكون حجة على فرعون لثلا يقول أغلظ علي القول في دعوته. وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ رحمه الله هذه الآية فبكى وقال إلهي هذا رفقك بمن يقول أنا الاله فكيف بمن يقول أنت الإله ﴿لعله يتذكر﴾ [شاید او پندکیرد] ﴿أو يخشى﴾ [یا بترسد از عذاب خدای] كما قال في «الإرشاد»

لعله يتذكر بما بلغتاه من ذكرى ويرغب فيما رغبته فيه أو يخشى عقابي وكلمة أو لمنع الخلو انتهى. وقال بعضهم: الرجاء والطمع راجعان إلى مال موسى وهارون والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه ولذلك خص العلماء بها في قوله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] أي: قولاً له ذلك راجعين أن يترك الإصرار على إنكار الحق وتكذيبه إما بأن يتذكر ويتعظ ويقبل الحق قلباً وقالباً أو بأن يتوهم أنه حق فيخشى بذلك من أن يصير على الإنكار ويبقى متردداً ومتوقفاً بين الأمرين وذلك خير بالنسبة إلى الإنكار والإصرار عليه لأنه من أسباب القول ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم ينفعه وذلك حين ألجمه الغرق ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

- روي - أن موسى وعده على قبول الإيمان شاباً لا يهرم وملكاً لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته فإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان هامان غائباً وهو لا يقطع أمراً بدونه فلما قدم أخبره بما قال له موسى وقال: أردت أن أقبل منه يا هامان فقال له هامان: كنت أرى أن لك عقلاً ورأياً أنت الآن رب تريد أن تكون مربوباً فأبى عن الإيمان. وفائدة إرسالهما إليه مع علمه تعالى بأنه لا يؤمن الزام الحجة وقطع المезде لأن عادة الله التبليغ ثم التعذيب. قال بعض أرباب الحقيقة: الأمر تكليفي وإرادي والإرادة كثيراً ما تكون مخالفة للأمر التكليفي فالرسل والورثة في خدمة الحق من حيث أمره التكليفي وليسوا في خدمته من حيث الأمر الإرادي ولو كانوا خادمين للإرادة مطلقاً لما ردوا على أحد في فعله القبيح بل يتركونه على ما هو عليه لأنه هو المراد ولما كان لعين العاصي الثابتة في الحضرة العلمية استعداد التكليف توجه إليه الأمر التكليفي وليس لتلك العين استعداد الإتيان بالمأمور به فلا يتحقق منه المأمور به ولهذا تقع المخالفة والمعصية. فإن قلت ما فائدة التكليف والأمر بما يعلم عدم وقوعه. قلت: فائدته تمييز من له استعداد القبول ممن ليس له استعداد ذلك لتظهر السعادة والشقاوة وأهلها انتهى، قال الحافظ:

درين چمن مکنم سرزنش بخود روی چنانکه پرورشم میدهند می روی
قال في «بحر العلوم»: إن الله قد علم كل شيء على ما هو عليه والعلم تبع للمعلوم وعلمه بأن فرعون لا يؤمن باختياره لا يخرج عن حيز الإمكان ولذلك أمرهما بدعوته والرفق فيها وفي قوله: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ دلالة ظاهرة على أن لقدرة العبد تأثيراً على أفعاله وفي أفعال غيره وأنه ليس بمجبور فيها كما زعم الأشعري حيث قال لا تأثير لقدرة العبد في أفعاله بل هو مجبور وإلا لم يثبت له التذكر والخشية بقول موسى:

﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْطِنَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ۖ﴾ (١٥) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرِئُ ﴿١٦﴾

﴿قالا ربنا﴾. قال في «الإرشاد» أسند القول إليهما مع أن القائل حقيقة هو موسى بطريق التغليب إيذاناً بأصلته في كل قول وفعل وتبعية هارون له في كل ما يأتي وما يذر.
- وروي - أن موسى انطلق من الطور إلى جانب مصر لا علم له بالطريق وليس له زاد ولا حمولة ولا صحبة ولا شيء إلا العصا يظل صادياً وبيت طاوياً يصيب من ثمار الأرض ومن

الصید شيئاً قليلاً حتى ورد أرض مصر. قال الكاشفي: [چون بمصر توجه فرمود وحی آمد بهارون که باستقبال برادر براه مدین دوان شود پس در اثنای طریق ملاقات فرمودند وموسی شرح احوال بتمامی باز گفت هارون گفت ای برادر شوکت وعظمت از آنچه دیده زیاده شد وبأدنی سببی حکم بقطع و قتل وصلب میکند موسی اندیشناک شد وهر دو برادر باتفاق گفتند ای پروردکار ما] ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ الخوف توقع مکروه عن أمارة مظنونة أو معلومة كما أن الرجاء والطمع توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة ويضاد الخوف الأمن ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ۵۷] والخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات ﴿أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ من فرط إذا تقدم تقدماً بالقصد ومنه الفارط إلى الماء أي: المتقدم لإصلاح الدلو أي: يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى إتمام الدعوة وإظهار المعجزة فيتعطل المطلوب من الإرسال إليه. وقرئ يفرط من الإفراط في الأذية. فإن قلت: كيف هذا الخوف وقد علما أنهما رسولا رب العزة إليه؟ قلت: جرياً على الخوف الذي هو محبوب في طينة بني آدم كما في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخوف مركز في جبلة الإنسان حتى أنه لو بلغ مرتبة النبوة والرسالة فإنه لا يخرج الخوف من جبلته كما قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا﴾ يعني أن يقتلنا ولكن الخوف ليس بجهة القتل وإنما نخاف فوات عبوديتك بالقيام لأداء الرسالة والتبليغ كما أمرتنا أو يتمرد بجهله ولا ينقاد لأوامرك ويسبك انتهى ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ أي: يزداد طغياناً إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي لكمال جراته وقساوته وإطلاقه حيث لم يقل عليك من حسن الأدب ولما كان طغيانه في حق الله أعظم من إفراطه في حقهما ختم الكلام به فإن المتمسك بالأعذار يؤخر الأقوى ونحوه ختم الهدد بقوله: ﴿وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّيْطَانِ﴾ [النمل: ۲۴].

يقول الفقير: يجوز أن يكون المراد يطغى علينا أي: يجاوز الحد في الإساءة إلينا إلا أنه حذف الجار والمجرور رعاية للفواصل كما حذف المفعول لذلك في قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ [الضحى: ۳] وإظهار أن مع سداد المعنى بدونه للإشعار بتحقيق الخوف من كل منهما. ﴿قَالَ﴾ استئناف بياني كأنه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما إليه فقيل قال: ﴿لَا تَخَافَا﴾ ما توهمتما من الأمرين يشير إلى أن الخوف إنما يزول عن جبلة الإنسان بأمر التكوين كما قال ﴿قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ۶۹] فكانت بتكوين الله إياها برداً وسلاماً، وفي «المثنوي»:

لا تخافوا هست نزل خائفان هست درخور از برای خائفان
هرکه ترسد مرو را ايمن کنند مردل ترسند را ساکن کنند
آنکه خوفش نيست چون کوئی مترس درس چه دهی نيست او محتاج درس

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: ليس المراد منه النهي عن الخوف لأنه من حيث كونه أمراً طبعياً لا مدخل للاختيار فيه لا يدخل تحت التكليف ثبوتاً وانتفاء بل المراد به التسلي بوعد الحفظ والنصرة كما يدل عليه قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بكمال الحفظ والنصرة فإن الله تعالى منزّه عن المعية المكانية ﴿أَسْمِعْ وَأَرِ﴾ أي: ما يجري بينكما وبينه من قول وفعل فافعل في كل حال ما يليق بها من دفع ضرر وشر وجلب نفع وخير فمن كان الله معه يحفظه من كل جبار عنيد.

- روي - أن شاباً كان يأمر وينهى فحبسه الرشيد في بيت وسد المنافذ ليهلك فبعد أيام روي في بستان يتفرج فأحضره الرشيد وقال: من أخرجك؟ قال: الذي أدخلني البستان فقال: من أدخلك؟ قال: الذي أخرجني من البيت فتعجب الرشيد وبكى وأمر له بالإحسان وبأن يركب وينادي بين يديه هذا رجل أعزه الله وأراد الرشيد إهانته فلم يقدر الله إلا إكرامه واحترامه، قال الحافظ:

هزار دشمن اكر ميكنند قصد هلاك كرم تو دوستی از دشمنان ندارم باك
وقال الشيخ سعدي قدس سره:

محالست چون دوست دارد ترا كه در دست دشمن كذارد ترا
واعلم أن الله تعالى حاضر مع عباده الحضور اللائق بشأنه ولا يعرف ذلك إلا من اكتحلت عين بصيرته بنور الشهود ولكن شهود الوحدة الذاتية أتم وأعلى من شهود المعية ولذلك لا يرضى الكمل الوقوف في مرتبة المعية بل يطلبون أن يصلوا بالفناء التام إلى مقام الوحدة.

ثم اعلم أن موسى وهارون عليهما السلام التجئا إلى حضرة الربوبية بكمال العبودية فتداركهما الله بالحفظ والعون. قال الفقيه أبو الحسن: وقع القحط ببغداد فاجتمع الناس فرفعوا قصتهم إلى علي بن عيسى الوزير فقرأها وكتب على ظهرها: لست بسماء فأسقيكم ولا بأرض فأفقيكم ارجعوا إلى بارئكم. قال أبو المعين: سألت بعض النصاري عن أحسن آية في الإنجيل فقال: خمس كلمات: «سلني أجبك، واشكر لي أزدك، وأقبل عليّ أقبل عليك، واقرب مني أقرب منك، وأطعني في الدنيا أطعك في الدنيا والآخرة»، وفي «المثنوي»:

كفت حق كر فاسق واهل صنم چون مراخوانی اجابتها كنم
تودعارا سخت كیرو می شخول عاقبت برهانند ازدست غول

﴿فَأَنبِأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِْبَهُمْ فَدَجِّنَاكَ إِشَاقِيَةً مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فَأَنبِأَهُ﴾ أمراً بآتيانه الذي هو عبارة عن الوصول إليه بعدما أمراً بالذهاب إليه فلا تكرر والإتيان مجيء بسهولة والمجيء أعم والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول والمجيء اعتباراً بالحصول ﴿فَقُولَا﴾ من أول الأمر ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ ليعرف الطاغي سؤالهما ويبيني جوابه عليه ورسولا ثنائية رسول وهو فعول مبالغة مفعول بضم الميم وفتح العين بمعنى ذي رسالة اسم من الإرسال وفعول هذا لم يأت إلا نادراً وعرفاً من بعث لتبليغ الأحكام ملكاً كان أو إنساناً بخلاف النبي فإنه مختص بالإنسان ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [پس فرست باما فرزندان یعقوبرا بارض مقدسه بازرویم كه مسكن آباء ما بوده] كما قال في «بحر العلوم» فأطلقهم وخلهم يذهبوا معنا إلى فلسطين وكانت مسكنهما وفلسطين بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين المهملة هي البلاد التي بين الشام وأرض مصر منها الرملة وغزة وعسقلان وغيرها. وقال في «الإرشاد» بالإرسال إطلاقهم من الأسر والقسر وإخراجهم من تحت يد العادية لا تكليفه أن يذهبوا معهم إلى الشام كما ينبئ عنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْذِْبَهُمْ﴾ أي: بإبقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فإنهم كانوا تحت مملكة القبط يستخدمونهم في الأعمال

الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الأحجار وغيرهما من الأمور الشاقة ويقتلون ذكور أولادهم عاماً دون عام ويستخدمون نساءهم. وتوسيط حكم الإرسال بين رسالتهم وبين ذكر المجيء بآية دالة على صحتها لإظهار الاعتناء به لأن تخليص المؤمنين من أيدي الكفرة أهم من دعوتهم إلى الإيمان كما قيل. والعذاب هو الإيذاء الشديد وقد عذبه تعذيباً أي: أكثر حبسه في العذاب وأصله من قولهم عذب الرجل إذا ترك المأكّل والنوم فهو عاذب وعذوب فالتعذيب في الأصل هو حمل الإنسان على أن يعذب أي: يجوع ويسهر وقيل أصله من العذب فعذبه أزلت عذب حياته على بناء مَرَضَتِهِ وفديته وقيل أصل التعذيب إكثار الضرب بعذبة السوط أي: طرفه ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ [بدرستی كه آورده ایم نشانی یعنی معجزه ازیرورد کارتو] وتوحيد الآية مع تعددها لأن المراد إثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد الحجة فكأنه قال: قد جئناك ببرهان على ما ادعيناه من الرسالة ﴿والسلام﴾ اللام لتعريف الماهية والسلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة والمراد هنا إما التحية فالمعنى والتحية المستتبعة بسلامة الدارين من الله والملائكة أي: خزنة الجنة وغيرهم من المسلمين ﴿على من اتبع الهدى﴾ بتصدق آيات الله الهادية إلى الحق فاللام على أصلها كما في سلام عليكم يقال تبعه واتبعه فقا أثره وذلك تارة بالجسم وتارة بالارتسام والامثال وعلى ذلك قوله: ﴿فَمَنْ يَتَّبِعْ هَذَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [البقرة: ٣٨] وأما السلامة فعلى بمعنى اللام كعكسه في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ [غافر: ٥٢] أي: عليهم اللعنة.

قال في «التأويلات»: سلم من استسلم واتبع هدى الله تعالى وهو ما جاء به أنبيأؤه عليهم السلام.

﴿إنا قد أوحى إلينا﴾ من جهة ربنا وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك قد يكون بالكلام الخفي على لسان جبريل وقد يكون بالإلهام وبالمنام والوحي إلى موسى بوساطة جبريل وإلى هارون بوساطته ووساطة موسى ﴿أن العذاب﴾ أي: كل العذاب لأنه في مقابلة السلام أي: كل السلام وهو العذاب الدنيوي والأخروي الدائم لأن العذاب المتناهي كلا عذاب فلا يرد أنه يلزم قصر العذاب على المكذبين مع أن غيرهم قد يعذبون ﴿على من كذب﴾ بآياته تعالى وكفر بما جاء به الأنبياء عليهم السلام والكذب يقال في المقال وفي الفعل ﴿وتولى﴾ إذا عدي بعن لفظاً أو تقديرأ اقتضى معنى الإعراض وترك الولي أي: القرب فالمعنى أعرض عن قبولها بمتابعة الهوى وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه. يقول الفقير: إن كلاً من تكذيب الرسوم والحقائق سبب العذاب والهوان مطلقاً فكفار الشريعة كفار الرسوم والحقائق جميعاً فلهم عذاب جسماني وروحاني وكفار الحقيقة كفار الآيات الحقيقية فلهم هوان معنوي فالنعيم والعزة في الإطاعة والاتباع والاستسلام كما أن الجحيم والذل في خلافها.

- حكي - أن بعض السادات لما رأى عبد الله بن المبارك في عزة ورفعة مع جماعة قال: انظروا إلى حال آل محمد وعزة ابن المبارك فقال ابن المبارك: إن سيدنا لما لم يراع سنة جده ذل وابن المبارك لما أطاع النبي عليه السلام وسار سيرته أعطاه الله عزاً وشرفاً. واعلم أن عزة فرعون وشرفه انقلبا ذلاً وهواناً بسبب تكذيب موسى وإعراضه عن قبول دعوته وهامان وإن كان سبباً صورياً في امتناعه عن القبول ونكوله عن الانقياد لكن لم يكن له

في أصل جبلته استعداد لقبول الحق فلا يغرنكم عزة الدنيا مع عدم الإطاعة لأنه ينقلب يوماً ذلاً وخسراناً وكثيراً ما وقع في الدنيا ورأيناه فاقبل النصيحة مع مداومة مجلس العلم وإلا فعند ظهور الحق ووجود الاستعداد والقبالة لا يبقى غير الاستسلام وإن منعه العالم بأسره عن ذلك ألا ترى أن النجاشي ملك الحبشة لما علم علماً جازماً أن الرسول حق اتبعه من غير خوف من أحد من العالمين ومبالاة لكلام أحد في ذلك فنجا من العذاب نجاة أبدية ثم اعلم أنه كما أن للأنبياء معجزات فكذا للأولياء كرامات والعلمية منها هي التي حق اعتبارها فإن الكونية مما يشترك فيه الملتان فالكرامات العلمية آيات الأولياء جاؤوا بها من الله من طريق الكشف الصحيح فمن اتبع هداهم بقبول آياتهم الهادية إلى عالم الحقيقة فقد سلم من الإنكار مطلقاً صورياً أو معنوياً ونجا من العذاب قطعاً صورياً أو معنوياً وهو عذاب القطيعة والبعد ودخل المكذب في النار مع الداخلين والعجب أن الأنبياء والأولياء مع كونهم رحمة من الله على عباده إذ لا نعمة فوق «الإرشاد» وإيصال المريدين إلى المراد لم يدر جاههم أكثر الناس ولم يوفق لاتباعهم إلا أقل من القليل وبقي البقية كالسناسن ولذا لم يمض قرن من القرون إلا والعذاب بالعصاة مقرون فانظر من أنت وما بغيتك فإن كنت تطلب النجاة فلا تجدها إلا في الإطاعة وخصوصاً في هذا الزمان المشوب بالجور والعدوان والفسق والعصيان والغالب على أهاليه الابتلاء بأنواع البلايا الموبقة وعلى تقدير الإطاعة والاتباع يلزم للمريد أن يخرج من البين ويجعل جل همه أن يصل إلى عالم العين ولا يطمع في شيء سوى الرضى الوافي والولاء الكافي. قال حمدون القصار: القائمون بالأوامر على ثلاثة مقامات. واحد يقوم إليه على العادة وقيامه قيام كسل. وآخر يقوم إليه على طلب الثواب وقيامه قيام طمع. وآخر يقوم إليه على المشاهدة فهو القائم بالله لا بنفسه لفناؤه عن نفسه وغيره وهذا القسم من القيام بالأمر هو المؤدي إلى محبة الله الموصلة إلى العزة الباقية وسعادة الدارين فلا بد للعاقل من الاجتهاد، وفي «المثنوي»:

جهدكن تا نورتو رخشان شود تا سلوك وخدمت آسان شود
كود كانرا می بری مکتب بزور زانکه هستند از فوائد چشم کور
چون شود واقف بمکتب می رود جاننش از رفتن شکفته می شود
والله المعين في كل حين .

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

﴿قال﴾ قال الكاشفي: [پس موسی و هارون بحکم حضرت الهی بدرکاه فرعون آمدند وبعد از مدتی که ملاقات او میسر شد گفتند مارسولان پرور دکاریم وترا بعبادت او میخوانیم وأن کلمات که حق تعالی تلقین کرده بود ادا کردند فرعون گفت] ﴿فمن﴾ استفهامیه: والمعنی بالفارسیه [پس کیست] ﴿ربکمما﴾ وقال غیره الفاء لترتیب السؤال علی ما سبق من کونهما رسولی ربهما أي: إذا کنتما رسولی ربکمما فأخبرا من ربکمما الذي أرسلکمما إليّ ولم یقل فمن ربی مع قولهما ﴿إنا رسول ربک﴾ لغایة عتوه ونهایة طغیانه. قال الإمام أثبت نفسه رباً في قوله: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشعراء: ۱۸] فذكر ذلك علی سبیل التعجب كأنه قال: أنا ربک فلم تدعو رباً آخر ﴿یا موسی﴾ خاطبهما ثم أفرد موسی إذ كان یعلم أن موسی هو الأصل في الباب و هارون وزیره وتابع له.

﴿قَالَ﴾ موسى مجيباً له ﴿رَبَّنَا﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿الَّذِي﴾ من محض رحمته ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ﴾ من أنواع المخلوقات ﴿خَلَقَهُ﴾ أي: صورته وشكله اللائق به مشتملاً على خواصه ومنافعه فالمراد بالخلق المخلوق ومنه يفهم أن ضمير الجمع في ربنا عام لموسى وهارون وفرعون وغيرهم ولم يقل ربنا الله بل وصفه بأفعاله ليستدل بالفعل على الفاعل ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ وجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً كما في الجمادات واختياراً كما في الحيوانات وهياً لما خلق له ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الأجزاء وتسوية الأجسام متقدماً على الهداية التي هي عبارة عن إيداع القوى المحركة والمدركة في تلك الأجسام وسط بينهما كلمة التراخي. قال بعض الكبار: إن للمخلوقات كلها حياة وروحاً إما صورية كما في الإنس والجن والملك ومن يتبعهم وإما معنوية كما في الجمادات والنباتات ولذا قال تعالى: ﴿وَلَنْ يَمُنَ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] فما من مخلوق إلا وقد هدى إلى معرفته تعالى بقدر عقله وروحه وحياته.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ استعداداً لما خلق له ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أي: يسره لما خلق له والذي يدل عليه قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» معناه أن الله تعالى خلق المؤمن مستعداً لقبول فيض الإيمان ثم هداه إلى قبول دعوة الأنبياء ومتابعتهم وخلق الكافر مستعداً لقبول فيض القهر والخذلان والتمرد على الأنبياء ومخالفتهم، قال المغربي قدس سره:

يكى را بهر طاعت خلق کردند يكى را بهر عصيان آفریدند
يكى از بهر مالک کشت موجود يكى را بهر رضوان آفریدند

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾

﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ ما استفهام. وبال الحال التي يكثر بها ولذا يقال ما باليت بكذا أي: ما اكثرت به ويعبر به عن الحال الذي ينطوي عليه الإنسان فيقال: ما خطر ببالي كذا. والقرن القوم المقترنون في زمن واحد. والأولى تأنيث الأول وواحد الأول كالكبرى والأكبر والكبر. والمعنى فما بال القرون الماضية وما خبر الأمم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة. قال في «الأسئلة المقحمة» فإن قلت هذا لا يليق بما تقدم قلنا: إن موسى كان قد قال له إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب أن يلحقكم ما قد لحقهم إن لم تؤمنوا بي فلهذا سأله فرعون عن حالهم انتهى. يقول الفقير: هذا وإن كان مطابقاً لمقتضى الفاء إلا أن الجواب لا يساعده مع أن القائل بالخوف ليس هو موسى بل الذي آمن وبعيد أن يحمل الذي آمن على موسى لعدم مساعدة السباق والسياق فارجع إلى سورة المؤمن. وقال بعضهم لما سمع البرهان خاف أن يزيد في إيضاحه فيتبين لقومه صدقه فيؤمنوا به فأراد أن يصرفه عنه ويشغله بالحكاية فلم يلتفت موسى إليه ولذا.

﴿قَالَ﴾ أي: موسى ﴿عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ أي: إن علم أحوال تلك القرون من الغيوب التي لا يعلمها إلا الله ولا ملابسة للعلم بأحوالهم بمنصب الرسالة فلا أعلم منها إلا ما علمنيه من الأمور المتعلقة بما أرسلت ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أي: مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ الضلال أن تخطيء الشيء في مكانه فلم تهتد إليه والنسيان: أن تغفل عنه

بحيث لا يخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات. والمعنى لا يخطيء ابتداء بل يعلم كل المعلومات ولا يغفل عنه بقاء بل هو ثابت أبداً وهو لبيان أن إثباته في اللوح المحفوظ ليس لحاجته تعالى إليه في العلم به ابتداء وبقاء وإنما كتب أحكام الكائنات في كتاب ليظهرها للملائكة فيزيد استدلالهم بها على تنزه علمه تعالى عن السهو والغفلة.

برو علم يك ذره پوشيده نیست که پیدا وپنهان بنزدش یکیست
فبعد الجواب القاطع رجع إلى بيان شؤونه تعالى وقال:

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ۖ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْفُسَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَمِنهَا نَخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ۖ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿الذي﴾ أي: هو الذي ﴿جعل لكم الأرض مهدياً﴾ قال الإمام الراغب: المهدي ما يهيا للصبي والمهدي والمهاد المكان الممهّد الموطأ قال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ [طه: ٥٣] انتهى. قال الكاشفي: [خوش كسترانيدكه برآن می نشينيد ومسكن ميسازيد] ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ السلوك النفاذ في الطريق [يعني اندرراه شدن ورفتن] وسلك لازم ومتعد يقال سلكت الشيء في الشيء أدخلته والسبل جمع سبيل وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك. والمعنى جعل لكم أي: لأجلكم لا لغيركم طرقاً كثيرة ووسطها بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر لتقصوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ﴿وأنزل﴾ النزول هو الانحطاط من علو يقال نزل عن دابته ونزل في مكان كذا حط رحله فيه وأنزل غيره ﴿من السماء﴾ أي: من الفلك أو من السحاب فإن كل ما علا سحاب ﴿ماء﴾ هو جسم سيان قد أحاط حول الأرض والمراد هنا المطر وهو الأجزاء المائية إذا التأم بعضها مع بعض ونكره قصداً إلى معنى البعضية أي: أنزل من السماء بعض الماء ﴿فأخرجنا به﴾ يقال خرج خروجاً برز من مقره أو حاله وأكثر ما يقال الإخراج في الأعيان أي: أنبتنا بسببه ذكر الماء وعدل عن لفظ الغيبة إلى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تنبيهاً على زيادة اختصاص الفعل بذاته وإن ذلك منه ولا يقدر عليه غيره تعالى ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض لأنه يقال لكل ما يقترن بآخر ممثلاً له أو مضاداً زوج ولكل قرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ﴿من نبات﴾ هو كل جسم يغتذي وينمو كما قال الراغب النبت والنبات ما يخرج من الأرض من الناميات سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن له ساق كالنجم لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل قد اختص عند العامة بما تأكله الحيوانات ومتى اعتبرت الحقائق فإنه يستعمل في كل نام نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً انتهى ومن بيانية فيكون قوله: ﴿شتى﴾ صفة للنبات لما أنه في الأصل مصدر يستوي فيه الواحد والجمع. وشتى جمع شتيت بمعنى المتفرق أي: نباتات مختلفة الأنواع والطعوم والروائح والأشكال والمنافع بعضها صالح للناس على اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم والأظهر أن من نبات وشتى صفتان لأزواجاً واخر شتى رعاية للفواصل.

﴿كلوا﴾ حال من ضمير فأخرجنا على إرادة القول أي: أخرجنا منها أصناف النباتات قائلين كلوا منها أي: من الثمار والحبوب ونحوهما ﴿وارعوا﴾ الرعي في الأصل حفظ الحيوان

إما بغذائه الحافظ لحياته أو بذب العدو عنه أي: أسيموا وأسرحوا فيها، وبالفارسية: [وبجرانيد] ﴿أنعامكم﴾ وهي الإبل والبقر والضأن والمعز أي اقصدوا بها الانتفاع بالذات وبالواسطة أذنن في الانتفاع بها مبيحين بأن تأكلوا بعضها وتعلفوا بعضها.
قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن السماء والماء والنبات والأنعام كلها مخلوقة لكم ولولا احتياجكم للتعيش بهذه الأشياء بل بجميع المخلوقات ما خلقتها، قال المغربي قدس سره:

غرض توبى ز وجود همه جهان ورنه لما تكون في الكون كائن لولاك
﴿إن في ذلك﴾ المذكور من الشؤون والأفعال الإلهية من جعل الأرض مهداً وسلك
السبل فيها وإنزال الماء وإخراج أصناف النبات ﴿لآيات﴾ كثيرة جليلة واضحة الدلالة على
الصانع ووحدته وعظيم قدرته وباهر حكمته ﴿لأولي النهى﴾ جمع نهية سمي بها العقل لنهيه
عن اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك لذوي
العقول الناهية عن الأباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله منهم الفئة الباغية
وتخصيص أولي النهى مع أنها آيات للعالمين باعتبار أنهم المتفعلون بها.
﴿منها﴾ أي: من الأرض.

وفي «التأويلات النجمية»: من قبضة التراب التي أمر الله تعالى عزرائيل أن يأخذها من
جميع الأرض ﴿خلقناكم﴾ بوساطة أصلكم آدم والا فمن عدا آدم وحواء مخلوق من النطفة
وأصل الخلق التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء قال تعالى:
﴿فِي خَلْقِ السَّكَنَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١] ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء كما في هذا المقام
﴿وفيها نعيدكم﴾ عند الموت بالدفن في الموضع الذي أخذ تراكبكم منه وإيثار كلمة في للدلالة
على الاستقرار والعود الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصراف بالذات أو بالقول
والعزيمة وإعادة الشيء كالحديث وغيره تكريره ﴿ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ أي: عند البعث
بتأليف الأجزاء وتسوية الأجساد ورد الأرواح للحساب والجزاء وكون هذا الإخراج تارة أخرى
باعتبار أن خلقهم من الأرض إخراج لهم منها وإن لم يكن على نهج التارة الثانية. والتارة في
الأصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم أطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات المتجددة
كما مر في المرة، قال الحكيم فردوسي:

بخاكت در آرد خداوند پاك دكرره برون آرد از زير خاك

بدان حال كايى بخاك اندرون بدان كونه از خاك آيى برون

اكر پاك درخاك كيى مقام برآيى از وپاك وپاكيژه نام

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل جاء إلى النبي عليه السلام فقال: يا محمد إن
ربك يقرئك السلام وهو يقول ما لي أراك مغموماً حزيناً؟ قال عليه السلام: «يا جبريل طال
تفكيري في أمر أمتي يوم القيامة» قال: أفني أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام؟ فقال: «يا
جبريل في أمر أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله» فأخذ بيده حتى أقامه إلى مقبرة بني سلمة
ثم ضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول
لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال جبريل: عد إلى مكانك فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه
الأيسر فقال: قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه

كنى وبني اسرائيل را متمكن سازى وپادشاهى كنى بر ايشان] وقال بعضهم هذا تعلق وتحير ودليل على أنه علم كون موسى محقاً حتى خاف منه على ملكه فإن ساحراً لا يقدر أن يخرج ملكاً مثله من أرضه. وفي «الإرشاد» إنما قال لحمل قومه على غاية المقت بإبراز أن مراده ليس مجرد إنجاء بني إسرائيل من أيديهم بل إخراج القبط من وطنهم وحياسة أموالهم وأملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه إلى اتباعه أحد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة وسمي ما أظهره عليه من المعجزات الباهرة سحراً ليحسرهم على المقابلة.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما قال هذا لأنه كان من أهل البصر لا من أهل البصيرة ولو كان من أهل البصيرة لرأى مجيئه لإخراجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمات البشرية إلى نور الروحانية ومن ظلمات الإنسانية إلى نور الربانية، وفي «المثنوي»:

هرکه از دیدار برخوردار شد این جهان در چشم او مردار شد
ملک برهم زن توادهم وار زود تا بیابی همچو او ملک خلود
فلما رأى يبصر الحس المعجزة سحراً ادعى أن يعارضه بمثل ما أتى به فقال:

﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها واللام جواب قسم محذوف كأنه قيل إذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك فلا تغلب علينا، وبالفارسية: [هر آيينه بياريم برای تو جادویی مانند جادویی تو وآن باتو معارضه کنیم تا مردمان بدانندکه تو پیغمبر نیستی جادو کری] ﴿فاجعل﴾ صير ﴿بيننا وبينك﴾ لإظهار السحر ﴿موعداً﴾ أي: وعداً لقوله: ﴿لا نخلفه﴾ أي: ذلك الوعد ﴿نحن ولا أنت﴾ يقال اخلف وعده ولا يقال اخلف زمانه ولا مكانه. وقال بعضهم: أراد بالموعد ههنا موضعاً يتواعدون فيه الاجتماع هناك انتهى. والوعد عبارة عن الاخبار بإيصال المنفعة قبل وقوعها. والخلف المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد ﴿مكاناً سوى﴾ منصوب بفعل يدل عليه المصدر لا به فإنه موصوف وسوى بالضم والكسر بمعنى العدل والمساواة أي: عد مكاناً عدلاً بيننا وبينك وسطاً يستوي طرفاه من حيث المسافة علينا وعليكم لا يكون فيه أحد الطرفين أرجح من الآخر أو مكاناً مستوياً لا يحجب العين ارتفاعه ولا انخفاضه، وبالفارسية: [چون وعد برسد حاضر شويم درجایی که مساوی باشد مسافت قوم ما وتوبآن یا مکان مستوی وهموار که دروپیستی وبلندی نباشد تا مردم نظاره توانند کرد] ففوض العين أمر الوعد إلى موسى للاحتراز عن نسبته إلى ضعف القلب كأنه متمكن من تهئية أسباب المعارضة طال الأمد أم قصر.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما طلب الموعد لأن صاحب السحر يحتاج في تدبير السحر إلى طول الزمان وصاحب المعجزة لا يحتاج في إظهار المعجزة إلى الموعد.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ۝٥٩ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ۝٦٠﴾

﴿قال﴾ موسى: ﴿موعدكم﴾ [زمان وعد شما] ﴿يوم الزينة﴾ [روز آرایش قبطیانست] يعني يوم عيدهم الذي يجتمع فيه الناس من كل مكان ليكون بمشهد خلق عظيم لعلمهم يستحيون منهم فلا ينكرون المعجزة بعد إبطال السحر سألوا عن المكان فأجابهم بالزمان فإن يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه في ذلك اليوم.

اعلم أن الأعياد خمسة: «أحدها»: عيد قوم إبراهيم عليه السلام وفيه جعل إبراهيم

الأصنام جذاذاً، والثاني عيد قوم فرعون وهو يوم الزينة، والثالث عيد قوم عيسى كما مر في أواخر المائدة، والرابع والخامس عيداً أهل المدينة في الجاهلية وذلك يومان في السنة فأبدلهما الله في الإسلام يومي الفطر والأضحى وهذان اليومان مستمران إلى يوم القيامة.
قال المولى الجامي :

قربان شدن بتيغ جفاى تو عيد ماست جان ميدهيم بهر چنين عيد عمر هاست
﴿وَأَن يَحْشُرَ النَّاسَ ضَحًى﴾ عطف على اليوم أو الزينة والحشر: إخراج الجماعة من مقارهم وازعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها ولا يقال إلا في الجماعة. وضحى نصب على الظرف أي: وأن يجمع الناس في وقت الضحى ليكون أبعد من الريبة. قال في «ضرام السقط»: أول اليوم الفجر ثم الصباح ثم الغداة ثم البكرة ثم الضحى ثم الضحوة ثم الهجرة ثم الظهيرة ثم الرواح ثم المساء ثم العصر ثم الأصيل ثم العشاء الأولى ثم العشاء الأخيرة عند مغيب الشفق. وفي «بحر العلوم» الضحى صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقي شعاعها. وقال الإمام الراغب الضحى انبساط النهار وامتداده سمي الوقت به. وقال الكاشفي: [ضحى درجاشتكاه كه روشترست از باقى روز].

﴿فتولى فرعون﴾ أي: ترك الولي والقرب وانصرف عن المجلس وأرسل إلى المدائن لجمع السحرة ﴿فجمع كيده﴾ أي: ما يكاد به من السحرة وأدواتهم والكيد ضرب من الاحتيال ﴿ثم أتى﴾ أي: الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارع إليه بل أتاه بعد تأخير.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ۖ ۝١١﴾
فَنَنْزِعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ۖ ۝١٢﴾ قَالُوا إِن هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُتْلَىٰ ۖ ۝١٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمَا صَفَاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مِنِ اسْتَعْلَىٰ ۖ ۝١٤﴾

﴿قال لهم موسى﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى عند إتيان فرعون مع السحرة فقيل قال لهم بطريق النصيحة ﴿ويلكم﴾ أصله الدعاء بالهلاك بمعنى ألزمكم الله ويلا يعني عذاباً وهلاكاً والمراد هنا الزجر والردع والحث والتحريض على ترك الافتراء، وبالفارسية: [واى برشما] ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ بأن تدعو أن الآيات التي ستظهر على يدي سحر أو لا تشركوا مع الله أحداً والافتراء القول والكذب عن عمد.

وفي «التأويلات»: قال موسى للسحرة ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ بإتيان السحر في معرض المعجزة ادعاء بأن الله قد أعطانا مثل ما أعطى الأنبياء من المعجزة ﴿فيسحتكم﴾ فيهلككم ويستأصلكم بسببه، وبالفارسية: [ازبيخ بر كند شمارا] يقال اسحت الشيء أعدمه واستأصله ﴿بعذاب﴾ هائل لا يقادر قدره ﴿وقد خاب﴾ الخيبة فوت المطلب أي: [بى بهره ونا اميدماندا] ﴿من افترى﴾ أي: على الله تعالى كائناً من كان بأي وجه كان.

﴿فتنازعوا﴾ أي: السحرة حين سمعوا كلامه كأن ذلك غاظهم فتنازعوا ﴿أمرهم﴾ الذي أريد منهم من مغالبتة عليه السلام وتشاوروا وتناظروا ﴿بينهم﴾ في كيفية المعارضة وتجادبوا أهداب القول في ذلك. قال في «المفردات» نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده

والتنازع والمنازعة المجاذبة ويعبر بها عن المخاصمة والمجادلة ﴿وَأَسْرُوا النُّجُوى﴾ وبالغوا في إخفاء النجوى عن موسى لئلا يقف عليه فيدافعه، وبالفارسية: [وبنهان داشتند ازكفتن را] والنجوى السر وأصله المصدر وناجيته أي: سارته وأصله ارتحلوا به في نجوة من الأرض أي: مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله وقيل أصله من النجاة وهو أن تعاونه على ما فيه خلاصه أو أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى:

﴿قَالُوا﴾ أي: بطريق التناجي والإسرار ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرَانِ﴾ إن مخففة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمشار إليه موسى وهارون ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾ أي: من أرض مصر بالغلبة والاستيلاء عليها وهو خبر بعد خبر ﴿يَسْحَرُهُمَا﴾ الذي أظهره من قبل ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ المثلى تأنيث الأمثل وهو الأشرف أي: بمذهبكم الذي هو أفضل المذاهب وأمثلها بإظهار مذهبهما وإعلاء دينهما يريدون ما كان عليه قوم فرعون لقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ لا طريقة السحر فإنهم ما كانوا يعتقدون ديناً. قال في «بحر العلوم» سموا مذهبهم بها لزيادة سرورهم وكمال فرحهم بذلك وأنه الذي تطمئن به نفوسهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]. قال الإمام الراغب الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب قال تعالى: ﴿فَأَضْرَبَ لَهم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧] ومنه استعير لكل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محمود أو مذموم قال تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ أي: الأشبه بالفضيلة.

﴿فَأَجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾ الفاء فصيحة وأجمعوا من الإجماع يقال أجمع الأمر إذا أحكمه وعزم عليه وحقيقته جمع رأيه عليه وأجمع المسلمون كذا اجتمعت آراؤهم عليه. قال الراغب: أكثر ما يقال فيما يكون جمعاً يتوصل إليه بالتدبير والفكرة. والمعنى إذا كان الأمر كما ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الإخراج والإذهاب فازمعا مكرم وحيلكم في رفع هذا المزاحم واجعلوه مجمعاً عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة. وقرئ فأجمعوا من الجمع ويعضده قوله تعالى: ﴿فَجَمْعُ كَيْدِهِ﴾ أي: فأجمعوا أدوات سحرهم ورتبوا كما ينبغي ﴿ثُمَّ اتَّوَا صَفًّا﴾ أي: مصطفين في الموعد ومجتمعين ليكون أشد لهيبتكم وأنظم لأمرهم فجاءوا في سبعين صفاً كل صف ألف والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك وقد يجعل بمعنى الصاف.

قال في «الإرشاد»: لعل الموعد كان مكاناً متسعاً خاطبهم موسى بما ذكر في قطر من أقطاره وتنازعوا أمرهم في قطر آخر منه ثم أمروا بأن يأتوا وسطه على الوجه المذكور ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ الفلاح الظفر وإدراك البغية والاستعلاء قد يكون طلب العلو المذموم وقد يكون طلب العلاء أي: الرفعة. والآية تحتل الأمرين جميعاً أي: وقد فاز بالمطلوب من غلب ونال علو المرتبة بين الناس.

قال في «الإرشاد»: يريدون بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الأجر والتقريب وبمن غلب أنفسهم جميعاً أو من غلب منهم حثاً لهم على بذل المجهود في المغالبة. يقول الفقير فيه إشارة إلى أن المنهي من العلوم والأسباب كالسحر ونحوه ما يتقرب به إلى الدنيا وجمع طامها لا إلى الآخرة والفوز بنعيمها ولا إلى الله تعالى ولذا قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠] فكل من أراد أن يتوصل بما يفعله مما نهاه الشرع إلى درجة من الدرجات الأخروية أو

مرتبة من المراتب المعنوية فإنه يضيع سعيه ولا يفلح ولا يبقى له سوى التعب. ثم إن أرباب التقليد يقتفون آثار فرعون وسحرته ويقولون في حق أهل التحقيق إن هؤلاء يخرجونكم من مناصب شيخوختكم ومراتب قبولكم عند العوام ويصرفون وجوه الناس عنكم ويذهبون بأشرف قومكم من الملوك والأمراء وأرباب المعارف وأهل الدثور والأموال فيسلكون مسالك الحيل ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون أي: المشركون بالشرك الخفي، وفي «المثنوي»:

هرکه بر شمع خدا آرد پفو شمع کی میرد بسوزد پوزاو
فالذي خلق علوياً كالشمس فإنه لا يكون سفلياً بوجه من وجوه الحيل وكذا التراب خلق سفلياً فإنه لا يكون سماوياً، قال المولى الجامي:

پستست قدر سفله اكر خود كلاه جاه براوج سلطنت زند از كردش زمان
سفليست خاك اكر چه نه بر مقتضای طبع همراه كرد باد كشد سر بر آسمان
نسأل الله أن يجعلنا من أهل السعادة والفلاح.

﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِآلَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُخَلِّ إِلَيْهِ
من سحرهم أَنَّهُ تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوَّحَصَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾

﴿قالوا﴾ أي: السحرة بعد إجماعهم وإتيانهم الموعد واصطفاهم. قال الكاشفي:
[سحره بقولى سيصد هزار خروار حبل وعصاها میان تهی کرده ویر ازریق ساخته بمیدان آوردند بطریق ادب وکفتند] ﴿يا موسى إما أن تلقي﴾ الإلقاء طرح الشيء حيث تلقاه أي: تراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح أي: تطرح عصاك من يدك على الأرض ﴿وإما أن تكون أول من ألقى﴾ ما نلقيه من العصي والحبال وأن مع ما في حيزها منصوب بفعل مضمر أو مرفوع بخبرية مبتدأ محذوف أي: اختر إلقاءك أولاً أو إلقاءنا أو الأمر إما إلقاءك أو إلقاءنا. وفيه إشارة إلى أن السحرة لما أعزوا موسى عليه السلام بالتقديم والتخيير في الإلقاء أعزهم الله بالإيمان الحقيقي حتى رأوا بنور الإيمان معجزة موسى فآمنوا به تحقيقاً لا تقليداً وهذا حقيقة قوله: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً» فلما تقربوا إلى الله بإعزاز من أعزه الله أعزهم بالإيمان تقرباً إليه فكذاك أعزهم موسى بالتقديم في الإلقاء كما حكى الله عنه بقوله:
﴿قال﴾ موسى: ﴿بل ألقوا﴾ أولاً ما أنتم ملقون.

يقول الفقير: الظاهر أن الله تعالى ألهم السحرة التخيير وعلم موسى اختيار إلقاءهم أولاً ليظهر الحق من الباطل لأن الحق يدفع الباطل ويمحوه ولو كان موسى أول من ألقى لتفرق الناس من أول الأمر خيفة الثعبان كما تفرقوا بعد ابتلاع العصا عصيهم وحبالهم وذا مخل بالمقصود. قال الإمام فإن قيل كيف أمرهم به وهو سحر وكفر. قلنا لما تعين طريقاً إلى كشف الشبهة صار جائزاً. وفي «الأسئلة المقحمة»: هذا ليس بأمر وإنما هو للاستهانة بذلك وعدم الاكتراث به لما كان يعلم أن ذلك سبب لظهور الحق وزهوق الباطل ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الفاء فصيحة وإذ المفاجأة ظرفية والحبال جمع حبل وهو الرسن والعصي جمع عصا والتخيل تصوير خيال الشيء في النفس والتخيل تصور ذلك والخيال أصله الصورة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرأة وفي القلب بعيد غيبوبة المرئي

ثم تستعمل في صورة كل أمر متصور وفي كل شخص دقيق يجري مجرى الخيال وأنها تسعى نائب فاعل ليحيل والسعي المشي السريع وهو دون العدو. والمعنى فألقوا ففاجأ موسى وقت أن يخیل إليه سعي حبالهم وعصيتهم من سحرهم، وبالفارسية [پس رسنها وعصاهای ایشان نموده شد بموسی از جادویی وکید ایشان که کویی بدرستی که آن میرود ومی شتابد] وذلك أنهم كانوا لطحوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخیل إليه أنها تتحرك.

﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ الوجد الصوت الخفي والتوجس التسمع والإيجاس وجود ذلك في النفس والخيفة الحالة التي عليها الإنسان من الخوف وهي مفعول أوجس وموسى فاعله. والمعنى: أضمر موسى في نفسه بعض خوف من مفاجآت بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز من ضررها المعتاد من اللسع ونحوه كما دل عليه قوله في نفسه لأنه من خطرات النفس لا من القلب وفي الحقيقة أن الله تعالى ألبس السحر لباس القهر فخاف موسى من قهر الله لا من غيره لأنه لا يأمن من مكر الله إلا القوم الفاسقون، يقول الفقير:

چون خدا خواهد شود هر برك خار رسته باریک درچشم عین مار
برك لـرزان آب ریزان از السم چون نمی ترسم زقهر کردکار
﴿قلنا لا تخف﴾ ما توهمت ﴿إنك﴾ أي: لأنك ﴿أنت الأعلى﴾ أي: الغالب القاهر لهم ونحن معك في جميع أحوالك فإنك القائم بالمسبب وهم القائمون المعتمدون على الأسباب وأيضاً معك آياتنا الكبرى وهو لباس حفظنا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن خوف البشرية مركوز في جبلة الإنسان ولو كان نبياً إلى أن ينزع الله الخوف منه انتزاعاً ربانياً بقول صمداني كما قال تعالى: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: أعلى درجة من أن تخاف من المخلوقات دون الخالق وفيه معنى آخر أن خوف موسى ما كان من المكونات بل من المكون إذ رأى عصاه ثعباناً تلقف سحر السحرة وقد علم أنها صارت مظهر صفة قهارية الحق فخاف من الحق وقهره لا من العصا وثعبانها فلهذا قال تعالى: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾ أي: لأنك على درجة عندنا منها لأنها عصاك مصنوعة لنفسك وأنت رسولي وكليمي واصطنعتك لنفسي فإن كانت هي مظهر صفة قهري فأنت مظهر صفات لطفي وقهري كلها.

﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَكَّ﴾ (٦٩) ﴿فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَجْدًا فَأَلْوَأَ أَمَّا رَبٌّ يَرْبُ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ (٧٠)

﴿وَألق ما في يمينك﴾ أي: عصاك والإيهام لتفخيم شأنها والإيذان بأنها ليست من جنس العصى المعهودة لأنها مستتعبة لآثار غريبة ﴿تلقف ما صنعوا﴾ بالجزم جواب للأمر من لقفه كسمعه لقفا بسكون القاف وفتحها إذا ابتلعه التقمه بسرعة. قال في «المفردات»: لقفت الشيء القفه وتلقفته تناولته بالجذب سواء كان تناوله بالضم أو باليد انتهى والتأنيث لكون ما عبارة عن العصا والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا ولا تنسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل. والمعنى تبتلع وتلقم ما صنعوه من الحبال والعصي التي خيل إليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والإيذان بالتمويه والتزوير أي زوروه

وافعلوه ﴿إِنْ مَا صَنَعُوا﴾ ما موصولة أو موصوفة أي: إن الذي صنعوه أو إن شيئاً صنعوه ﴿كَيْدِ سَاحِرٍ﴾ بالرفع على أنه خبر لأن أي: كيد جنس الساحر ومكره وحيلته وتنكيره للتوسل به إلى تنكير ما أضيف إليه للتحقير والكيد ضرب من الاحتيال يكون محموداً أو مذموماً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ﴿وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ﴾ أي: لا يدرك بغيته هذا الجنس ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ من الأرض وعمل السحر فيها وهو من تمام التعليل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ما في يمينك هو مصنوعى وكيدى وما صنعه السحرة إنما هو مصنوعهم وكيدهم ولا يفلح الساحر ومصنوعه وكيده حيث أتى مصنوعى وكيدى لأن كيدى متين.

واعلم أن الفلاح دنيوي وهو الظفر بالسعادات التي تطيب بها حياة الدنيا وهو البقاء والغنى والعز وأخروي وهو أربعة أشياء: بقاء بلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ففلاح أهل الدنيا كلا فلاح لأن عاقبته خيبة وخسران ألا ترى أن من قال لأستاذه لم أي: اعترض عليه لن يفلح أبداً وقد رأينا بعض المعترضين قد أوتي مالاً وجاهاً ورياسة فهو في قلبه خائب خاسر وقس عليه سائر المخالفين من أهل المنكرات. قال في «نصاب الاحتساب» الساحر إذا تاب قبل أن يؤخذ تقبل توبته وإن أخذ ثم تاب لم تقبل توبته. وفي «شرح المشارق»: للشيخ أكمل روى محمد بن شجاع عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال في الساحر يقتل إذا علم أنه ساحر ولا يستتاب ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه فإذا أقر أنه ساحر فقد حل دمه وإن شهد عليه شاهدان بالسحر فوصفوا ذلك بصفة يعلم أنها سحر قتل ولا يستتاب انتهى. وفي «شرح رمضان» على «شرح العقائد» أن الساحر يقتل ذكراً أو أنثى إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض وإذا كان سعيه بالكفر فيقتل الذكر دون الأنثى انتهى. وفي الفروع لا تقتل الساحرة المسلمة ولكن تضرب وتحبس لأنها ارتكبت جريمة عظيمة وإنما لا تقتل لأن النبي عليه السلام نهى عن قتل النساء مطلقاً. وفي الأشباه كل كافر تاب فتوبته مقبولة في الدنيا والآخرة إلا جماعة الكافر بسبب النبي وبسبب الشيخين أو أحدهما وبالسحر ولو امرأة وبالزندقة إذا أخذ قبل توبته انتهى. وفي «فتاوى قارىء الهداية» الزنديق من يقول ببقاء الدهر أي: لا يؤمن بالآخرة ولا الخالق ويعتقد أن الأموال والحرم مشتركة. وقال في موضع آخر: هو الذي لا يعتقد إلهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء وفي قبول توبته روايتان والذي ترجح عدم قبول توبته انتهى. قال في «شرح الطريقة» الساحر في اللغة كل ما لطف ودق ومنه الساحر للصبح الكاذب وقوله عليه السلام: «إن من البيان لسحراً» وبابه منع وفي العرف إراءة الباطل في صورة الحق وهو عندنا أمر ثابت لقوله عليه السلام: «السحر حق والعين حق». وفي «شرح الأمالي» الساحر من سحر يسحر سحراً إذا خدع أحداً وجعله مدهوشاً متحيراً وهذا إنما يكون بأن يفعل الساحر شيئاً يعجز عن فعله وإدراكه المسحور عليه. وفي «كتاب اختلاف الأئمة» الساحر رقى وعزائم وعقد تؤثر في الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه وله حقيقة عند الأئمة الثلاثة. وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله لا حقيقة له ولا تأثير له في الجسم وبه قال أبو جعفر الاسترابادي من الشافعية. وفي «شرح المقاصد»: الساحر إظهار أمر خارق للعادة من نفس شريرة خبيثة بمباشرة أعمال مخصوصة يجري فيها التعلم والتعليم وبهذين الاعتبارين يفارق المعجز والكرامة وبأنه لا يكون بحسب اقتراح المقترحين

وبأنه يخص الأزمنة أو الأمكنة أو الشرائط وبأنه قد يتصدى لمعارضته ويبدل الجهد في الإتيان بمثله وبأن صاحبه ربما يعلن بالفسق ويتصف بالرجس في الظاهر والباطن والخزي في الدنيا والآخرة وهو أي: السحر عند أهل الحق جائز عقلاً ثابت سمعاً وكذا الإصابة بالعين. وقال المعتزلة بل هو مجرد إراءة ما لا حقيقة له بمنزلة الشعوذة التي سببها خفة حركات اليد أو إخفاء وجه الحيلة وفيه لنا وجهان الأول يدل على الجواز والثاني يدل على الوقوع، أما الأول فهو إمكان الأمر في نفسه وشمول قدرة الله تعالى فإنه هو الخالق وإنما الساحر فاعل وكاسب وأيضاً فيه إجماع الفقهاء وإنما اختلفوا في الحكم وأما الثاني فهو قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هُنُوتٌ وَمُرُوتٌ﴾ إلى قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمُرَةِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِصَابِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢] وفيه إشعار بأنه ثابت حقيقة ليس مجرد إراءة وتمويه وبأن المؤثر والخالق هو الله تعالى وحده. فإن قيل قوله تعالى في قصة موسى ﴿يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَىٰ سَعَىٰ﴾ [طه: ٦٦] يدل على أنه لا حقيقة للسحر وإنما هو تمويه وتخيل. قلنا: يجوز أن يكون سحرهم هو إيقاع ذلك التخيل وقد تحقق ولو سلم فكون أثره في تلك الصورة هو التخيل لا يدل على أنه لا حقيقة له أصلاً. ثم إن السحر خمسة أنواع في المشهور:

منها: الطلسم قيل هو مقلوب المسلط وهو جمع الآثار السماوية مع عقاقير الأرض ليظهر منها أمر عجيب.

ومنها: النيرنج قيل هو معرب «نيرنك» وهو التمويه والتخيل قالوا ذلك تمزيج قوى جواهر الأرض ليحدث منها أمر عجيب.

ومنها: الرقية وهو الافسون معرب «آب سون» وهو النفث في الماء وسمي به لأنهم ينفثون في الماء ثم يشربونه أو يصبون عليه وإنما سميت رقية لأنها كلمات رقية من صدر الراقي فبعضها فهلويه وبعضها قبطية وبعضها بلا معنى يزعمون أنها مسموعة من الجن أو في المنام.

ومنها: الخلقطيرات وهي خطوط عقدت عليها حروف وأشكال أي: حلق ودوائر يزعمون أن لها تأثيرات بالخاصية.

ومنها: الشعبة ويقال لها الشعوذة معرب «شعبادة» اسم رجل ينسب إليه هذا العلم وهي خيالات مبنية على خفة اليد وأخذ البصر في تقليب الأشياء كالمشي على الإرسال واللعب بالمهراق والحقات وغير ذلك والمذهب أن التأثير الحاصل عقيب الكل هو فعل الله تعالى على وفق إجراء عاداته ووجه الحكمة فيه لا يعلمه إلا هو سبحانه. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأظهر في «الفتوحات المكية»: إن التأثير الحاصل من الحروف وأسماء الله تعالى من جنس الكرامات أي: إظهار الخواص بالكرامة فإن كل أحد لا يقدر على الاستخراج خواص الأشياء.

﴿فألقى السحرة﴾ الفاء فصيحة أي: فلإلقاء فوق ما وقع من اللقف فألقى السحرة حال كونهم ﴿سجداً﴾ ساجدين كأنما ألقاهم ملقي لشدة خروهم وبالفارسية [حضرت موسى عصا بيفكند في الحال ازدهایی شد ودهن خود كشاده تمام ادوات جادوانرا فروبرد و مردم از ترس روی بکریز آوردند و موسی اورا بکرفت همان عصا شد جادوان دانستند که آن سحر نیست زیرا که سحر دیکر را باطل نکند بلکه قدرت خدا و معجزه موسی است پس درافکنده شدند

يعنى تأمل اين معنى ايشانرا دررؤى افنكند درحالتى كه سجده كنندگان بودند مرخدايرا ازرؤى صدق] وإنما عبر عن الخور باللقاء ليشاكل تلك الالتقاء .

- روي - أن رئيسهم قال: كنا نغلب الناس وكانت الآلات تبقى علينا فلو كان هذا سحراً فأين ما ألقيناه من الآلات فاستدل بتغير أحوال الأجسام على الصانع العالم القادر ويظهر ذلك على يد موسى على صحة رسالته فتأبوا وأتوا بنهاية الخضوع وهو السجود قال جبار الله: ما أعجب أمرهم القوا حبالهم للكفر والجحود ثم ألقوا رؤوسهم للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الإلقاءين ﴿قالوا﴾ في سجودهم وهو استئناف بياني ﴿أما برب هارون وموسى﴾ تأخير موسى عند حكاية كلامهم لرعاية الفواصل ولأن فرعون ربه موسى في صغره فلو اقتصر على موسى أو قدم ذكره فربما توهم أن المراد فرعون وذكر هارون على الاستتباع ومعنى إضافة الرب إليهما أنه هو الذي يدعوان إليه وأجري على يديهما ما أجري. قال بعض الكبار: من كان له استعداد النظر إلى عالم الغيب وباشر حظوظ النفس احتجب عنه فإنه انقطع إلى الله نظر الله إلى قلبه بنعت الإخلاص واليقين وكشف الله له أنوار حضرته وجذبه إلى قربهِ فبالسحرة مجذوبون مهتدون بالله إلى الله مؤمنون بالبرهان لا بالتقليد وأن فرعون ما رأى برهان الربوبية فلم يؤمن .

﴿قَالَ ءَأَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأُنْجِلُكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ ﴿٧١﴾

﴿قال﴾ فرعون للسحرة بطريق التوبيخ ﴿أمتم له﴾ أي: لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع واللام مع الإيمان في كتاب الله لغيره. وفي «بحر العلوم»: له أي: لربهما على أن اللام بمعنى الباء والدليل القاطع عليه قوله: ﴿قال﴾ أي: فرعون ﴿ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٢٣] في سورة الأعراف وأمتم بالمد على الإخبار أي: فعلتم هذا الفعل تويخاً لهم ﴿قبل أن أذن لكم﴾ أي: من غير أن أذن لكم في الإيمان له وأمركم به كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَلْبَسَ قَبْلَ أَنْ تَفْعَلَ كَيْفَتَ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩] لا أن الإذن لهم في ذلك واقع بعده أو متوقع والإذن في الشيء إعلام بإجازته واذنته بكذا واذنته بمعنى ﴿إنه﴾ يعني موسى ﴿لكبيركم﴾ أي: في فنكم وأعلمكم به وأستاذكم ﴿الذي علمكم السحر﴾ فتواطأتم على ما فعلتم. قال الكاشفي: [يعني استاد ومعلم ومهتر جادوانست شما باهم خواهيديكه ملك برابر اندازند] وأراد التلبيس على قومه لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان لأنه عالم أن موسى ما علمهم السحر يعني أن هذه شبهة زورها للعين وألقاها على قومه وأراهم أن أمر الإيمان منوط بإذنه فلما كان إيمانهم غير إذنه لم يكن معتداً به وأنهم من تلامذته عليه السلام فلا عبرة بما أظهره كما لا عبرة بما أظهره وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الإيمان بالله ثم أقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال: ﴿فلأقطعن﴾ أي: فوالله لأقطعن وصيغة التفعيل للتكثير وكذا في الفعل الآتي والقطع فصل شيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو مدركاً بالبصيرة كالأشياء المعقولة ﴿أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ الخلاف أعم من الضد لأن كل ضدين مختلفان دون العكس. والمعنى من كل شق طرفاً وهو أن يقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن فيه لابتداء الغاية أي: ابتداء القطع من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه إياه فإن المبتدىء

من المعروف مبتدئ من العارض أيضاً وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية أي: لأقطعنها مختلفاً لأنها إذا خالف بعضها بعضاً بأن هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك يسار فقد اتصفت بالاختلاف وتعيين القطع وكيفيته لكونه أفضع من غيره ﴿وَأَصْلِبْكُمْ فِي جَذوعِ النَّخْلِ﴾ الصلب الذي هو تعليق الإنسان للقتل قيل هو شد صلبه على خشب أي: على أصول النخل في شاطئ النيل، وبالفارسية: [وهر آيينه برآویزم شمارا درتن خرما بن که دراز ترين درختانست تاهمه کس شمارابه بیند و عبرت کیرد] وإيثار كلمة في للدلالة على إبقائهم عليها زماناً طويلاً تشبيهاً لاستقرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتمل عليه. قالوا: فرعون موسى هو أول من استعمل الصلب. فإن قيل مع قرب عهده بانقلاب العصا حية وقصدها ابتلاع قصره واستغاثته بموسى من شرها كيف يعقل أن يهدد السحرة إلى هذا الحد ويستهزئ بموسى. قلنا: يجوز أن يكون في أشد الخوف ويظهر الجلادة تمشية لناموسه وترويحاً لأمره والاستقراء يوقفك على أمثاله ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ أي: أنا وموسى ﴿أشدُّ عذاباً وأبقى﴾ أدوم وموسى لم يكن في شيء من التعذيب إلا أن فرعون ظن السحرة خافوا من قبل موسى على أنفسهم حين رأوا ابتلاع عصاه لحبالهم وعصيتهم فقال ما قال وعلى ما سبق من «بحر العلوم» في ﴿أمتهم له﴾ يكون المراد بـ ﴿أينا﴾ نفسه ورب موسى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإنما قال: ﴿أشدُّ عذاباً﴾ لأنه كان بصيراً بعذاب الدنيا وشدته وقد كان أعمى بعذاب الآخرة وشدته.

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٦﴾ إِنَّا ءَمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٧﴾ إِنَّهُمْ مِنْ يَأْتِ رَبِّهِمْ مَجْزِئاً فَإِنْ لَمْ يَجَهِّمُوا لَهُمْ لَأَيْمُوتُنَّ فِيهَا وَلَا يَجِيئُ ﴿٧٨﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٩﴾

﴿قالوا﴾ غير مكترئين بوعيده. قال الكاشفي: [ساحران چون از جام جذبه حقانی مست شده بودند واز انوار تواتر ملاطفات ربانی که بردل ایشان تافته بود ازدست شده:

خورده یکجرعه از کف ساقی هرچه فانیست کرده درباقی

دامن از فکر غیر افشانده لیس فی الدار غیره خوانده

لا جرم درجواب فرعون گفتند ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ لَنْ نختارك بالإيمان والاتباع ﴿على ما جاءنا﴾ من الله على يد موسى ﴿من البينات﴾ من المعجزات الظاهرة التي لا شبهة في حقيقتها وكان من استدلالهم أنهم قالوا: لو كان هذا سحراً فأين حبالنا وعصينا. وفيه إشارة إلى أن القوم شاهدوا في رؤية الآيات أنوار الذات والصفات فهان عليهم عظام البليات ومن أثر الله على الأشياء هان عليه ما يلقي في ذات الله. وقد قال بعض الكبار ليخفف ألم البلاء عنك علمك أن الله هو المبلى ﴿والذي فطرنا﴾ أي: خلقنا وسائر المخلوقات عطف على ما جاءنا وتأخيرها لأن ما في ضمنه آية عقلية نظرية وما شاهده آية حسية ظاهرة. وقال بعضهم هو قسم محذوف الجواب لدلالة المذكور عليه أي: وحق الذي فطرنا لا نؤثرك فإن القسم لا يجاب بلن إلا على شذوذ. وفي «التفسير الفارسي»: [وسوکنده میخوریم بخدایی که مارا آفرید].

وفي «التأويلات»: أي: بالذي فطرنا على فطرة الإسلام والتعرض للفاطرية لإيجابها عدم

إيثارهم فرعون عليه تعالى ﴿فأقض ما أنت قاض﴾ جواب عن تهديده بقوله لأقطعن أي فاصنع ما أنت صانعه أو احكم فينا ما أنت فيه حاكم من القطع والصلب.

وفي «التأويلات»: أي: فأحكم وأجر علينا ما قضى الله لنا في الأزل من الشهادة ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾ أي: إنما تصنع ما تهواه أو تحكم بما تراه في هذه الحياة الدنيا ومدة حياتنا فحسب فسيزول أمرك وسلطانك عن قريب وما لنا من رغبة في عذابها ولا رهبة من عذابها [امروز بجور هرچه خواهی میکن فردا بتونیز هرچه خواهند کنند].

﴿إنا أمانا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾ من الكفر والمعاصي ولا يؤاخذ بها في الدار الآخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى تتأثر بما أوعدنا به من القطع والصلب والمغفرة صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عن الدنس. والخطايا جمع الخطية والفرق بينها وبين السيئة أن السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات والخطية فيما يقصد بالعرض لأنها من الخطأ ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ عطف على خطايانا أي: ويغفر لنا السحر الذي عملناه في معارضة موسى بإكراهك وحشرنا إيانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع اندراجهم في خطاياهم إظهاراً لغاية نفرتهم منه ورغبتهم في مغفرته ﴿والله خير﴾ أي: في ذاته وهو ناظر إلى قولهم والذي فطرنا ﴿وأبقى﴾ أي: جزاء ثواباً كان أو عقاباً أو خير لنا منك ثواباً إن أظعناه وأدوم عذاباً منك إن عصيناه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿والله خير﴾ في إيصال الخير ودفع الشر منك ﴿وأبقى﴾ خيره من خيرك وعذابه من عذابك. قال الحسن: سبحانه الله لقوم كفارهم أشد الكافرين كفراً ثبت في قلوبهم الإيمان طرفة عين فلم يتعاضم عندهم أن قالوا: ﴿أقض ما أنت قاض﴾ في ذات الله والله إن أحدهم اليوم ليصحب القرآن ستين عاماً ثم إنه ليبيع دينه بثمن حقير، قال الشيخ سعدى قدس سره:

زيان ميکنند مرد تفسیردان که علم آدب میفروشد بنان
کجا عقل باشرح فتوی دهد که اهل خرد دین بدینی دهد
بدین ای فرومایه دنیی مخر چو خرها بانجیل عیسی مخر
﴿إنه﴾ أي: الشأن وهو تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيراً وأبقى ﴿من﴾ [كس كه]
﴿يأت﴾ [آيد در روز قيامت] ﴿وبه﴾ [نزديك پرور دكار او] ﴿مجرماً﴾ حال كونه متوغلاً في
إجرامه منهمكاً فيه بأن يموت على الكفر والمعاصي ولأنه مذكور في مقابلة المؤمن ﴿فإن له
جهنم لا يموت فيها﴾ فينتهي عذابه ويستريح وهذا تحقيق لكون عذابه أبقي ﴿ولا يحيى﴾ حياة
ينتفع بها.

﴿ومن يأت مؤمناً﴾ به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات التي من جملتها ما شاهدناه ﴿قد﴾ أي: وقد ﴿عمل الصالحات﴾ الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالباً مع الموصوف وهي كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل والنقل ﴿فأولئك﴾ إشارة إلى من والجمع باعتبار معناها أي: فأولئك المؤمنون العاملون للصالحات ﴿لهم﴾ بسبب إيمانهم وأعمالهم الصالحة ﴿الدرجات العلى﴾ جمع العليا تأنيث الأعلى أي: المنازل الرفيعة في الجنة. وفيه إشارة إلى الفرق بين أهل الإيمان المجرد وبين الجامع بين الإيمان والعمل حيث إن الدرجات العالية للثاني وغيرها لغيره.

﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾

﴿جنات عدن﴾ بدل من الدرجات العلى ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ [بيوسته ميرود از زیر منازل آن یا أشجار آن جویها] حال من الجنات ﴿خالدين فيها﴾ حال من الضمير في لهم والعامل معنى الاستقرار أو الإشارة ﴿وذلك﴾ أي: المذكور من الثواب ﴿جزاء من تزكى﴾ الجزء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا والفرق بين الأجر والجزاء أن الأجر يقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال إلا في النفع دون الضر والجزاء يقال فيما كان عن عقد وعن غير عقد ويقال في النافع والضر والمعنى جزاء من تطهر من دنس الكفر والمعاصي بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثواب الله تعالى أبقي وفي الحديث: «إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا أبكر وعمر منهم وانعما» أي: هما أهل لهذا. قالوا ليس في القرآن أن فرعون فعل بأولئك المؤمنين ما أوعدهم به ولم يثبت في الأخبار كما في الأخبار. وقال في «التفسير الكبير»: نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء وفي «بحر العلوم» أصبحوا كفرة وأمسا أبراراً شهداء، وفي «المثنوي»:

ساحران در عهد فرعون لعین	چون مرى کردند با موسى بکین
لیک موسی را مقدم داشتند	ساحران اورا مکرم داشتند
زانکه گفتندش که فرمان آن تست	کو تومی خواهی عصا بفکن نخست
گفت نی اول شما ای ساحران	افکنید آن مکرهارا درمیان
این قدر تعظیم ایشانرا خرید	وازمی آن دست وپاهاشان برید
ساحران چون قدر او نشناختند	دست وپادر جرم آن در باختند

فدلت هذه الأخبار على كونهم شهداء وأن فرعون استعمل الصلب فيهم وإلا لم يكن أول من صلب. فعلى العاقل أن يختار الله تعالى ويتزكى عن الأخلاق الذميمة النفسانية والأوصاف الشنيعة الشيطانية ويتحلى بالأخلاق الروحانية الربانية ويبدل المال والروح لينال أعلى الفتوح جعلنا الله وإياكم من أهل الولاء وممن هان عليه البلاء.

﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾ وبالله لقد أوحينا إليه بعد إجراء الآيات التسع في نحو من عشرين سنة كما في «الإرشاد».

يقول الفقير: يخالفها ما في بعض الروايات المشهورة من أن موسى عليه السلام دعا ربه في حق فرعون وقومه فاستجيب له ولكن أثره بعد أربعين سنة على ما قالوا عند قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُيِّبَتَ دَعْوَتُكُمْ﴾ [يونس: ٨٩] ﴿أَنْ﴾ مفسرة بمعنى أي: أو مصدرية أي: بأن ﴿أسر﴾ بعبادي السرى والإسراء سير الليل أي: قال سر بني إسرائيل من مصر ليلاً، وبالفارسية: [بشب ببرندكان مرا] أمر بذلك لثلا يعوقهم أعوان فرعون ﴿فاضرب لهم﴾ فاجعل من قولهم ضرب له في ماله سهماً أو فاتخذوا عمل من قولهم ضرب اللبن إذا عمله. وفي «الجلالين»: فاضرب لهم بعصاك ﴿طريقاً﴾ الطريق كل ما يطرقه طارق معتاداً كان أو غير معتاد. قال الراغب: الطريق السبيل الذي يطرق بالأرجل ويضرب ﴿في البحر﴾ البحر كل مكان واسع

جامع للماء الكثير والمراد هنا بحر القلزم. قال في «القاموس» هو بلد بين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه أو لأنه يبتلع من ركبته لأن القلزمة الابتلاع **﴿يبساً﴾** صفة لطريقا واليبس المكان الذي كان فيه ماء فذهب. قال في «الإرشاد» أي: يابساً على أنه مصدر وصف به الفاعل مبالغاً، وبالفارسية: [خشك كه دروآب ولاى تبود] **﴿لا تخاف دركاً﴾** حال مقدرة من المأمور أي: موسى والدرك محرقة اسم من الإدراك كالدرك بالسكون. والمعنى حال كونك آمناً من أن يدرككم العدو **﴿ولا تخشى﴾** الفرق.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشِيَهُمْ مِنْ آلَيمٍ مَا غَشِيَهُمْ ۖ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۖ﴾ (٧٨)

﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ الفاء فصيحة أي: ففعل ما أمر به من الإسرائاء بهم وضرب الطريق وسلوكه فتبعهم فرعون ومعه جنوده حتى لحقوهم وقت إشراق الشمس وهو إضاءتها يقال اتبعهم أي: تبعهم وذلك إذا كانوا سبقوك فلحققتهم فالفرق بين تبعه واتبعه أن يقال اتبعه اتباعاً إذ طلب الثاني الحقوق بالأول وتبعه تبعاً إذا مر به ومضى معه.

- روي - أن موسى خرج بهم أول الليل وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً فأخبر فرعون بذلك فأتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة ألف فقص أثرهم فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثني عشر فرقاً كل فرق كالطود العظيم وبقي الماء قائماً بين الطرق فعبّر موسى بمن معه من الأسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده **﴿فغشيهم﴾** سترهم وعلاهم **﴿من اليم﴾** أي: بحر القلزم **﴿ما غشيهم﴾** أي: الموج الهائل الذي لا يعلم كنهه إلا الله.

﴿وأضل فرعون قومه﴾ أي: سلك بهم مسلكاً أذاهم إلى الخيبة والخسران في الدين والدنيا معاً حيث ماتوا على الكفر بالعذاب الهائل الدنيوي المتصل بالعذاب الخالد الأخروي **﴿وما هدى﴾** أي: ما أرشدهم قط إلى طريق موصل إلى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية وهو تقرير لإضلاله وتأكيده له إذ رب مضل قد يرشد من يضلّه إلى بعض مطالبه. وفيه نوع تهكم في قوله: **﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾** [غافر: ٢٩] فإن نفي الهداية من شخص مشعر بكونه ممن تتصور منه الهداية في الجملة وذلك إنما يتصور في حقه بطريق التهكم. يقول الفقير موسى مع قومه إشارة إلى الروح القدسي مع قواه وفرعون مع قومه إشارة إلى النفس الأمارة مع قواها والبحر هو بحر الدنيا فموسى الروح يعبره إما بسفينة الشريعة أو بنور الكشف الإلهي ويغرق فرعون النفس لأنها تابعة لهواها لا شريعة لها ولا كشف فعلم منه أن اتباع أهل الضلال أنفساً وآفاقاً يؤدي إلى الهلاك الصوري والمعنوي واقتداء أهل الهدى يفضي إلى النجاة الأبدية.

زينها راز قرين بد زنهار وقنا ربنا عذاب النار

وأحسن وجوه الاتباع الإيمان والتوحيد لأن جميع الأنبياء متفقون على ذلك والمؤمن في حصن حفظه الله تعالى من الأعداء الظاهرة والباطنة في الدنيا والآخرة.

- حكي - عن عبد الله بن الثقيفي أن الحجاج أحضر أنس بن مالك وقال له: أريد أن أقتلك شر قتلة فقال أنس: لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله تعالى قال الحجاج: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله عليه السلام علمني دعاء وقال: «من دعا به في كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل» وقد دعوت به في صباحي فقال الحجاج: علمني دعاء قال: معاذ الله أن

أعلمه لأحد وأنت حي فقال: خلوا سبيله فقليل له في ذلك فقال: رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين فاتحين أفواههما ولما حضرته الوفاة قال لخادمه إن لك علي حقاً أي: حق الخدمة فعلمه الدعاء المذكور وقال له قل: «بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء» ثم إن هذا في الدنيا وأما في الآخرة فيحفظه من النار والعذاب. واعلم أن موسى نصح فرعون ولكن لم ينجعه الوعظ فلم يدر قدره ولم يقبل فوصل من طريق الرد والعناد إلى الغرق والهلاك نعوذ بالله رب العباد. فعلى العاقل أن يستمع إلى الناصح، قال الحافظ:

امروز قدر پند عزیزان شناختم یا رب روان ناصح ما از تو شاد باد
قوله: امروز يريد به وقت الشيخوخة وفيه إشارة إلى أن وقت الشباب ليس كوقت الكهولة ولذا ترى أكثر الشباب منكبين على سماع الملاهي معرضين عن الناصح الإلهي فمن هداه الله تعالى رجع إلى نفسه ودعا لناصره لأنه ينصح حروفه بالفارسية [ميدوزد دريدهای او] ولا بد للسالك من مرشد ومجاهدة ورياضة فإن مجرد وجود المرشد لا ينفعه ما دام لم يسترشد ألا ترى أن فرعون عرف حقية موسى وما جاء به لكنه أبى عن سلوك طريقه فلم ينتفع به فالأول الاعتقاد ثم الإقرار ثم الاجتهاد وقد قال بعضهم: «إن السفينة لا تجري على اليبس» والنفس تجر إلى الدعة والبطالة وقد قال تعالى: ﴿أَنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة: ٤١] فالعبادة لازمة إلى أن يأتي اليقين حال النشاط والكراهة والجهد ماض إلى يوم القيامة، قال المولى الجامي قدس سره:

بی رنج کسی چون نبردره بسر کنج آن به که بکوشم بتمنا ننشینم
نسأل الله تعالى أن يوفقنا لطريق مرضاته ويوصلنا إلى جناب حضرته.

﴿يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوىٰ﴾

﴿يا بني إسرائيل﴾ أي: قلنا لهم بعد إغراق فرعون وقومه وإنجائهم منهم ﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ فرعون وقومه حيث كانوا يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ويستخدمونكم في الأعمال الشاقة والعدو يجيء في معنى الوحدة والجماعة ﴿وواعدناكم جانب الطور الأيمن﴾ بالنصب على أنه صفة للمضاف أي: واعدناكم بوساطة نبيكم إتيان جانبه الأيمن نظراً إلى السالك من مصر إلى الشام وإلا فليس للجبل يمين ولا يسار أي: إتيان موسى للمناجاة وإنزال التوراة عليه ونسبة المواعدة إليهم مع كونها لموسى نظراً إلى ملاستها إياهم وسراية منفعتها إليهم ﴿ونزلنا عليكم المن﴾ هو شيء كالطل فيه حلاوة يسقط على الشجر يقال له الترنجبين معرب «كرنكبين» ﴿والسلوى﴾ طائر يقال له السمانى كان ينزل عليهم المن وهم في التيه مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع لكل إنسان صاع ويبيع عليهم الجنوب السمانى فيذبح الرجل ما يكفيه والتهى المفازة التي يتاه فيها وذلك حين أمروا بأن يدخلوا مدينة الجبارين فأبوا ذلك فعاقبهم الله بأن يتيهوا في الأرض أربعين سنة كما مر في سورة المائدة ومثل ذلك كمثله الوالد المشفق يضرب ولده العاصي ليتأدب وهو لا يقطع عنه إحسانه فقد ابتلوا بالتهى ورزقوا بما لا تعب فيه.

ای کریمی که از خزانه غیب کبر وترسا وظیفه خوررداری
دوستانرا کجا کنی محروم توکه بادشمنان نظر داری

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

﴿كلوا﴾ أي: وقلنا لكم كلوا ﴿من طيبات ما رزقناكم﴾ أي: من لذيذه أو حلالاته. قال الراغب: أصل الطيب ما تستلذه الحواس والنفس والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز وبقدر ما يجوز ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم وإلا فإنه وإن كان طيباً عاجلاً لم يطب آجلاً ﴿ولا تطغوا فيه﴾ الطغيان تجاوز الحد في العصيان أي: ولا تتجاوزا الحد فيما رزقناكم بالإخلال بشكره وبالسرف والبطر والمنع من المستحق والادخار منه لأكثر من يوم وليلة ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ جواب للنهي أي: فيلزمكم عقوبتي وتجب لكم من حل الدين يحل بالكسر إذا وجب أداءه وأما يحل بالضم فهو بمعنى الحلول أي: النزول والغضب ثوران دم القلب عند إرادة الانتقام وإذا وصف الله تعالى به فالمراد الانتقام دون غيره، وفي «المثنوي»:

شکر منعم واجب امد درخرد ورنه بکشاید درخشم ابد

﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ أي: تردى وهلك وأصله أن يسقط من جبل فيهلك ومن بلاغات الزمخشري من أرسل نفسه مع الهوى فقد هوى في أبعد الهوى.

وفي «التأويلات النجمية»: ونزلنا عليهم المن من صفاتنا والسلوى سلوى أخلاقنا كلوا من طيبات ما رزقناكم أي: اتصفوا بطيبات صفاتنا وتخلقوا بكرائم أخلاقنا التي شرفناكم بها أي: لو لم تكن العناية الربانية لما نجا الروح والقلب وصفاتهما من شر فرعون النفس وصفاتها ولولا التأييد الإلهي لما اتصفوا بصفات الله ولا تخلقوا بأخلاقه ثم قال ولا تطغوا فيه أي: إذا استغنيتم بصفاتي وأخلاقي عن صفاتكم وأخلاقكم فلا تطغوا بأن تدعوا العبودية وتدعوا الربوبية وتسموا باسمي بأن اتصفتم بصفاتي كما قال بعضهم أنا الحق وبعضهم سبحانه وما أشبه هذه الأحوال مما يتولد من طبيعة الإنسانية فإن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى وإن طغيان هذه الطائفة بمثل هذه المقالات وإن كانت هي من أحوالهم لأن الحالات لا تصلح للمقامات وهي موجبة للغضب كما قال تعالى: ﴿فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ أي: نجعل كل معاملاته في العبودية هباءً منثوراً ولهذا الوعيد أمر الله عباده في الاستهداء بقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٧-٦] أي: اهدنا هداية غير من أنعمت عليه بتوفيق الطاعة والعبودية ثم ابتليته بطغيان يحل عليه غضبك ﴿وإني لغفار﴾ لستور ﴿لمن تاب﴾ من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر. قال في «المفاتيح شرح المصابيح» الفرق بين الغفور والغفار أن الغفور كثير المغفرة وهي صيانة العبد عما استحقه من العقاب للتجاوز عن ذنوبه من الغفر وهو لباس الشيء ما يصونه عن الدنس ولعل الغفار أبلغ منه لزيادة بنائه وقيل الفرق بينه وبين الغفار أن المبالغة فيه من جهة الكيفية وفي الغفار باعتبار الكمية ﴿وآمن﴾ بما يجب الإيمان به ﴿وعمل صالحاً﴾ مستقيماً عند الشرع والعقل. وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث على

التوبة والإيمان ﴿ثم اهتدى﴾ أي: استقام على الهدى ولزمه حتى الموت وهو إشارة إلى أن من لم يستمر عليه بمعزل من الغفران وثمر للتراخي الرببي. قال في «بحر العلوم» ثم لتراخي الاستقامة على الخير عن الخير نفسه وفضلها عليه لأنها أعلى منه وأجل لأن الشأن كله فيها وهي مزالة أقدام الرجال. قال ابن عطاء: ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ أي: رجع من طريق المخالفة إلى طريق الموافقة وصدق موعود الله فيه واتبع السنة ﴿ثم اهتدى﴾ أقام على ذلك لا يطلب سواه مسلكاً وطريقاً:

راه سنت رواکر خواهی طریق مستقیم کز سنن راهی بود سوی رضای ذو المنن
هر مزده در چشم وی همچون سنانی بادتیز کرسنان زندگی خواهد زمانی بی سنن
وفي «التأويلات النجمية»: أي: رجع من الطغيان بعبادة الرحمن ﴿وعمل صالحاً﴾
بالعبودية للربوبية ﴿ثم اهتدى﴾ أي: تحقق له أن تلك الحضرة منزهة عن دنس الوهم والخيال
وإن الربوبية قائمة والعبودية دائمة.

اعلم أن التوبة بمنزلة الصابون فكما أن الصابون يزيل الأوساخ الظاهرة فكذلك التوبة تزيل الأوساخ الباطنة أعني الذنوب.

- روي - أن رجلاً قال للدينوري: ما أصنع فكلما وقفت على باب المولى صرفتني البلوى فقال: كن كالصبي مع أمه كلما ضربته يجزع بين يديها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها والتوبة على أقسام: فتوبة العوام من السيئات، وتوبة الخواص من الزلات والغفلات، وتوبة الأكابر من رؤية الحسنات والالتفات إلى الطاعات.

وشرائط البلوى ثلاثة: الندم بالقلب، والاعتذار باللسان بأن يستغفر الله، والإقلاع بالجوارح وهو الكف عن الذنب وفي الحديث «المستغفر باللسان المصغر على الذنوب كالمستهزىء بربه»، وقال المولى قدس سره:

دارم جهان جهان کنه ای شرم روی من چون روی ازین جهان بجهان ذکرنهم
یاران دواسبه عازم ملک یقین شدند تاکی عنان عقل بدست کمان دهم
باخلق لاف توبه ودل برکنه مصر کس پی نمی بردکه بدین کونه کمرهم

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَثَرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِارْضَى ﴿٨٤﴾
قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ مبتدأ وخبر أي: وقلنا لموسى عند ابتداء موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة أي: شيء حملك على العجلة وأوجب سبقتك منفرداً عن قومك وهم النقباء السبعون المختارون للخروج معه إلى الطور وذلك أنه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله وأمرهم أن يتبعوه كما في «الجلالين». قال في «العرائس»: ضاق صدر موسى من معاشرة الخلق وتذكر أيام وصال الحق فعلة العجلة الشوق إلى لقاء الله تعالى. قال الكاشفي: [آورده اندکه بني إسرائيل بعد از هلاک فرعون از موسی علیه السلام استدعا نمودندکه از برای ما قواعد شریعتی و احکام آن مبین ساز موسی در آن باب باحضرت رب الأرباب مناجات کرد خطاب رسیدکه باجمعی از اشراف بني إسرائيل بکوه طور آی تا کتابی که جامع احکام شرع باشد بتودهم موسی هارون رابجای خود بکذاشت وباوجوه قوم که هفتادتن بودند متوجه طور شدند

قوم را وعده کرد که چهل روز دیگر می آیم و کتاب می آورم و چون بنزدیک طور رسیدند قوم را بکذاشت و از غایت اشتیاق که بکلام و پیام الهی داشت زود تر بالای کوه برآمد خطاب ربانی رسید که ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ الخ وجه چیز شتابان ساخت ترانا تعجیل کردی و پیش آمدی از گروه خود ای موسی! .

يقول الفقير: هذا سؤال انبساط كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِمَعِينِكَ﴾ [طه: ۱۷] لا سؤال إنكار كما ظن أكثر المفسرين من الاجلاء وغيرهم.

﴿قال هم أولاء على أثري﴾ يعنيون بعدی، بالفارسیة: [كفت موسی که ایشان گروه مردان اینک می آیند برپی من وساعت بساعت برسند] ﴿وعجلت﴾ بسبقی ایاهم ﴿إليك﴾ [بسوی تو] ﴿رب﴾ [ای پروردگار من] ﴿لترضی﴾ عنی بمسارعتی إلى الامتثال بأمرک واعتنائی بالوفاء بعهدک.

وفي الآيتين إشارة إلى معاني مختلفة:

منها ليعلم أن السائر لا ينبغي أن يتوانى في السير إلى الله ويرى أن رضى الله في استعجاله في السير والعجلة ممدوحة في الدين قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ۱۳۳] والأصل الطلب، وفي «المثنوي»:

کرکران و کر شتابنده بود آنکه جوینده است یابنده بود
در طلب زن دائماً توهر دودست که طلب در راه نیکور هیراست
وقد ورد «إن الأمور مرهونة بأوقاتها» ولذا قال:

چو صبح وصل او خواهد دمیدن عاقبت جامی

مخور غم کرشب هجران بپایان دیرمی آید

ومنها: ينبغي أن السائر لا يتعوق بعائق في السير وإن كان في الله والله كما كان حال موسى في السير إلى الله فما تعوق بقومه واستعجل في السير وبطلت العوائق وقد صح أن المجنون العامري ترك الناقة في طريق ليلي لكونها عائقة عن سرعة السير إلى جنبها فمشى على الوجه كما قال في «المثنوي»:

راه نزدیک و بماندم سخت دیر	سیر کشتم زین سواری سیر سیر
سر نگون خود را زاشتر در فکند	کفت سوزیدم زغم تاچند چند
تنک شد بروی پیابان فراخ	خویشتن افکند اندر سنکلاخ
چون چنان افکند خود را سوی پست	از قضا آن لحظه پایش هم شکست
پای را بر بست و کفتا کوشوم	درخم چو کان غلطان می روم
عشق مولی کی کم از لیلی بود	کوی کشتن بهر او اولی بود
کوی شو می کرد بر پهلوی صدق	غلط غلطان درخم چوکان عشق

ومنها: أن قصد السائر إلى الله تعالى ونيته ينبغي أن يكون خالصاً لله وطلبه لا لغيره كما قال: ﴿وعجلت إليك رب﴾ كان قصده إلى الله، قال الكمال الخجندی:

سالك پاک رونخوا نندش آنکه از ما سوی منزله نیست

ومنها: أن يكون مطلوب السائر من الله رضا لا رضى نفسه منه كما قال: ﴿لترضی﴾ كما في «التأويلات النجمية»:

﴿قال﴾ الله تعالى وهو استئناف بياني: ﴿فإنا قد فتننا قومك من بعدك﴾ القيناهم في فتنه من بعد خروجك من بينهم وابتليناهم في إيمانهم بخلق العجل وهم الذين خلفهم مع هارون على ساحل البحر وكانوا ستمائة ألف ما نجا منهم من عبادة العجل إلا اثنا عشر ألفاً قال الله تعالى لموسى: أتدري من أين أتيت: قال: لا يا رب قال: حين قلت لهارون اخلفني في قومي أين كنت أنا حين اعتمدت على هارون. وفيه إشارة إلى أن طريق الأنبياء ومتبعيهم محفوظ بالفتنة والبلاء كما قال عليه السلام: «إن البلاء موكل بالأنبياء الأمثل فالأمثل» وقد قيل: إن البلاء للولاء كاللهب للذهب وإلى أن فتنه الأمة والمريد مقرونة بمفارقة الصحبة من النبي والشيخ كما قال تعالى: ﴿فإنا قد فتننا قومك من بعدك﴾ أي: بعد مفارقتك إياهم فإن المسافر إذا انقطع عن صحبة الرفقة افتتن بقطاع الطريق والغيلان، قال الحافظ:

قطع این مرحله بی هم رهی خضر مکن ظلماتست بترس از خطر کمراهی

- روي - أنهم أقاموا على ما وصى به موسى عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوا مع أيامها أربعين وقالوا: قد أكملنا العدة وليس من موسى عين ولا أثر ﴿وأضلهم السامري﴾ حيث كان هو المدبر في الفتنة والداعي إلى عبادة العجل. قال في «الأسئلة المقحمة»: أضاف الإضلال إلى السامري لأنه كان حصل بتقريره ودعوته وأضاف الفتنة إلى نفسه لحصولها بفعله وقدرته وإرادته وخلقها وعلى هذا أبدا إضافة الأشياء إلى أسبابها ومسبباتها انتهى. وإخباره تعالى بوقوع هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام إما باعتبار تحققها في علمه ومشيته تعالى وإما بطريق التعبير عن المتوقع بالواقع أو لأن السامري قد عزم على إيقاع الفتنة على ذهاب موسى وتصدي لترتيب مبادئها فكانت الفتنة واقعة عند الإخبار. والسامري رجل من عظماء بني إسرائيل منسوب إلى قبيلة السامرة منهم أو عالج من أهل کرمان من قوم يعبدون البقر وحين دخل ديار بني إسرائيل أسلم معهم وفي قلبه حب عبادة البقر فابتلى الله بني إسرائيل فكشف له عن بصره فرأى أثر فرس الحياة لجبريل ويقال له حيزوم وأخذ من تراهيه وألقاه بوحى الشيطان في الحلى المذابة كما يجيء. قال الكاشفي: [أصح أنست که او از اسرائیلیانست ودر وقتی که فرعون ابنای ایشانرا می کشت او متولد شده ومادر بعد از تولد او را بکنارنیل در جزیره بیفکند وحق سبحانه جبرائیل را امر فرمود تا او را پرورش دهد ومأکول ومشروب وی مهیا کرداند محافظت نموده ازیں وقت که موسى بطور رفت سامري نزد هارون آمده گفت قدری بیرایه که از قبطیان عاریت گرفته ایم باماست ومارا در آن تصرف کردن روانیست ومی بینم که بني اسرائیل آنرا می خرنند ومی فروشند حکم فرمای تاهمه جمع کنند وبسوزند هارون امر فرمودکه تمام پیرایه ها آوردند ودر حفره ریختند ودرآن آتش زدند وسامری زرکری چالاک بودهمین که ان زر بکداخت وی قالبی ساخته بود وآن زر کداخته دران ریخته وشکل کوساله بیرون آورد وقدری ازخاک زیرسم جبریل که فرس الحیاة می گفتند در درون وی ریخت فی الحال زنده کشت وکوشت وبوست برویداشت وبآواز در آمد وکویند زنده نشد لیک بآن وضع ریخته بود بانکی کردکه چهاردانک قوم بني اسرائیل ویراسجده کردند حق تعالى موسى را خبر دادکه قوم توبعد از خروج توکوساله پرست شدند]

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقُولُونَ لِمَ يَبْعَثُ رَبُّكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ وَرَدَّ حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي﴾ (١٨٦)

﴿فرجع موسى إلى قومه﴾ أي: بعدما استوفى الأربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وأخذ الألواح المكتوب فيها التوراة وكانت ألف سورة كل سورة ألف آية يحمل أسفارها سبعون جماً ﴿غضبنا﴾ [خشمناك بريشان] ﴿أسفاً﴾ [اندوهكين از عمل ايشان] أي: شديد الحزن على ما فعلوا أو شديد الغضب ومنه قوله عليه السلام في موت الفجأة «رحمة للمؤمنين وأخذة أسيف للكافرين». قال الإمام الراغب الأسف الحزن والغضب معاً وقد يقال لكل منهما على الانفراد. قال الكاشفي: [چون بميان قوم رسيد بانك وخروش ايشان شنيدكه كردا كرد كوساله دف ميزدند ورقص ميكرند بعتاب آغاز كرد ازروي ملامت] ﴿قال يا قوم﴾ [اي كروه من] ﴿ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ بأن يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى أي: وعدكم وعداً صادقاً بحيث لا سبيل لكم إلى إنكاره. قال في «بحر العلوم» ﴿وعداً حسناً﴾ أي: متناً في الحسن فإنه تعالى وعدهم أن يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد أحسن من ذلك وأجمل. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا وعد قوماً لا بد له من الوفاء بالوعد فيحتمل أن يكون ذلك الوفاء فتنة للقوم وبلاء لهم كما كان لقوم موسى إذ وعدهم الله بآيتاء التوراة ومكالمته موسى وقومه السبعين المختارين فلما وفى به تولدت لهم الفتنة والبلاء من وفائه وهي الضلال وعبادة العجل ولكن الوعد لما كان موصوفاً بالحسن كان البلاء الحاصل من الوعد الحسن بلاء حسناً وكان عاقبة أمرهم التوبة والنجاة ورفع الدرجات ﴿أفطال عليكم العهد﴾ الفاء للعطف على مقدر والهمزة لأنكار المعطوف ونفيه فقط أي: أوعدكم ذلك فطال زمان الإنجاز فأخطأتم بسببه. وفي «الجلالين» مدة مفارقتي إياكم يقال طال عهدي بك أي: طال زماني بسبب مفارقتك ﴿أم أردتم أن يحل﴾ يجب كما سبق ﴿عليكم غضب﴾ عذاب عظيم وانتقام شديد كائن ﴿من ربكم﴾ من مالك أمركم على الإطلاق بسبب عبادة ما هو مثل في الغباوة والبلادة ﴿فأخلفتم موعدي﴾ أي: وعدكم إياي بالثبات على ما أمرتكم به إلى أن أرجع من الميقات على إضافة المصدر إلى مفعوله والفاء لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كأنه قيل أنسيتم الوعد بطول العهد فأخلفتموه خطأ أم أردتم حلول الغضب عليكم فأخلفتموه عمداً.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقُورِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾

﴿١٧﴾

﴿قالوا ما أخلفنا موعدك﴾ أي: وعدنا إياك الثبات على ما أمرتنا به ﴿بملكنا﴾ أي: بقدرتنا واختيارنا لكن غلبنا من كيد السامري وتسويله وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه ويكون مغلوباً والملك القدرة ﴿ولكننا حملنا أوزاراً من زينة القوم﴾ جمع وزر بالكسر بمعنى الحمل الثقيل أي: أحمالاً من حلي القبط التي استعرتها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس ﴿فقذفناها﴾ أي: طرحنا الحلي في النار رجاء للخلاص من ذنبها ﴿فكذلك﴾ أي: مثل ذلك القذف ﴿ألقي السامري﴾ أي: ما معه من الحلي وقد كان أراهم أنه أيضاً يلقي ما كان معه من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وإنما كان الذي ألقاه التربة التي أخذها من أثر فرس الحياة وكان لا يخالط شيئاً إلا غيره وهو من الكرامة التي خصها الله بروح القدس.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَداً لَّهُمْ خُوراً فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَتَقَوَّمُوا إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾﴾

﴿فأخرج﴾ أي: السامري بسبب ذلك التراب ﴿لهم﴾ أي: للقائلين ﴿عجلاً﴾ من تلك الحلي المذابة وهو ولد البقرة ﴿جسداً﴾ بدل منه أو جثة ذا دم ولحم أو جسداً من ذهب لا روح له ولا امتناع في ظهور الخارق على يد الضال ﴿له خوار﴾ نعت له يقال خار العجل خواراً إذا صاح أي: صوت عجله فسجدوا له ﴿فقالوا﴾ أي: السامري ومن افتتن به أول ما رأى ﴿هذا﴾ العجل ﴿إلهكم وإله موسىٰ فنسي﴾ أي: غفل عنه وذهب يطلبه في الطور وهذا حكاية نتيجة فتنة السامري فعلاً وقولاً من جهته تعالى قصداً إلى زيادة تقريرها ثم ترتيب الإنكار عليها لا من جهة القائلين وإلا لقليل فأخرج لنا ولا شك أن الله خلقه ابتلاء لعباده ليظهر الثابت من الزائف وأعجب من خلق الله العجل خلقه إبليس محنة لهم ولغيرهم.

﴿أفلا يرون﴾ الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي: ألا يتفكرون فلا يعلمون ﴿أن﴾ مخففة من الثقيلة أي: أنه ﴿لا يرجع﴾ [بازنمی کرداند کوساله] ﴿إليهم﴾ [بسوی ایشان] ﴿قولا﴾ كلاماً ولا يرد عليهم جواباً، يعني: [هر چند اورا می خوانند جواب نمی دهد] فكيف يتوهمون أنه آله فقلوه يرجع من الرجوع المتعدي بمعنى الإعادة لا من الرجوع اللازم بمعنى العود ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي: لا يقدر على أن يدفع عنهم ضرراً أو يجلب لهم نفعاً.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا أراد أن يقضي قضاء سلب ذوي العقول عقولهم وأعمى أبصارهم بعد أن رأوا الآيات وشاهدوا المعجزات كأنهم لم يروا شيئاً فيها فلهذا قال: ﴿أفلا يرون﴾ يعني العجل وعجزه ﴿أن لا يرجع إليهم قولاً﴾ أي: شيئاً من القول ﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾ انتهى.

وفي الآيات إشارات:

منها: أن الغضب في الله من لوازم نشأة الإنسان الكامل لأنه مرآة الحضرة الإلهية وهي مشتملة على الغضب ورد عن النبي عليه السلام أنه كان لا يغضب لنفسه وإذا غضب لله لم يقم لغضبه شيء فمن العباد من يغضب الحق لغضبه ويرضى لرضاه بل من نفسي غضبه غضب الحق وعين رضاه هو رضى الحق فمطلق غضبهم في الحقيقة عبارة عن تعين غضب الحق فيهم من كونهم مجاليه ومجالي أسمائه وصفاته لا كغضب الجمهور. قال أبو عبد الله الرضي: إن الله لا يأسف كأسفنا ولكن له أولياء يأسفون ويرضون فجعل رضاهم رضاه وغضبهم غضبه قال: وعلى ذلك قال: «من أهان لي ولياً فقد بارزني في المحاربة». فعلى العاقل أن يتبع طريق الأنبياء والأولياء ويغضب للحق إذا رأى منكراً:

كرت نهی منکر بر آید زدست شاید چوبی دست وپایان نشست

چو دست وزبانرا نماند مجال بهمت نمایند مردی رجال

ومنها: أي من أسباب غضب الله تعالى الخلف بالوعد ونقض العهد فلا بد لطالب الرحمة من الاستقامة والثبات:

ازدم صبح ازل تا آخر شام آبد دوستی ومهر بریک عهد ویک میثاق بود
[وفي «وصايا الفتوحات» حق تعالى بموسى عليه السلام وحى کرد هرکه بامید توآید اورا
بی بهره مکذار وهرکه زینهار خواست اورا زینهارده. موسی درسیاحت بودنا کاه کبوتری بر
کتف او نشست وبازی در عقب او می آمد وقصد آن کبوتر داشت بر کتف دیگر فرو آمد آن
کبوتر درآستین موسی در آمد وزینهار می خواست وباز بزبان فصیح بموسى آواز دادکه ای پسر
عمران مرا بی بهره مکذار ومیان من ورزق من جدایی میفکن موسی گفت چه زود مبتلا شدم
ودست کردتا ازران خود پاره قطع کند برای طعمه بازتا حفظ عهد کرده باشد وبکار هر دو
وفانموده گفتند یا ابن عمران تعجیل مکن که مارسلانیم وغرض آن بودکه صحت عهد تو
آزمایش کنیم]:

أيا سامعاً ليس السماع بنافع إذا أنت لم تفعل فما أنت سامع
إذا كنت في الدنيا من الخير عاجزاً فما أنت في يوم القيامة صانع
ومنها: أن متاع الدنيا سبب الغرور والفساد والهلاك ألا ترى أن فرعون اغتر بدنياه فهلك
وأن السامري صاغ من الحلي عجلاً فأفسد ولو لم يستصحبوها حين خرجوا من مصر لنجوا من
عبادته والابتلاء بتوبته نسأل الله تعالى أن يهدينا هداية كاملة إلى جنبه ولا يردنا عن بابه ولا
يبتلينا بأسباب عذابه.

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: وبالله لقد نصح لهم هارون ونبههم على كنه الأمر
من قبل رجوع موسى إليهم وخطابه إياهم بما ذكر من المقالات ﴿يا قوم﴾ [أي كروه من]
﴿إنما فتنتم به﴾ أي: أوقعتم في الفتنة بالعجل وأضللتهم به على توجيه القصر المستفاد من كلمة
إنما إلى نفس الفعل بالقياس إلى مقابله الذي يدعيه القوم لا إلى قيده المذكور بالقياس إلى قيد
آخر على معنى إنما فعل بكم الفتنة لا «الإرشاد» إلى الحق لا على معنى إنما فتنتم بالعجل لا
بغيره ﴿وإن ربكم﴾ المستحق للعبادة هو ﴿الرحمن﴾ المنعم بجميع النعم لا العجل وإنما ذكر
الرحمن تنبيهاً على أنهم إن تابوا قبل توبتهم وإذا كان الأمر كذلك ﴿فاتبعوني﴾ في الثبات على
الدين ﴿وأطيعوا أمري﴾ هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شأنه وما أحسن هذا الوعظ فإنه زجرهم
عن الباطل بقوله: ﴿إنما فتنتم به﴾ وأزال الشبهات أولاً وهو كإمالة الأذى عن الطريق ثم
دعاهم إلى معرفة الله بقوله: ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ فإنها الأصل ثم إلى معرفة النبوة بقوله:
﴿فاتبعوني﴾ ثم إلى الشرائع فقال: ﴿وأطيعوا أمري﴾ وفي هذا الوعظ شفقة على نفسه وعلى
الخلق أما على نفسه فإنه كان مأموراً من عند الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن عند
أخيه بقوله: ﴿أَخْلَقْنِي فِي قُوًى وَأَصْلَحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فلو لم يأمر
بالمعروف ولم ينه عن المنكر لخالف أمر الله وأمر موسى وأنه لا يجوز. أوحى الله إلى يوشع
أنني مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم وستين ألفاً من شرارهم فقال: يا رب هؤلاء
الأشرار فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبي وفي الحديث: «مثل المؤمنين في
توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى»، قال الشيخ سعدى قدس سره:

بني آدم اعضای یکدیگرند که در آفرینش ریک کوهنرند
چو عضوی بدرد آورد روزگار دگر عضوها را نماند قرار

تو کز محنت دیگران بی غمی نشاید که نامت نهند آدمی
ثم إن هارون رأى المتهافتين على النار فلم يبال بكثرتهن ولا نفرتهم بل صرح بالحق:
بکوی آنچه دانی سخن سودمند وکر هیچ کس را نیاید پسند
که فردا پشیمان بر آرد خروش که آوخ چرا حق نکردم بکوش
ولهنا دقيقة وهي أن الرافضة تمسكوا بقوله عليه السلام: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» ثم إن هارون ما منعه التقية في مثل هذا الجمع العظيم بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس إلى متابعة نفسه والمنع من متابعة غيره فلو كانت أمة محمد على الخطأ لكان يجب أن يفعل مثل ما فعل هارون وأن يصعد المنبر من غير تقية وخوف ويقول فاتبعوني وأطيعوا أمري فلما لم يقل كذلك علمنا أن الأمة كانوا على الصواب وقد ثبت أن علياً أحرق الزنادقة الذين قالوا بإلهيته لما كانوا على الباطل.

﴿قالوا﴾ في جواب هارون ﴿لن نبرح عليه﴾ لن نزال على العجل وعبادته ﴿عاكفين﴾ مقيمين. قال الراغب: العكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم. قال في «الكبير» رحمته تعالى خلصتهم من آفات فرعون ثم إنهم لجهلهم قابله بالتقليد فقالوا: ﴿لن نبرح عليه عاكفين﴾ ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ أي: لا نقبل حجتك وإنما نقبل قول موسى. وقال في «الإرشاد»: وجعلوا رجوعه عليه السلام إليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه بل بطريق التعلل والتسويق وقد دسوا تحت ذلك أنه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلاً على مقابلة السامري.

- روي - أنهم لما قالوه اعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصباح وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا.

وفي «التأويلات النجمية»: لم يسمعوا قول هارون لأنهم عن السمع الحقيقي لمعزولون فلهذا ﴿قالوا لن نبرح﴾ الخ وفيه إشارة إلى أن المريد إذا استسعد بخدمة شيخ كامل واصل وصحبه بصدق الإرادة ممثلاً لأوامره ونواهيهِ قابلاً لتصرفات الشيخ في إرشاده يصير بنور ولايته سمياً بصيراً يسمع ويرى من الأسرار والمعاني بنور ولاية الشيخ ما لم يكن يسمع ويرى ثم إن ابتلي بمفارقة صحبة الشيخ قبل أوانه يزول عنه نور الولاية أو يحتجب بحجاب ما ويبقى أصم وأعمى كما كان حتى يرجع إلى صحبة الشيخ ويتنور بنور ولايته.

﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۖ أَلا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۚ﴾ (٩٢) ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۚ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٩٤) ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِعُ﴾ (٩٥)

﴿قال﴾ استئناف بياني كأنه قيل فما قال لهارون حين سمع جوابهم له وهل رضي بسكوته بعدما شاهد منهم ما شاهد فقل: قال له وهو مغتاظ وقد أخذ بلحيته ورأسه وكان هارون طويل الشعر ﴿يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾ أخطأوا طريق عبودية الله بعبادة العجل وبلغوا من المكابرة إلى أن شافهوك بالمقالة الشنعاء.

﴿أن لا تتبعن﴾ لا مزيدة وهو مفعول ثان لمنع وهو عامل في إذ أي: أي شيء منعك

حين رؤيتك لضلالهم من أن تتبعني في الغضب لله والمقاتلة مع من كفر به وأن تأتي عقي وتلحقني وتخبرني لأرجع إليهم لثلا يقعون في هلاك هذه الفتنة أو غير مزيدة على أن منعك مجاز عن دعاك. والمعنى ما دعاك إلى ترك اتباعي وعدمه في شدة الغضب لله ولدينه ونظير لا هذه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] في الوجهين.

قال في «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن موسى لما كان بالميقات مستغرقاً في بحر شواهد الحق ما كان يرى غير الحق ولم يكن محتجباً بحجب الوسائط حتى أن الله تعالى ابتلاه بالوسائط بقوله: ﴿إِنَّا قَدْ فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري﴾ أضاف الفتنة إلى نفسه وأحال الإضلال إلى السامري اختباراً ليعلم منه أنه هل يرى غير الله مع الله في أفعاله الخير والشر فما التفت إلى الوسائط وما رأى الفعل في مقام الحقيقة على بساط القرية إلا منه وقال في جوابه: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] أضاف الفتنة والإضلال إليه تعالى مراعيّاً حق الحقيقة على قدم الشريعة إلى نور الحقيقة قال: يا هارون ﴿أفَعْصَيْتَ أَمْرِي﴾ أي: بالصلابة في الدين والمحاماة عليه كما عصى هؤلاء القوم أَمْرِي وأمر الله فإن قوله عليه السلام: ﴿أَخْلَفْنِي﴾ [الأعراف: ١٤٢] متضمن للأمر بهما حتماً فإن الخلافة لا تتحقق إلا بمباشرة الخليفة ما كان يباشره المستخلف لو كان حاضراً والهمزة للإنكار التوبيخي والفاء عطف على مقدر يقتضيه المقام أي: أخلفتني فعصيت أَمْرِي.

﴿قال يا ابن أم﴾ الأم بإزاء الأب وهي الوالدة القرية التي ولدته والبعيدة التي ولدت من ولدته ويقال لكل ما كان أصلاً لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم وأصله يا ابن أمي أبدل الباء ألفاً فقيلاً: يا ابن أم ثم حذف الألف واكتفى بالفتحة لكثرة الاستعمال وطول اللفظ وثقل التضعيف وقرئ يا ابن أم بالكسر بحذف الباء والاكتفاء بالكسرة وخص الأم بالإضافة استعظاماً لحقها وترقيفاً لقلبه واعتداداً لنسبها وإشارة إلى أنهما من بطن واحد وإلا فالجمهور على أنهما لأب وأم. قال بعض الكبار كانت نبوة هارون من حضرة الرحمة كما قال تعالى: ﴿وَوَعَيْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٣] ولذا ناداه بأمه إذ كانت الرحمة للام أوفر ولذا صيرت على مباشرة التربية.

وفي «التأويلات النجمية»: لما رأى هارون موسى رجع من تلك الحضرة سكران الشوق ملآن الذوق وفيه نخوة القرية والاصطفاء والمكالمة ما وسعه إلا التواضع والخشوع فقال: يا ابن أم ﴿لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ أي: بشعر رأسي وخاطبه بيا بن أم لمعنيين أحدهما ليأخذه رافة صلة الرحم فيسكن غضبه والثاني ليذكره بذكر أمه الحالة التي وقعت له في الميقات حين سأل ربه الرؤية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً وجاء الملائكة في حال تلك الصعقة يجرون برأسه ويقولون يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الأرياب، قال الحافظ: برو اين دام برمرغ دكرنه كه عنقارار بلنداست آشيانه وقال:

عنقا شكاركس نبود دام بازچين كآنجا هميشه بادبد سشت دام را
- روي - أنه أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وغضبه لله وكان حديداً متصلياً في كل شيء فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل ففعل ما فعل بمرأى من قومه أي: بمكان يراه قومه ويرون ما يفعل بأخيه ﴿إني خشيت﴾ لو قاتلت بعضهم ببعض وتفرقوا ﴿أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ برأيك وأراد بالتفريق ما يستتبعه القتال من تفريق لا يرجى بعده

الاجتماع. وفي «الجلالين»: خشيت إن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا حزينين يقتل بعضهم بعضاً فتقول: أوقعت الفرق فيما بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ لم تحفظ وصيتي في حسن الخلافة عليهم يريد به قوله: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ [الأعراف: ١٤٢] فإن الإصلاح ضم النشر وحفظ جماعات الناس والمداواة بهم إلى أن ترجع إليهم وترى فيهم ما ترى فتكون أنت المتدارك للأمر بنفسك المتلافي برأيك لا سيما وقد كانوا في غاية القوة ونحن على القلة والضعف كما يعرف عنه قوله: ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوا وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ [الأعراف: ١٥٠]. وفي «العيون»: أي: لم تنظر في أمري أو لم تنتظر قدومي.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني منعني ترقب قولك وإطاعة أمرك عن اتباعك لا عصيان أمرك انتهى وهذا الكلام من هارون اعتذار والعذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة أضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرج عنه كونه مذنباً أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر دون العكس وكان هارون حليماً رفيقاً ولذا كان بنو إسرائيل أشد حبالة. وعن علي رضي الله عنه أحسن الكنوز محبة القلوب. قال سقراط: من أحسن خلقه طابت عيشته ودامت سلامته وتأكدت في النفوس محبته ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ودامت بغضته ونفرت النفوس منه. قال بزرجمهر ثمرة القناعة الراحة وثمره التواضع المحبة:

أرى الحلم في بعض المواضع ذلة وفي بعضها عزاً يسود فاعله
قال أرسطو بإصابة المنطق يعظم القدر وبالتواضع تكثر المحبة وبالحلم تكثر الأنصار
وبالرفق تستخدم القلوب وبالإخاء يدوم الإخاء وكان النبي عليه السلام لم يخرج عن حد اللين
والرفق ولذا قال في وصفه بالمؤمنين ﴿رَهُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] وفي «المثنوي»:

بندكان حق رحيم وبردبار خوى حق دارند در اصلاح كار
مهربان بى رشوتان يارى کران در مقام سخت ودر روز کران
هين بجو اين قوم را اى مبتلا هين غنيمت دارشان پيش از بلا
﴿قال﴾ كأنه قيل فماذا صنع موسى بعد اعتذار القوم واعتذار هارون واستقرار أصل الفتنة على السامري فليل قال موبخاً له هذا شأنهم ﴿فما خطبك يا سامري﴾ الخطب لغة الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب وهو من تقاليد الخطب. ففيه إشارة إلى عظيم خطبه والمعنى ما شأنك وما مطلوبك فيما فعلت وما الذي حملك عليه، وبالفارسية: [چيست اين كار عظيم ترا اى سامرى يعني اين چيست كه كردى] خاطبه بذلك ليظهر للناس بطلان كيدته باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالاً للمفتونين به ولمن خلفهم من الأمم. قال بعض الكبار ﴿فما خطبك يا سامري﴾ يعني فيما صنعت من عدوك إلى صورة العجل على الاختصاص وصنعك هذا الشبح من حلي القوم حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم فإن عيسى عبد الله يقول لبني إسرائيل يا بني إسرائيل قلب كل إنسان حيث ماله فاجعلوا أموالكم في السماء تكن قلوبكم هناك أي: تصدقوا وقدموا إلى الآخرة التي هي أبقي وأعلم وما سمي المال مالاً إلا لكونه بالذات تميل القلوب إليه في نيل المقاصد وتحصيل الحوائج، وفي «المثنوي»:

مال دنيا دام مرغان ضعيف ملك عقبى دام مرغان شريف
هين مشو كر عارفى مملوك ملك مالك الملك آنكه بجهد اوز هلك

﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (٩٦) ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (٩٧) ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (٩٨)

﴿قال﴾ السامري مجيباً لموسى عليه السلام ﴿بصرت بما لم يبصروا به﴾. قال في «القاموس» بصر به ككرم وفرح بصراً وبصارة وبكسر صار مبصراً. وفي المفردات قلما يقال بصرت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب. والمعنى رأيت ما لم يره القوم وقد كان رأى أن جبريل جاء راكب فرس وكان كلما وضع الفرس يديه أو رجله على الطريق ليس يخرج من تحته النبات في الحال فعرف أن له شأنًا فأخذ من موطئه حفنة. وفي الكبير رآه يوم فلق البحر حين تقدم خيل فرعون راكباً على رمكة ودخل البحر. وفي غيره حين ذهب به إلى الطور. وفي «الجلالين» قال موسى وما ذلك قال رأيت جبرائيل على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من أثرها فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم فحين رأيت قومك سألوكم أن تجعل لهم إلهاً زينت لي نفسي ذلك فذلك قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ أي: من تربة موطئ فرس الملك الذي أرسل إليك والمراد فرس الحياة لجبريل ولم يقل جبريل أو روح القدس لأنه لم يعرف أنه جبريل والقبضة المرة من القبض وهو الأخذ بجميع الكف أطلقت على المقبوض مرة ﴿فنبذتها﴾ النبذ القاء الشيء وطرحه لقلّة الاعتداد به أي: طرحتها في الحلي المذابة أو في فم العجل فكان ما كان. وفي «العرائس»: قبض السامري من أثر فرسه قبضة لأنه سمع من موسى تأثير القدسيتين في أشباح الأكوان فنثرها على العجل الذهبي فجعل الحق لها إكسيراً من نور فعله ولذا حيى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿بصرت﴾ يعني خصص بكرامة فيما رأيت من أثر فرس جبريل والهمت بأن له شأنًا ما خص به أحد منكم ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾ يشير بهذا المعنى إلى أن الكرامة لأهل الكرامة كرامة ولأهل الغرامة فتنة واستدراج. والفرق بين الفريقين أن أهل الكرامة يصرفونها في الحق والحقيقة وأهل الغرامة يصرفونها في الباطل والطبيعة كما أن الله تعالى أنطق السامري بنيته الفاسدة الباطلة بقوله: ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي: بشقاوتي ومحنتي والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه وتصوير القبيح منها بصورته الحسن وأصل التركيب سولت لي نفسي تسويلاً كائناً مثل ذلك التسويل على أن يكون مثلي صفة مصدر محذوف وذلك إشارة إلى مصدر الفعل المذكور بعد فقَدَمَ على الفعل لإفادة القصر واعتبرت الكاف مقحة لإفادة تأكيد ما أفاده اسم الإشارة من الفخامة فصار مصدراً مؤكداً لا صفة أي: ذلك التزيين البديع زينت لي نفسي ما فعلته من القبض والنبذ لا تزييناً أدنى ولذلك فعلته وحاصل جوابه أن ما فعله إنما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الأمارة بالسوء وغواها لا بشيء آخر من البرهان العقلي والإلهام الإلهي. قال الكاشفي: [در لباب آورده كه موسى عليه السلام قصد قتل سامري كرد از حق سبحانه وتعالى ندا آمد اورا مكش كه صفت سخاوت برو غالبست وچون از سخای او خلق را منفعت بود نفع حیات از ریزان نتوان داشت سرّ واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض اينجا ظاهر ميشود]:

هرنهار لی که برك دارد ویر باد زاب حیات تازه وتر
وانچه بی میوه باشد وسایه به که گردد تنوررا مایه
فعدن ذلك.

﴿قال﴾ موسى مكافأ له. قال الكاشفي: [كفت موسى مر سامري راکه چون مرا از قتل
تومنع کردند] ﴿فأذهب﴾ أي: من بين الناس ﴿فإن لك في الحياة﴾ أي: ثابت لك مدة حياتك
عقوبة ما فعلت ﴿أن تقول لا مساس﴾ قال في «المفردات» المس كالمس لكن اللمس قد يقال
لطلب الشيء وإن لم يوجد والمس يقال فيما يكون معه إدراك بحاسة اللمس. وفي «القاموس»
قوله تعالى: ﴿لا مساس﴾ بالكسر أي: لا أمس ولا أمسى وكذلك التماس ومنه من قبل أن
يتماسا انتهى أي: لا يمسنى أحد ولا أمس أحداً خوفاً من أن تأخذكما الحمى.

- روي - أنه كان إذا ماس أحداً ذكراً أو أنثى حم الماس والممسوس جميعاً حمى شديدة
فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح بأقصى صوته لا مساس وحرّم عليهم ملاقاته ومواجهته
ومكالمته ومبايعته وغيرها مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات فصار وحيداً طريداً
يهيم في البرية مع الوحش والسباع [و در بعضی تفاسیر هست که جمعی از اولاد سامري درين
زمان کوساله پرست اند همان حال دارند] يعني أن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى اليوم، يقول
الفقير: التناسل موقوف على مخالطة الأزواج والأولاد فكيف تقوم هذه الدعوى. قال في
«الإرشاد»: لعل السر في مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما من مناسبة التضاد فإنه لما
أنشأ الفتنة بما كانت ملابسته سبباً لحياة الموات عوقب بما يضاده حيث جعلت ملابسته للحمى
التي هي من أسباب موت الاحياء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن قصدك ونيتك فيما سولت نفسك أن تكون مطاعاً
متبوعاً ألفاً مألوفاً فجزاؤك في الدنيا أن تكون طريداً وحيداً ممقّتاً ممقوتاً متشرداً متنفراً تقول
لمن رآك لا تمسنى ولا أمسك فنهلك:

چون عاقبت ز صحبت یاران بریدنست پیوند باکسی نکند آنکه عاقلست
وذلك لأن في الانقطاع بعد الاتصال الماً شديداً بخلاف الانقطاع الأصلي ولذا قال من
قال:

الفت مكير همجو الف هیچ باکسی تابسته الم نشوى وقت انقطاع
﴿وإن لك موعداً﴾ أي: وعداً في الآخرة بالعقاب على الشرك والإفساد ﴿لن تخلفه﴾
أي: لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه البتة بعدما عاقبك في الدنيا والخلف والإخلاف
المخالفة في الوعد يقال وعدني فأخلفني أي: خالف في الميعاد ﴿وانظر إلى إلهك﴾ معبود
بزعمك ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ أصله ظللت فحذفت اللام الأولى تخفيفاً. قال في
«المفردات»: ظلت بحذف إحدى اللامين يعبر به عما يفعل بالنهار ويجري مجرى صرت.
والمعنى صرت مقيماً على عبادته. وأما بالفارسية: [بودی پیوسته بر پرستش او] ﴿لنحرقنه﴾
جواب قسم محذوف أي: بالنار ويؤيده قراءة ﴿لنحرقنه﴾ من الإحراق وهو إيقاع نار ذات لهب
في الشيء بخلاف الحرق فإنه إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب كحرق الثوب بالدق. قال
الكاشفي: [واين قول كسيست كه كويد آن كاورا كوشت وپوست بود] او بالمبرد، بالفارسية:
[سوهان] على أنه مبالغة في حرق إذا برد بالمبرد ويعضده قراءة ﴿لنحرقنه﴾ أي: لنبردنه يقال

بردت الحديد بالمبرد والبرادة ما سقط منه . قال الكاشفي : [واين بران قوليست كه او جسدی بودزرين بى حیات] ﴿ثم لننصفه في اليم نصفاً﴾ أي : لنذرينه في البحر رماداً أو مبروداً بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر من نسفت الريح التراب إذا أفلعته وأزالته وذرتة . والنسف بالفارسية [بر كندن] للنبات من أصله [وبربودن] كما في «التهذيب» . والذر [وبباد بر دادن وباد چیزی را بر داشتن] . قال الكاشفي : [پس پرا كنده سازيم خاكستر اورا در دریا تابدانند كه اورا كه توان سوخت صفت الوهیت بروعين جهل ومحض خلافت] ﴿إنما إلهكم﴾ أي : معبودكم المستحق للعبادة ﴿الله الذي لا إله﴾ في الوجود لشيء من الأشياء ﴿إلا هو﴾ وحده من غير أن يشاركه شيء من الأشياء بوجه من الوجوه التي من جعلتها أحكام الألوهية . قال في «بحر العلوم» قوله : ﴿الذي لا إله إلا هو﴾ تقرير لاختصاص الإلهية ونحوه قولك القبلة الكعبة التي لا قبله إلا هي ﴿وسع كل شيء علماً﴾ أي : وسع علمه بكل ما كان وما يكون أي : علم كل شيء وأحاط به بدل من الصلة كأنه قيل إنما الحكم الذي وسع كل شيء علماً لا غيره كائناً ما كان فدخل فيه العجل دخولاً أولاً . قال الكاشفي : [نه قالب كوساله كه اگرچه زنده نيز باشد مثلست درغباوت ونادانی] روي أن موسى أخذ العجل فذبحه ثم حرقه بالنار ثم ذراه في البحر زيادة عقوبة حيث أبطل سعيه وأظهر غباوة المفتتين به :

بادست موسوی چه زند سحر سامری

قال الحافظ :

سحر با معجزه پهلوی نزنند ایمن باش سامری کیست كه دست ازید بیضا ببرد
قال في «التأويلات النجمية» في الآية إشارة إلى عبدة عجل النفس والهوى بأنهم وما يعبدون حصب جهنم منسوفون في بحر القهر نصفاً لا خلاص لهم منه إلى الأبد وفي قوله : ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ إشارة إلى أن من يعبد إلهاً دونه يحرقه بنار القطيعة وينسفه في بحر القهر إلى أبد الآباد ﴿وسع كل شيء علماً﴾ فعلم استحقاق كل عبد للطف أو للقهر . يقال لما وقع الازدواج بين آدم وحواء والازدواج بين إبليس والدنيا فتولد من الازدواج الأول نوع البشر ومن الثاني الهوى فجميع الأديان الباطلة والأخلاق المذمومة من تأثير ذلك الهوى يقال إن ضرر البدعة والهوى أكثر من ضرر المعصية فإن صاحب المعصية يعلم قبحها فيستغفر فيتوب بخلاف صاحب البدعة والهوى .

اعلم أنهم قالوا لكل فرعون موسى أي : لكل مبطل ومفسد محق ومصلح ألا ترى أن فرعون أفسد الأرض بالكفر والتكذيب والظلم والمعاصي فأصلحها موسى بالإيمان والتصديق والعدل والطاعات ثم إن السامري أراد أن يكدر وجه مرآة الدين بما صنعه بيده العادية فجاء موسى فأزاله وهكذا الحال إلى يوم القيامة والأصل إصلاح القلب وتطهيره عن لوث الأخلاق الرذيلة ومنعه عن العكوف على عبادة الهوى ثم تغيير المنكر عن وجه العالم إن قدر كما فعله الأنبياء وأولو الأمر ومن يليهم فإن الغيرة من الإيمان والله غيور وعبدته في غيرته وفي الحديث «إن سعداً لغيور وأنا أغير من سعد والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن» ، وفي «المثنوي» :

جمله عالم زان غيور آمدكه حق برادر غیرت برین عالم سبق
غیرت حق بر مثل كنندم بودم كاه خر من غیرت مردم بود
أصل غیرتها بدانیید ازاله آن خلقان فرع حق بی اشتباه

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ ﴿١٠٠﴾ خَلْدَيْنَ فِيهِ ۖ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ ﴿١٠١﴾﴾

﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ ذلك إشارة إلى اقتصاص حديث موسى والقص تتبع الأثر والقصص الأخبار المتتبعة. ومن مفعول نقص باعتبار مضمونه. والنبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة وحق الخبر الذي فيه نبأ أن يتعري عن الكذب كالتواتر وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه السلام والمعنى مثل ذلك القص البديع الذي سمعت نقص عليك يا محمد بعض الحوادث الماضية الجارية على الأمم السالفة لا قصاً ناقصاً عنه تبصرة لك وتوفيراً لعلمك وتكثيراً لمعجزاتك وتذكيراً للمستبصرين من أمتك. وفيه وعد بتنزيل أمثال ما مر من أخبار القرون الخالية، وبالفارسية: [همچنانچه این قصه موسی برتو خواندیم می خوانیم برتو ای محمد از خبرها آنچه بتحقیق گذشته است یعنی ازامور ماضیه وقرون سابقه ترا خبر میدهم تا معجزه نبوت تو بود وتنبيه مستبصران امت تو] ﴿وقد آتيناك من لدنا﴾ متعلق بآتيناً أي: من عندنا ﴿ذكر﴾ أي: كتاباً شريفاً مطوياً على هذه الأفاصيص والأخبار حقيقاً بالتفكر والاعتبار. وفي «الكبير» في تسميته به وجوه: الأول أنه كتاب فيه ذكر ما يحتاج إليه في أمر دينهم ودنياهم، والثاني: أن يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه وفيه التذكير والموعظة، والثالث فيه الذكر والشرف لك ولقومك وقد سمى الله كل كتبه ذكراً فقال: ﴿فَتَكْلَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. قال بعض الكبار أي: موعظة تتعظ بها وتتأدب بملازماتها فلا يخفى عليك شيء من أسرارنا وما أودعناه أسرار الذين كانوا قبلك من الأنبياء فتكون الأنبياء مكشوفين لك وأنت في ستر الحق.

﴿من أعرض عنه﴾ عن ذلك الذكر العظيم الشأن الجامع لوجوه السعادة والنجاة فلم يعتبر ولم يعمل به لإنكاره إياه ومن شرطية أو موصولة وأياً ما كانت فالجملة صفة لذكر ﴿فإنه﴾ أي: المعرض عنه ﴿يحمل يوم القيامة وزراً﴾ عقوبة ثقيلة على كفره وسائر ذنوبه وتسميتها وزراً تشبيهاً في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفتح الحامل وينقض ظهره.

﴿خالدين فيه﴾ أي: ماكثين في الوزر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر إلى معنى من لما أن الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع أهلها ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ أي: بشس لهم حملاً وزرهم واللام للبيان كأنه لما قيل ساء قيل لمن يقال هذا فأجيب لهم وإعادة يوم القيامة لزيادة التقرير وتهويل الأمر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من أعرض عن الذكر الحقيقي الذي به قامت حقيقة الإيمان والإيقان والعرفان فإنه يحمل يوم القيامة حملاً ثقيلاً من الكفر والنفاق والشرك والجهل والعمى وقساوة القلب والرين والختم والأخلاق الذميمة والبعد والحسرة والندامة وخسر حقيقة العبودية ودوام الذكر ومراقبة القلب وصدق التوجه لقبول الفيض الإلهي الذي هو حقيقة الذكر الذي أوله إيمان وأوسطه إيقان وآخره عرفان فالذكر الإيماني يورث الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة بترك المعاصي والاشتغال بالطاعات والذكر الإيقاني يورث ترك الدنيا وزخارفها حلالها وحرامها وطلب الآخرة ودرجاتها منقطعاً إليها والذكر العرفاني يوجب قطع تعلقات الكونين والتبكير إلى سعادة الدارين في بذل الوجود على شواهد المشهود انتهى

فأعلى المراتب في الذكر فناء الذاكر في المذكور فلا يبقى للنفس هناك أثر.

- روي - أنه كثر الزنى في بغداد وكثر الفسق فقيل للشبلي لولا ذكرك لأحرقنا البلدة فلما سمعه بعض أهل النفس قال: أليس لنا ذكر فقال الشبلي ذكركم بوجود النفس وذكرى بالله.

واعلم أن التوحيد أفضل العبادات وذكر الله أقرب القربات وقد وقت الله العبادات كلها كالصلاة والصيام والحج ونحوها بالمواقيت إلا الذكر فإنه أمر به على كل حال قياماً وقعوداً واضطجاعاً وحركة وسكوناً وفي كل زمان ليلاً ونهاراً صيفاً وشتاء ولما سئل النبي عليه السلام عن جلاء القلب قال: «ذكر الله وتلاوة القرآن والصلاة عليّ»، قال المغربي قدس سره:

اكرچه آينه دارى از برآى رخش ولى چه سود كه دارى هميشه آينه تار
بيا بصيقل توحيد زآينه بردارى غبار شرك كه تا پاك كردد از ژنكار

- حكى - أن موسى عليه السلام قال: إلهي علمني شيئاً أذكرك به فقال الله تعالى قل: لا إله إلا الله فقال موسى يا رب كل عبادك يقول ذلك فقال الله تعالى يا موسى لو أن السموات والأرضين وضعت في كفة ميزان ولا إله إلا الله في أخرى لمالت به تلك الكلمة.

قال الفقير:

كرتو خواهى شوى زحق آكاه دم على لا اله إلا الله
افضل ذكر باشد اين كلمه يكشر الذكر كل من يهواه

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٣١﴾ يَخْفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٣٢﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَثْلُكُم طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٣٣﴾

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من يوم القيامة أو منصوب بإضمار اذكر أي: اذكر لقومك يا محمد يوم ينفخ إسرافيل في القرن الذي التقمه للنفخ ﴿ونحشر المجرمين يومئذ﴾ أي: نخرج المتوغلين في الإجرام والآثام المنهمكين فيها وهم الكفرة والمشركون من مقابرهم ونجمعهم يوم إذ ينفخ في الصور وذكره صريحاً مع تعيين أن الحشر لا يكون إلا يومئذ للتهويل ﴿زُرْقًا﴾ جمع ازرق والزرقه اسوء ألوان العين وأبغضها إلى العرب فإن الروم الذين كانوا أعدى عدوهم زرق. قال الكاشفي: [در خبراست كه زرقه عين وسواد وجه علامت دوز خيانت]. وقال الإمام في المفردات قوله تعالى: ﴿يومئذ زُرْقًا﴾ أي: عمياً عيونهم لا نور لها لأن حدقة الأعمى تزرق يعني أن العين إذا زال نورها ازرقّت.

﴿يتخافتون بينهم﴾ استئناف لبيان ما يأتون وما يذرون حينئذٍ والتخافت إسرار المنطق وإخفاؤه أي: يقول بعضهم لبعض خفية من غير رفع صوت بسبب امتلاء صدورهم من الخوف والهوان أو استيلاء الضعف ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ لبث بالمكان أقام به ملازماً له أي: أقمتم ومكثتم في الدنيا أو في القبر ﴿إلا عشراً﴾ عشر ليالٍ أو عشر ساعات استقصاراً لمدة لبثهم فيها لزوالها لأن أيام الراحة قليلة والساعات تمر مر السحاب. وفي «الجلالين» يتسارون فيما بينهم ما لبثتم في قبوركم إلا عشر ليالٍ يريدون ما بين النفختين وهو أربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار ويستقصرون تلك المدة إذا عاينوا أهوال القيامة انتهى وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وفي «بحر العلوم» هو ضعيف جداً.

﴿نحن﴾ [ماكه خداونديم] ﴿أعلم بما يقولون﴾ [دانا تريم بآنچه ايشان ميگويند] وهو مدة

لبيهم ﴿إِذْ يَقُولُ﴾ [جون كويد] ﴿أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أوفرهم رأياً وأوفاهم عقلاً، وبالفارسية: [تمامترین ایشان از روی عقل]. قال في «المفردات» الأمثل يعبر به عن الأشبه بالأفضل والأقرب إلى الخير وأمائل القوم كناية عن خيارهم وعلى هذا قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ انتهى ﴿إِنْ﴾ بمعنى النفي أي: ما ﴿لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ ونسبة هذا القول إلى أمثلهم استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه أقرب إلى الصدق بل لكونه أدل على شدة الهول.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه إذا نفخ في الصور وحشر أهل البلاء وأصحاب الجحفاء يوم الفزع الأكبر في الفسخة الثانية ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [الزمل: ١٧] ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] وقد غضب ربنا ذلك اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يرون من شدة أهوال ذلك اليوم ما يقلل في أعينهم شدة ما أصابهم من العذاب طول مكثهم في القبور فهم يحسبون أنهم ما لبثوا في القبور إلا عشرة أيام ثم قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من عظم البلاء وبما يقولون: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أي: أصوبهم رأياً في نيل شدة البلاء ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ وذلك لأنه وجد شدة بلاء ذلك اليوم عشرة أمثال ما وجده انتهى قيل:

ألا إنما الدنيا كظل سحابة أظلتك يوماً ثم عنك اضمحلت
فلا تك فرحاناً بها حين أقبلت ولا تك جزعاناً إذا هي ولت
قال المنصور لما حضرته الوفاة بعنا الآخرة بنومة، قال الشيخ سعدى:

نكه دار فرصت كه عالم دمیست دمی پیش دانا به از عالمیست
مكن عمر ضایع فبافسوس وحیف كه فرصت عزیزست والوقت سیف
قال السلطان ولد:

بكذار جهان نرا كه جهان آن تونیست وین دم كه همی زنی بفرمان تو نیست
كر مال جهان جمع كنی شاد مشو ور تکیه بجان كنی جان آن تونیست
فعلى العاقل أن لا يضيع وقته بالصرف إلى الدنيا وما فيها من الشهوات فإن الوقت نقد نفيس وجوهر لطيف وبازى أشهب لا ينبغي أن يبذل لشيء حقير وأن يصاد به طير لا يسمن ولا يغني من جوع ومن المعلوم أن عيش الدنيا قصير وخطرها يسير وقدرها عند الله صغير إذا كانت لا تعدل عنده جناح بعوضة فمن عظم هذا الجناح كان أصغر منه.

بر مرد هشیار دنیا خسست كه هرمدتی جای دیگر كسست

قال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً وقد ثبت أن الدنيا ساعة فاجعلها طاعة وأهل الطاعة تكافئ ساعة من ساعاتهم في الآخرة بألف سنة في الراحة بخلاف أهل المعصية فإن ساعاتهم أيضاً تنبسط ولكن في المحنة وأفضل الطاعات وأحسن الحسنات التوحيد وتقوية اليقين بالعبادات ومتابعة سيد المرسلين وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلکم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من الذي أبى قال: «من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة» أي: جنة الصورة وجنة المعنى وهي جنة القلب والروح وفيها أزهار الأنوار وثمرات الأسرار وهي أعلى من جنة الصورة إذ كل كمال إنما هو من تأثير المعنى وتجلياته فمن أصلح باطنه صلح ظاهره البتة كالشجرة إذا كان لها عرق فإنها تورق نسأل الله

الاحتراق بنار العشق والمحبة والاستغراق في بحر التوحيد والفوز باللقاء الدائم كما قال:
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُرِّيَّتُهُمْ بِكَرَمٍ مِّن رَّبِّهِمْ وَأَلْفَ عَشْرٍ﴾ [يونس: ٢٦].

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١١٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١١٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١١٧﴾﴾

﴿ويسألونك عن الجبال﴾ السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة أو استدعاء مال وما يؤدي إلى مال وجوابه على اليد واللسان خليفة لها إما بوعده أو ببرد والسؤال للمعرفة قد يكون تارة للاستعلام وتارة للتبكيث وتارة لتعريف المسؤول وتنبهه لا ليخبر ويعلم فإذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بالجار تقول سألتك كذا وسألتك عن كذا وبكذا وبعن أكثر كما في هذا المقام وإذا كان لاستدعاء مال فإنه يتعدى بنفسه أو بمن نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِن رَّزْقِ جِبَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] والجبال جمع جبل وهو كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد فاكمة أو قنة واعتبر معانيه فاستعير واشتق منه بحسبها فقيل فلان جبل لا يتزحزح تصوراً لمعنى الثبات فيه وجبله الله على كذا إشارة إلى ما ركب فيه من الطبع الذي يأبى على الناقل نقله وتصور منه العظم فقيل للجماعة العظيمة جبل كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ [يس: ٦٢] أي: جماعة تشبهاً بالجبل في العظم والجبال في الدنيا ستة آلاف وستمئة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول. والمعنى يسألونك عن ما آل أمرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف وقال يا رسول الله ما يصنع بالجبال يوم القيامة ﴿فقل﴾ الفاء للمسارعة إلى الزام السائلين. قال الكاشفي: [پس بکوی تأخیر در جواب ایشان که بقدرت] ﴿ينسفها ربي نسفاً﴾ يقال نسفت الريح الشيء اقلعته وإزالته ونسف البناء قلعه من أصله والجبال دكها وذراها كما في «القاموس» أي: يقلعها من أصلها ويجعلها كالهباء المنثور. وفي «الإرشاد» يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فنفرقها وتذروها. وفي الكبير لعل قوماً قالوا إنك تدعي أن الدنيا تفنى فوجب أن تبتدىء بالنقصان حتى تنتهي إلى البطلان لكننا لا نرى فيها نقصاناً ونرى الجبال كما هي وهذه شبهة ذكرها جالينوس في أن السماوات لا تفنى وجواب هذه الشبهة أن بطلان الشيء قد يكون ذبولاً يتقدمه النقصان وقد يكون دفعة فتبين أنه تعالى يزيل تركيبات العالم الجسماني دفعة بقدرته ومشيتته انتهى ومثاله: أن الدنيا مع جبالها وشدادها كالشباب القوي البدن ومن الشبان من يموت فجأة من غير تقدم مرض وذبول:

ديدی آن قهقهه کبک خرامان حافظ که زسر پنچه شاهین قضا غافل بود

قال في «الأسئلة المقحمة»: قال هنا ﴿ويسألونك عن الجبال فقل﴾ بالفاء وفي موضع آخر ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠] من غير الفاء والجواب لأنهم يسألونه ههنا بعد فتقيره إن سألوكم عن الجبال فقل نظيره فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فإن كنت في شك فإن آمنوا بمثل ما أمتم به بخلاف قوله: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ﴾ لأنه هناك كانوا قد سألوه فأمر بالجواب كقوله تعالى: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وغيرها من المواضع انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: وإن سألوكم عن أحوال الجبال في ذلك اليوم فقل ينسفها ربي نسفاً يقلعها بتجلي صفة القهارية كما جعل الطور دكاً.

﴿فيذرها﴾ يقال فلان يذر الشيء أي: يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه أي: وذر والمعنى فيترك مقارها ومراكزها حال كونها ﴿قاعاً﴾ مكاناً خالياً وأصله قوع. قال في «القاموس» القاع أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام انتهى ﴿صفصفاً﴾ مستويًا كأن أجزاءها على صنف واحد من كل جهة.

﴿لا ترى فيها﴾ أي: في مقار الجبال لا بالبصر ولا بالبصيرة استئناف مبين لكيفية القاع الصفصف والخطاب لكل أحد ممن يتأتى منه الرؤية ﴿عوجاً﴾ بكسر العين أي: عوجاً ما كأنه لغاية خفائه من قبيل خافي المعاني وذلك لأن العوج بالكسر يخص المعاني. قال في «المفردات» العوج العطف عن حال الانتصاب والعوج يقال فيما يدرك بالبصر كالخشب المنتصب ونحوه والعوج يقال فيما يدرك بفكر وبصيرة كما يكون في أرض بسيطة وكالدين والمعاش ﴿ولا أمتاً﴾ ارتفاعاً سيراً. قال الزمخشري الأمت النتوء اليسير. وفي «القاموس» الأمت المكان المرتفع والتلال الصغار والانخفاض والارتفاع. قال في «المناسبات» ﴿ولا أمتاً﴾ أي: تفاوتاً بارتفاع وانخفاض. وفي «الجلالين» ﴿عوجاً ولا أمتاً﴾ انخفاضاً وارتفاعاً ومثله ما في تفسير الفارسي حيث قال: [عوجا پستی دفرمناره ولا امتا ونه بلندی وپشته].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٧٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٧٩﴾﴾

﴿يومئذ﴾ أي: يوم اذ نسفت الجبال على إضافة اليوم إلى وقت النسف وهو ظرف لقوله: ﴿يتبعون﴾ أي: الناس ﴿الداعي﴾ الذي يدعوهم إلى الموقف والمحشر وهو إسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائماً على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والأوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قوموا إلى عرض الرحمن فيقبلون من كل أوب إلى صوبه أي: من كل جانب إلى جهته ﴿لا عوج له﴾ لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه بل يستوي إليه من غير انحراف متبعاً لصوته لأنه ليس في الأرض ما يحوجهم إلى التعويج ولا يمنع الصوت من النفوذ على السواء ﴿وخشعت الأصوات للرحمن﴾ خفضت من شدة الفزع وخفت لهيبته والخشوع الخضوع وهو التواضع والسكون أو هو في الصوت والبصر والخضوع في البدن. وفي «المفردات» الخضوع ضراعة وأكثر ما يستعمل فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما يستعمل فيما يوجد في القلب ولذلك قيل فيما روي إذا ضرع القلب خشعت الجوارح والصوت هواء متموج بتصادم جسمين وهو عام والحرف مخصوص بالإنسان وضعاً ﴿فلا تسمع إلا همساً﴾ صوتاً خفياً ومنه الحروف المهموسة وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوتها. وقال الكاشفي: [پس نشنوی تودردان روزمکر آوازی نرم یعنی صوت اقدام ایشان در رفتن محشر]. قال الإمام الغزالي في «الدرة الفاخرة» ينفخ في الصور أي: نفخة أولى فتطير الجبال وتتفجر الأنهار بعضها في بعض فيمتلئ عالم الهواء ماء وتثر الكواكب وتتغير الأرض والسماء ويموت العالمون فتخلو الأرض والسماء ثم يكشف سبحانه عن بيت في سقر فيخرج لهب من النار فيشتعل في البحور فتتشف أي: تسرب ويدع الأرض حمأة سوداء والسموات كأنها عكر الزيت والنحاس المذاب ثم يفتح تعالى خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة فيمطر به الأرض وهو كمني الرجال فتنبت الأجسام على هيئتها الصبي صبي والشيخ شيخ وما بينهما ثم

يهب من تحت العرش ريح لطيفة فتبرز الأرض ليس فيها جبل ولا عوج ولا أمت ثم يحيي الله تعالى إسرافيل فينفخ من صخرة بيت المقدس فتخرج الأرواح من ثقب في الصور بعددها ويحل كل روح في جسده حتى الوحش والطير فإذا هم بالساهرة أي: بوجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها وقيل الساهرة صحراء على شفير جهنم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أرض من فضة بيضاء لم يعص الله عليها منذ خلقها.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ من نقاهاها ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ من زواياها ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ أي: الذي دعاهم في الدنيا فأجابوا داعيهم ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ في دعائهم يعني كل داع من الدعاة يكون مجيباً في جبلته الإنسانية لأنه تعالى هو الداعي والمجيب كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥] فالله تعالى هو الداعي وهو المجيب بالهداية يجيب بلسان المشيئة فافهم جداً ولهذا السر يوجد في كل زمان من متبعي كل داع خلق عظيم ولا يوجد في كل قرن من متبعي داعي الله إلا الشواذ من أهل الله ومن أهل داعي الهوى والدنيا والشيطان والملك والنبي والجنة والقربة يوجد في كل زمان خلق على تفاوت طبقاتهم وقدر مراتبهم وبقوله: ﴿وُخْشِعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ يشير إلى أن داعي الله إذا دعا عبداً بالرحمانية خشعت وانقادت وذلت أصوات جميع الدعاة وانقطعت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ أي: إلا وطأ أقدام المدعو ونقلها إلى داعيه انتهى. فعلى العاقل أن يتبع داعي الله الحق فإن ما سواه باطل، وفي «المثنوي»:

ديد روی جز تو شد غل کلو	كل شيء ما سوى الله باطل
باطلند ومینما یندم رشد	زانکه باطل باطلانرا می کشد
اشتر کوری مهار تو متین	توکشش می بین مهارت را مبین
کرشدی محسوس جذاب و مهار	پس نماندی این جهان دار الفرار
کبر دیدی کوپی سپک می رود	سخره دیو ستنبه می شود
درپی اوکی شدی مانند حیز	پای خود را وا کشیدی کبر تیز
کاو کر واقف ز قصایان بدی	کی پی ایشان بدان دکان شدی
یابخوردی از کف ایشان سپوس	یابدادی شیر شان از چابلوس
وربخوردی کی علف هضمش شدی	کر ز مقصود علف واقف بدی
توبجد کاری که بگرفتی بدست	عیش این دم بر تو پوشیده شدست
بر تو کر پیدا شدی زان عیب و شین	زان رمیدی جانت بعد المشرقین
حال کاخر زان پشیمان می شوی	کربود این حالت اول کی دوی

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ يقع ما ذكر من الأمور الهائلة ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ من الشفعاء أحداً. قال الإمام الراغب الشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في أن يشفع له والإذن في الشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: ورضي لأجله قول الشافع في شأنه وأما من عداه فلا تكاد تنفعه وإن فرض صدورهما عن الشفعاء المتصددين للشفاعة للناس كقوله تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] فالاستثناء من أعم المفاعيل.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ **﴿عِلْمًا﴾**

﴿يعلم﴾ الله تعالى ﴿ما بين أيديهم﴾ أي: ما تقدمهم من الأحوال ﴿وما خلفهم﴾ وما بعدهم مما يستقبلون والضمير عائد إلى الذين يتبعون الداعي. وقال الكاشفي: [ميداند خدای تعالی آنچه پیش آدیانست از امور آخرت و آنچه پس ایشانست از کار دنیا].

وفي «التأويلات النجمية»: يعلم اختلاف أحوالهم من بدء خلقهم واختلاف أحوالهم إلى الأبد ﴿ولا يحيطون به﴾ تعالى ﴿علمًا﴾ [يعني: أحاط نمی توانند کرد جميع عالمیان بذات خدای تعالی از جهت دانش] لأنه تعالى قديم وعلم المخلوقين لا يحيط بالقديم. وفيه إشارة إلى العجز عن كنه معرفته.

كجا دریابد اورا عقل چالاک که بیرونست از سرحد ادراک
تماشا میکن اسما وصفاتش که آکه نیست کس از کنه ذاتش
قال بعض الكبار ما علمه غيره ولا ذكره سواه فهو عالم والذاكر على الحقيقة وذلك أن الحادث فاني الوجود والقديم باقي الوجود والفاني لا يدرك الباقي إلا بالباقي وإذا أدركه به فلا يبلغ إلى ذرة من كمال الأزلية لأن الإحاطة بوجوده مستحيلة من كل الوجوه صفاتاً وذاتاً وسراً وحقيقة. قال الواسطي: كيف يطلب أن يأخذ طريق الإحاطة وهو لا يحيط بنفسه علماً ولا بالسما وهو يرى جوهرها. قال الراغب الإحاطة بالشيء هي أن تعلم وجوده وجنسه وكيفيته وغرضه المقصود به إيجاده وما يكون به ومنه وذلك ليس إلا الله تعالى. قال في «أنوار المشارق»: يجوز في طريقة الصوفية أن يطلب ما يقصر العقل عنه ولا يطيقه أي: ما لا يدرك بمجرد العقل ولا يجوز أن يطلب ما يحكم العقل باستحالته فلا يرد ما يقال أنى يحصل للعقول البشرية أن يسلكوا في الذات الإلهية سبيل الطلب والتفتيش وأنى تطبيق نور الشمس أبصار الخفافيش.

قال الشيخ محمد پارسافی «فصل الخطاب»: لا يجوز أن يظهر في طور الولاية ما يحكم العقل باستحالته ويجوز أن يظهر فيه ما يقصر العقل عنه ومن لم يفرق بين ما يستحيله العقل وما لا يناله العقل فليس له عقل انتهى.

قال الشيخ عز الدين كنه ذات الحق تعالى وصفاته محجوب عن نظر العقول ونهاية معرفة العارفين هو أن ينكشف لهم استحالة معرفة حقيقة ذات الله لغير الله وإنما اتساع معرفتهم بالله إنما يكون في معرفة أسمائه وصفاته تعالى فبقدر ما تنكشف لهم معلوماته تعالى وعجائب مقدراته وبديع آياته في الدنيا والآخرة يكون تفاوتهم في معرفته سبحانه وبقدر التفاوت في المعرفة يكون تفاوتهم في الدرجات الأخروية العالية.

﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ **﴿ظُلْمًا﴾** وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا **﴿هَضْمًا﴾**

﴿وعنت الوجوه للحَيِّ القيوم﴾ يقال عنوت فيهم عنواً وعناه صرت أسيراً كعنيت وخضعت كما في «القاموس» وإنما قيل عنت دون تعنو إشعاراً بتحقيق العنو وثبوته كما في «بحر العلوم». واللام في الوجوه للجنس إشارة إلى الوجوه كلها صالحة وعاصية أو للعهد والمراد بها وجوه العصاة كقوله تعالى: ﴿سَيَتَّ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الملك: ٢٧] وعبر عن المكلفين

بالوجوه لأن الخضوع فيها يتبين كما في «الكبير». والمعنى ذلت الوجوه يوم الحشر وخضعت للحي القيوم خضوع العناية أي: الأسارى في يد ملك قهار.

وفي «التأويلات النجمية»: خضعت وتذللّت وجوه المكونات لمكوناتها الحي الذي به حياة كل حي القيوم الذي به قيام كل شيء احتياجاً واضطراً واستسلاماً. وفي «العرائس»: افهم يا صاحب العلم أنه سبحانه ذكر الوجوه وفي العرف صاحب الوجه من كان وجهاً من كل ذي وجهة فالأنبياء والمرسلون والأولياء والمقربون بالحقيقة هم أصحاب الوجوه وكيف أنت بوجوه الحور العين ووجه كل ذي حسن فوجوه الجمهور مع حسناتها وجلالها المستفاد من حسن الله وإن كانوا جميعاً مثل يوسف تلاشت وخرت وخضعت عند كشف نقاب وجهه الكريم وظهور جماله وجلاله القديم، قال المولى جامي:

أهـنـك جـمـال جـاودانـى آرم حسنـى كه نه جاودان ازان بيزارم
وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ «اطلبوا اسم الله الأعظم في هذه السور الثلاث البقرة وآل عمران وطه» قال الراوي والمشارك بينهما ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] «وقد خاب من حمل» منهم «ظلماً» خسر من أشرك بالله ولم يتب، يعني: [بى بهره ماند ونوميد كشت] قال الراغب الخيبة فوق المطلب.

«ومن يعمل من الصالحات» أي: بعض الصالحات فمن مفعول يعمل باعتبار مضمونه «وهو مؤمن» فإن الإيمان شرط في صحة الطاعات وقبول الحسنات «فلا يخاف ظلماً» أي: منع ثواب مستحق بموجب الوعد «ولا هضمًا» ولا كسراً منه ينقص ومنه هضم الطعام. قال الراغب الهضم شذخ ما فيه رخاوة يقال هضمته فانهضم وهضم الدواء الطعام نهكه والهاضوم كل دواء هضم طعاماً ونخل طلعها هضم أي: داخل بعضها في بعض كأنما شذخ. وقال الكاشفي: [پس نترسد دران روز ازستم وبيدادكه زيادتى سياستت ونه از كسر وشكست كه نقصان حسناتست يعني نه از حسنات مؤمن چیزی كم كنند ونه سياآت وى افزايند] فعليك بالحسنات والكف عن السيئات فإن كل أحد يجد ثمرة شجرة أعماله ويصل بأعماله إلى كل آماله وأفضل الأعمال أداء الفرائض مع اجتناب المحارم. قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: عظمي وأوجز قال: نعم يا أمير المؤمنين نزه ربك وعظمه من أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك. قال بعض الكبار من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بحقوق الواجبات وهذا حال غالب الخلق إلا من عصمه الله ترى الواحد منهم يقوم بالأوراد الكثيرة والنوافل العديدة الثقيلة ولا يقوم بفرض واحد على وجهه وإنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول.

- حكي - عن أبي محمد المرتعش رحمه الله أنه قال: حججت حجات على قدم التجريد فسألني أُمي ليلة أن أستقي لها جرة فثقل ذلك عليّ فعلمت أن مطاوعة نفسي في الحجات كانت بحظ مشوب للنفس إذ لو كانت نفسي فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع. ثم إن المرء بمجرد العمل لا يكون إلا عابداً وأما المعارف الإلهية والوصول إلى الدرجات العاليات فيحتاج إلى مرشد كامل ولذا هاجر الكبار من دار إلى دار لتحصيل صحبة المقربين والأبرار، قال الحافظ:

من بسر منزل عنقا نه بخود بردم راه قطع اين مرحله بامرغ سليمان كردم

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ ﴿١٣﴾ ﴿فَلَعَلَّيَ اللَّهُ أَلَمَّكَ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ ﴿١٤﴾

﴿وكذلك﴾ إشارة إلى إنزال ما سبق من الآيات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من أحوال القيامة وأحوالها أي: مثل ذلك الإنزال ﴿أنزلناه﴾ أي: القرآن كله وإضمماره لكونه حاضراً في الأذهان قال في «بحر العلوم» ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أنزلنا أي: مثل ذلك الإنزال البين أنزلناه حال كونه ﴿قرآنًا عربياً﴾ يعني: بلغة العرب ليفهموه ويقفوا على إعجازه وخروجه عن حد كلام البشر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي كما أنزلنا الصحائف والكتب إلى آدم وغيره من الأنبياء بالسنتهم ولغاتهم المختلفة كذلك أنزلنا إليك قرآنًا عربياً بلغة العرب وحقيقة كلامه التي هي الصفة القائمة بذاته منزهة عن الحروف والأصوات المختلفة المخلوقة وإنما الأصوات والحروف تتعلق باللغات والألسنة المختلفة ﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة أو إبداله بغيره ومثله التصريف إلا في التكثير وأكثر ما يقال في صرف الشيء من حالة إلى حالة ومن أمر إلى أمر وتصريف الرياح هو صرفها من حال إلى حال. والوعيد التهديد بالفارسية [بسم نمودن] والمعنى بينا وكررنا في القرآن بعض الوعيد. قال الكاشفي: [چون ذکر طوفان ورجفه وصیحه وخسف ومسح] كما قال في «التأويلات النجمية» أي: أوعدنا فيه قومك بأصناف العقوبات التي عاقبنا بها الأمم الماضية وكررنا ذلك عليهم. قال في «الكبير» يدخل تحته بيان الفرائض والمحارم لأن الوعيد بهما يتعلق ﴿لعلهم يتقون﴾ أي: يتقون الكفر والمعاصي بالفعل ﴿أو يحدث لهم ذكراً﴾ أي: يجدد القرآن لهم إيقاظاً واعتباراً بهلاك من قبلهم مؤدياً بالآخرة إلى الانتقاء وإحداث الشيء إيجابه والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان أو جوهرًا ﴿فتعالى الله﴾ تفاعل من العلو وليست مرتبة شريفة إلا والحق تعالى في أعلى الدرجات منها وأرفعها وذلك لأنه مؤثر وواجب لذاته وكل ما سواه أثر وممكن ولا مناسبة بين الواجب والممكن. قال في «الإرشاد» وهو استعظام له تعالى ولشؤونه التي يصرف عليها عباده من الأوامر والنواهي والوعد والوعيد وغير ذلك أي: ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين في ذاته وصفاته وأفعاله وأحواله ﴿الملك﴾ السلطان النافذ أمره ونهيه الحقيقي بأن يرجى وعده ويخشى وعيده ﴿الحق﴾ في ملكوته وألوهيته الحقيقي بالملك لذاته ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إيليك﴾ يؤدى ويتم ويفرغ قال تعالى: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] أي: فرغ أجلهم ومدتهم المضروبة ﴿وحيه﴾ إلقاؤه وقراءته كان عليه السلام إذا ألقى إليه جبريل الوحي يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة لكمال اعتنائه بالتلقي والحفظ فنهى عن ذلك إذ ربما يشغله التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها. والمعنى لا تعجل بقراءة القرآن خوف النسيان والانفلات قبل أن يستتم جبريل قراءته ويفرغ من الإبلاغ والتلقيين فإذا بلغ فاقراه.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى سكوته عند قراءة القرآن واستماعه والتدبر في معانيه وأسراره للتنوير بأنواره وكشف حقائقه ولهذا قال: ﴿وقل﴾ أي: في نفسك ﴿رب﴾ [إي پروردگار من] ﴿زدني﴾ [بيفزاي مرا] ﴿علماً﴾ أي: فهماً لإدراك حقائقه فإنها غير متناهية وتنوراً

بأنواره وتخلقاً بخلقه. وقال بعضهم علماً بالقرآن فكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علماً. وقال محمد بن الفضل علماً بنفسي وما تضره من الشرور والمكر والغدر لأقوم بمعونتك في مداواة كل شيء منها بدوائه. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا قرأها قال: اللهم زدني إيماناً و يقيناً بك وهو أجل التفاسير وأدقها لأنه علق الإيمان واليقين به تعالى دون غيره وهو أصعب الأمور كذا سمعت من شيعي وسندي قدس الله سره. قيل: ما أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم. قال الكاشفي: [در لطائف قشيري رحمه الله مذكور است كه حضرت موسى عليه السلام زيادة علم طلبيد اورا حواله بخضر كردند وبي طلب پيغمبر مارا ﷺ دعای زيادتي علم بياموخت وحواله بغير خود نكرد تا معلوم شودكه آنكه درمكتب ادب. «أدبني ربي» سبق ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] خوانده باشد هر آيينه دردرسگاه «علمك ما لم تكن تعلم» نكته «فعلمت علم الأولين والآخرين» بكوش هوش مستفیدان حقائق اشيا تواند رسانيد.

علمهای انبياء واولياء دردلش رخشنده چون شمس الضحی
عالمی کاموز کارش حق بود علم اویس کامل مطلق بود
قال إبراهيم الهروي كنت بمجلس أبي يزيد البسطامي قدس سره فقال بعضهم إن فلاناً أخذ العلم من فلان قال أبو يزيد المساكين أخذوا العلوم من الموتى ونحن أخذنا العلم من حي لا يموت. قال أبو بكر الكتاني قال لي الخضر عليه السلام كنت بمسجد صنعاء وكان الناس يستمعون الحديث من عبد الرزاق وفي زاوية المسجد شاب في المراقبة فقلت له لم لا تسمع كلام عبد الرزاق؟ قال: أنا أسمع كلام الرزاق وأنت تدعوني إلى عبد الرزاق فقلت له: إن كنت صادقاً فأخبرني من أنا فقال لي: أنت الخضر. وفي الآية بيان لشرف العلم. قال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر العلم نور من أنوار الله تعالى يقذفه في قلب من أراده من عباده وهو معنى قائم بنفس العبد يطلعه على حقائق الأشياء وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر مثلاً بل أتم وفي الخبر: قيل يا رسول الله أي: الأعمال أفضل؟ قال: «العلم بالله» قيل الأعمال نريد قال: «العلم بالله» فقيل: نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال عليه السلام: «إن قليل العمل ينفع مع العلم وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل» والمعتبر هو العلم النافع ولذلك قال عليه السلام: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع» والعلم بالله لا يتيسر إلا بتصفية الباطن فتصفية القلب عما سوى الله تعالى من أعظم القربات وأفضل الطاعات ولذلك كان مطمح نظر الأكابر في إصلاح القلوب والسرائر، قال الحافظ:

پاك وصافی شو وازچاه طبیعت بدر آی كه صفایی ندهد آب تراب آلوده

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُمْ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾

﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ يقال: عهد فلان إلى فلان بعهد أي: ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه والعهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وسمي الموثق الذي يلزم مراعاته عهداً وعهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا وتارة يكون بما أمرنا به بكتابه وبالسنة ورسله وتارة بما نلتزمه وليس بلازم في أصل الشرع كالندور وما يجري مجراها وآدم أبو البشر عليه السلام قيل سمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض وقيل لسمة في لونه يقال رجل آدم نحو أسمر وقيل

سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة وقوى مفترقة يقال جعلت فلاناً أدمه أهلي أي: خلطته بهم وقيل سمي بذلك لما طيب به من الروح المنفوخ فيه وجعل له من العقل والفهم والرؤية التي فضل بها على غيره وذلك من قولهم الإدام وهو ما يطيب به الطعام وقيل أعجمي وهو الأظهر والمعنى وبالله لقد أمرناه ووصيناه بأن لا يأكل من الشجرة وهي المعهودة ويأتي بيانه بعد هذه الآية ﴿من قبل﴾ من قبل هذا الزمان ﴿فنسي﴾ العهد ولم يهتم به حتى غفل عنه والنسيان بمعنى عدم الذكر أو تركه ترك المنسي عنه. قال الراغب النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه وإما عن غفلة أو عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد وما عذر فيه نحو ما روي «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان» فهو ما لم يكن سببه منه ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ إن كان من الوجود العلمي فله وعزمًا مفعولاه وقدم الثاني على الأول لكونه ظرفاً وإن كان من الوجود المقابل للعدم وهو الأنسب لأن مصب الفائدة هو المفعول وليس في الأخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به والعزم في اللغة توطين النفس على الفعل وعقد القلب على إمضاء الأمر. والمعنى لم نعلم أو لم نصادف له تصميم رأي وثبات قدم في الأمور ومحافظة على ما أمر به وعزيمة على القيام به إذ لو كان كذلك لما أزل الشيطان ولما استطاع تغريبه وقد كان ذلك منه عليه السلام في بدء أمره من قبل أن يجرب الأمور ويتولى حارها وقارها ويدوق شربها وأريها لا من نقصان عقله فإنه أرجح الناس عقلاً كما قال عليه السلام: «لو وزنت أحلام بني آدم بحلم آدم لرجح حلمه» وقد قال الله تعالى: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ ومعنى هذا أن آدم مع ذلك أثر فيه وسوسته فكيف في غيره، قال الحافظ:

دام سختست مكر لطف خدا يا رشود ورنه آدم نبرد صرفه ز شيطان رجيم
 قيل: لم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان فكان مؤاخذاً به وإنما رفع عنا.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ أي: من قبل أن يكون أولاً وأن لا يتعلق بغيرنا ولا ينقاد لسوانا فلما دخل الجنة ونظر إلى نعيمها ﴿فنسي﴾ عهدنا وتعلق بالشجرة وانقاد للشيطان ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ يشير إلى أن الله تعالى لما خلق آدم وتجلى فيه بجميع صفاته صارت ظلمات صفات خليقته مغلوبة مستورة بسطوات تجلي أنوار صفات الربوبية ولم يبق فيه عزم التعلق بما سواه والانقياد لغيره فلما تحركت فيه دواعي البشرية الحيوانية وتداعت الشهوات النفسانية الإنسانية واشتغل باستيفاء الحظوظ نسي أداء الحقوق ولهذا سمي الناس ناساً لأنه ناس فنشأت له من تلك العائلات ظلمات بعضها فوق بعض وتراكمت حتى صارت غيوم شמוש المعارف وأستار أقمار العوارف فنسي عهود الله وموآبته وتعلق بالشجرة المنهي عنها. قال العلامة: يا انيسان عادتك النسيان أذكر الناس ناسٍ وأرق القلوب قاس. قال أبو الفتح البستي في الاعتذار من النسيان إلى بعض الرؤساء:

يا أكثر الناس إحساناً إلى الناس يا أحسن الخلق إعراضاً عن الباس
 نسيت وعدك والنسيان مغتفر فاغفر فأول ناس أول الناس

قال علي رضي الله عنه: عشرة يورثن النسيان: كثرة الهم، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد، وأكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، وأكل سؤر الفار، وقراءة ألواح القبور،

والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وإلقاء القملة حية كما في «روضة الخطيب» لكن في قاضي خان لا بأس بطرح القملة حية والأدب أن يقتلها. وزاد في المقاصد الحسنة مضغ العلك أي: للرجال إذا لم يكن من علة كالبحر ولا يكره للمرأة إن لم تكن صائمة لقيامه مقام السواك في حقهن لأن سنّها أضعف من سن الرجال كسائر أعضائها فيخاف من السواك سقوط سنّها وهو ينقي الأسنان وتشد اللثة كالسواك.

واعلم أن من أشد أسباب النسيان العصيان فنسأل الله العصمة والحفظ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٦٦﴾ فَقُلْنَا يَنْتَضِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّى ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكر يا محمد وقت قولنا ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أي: لمن في الأرض والسماء منهم عموماً كما سبق تحقيقه ﴿اسجدوا لآدم﴾ سجود تحية وتكريم. وقال البيضاوي اذكر حاله في ذلك الوقت ليتبين لك أنه نسي ولم يكن من أولي العزيمة والثبات انتهى. وفيه إشارة إلى استحقيقه لسجودهم لمعان جمّة: منها لأنه خلق لأمر عظيم هو الخلافة فاستحق لسجودهم، ومنها لأن الله تعالى جعله مجمع مجرى عالمي الخلق والأمر والملك والملكوت والدنيا والآخرة فما خلق شيئاً في عالم الخلق والدنيا إلا وقد جعل في قلبه أنموذجاً منه وما خلق شيئاً في عالم الأمر والآخرة إلا وقد أودع في روحه حقائقه وأما الملائكة فقد خلقت من عالم الأمر والملكوت دون عالم الخلق والملك فبهذه النسبة اختص آدم بالكمال وما دونه بالنقصان فاستحق السجود والكمال، ومنها لأنه خلق روحه في أحسن تقويم من بين سائر الأرواح من الأرواح الملكية وغيرها وخلقت صورته في أحسن صورة على صورة الرحمن والملائكة وإن خلقت في حسن ملكي روحاني لم يخلقوا في حسن صورته فله الأفضلية في كلا الحالين فاستحق لسجودهم بالأفضلية، ومنها لأنه شرف في تسوية قلبه بتشريف خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وباختصاص لما خلقت بيدي وأكرم في تعلق روحه بالقلب بكرامة ونفخت فيه من روعي فالزهمهم سجود الكرامة بقوله ﴿فَقُومُوا لِرُؤْسِكُمْ﴾ [الحجر: ٢٩] وأثبت له استحقيق سجودهم بقوله: «يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» ومنها لأنه اختص بعلم الأسماء كلها وأنهم قد احتاجوا في أنباء أسمائهم كما قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فوجب عليهم أداء حقوقه بالسجود، ومنها: لأنه لما خلقه الله تعالى تجلّى فيه بجميع صفاته فأسجد الله تعالى ملائكته إياه تعظيماً وتكريماً وإعزازاً وإجلالاً فإنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد وذلك لأن الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة إلي ونقدس لك كان هذا الكلام منهم نوع اعتراض على الله وجنس غيبة لآدم وإظهار فضيلة لأنفسهم عليه فأجابهم الله بقوله إني أعلم ما لا تعلمون أي: إني أودعت فيه من علم الأسماء واستعداد الخلافة ما لا تعرفون به فله الفضيلة عليكم فاسجدوا له كفارة لاعتراضكم واستغفاراً لغيبته وتواضعاً لأنفسكم فأقر الملائكة واعترفوا بما جرى عليهم من الخطأ وتابوا واستسلموا لأحكام الله تعالى فسجدوا لآدم وأما إبليس فقد أصر على ذنب الاعتراض والغيبة والعجب بنفسه ولم يستسلم لأحكام الله وزاد في الاعتراض والغيبة والعجب فقال: أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وأبى أن يسجد كذا في «التأويلات» ﴿فسجدوا﴾ تعظيماً لأمر ربهم

وامثالاً له ﴿إلا إبليس﴾ فإنه لم يسجد ولم يطرح أردية الكبر ولم يخفض جناحه، وفي «المثنوي»:

آنكه آدم را بدن ديد اورميد وانكه نور مؤتمن ديد او حميد
يقال: أبلس يئس وتحير ومنه إبليس أو هو أعجمي كما في «القاموس» كأنه قيل ما باله
لم يسجد فقيل: ﴿أبى﴾ السجود وامتنع منه. قال في «المفردات»: الإباء شدة الامتناع فكل إباء
امتناع وليس كل امتناع إباء.
﴿فقلنا﴾ عقيب ذلك اعتناء بنصحه ﴿يا آدم إن هذا﴾ الحقير الذي رأيت ما فعل ﴿عدو
لك ولزوجك﴾ حواء والزوج اسم للفرد بشرط أن يكون معه آخر من جنسه ذكراً كان أو أنثى.
ولعداوته وجوه:

الأول: أنه كان حسوداً فلما رأى نعم الله على آدم حسده فصار عدواً له. وفيه إشارة إلى
أن كل من حسد أحداً يكون عدواً له ويريد هلاكه ويسعى في إفساد حاله.
والثاني أنه كان شاباً عالماً وإبليس شيخاً جاهلاً لأنه أثبت فضيلته بفضيلة أصله وأنه جهل
والشيخ الجاهل يكون أبداً عدو الشاب العالم:

زد شيخ شهر طعنه بر اسرار اهل دل المرء لا يزال عدواً لما جهل
والثالث أنه مخلوق من النار وآدم من الماء والتراب وبين أصليهما عداوة فبقيت العداوة
فيهما ﴿فلا يخرجنكما من الجنة﴾ أي: لا يكون سبباً لإخراجكما منها فهو من قبيل إسناد
الفعل إلى السبب وإلا فالمخرج حقيقة هو الله تعالى وظاهره وإن كان نهى إبليس عن الإخراج
إلا أن المراد نهيهما من أن يكونا بحيث يتسبب الشيطان في إخراجهما منها بالطريق البرهاني
﴿فتشقى﴾ جواب للنهي وإسناد الشقاء إليه لرعاية الفواصل ولأصالته. قال في المفردات
الشقاوة خلاف السعادة وكما أن السعادة ضربان سعادة دنيوية وسعادة أخروية ثم السعادة
الدنيوية ثلاثة أضرب: سعادة نفسية، وبدنية، وخارجية، كذلك الشقاوة على هذه الأضرب
وفي الشقاوة الأخروية قال تعالى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ وفي الدنيوية ﴿فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ انتهى وقد يوضع الشقاء موضع التعب نحو شقيت في كذا كما
قال في «القاموس» الشقا الشدة والعسر ويمد انتهى. فالمعنى لا تبأثر أسباب الخروج فيحصل
الشقاء وهو الكد والتعب الدنيوي مثل الحرث والزرع والحصد والطحن والعجن والخبز ونحو
ذلك مما لا يخلو الناس عنه في أمر تعيشهم ويؤيده ما بعد الآية. قال الكاشفي: [فتشقى كه
تودر رنج افتى يعنى چون از بهشت بيرون روى بكديمين وعرق جبين اسباب معاش مهيا
بايد كرد]. عن سعيد بن جبير أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن
جبينه فذلك شقاوة.

يقول الفقير: الظاهر أن الشيطان بسبب عداوته لا يخلو عن تحريض فعل يكون سبباً
للخروج فالشقاوة في الحقيقة متفرعة على مباشرة أمر منهى عنه فافهم.

وفي «التأويلات النجمية»: هي شقاوة البعد عن الحضرة إن لم يرجع إلى مقام قربه من
جوار الحق بالتوبة والاستغفار. وفيه إشارة إلى أن العصيان وامثال الشيطان موجب للإخراج
من جنة القلب والهبوط إلى أرض البشرية بعد الصعود عنها والعبور عليها.

﴿إِنَّ لَكَ الْآلَاجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرِىٰ ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٩﴾﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَقَادُمُ هَلْ أَذْكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٌ لَّا يَبْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن لك أن لا تجوع فيها﴾ لك خبر إن وأن لا تجوع في محلّ النصب على الاسمى أي: قلنا إن حالك ما دمت في الجنة عدم الجوع إذ النعم كلها حاضرة فيها ﴿ولا تعرى﴾ من الثياب لأن الملبوسات كلها موجودة في الجنة والعري الجلد عما يستره.

﴿وأنت لا تظمأ فيها﴾ أي: لا تعطش لأن العيون والأنهار جارية على الدوام. قال الراغب: الظمأ ما بين الشربتين والظمأ العطش الذي يعرض من ذلك ﴿ولا تضحى﴾ أي: لا يصيبك حر الشمس في الجنة إذ لا شمس فيها وأهلها في ظل ممدود يقال ضحى الرجل للشمس بكسر الحاء إذا برز وتعرض لها وأن بالفتح مع ما في حيزها عطف على أن لا تجوع وفصل الظمأ دفعاً لتوهم أن نفيهما نعمة واحدة وكذا الحال في الجمع بين العري والضحو.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الجنة وإن كانت باقية وهي جوار الحق لكنها مرتعة من مراتع النفس البهيمية الحيوانية ولها فيها تمتع من المأكولات والمشروبات والملبوسات والمنكوحات كما كان لها في المراتع الدنيوية الفانية انتهى.

﴿فوسوس إليه الشيطان﴾ أي: أنهى إلى آدم وسوسته وأبلغ فتعديته بإلى باعتبار تضمينه معنى الإنهاء والإبلاغ وإذا قيل وسوس له فمعناه لأجله والوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي لأصواتها وهو فعل لازم. قال الكاشفي: [پس وسوسه كرد بسوى آدم شيطان پس آزانكه بهشت درآمد وحوارا دید وازمرك بترسانید وحوار با آدم بازكفت وادم ازمرك ترسان شده بابليس كه بصورت بیری برایشان ظاهر شده بودیدو رجوع کرده بود بطريق تضرع ازوی علاج مرك طلبید] ﴿قال﴾ إما بدل من وسوس أو استئناف كأنه قيل فماذا قال في وسوسته فقيل قال: ﴿يا آدم﴾ [علاج این مرض خوردن میوه شجره خلد است] ﴿هل أدلك﴾ [آیادالالت كنم ترا] ﴿على شجرة الخلد﴾ أي: شجرة من أكل منها خلد ولم يمت أصلاً سواء كان على حاله أو بأن يكون ملكاً فأضافها إلى الخلد وهو الخلود لأنها سببه بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحياة لأنها سببها. قال الراغب الخلود تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والخلود في الجنة بقاء الأشياء على الحالة التي هي عليها من غير اعتراض الكون والفساد عليها ﴿وملك لا يبلى﴾ أي: لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه، وبالفارسية: [كهنة نشود آدم كفت دلالت كن مرابا آن ابليس راهنمون شد آدم وحوارا بشجره منه].

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَّهُمَا سَوْءُ نُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَقِّ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿فأكلا منها فبدت لهما سواتهما﴾ يقال بدا الشيء بدأ وبدوا ظهر ظهوراً بيناً وكنى عن الفرج بالسوء لأنه يسوء الإنسان انكشافه أي: يغمه ويحزنه. قال الكاشفي: [يعني لباس جنت ازایشان بریخت وبرهنه شدند]. قال ابن عباس: [إنهما عريا عن النور الذي كان الله البسهما إياه حتى بدت فروجهما. وقيل: كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في أطراف الأصابع. وقيل: كان لباسهما الخلعة. وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «إن أباكم آدم كان رجلاً طويلاً كالنخلة السحوق كثير الشعر مواري العورة

فلما واقع الخطيئة بدت سوءته فانطلق في الجنة هارباً فمر بشجرة فأخذت بناصيته فأجلسته فناداه ربه أفراراً مني يا آدم؟ قال: لا يا رب ولكن حياء منك». قال الحصري: بدت لهما ولم تبد لغيرهما لئلا يعلم الأغيار من مكافأة الجنانية ما علما ولو بدت للأغيار لقال بدت منهما ﴿وطفقا﴾ شرعاً يقال طفق يفعل كذا أي: أخذ وشرع ويستعمل في الإيجاب دون النفي لا يقال ما طفق ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ في «القاموس» خصف النعل يخصفها خرزها والورق على بدنه ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة أي: يلزقان الورق على سوءاتهما للتستر وهو ورق التين قيل كان مدوراً فصار على هذا الشكل من تحت أصابعهما ﴿وعصى آدم ربه﴾ بأكل الشجرة، يعني: [خلاف كرد آدم امر پروردگار خود را در خوردن درخت] يقال عصى عصياناً إذا خرج عن الطاعة وأصله أن يتمنع بعصاه كما في المفردات ﴿فغوى﴾ ضل عن مطلوبه الذي هو الخلود أو عن المأمور به وهو التباعد عن الشجرة في ضمن ولا تقرباً هذه الشجرة أو عن الرشد حيث اغتر بقول العدو لأن الغي خلاف الرشد.

واعلم أن المعصية فعل محرم وقع عن قصد إليه والزلة ليست بمعصية ممن صدرت عنه لأنها اسم لفعل حرام غير مقصود في نفسه للفاعل ولكن وقع عن فعل مباح قصده فإطلاق اسم المعصية على الزلة في هذه الآية مجاز لأن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الكبائر والصغائر لا من الزلات عندنا وعند بعض الأشعرية لم يعصموا من الصغائر وذكر في «عصمة الأنبياء» ليس معنى الزلة أنهم زلوا عن الحق إلى الباطل ولكن معناها أنهم زلوا عن الأفضل إلى الفاضل وأنهم يعاتبون به لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى. قال ابن الشيخ في «حواشيه» العصيان ترك الأمر وارتكاب المنهي عنه وهو إن كان عمداً يسمى ذنباً وإن كان خطأ يسمى زلة والآية دالة على أنه عليه السلام صدرت عنه المعصية والمصنف سماها زلة حيث قال وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم الزلة وزجر ببلغ لأولاده عنها انتهى بناء على أنه إنما ترك الانتهاء عن أكل الشجرة اجتهداً لا بأن تعمد المعصية ووجه الاجتهاد أنه عليه السلام حمل النهي على التنزيه دون التحريم وحمل قوله تعالى: ﴿هَذِهِ الشَّجَرَةُ﴾ [البقرة: ٣٥، الأعراف: ١٩] على شجرة بعينها دون جنسها ومع ذلك الظاهر أن هذه الواقعة إنما كانت قبل نبوته. وفي «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل فإذا كان هذا خطأ في الاجتهاد ومن اجتهد فأخطأ لا يؤخذ به فكيف أخذ آدم بذلك قلنا لم يكن هذا موضع الاجتهاد إذا كان الوحي يتواتر عليه نزوله فكان تفريطه لو اجتهد في غير الاجتهاد. فإن قيل فهل أوحى إليه ليعلم ذلك؟ قلنا: انقطع عنه الوحي ليقضي الله تعالى ما أرادته كما انقطع عن الرسول عليه السلام ثمانية عشر يوماً وقت إفك عائشة رضي الله عنها ليقضي الله تعالى ما أرادته. وفي «الكبير» فإن قيل دل هذا على الكبيرة لأن العاصي اسم ذم فلا يليق إلا بصاحب الكبيرة ولأن الغواية ترادف الضلالة وتضاد الرشد ومثله لا يتناول إلا المنهمك في الفسق وأجيب بأن المعصية خلاف الأمر والأمر قد يكون بالمندوب ويقال أمرته بشرب الدواء فعصاني فلم يبعد إطلاقه على آدم لا لأنه ترك الواجب بل لأنه ترك المندوب. وفيه أيضاً ليس لأحد أن يقول كان آدم عاصياً غاوياً لوجوه:

الأول قال العتبي: يقال للرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال خاط وخياط إلا إذا عاود الفعل فكان معروفاً به والزلة لم تصدر من آدم إلا مرة فلا تطلق عليه.

والثاني: أن الزلة إن وقعت قبل النبوة لم يجز بعد أن شرف الله تعالى بالرسالة إطلاقها

عليها وإن كانت بعد النبوة فكذلك بعد أن تاب كما لا يقال للمسلم التائب إنه كافر أو زان أو شارب خمر اعتباراً بما قبل إسلامه وتوبته.

والثالث: أن قولنا عاص وغاوى يوهم عصيانه في الأكثر وغوايته عن معرفة الله والمراد في القصة ليس ذلك فلا يطلق دفعاً للوهم الفاسد.

والرابع: يجوز من الله ما لا يجوز من غيره كما يجوز للسيد في ولده وعبد عند المعصية قول ما لا يجوز لغيره. قال الحسن: والله ما عصى إلا بنسيان. قال جعفر طالع الجنان ونعيمها فنودي عليه إلى يوم القيامة وعصى آدم ولو طالعتها بقلبه لنودي عليه بالهجران إلى أبد الآباد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وعصى آدم ربه﴾ بصرف محبته في طلب شهوات نفسه ﴿فغوى﴾ بصرف الفناء في الله في طلب الخلود وملك البقاء في الجنة انتهى، وفي «المثنوي»:

جیست توحید خدا آموختن خویشتن را پیش واحد سوختن
کرهمی خواهی که بفروزی چوروز هستی همچون شب خودرا بسوز
هستیت درهست آن هستی نواز همچومس درکیمیا اندر کداز

سئل ابن عطاء عن قصة آدم أن الله تعالى نادى عليه بمعصية واحدة وستر على كثير من ذريته فقال: إن معصية آدم كانت على بساط القرية في جواره ومعصية ذريته في دار المحنة فزله أكبر وأعظم من زلتهم.

﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ (٢٢) قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٢٣)

﴿ثم اجتباه ربه﴾ اصطفاؤه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبي الشيء بمعنى جباه لنفسه أي: جمعه ﴿فتاب عليه﴾ أي: قبل توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] ﴿وهدى﴾ أي: إلى الثبات على التوبة والتمسك بأسباب العصمة. وفيه إشارة إلى أنه لو وكل إلى نفسه وغريزته التي جبل عليها ما كانت التوبة من شأنه ولا الرجوع إلى الله من برهانه ولكن الله بفضلله وكرمه اجتباه ويجذبه العناية رفاه وإلى حضرة الربوبية هداة وفي الحديث «لو جمع بكاء أهل الدنيا إلى بكاء داود لكان بكأؤه أكثر ولو جمع ذلك إلى بكاء نوح لكان أكثر» وإنما سمي نوحاً لنوحه على نفسه «ولو جمع ذلك كله إلى بكاء آدم على خطيئته لكان أكثر»، وفي «المثنوي»:

خاک غم را سرمه سازم بهر چشم تاز کوهر پرشود دوبر چش
اشک کان از بهر او بارند خلق کوهرست واشک پندارند خلق
توکه یوسف نیستی یعقوب باش همچو اویا کریه وآشوب باش
پیش یوسف نازش وخوبی مکن جزنیاز وآه یعقوبی مکن
آخر هرکریه آخر خنده ایست مرد آخر بین مبارک بنده ایست

قال وهب لما كثر بكأؤه أمره الله بأن يقول: «لا إله إلا أنت سبحانك ويحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين» فقالها ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين» ثم قال: «قل سبحانك لا إله إلا

أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب» قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اعترف آدم بالخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد أن تغفر لي فقال الله: يا آدم كيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله فعرفت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا اسم أحب الخلق إليك فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إليّ فغفرت لك ولولا محمد ما خلقتك» رواه البيهقي في «دلائله» قال بعض الكبار إنه من لطفه وكرمه عاقب آدم في الدنيا بالمجاهدات الكثيرة بما جرى عليه من المعصية ويعاقب الجمهور في الآخرة بما جرى عليهم من المعصية في الدنيا وفي هذا خاصية له لأن عقوبة الدنيا أهون وقال مثل الشيطان مثل حية تمشي على وجه الأرض إلى رأس كنز وخلفها إنسان ليقتلها فلما ضربها وجد تحت ضربه كنزاً فصار الكنز له وصارت الحية مقتولة وبلغ إلى الأمرين العظيمين البلوغ إلى المأمول والفلاح من العدو فكذا شأن آدم مع الملعون ذله على كنز من كنوز الربوبية غرضه العداوة والضلالة فوصل آدم إلى الاجتنابية الأبدية بعد الاصطفائية الأزلية وبلغ الملعون إلى اللعنة الأزلية الأبدية. قال ابن عطاء: اسم العصيان مذموم إلا أن الاجتناء والاصطفاء منعا أن يلحق آدم اسم المذمة. قال الواسطي العصيان لا يؤثر في الاجتنابية وفي الحديث: «احتج آدم وموسى» احتجاجاً روحانياً أو جسمانياً بأن أحياهما واجتمعا كما ثبت في حديث الإسراء أنه عليه السلام اجتمع مع الأنبياء وصلى بهم «فقال موسى يا آدم أنت أبونا الذي خيبتنا» أي: كنت سبباً لخيبتنا عن سكون الجنة من أول الأمر «وأخرجتنا من الجنة بخطيئتك التي خرجت بها منها» قال الحافظ:

من ملك بودم وفردوس برين جايم بود آدم آورد درین دیر خراب آبادم
«فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه» أي: جعلك كليمة «وخط لك التوراة بيده أتلومني» همزة الاستفهام فيه للإنكار «على أمر قدره الله عليّ» أي: كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلقني بأربعين سنة المراد منه التكثير لا التحديد. فإن قيل العاصي منا لو قال هذه معصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم فكيف أنكر آدم بهذا القول على كونه ملوماً. قلنا: أنكر اللوم من العبد بعد عفو الله عن ذنبه ولهذا قال أتلومني ولم يقل ألام على بناء المجهول أو تقول اللوم على المعاصي في دار التكليف كان للزجر وفي غيرها لا يفيد فيسقط «فحج آدم موسى فحج آدم موسى» كرهه للتأكيد يعني غلب بالحجة على موسى لأنه أحال ذلك على علم الله ونبه عليه بأنه غفل عن القدر السابق الذي هو الأصل وقصر النظر على السبب اللاحق الذي هو الفرع وزاد في بعض الروايات «قال آدم بكم وجدت الله كتب لك التوراة قبل أن أخلق قال موسى أربعين عاماً قال آدم فهل وجدت فيها وعصى رسول الله عليه السلام فحج آدم موسى» قال الحافظ:

عیب زندان مکن ای زاهدپا کیزه سرشت که کناه دکران بر تو نخواهند نوشت
من اکرنیکم وکر بدتو برو خودرا باش هرکسی آن درود عاقبت کار که کشت
وقال:

درین چمن نکنم سرزنش بخود رویی چنانکه پرورشم میدهند میرویم

وقال:

نقش مستوری ومستی نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل کفت بکن آن کردم
وقال:

عیبم مکن زرنندی وبدنامی ای حکیم کین بود سرنوشت زدیوان قسمتم
وقال:

من ارچه عاشقم ورنند ومست ونامہ سیاہ هزار شکر کہ یاران شهر بی کنهند
﴿قال﴾ الله تعالى لآدم وحواء بعد صدور الزلة ﴿اهبطا منها جميعاً﴾ أي: انزلا من الجنة إلى الأرض هذا خطاب العتاب واللوم في الصورة وخطاب التكميل والتشريف في المعنى يقال هبط هبوطاً إذا نزل. قال الراغب الهبوط الانحدار على سبيل القهر كهبوط الحجر قال تعالى: ﴿وإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ۷۴] وإذا استعمل في الإنسان الهبوط فعلى سبيل الاستخفاف بخلاف الإنزال فإن الإنزال ذكره الله في الأشياء التي نبه على شرفها كإنزال القرآن والملائكة والمطر وغير ذلك والهبوط ذكره حيث نبه على البغض نحو ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ۳۶] وقال: ﴿فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الأعراف: ۱۳] ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ أي: بعض أولادكم عدو لبعض في أمر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب فيكون نظير قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَليحاً جَعَلَا لَمْ شُرَكَاءَ﴾ [الأعراف: ۱۹۰] أي: جعل أولادهما وجمع الخطاب باعتبار أنهما أصل الذرية ومآله بعضكم يا ذرية آدم عدو لبعض. وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه جعل فيما بينهم العداوة لثلاثي يكون لهم حبيب إلا هو كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَاتَّبَعْتُمُ عَذْوِي إِلَىٰ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ۷۷] ولما اختص آدم منهم بالاجتباء والاصطفاء وأهبطه إلى الأرض معهم للابتلاء وعده بالاهتداء فقال: ﴿فإِذَا يَأْتِيَنكُمْ﴾ يا ذرية آدم وحواء ﴿مَني هدى﴾ كتاب ورسول والأصل فإن يأتيَنكم وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط وما هذه مثل لام القسم في دخول النون المؤكدة معها وإنما جيء بكلمة الشك إيذاناً بأن إتيان الهدى بطريق الكتاب والرسول ليس بقطعي الوقوع وأنه تعالى إن شاء هدى وإن شاء ترك لا يجب عليه شيء ولك أن تقول إتيان الكتاب والرسول لما لم يكن لازم التحقق والوقوع أبرز في معرض الشك وأكد حرف الشرط والفعل بالنون دلالة على رجحان جهة الوقوع والتحقق ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هِدَايَ﴾ أي: فمن آمن بالكتاب وصدق بالرسول ﴿فَلَا يَضِلْ﴾ في الدنيا عن طريق الدين القويم ما دام حياً ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ في الآخرة بالعقاب، يعني: [برنج نیفتد در آخرت وبعقوبت و عذاب مبتلا نشود].

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ (۱۱۶) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (۱۱۷) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (۱۱۸)

﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: الكتاب الذاكر لي والرسول الداعي إليّ والذكر يقع على القرآن وغيره من كتب الله كما سبق ﴿فإن له﴾ في الدنيا ﴿معيشة ضنكا﴾ ضيقاً مصدر وصف به مبالغة ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث. والمعنى معيشة ذات ضنك وذلك لأن نظره مقصور على أغراض الدنيا وهو يتهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب الآخرة مع أنه قد يضيق الله عليه بشؤم الكفر ويوسع ببركة الإيمان.

واعلم أن من عقوبة المعصية ضيق المعيشة والرد إلى النفس والأجناس والأكوان من ضيق المعيشة.

وفي «التأويلات النجمية» الهدى في الحقيقة نور يقذفه الله في قلوب أنبيائه وأوليائه ليهتدوا به إليه وفي الصورة العلماء السادة والمشايخ القادة بعد الأنبياء والمرسلين ﴿فمن اتبع هداي﴾ بالتسليم والرضى والأسوة الحسنة ﴿فلا يضل﴾ عن طريق الحق ﴿ولا يشقى﴾ بالحرمان وحقيقة الهجران ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ أي: عن ملازمة ذكرى في اتباع هداي أي: إذا جاءه ﴿فإن له معيشة ضنكا﴾ أي: يعذب قلبه بذل الحجاب وسد الباب فإن الذكر مفتاح القلوب والإعراض عنه سد بابها:

ذكر حق مفتاح باشد أى سعيد تا نبکشایی در جان بی کلید

چون ملك ذكر خدارا كن غذا اين بود دائم معاش اوليا

﴿ونحشره﴾ أي: المعرض. قال في «بحر العلوم»: الحشر يجيء بمعنى البعث والجمع والأول هو المراد هنا ﴿يوم القيامة أعمى﴾ فاقد البصر كما في قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء: ٩٧]. وفي «عرائس البقلی»: يعني جاهلاً بوجود الحق كما كان جاهلاً في الدنيا كما قال علي رضي الله عنه: من لم يعرف الله في الدنيا لا يعرفه في الآخرة ﴿قال﴾ استئناف بياني ﴿رب﴾ [أي پروردگارمن] ﴿لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ أي: في الدنيا.

﴿قال كذلك﴾ أي: مثل ذلك فعلت أنت ثم فسر بقوله: ﴿أنتك آياتنا﴾ أي: آيات الكتاب أو دلائل القدرة وعلامات الوحدة واضحة نيرة بحيث لا تخفى على أحد ﴿فنسيها﴾ أي: عميت عنها وتركتها ترك المنسي الذي لا يذكر أصلاً ﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك النسيان الذي كنت فعلته في الدنيا ﴿اليوم تنسى﴾ تترك في العمى والعذاب جزاء وفاقاً لكن لا أبداً كما قيل بل إلى ما شاء الله ثم يزيله عنه ليرى أهوال القيامة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذاباً فوق العذاب وكذلك البكم والصمم يزيلهما الله عنهم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا.

﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ﴾ (١٧٧)

﴿وكذلك﴾ أي: ومثل ذلك الجزاء للموافق للجناية ﴿نجزي من أسرف﴾ في عصبائه والإسراف مجاوزة الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر ﴿ولم يؤمن بآيات ربه﴾ أي: بالقرآن وسائر المعجزات بل كذبها وأعرض عنها ﴿وللعذاب الآخرة﴾ على الإطلاق أو عذاب النار ﴿أشد﴾ مما نعذبهم به في الدنيا من ضنك العيش ونحوه ﴿وأبقى﴾ وأدوم لعدم انقطاعه فمن أراد أن ينجو من عذاب الله وينال ثوابه فعليه أن يصبر على شدائد الدنيا في طاعة الله ويجتنب المعاصي وشهوات الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات كما ورد دعا الله جبريل فأرسله إلى الجنة فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها فرجع فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها فحفت بالمكاره فقال: ارجع إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد ثم أرسله إلى النار فقال: انظر إليها وما أعددت لأهلها فرجع إليه فقال: وعزتك لا يدخلها أحد يسمع بها فحفت بالشهوات فقال: عد إليها فانظر فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها.

- روي - أن أهل النار إذا انتهوا إلى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل وتسلك السلسلة في فيه وتخرج من دبره وتغل يده اليسرى إلى عنقه وتدخل يده اليمنى في فؤاده وتنزع من بين كتفيه ويشد بالسلاسل ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ويسحب على وجهه تضربه الملائكة بمقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وفي الحديث «إن أدنى أهل النار عذاباً الذي يجعل له نعلان يغلي منهما دماغه في رأسه». فعلى العاقل أن يجتنب أسباب العذاب والعمى ويجتهد أن لا يحشر أعمى وأشد العذاب عذاب القطيعة من الله الوهاب.

بعد حق باشد عذاب مستهين از نعيم قرب عشرت سازهين
هرکه نا بينا شود از آي هو مانند در تاريك مردمهای او
﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨)
وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾

﴿أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ الهمزة للإنكار التوبيخي والفاء للعطف على مقدر. والهداية بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل هو الجملة بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله ﷺ. والقرون جمع قرن وهو القوم المقترنون في زمن واحد. والمعنى اغفلوا فلم يبين لهم مآل أمرهم كثرة إهلاكنا للقرون الأولى أو الفاعل الضمير العائد إلى الله. والمعنى أفلم يفعل الله لهم الهداية فقله: أهلكنا بيان لتلك الهداية بطريق الالتفات. ومن القرون في محل النصب على أنه وصف لمميزكم أي: كم قرناً كائناً من القرون ﴿يمشون في مساكنهم﴾ حال من القرون أي: وهم في أمن وتقلب في ديارهم أو من الضمير في لهم مؤكداً للإنكار أي: أفلم يهد إهلاكنا للقرون السالفة من أصحاب الحجر وثمود وقریات قوم لوط حال كونهم ماشين في مساكنهم مارين بها إذا سافروا إلى الشام مشاهدين لآثار هلاكهم مع أن ذلك مما يوجب أن يهتدوا إلى الحق فيعتبروا لثلا يحل بهم مثل ما حل بأولئك. قال الراغب: المشي الانتقال من مكان إلى مكان بإرادة والسكون ثبوت الشيء بعد تحرك ويستعمل في الاستيطان نحو سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه واسم المكان مسكن والجمع مساكن ﴿إن في ذلك﴾ أي: في الإهلاك بالعذاب ﴿آيات﴾ كثيرة واضحة الهداية ظاهرة الدلالة على الحق فإذا هو هاد وأي هاد ﴿لأولي النهي﴾ جمع نهية بمعنى العقل أي: لذوي العقول الناهية عن القبائح وفيه دلالة على أن مضمون الجملة هو الفاعل لا المفعول، وفي «المثنوي»:

پس سپاس اوراکه مار ادر جهان کرد پیدا از پس پیشینیان
تاشنیدیم آن سیاستهای حق برقرون ماضیه اندر سبق
استخوان وپشم آن کرکان عیان بنکرید وپند کیرید ای مهان
عاقل از سربنهد این هستی وباد چون شنید آنجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد دیکران از حال او عبرتی کیرند از اضلال او

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ أي: ولولا الكلمة المتقدمة وهي العدة بتأخير عذاب هذه الأمة أي: أمة الدعوة إلى الآخرة لحكمة تقتضيه يعني أن الكلمة إخبار الله ملائكته وكتبه في

اللوح المحفوظ أن أمة محمد وإن كذبوا فسيؤخرون ولا يفعل بهم ما يفعل بغيرهم من الاستئصال لعلمه أن فيهم من يؤمن ولو نزل بهم العذاب لعلمهم الهلاك ﴿لَكَانَ﴾ عقاب جنائياتهم ﴿لِزَامًا﴾ أي: لزماً لهؤلاء الكفرة بحيث لا تتأخر جنائياتهم ساعة لزوم ما نزل بأولئك الغابرين عند التكذيب مصدر لازم وصف به للمبالغة ﴿وَأَجَلَ مَسْمًى﴾ عطف على كلمة والفصل للإشعار باستقلال كل منهما بنفي لزوم العذاب ومراعاة فواصل الآي أي: ولولا أجل مسمى لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة أو يوم بدر لما تأخر عذابهم أصلاً.

واعلم أن الله تعالى حرضهم على الإيمان من طريق العبرة والاستدلال رحمة منه تعالى ليعود نفعه إليهم لا له، كما قال «المنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على لطف توفر مود أي: قيوم وحى
لا لأن أربح عليهم جودتست كه شود زو جمله ناقصها درست

وقع في الكلمات القدسية «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً» فعلى العاقل التمسك بكلمة التوحيد حذراً من وقوع الوعيد وفي الحديث «لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى» قيل يا رسول الله من ذا الذي أبى؟ قال: «من لم يقل لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة». ثم إن تأخير العقوبة يتضمن لحكم منها رجوع التائب وانقطاع حجة المصّر فينبغي للعاقل المكلف أن يتعظ بمواعظ القرآن الكريم ويتقي القادر الحكيم ويجتهد في الطاعة والانقياد ولا يكون أسوأ من الجماد مع أن الإنسان أشرف المخلوقات وأبدع المصنوعات. عن جعفر الطيار رضي الله عنه قال: كنت مع النبي عليه السلام في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت: السلام عليك أيها الجبل فقال: بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال: بلغ سيلامي إلى رسول الله وقل له منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَأَتَقُوا النَّارَ أَلَّتِي وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْجِبَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء يقال من لم ينزجر بزواج القرآن ولم يرغب في الطاعات فهذا أشد قسوة من الحجارة وأساء حالاً من الجمادات نسأل الله تليين القلوب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (١٣٥)

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أي: إذا كان الأمر على ما ذكر من أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل إمهال وإنه لازم لهم البتة فاصبر على ما يقولون فيك من كلمات الكفر والنسبة إلى السحر والجنون إلى أن يحكم فيهم فإن علمه عليه السلام بأنهم معذبون لا محالة مما يسليه ويحمله على الصبر.

وفي «التأويلات النجمية» على ما يقول أهل الاعتراض والإنكار أنك محتاج في التربية إلى ذلك لتبلغ إلى مقام الصبر انتهى. قال بعضهم: هذا منسوخ بآية السيف. وفي «الكبير» هذا

غير لازم لجواز أن يقاتل ويصبر على ما يسمع منهم من الأذى. قال الراغب: الصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه فإن كان حبس النفس لمعصية يسمى صبراً لا غير ويضاده الجزع وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وإن كان في نائبة سمي ربح الصدر ويضاده الضجر وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده البذل وقد سمي الله تعالى كل ذلك صبراً ونبه عليه بقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ [الحج: ٣٥] ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ﴾ [الأحزاب: ٣٥] ويسمى الصوم صبراً لكونه كالنوع له ﴿وسبح﴾ ملتبساً ﴿بحمد ربك﴾ أي: صل حامداً لربك على هدايته وتوفيقه بطريق إطلاق اسم الجزء على الكل لأن التسبيح وذكر الله تعالى يفيد السلوة والراحة وينسى جميع ما أصاب من الغموم والأحزان ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] ﴿قبل طلوع الشمس﴾ المراد صلاة الفجر وفي الخبر «إن الذكر والتسبيح إلى طلوع الشمس أفضل من إعتاق ثمانين رقبة من ولد إسماعيل» خص إسماعيل بالذكر لشرفه وكونه أبا العرب ﴿وقبل غروبها﴾ يعني صلاتي الظهر والعصر لأنهما قبل غروبها بعد زوالها ﴿ومن آناء الليل﴾ أي: بعض ساعاته جمع أنى بالكسر والقصر كمعى وأمعاء واءاء بالفتح والمد ﴿فسبح﴾ فصل والمراد المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فإن القلب فيهما أجمع والنفس إلى الاستراحة أميل فتكون العبادة فيهما أشق ﴿وأطراف النهار﴾ أمر بالتطوع أجزاء النهار. وفي «العيون» هو بالنصب عطف على ما قبله من الظروف أي: سبح فيها وهي صلاة المغرب وصلاة الفجر على التكرار لإرادة الاختصاص كما في قوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ [البقرة: ٢٣٨] صلاة العصر عند بعض المفسرين. وفي «الجلالين» قبل غروبها صلاة العصر وأطراف النهار صلاة الظهر في طرف النصف الثاني ويسمى الواحد باسم الجمع. وقال الطبري قبل غروبها وهي العصر ومن آناء الليل هي العشاء الآخرة وأطراف النهار الظهر والمغرب لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الثاني فكانها بين طرفين والمغرب في آخر الطرف الثاني فكانت أطرافاً انتهى. وبهذا احتج الشيخ أبو القاسم الفزاري في «الأسئلة المقحمة»: وقد مضى ما يناسب هذه الآية في أواخر سورة هود وسيأتي في سورة ق أيضاً ﴿لعلك ترضى﴾ متعلق بسبح أي: سبح في هذه الأوقات رجاء أن تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك ويسر به قلبك. وقال الكاشفي: [خوشنودی در اصح اقوال بکرامتی ماشدکه خدای تعالی اورا عطا دهد وآن شفاعت امتست ونکته ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ (٥)﴾ [الضحى: ٥] تقویت این قول میکند:]

امت همه جسمند وتوی جان همه ایشان همه آن تو وتو آن همه

خوشنودی توجست خدادار محشر خوشنود نه مکر بغفران همه

واعلم أن الاشتغال بالتسبيح استنصار من المسيح للنصر على المكذبين وأن الصلاة أعظم ترياق لإزالة الألم ولذا كان النبي عليه السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وكان آخر ما أوصى به الصلاة وما ملكت أيمانكم والآية جامعة لذكر الصلوات الخمس. عن جرير بن عبد الله كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فرأى القمر ليلة البدر فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فافعلوا ثم قرأ ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ الآية قوله: «لا تضامون» بتشديد الميم من الضم أي: لا يضم بعضكم بعضاً ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته فالتاء مفتوحة والأصل تتضامون حذفت منه إحدى التاءين وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فالتاء مضمومة يعني لا ينالكم ضيم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستون كلکم في رؤيته تعالى وفي الحديث: «إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً» يقال: من داوم على الصلوات الخمس في الجماعة يرفع الله عنه ضيق العيش وعذاب القبر ويعطي كتابه بيمينه ويمر على الصراط كالبرق ويدخل الجنة بغير حساب ومن تهون في الصلاة في الجماعة يرفع الله البركة من رزقه وكسبه وينزع سيما الصالحين من وجهه ولا يقبل منه سائر عمله ويكون بغيضاً في قلوب الناس ويقبض روحه عطشان جائعاً يشق نزعه ويبتلى في القبر بشدة مسألة منكر ونكير وظلمة القبر وضيقه وبشدة الحساب وغضب الرب وعقوبة الله في النار وفي الحديث: «أمّتي أمة مرحومة» وإنما يدفع الله عنهم البلاء بإخلاصهم وصلواتهم ودعائهم وضعفائهم» وعن قتادة أن دانيال النبي عليه السلام نعت أمة محمد فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما أغرقوا ولو صلاها قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح ولو صلاها ثمود ما أخذتهم الصيحة فعلى المؤمن أن لا ينفك عن الصلاة والدعاء والالتجاء إلى الله تعالى:

﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَعْنَا بِهِ ۖ أَزُولُهَا مِنْهُمْ ۚ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَنْفَقَى ۖ﴾

﴿ولا تمدن عينيك﴾ أصل المد الجر ومنه المدة للوقت الممتد وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو وأمددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مداً والعين الجارحة بخلاف البصر ولذا قال تعالى في الحديث القدسي «كنت له سمعاً وبصراً» دون أذنأ وعيناً والمعنى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل. وقال بعضهم مد النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحساناً للمنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً أن له مثله. وفيه دليل على أن النظر الغير الممدود معفو عنه لأنه لا يمكن الاحتراز منه وذلك أن يباده الشيء بالنظر ثم يغض الطرف ولما كان النظر إلى الزخارف كالمركز في الطباع وأن من أبصر منها شيئاً أحب أن يمد إليه نظره ويملاً عينيه قيل له عليه السلام: ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي: لا تفعل ما عليه جبلة البشر. قال الكاشفي أبو رافع رضي الله عنه: [نقل ميكندكه مهماني نزد پیغمبر آمد ودرخانه چیزی نبود که بدان إصلاح شان مهمان توانستی نمود مرا بنزدیک یکی ازیهود فرستاد وگفت اورا بگو که محمد رسول الله میگوید که مهمانی بمنزل ما نزل نموده و منی یابیم نزدیک خود چیزی که بدان إصلاح شان مهمان توانستی نمود و منی یابیم نزدیک خود چیزی که بدان شرائط ضیافت بتقدیم رسد این مقدار آرد بما بفروش و معامله کن تا هلال رجب چون وقت برسد بها بفرستم من پیغام به یهودی رسانیدم و او گفت منی بفروشم و معامله نمیکنم مگر آنکه چیزی درکرو من نهید من باحضرت مراجعت نمودم و صورت حال بازگفتم حضرت فرمود والله انی لأمین فی السماء و آمین فی الأرض اکربا من معامله کردی البته حق اورا ادا کردم پس زره خود بمن داد تا نزدیک او کرو کردم این آیت جهت تسلیت دل مبارک وی نازل شد ﴿ولا تمدن عينيك﴾ وباز مکش نظر چشمهای خود را

يعنى منكراً ﴿إلى ما متعنا به﴾ نفعا به من زخارف الدنيا ومنه متاع البيت لما ينتفع به وأصل المتنوع الامتداد والارتفاع يقال متع النهار ومتع النبات ارتفع والمتاع انتفاع ممتد الوقت، والمعنى بالفارسية: [بسوى آن چیزى كه برخوردار کردانیدم بدان چیزى]. وفي «الكبير»: ألدننا به والامتناع الإلذاذ بما يدرك من المناظر الحسنة ويسمع من الأصوات المطربة ويشم من الريح الطيبة وغير ذلك من الملابس والمناكح ﴿أزواجاً منهم﴾ أي: أصنافاً من الكفرة كالوثني والكتابي من اليهود والنصارى وهو مفعول متعنا ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ منصوب بفعل يدل عليه متعنا أي: أعطينا زينة الدنيا وبهجتها ونضارتها وحسنها. قال الواسطي: هذه تسلية للفقراء وتعزية لهم حيث منع خير الخلق عن النظر إلى الدنيا على وجه الاستحسان ﴿لنفتنهم فيه﴾ أي: لنعاملهم فيما أعطينا معاملة من نبتليهم حتى يستوجبوا العذاب بأن نزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرًا وطغياناً فمن هذه عاقبته فلا بد من التنفر عنه فإنه عند الامتحان يكرم الرجل أو يهان. وقد شدد العلماء من أهل التقوى في وجوب غض البصر عن الظلمة وعدد الفسقة في ملابسهم ومراكبهم حتى قال الحسن لا تنظروا إلى دققة هماليج الفسقة ولكن انظروا كيف يلوح ذل المعصية من تلك الرفات وهذا لأنهم اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة فالناظر إليها محصل لغرضهم ومغر لهم على اتخاذها وفي الحديث «إن الدنيا» أي: صورتها ومتاعها «حلوة» شیرین «خضرة حسنة في المنظر تعجب الناظر» وإنما وصفها بالخضرة لأن العرب تسمي الشيء الناعم خضراً ولتشبيهها بالخضروات في سرعة زوالها وفيه بيان كونها غرارة تفتن الناس بحسنها وطعمها، قال الخجندي:

جهان وجمله لذاتش بزنبور عسل ماند

که شیرینیش بسیارست وزان افزون شر و شورش

وفي «المنوي»:

هرکه از دیدار بر خوردار شد این جهان درچشم او مردار شد
وقال الحافظ:

ازره مرو بعشوه دینی که این عجوز مکاره می نشیند ومحتاله می رود
وقال:

خوش عروسیست جهان ازره صورت لیکن

هرکه پیوست بدو عمر خودش کابین داد

«وإن الله مستخلفكم فيها» أي: جاعلكم خلفاء في الدنيا يعني أن أموالكم ليست هي في الحقيقة لكم وإنما هي لله تعالى جعلكم في التصرف فيها بمنزلة الوكلاء «فناظر كيف تعلمون» أي: تتصرفون. وعن عيسى ابن مريم عليه السلام لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم لها عبيداً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله ﴿ولا تمدن عينيك﴾ أي عيني البصر والبصيرة وهما عين الرأس وعين القلب واختص النبي عليه السلام بهذا الخطاب واعتز بهذا العتاب لمعنيين أحدهما لأنه مخصوص من جميع الأنبياء بالرؤية ورؤية الحق لا تقبل الشرك كما أن اللسان بالتوحيد لا يقبل الشرك والقلب بالذكر لا يقبل الشرك أو قال اذكر ربك إذا نسيت أي: بعد نسيان ما سواه فكذلك الرؤية لا تقبل الشرك وهو مد العينين ﴿إلى ما متعنا به أزواجاً منهم﴾

زهرة الحياة الدنيا ﴿ وهو الدنيا والآخرة لكن اكتفى بذكر الواحد عن الثاني والأزواج أهل الدنيا والآخرة أي: اغسل عيني ظاهرك وباطنك بماء العزة عن وصمة رؤية الدنيا والآخرة لاستحقاق اكتحالهما بنور جلالنا لرؤية جمالنا وإنما متعنا أهل الدارين بهما عزة لحضرة جلالنا ﴿ لنفتنهم فيه ﴾ باشتغالهم بتمتعات الدارين عن الوصول إلى كمال رؤية جمالنا. قيل: قرء عند الشبلي قدس سره ﴿ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَلَيْمٌ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴾ [یس: ۵۵] فشقق شهقة وقال مساكين لا يدرون عمن شغلوا حين شغلوا ﴿ ورزق ربك ﴾ أي: ما ادخر لك في الآخرة من الثواب أو ما أوتيته من يسير الكفاية مع الطاعة والرزق يقال للعطاء دنيوياً كان أو أخروياً وللنصيب تارة ولما يوصل إلى الجوف ويتغذى به تارة ﴿ خير ﴾ لك مما منحهم في الدنيا لأنه مع كونه في نفسه أجل ما يتنافس فيه المتنافسون مأمون الغائلة بخلاف ما منحوه ﴿ وأبقى ﴾ فإنه لا يكاد ينقطع أبداً. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه زهر درلغت شكوفه است حق سبحانه وتعالی دنیا را شكوفه خواند زیرا كه تروتا زکی اودوسه روزه بیش نباشد در اندك فرصتی پژمرده كردد ونیست شود]:

مال جهان بباغ تنعم شكوفه ايست كاول بجلوه دل بربايد زاهل حال
يكهفته نكذردكه فرو ريزد ازدرخت برخاك ره شود چوخس و خاك پايمال
اهل كمال در دل خود جا چرا دهند آنراكه دميدم زپی است آفت زوال
فعلى العاقل أن يختار الرزق الذي هو الباقي ولا يلتفت إلى النعيم الذي هو الفاني ويقنع بما في يده من القوت إلى أن يموت، قال الشيخ سعدى قدس سره:

كر آزاده برزمين خسب ويس مكن بهرفانى زمين بوس كس
نيرزد غسل جان من زخم نيش قناعت نكوتر بدوشاب خویش
خداوند زان بنده خرسند نيست كه راضى بقسم خداوند نيست
مپندار چون سرکه خود خورم كه جور خداوند حلوا برم
قناعت كن اى نفس براندكى كه سلطان ودرويش بينى يكى
كند مردرا نفس اماره خوار اكر هو شمندى عزيزش مدار
ثم إن الرزق المعتبر غاية الاعتبار ما صار غذاء للروح القدسي من العلم والحكمة والفيض الأزلي والتجلي، وفي «المثنوي»:

فهم نان کردی نه حکمت ای رهی زانکه حق کفت کلوا من رزقه
رزق حق حکمت به بود در مرتبت کان کلو کیرت نباشت عاقبت
این دهان بستی دهانی بازشد که خورنده لقمهای رازشد
کر زشیر دیوتن را وابری در فطام اوبسی نعمت خوری
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَابَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ (۱۳۲) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا نَجَاةٌ مِّن رَّبِّهِ أَوْلَمْ تأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿ ۱۳۳ ﴾

﴿ وأمر أهلك بالصلاة ﴾ یعنی: کما أمرناک بالصلاة فأمر أنت أهل بیتک فإن الفقير ینبغي أن يستعين بها على فقره ولا يهتم بأمره المعيشة ولا يلتفت إلى جانب أهل الغنى ﴿ واصطبر عليها ﴾ وداوم أنت وهم عليها غير مشغول بأمر المعاش فكان النبي ﷺ يذهب إلى فاطمة وعلي

كل صباح ويقول: «الصلاة» كان يفعل ذلك أشهراً. قال في «عرائس البقلی»: الاضطبار مقام المجاهدة والصبر مقام المشاهدة. قال ابن عطاء أشد أنواع الصبر الاضطبار وهو السكون تحت موارد البلاء بالسر والقلب والصبر بالنفس لا غير ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أي: لا نكلفك أن ترزق نفسك ولا أهلك إنما نسألك العبادة ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ وإياهم ففرغ بالك لأمر الآخرة فإن من كان في عمل الله كان الله في عمله ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الحميدة وهي الجنة فإن إطلاقها يختص بالثواب وبالفارسية [وسر انجام پسندیده] ﴿لِلتَّقْوَى﴾ أي لأهل التقوى يعني لك ولمن صدقك لا لأهل الدنيا إذ هي مع الآخرة لا تجتمعان فهو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه تنبيهاً على أن ملاك الأمر هو التقوى وهو ذم النفس والجوارح عن جميع ما يقبحه العلم.

- روي - أنه عليه السلام كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية. قال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب من الله تعالى بمثل الصلاة وكانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة وقلما نزلت بأحد منهم كرب إلا وكان مفزعه إلى الصلاة وقال الله تعالى في قصة يونس: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصفات: ١٤٣]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني من المصلين للثب في بطنه إلى يوم يبعثون يعني لبقى في بطن الحوت إلى يوم القيامة. وعن الشافعي رحمه الله أخذاً من هذه الآية لم أر أنفع للوباء من التسبيح. قال يحيى بن معاذ رحمه الله للعابدين أردية يكسونها من عند الله سداها الصلاة ولحمتها الصوم وصلاة الجسد الفرائض والنوافل وصلاة النفس عروجها من حضيض البشرية إلى ذروة الروحانية وخروجها عن أوصافها لدخولها الجنة المشرفة بالإضافة إلى الحضرة بقوله: ﴿فَادْخُلِي فِي عِذِّي﴾ ﴿وَأَدْخُلِي جَنِّي﴾ [الفجر: ٢٩-٣٠] وصلاة القلب دوام المراقبة ولزوم المحاضرة كقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] وصلاة السر عدم الالتفات إلى ما سوى الله تعالى مستغرقاً في بحر المشاهدة كما قال عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه» وصلاة الروح فناؤه في الله وبقاؤه بالله كما قال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] لأنه الفاني عن نفسه الباقي بربه فمن صلى هذه الصلاة أغناه الله عما عند الناس ورزقه مما عنده كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] ومن هنا كان يقول ﷺ: «أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني».

نیست غیر نور آدم را خورش جانرا جزآن نباشد پرورش
چون خوری یکبار ازان ماکول نور خاک ریزی بر سرنمان تنور
﴿وقالوا﴾ يعني كفار قريش: ﴿لولا﴾ هلا ﴿يأتينا﴾ [چرا نمی آرد محمد برای ما]
﴿بآية﴾ مما اقترحنا نحن ومن نعتد به ﴿من ربه﴾ كموسى وعيسى ليكون علامة لنبوته بلغوا من العناد إلى حيث لم يعدوا ما شاهدوا من المعجزات من قبيل الآيات حتى اجتروا على التفوه بهذه الكلمة العظيمة ﴿أولم تأتاهم بينة ما في الصحف الأولى﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والواو للعطف على مقدر والبينة الدلالة الواضحة عقلية كانت أو حسية والمراد هنا القرآن الذي فيه بيان للناس وما عبارة عن العقائد الحقية وأصول الأحكام التي اجتمعت عليها كافة الرسل. والصحف جمع صحيفة وهي التي يكتب فيها وحروف التهجي صحيفة على حدة مما أنزل على آدم والمراد بها التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب السماوية. والمعنى ألم يأتهم سائر الآيات ولم تأتاهم خاصة بينة ما في الصحف الأولى أي: قد أتاهم آية هي أم الآيات وأعظمها في باب

الإعجاز وهو القرآن الذي فيه بيان ما في الكتب الإلهية وهو شاهد بحقية ما فيها وبصححة ما ينطق به من أنباء الأمم من حيث إنه غني بإعجازه عما يشهد بحقيقته حقيق بإثبات حقيقه غيره فاشتماله على زبدة ما فيها مع أن الآتي به أُمِّي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها إعجاز بين . ثم بين أنه لا عذر لهم في ترك الشرائع وسلوك طريق الضلالة بوجه ما فقال :

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ۖ﴾ (١٢٤) ﴿قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ (١٢٥)

﴿ولو أنا أهلكناهم﴾ في الدنيا ﴿بعذاب﴾ مستأصل ﴿من قبله﴾ متعلق بأهلكنا أي : من قبل إتيان البينة وأصله ولو أهلكناهم أهلكناهم لأن لو إنما تدخل على الفعل فحذف الفعل الأول احترازاً عن العبث لوجود المفسر ثم أبدل من الضمير المتصل وهو الفاعل ضمير منفصل وهو أنا لتعذر الاتصال لسقوط ما يتصل به فأنا فاعل الفعل المحذوف لا مبتدأ ولا تأكيد إذ لم يعهد حذف المؤكد والعامل مع بقاء التأكيد ﴿لقالوا﴾ يوم القيامة احتجاجاً ﴿ربنا لولا أرسلت﴾ [جرا نفر ستادی] ﴿إلينا﴾ في الدنيا ﴿رسولاً﴾ مع كتاب ﴿فتتبع آياتك﴾ التي أنزلت معه ﴿من قبل أن نذل﴾ بذل الضلالة وعذاب القتل والسبي في الدنيا كما وقع يوم بدر والذل الهوان وضد الصعوبة . وقال الراغب الذل ما كان من قهر والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر وقوله تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء : ٢٤] أي : كن كالمقهور لهما ﴿ونخزي﴾ بعذاب الآخرة ودخول النار اليوم ، وبالفارسية : [ورسوا كنيم در قیامت بدخول در آتش] . قال الراغب خزي الرجل لحقه انكسار إما من نفس وإما من غيره فالذي يلحقه من نفسه هو الحياء المفرط ومصدره الخزية والذي يلحقه من غيره يقال هو ضرب من الاستخفاف ومصدره الخزي . والمعنى ولكننا لم نهلكهم قبل إتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك اعترفوا وقالوا : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء . قال في «الأسئلة المقحمة» : هذا يدل على أنه يجب على الله أن يفعل ما هو الأصلح لعباده المكلفين إذ لو لم يفعل لقامت لهم عليه الحجة بأن قالوا هلا فعلت بنا ذلك حتى نؤمن والجواب لو كان يجب عليه ما هو الأصلح لهم لما خلقهم فليس في خلقه إياهم وإرسال الرسل إليهم رعاية الأصلح لهم مع علمه بأنهم لا يؤمنون به ولكنه أرسل الرسل وأكد الحجة وسلب التوفيق والله تعالى ما يشاء بحق المالكية .

﴿قل﴾ لأولئك الكفرة المتمردين ﴿كل﴾ أي : كل واحد منا ومنكم ﴿متربص﴾ انتظار الأمر أو زواله منتظراً لما يؤول إليه أمرنا وأمركم . قال الكاشفي : [يعني شما نكبت ما راجشم میدارید وما عقوبت شمارا] . قال في «الكبير» : كل منا ومنكم منتظر عاقبة أمره إما قبل الموت بسبب الجهاد وظهور الدولة والقوة أو بعد الموت بالثواب والعقاب وبما يظهر على المحق من أنواع كرامة الله وعلى المبطل من أنواع إهانته .

- وروي - أن المشركين قالوا : نتربص بمحمد حوادث الدهر فإذا مات تخلصنا فقال

تعالى : ﴿فتربصوا﴾ أنتم ﴿فستعلمون﴾ عن قريب إذا جاء أمر الله ﴿من أصحاب الصراط السوي﴾ المستقيم . والأصحاب جمع صاحب بمعنى الملازم . والصراط من السبيل ما لا التواء فيه أي : لا اعوجاج بل يكون على سبيل القصد ﴿ومن اهتدى﴾ من الضلال أي : أنحن أم أنتم

كما قال بعضهم:

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار
وفيه تهديد شديد لهم. قال الكاشفي: [مراد حضرت پیغمبرست که هم راه راه یافته وهم
راه نماینده است]:

راه دان وراه بین وراه بر در حقیقت نیست جز خیر البشر
وفي الآية إشارة إلى المهتدين بالوصول إليه بقطع المنازل والانفصال عما سواه
والمنقطعين عنه باتصال غيره كما قال الخجندی:

وصل میسر نشود جز بقطع قطع نخست از همه ببریدنست
واعلم أن الله تعالى قطع المعذرة بالإمهال و«الإرشاد» فلله الحجة البالغة. وعن أبي
سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال عليه السلام: «يحتج على الله ثلاثة: الهالك في الفترة
يقول لم يأتي رسول وتلا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولا﴾ والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي
عقلاً أنتفع به ويقول الصغير كنت صغيراً لا أعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فدخلها من
كان في علم الله أنه سعيد وينكل عنها من كان في علمه أنه شقي فيقول الله إياي عصيت فكيف
برسلي لو أتوكم» كما في «التفسير الكبير» وفي الحديث: «لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا
سورة طه ويس» كما في «الكشاف».

تمت سورة طه في العشرين من شهر ربيع الأول
من سنة ست ومائة وألف من هجرة من له العز والشرف

٢١ - سورة الأنبياء

مائة واثننا عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢١﴾

﴿اقتراب للناس حسابهم﴾ يقال قرب الشيء واقترب إذا دنا وقربت منه ولذا قال في «العيون»: اللام بمعنى من وهي متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة إلى إدخال الروعة فإن نسبة الاقتراب إليهم من أول الأمر مما يسوؤهم ويورثهم رهبة وانزعاجاً من المقترّب والمراد بالناس المشركون المنكرون للبعث من أهل مكة كما يفصح عنه ما بعده من الغفلة والإعراض ونحوهما. والحساب بمعنى المحاسبة وهو إظهار ما للعبد وما عليه ليجازى على ذلك والمراد باقتراب حسابهم اقترابه في ضمن اقتراب الساعة وسمي يوم القيامة بيوم الحساب تسمية للزمان بأعظم ما وقع فيه وأشدّه وقعاً في القلوب فإن الحساب هو الكاشف عن حال المرء ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فإنه في كل ساعة من ساعات الزمان أقرب إليهم من الساعة السابقة مع أن ما مضى أكثر مما بقي وفي الحديث «أما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» وإنما لم يعين الوقت لأن كتمانها أصلح كوقت الموت. والمعنى دنا من مشركي قريش وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم السيئة الموجبة للعقاب يعني القيامة. وقال الكاشفي نقلاً عن بعض [نزدك شد وقت مؤاخذت وياد داشت إيشان كه قتل وكر فتاریء روز بدرست]. يقول الفقير: هذا هو الأظهر عندي لأن زمان الموت متصل بزمان القيامة فاقتراب وقت مؤاخذتهم بالقتل ونحوه في حكم اقتراب وقت محاسبتهم بالقيامة ومثله من مات فقد قامت قيامته ﴿وهم في غفلة﴾ الغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ واليقظ أي: والحال أنهم في غفلة تامة من الحساب على النقيير والقطمير والتأهب له ساهون عنه بالكلية لا أنهم غير مباليين مع اعترافهم بإتيانه بل منكرون له كافرون به مع اقتضاء عقولهم لأن الأعمال لا بد لها من الجزاء وإلا لزم التسوية بين المطيع والعاصي وهي بعيدة عن مقتضى الحكمة والعدالة ﴿معرضون﴾ عن الإيمان والآيات والنذر المنبهة لهم من سنة الغفلة يقال أعرض أي: ولى مبدياً عرضه أي: ناحيته وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة أمراً جليلاً لهم جعل الخبر الأول ظرفاً منبئاً عن الاستقرار بخلاف الإعراض والجملة حال من الناس.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا نصحهم ناصح واقف على أحوالهم فهم معرضون عن

استماع قوله ونصيحته كما قال: ﴿وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَةَ﴾ [الأعراف: ٧٩]، قال الشيخ سعدى:

كسى راکه پندار در سر بود مپندار هرگز که حق بشنود
زعلمش ملال آیداز وعظ ننگ شقائق بباران زوید زسنگ

وفي «العرائس للبقلي»: أن الله تعالى حذر الجمهور من مناقشته في الحساب وزجرهم حتى ينتهوا عن رقاد الغفلات وقرب الحساب أقرب من كل شيء منهم لو يعلمون فإنه تعالى يحاسب العباد في كل لمحة ونفس وحسابه أدق من الشعر وأخفى من ديبب النمل على الصفا ولا يعرف ذلك إلا المراقبون الذين يحاسبون في كل نفس وخطوة وهم في غفلة وفي حجاب عن مشاهدة الله معرضون عن طاعته إذ لا حظ لهم في الطاعات ولا شرب لهم في المشاهدات.

﴿ما يأتيهم من ذكر﴾ من طائفة نازلة من القرآن تذكروهم الحساب أكمل تذكير وتنبيههم عن الغفلة أتم تنبيه كأنها نفس الذكر ﴿من ربهم﴾ من لابتداء الغاية مجازاً متعلقة بآتيهم وفيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة ما فعلوا به ﴿محدث﴾ بالجر صفة لذكر أي: محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة لتكرره على أسماعهم للتنبيه كي يتعظوا فالمحدث تنزيله في كل وقت على حسب المصالح وقدرة الحاجة لا الكلام الذي هو صفة قديمة أزلية وأيضاً الموصوف بالإتيان وبأنه ذكر هو المركب من الحروف والأصوات وحدوثه مما لا نزاع فيه قالوا: القرآن اسم مشترك يطلق على الكلام الأزلي الذي هو صفة الله وهو الكلام النفسي القديم من قال بحدوثه كفر ويطلق أيضاً على ما يدل عليه وهو النظم المتلو الحادث من قال بقدمه سجل على كمال جهله ﴿إلا استمعوه﴾ استثناء مفرغ محله النصب على أنه حال من مفعول يأتيهم بإضمار قد ﴿وهم يلعبون﴾ حال من فاعل استمعوه يقال لعب إذا كان فعل غير قاصد به مقصداً صحيحاً.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُدَبِّرُ الْأُمُورَ﴾ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَكَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ بُصُورٌ ﴿٣﴾

﴿لا إلهة قلوبهم﴾ حال أخرى يقال لها عنه إذا ذهل وغفل. قال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا ولهيت بكذا اشتغلت عنه بلهو وألهاه عن كذا شغله عما هو أهم. والمعنى ما يأتيهم ذكر من ربهم محدث في حال من الأحوال إلا حال استماعهم إياه لاعتين مستهزئين به لاهين عنه متشاغلين عن التأمل فيه لتناهي غفلتهم وفرط إعراضهم عن النظر في الأمور والتفكير في العواقب قدم اللعب على اللهو تنبيهاً على أنهم إنما قدموا على اللعب لذولهم عن الحق فاللعب الذي هو السخرية والاستهزاء نتيجة اللهو الذي هو الغفلة عن الحق والذهول عن التفكير. قال بعضهم: القلب اللاهي هو المشغول بأحوال الدنيا والغافل عن أحوال العقبى. قال الواسطي لاهية عن المصادر والموارد والمبدأ والمنتهى.

يا الهي بحود نامتناهى ازسوا دوركن دل لاهى

﴿وأسروا النجوى﴾ النجوى في الأصل مصدر، بالفارسية: [راز كفتن] ثم جعل اسماً من التناجي بمعنى القول الواقع بطريق المسارة أي: السر بين اثنين فصاعداً يقال تناجى القوم إذا تساوروا وتكالموا سراً عن غيرهم. قال الراغب ناجيته ساررته وأصله ارتحلوا به في نجوه من

الأرض أي: المرتفع المنفصل بارتفاعه عما حوله ومعنى إسرارها مع أنها لا تكون إلا سرّاً أنهم بالغوا في إخفائها ﴿الذين ظلموا﴾ على أنفسهم بالشرك والمعصية بدل من واو أسروا منبىء عن كونهم موصوفين بالظلم الفاحش فيما أسروا به كأنه قيل فماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا: ﴿هل هذا﴾ هل بمعنى النفي أي: ما محمد ﴿إلا بشر مثلكم﴾ لحم ودم مساو لكم في المأكّل والمشرب وكل ما يحتاج إليه البشر والموت مقصور على البشرية ليس له وصف الرسالة التي يدعيها والبشر ظاهر الجلد والأدمة باطنه عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف والشعر والوبر واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع وخص في القرآن كل موضع عبر عن الإنسان جثته وظاهره بلفظ البشر ﴿أفتأتون السحر﴾ الهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ﴿وأنتم تبصرون﴾ حال من فاعل تأتون مقررّة للإنكار ومؤكدة للاستبعاد أي: ما هذا إلا من جنسكم وما أتى به يعنون القرآن سحر أتعلّمون ذلك فتأتونه وتحضرونه على وجه الإذعان والقبول وأنتم تعاينون أنه سحر قالوه لاعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً وأن كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر أي: الخداع والتخييلات التي لا حقيقة لها. قال الإمام طعنوا في نبوته بأنه بشر وما أتى به سحر وهو فاسد إذ صحة النبوة تعرف من المعجزة لا من الصورة ولو بعث الملك إليهم لم يعلموا نبوته بصورته بل بالمعجزة فإذا ظهر على يد بشر وجب قبوله:

لوح صورت بشوى ومعنى جو كه صور برك شد معاني بو

وإنما أسروا ذلك لما كان هذا الحديث منهم على طريق التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق إلى هدم أمر النبوة وإطفاء الدين وعادة المشاورين أن يجتهدوا في كتمان سرهم عن أعدائهم ما أمكن ومنه قول معاذ رفعه إلى رسول الله ﷺ «استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود».

﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿١﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ أَفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِئْ بِشَايِرٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ ﴿٢﴾

﴿قال﴾ الرسول عليه السلام بعدما أوحى إليه أقوالهم وأحوالهم بياناً لظهور أمرهم وانكشاف سرهم ﴿ربّي يعلم القول﴾ سرّاً كان أو جهراً حال كون ذلك القول ﴿في السماء والأرض﴾ فضلاً عما أسروا به وإذا علم القول علم الفعل ﴿وهو السميع العليم﴾ أي: المبالغ في العلم بالسموعات والمعلومات التي من جملتها ما أسروه من النجوى فيجازيهم بأقوالهم وأفعالهم.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها كما في «القاموس». والحلم بضم الحاء وسكون اللام الرؤيا وضم اللام أيضاً لغة فيه فالأحلام بمعنى المنامات سواء كانت باطلة أو حقة وأضيفت الأضغاث بمعنى الأباطيل إليها على طريق إضافة الخاص إلى العام إضافة بمعنى من وقد تخص الرؤيا بالمنام الحق والحلم بالمنام الباطل كما في قوله عليه السلام: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان» ثم إن هذا إضراب من جهته تعالى وانتقال من حكاية قول إلى آخر أي: لم يقتصروا على أن يقولوا في حقه عليه السلام ﴿هل هذا إلا بشر﴾ وفي حق ما ظهر

على يده من القرآن الكريم إنه سحر بل قالوا تخاليط أحلام أي: أخلاط أحلام كاذبة رآها في المنام ﴿بل افتراه﴾ من تلقاء نفسه من غير أن يكون له أصل أو شبهة أصل ثم قالوا: ﴿بل هو شاعر﴾ وما أتى به شعر يخيل إلى السامع معاني لا حقيقة لها وهذا شأن المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وأبطل فالإضراب الأول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم. قال الراغب شعرت أصبت الشعر ومنه استعير شعرت كذا أي: علمت علماً في الدقة كإصابة الشعر قيل وسمي الشاعر لفظته ودقة معرفته فالشعر في الأصل اسم للعلم الدقيق في قولهم ليت شعري وصار في التعارف اسماً للموزون المقفى من الكلام والشاعر للمختص بصناعته وقوله تعالى حكاية عن الكفار ﴿بل هو شاعر﴾ كثير من المفسرين حملوه على أنهم رموه بكونه آتياً بشعر منظوم مقفى حتى تأولوا عليه ما جاء في القرآن من كل لفظة تشبه الموزون من نحو قوله: «وجفان كالجواب وقدر راسيات» وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَايَ لِهَبٍ﴾ [المسد: ١]. وقال بعض المحققين لم يقصدوا هذا المقصد فيما رموه به وذلك أنه ظاهر من هذا الكلام أنه ليس على أساليب الشعر ولا يخفى ذلك على الاغتمام من العجم فضلاً عن بلغاء العرب وإنما رموه بالكذب فإن الشعر يعبر به عن الكذب والشاعر الكاذب حتى سموه الأدلة الكاذبة بالشعر ولكون الشعر مقر الكذب. قيل: أحسن الشعر أكذبه. وقال بعض الحكماء لم ير متدين صادق اللهجة مفلقاً في شعره:

در قیامت نرسد شعر بفریاد کسی کر سراسر سخنش حکمت یونان کردد
وأما قول صاحب «المثنوي»:

از کرامات بلند اولیا اولا شعرست وآخر کیمیا

فالمراد به القدرة على إنشاء الكلام الموزون وليس من مقتضاها التكلم ﴿فليأتنا بآية﴾ جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من الله فليأتنا بآية جليلة ﴿كما أرسل الأولون﴾ أي: مثل الآية التي أرسل بها الأولون كاليد والعصا وإحياء الموتى والناقة ونظائرها حتى تؤمن به فما موصولة وعائدها محذوف ومحل الكاف الجر على أنها صفة الآية.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

﴿ما آمنت قبلهم﴾ قبل مشركي مكة ﴿من قرية﴾ اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس أي: من أهل قرية وهو في محل الرفع على الفاعلية ومن مزيدة لتأكيد العموم ﴿أهلكناها﴾ أي: بإهلاك أهلها لعدم إيمانهم بعد مجيء ما اقترحوه من الآيات صفة لقرية ﴿أفهم يؤمنون﴾ الهمزة لإنكار الوقوع والفاء للعطف على مقدر. والمعنى أنه لم تؤمن أمة من الأمم المهلكة عند إعطاء ما اقترحوه من الآيات أهم لم يؤمنوا فهؤلاء يؤمنون لو أجيبوا إلى ما سئلوا وأعطوا ما اقترحوا مع كونهم أعتى منهم وأطغى كما قال تعالى: ﴿كَفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ﴾ [القمر: ٤٣] يعني أن كفاركم مثل أولئك الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون فهم في اقتراح تلك الآيات كالباحث عن حتفه بظلفه، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

ولا تك كالشاة التي كان حتفها بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

وأصله أن رجلاً وجد شاة وأراد ذبحها فلم يظفر بسكين وكانت مربوطة فلم تزل تبحث برجليها حتى أبرزت سكيناً كانت مدفونة فذبحها بها يضرب في مادة تؤدي صاحبها إلى التلف وما يورط الرجل فيه نفسه كهذا المستعمق وفيه تنبيه على أن عدم الإتيان بالمقترح للترحم بهم إذ لو أتى به لم يؤمنوا واستوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وقد سبق وعده تعالى في حق هذه الأمة أن يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة.

قال في «التأويلات النجمية»: والآية وإن نزلت في منكري البعث من الكفار فهي تعم أكثر مدعي الإسلام في زماننا هذا فإنه لا يحدث الله في عالم رباني من أهل الذكر وهم أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته سرّاً من أسرار القرآن وحقيقة من حقائق العلوم اللدنية إلا أسمعهم أهل العزة بالله وهم يستهزئون به وينكرونه عليه لاهية قلوبهم بمتابعة الهوى متعلقة بشهوات الدنيا ساهية عن ذكر الله غافلة عن طلبه وتناجوا في السر الذين ظلموا أنفسهم بالإنكار على أن الأسرار يقولون فيه ما يأتيكم به من الكلام المموه وأنتم تبصرون أنه مموه كالسحر قل أمرهم إلى الله فإنه يعلم قول أهل السماء سماء القلوب وقول أهل الأرض النفوس وهو السميع لأقوال أهل القلوب وأقوال أهل النفوس وإنكارهم العليم بما في ضمائرهم وبأفعالهم وأوصافهم وأوصاف سرائرهم بل قالوا كلام المحققين خيالات فاسدة وقال بعض المنكرين بل اختلقه من نفسه وادعى أنه من مواهب الحق وقال بعضهم بل هو شاعر أي: يقول ما يقول بحذاقة النفس وقوة الطبع والذكاء ثم قال بعضهم لبعض فليأتنا هذا المحق بكرامة ظاهرة كما أتى بها المشايخ المتقدمون ثم قال: ما آمنت قبلهم من أهل قرية من المنكرين لما رأوا كرامات أولياء الله فأهلكناهم بالخذلان والإبعاد أفهم يصدقون أرباب الحقائق إن رأوا كرامة منهم وهم طبعوا على الإنكار مثل المنكرين الهالكين وفي «المنوي»:

مغزراً خالى كن ازانكار يار	تاكه ريحان يابد از كلزار يار
تا بيابى بوى خلد از يار من	چون محمد بوى رحمان ازيمن
يك مناره درثناى منكران	كو درين عالم كه تاباشد نشان
منبرى كوكه برآنجا مخبرى	ياد آرد روزكار منكبرى
روى دينار ودرم از نامشان	تا قيامت ميدهد ازحق نشان
سكه شاهان همى كردد ذكر	سكه احمد ببين تا مستقر
برزخ نقره وياروى زرى	وانما برسكه نام منكبرى
هركه باشد همنشين دوستان	هست دركلخن ميان بوستان
هركه بادشمن نشيند درزمن	هست او در بوستان دركولخن

اللهم اجعلنا من المجالسين لأهل الودّ والولاء واحشرنا معهم بحق الملائة الأعلى.

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً﴾ جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم أي: وما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك إلى أمّتك إلا رجالاً مخصوصين من أفراد الجنس مستأهلين ومثله في الفارسية [كلمه مرد] ﴿نوحى إليهم﴾ بواسطة الملك ما نوحى من الشرائع والأحكام وغيرهما من القصص والأخبار كما نوحى إليك من غير فرق بينهما في حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله كما لا فرق بينك وبينهم في البشرية فما لهم لا يفهمون أنك لست بدعا من الرسل وأن ما أوحى إليك ليس مخالفاً لما أوحى إليهم فيقولون ما يقولون.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه تعالى يظهر في كل قرن رجالاً بالغين من متابعي الأنبياء ويخصهم بوحى الإلهام كما أظهر في زمان عيسى عليه السلام الحواريين من متابعيه وأوحى إليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١] ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ قد سبق أن الذكر يطلق على الكتب الإلهية أي: إن كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسألوا أيها الكفرة الجهلة أهل الكتاب الواقفين على أحوال الرسل السالفة لتزول شبهتكم أمروا بذلك لأن إخبار الجم الغفير يوجب العلم لا سيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته عليه السلام ويشاورونهم في أمره وكانوا لا ينكرون كون الرسل بشراً وإن أنكروا نبوته عليه السلام.

- روي - أنه قيل للإمام الغزالي رحمه الله بماذا حصل لكم الإحاطة بالأصول والفروع فتلا هذه الآية وأشار إلى أن السؤال من أسباب العلم وطريقه.

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٨) ثُمَّ صَدَقَهُمُ الْوَعْدَ فَأَجْبَيْنَهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

﴿وما جعلناهم﴾ أي: الرسل ﴿جسداً﴾ الجسد جسم الإنسان والجن والملائكة. قال الراغب: الجسد كالجسم لكنه أخص فإن الجسد ما له لون والجسم يقال لما لا يبين له لون كالماء والهواء ونصبه على أنه مفعول ثان للجعل لا بمعنى جعله جسداً بعد أن لم يكن كذلك كما هو المشهور من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحانه من صغر البعوض وكبر الفيل ﴿لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ صفة له والطعام البر وما يؤكل والطعم تناول الغذاء أي: وما جعلناهم جسداً مستغنياً عن الأكل والشرب بل محتاجاً إلى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه ﴿وما كانوا خالدين﴾ لأن مآل التحلل هو الفناء لا محالة والخلود تبرؤ الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي هو عليها والمراد إما المكث المديد كما هو شأن الملائكة أو الأبدى وهم معتقدون أنهم لا يموتون. والمعنى جعلناهم أجساداً متغذية صائرة إلى الموت بالآخرة على حسب آجالهم لا ملائكة ولا أجساداً مستغنية عن الأغذية مصونة عن التحلل كالملائكة فلم يكن لها خلود كخلودهم.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الأنبياء والأولياء خلقوا محتاجين إلى الطعام بخلاف الملائكة وذلك لا يقدح في النبوة والولاية بل هو من لوازم أحوالهم وتوابع كمالهم فإن لهم فيه فوائد جمة منها:

أن الطعام للروح الحيواني الذي هو مركب الروح الإنساني كالدهن للسراج وهو منبع جميع الصفات النفسانية الشهوانية وهو مركب الشوق والمحبة التي بها يقطع السالك الصادق مسالك البعاد ويعبر العاشق مهالك الفراق للوصول إلى كعبة الوصال.

ومنها: أن أكل الطعام من نتائج الهوى وهو يميل النفس إلى مشتياتها والسير إلى الله بحسب نهى النفس عن الهوى كقوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٤١) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٢﴾ [التازعات: ٤٠-٤١] ولذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله.

ومنها: أن كثيراً من علم الأسماء التي علم الله آدم منوط بأكل الطعام مثل علم ذوق المذوقات وعلم التلذذ بالمشتيات وعلم لذة الشهوة وعلم الجوع وعلم العطش وعلم الشبع

والري وعلم هضم الطعام وثقله وعلم الصحة والمرض وعلم الداء والدواء وأمثاله والعلوم التي تتعلق به كعلوم الطب بأجمعها والعلوم التي هي توابعها كمعرفة الأدوية والحشائش وخواصها وطبائعها وغيرها اقتصرنا على هذا القدر من الفوائد الجمة فافهم جداً.

- حكي - أن واحداً من الصوفية المتحقيقين بحقائق تجلي الصمدية لم يأكل طعاماً ستة أشهر فألح عليه شيوخه بالأكل لما أن الكمال المحمدي في الإفطار والإمسك والسهر والمنام ونحو ذلك لا في الرهبانية المذمومة وفي «المنثوي»:

هين مكن خودرا خصی رهبان مشو زانکه عفت هست شهوت را کرو
بی هوا نهی از هوا ممکن نبود هم غزا بر مردکان نتوان نمود
پس کلوا از بهر دام شهوتست بعد ازان لا تسرفوا آن عفتست
چونکه رنج صبر نبود مرترا شرط نبود پس فروناید جزا
حبذا آن شر وشادا آن جزا آن جزای دلنواز جانفزا

قال الشافعي رحمه الله: أربعة لا يعبأ الله بهم يوم القيامة: زهد خصي، وتقوى جندي، وأمانة امرأة، وعبادة صبي وهو محمول على الغالب كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي.

﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ عطل على مقدر وصدق يتعدى إلى الثاني بحرف الجر وهو هنا محذوف كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنُؤَيِّدُكُم بِالْجُنُودِ﴾ [الأعراف: ١٥٥] كأنه قيل أوحينا إليهم ما أوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعف الوحي بإهلاك أعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ من المؤمنين وغيرهم ممن تستدعي الحكمة إبقائه كمن سيؤمن هو أو بعض فروعها بالآخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستئصال.

يقول الفقير هكذا قال إذ الظاهر تخصيص من نشاء بالمؤمنين الآية في الرسل السالفة مع أممهم وعذابهم كان عذاب استئصال ولم ينج منهم غير المؤمنين فهي كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] ولما كانت العرب مصونة من عذاب الاستئصال لم يبعد أن يبقى منهم من سيؤمن هو أو بعض فروعها كما وقع يوم بدر فافهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ أي: مجاورين للحد في الكفر والمعاصي. قال الراغب السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر.

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْرٍ كَانَتْ ظِلْمَةً وَأَنفُسًا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ﴾ ﴿١١﴾

﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ أي: والله لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كتاباً﴾ عظيم الشأن نير البرهان ﴿فيه ذكركم﴾ موعظتكم بالوعد لترغبوا وتحذروا وليس بسحر ولا شعر ولا أضغاث أحلام ولا مفترى كما تدعون ﴿أفلا تعقلون﴾ الفاء للعطف على مقدر أي: ألا تتفكرون فلا تعقلون أن الأمر كذلك. وقال بعضهم فيه ذكركم أي: شرفكم لأنه بلغة العرب. قال الكاشفي: [ابن آيت أهل قرآننا تشريفي تمام وتكريمي مالا كلامست وخبر «أشرف أمتي حملة القرآن» مؤيد ومؤكد ابن اجلال واکرام] والمراد بحملة القرآن ملازمو قراءته كما في «تفسير الفاتحة» للفناري:

أهل قرآنند أهل الله وبس اندر ایشان کی رسی هی بوالهوس
 اهل باشد جنس وجنس این کلام نیست جز مرغی که بروازد زدام
 وفي الحديث: «إن الله أهلين من الناس أهل القرآن وهم أهل الله» أي: خاصته. قال ابن
 مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله ﷺ جمعنا في بيت أمانا عائشة رضي الله عنها ثم
 نظر إلينا فدمعت عيناه وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله تعالى أوصيكم بتقوى الله
 وطاعته قد دنا الفراق وحان المنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى يغسلني
 رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شأؤوا أو في حلة يمانية فإذا غسلوني وكفنونني
 ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي
 علي حبيبي جبرائيل ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم ملك الموت مع جنودهم ثم ادخلوا علي فوجاً
 فوجاً وصلوا علي فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يا رسول الله أنت نور ربنا وشمع
 جمعنا وسلطان أمرنا إذا ذهب عنا إلى من نرجع في أمورنا قال: «تركتكم على المحجة
 البيضاء» أي: الطريق الواسع الواضح «ليلها كنهارها» في الوضوح «وتركت لكم واعظين ناطقاً
 وصامتاً» فالناطق القرآن والصامت الموت «فإذا أشكل عليكم أمر فارجعوا إلى القرآن والسنة
 وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الأموات» وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً
 «من تعلم القرآن في صغره اختلط القرآن بلحمه ودمه ومن تعلمه في كبره فهو يتفلسف منه ولا
 يتزكك فله أجره مرتين» وجه الأول أنه في الصغر خال عن الشواغل وما صادف قلباً خالياً يتمكن
 فيه قال الشاعر:

اتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا
 ويدخل في الثاني من له حصر أو عي لأن من قرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران أجر
 لقراءته وأجر لمشققته كذا في «شرح المصابيح».

﴿وكم قصصنا من قرية﴾ كم خبرية للتكثير محلها النصب على أنها مفعول لقصصنا ومن
 قرية تمييز وفي لفظ القصص الذي هو عبارة عن الكسر بإبانة إجراء المكسور وإزالة تأليفها بالكلية
 من الدلالة على قوة الغضب وشدة السخط ما لا يخفى ﴿كانت ظالمة﴾ صفة لقرية بتقدير
 المضاف أي: وكثيراً كسرنا وأهلكنا من أهل قرية كانوا ظالمين بآيات الله كافرين بها كدأبكم يا
 معشر قريش ﴿وأنشأنا بعدها﴾ أي: بعد إهلاكها والإنشاء والاختراع والتكوين والتخليق
 والإيجاد أسماء مترادفة يراد بها معنى واحد وهو إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود كما في
 «بحر العلوم». قال الراغب: الإنشاء إيجاد الشيء وتربيته وأكثر ما يقال ذلك في الحيوان كما
 في هذه الآية ﴿قوماً آخرين﴾ أي ليسوا منهم نسباً ولا ديناً.

﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِينَكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تُسْتَلُونَ (١٣) قَالُوا يَبُولْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا
 خَائِدِينَ (١٥)

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ الضمير للأهل المحذوف والبأس الشدة والمكروه والنكايه أي:
 أدركوا عذابنا الشديد إدراكاً تاماً كأنه إدراك المشاهد المحسوس ﴿إذا هم منهم﴾ من القرية إذا
 للمفاجأة وهم مبتدأ خبره قوله: ﴿يركضون﴾ الركض ضرب الدابة بالرجل للعدو فمتى نسب

إلى الراكب فهو إعداد مركوبه نحو ركضت الفرس ومتى نسب إلى الماشي فوطئ الأرض والمعنى يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو مشبهين بهم في إفراط الإسراع.

﴿لا تركضوا﴾ أي: قيل لهم بلسان الحال أو بلسان المقال من الملك لا تركضوا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ يقال أترفته النعمة أطعته وأترف فلان أصر على البغي أي: إلى ما أعطيتموه من العيش الواسع والحال الطيبة حتى بطرتم به فكفرتم وأعرضتم عن المعطي وشكره ﴿ومساكنكم﴾ التي تفتخرون بها وفي «المثنوي»:

افتخاراز رنك وبو واز مكان هست شادی وفريب كودكان
﴿لعلكم تسألون﴾ تقصدون من جهة الناس للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل كما هو عادة الناس مع عظمائهم في كل قرية لا يزالون يقطعون أمراً دونهم.
﴿قالوا﴾ لما ينسوا من الخلاص بالهرب وأيقنوا بنزول العذاب ﴿يا ويلنا﴾ يا ويل ويا هلاك تعال فهذا وقتك. وقال الكاشفي: [أي وای برما] ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: مستوجبين للعذاب وهو اعتراف منهم بالظلم وباستتباعه للعذاب وندمهم عليه حين لم ينفعهم ذلك.
﴿فما زالت تلك﴾ أي: كلمة الويل وهي يا ويلنا إنا كنا ظالمين وهي اسم ما زالت وخبره قوله: ﴿دعواهم﴾ أي: دعاءهم ونداءهم أي: رددوها مرة بعد أخرى ﴿حتى جعلناهم حصيداً﴾ أي: مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع أي: لأن الفعل بمعنى المفعول يستوي فيه المفرد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿خامدين﴾ حال من المنصوب في جعلناهم أي: ميتين من خمدت النار إذا أطفئ لهبها ومنه استعير خمدت الحمى أي: سكنت حرارتها وزالت شهوة الموت لخمود النار وانطفائها فأطلق عليه الخمود ثم اشتق منه خامدين. دلت الآية على أن في الظلم خراب العمران، قال الشيخ سعدى قدس سره:

بقومی که نیکی پسندد خدای دهد خسرو عادل نیک رای
چو خواهد که ویران کند عالمی کند ملک در پنجه ظالمی
وفي الحديث «الظلم ظلمات يوم القيامة» وإذا أظلم القلب عن المعرفة والإخلاص خرب وعلامة خراب القلب عصيان الجوارح وتعديها وميلها إلى ما فيه الهلاك. وقال بعض أهل التفسير والأخبار: إن أهل حضور من قرى اليمن وقيل كانت بأرض الحجاز من ناحية الشام بعث إليهم نبي اسمه موسى بن ميثان كما في «الكشف». وقال الإمام السهيلي في «التعريف والأعلام» اسمه شعيب بن ذي مهزم وقبر شعيب هذا في اليمن بجبل يقال له ضين. قال في «القاموس» ضين بالكسر جبل عظيم بصنعاء اهـ وليس شعيب صاحب مدين لأن قصة حضور قبل مدة معدّ جده عليه السلام وبعد مئتين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وأنهم قتلوا نبيهم وقتل أصحاب الرس أيضاً في ذلك التاريخ نبياً لهم اسمه حنظلة بن صفوان فأوحى الله إلى أرمياء أن اثت بخت نصر وأعلمه أني قد سلطته عليهم وعلى أرض العرب وأني منتقم به منهم وأوحى الله إلى أرمياء أن احمل معد بن عدنان على البراق إلى أرض العراق كيلا يصيبه النقرة والبلاء معهم فإني مستخرج من صلبه نبياً في آخر الزمان اسمه محمد ﷺ فحمل معداً وهو ابن اثني عشر وكان مع بني إسرائيل إلى أن كبر وتزوج امرأة اسمها معانه. ثم إن بخت نصر نهض بالجيش وكمن للعرب في مكان وهو أول من اتخذ المكامن في الحرب فيما زعموا ثم شن الغارات على حضور أي: صلبها على أهلها من كل وجه فقتل وسبى وخرّب

العامر ولم يترك بحضور أثرأ قال الله تعالى: ﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ ثم وطئ أرض العرب يمنها وحجازها فأكثر القتل والسبي وخرب وحرق ثم انصرف راجعاً إلى السواد وإياهم عنى الله بقوله: ﴿وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة﴾ وهذه الرواية منقولة عن ابن عباس رضي الله عنهما وظاهر الآية على الكثرة لأن كم للتكثير ولعله رضي الله عنه ذكر حضور بأنها إحدى القرى التي أرادها الله بهذه الآية وفي الحديث «خمس في خمس ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا منع عنهم القطر».

هرچه بر توآید از ظلمات وغم آن زبی شر می وکستاخست هم
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ١٦ ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَّاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا
فَاعِلِينَ﴾ ١٧ ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ ١٨ ﴿

﴿وما خلقنا السماء﴾ الخلق أصله التقدير المستقيم ويستعمل في إبداع الشيء من غير أصل ولا احتذاء أي: وما أبدعنا السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة المطبنة ﴿والأرض﴾ التي هي كالفراش والبساط ﴿وما بينهما﴾ من أنواع الخلائق وأصناف العجائب حال كوننا ﴿لاعبين﴾ يقول لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً أي: عابثين بل لحكم ومصالح وهي أن تكون مبدأ لوجود الإنسان وسبباً لمعاشه ودليلاً يقوده إلى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى.

برك درختان سبز در نظر هوشیار هر ورقی دفترست معرفت کردکان
وکل شيء فهو إما مظهر لطفه تعالى أو قهره وفي کل ذرة سر عجیب.

بنکر بچشم فکرکه ازعرش تابفرش در هیچ ذره نیست که سری عجیب نیست
فإن قيل: دلت الآية على أن اللعب ليس من فعله وإنما هو من أفعال اللاعبين لأن اللاعب اسم لفاعل اللعب فنفي اسم الموضوع يقتضي نفي الفعل. أجيب بأن ذلك يبطل بمسألة خلق الداعي والقدرة.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ أي: ما يتلهى به ويلعب على أنه مصدر بمعنى المفعول يقال لهوت بالشيء لهواً إذا لعبت به. قال الكاشفي: [حيزى بأن بازى کنند وبرؤية آن مستأنس شوند چون زن وفرزند]. وقال الراغب اللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويعبر عن كل ما به استمتاع باللهو قال تعالى: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ وقول من قال أراد باللهو المرأة والولد فتخصيص ببعض ما هو من زينة الحياة الدنيا انتهى. يقول الفقير: فسرّه بالمرأة في تفسير «الجلالين» المقصور على رواية ابن عباس رضي الله عنهما وبهما في «التأويلات» الشيخ نجم الدين قدس سره وهو من أكابر من جمع بين الطرفين ويدل على هذا المعنى قوله تعالى فيما بعد: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾. قال الإمام الواحدي يستروح بكل واحد منهما أي: من المرأة والولد ولهذا يقال لامرأة الرجل ولده ريحانته ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ أي: من جهة قدرتنا عليه لتعلقها بكل شيء من المقدورات أو مما نصطفيه ونختاره مما نشاء من خلقنا من الحور العين أو من غيرها. قال الواحدي معنى من لدنا من عندنا بحيث لا يظهر لكم ولا تطلعون عليه ولا يجري

لأحد فيه تصرف لأن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذلك لكن تستحيل إرادتنا له لمنافاته الحكمة لا لعدم القدرة على اتخاذه ولا لغيره فيستحيل اتخاذاً له قطعاً .

قال في «التأويلات النجمية»: جل جلال قدس حضرتنا عن أمثال هذه التدنسات وعز جناب كبريائنا عن أنواع هذه الوصمات وقد تنزه عن أمثالها الملائكة المقربون وهم عبادنا المكرمون المخلوقون فالحضر الخالقية أولى بالتنزه عن أمثالها انتهى . وإن للشرط على سبيل الفرض والتقدير وجواب إن محذوف لدلالة الجواب المتقدم عليه أي: إن كنا فاعلين لاتخذناه .

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ﴾ إضراب عن اتخاذ الولد وإرادته كأنه قيل لكننا لا نريده بل شأننا أن نغلب الحق الذي من جملة الجد والإيمان والقرآن ونحوها على الباطل الذي من جملة اللهو والكفر والأباطيل الآخر . قال الراغب القذف الرمي البعيد ولاعتبار البعد فيه قيل منزل قذف وقذيف وبلدة قذوف طروح بعيدة والباطل نقيض الحق وهو الذي لا ثبات له عند الفحص عنه ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ فيهلكه ويعدمه . قال أهل التفسير إنما استعار لذلك أي: للتغليب والتسليط وإيراد الحق على الباطل القذف وهو الرمي الشديد المستلزم لصلابة المرمي ولمحوه وإعدامه الباطل وهو كسر الشيء الرخو الأجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشائه المؤدي إلى زهوق الروح تصويراً لإبطاله به فشبّه الحق بجرم صلب كالماس أو الياقوت مثلاً قذف به على جرم رخو أجوف من قزاز أو تراب فمحقه وأعدمه . قال «صاحب المفتاح»: أصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل والدمغ لإذهاب الباطل ومحوه فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي أي: ففيه تشبيه المعقول بالمحسوس عبر عن الصورة المقولة بما يدل على الهيئة المحسوسة لتمكن تلك الهيئة المعقولة في ذهن السامع فضل تمكن ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ [پس آنجا او] ﴿زَاهِقٌ﴾ أي: ذاهب بالكلية والزهوق ذهاب الروح ويقال زهقت نفسه خرجت من الأسف وفي إذا المفاجأة والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى فكأنه زاهق من الأصل وذكره لترشيح المجاز فإن ذهاب الروح إنما يلائم المستعار منه أي: المعنى الأصلي للدمغ فإن الدماغ مجمع الحواس وإذا بلغت الشجرة إليه يموت الحيوان .

وفي «التأويلات النجمية» للحق ثلاث مراتب وكذا للباطل مرتبة أفعال الحق ومرتبة صفات الحق ومرتبة ذات الحق تعالى فأما أفعال الحق فهي ما أمره الله به العباد فبها يدمغ باطل ما نهى الله عنه وأما صفات الحق فبتجليها يدمغ باطل صفات العبد وأما ذات الحق فإذا تجلى الله بذاته يدمغ باطل جميع الذوات كما قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] ويدل عليه ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَّقَ الْبَاطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١] ولعل من قال أنا الحق إنما قال عند تجلي ذات الحق أو صفة حقيقته لذاته الباطل إذ زهق باطل ذاته عند مجيء الحق فأخبر الحق عن ذاته بلسان اتصف بصفة الحق فقال أنا الحق، قال المغربي قدس سره:

ناصر ومنصور ميكويد انا الحق المبين بشنواز ناصرکه آن کفتاراز منصور نیست

وقال الخجندي قدس سره:

هرکه بدار فنا جبه هستی بسوخت رمز سوی الله بخواند سرانا الحق شنود

وقال:

أسرار أنا الحق سخن نیک بلندست معنی چنین جز بسردار نیابی

﴿ولكم الويل﴾ قال الأصمعي ويل قبوح وقد يستعمل في التحسر وويس استصغار وويح ترحم ومن قال ويل واد في جهنم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا وإنما أراد أن من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقرأ من النار وثبت ذلك له. والمعنى استقر لكم الهلاك أيها المشركون ﴿مما تصفون﴾ من تعليلية متعلقة بالاستقرار أي: من أجل وصفكم له سبحانه بما لا يليق بشأنه الجليل من المرأة والولد ووصف كلامه بأنه سحر وأضغاث أحلام ونحو ذلك من الأباطيل.

﴿وَلَمْ يَكُنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وله﴾ خاصة ﴿من في السموات والأرض﴾ أي: جميع المخلوقات إيجاداً واستبعاداً ﴿ومن عنده﴾ من عطف الخاص على العام والمراد الملائكة المكرمون المنزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريقة التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على أكثر خلقه لا على الجميع كما زعم أبو بكر الباقلاني وجميع المعتزلة فالمراد بالعندية عندية الشرف لا عندية المكان والجهة وعند وإن كان من الظروف المكانية إلا أنه شبه قرب المكانة والمنزلة بقرب المكان والمسافة فعبّر عن المشبه بلفظ المشبه به. قال الكاشفي: [يعني فرشتكان كه مقربان درگاه الوهيت اند وشما ايشانرا می پرستيد] ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أي: لا يتعظمون عنها ولا يعدون أنفسهم كبيرة بل يتفاخرون بعبوديته فالبشر مع نهاية ضعفهم أولى أن يطيعوه والجملة حال من قوله من عنده. وجعل المولى أبو السعود رحمه الله من عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ﴿ولا يستحسرون﴾ ولا يعلون ولا يعيون يقال حسر واستحسر إذا تعب وأعيى يعني أن استفعل بمعنى فعل نحو قر واستقر. قال في «المفردات»: الحسر كشف الملبس عما عليه يقال حسرت عن الذراع والحاسر من لا درع عليه ولا مغفر والناقة حسير حسر عنها اللحم والقوة والحاسر المعبي لانكشاف قواه ويقال للمعبي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره والحسرة الغم على ما فاتته والندم عليه كأنه انحسر عنه الجهل الذي حملة على ما ارتكبه أو انحسر قواه من فرط غم أدركه وأعياه عن تدارك ما فرط منه.

﴿يسبحون الليل والنهار﴾ كأنه قيل كيف يعبدون فقيل يسبحون الليل والنهار أي: ينزهونه في جميع الأوقات عن وصمة الحدوث وعن الأنداد ويعظمونه ويمجدونه دائماً ﴿لا يفترون﴾ لا يتخلل تسبيحهم فترة طرفة عين بفراغ منه أو بشغل آخر لأنهم يعيشون كما يعيش الإنسان بالنفس والحوث بالماء. يعني أن التسبيح بالنسبة إلى الملائكة كالتنفس بالنسبة إلينا فكما أن قيامنا وقعودنا وتكلمنا وغير ذلك من أفعالنا لا يشغلنا عن التنفس فكذلك الملائكة لا يشغلهم عن التسبيح شيء من أفعالهم كما قال عبد الله بن الحارث لكعب أليس إنهم يؤدون الرسالة ويلعنون من لعنه الله كما قال: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ كَرُسَلًا﴾ [فاطر: ١] وقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَكِ﴾ [البقرة: ١٦١] فقال: التسبيح لهم كالتنفس لنا فلا يمنعهم عن عمل. فإن قلت التسبيح واللعن من جنس الكلام فكيف لا يمنع أحدهما الآخر. قلنا لا يبعد أن يخلق الله لهم السنة كثيرة ببعضها يسبحون وبعضها يلعنون. أو المعنى لا يفترون عن العزم على أدائه في أوقاته

كما يقال فلان مواظب على الجماعة لا يفتر عنها فإنه لا يراد به دوام الاشتغال بها وإنما يراد العزم على أدائها في أوقاتها كما في «الكبير». وعن بعض أرباب الحقائق زالت مشقة التكليف الشرعية عن أهل الله تعالى لفرط محبتهم إياه سبحانه ولتبدل مجاهدتهم بالحب الإلهي لأنه ظهر شرف تلك التكليف وبهر كونها تجليات الهية.

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره وهو يقول لا تتيسر حلالة العبودية إلا بعد المعرفة التامة بالله تعالى والشهود الكامل له وذلك لأن لذة المناجاة مع السلطان لا يصل إليها السائس فعبادة أهل الحجاب لا تخلو عن فتور وكلفة بخلاف أهل الكشف الإلهي فإن العبادة صارت لهم كالعادة لغيرهم في سهولة المأخذ والقيام بها نسأل الله تعالى أن يخفف عنا الأوزار إنه الكريم الغفار. قال الراغب الفتور سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى: ﴿يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] أي: سكون خال عن مجيء رسول وقوله تعالى: ﴿لَا يَفْتَرُونَ﴾ أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة وفي الحديث: «لكل عامل شرة ولكل شرة فترة فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلا فقد هلك» فقله: «لكل شرة فترة» إشارة إلى ما قيل للباطل صولة ثم تضمحل وللحق دولة لا تزل وقوله: «من فتر إلى سنتي أي: سكن إليها فالطرف الفاتر فيه ضعف مستحسن والفر ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة يقال فترته بفترتي وشبرته بشبري انتهى كلام الراغب الأصفهاني في «كتاب المفردات».

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ أم منقطعة مقدرة ببل مع الهمزة ومعنى الهمزة إنكار الوقوع لا إنكار الواقع والضمير للمشركين والمراد بالآلهة الأصنام ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ متعلق باتخذوا بمعنى ابتدأوا اتخاذها من الأرض بأن صنعوها ونحتوها من بعض الحجارة أو من بعض جواهرها كالشبة والصفر ونحوهما والمراد به تحقير المتخذ لا التخصيص ﴿هُمْ يَنْشُرُونَ﴾ يقال: أنشره الله أحياء أي: يبعثون الموتى والجملة صفة الآلهة وهو الذي يدور عليه الإنكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فإنه واقع لا محالة بل اتخذوا آلهة من الأرض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فإن ما اتخذوها آلهة بمعزل عن ذلك وهم وإن لم يقولوا بذلك صريحاً فإنهم لم يثبتوا الإنشار لله تعالى كما قالوا ﴿مَنْ يُعِزُّ الْعِظَمَ وَهِيَ رَيْبِيَّةٌ﴾ [يس: ٨٧] فكيف يثبتونه للأصنام لكنهم حيث ادعوا لها الإلهية فكأنهم ادعوا لها الإنشار ضرورة أنه من الخصائص الإلهية حتماً.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٣)

﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله﴾ تنزيه لنفسه عن الشريك بالنظر العقلي وإلا بمعنى غير على أنها صفة آلهة أي: لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل سواء كان الله معهم أو لم يكن. قال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال لو كان فيهما فجعل السموات ظرفاً وهو تحديد والجواب لم يرد به معنى الظرف وإنما هو كقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي أَسْمَاءِ إِلَٰهِ وَفِي أَرْضِ إِلَٰهِ﴾ [الزخرف: ٨٤] ﴿لفسدتا﴾ الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلاً كان الخروج عنه أم كثيراً ويضاده الصلاح ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة

أي: لخرجنا عن هذا النظام المشاهد لأن كل أمر بين الاثنين لا يجري على نظام واحد والرعية تفسد بتدبير الملكين وحيث انتفى التالي تعين انتفاء المقدم.

قال في «التأويلات النجمية»: إن هذه الآلهة لا تخلو إما أن يكون كلهم متساوياً في الألوهية وكمال القدرة أو بعضهم كامل وبعضهم ناقص وإما أن يكون كلهم ناقصاً يحتاج بعضهم إلى بعض في الإلهية وإما كمالية بعضهم وناقضية بعضهم فهو يقتضي استغناء الكامل عن الناقص فالناقص لا يصلح للإلهية. وأما الناقصون الذين يحتاجون إلى إعانة بعضهم لبعض فلا يصلحون للآلهية لأنهم محتاجون إلى مكمل واحد مستغن عما سواه وهو الله الواحد الأحد الصمد الغني عما سواه وما سواه محتاج إليه ولو كان فيهما آلهة غيره لفسدنا لعدم مدبر كامل في الإلهية ولعجز آلهة أخرى في المدبرية:

درد وجهان قادر ويكتا تويى جملہ ضعیفند وتوانا تويى
چون قدمت بانك برابلق زند جزتوکه یارو که انا الحق زند
﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ أي: نزهه تنزيهاً عما يصفونه به من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لأن ذلك من صفات الأجسام ولو كان الله جسماً لم يقدر على خلق العالم وتدبير أمره ولم يكن مبدأ له على أن الجسم مركب ومتحيز وذلك من أمارات الحدوث وجواز الوجود وواجب الوجود متعال عن ذلك.

قال في «التأويلات النجمية»: نزه الله نفسه عن العجز والاحتياج لغيره في الإلهية وأثبت أنه خالق العرش الذي هو مصدر فيض الرحمانية إلى المكونات لنفي الإلهية عن غيره منزهاً عما يصفون باحتياجه إلى العرش أو بآلهة أخرى في الإلهية، وفي «المنثوي»:

واحد اندر ملك او را یارانى بندکانش را جزاو سالارنى
نیست خلقتش را دکرکس مالکى شرکتش دعوى کند جزها لکى
قال بعض الكبار افترى العادلون عن الله إلى غيره كالطبايعيين القائلين بأن جميع التأثيرات الواقعة إنما هي من مقتضيات الطبيعة كديمقراطيس وأتباعه والسوفسطائيين المنكرين لجميع الموجودات حتى أنفسهم وإنكارهم وأما الثنوية أعني القائلين بالهين اثنين أحدهما مصدر للخيرات والآخر مصدر للشور فإنهم قد لعنوا على لسان أهل الإشراف الكشفية والبرهاني ليس لجسد قلبان ولا لبدن نفسان ولا للسماء شمسان شهد الأخبار بواحد وهو منتهى الأعيان لو حصل شمسان لانطمست الأركان أبى النظام شمساً أخرى فكيف لا يأبى إلهاً آخر إن كان للقيوم شريك فأين شمسه لأنها أكمل النيرات فخالقها أكمل ممن لم يخلق مثلها ومن غيره أكمل منه لا يكون واجباً لذاته لأن الوجوب الذاتي من خصائص الكمال التام فحيث لم نجد شمساً أخرى عرفنا أنه ليس في الوجود إله آخر:

يشهد الله أينما يبدو أنه لا إله إلا هو

قال بعض أرباب الحقائق: لو كان في سماء الروحانية وأرض البشرية مدبرات مثل العقل في سماء الروحانية وفي الهوى أرض البشرية غير هداية الله تعالى بواسطة الأنبياء والشرائع لفسدنا كما فسدت بتدبير العقل والهوى سماء الروحانية الفلاسفة والطبايعية والدهرية والإباحية والملاحدة وأرض بشريتهم فأما فساد سماء أرواحهم فبأن زلت قدمهم عن جادة التوحيد وصراط الوحداية حتى أثبتوا الله الواحد القديم شريكاً قديماً وهو العالم فلم يقبلوا دعوة الأنبياء

ولم يهتدوا بهداية الحق، وفي «المثنوي»:

ای ببرده عقل هدیه تا اله عقل آنجا کمرست ازخاک راه

وأما فساد أرض بشريتهم فبأن زلت قدمهم عن جادة العبودية وصراط الشريعة والمتابعة حتى عبدوا طاغوت الهوى والشیطان وآل أمر فساد حالهم إلى أن قال تعالى فيهم: ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]. قال الشيخ أبو عثمان المغربي قدس سره من أمر السنة على نفسه أخذاً وتركاً وحباً وبغضاً نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه نطق بالبدعة فعلى السالك أن يأخذ بالطريق الوسط وهو طريق الكتاب والسنة الموصل إلى الجنة والقربة والوصلة ويجتهد في تحصيل كمال الصدق والإخلاص إذ هو الزاد لأهل الاختصاص نسأل الله الفياض الكريم أن يشر لنا بفيضه العميم ويثبتنا على صراطه المستقيم.

﴿لا يسأل﴾ الله تعالى ﴿عما يفعل﴾ ويحكم ﴿وهم﴾ أي: العباد ﴿يسألون﴾ عما يفعلون فقيراً وقطميراً والسؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة وجوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة والإشارة. فإن قيل ما معنى السؤال بالنسبة إلى الله تعالى؟ قلنا تعريف للقوم وتبكيته لا تعريف لله تعالى فإنه علام الغيوب فالسؤال كما يكون للاستعلام يكون للتبكيك وإنما لا يسأل سؤال إنكار ويجوز السؤال عنه على سبيل الاستكشاف والبيان كقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلْمٌ﴾ [مريم: ٨] وعلى سبيل التضرع والحاجة كقوله تعالى حكاية عن الكافر ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَضَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]. قال في «بحر العلوم»: إنما لا يسأل عما يفعل لأنه رب مالك علام لا نهاية لعلمه وكل من سواه مربوب مملوك جاهل لا يعلم شيئاً إلا بتعليم فليس للمملوك الجاهل أن يتعرض على سيده العليم بكل شيء فيما يفعل ويقول لم فعلت وهلا فعلت مثلاً وهم يسألون لأنهم مملوكون مستعبدون خطأون فيقال لهم في كل شيء فعلوه لم فعلتم.

واعلم أن الاعتراض شؤم يسخط الرب ويوجب عقابه وسخطه، قال الحافظ:

مزن زچون وچرادم كه بنده مقبل قبول كردبجان هرسخن كه جانان كفت

وبشؤم الاعتراض على الله في فعله لعن إبليس وكان من مردة الكافرين فإنه تعالى لما أمره بالسجود قال: ﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] وبشؤم الاعتراض في شأن بني آدم أصاب الملكين هاروت وماروت ما أصابهما فهذا بالاعتراض في شأن المخلوق فكيف بالاعتراض في شأن الخالق وبالاعتراض على الله والتعمق في الخوض في صفاته هلك الهالكون من أهل الأهواء وأرباب الآراء تعمقوا فيما لم يتعمق فيه أصحاب رسول الله والتابعون ومن تبعهم من أهل الحق وتكلفوا الخوض فيه فوقعوا في الشبهات فضلو وأضلوا ولو لم يتعمقوا لسلموا وقد اتفقت كلمة أهل الحق على أن الاعتراض على الله الملك الحق في فعله وما يحدثه في خلقه كفر فلا يجترى عليه إلا كافر وجاهل ضال. وكذا الاعتراض على النبي عليه السلام فإنه إنما يقول عن الحق لا عن الهوى فالاعتراض عليه اعتراض على الحق وفيه الهلاك. قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله يقول: «يا أيها الناس كتب عليكم الحج» فقام عكاشة بن محصن فقال: أكل عام يا رسول الله فقال: «لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ثم تركتموها لضللتم اسكتوا عني كما سكت عنكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» فأنزل الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَسْأَلُونَ عَنْ أَسْيَاءِ إِنْ

تَبَدَّلَ لَكُمْ تَنُوبُهُمْ ﴿١٠١﴾ [المائدة: ١٠١] الآية. ومن أشد التشنيع وأقبح الاعتراض على رسول الله ﷺ ما روي عن بعض الكبار أنه قال: كنت في مجلس بعض الغافلين فتكلم إلى أن قال لا مخلص لأحد من الهوى ولو كان فلاناً عنى به النبي عليه السلام من حيث قال: «حب إلي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة» فقلت أما تستحيي من الله تعالى فإنه ما قال أحببت بل قال حبب فكيف يلام العبد من عند الله ثم حصل لي هم وغم فرأيت النبي عليه السلام في المنام فقال: لا تغتم فقد كفيناك أمره ثم سمعت أنه قتل. قال الفقهاء من غيره عليه السلام بالميل إلى نسائه قاصداً به النقص يقتل قاتله الله تعالى. يقول الفقير:

شب پرہ میطلبد بدر تمامت نقصان اوندانده ابدنور تو ظاهر باشد

هرکه از روی جدل بر تو سخن میراند بمثل شد اکرش بو علی کافر باشد

وأما الاعتراض على الأولياء والمشايخ من العلماء فإنه يحرم الخير ويقطع بركة الصحبة وزيادة العلم يدل على ذلك شأنه موسى والخضر عليهما السلام نهاه عن الاعتراض عليه فيما يفعل بقوله: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠] فاعترض عليه فناده الخضر بالفراق فحرم بركة صحبته وانقطعت بركة الزيادة من علمه والخير الذي جعله الله معه. ومن شؤم الاعتراض ما كان من أمر الخوارج اعترضوا على علي رضي الله عنه وخرجوا عليه فخرجوا من الدين وصاروا كلاب النار وشر قتلى تحت أديم السماء. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره في حق تلميذه لما خالفه دعوا من سقط من عين الله فرؤي بعد ذلك مع المخنثين وسرق فقطعت يده هذا حظ المعترض في الدنيا وأما حاله في الآخرة فلا يكلمه الله ولا ينظر إليه وله عذاب أليم في نار القطيعة والهجران، يقول الفقير:

هين مکن بامر شد کامل جدل تانباشد کمرهی اورا بدل

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۖ إِلَهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾ الهمزة لإنكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة باتخذوا. والمعنى بل اتخذوا متجاوزين إياه تعالى آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الألوهية بالكلية ﴿قل﴾ لهم بطريق الإلزام وإلزام الحجة ﴿هاتوا﴾ [ببإريد]. قال في «بحر العلوم» هات من أسماء الأفعال يقال هات الشيء أي: أعطنيه. والمعنى أعطوني ﴿برهانكم﴾ حجتكم على ما تدعون من جهة العقل والنقل فإنه لا صحة لقول لا دليل عليه في الأمور الدينية لا سيما في مثل هذا الشأن الخطير. قال الراغب البرهان فعلان مثل الرجحان والبنیان. وقال بعضهم هو مصدر بره يبره إذا ابيض انتهى وقد أشار صاحب «القاموس» إلى كليهما حيث قال في باب النون البرهان بالضم الحجة وبرهن عليه أقام البرهان وفي باب الهاء أبره أتى بالبرهان. قال في «المفردات»: البرهان أوكد الأدلة وهو الذي يقتضي الصدق أبداً ﴿هذا ذكر من معي وذكر من قبلي﴾ هذا إشارة إلى الموجود بينهم من الكتب الثلاثة القرآن والتوراة والإنجيل فالقرآن ذكر وعظة لمن اتبعه عليه السلام إلى يوم القيامة والتوراة والإنجيل ذكر وعظة للأمم المتقدمة يعني راجعوا هذه الكتب الثلاثة هل تجدون في واحد منها غير الأمر بالتوحيد فهذا برهاني قد أقمته فأقيموا أيضاً برهانكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن إثبات الوجدانية بالتحقيق وكشف العيان من خصوصية العلماء المحققين من أمتي الذين هم معي في سير المقامات وقطع المنازل إلى الخضرة كما هو من خصائص الأنبياء من قبلي ومن هنا قال ﷺ: «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل» أي: في صدق طلب الحق بالإعراض عن الكونين والتوجه إلى الله تعالى ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ إضراب من جهته تعالى غير داخل في الكلام الملقن أي: لا يفهمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل فلا تنجع فيهم المحاجة بإظهار حقيقة الحق وبطلان الباطل. وفي «بحر العلوم» كأنه قيل بل عندهم ما هو أصل الفساد كله وهو الجهل وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثمة جاء الإعراض ومن هناك ورد الإنكار ﴿فَهُمْ﴾ لأجل ذلك ﴿مُعْرِضُونَ﴾ مستمرون على الإعراض عن التوحيد واتباع الرسول وأما أقلهم العالمون فلا يقبلونه عناداً.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٥) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْـَٔفُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه﴾ أي: الشأن ﴿لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ أي: وحدوني ولا تشركوا بي. وفيه إشارة إلى أن الحكمة في بعثة جميع الأنبياء والرسل مقصورة على هاتين المصلحتين وهما إثبات وحدانية الله تعالى وتعبده بالإخلاص لتكون فائدة تينك المصلحتين راجعة إلى العباد لا إلى الله تعالى كما قال: «خلقت الخلق ليربحوا علي لا لأربح عليهم»، وفي «المثنوي»:

چون خلقت الخلق كي يربح على لطف توفر مود أي: قيوم وحي

لا لأن أربح عليهم جودتست كه شود زو جمله ناقصها درست

عفو كن زين ناقصان تن پرست عفو از دیرای عفو او لیترست

وأكبر فائدتهما معرفة الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥١) [الذاريات: ٥٦] أي: ليعرفون وهي مختصة بالإنسان دون سائر المخلوقات فإنها هي حقيقة الأمانة التي قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأحزاب: ٧٢] الآية.

يقول الفقير: العبادة طريق المعرفة وهي طريق الرؤية فالرؤية أعلى من المعرفة لأن العارفين مشتاقون إلى منازل أهل الوصال والواصلون لا يشتاقون إلى منازل أهل المعرفة والمعرفة يتولد منها التعب والعناء والرؤية يتولد منها السرور والرضى. قال بعض العارفين المعرفة ألطف والرؤية أشرف والمعرفة أشد والرؤية أكد فعلى السالك أن يجتهد في تحقيق المعرفة والتوحيد ويصل إلى رؤية الحميد المجيد. والتوحيد على ثلاث مراتب: توحيد أهل البداية وهو لا إله إلا هو وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأجسام، وتوحيد أهل التوسط وهو لا إله إلا أنت وسير أهل هذا التوحيد في عالم الأرواح. وتوحيد أهل النهاية وهو لا إله إلا أنا وسير أهل هذا التوحيد في عالم الحقيقة وإلى هذه المرتبة أشار الشيخ المغربي قدس سره بقوله:

نور هستی جمله ذرات عالم تا ابد میکنند از مغربی چون ماه از مهر اقتباس

ومن لطائف الكمال الخجندي قوله:

طاس بازی بدیدم از بغداد چون جنید از سلوکش آگاهی
رفت در جبهه وقت بازی کفت لیس فی جبتی سوی الهی
ثم إن في الآية إشارة إلى أن أكثر الخلق من يدعون الإسلام والتوحيد ولا يميزون الحق
من الباطل فيتبعون أهل الشرك والرياء والبدع والهوى والدنيا ولذا قلت عبادتهم بالإخلاص بل
انتفى رعاية الشريعة بينهم ولو كان لهم استعداد وجدان الحق لوجدوا أهله أولاً ووصلوا
بتسليكمهم على قدمي الشريعة والطريقة إلى المعرفة والحقيقة فإنما حرموا الوصول بتضييعهم
الأصول ومن الله الهداية والتوفيق ومنه الوصول إلى مقام الصدق والتحقيق.

﴿وقالوا﴾ أي: حي من خزاعة ﴿اتخذ الرحمن ولدًا﴾ من الملائكة وادعوا أنهم بنات الله
وأنه تعالى صاهر سروات الجن فولدت له الملائكة. قال الراغب الأخذ وضع الشيء وتحصيله
وذلك تارة بالتناول نحو ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنًا عِنْدَهُ﴾ [يوسف: ٧٩] وتارة
بالقهر نحو قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُ سِنَةً وَلَا نَوْمًا﴾ [البقرة: ٢٥٥] ويقال أخذته الحمى ويعبر عن
الأسير بالمأخوذ والأخيد والاتخاذ افتعال منه فيتعدى إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل
﴿سبحانه﴾ أي: تنزه بالذات تنزه اللائق به على أن السبحان مصدر من سبح أي: بعد أو
أسبحه تسبيحه على أنه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد أو سبحوه تسبيحه. قال في
«بحر العلوم» ويجوز أن يكون تعجباً من كلمتهم الحمقاء أي: ما أبعد من ينعم بجلال النعم
ودقائقها وما أعلاه عما يضاف إليه من اتخاذ الولد والصاحبة والشريك انتهى. وقال في
«الكشف» التنزيه لا ينافي التعجب ﴿بل﴾ ليست الملائكة كما قالوا بل هم ﴿عباد﴾ مخلوقون له
تعالى ﴿مكرمون﴾ مقربون عنده مفضلون على كثير من العباد لا على كلهم والمخلوقية تنافي
الولادة لأنها تقتضي المناسبة فليسوا بأولاد وإكرامهم لا يقتضي كونهم أولاداً كما زعموا.

﴿لا يسبقونه بالقول﴾ صفة أخرى لعباد وأصل السبق التقدم في السير ثم تجوز به في
غيره من التقدم أي: لا يقولون شيئاً حتى يقوله تعالى ويأمرهم به لكمال انقيادهم وطاعتهم
كالعبد المؤدبين. قال الكاشفي: [يعني بى دستورىء وى سخن نكويند مراد ازین سخن قطع
طمع كافرانست از شفاعت ملائكة يعني ايشان بى اذن خدا شفاعت نتوانند كرد] ﴿وهم بأمره
يعملون﴾ أي: كما أنهم يقولون بأمره كذلك يعملون بأمره لا بغير أمره أصلاً فالقصر المستفاد
من تقديم الجار معتبر بالنسبة إلى غير أمره لا إلى أمر غيره والأمر مصدر أمرته إذا كلفته أن
يفعل شيئاً. وفي الآية إشارة إلى أن العباد المكرمين بالتقرب إلى الله تعالى والوصول إليه لا
يقولون شيئاً من تلقاء نفوسهم ولا يفعلون شيئاً بإرادتهم بل إذا نطقوا نطقوا بالله وإذا سكتوا
سكتوا بالله.

يقول الفقير:

چون وزد باد صبا وقت سحر میشود دریا زجنبش موجگر
موج وتحريك از صبا باشد همین نی زدريا اين خروش آينده هين

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (٢٨)
﴿يعلم﴾ الله تعالى أي: لا يخفى عليه ﴿ما بين أيديهم﴾ ما قدموا من الأقوال والأعمال
﴿وما خلفهم﴾ وما أخروا منهما وهو الذي ما قالوه وما عملوه بعد فيعلمهم بإحاطته تعالى

بذلك ولا يزالون يراقبون أحوالهم فلا يقدمون على قول أو عمل بغير أمره تعالى فهو تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده ﴿ولا يشفعون﴾ الشفع ضم الشيء إلى مثله. والشفاعة الانضمام إلى آخر ناصراً له وسائلاً عنه وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى مرتبة إلى من هو أدنى ومنه الشفاعة في القيامة ﴿إلا لمن ارتضى﴾ أن يشفع له من أهل الإيمان مهابة منه تعالى وبالفارسية: [مكر كسى كه خدای شفاعت به پسندد اورا] قال ابن عباس رضي الله عنهما إلا لمن قال لا إله إلا الله. فلا دليل فيه للمعتزلة في نفي الشفاعة عن أصحاب الكبائر. قال في الأسئلة المقحمة هذا دليل على أن لا شفاعة لأهل الكبائر لأنه لا يرضى لهم والجواب قد ارتضى العاصي لمعرفته وشهادته وإن كان لا يرتضيه لفعله لأنه أطاعه من وجوه وإن عصاه من وجوه آخر فهو مرتضاه من وجوه الطاعة له ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما الذي ارتضاهم هم أهل شهادة أن لا إله إلا الله، وفي «المثنوي»:

كفت پیغمبرکه روز رستخیز	کی کذارم مجرمانرا اشک ریز
من شفیع عاصیان باشم بجان	تارهام شان زاشکنجه کران
عاصیان واهل کبائررا بجهد	وارهام ازعتاب نقض عهد
صالحان اتم خود فارغند	از شفاعتہای من روز کزند
بلکہ ایشانرا شفاعتہا بود	کفتشان چون حکم نافذمی رود

﴿وهم﴾ مع ذلك ﴿من خشيته﴾ أي: من خشيتهم منه تعالى فأضيف المصدر إلى مفعوله ﴿مشفقون﴾ مرتعدون [يا ازمهابت وعظمت وترسان] والإشفاق عناية مختلطة بخوف لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه كما في «المفردات». قال ابن الشيخ الخشية والإشفاق متقاربان في المعنى والفرق بينهما أن المنظور في الخشية جانب المخشي منه وهو عظمتة ومهابته وفي الإشفاق جانب المخشي عليه وهو الاعتناء بشأنه وعدم الأمن من أن يصيبه مكروه ثم إن الإشفاق يتعدى بكل واحد من كلمتي من وعلى يقال أشفق عليه فهو مشفق وأشفق منه أي: حذر فإن عدي بمن يكون معنى الخوف فيه أظهر من معنى الاعتناء وإن عدي بعلى يكون معنى الاعتناء أظهر من معنى الخوف. وعن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطاً كالجلس من خشية الله تعالى. وعنه أيضاً أن إسرافيل له جناح بالشرق وجناح بالمغرب والعرش على جناحه وإنه ليتضاءل الأحياء حتى يعود مثل الوضع وهو بالسكون ويحرك طائر أصغر من العصفور كما في «القاموس»:

خوف وخشيت حليه اهل دلست امن وبى پروايى شان غافلست
حيثئذ.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنْ إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَلَاكَ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (٢١) أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

﴿ومن يقل﴾ [وهرکه گوید] ﴿منهم﴾ أي: من الملائكة ﴿إني إله من دونه﴾ أي: حال كونه متجاوزاً إياه تعالى ﴿فذلك﴾ الذي فرض قوله فرض محال فهذا لا يدل على أنهم قالوه. وقال بعضهم هو إبليس حيث ادعى الشراكة في الألوهية ودعا إلى عبادة نفسه وفيه أنه يلزم أن

يكون من الملائكة ﴿نجزيه جهنم﴾ كسائر المجرمين ولا يغني عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وأفعالهم المرضية وهو تهديد للمشركين بتهديد مدعي الربوبية ليمتنعوا عن شركهم ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ مصدر تشبيهي مؤكد لمضمون ما قبله أي: مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي الذين يضعون الأشياء في غير مواضعها ويتعدون أطوارهم بالإشراك وادعاء الإلهية. والقصر المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة إلى النقصان دون الزيادة أي: لا جزاء أنقص منه والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر يقال جزيته كذا وبكذا.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ إلى أنهم خلقوا منزهين عن الاحتياج إلى مأكول ومشروب وملبوس ومنكوح وما يدفع عنهم البرد والحر وما ابتلاهم الله بالأمراض والعلل والآفات ليسبقوا الله بالقول ويستدعوا منه رفعها وإزالتها والخلاص منها بالتضرع وكذلك ما ابتلاهم الله بطبيعة تخالف أوامر الله تعالى فيمكن منهم خلاف ما يؤمرون ﴿وهم بأمره يعملون﴾ نظيره ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦] ولعمري إنهم وإن كانوا مكرمين بهذه الخصال فإن بني آدم في سر ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] أكد المكرمين منهم بكرامات أكبر منها درجة وأرفع منها منزلة وذلك لأنهم لما خلقوا محتاجين إلى ما لا تحتاج إليه الملائكة أكرموا بالكرامتين اللتين لم تكرم بهما الملائكة فإحداهما الرجوع إلى الله مضطرين فيما يحتاجون إليه فأكرموا بكرامة الدعاء ووعدهم عليه بالاستجابة بقوله: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فلهم الشركة مع الملائكة في قوله: ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ الآية لأنهم بأمره دعوه عند رفع الحاجات ولذلك أثنى عليهم بقوله: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] وقد أعظم أمر الدعاء بقوله: ﴿قُلْ مَا يَدْعُوا يَكُونُ لِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧] وهم ممتازون عن الملائكة بكرامة الدعاء والاستجابة وهذه مرتبة الخواص من بني آدم في الدعاء. فأما مرتبة أخص الخواص فهي أنهم يدعون ربهم لا خوفاً ولا طمعاً بل محبة منهم وشوقاً إلى وجهه الكريم كما قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقُدُوزِ وَاللَّصِي يَرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام: ٥٢] وهذه هي الكرامة الثانية التي من نتائج الاحتياج حتى لا يبقى شيء من المخلوقات إلا محتاجاً بخلاف مخلوق آخر فإن لكل مخلوق استعداداً في الاحتياج يناسب حال جبلته التي جبل عليها فكل مخلوق يفتقر إلى خالقه بنوع ما وتفتقر إليه بنو آدم من جميع الوجوه وهذا هو سر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨] كما أن ذاته وصفاته استوعبت الغنى كذلك ذواتهم وصفاتهم استوعبت الفقر فأكرمهم الله بعلم أسماء ما كانوا محتاجين إليه كله ووفقهم للسؤال عنه وأنعم عليهم بالإجابة فقال: ﴿وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ مِنْ كَلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وعد ذلك من النعم التي لا نهاية لها وكرامة لا كرامة فوقها بقوله: ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا يَعْنَى اللَّهُ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] ويقول: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ يشير إلى أنه يعلم ما بين أيدي الملائكة من خجالة قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] الآية فإن فيه شائبة نوع من الاعتراض ونوع من الغيبة ونوع من العجب حتى غيرهم الله فيما قالوا وقال: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] يعني أعلم منه استحقاق المسجودية وأعلم منكم استحقاق الساجدية له وما خلفهم أي: وما يأمرهم بالسجود له والاستغفار لمن في الأرض يعني المغتابين من أولاده ليكون كفارة لما صدر منهم في حقهم ﴿ولا يشفعون﴾ في الاستغفار ﴿إلا لمن ارتضى﴾ يعني الله تبارك وتعالى من أهل المغفرة وهم

من خشيته مشفقون أي: من خشية الله وسطوة جلاله خائفون أن لا يعفو عنهم ما قالوا أو يأخذهم به ومن يقل منهم إني إله من دونه يعني من الملائكة فذلك نجزيه جهنم يشير إلى أنه ليس للملك استعداد الاتصاف بصفات الألوهية ولو ادعى هذه المرتبة فجزاؤه جهنم البعد والطرود والتعذيب كما كان حال إبليس وبه يشير إلى أن الاتصاف بصفات الألوهية مرتبة بني آدم كما قال عليه السلام: «تخلقوا بأخلاق الله» وقال: «عنوان كتاب الله إلى أوليائه يوم القيامة من الملك الحي الذي لا يموت إلى الملك الحي الذي لا يموت» فافهم جداً كذلك نجزي الظالمين يعني الذين يضعون الأشياء في غير موضعها كأهل الرياء والسمعة والشرك الخفي انتهى ما في «التأويلات النجمية».

﴿أولم ير الذين كفروا﴾ الهمة لإنكار نفي الرؤية وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات والواو للعطف على مقدر والرؤية قلبية لا بصرية حتى لا يناقض قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] والمعنى ألم يتفكروا أو ألم يستفسروا من العلماء أو ألم يطالعوا الكتب أو ألم يسمعوا الوحي ولم يعلموا ﴿أن السموات والأرض كانتا﴾ ثني الضمير الراجع إلى الجمع باعتبار أن المرجع إليه جماعتان ﴿رتقاً﴾ على حذف المضاف أي: ذواتي رتق بمعنى ملتزقتين ومنضمتين لا فضاء بينهما ولا فرج فإن الرتق هو الضم والالتحام خلقة كان أو صنعة ﴿فتفتقناهما﴾ الفتق الفصل بين المتصلين وهو ضد الرتق أي: ففصلنا وفرقنا إحداهما عن الأخرى بالريح وفي الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة فنظر إليها بنظر الهيبة فذابت وارتعدت من خوف ربها فصارت ماء ثم نظر إليها نظر الرحمة فجمد نصفها فخلق منه العرش وارتعد العرش فكتب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن العرش فترى الماء يرتعد إلى يوم القيامة» وذلك قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [مود: ٧] أي: العذب «ثم حصل من تلاطم الماء أدخنة متراكمة بعضها على بعض وزيد فخلق منها السموات والأرض طباقاً وكناتاً رتقاً وخلق الريح فيها فتفتق بين طباق السموات وطباق الأرض» كما أخبر بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] وإنما خلقها من دخان ولم يخلقها من بخار لأن الدخان خلق متماسك الأجزاء يستقر عند منتهاهم والبخار يتراجع وذلك من كمال علمه وحكمته «ثم بعد ذلك مد الزبد على وجه الماء ودحاه فصار أرضاً بقدرته» وذلك قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] [وكفته اند آسمان بسته بود ازوى باران نمى آمد وزمين بسته بود ازو كياه نمى رست ما آن را بباران واين را بكياه كشاديم] يعني فتق السماء وهي أشد الأشياء وأصلبها بالين الأشياء وهو الماء وكذلك فتق الأرض بالين الأشياء وهو النبات مع شدتها وصلابتها. فإن قيل المفتوقة بالمطر هي سماء الدنيا فما معنى الجمع؟ قلنا: جمع السموات لأن لها مدخلاً في الأمطار إذ التأثير إنما يحصل من جهة العلو.

واعلم أن الفتق صفة الله تعالى كالعلم والقدرة وغيرهما فهو أزلي والمفتوق حادث بحدوث التعلق كما في العلم وغيره من الصفات التي لا يلزم من قدمها قدم متعلقاتها فتكون تعلقاتها حادثه. فقول البيضاوي إن الفتق عارض خطأ كما في «بحر العلوم» ﴿وجعلنا﴾ خلقنا ﴿من الماء﴾ الماء جسم سيال قد أحاط حول الأرض ﴿كل شيء حي﴾ أي: كل حيوان عرف الماء باللام قصداً إلى الجنس أي: جعلنا مبدأ كل شيء حي من هذا الجنس أي: جنس الماء وهو النطفة كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥] أي: كل فرد من أفراد

الدواب من نطفة معينة هي نطفة أبيه المختصة به أو كل نوع من أنواع الدواب من نوع من أنواع المياه وهو نوع النطفة التي تختص بذلك النوع من الدواب. يقول الفقير: قد فرقوا بين الحي والحيوان بأن كل حيوان حي وليس كل حي حيواناً كالملك فالظاهر ما جاء في بعض الروايات من «أن الله تعالى خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وآدم من تراب خلقه منه والجن من نار خلقها منه». وقال بعضهم: يدخل في الآية النبات والشجر لنمائهما بالماء والحياة قد تطلق على القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان كما في «المفردات» ويدل على حياتهما قوله تعالى: ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩] كما في «الكبير» ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [آيا نمتى كردند مشركان باوجود اين آيات واضحه].

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله ﴿أَوَلَمْ يَر﴾ - إلى - «ففتقناهما» إلى أن أرواح المؤمنين والكافرين خلقت قبل السموات والأرض كما قال عليه السلام: «إن الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي ألف عام» وفي رواية «بأربعة آلاف سنة وكان خلق السموات والأرض بمشهد من الأرواح وكانت شيئاً واحداً» كما جاء في الحديث المشهور «أول ما خلق الله جوهرة» ويشير بقوله: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ إلى أنه تعالى خلق حياة كل ذي حياة من الحيوانات من الماء الذي عليه عرشه وذلك أن الجوهرة التي هي مبدأ الموجودات وهي الروح الأعظم خلقت أرواح الإنسان والملك من أعلاها وخلقت أرواح الحيوانات والدواب من أسفلها وهي الماء كما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥] وكان ذلك كله بمشهد الأرواح فلذلك قال: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أفلا يؤمنون بما خلقنا بمشهد من أرواحهم انتهى. واعلم أن المراد من رؤية الآيات الانتقال منها إلى رؤية صانعها رؤية قلبية هي حقيقة الإيمان.

- روي - أن علياً رضي الله عنه صعد المنبر يوماً وقال: سلوني عما دون العرش فإن ما بين الجوانح علم جم هذا لعاب رسول الله في فمي هذا ما رزقني رسول الله رزقاً فوالذي نفسي بيده لو أذن للتوراة والإنجيل أن يتكلما فأخبرت بما فيهما لصدّقاني على ذلك وكان في المجلس رجل يمانى فقال: ادعى هذا الرجل دعوى عريضة لأفضحه فقام وقال: أسأل قال: سل تفقهاً ولا تسأل تعتناً فقال: أنت حملتني على ذلك هل رأيت ربك يا علي قال: ما كنت أعبد رباً لم أره فقال: كيف رأيت؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقيقة الإيمان ربي أحد واحد لا شريك له أحد لا ثاني له فرد لا مثل له لا يحويه مكان ولا يداوله زمان ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالقياس فسقط اليماني مغشياً عليه فلما أفاق قال: عاهدت الله أن لا أسأل تعتناً، قال الشيخ المغربي قدس سره:

نخست ديدنه طلب كن پس آنكه ديدار ازانكه يار كند جلوه بر اولو الابصار
وقال الخجندي قدس سره:

بیدارشو آنکه طلب آن روی که هرگز در خواب چنین دولت بیدار نیابی
أزال الله عنا الغين والغفلة والحجاب وفتح بصائرنا إلى جناب جمال المهيمن الوهاب إنه رب الأرباب ومسبب الأسباب.

﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢١) وَجَعَلْنَا

السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرَضُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿وجعلنا في الأرض﴾ الأرض جسم غليظ أغلظ ما يكون من الأجسام واقف على مركز العالم مبين لكيفية الجهات الست فالشرق حيث تطلع الشمس والقمر والغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجدي والجنوب حيث مدار سهيل والفوق ما يلي المحيط والأسفل ما يلي مركز الأرض ﴿رواسي﴾ جبلاً ثوابت جمع راسي من رسا إذا ثبت ورسخ ﴿أن تميد بهم﴾ التميد اضطراب الشيء العظيم كاضطراب الأرض يقال ماد يميد ميداً إذا تحرك ومنه سميت المائدة وهي الطعام والخوان عليه الطعام كما قال الراغب: المائدة الطبق الذي عليه الطعام ويقال: لكل واحدة منهما مائدة. والمعنى كراهة أن تميل الأرض وتضطرب والظاهر أن الباء للتعدي كما يفهم من قول بعضهم بالفارسية [تا بجنابند زمين آدميانرا]. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن الأرض بسطت على وجه الماء فكانت تميد بأهلها كما تميد السفينة على الماء فأرسلها الله بالجبال الثوابت كما ترسي السفينة بالمرساة وسئل علي رضي الله عنه: أي الخلق أشد؟ قال: أشد الخلق الجبال الرواسي والحديد أشد منها يبحث به الجبل والنار تغلب الحديد والماء يطفئ النار والسحاب يحمل الماء والرياح يحمل السحاب والإنسان يغلب الريح بالثبات والنوم يغلب الإنسان والهم يغلب النوم والموت يغلب كلها.

يقول الفقير:

نباشد درجهان چون مرك چيزی كه غالب شد ترا هرجند عزيزی
وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى الأبدال الذين هم أوتاد الأرض وأطواها فأهل الأرض بهم يرزقون وبهم يمطرون والأبدال قوم بهم يقيم الله الأرض وهم سبعون: أربعون بالشام، وثلاثون بغيرها، لا يموت أحدهم إلا يقام مكانه آخر من سائر الناس وفي الحديث: «لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل الرحمن فيهم تسقون وبهم تنصرون ما مات منهم أحد إلا أبدل الله مكانه آخر» ﴿وجعلنا فيها﴾ في الأرض أو في الرواسي وعليه اقتصر في «الجلالين» لأنها المحتاجة إلى الطرق ﴿فجاءاً سبلاً﴾ أي: طرقاً مسلوكة لأن السبيل من الطرق ما هو معتاد السلوك والفج الشق بين الجبلين ﴿لعلهم يهتدون﴾ إرادة أن يهتدوا إلى مصالحهم ومهماتهم التي جعلت لهم في البلاد البعيدة.

﴿وجعلنا السماء سقفاً﴾ سميت سقفاً لأنها للأرض كالسقف ﴿محفوظاً﴾ من الوقوع مع كونها بغير عمد أو من الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم أو من استراق السمع بالشهب. وفيه إشارة إلى أن سماء قلب العارف محفوظة من وساوس شيطان الإنس والجن وكان من دعاء النبي عليه السلام: «اللهم اعمر قلبي من وساوس ذكرك واطرد عني وساوس الشيطان» كما في «آكام المرجان»، وفي «المثنوي»:

ذكر حق كن بانك غولانرا بسوز چشم نركسرا ازين كركس بدوز
﴿وهم عن آياتها﴾ أي: أدلتها الواضحة التي خلقها الله تعالى فيها وجعلها علامات نيرة على وجوده ووحدته وكمال صنعه وعظيم قدرته وباهر حكمته مثل الشمس والقمر والنجوم وغيرها ﴿معرضون﴾ لا يتدبرون فيها فيقفون على ما هم عليه من الكفر والضلال. يقال:

أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة في الصدر، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة في الخلق، والرحمة للمؤمنين والتفكر في الأشياء، والعبرة في الأشياء فانظروا إلى آثار رحمته وتفكروا في عجائب صنعه وبدائع قدرته حتى تستخرجوا الدر من بحار معرفته.

- روي - أن داود عليه السلام دخل في محرابه فرأى دودة صغيرة فتفكر في خلقها وقال: ما يعبأ الله بخلق هذه فأنطقها الله تعالى فقالت: يا داود أتعجبك نفسك وأنا على ما أنا والله أذكر الله وأشكره أكثر مما أتاك الله فالمقصود برؤية الآيات بالحق ذكر الله تعالى عند كل شيء وهي من أوصاف المؤمنين الكاملين وأما التعامي والإعراض فحال الكفرة الجاهلين، وفي «المنثوي»:

پیش خر خر مهره وکوهر یکیست آن اشک را در درو دریا شکیست
منکر بحرست وکوهر های او کی بود حیوان درو پیرایه جو
در سر حیوان خدا ننهاده است کوبود در بند لعل ودر پرست
مر خرانرا هیچ دیدی کوشوار کوش هوش خربود در سبزه زار
وفي الآية إشارة إلى آيات سماء قلب العارف وهي التجليات الحقية والكلمات الذوقية فأهل السلوك الحقيقي يؤمنون بالعلماء بالله وبأحوالهم ومقاماتهم وكلماتهم وأما غيرهم فينكرون ويعرضون لأنهم يمشون من طريق العقل وينظرون بنظر النقل. وقد صح أن العقل ليس له قدم إلا في طريق المعقولات وفوقها المكاشفات فلاهتداء إلى الله إنما هو بأهل الله إذ هم المرشدون إلى الفجاج الصحيحة والسبل المستقيمة وعلومهم محفوظة من النسخ والتبديل دنيا وآخرة وأما الرسوم فإنما تتمشى إلى الموت. فعلى العاقل أن يعقل نفسه عن هواها ويتفكر في هداها ويختار للإرشاد من هو أعرف بطريق العقل والنقل والكشف فإنه قال في «المنثوي»:

رهرو راه طریقت این بود کو باحکام شریعت میرود
ويعرض عمن لا يعرف قدر الشريعة والحكمة فيها فإنه عقيم والمرتبط بالعقيم لا يكون إلا عقيماً نسأل الله تعالى أن يوفقنا للثبات في اتباع طريقة أهل المكاشفات والمشاهدات في جميع الحالات.

«وهو» وحده «الذي خلق الليل» الذي هو ظل الأرض «والنهار» الذي هو ضوء الشمس «والشمس» الذي هو كوكب مضيء نهارى «والقمر» الذي هو كوكب مضيء ليلي أي: الله تعالى أوجد هذه الأشياء وأخرجها من العدم إلى الوجود دون غيره فله القدرة الكاملة والحكمة الباهرة «كل» أي: كل واحد من الشمس والقمر وهو مبتدأ خبره قوله: «في فلك» على حدة كما يشهده الوجود وقوله: «يسبحون» حال أي: يجرون في سطح الفلك كالسبح في الماء فإن السبح المَرّ السريع في الماء أو في الهواء واستعير لمر النجوم في الفلك كما في «المفردات» ويفهم منه أن الكواكب مرتكزة في الأفلاك ارتكازاً فص الخاتم في الخاتم قال في «شرح التقويم»: كل واحد من الكواكب مركوز في فلك مغرق فيه كالكرة المنغمسة في الماء لا كالسمك فيه والأفلاك متحركة بالإرادة والكواكب بالعرض. وقال بعضهم أخذاً بظاهر الآية: إن الفلك موج مكفوف من السيلان دون السماء تجري فيه الشمس والقمر كما تسبح السمكة في الماء والفلك جسم شفاف محيط بالعالم.

قال الراغب الفلك مجرى الكواكب وتسميته بذلك لكونه كالفلك. وقال محيي السنة: الفلك في كلام العرب كل شيء مستدير جمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل. قال ابن الشيخ: اختلف الناس في حركات الكواكب والوجوه الممكنة فيها ثلاثة فإنه إما أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرك فيه كحركة السابح في الماء الراكد وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب تتحرك فيه أيضاً مخالفة لجهة حركته أو موافقة لها مساوية لحركته في السرعة والبطء أولاً وإما أن يكون الفلك متحركاً والكواكب ساكنة. قال الفلاسفة: الرأي الأول باطل لأنه يوجب خرق الفلك وهو محال وكذا الرأي الثاني فإنه أيضاً باطل لعين ما ذكر فلم يبق إلا الاحتمال الثالث وهو أن تكون الكواكب مغروزة في الفلك واقفة فيه والفلك يتحرك فتتحرك الكواكب تبعاً لحركة الفلك.

قال الإمام: واعلم أن مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل بل الحق أن الاحتمالات الثلاثة كلها ممكنة والله تعالى قادر على كل الممكنات والذي يدل عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء.

واعلم أنه لو خلق السماء ولم يخلق الشمس والقمر ل يظهر بهما الليل والنهار وسائر المنافع بتعاقب الحر والبرد لم تتكامل نعمه على عباده وإنما تتكامل بحركاتها في أفلاكها ولهذا قال: ﴿كل في فلك يسبحون﴾. واحتج أبو علي بن سينا على كون الكواكب أحياء ناطقة بقوله: ﴿يسبحون﴾ ويقول: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤] قال: الجمع بالواو والنون لا يكون إلا للأحياء العاقلين والجواب أنه لما أسند إليهن ما هو من أفعال العقلاء وهو السباحة والسجود نزلن منزلة العقلاء فعبّر عنهن بضمير العقلاء ومثله ﴿ادخلوا مسكنكم﴾ [النحل: ١٨]. قال بعض أهل الحقيقة: الأجرام الفلكية هي الأجسام فوق العناصر من الأفلاك والكواكب ومحركاتها أي: مبادي حركاتها بالحركة الإرادية على الاستدارة جواهر مجردة عن مواد الأفلاك في ذواتها وأنفسها متعلقة بالأفلاك في حركاتها لتكون تلك الجواهر مبادي تحركاتها ويقال لتلك الجواهر المجردة النفوس الناطقة الفلكية. فإن قلت فعلى هذا لا يكون الناطق فصلاً للإنسان، قلت: المراد بالنطق ما يجري على اللسان وفيه نظر لأنه يرد النقض بالملك والجن والبيغاء والجواب الحق هو ما يجري على الجنان لا ما يجري على اللسان وليس لهم جنان حتى يجري عليه الشيء. قال الكاشفي: [در كشف الاسرار آورده كه نزد اهل اشارت شب وروز نشان قبض و بسط عارفانست كاه يكي را بقبضه قبض كيرد تا سلطان جلال دمار از نهاد او بر آرد وكاه يكي را بر بساط بسط فشانند تميزبان جمال اورا ازخوان نوال نواله اقبال دهد وافتاب نشانه صاحب توحيداست بنعمت تمكين در حضرت شهود آراسته نه فزايد ونه كاهد لو كشف الغطاء ما ازدادت يقيناً وقمر نشانه اهل تلوين است كاه دركاهش بود وكاه در افزايش زمانى بظهور نور برق وحدت درمحاق نيستی افتد وساعتى ببروز رموز جامعيت بمرتبه بدريت رفسد كوييا در كلام حقائق انجام حضرت قاسم الانوار قدس سره اشارتى بدین معنى هست:

زبیم سوز هجرانت زمو باریکتر کردم

چوروزوصل یاد آرم شوم در حال ازان فربه

وحضرت پیررومی قدس سره میفرماید:

چون روی برتابی زمن کردم هلالی ممتن

وررویء سوىء من کنی چون بدری نقصان شوم

تو آفتابی من چومه کرد تو کردم روز وشب

که در محاق افتم زتو که شمع نور افشان شوم

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ البشر والبشرة ظاهر الجلد وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر والخلد تبري الشيء من اعتراض الفساد وبقاؤه على الحالة التي عليها نزلت حين قال المشركون نتربص به ريب المنون، يعني: [انتظار می بریم کرد باد حوادث بر آمد و یاران حضرت محمد علیه السلام متفرق ساخته اورا در ورطه هلاک اندازد] والريب ما يريبك من المكارة والمنون الموت أي ننتظر به أن تصيبه مكارة وحوادث تؤديه إلى الموت فريب المنون الحوادث المهلكة من حوادث الدهر. والمعنى وما جعلنا لفرد من أفراد الإنسان من قبلك يا محمد دوام البقاء في الدنيا أي: ليس من سنتنا أن نخلد آدمياً في الدنيا وإن كنا قادرين على تخليده فلا أحد إلا وهو عرضة للموت فإذا كان الأمر كذلك ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ في الدنيا بقدرتنا لا بل أنت وهم ميتون كما هو من سنتنا دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَّيِّتُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر: ٣٥] وبالفارسية: [پس ایشان یعنی منتظران مرگ تو بایندها خواهند بود] والهمزة في المعنى داخلة على الخلود كأنه قيل فإذا مت انت أبقى هؤلاء المشركون حتى يشمتون بموتك كما قال الشاعر:

فقل للشامتین بنا افیقوا سلیق الشامتون كما لقینا

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

مکن شاد مانی بمرگ کسی که دوران پس ازوی نماند بسی

فالمراد بإنكار الخلود ونفيه إنكار الشماتة التي كان الخلود مداراً لها وجوداً وعدماً. قال في «بحر العلوم»: المراد بالخلود المكث الطويل سواء كان معه دوام أم لا وجيء بالشرطية التي لا تقتضي تحقق الطرفين فلم يوصف عليه السلام بالموت قبلهم بل فرض موته قبلهم كما يفرض المحال وذلك لما علم الله تعالى أنهم يموتون قبله وأنه يبقى بعدهم بمدة مديدة كما يشهده وقعة بدر. يقول الفقير: إن الوزير مصطفى الشهير بابن كوبرلي أقصى حضرة شيخی وسنڊي قدس سره إلى جزيرة قبرص لما عليه العوام من الأغراض الفاسدة فحين زيارتي له سمعته عند السحرة وهو يكرر هذه الآية فمات الوزير قبله. قال الإمام: ويحتمل أنه لما كان خاتم الأنبياء قدر أنه لا يموت إذ لو مات لتغير شرعه فنبه على أن حاله كحال غيره في الموت. واستدل بالآية من قال بأن الخضر مات وليس يحيى في الدنيا مع أن المشايخ بأسرهم وكثيراً من العلماء قائلون بأنه حي حتى أخبر بعضهم برؤيته إياه ومكالمته معه والله أعلم وإن صح ذلك فيكون من العام المخصوص.

واعلم أن ما يدل على أن الخضر كان حياً في عهد النبي عليه السلام ما ذكر في صحيح المستدرک من أنه عليه السلام لما توفي عزتهم الملائكة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عزاء في كل مصيبة وخلفاً من كل فائت فبالله فتقوا وإياه فارجوا فإنما المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ودخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح فتخطى رقابهم فبكى ثم التفت إلى الصحابة فقال: إن في الله عزاء في كل مصيبة وعوضاً عن كل فائت وخلفاً من كل هالك فإلى الله فأنيبوا وإلى الله فارغبوا ونظروا إليكم في البلاء فانظروا فإنما المصاب من لم يجبر وانصرف فقال أبو بكر وعلي رضي الله عنهما: هذا الخضر عليه السلام.

﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ برهان على ما أنكر من خلودهم والمراد النفس الناطقة التي هي الروح الإنساني وموتها عبارة عن مفارقتها جسدها أي: ذائقة مرارة المفارقة والذوق هذا لا يمكن إجراؤه على ظاهره لأن الموت ليس من المطعوم حتى يذاق بل الذوق إدراك خاص فيجوز جعله مجازاً عن أصل الإدراك والموت صفة وجودية خلقت ضداً للحياة وباصطلاح أهل الحق قمع هوى النفس فمن مات عن هواه فقد حيا. قال الراغب أنواع الموت بحسب أنواع الحياة الأول ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الإنسان والحيوانات والنبات نحو ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧] والثاني زوال القوة الحساسة نحو ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرُجُ حَيًّا﴾ [مریم: ٦٦] والثالث زوال القوة العاقلة وهي الجهالة نحو ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْكَلِمَةَ﴾ [الروم: ٥٢] والرابع الحزن المكدر للحياة نحو ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧] والخامس المنام فقبل النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وعلى هذا النحو سماه الله تعالى توفياً فقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام: ٦٠] وقوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ عبارة عن زوال القوة الحيوانية وإبانة الروح عن الجسد انتهى بإجمال. وفي التعريفات النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماه الحكيم الروح الحيواني فهي جوهر مشرق للبدن فعند الموت ينقطع ضوؤه عن ظاهر البدن وباطنه فالنوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلي والنوم هو الانقطاع الناقص. والحاصل أنه إن لم ينقطع ضوء جوهر النفس عن ظاهر البدن وباطنه فهو اليقظة وإن انقطع عن ظاهره دون باطنه فهو النوم أو بالكلية فهو الموت.

يقول الفقير: يفهم منه أن الموت انقطاع ضوء الروح الحيواني عن ظاهر البدن وباطنه وهذا الروح غير الروح الإنساني الذي يقال له النفس الناطقة إذ هو جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعلها ويؤيده ما في «إنسان العيون» من أن الروح عند أكثر أهل السنة جسم لطيف مغاير للأجسام ماهية وهيئة متصرف في البدن حال فيه حلول الدهن في الزيتون يعبر عنه بأننا وأنت وإذا فارق البدن مات. وقول بعض الروحانيين أيضاً: إن الله تعالى جمع في طينة الإنسان الروح الملكي النوراني العلوي الباقي ليصير مسبحاً ومقدساً كالملك باقياً بعد المفارقة والروح الحيواني الظلالي السفلي الفاني ليقبل الفناء الذي يعبر عنه بالموت. وقول بعضهم أيضاً ذكر النفوس لا القلوب والأرواح لأنها تتجلى حياة الحق لها فإذا انسلخت الأرواح من الأشباح انهدمت جنابذ الهياكل ورجعت الأرواح إلى معادن الغيب ومشاهدة الرب.

قال حضرة شيخني وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته: اعلم أن الروح من حيث جوهريته وتجرده وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن متعلق به تعلق التدبير والتصرف

قائم بذاته غير محتاج إليه في بقائه ودوامه ومن حيث إن البدن صورته ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة محتاج إليه غير منفك عنه بل ساري فيه لا كسريان الحلول المشهور عند أهل النظر بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات فليس بينهما مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار ومن علم كيفية ظهور الحق في الأشياء وأن الأشياء من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره يعلم كيفية ظهور الروح في البدن وأنه من أي: وجه عينه ومن أي: وجه غيره لأن الروح رب بدنه ويتحقق له ما ذكرنا وهو الهادي إلى العلم والفهم. انتهى كلام الشيخ قدس سره وهو العمدة في الباب فظهر أن إطلاق النفس على الروح الإنساني إنما هو لتعيينه بتعين الروح الحيواني فهو المفارق في الحقيقة فافهم جداً.

قال الجنيد قدس سره: من كان بين طرفي فناء فهو فان ومن كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه ومن كانت حياته بربه فإنه ينقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة في الحقيقة. قال بعضهم: ظهور الكرامة من الأولياء إنما هو بعد الموت الاختياري أي: بوجوده لا بفقده فالموت لا ينافي الكرامة فالأولياء يظهرونها بعد وفاتهم الصورية أيضاً كذا في «كشف النور»، قال الصائب:

مشو بمرک زامداد اهل دل نوميد که خواب مردم آگاه عین بیداریست
وفي «عمدة الاعتقاد»: للنسفي كل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما في حال نومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل والأنبياء حقيقة لأن المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى. وإذ قد عرفت أن المراد بالنفس هي الروح لا معنى الذات فلا يرد أن الله نفساً كما قال: ﴿تَقَلَّمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] مع أن الموت لا يجوز عليه وكذا الجمادات لها نفس وهي لا تموت وفي الحديث: «آجال البهائم كلها والخشاش والدواب كلها في التسبيح فإذا انقضى تسبيحها أخذ الله أرواحها وليس إلى ملك الموت من ذلك شيء» وفي الحديث «لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجالاً كآجالكم».

- روي - عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله وقد مات وسجى عليه الثوب فكشف عن وجهه ووضع فمه بين عينيه ووضع يديه بين صدغيه وقال: وإني وأخيلاه واصفياه صدق الله ورسوله ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٧٢﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴿٧٣﴾ [الأنبياء: ٣٥، ٣٤] ثم خرج إلى الناس فخطب وقال في خطبته: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد ربه فإن رب محمد حي لا يموت ثم قرأ ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. قال الكاشفي: [هرکه قدم از دروازه عدم بفضای صحرای وجودنهاد بضرورت شربت فنا خواهد نوشید ولباس ممات ووفات خواهد پوشید]:

هرکه آمد بجهان اهل فنا خواهد بود وآنکه پاینده وباقیست خدا خواهد بود
﴿ونبلوكم﴾ أي: نعاملكم أيها الناس معاملة من يبلوكم ويختبركم كما قال الإمام إنما سمي ابتلاء وهو عالم بما سيكون لأنه في صورة الاختبار ﴿بالشر والخير﴾ بالبلايا والنعم كالفقر والألم والشدة والغنى واللذة والسرور هل تبصرون وتشكرون أو لا. وقال بعضهم بالقهر واللفظ والفراق والوصال والإقبال والإدبار والمحنة والعافية والجهل والعلم والذكورة والمعرفة.

قال سهل: نبلوكم بالشر وهو متابعة النفس والهوى بغير هدى والخير العصمة من المعصية والمعونة على الطاعة ﴿فتنة﴾ أي: بلاء واختباراً فهو مصدر مؤكد لنبلوكم من غير لفظه وأصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته. وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: «إن الله يجرب أحدكم بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنه ما يخرج كالذهب فذاك الذي افتتن»، قال الحافظ:

خوش بود كرمحك تجربه آيد بميان تاسيه روى شود هر كه دروغش باشد
وقال الخجندی:

نقد قلب وسره عالم را عشق ضراب ومحبت محكست
قال الراغب: يقال بلي الثوب بلى أي: خلق وبلوته اختبرته كأنني أخلقته من كثرة اختباري له وسمي الغم بلاء من حيث أنه يلي الجسم. ويسمى التكليف بلاء من أوجه:
الأول: أن التكليف كلها مشاق على الأبدان فصارت من هذا الوجه بلاء.
والثاني: أنها اختبارات.

والثالث: أن اختبار الله تعالى تارة بالمسار ليشكروا وتارة بالمضار ليصبروا فصارت المحنة والمنحة جميعاً بلاء فالمحنة مقتضية للصبر والمنحة مقتضية للشكر والقيام بحقوق الصبر أيسر من القيام بحقوق الشكر فصارت المنحة أعظم البلاءين وبهذا النظر قال عمر رضي الله عنه: «بلينا بالضراء فصبرنا وبلينا بالسراء فلم نشكر» ولهذا قال أمير المؤمنين رضي الله عنه: «من وسع عليه ديناه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله» وإذا قيل: ابتلي فلاناً بكذا وبلاء فذلك يتضمن أمرين: أحدهما تعرف حاله والوقوف على ما يجهل من أمره، والثاني: ظهور جودته وردائه دون التعرف لحاله والوقوف على ما يجهل من أمره إذ كان الله علام الغيوب ﴿والينا ترجعون﴾ لا إلى غيرنا لا استقلالاً ولا اشتراكاً فنجازيكم على ما وجد منكم من الخير والشر فهو وعد ووعد وفيه إيماء إلى أن المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعرض للثواب والعقاب.

واعلم أن المجازاة لا تسعها دار التكليف فلا بد من دار أخرى لا يصار إليها إلا بالموت والنشور فلا بد لكل نفس من أن تموت ثم تبعث. قال بعضهم فائدة حالة المفارقة رفع الخبائث التي حصلت للروح بصحبة الأجسام وفائدة حالة الإعادة حصول التمتع بالآخرة التي أعدت لعباد الله الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ إلى أنا نبلوكم بالمكروهات التي تسمونها شراً وهي الخوف والجوع والنقص من الأموال والأنفس والثمرات وإن فيها موت النفس وحياة القلب ونبلوكم بالمحوبات التي تسمونها الخير وهي الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وفيها حياة النفس وموت القلب وكلتا الحالتين ابتلاء فمن صبر على موت النفس عن صفاتها بالمكروهات وعن الشهوات فله البشارة بحياة القلب واطمئنان النفس وله استحقاق الرجوع إلى ربه بجذبة ارجعي إلى ربك باللطف كما قال: ﴿والينا ترجعون﴾ فيصير ما يحسبه شراً خيراً كما قال له تعالى: ﴿وَسَيَكُنْ أُنْ تَكْرَهُوْا سَيَاتًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] ومن لم يصبر على المكروهات وعن الشهوات المحوبات ولم يشكر عليها بأداء حقوق الله فيها فله العذاب الشديد

من كفران النعمة ويصير ما يحسبه خيراً شراً له كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكُونُوا شِغَابًا وَهُوَ سُرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فيرجع إلى الله بالقهر في السلاسل والأغلال انتهى فعلى العاقل الصبر على الفقر ونحوه مما يعد مكروهاً عند النفس، قال الحافظ:

درين بازار كرسوديست بادرويش خر سندست

الهي منعمم كردان بدرويشي وخر سندی

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الْرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المشركون نزلت حين مر النبي عليه السلام بأبي جهل فضحك وقال لمن معه من صناديد العرب هذا نبي عبد مناف كالمستهزئ به ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ الهزاء: مزح في خفية أي: لا يفعلون بك إلا اتخاذك مهزواً به، يعني: [كسى كه با او استهزاء كنند مراد آنست كه ايشان ترا با استهزاء پیغمبر خوانند] على معنى قصر معاملتهم معه على اتخاذهم إياه هزواً لا على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزواً كما هو المتبادر ﴿أَهَذَا الَّذِي﴾ على إرادة القول، يعني: [بایکدیگر گفتند این کس است كه پیوسته] ﴿يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ أصنامكم بسوء أي: يبطل كونها معبودة ويقبح عبادتها يقال فلان يذكر الناس أي: يفتابهم ويذكرهم بالعيوب كما قال في «بحر العلوم» وإنما أطلق الذكر لدلالة الحال فإن ذكر العدو لا يكون إلا بدم وسوء ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ حال والضمير الأول خبره كافرون والثاني تأكيد لفظي له وبذكر متعلق بالخبر وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله أي: يعيرون أن يذكر عليه السلام آلهم التي لا تضر ولا تنفع بالسوء والحال أنهم كافرون بأن يذكروا الرحمن المنعم عليهم بما يجب أن يذكر به من الوجدانية فهم أحقاء بالعيب والإنكار. وفي الآية إشارة إلى أن كل من كان محجوباً عن الله بالكفر لا ينظر إلى خواص الحق إلا بعين الإنكار والاستهزاء لأن خواص الحق من الأنبياء والأولياء يقبحون في أعينهم إذ ما اتخذوا لهم آلهة من شهوات الدنيا من جاهها ومالها وغير ذلك مما اتخذوه آلهة كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣] وكل محب يغار على محبوبه ولذا يذكرونهم بعيب ونقصان والحال أن العيب والنقصان فيهم لا في أضدادهم، وفي «المثنوي»:

آن دهان کژکرد واز تسخر بخواند	مر محمدر دهانش کژ بماند
باز آمد کای محمد عفو کن	ای ترا الطاف علم من لدن
من ترا افسوس می کردم ز جهل	من بدم افسوس را منسوب واهل
چون خدا خواهد که پرده کس درد	میلش اندر طعنه پاکان برد
ور خدا خواهد که پوشد عیب کس	کم زند در عیب معیوبان نفس

فعلى العاقل أن يصون لسانه عن ذكر العيوب ويشغل في جميع الأوقات بذكر علام الغيوب فإنه الذي أفاض سجال الرحمة والشكر لازم لولي النعمة وفي الحديث: «من ذكر الله مطيعاً ذكره الله بالرحمة ومن ذكر الله عاصياً ذكره الله باللعة وأفضل الذكر لا إله إلا الله» لأنه إعراض عما سوى الله وإقبال بالكلية على الله. يقال النصف الأول إشارة إلى قوله: ﴿يَقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] والثاني: إلى قوله ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. ويقال

إن سائر العبادات والأذكار تصل إلى الله تعالى بواسطة الملك أما هذه الكلمة فتصل إلى الله بلا واسطة الملك من قالها مرة خالصاً غفرت ذنوبه وإن كانت مثل زيد البحر وإنه تعالى أمر جميع الأنبياء أن يدعو أممهم إلى هذا الذكر فما نزلت كلمة أجل من لا إله إلا الله بها قامت السموات والأرضون وهي كلمة الإسلام وكلمة النجاة وكلمة النور إذ بها يستنير الباطن بأنوار الخلوص والصدق والصفاء واليقين .

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ (٢٧) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾

﴿خلق الإنسان﴾ أي : جنسه ﴿من عجل﴾ العجلة طلب الشيء وتحريه قبل أوانه وهو من مقتضى الشهوة فلذلك صارت مذمومة حتى قيل العجلة من الشيطان جعل الإنسان لفرط استعجاله وقلة صبره كأنه مخلوق منه كما يقال خلق زيد من الكرم تنزيلاً لما طبع عليه من الأخلاق منزلة ما طبع منه من الأركان إيذاناً بغاية لزومه وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته إلى الكفر واستعجاله بالوعيد قال النضر بن الحارث : ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِكْمَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال : ٣٢] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بالإنسان آدم وأنه حين بلغ الروح صدره أراد أن يقوم أي : استعجل في القيام قبل أن يبلغ الروح أسفله ﴿سأريكم﴾ أيها المستعجلون ﴿آياتي﴾ [نشانهای قدرت خود در دنیا بواسطة واقعه بدر ودر آخرت عذاب دوزخ] ﴿فلا تستعجلون﴾ بالإتيان بها، وبالفارسية : [پس شتاب مکنید مر بخواستن آن] والنهي عما جبلت عليه نفوسهم ليقمعوها عن مرادها فإن لهم الإرادة والاختيار فطبعمهم على العجل لا ينافي النهي كما قال تعالى : ﴿وَأَخْضِرْتَ الْأَنْفُسَ الشُّجَّ﴾ [النساء : ١٢٨] فخلق في الإنسان الشح وأمر بالانفاق وخلق فيه الضعف وأمر بالجهاد وخلق فيه الشهوة وأمر بمخالفتها فهذا ليس من قبيل تكاليف ما لا يطاق :

وفي «التأويلات النجمية» فيه إشارة إلى معان :

منها : أنتم تستعجلون في طلب العذاب من جهلكم وضلالكم وذلك لأنكم تؤذون حبيبي ونبيي بطريق الاستهزاء والعداوة ومن عادى لي ولياً فقد بارزني في الحرب فقد استعجل في طلب العذاب لأنني أغضب لأوليائي كما يغضب الليث ذو الجرو لجروه فكيف بمن يعادي حبيبي ونبيي عليه السلام ويدل على صحة هذا التأويل قوله : ﴿سأريكم آياتي﴾ أي : عذابي ﴿فلا تستعجلون﴾ في طلبه بطريق إيذاء نبيي والاستهزاء به .

ومنها : أن الروح الإنساني خلق من عجل لأنه أول شيء تعلق به القدرة .

ومنها : أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وخمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً وقد روي أن كل يوم من أيام التخمير كان مقداره ألف سنة مما تعدون فتكون أربعين ألف سنة فالمعنى أن الإنسان مع هذا خلق من عجل بالنسبة إلى خلق السموات والأرض في ستة أيام لما خلق فيه عند تخمير طينته من أنموذجات ما في السموات والأرض وما بينهما واستعداده لقبول سر الخلافة المختصة به وقابليته تجلي ذواته وصفاته وللمرآية التي تكون مظهرة للكنز الخفي الذي خلق الخلق لإظهاره ومعرفته لاستعداد حمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال وأهاليها فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها

الإنسان وتامم الآية يدل على هذا المعنى وهو قوله: ﴿سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ أي: سأريكم صفات كمالي في مظاهر الآفاق ومرآة أنفسكم بالتربية في كل قرن بواسطة نبي أو ولي فلا تستعجلون في طلب هذا المقام من أنفسكم فإنه قيل حد طلبه من المهد إلى اللحد بل أقول من الأزل إلى الأبد وهذا منطق الطير لا يعلمه إلا سليمان الوقت قال تعالى: ﴿سَرُّبِهِمْ أَيْنَتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [نصت: ٥٣] انتهى، قيل:

لا تعجلن لأمر أنت طالبه فقلما يدرك المطلوب ذو العجل
فدو التأنى مصيب في مقاصده ودو التعجل لا يخلو عن الزلل
قال أعرابي: إياكم والعجلة فإن العرب تكنيها أم الندامات قال آدم عليه السلام لأولاده: «كل عمل تريدون أن تعملوه فقفوا له ساعة فإنني لو وقفت ساعة لم يكن أصابني ما أصابني» فلا بد من التأنى في الأمور الدنيوية والمقاصد المعنوية:
جو صبح وصل او خواهد دمیدن عاقبت جامی

مخور غم کر شب هجران بپایان دیر می آید
﴿ويقولون﴾ بطريق الاستعجال والاستهزاء ﴿متى هذا الوعد﴾ أي: وعد العذاب والساعة فليأتنا بسرعة ﴿إن كنتم صادقين﴾ في وعدكم بأنه يأتينا والخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين الذين يتلون الآيات المنبئة عن مجيء الوعد فقال تعالى:

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُورُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ جواب لو محذوف وإيثار صيغة المضارع في الشرط وإن كان المعنى لإفادة استمرار عدم العلم وحين مفعول به ليعلم والكف الدفع يقال كفته أصبته بالكف ودفعته بها وتعرف الكف بالدفع على أي وجه كان بالكف أو غيرها والمعنى لو علموا الوقت الذي يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدر على دفعها ولا يجدون ناصراً يمنعها لما استعجلوا وتخصيص الوجوه والظهور يعني القدام والخلف لكونهما أشرف الجوانب واستلزام الإحاطة بهما للإحاطة بالكل.

﴿بل تأتيتهم﴾ العدة ﴿بغته﴾ البغته مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب أي: فجأة، وبالفارسية: [ناكاهان] وهو مصدر لأن البغته نوع من الإتيان أو حال أي: باغته ﴿فتبتههم﴾ [پس مبهوت ومتحير كرداند ايشان] والبهت الحيرة. قال الإمام وإنما لم يعلم الله وقت الموت والساعة لأن المرء مع الكتمان أشد حذراً وأقرب إلى التدارك. قال بعض الكبار من بهته شيء من الكون فهو لمحلله عنده وغفلته عن مكنونه ومن كان في قبضة الحق وحضرته لا يبهته شيء لأنه قد حصل في محل الهيبة من منازل القدس ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ أي: العدة فإن المراد بها العذاب أو النار أو الساعة ﴿ولا هم ينظرون﴾ من الإنظار بمعنى الإمهال والتأخير أي: لا يمهلون ليستريحوا طرفة عين أو يتولوا أو يعتدروا أو من النظر أي: لا ينظر إليهم. ولا إلى تضرعهم وفيه إشارة إلى أنه لو علم أهل الإنكار قبل أن يكافئهم الله على إنكارهم نار القطيعة والحسرة والبعد والطرده لما أقاموا على إنكارهم ولتابوا ورجعوا إلى طلب الحق وعلم منه أن

أعظم المقاصد هو طلب الحق والوصول إليه فكما أن من أدب الظاهر أن يحفظ المرء بصره عن الالتفات إلى يمينه وشماله فكذا من أدب الباطن أن يصون بصيرته عن النظر إلى ما سوى الله تعالى ولا يحصل غالباً إلا بالسلوك والاسترشاد من أهل الله تعالى فلا بد من إفناء الوجود فإنه طريق المقصود.

- حكي - أن ليلي لما كسرت إناء قيس المجنون رقص ثلاثة أيام من الشوق فقيل: أيها المجنون كنت تظن أن ليلي تحبك وهي تعطي ما أعطته لغيرك فضلاً عن المحبة فقال: إنما المجنون من لم يتفطن لهذا السر أشار إلى أن كسر الوعاء عبارة عن الإفناء.

واعلم أن من المتفق عليه شرعاً وعقلاً وكشفاً أن كل كمال لم يحصل للإنسان في هذه النشأة وهذه الدار فإنه لا يحصل له بعد الموت في الدار الآخرة كما في «الفكوك» لحضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره فعلم منه أن زمان الفرصة غنيمة وأن وقت الموت إذا جاء بغتة لا يقدر المرء أن يستأخر ويتدارك حاله، قال الشيخ سعدي قدس سره:

خبر داری ای استخوانی قفس که جان تو مرغیست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بکسست قید دکره نکردد بسعی تو صید
نکه دار فرصت که عالم دمیست دمی پیش دانا به از عالمیست

﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (١١) ﴿قُلْ مَن يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (١٢) ﴿أَمْ هُم بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٣) ﴿وَلَا هُمْ يَصْطَلِحُونَ﴾ (١٤)

﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾ تسلياً لرسول الله ﷺ عن استهزائهم به أي: بالله لقد استهزئ برسل أولي شأن خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك كما استهزأ بك قومك فصبروا ففيه حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ﴿فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يقال حاق به يحيق حيقاً أحاط به وحاق بهم الأمر لزمهم ووجب عليهم وحاق نزل ولا يكاد يستعمل إلا في الشر والحق ما يشمل الإنسان من مكروه فعل وبالذين متعلق بحاق وضمير منهم للرسول والموصول فاعل حاق. والمعنى فأحاط بهم عقيب ذلك العذاب الذي كانوا به يستعجلون ووضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء وهو وعد له بأن ما يفعلون به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالأنبياء ما فعلوا يعني جزاءه.

﴿قل﴾ يا محمد للمستهزئين بطريق التقرير والتبكيث ﴿من﴾ استفهام ﴿يكلؤكم﴾ الكلاء حفظ الشيء وتبقيته والكالء الذي يحفظ أي: يحفظكم ﴿بالليل والنهار﴾ أي: فيهما ﴿من الرحمن﴾ أي: من بأسه الذي يستحقون نزوله ليلاً أو نهاراً إن أراد بكم أي: لا يمنعكم من عذابه إلا هو وفي ذكر الرحمن تنبيه على أنه لا كاليء غير رحمته العامة وأن اندفاعه بمهلته وتقدير الليل لما أن الدواهي أكثر فيه وقوعاً وأشد وقعاً ﴿بل هم عن ذكر ربهم معرضون﴾ لا يخطر على ذكره تعالى ببالهم فضلاً عن أن يخافوا الله ويعذوا ما كانوا عليه من الأمن والدعة حفظاً وكلاءة حتى يسألوا عن الكاليء أي: دعهم عن هذا السؤال لأنهم لا يصلحون له لإعراضهم عن ذكر الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية» المحجوبون بحجب البشرية أرجى صلاحاً من المحجوبين بحجب الروحانية لأنهم مقرون بجهالتهم وهؤلاء مغرورون بمقاتلتهم وأهل الحجب البشرية معرضون عن ذكر ربهم وطلبه لاشتغالهم بلوازم البشرية وأهل الحجب الروحانية معرضون عن ذكر ربهم ومعرفته بحسبانهم بمعارف المعقولات، قال الكمال الخجندی:

بشکن بت غرورکه در دین عاشقان یک بت که بشکننده از صد عبادتست
وقال الصائب:

بفکر نیستی هرگز نمی افتند مغروران اگرچه صورت مقراض لا دارد کریبانها
﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أم منقطعة أي: بل لهم آلهة تمنعهم من العذاب متجاوزة منعنا فهم معتمدون عليها أي: ليس لهم ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا يُصْحَبُونَ﴾ استئناف مقرر لما قبله من الإنكار وموضح لبطلان اعتقادهم أي: هم لا يقدر أن ينصروا أنفسهم، يعني: [اكر کسی با ایشان مکروھی خواهد از کسر وقلع وتلویت وامثال آن از خود دفع نتواند کرد] ولا يصحبون بالنصر من جهتنا. قال الراغب: لا يكون لهم من جهتنا ما يصحبهم من سكينه وروح وترفق ونحو ذلك مما يصحب أولياءنا فكيف يتوهم أن ينصروا غيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يصحبون يمنعون.

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّرُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ﴿٤٦﴾

﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾ المتاع انتفاع ممتد الوقت يقال متعه الله بكذا وأمتعته وتمتع به، يعني: [بلکه ما برخورداری دادیم آن گروه را بجهت سعت معیشت وایمنی وسلامتی وپدر ایشانرا] ﴿حتى طال عليهم العمر﴾ بضم الميم وسكونها اسم لمدة عمارة البدن بالحياة أي: طال عليهم الأجل في التمتع فاغثروا وحسبوا أنهم ما زالوا على ذلك لا يغلبون [وندانستندکه دست اجل برهم زنداین بناکه افراشته] ﴿أفلا يرون﴾ أي: ألا ينظرون فلا يرون ﴿أنا نأتي الأرض﴾ أرض الكفرة التي هي دار الحرب ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بتسليط المؤمنين عليها فكيف يتوهمون أنهم ناجون من بأسنا والجملة خبر بعد خبر أو حال أو بدل والأطراف جمع طرف بالتحريك وهو ناحية من النواحي وطائفة من الشيء قالوا: هذا تمثيل وتصوير لما يخربه الله من ديارهم على أيدي المسلمين ويضيفه إلى دار الإسلام وذلك أن الله لا يأتي بل العساكر تغزو أرض الكفرة وتأتي غالبه عليها ناقصة من نواحيها. قال الكاشفي يعني: [ميكشاييم آنرا بر مسلمانان که تاهر روز قلعه ميکيرند ومنزلی بحوزه تصرف درمی آرند] وقد سبق في آخر سورة الرعد ﴿أفهم الغالبون﴾ القاهرون على رسول الله والمؤمنين أي: أبعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم أي: الغالب هو الله وهم المغلوبون وفي الحديث: «فضلت على الناس بأربع بالسماحة والشجاعة وكثرة الجماع وشدة البطش» قيل للأسكندر في عسكر دارا ألف ألف مقاتل فقال: إن القصاب الحاذق لا يهوله كثرة الأغنام، وفي «المثنوي»:

تیشه را زانبوهی شاخ درخت کی هراس آید ببرد لخت لخت
شعله را زانبوهی هیزم چه غم کی رمد قصاب زانبوه غنم

خر نشايد كشت از بهر صلاح چون شودو حشى شود خونش مباح
لا جرم كفار را شد خون مباح همچو وحشى پيش نشاب ورماع
جفت وفرزندان شان جمله سبيل زانكه بى عقلند ومردود وذليل

واعلم أن الغلبة والنصرة منصب شريف فهو بجند الله تعالى وهم الأنبياء والأولياء وصالحو المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدًا لَهُمُ الْغَلِيلُونَ﴾ [الصفات: ١٧٣] أي: وإن رؤي أنهم مغلوبون لأن الغالبية له ألا ترى أن الله تعالى أظهر المؤمنين على العرب كلهم وافتتحو بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا وما وقع في بعض الأوقات من صورة الانهزام فهو من باب تشديد المحنة والبلاء الحسن. فعلى المؤمن أن يثق بوعد الله تعالى ولا يضعف عن الجهاد فإن بالهمة تنقلع الجبال عن أماكنها. وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أني ما قلعت خيبر بقوة جسمانية ولا بحركة غذائية لكني أيدت بقوة ملكوتية ونفس بنور ربها مضيئة عن جابر رضي الله عنه أن علياً رضي الله عنه لما انتهى إلى الحصن أخذ أحد أبوابه فألقاه في الأرض فاجتمع عليه بعد سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب قالوا: «كل طائر يطير بجناحيه والعاقل بهيمته».

فللمزيد رجال وللحروب رجال

﴿قل إنما أنذركم بالوحي﴾ أي: إنما شأنني أن أخوفكم مما تستعجلونه بما أوحى إلي من القرآن وأخبر بذلك لا الإتيان به فإنه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية إذ الإيمان برهاني لا عياني ﴿ولا يسمع الصم الدعاء﴾ إلى الإيمان جمع الأصم والصمم فقدان حاسة السمع ﴿إذا ما يندرون﴾ شبهوا بالصم وهم صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يندرون به من آيات الله لا تعيه أذانهم وكان سماعهم كلا سماع فكانت حالهم لا تنفأ جدوى السماع كحال الذين عدموا مصحح السماع وينعق بهم فلا يسمعون وتقييد نفي السماع به مع أن الصم لا يسمعون الكلام إنذاراً كان أو تبشيراً لبيان كمال شدة الصمم كما أن إثارة الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فإن الإنذار عادة يكون بأصوات عالية مكررة مقارنة لهيئة دالة عليه فإذا لم يسمعوها يكون صممهم في غاية وراءها وهذا من تنمة الكلام الملحن ويجوز أن يكون من جهته تعالى كأنه قيل قل لهم ذلك وأنت بمعزل من إسماعهم. وفيه إشارة إلى أنه ليس للأنبياء والأولياء إلا الإنذار والنصح وليس لهم إسماع الصم وهم الذين لعنهم الله في الأزل بالطرد عن جوار الحضرة إلى أسفل الدنيا وأصمهم وأعمى أبصارهم بحبها وطلب شهواتها فلا يسمعون ما يندرون به وإنما الإسماع لله لا للخلق كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

﴿ولئن مستهم﴾ [واكر برسد بكفره] والمس المس واللمس ويقال في كل ما ينال الإنسان من أذى ﴿نفحة من عذاب ربك﴾ أي: وبالله لئن أصابهم أدنى شيء من عذابه تعالى الذي ينذر به والنفحة من الريح الدفعة من العذاب القطعة كما في «القاموس» وعلى الأولى حمل شارح الشهاب ما وقع في قوله عليه السلام: «إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها» قال في «بحر العلوم» من نفحته الدابة إذا ضربته أي: ضربة أو من نفحت الريح إذا هبت أي: هبة أو من نفح الطيب إذا فاح أي: فوحة كما يقال شمة. وقال ابن جريج: أي نصيب من نفحه فلان من ماله إذا أعطاه حظاً منه ﴿ليقولن﴾ من غاية الاضطراب والحيرة ﴿يا ويلنا﴾ [واى برما]

وقد سبق تحقيقه ﴿إنا كنا ظالمين﴾ أي: لدعوا على أنفسهم بالويل والهلاك واعترفوا عليها بالظلم حين تصاموا وأعرضوا وهو بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس الوعد إثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره. وفيه إشارة إلى أن أهل الغفلة والشقاوة لا تنتبهون بتنبيه الأنبياء ونصح الأولياء في الدنيا حتى يمسه أثر من آثار عذاب الله بعد الموت فإن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فاعترفوا بذنوبهم ونادوا بالويل والثبور على أنفسهم بما كانوا ظالمين فالظلم يجلب النقم ويسلب النعم سواء كان ظلم الغير أو ظلم النفس فليجتنب المؤمن من أسباب العذاب والنقمة وليأت إلى باب النجاة والرحمة وذلك بالمجاهدة وقمع الهوى واختيار طريق الطاعة والتقوى.

- روي - أن بعض الصالحين قال لعجوز متعبدة أرفقي بنفسك فقالت: إن رفقي بنفسي يغيبني عن باب المولى ومن غاب عن باب المولى مشتغلاً بالدنيا فقد عرض للمحن والبلوى ثم بكت وقالت: واسوأته من حسرة السباق وفجيعة الفراق أما حسرة السباق فإذا قاموا من قبورهم وركب الأبرار نجائب الأبرار وقدمت بين يديهم نجائب المقربين بقي المسبوق في جملة المحرمين وأما فجيعة الفراق فإذا جمع الخلق في مقام واحد أمر الله تعالى ملكاً ينادي أيها الناس امتازوا فإن المتقين قد فازوا كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا نَسُوا نَجْمَ الْوَحْيِ﴾ [يس: ٥٩] فيمتاز الولد من والديه والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه فهذا يحمل مبعجلاً إلى رياض الجنة وهذا يساق مسلسللاً إلى عذاب الجحيم فأين من يمسه العذاب ممن يصل إليه الثواب.

واعلم أن الإنذار أبلغ فإنه من باب التخلية فلا بد للعاصي من التخوف على المعاصي والإصغاء إلى الموعظة والنصيحة الموقظة فإنه سوف يقول المعرضون ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠] وهم الصم في الحقيقة، قال الشيخ سعدى:

بكوى آنچه دانى سخن سودمند و كرهیچ كس را نیايد پسند

كه فردا پشیمان برآرد خروش كه آوخ چرا حق نكردم بكوش

﴿وَنُصِّعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيباً﴾ [٤٧]

﴿ونضع الموازين القسط﴾ الموازين جمع ميزان، بالفارسية: [ترازو] والقسط العدل أي: نقيم الموازين العادلة التي نوزن بها صحائف الأعمال ونحضرها أو الأعمال باعتبار التجوهر والتجسم وجمع الموازين باعتبار تعدد الأعمال أو لأن لكل شخص ميزاناً. قال الراغب الوزن معرفة قدر الشيء وذكر الميزان في مواضع بلفظ الواحد اعتباراً بالمحاسبة وفي مواضع بلفظ الجمع اعتباراً بالمحاسبين انتهى. وإفراد القسط لأنه مصدر وصف به مبالغة كرجل عدل. قال الإمام وصف الموازين بالقسط لأنها قد لا تكون مستقيمة ﴿ليوم القيامة﴾ أي: لأجل جزائه ﴿فلا تظلم نفس﴾ من النفوس ﴿شيئاً﴾ حقاً من حقوقها على أن يكون مفعولاً ثانياً لتظلم لأنه بمعنى تنقص وتنقص يتعدى إلى مفعولين يقال نقصه حقه من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه إن خيراً فخير وإن شراً فشر على أن يكون مفعولاً مطلقاً ﴿وإن كان﴾ أي: العمل المدلول عليه بوضع الموازين ﴿مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ المِثْقَال ما يوزن به من الثقل أي: مقدار حبة كائنة من خردل، بالفارسية: [ازسپندان كه اصغر حباتست] أي: وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثل في الصغر ﴿أتينا بها﴾ بقصر الهمزة من الإتيان والباء للتعدي أي: أحضرنا

ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن والتأنيث لإضافته إلى الحبة ﴿وكفى بنا حاسبين﴾ إذ لا مزيد على علمنا وعدلنا الباء زائدة ونا فاعل كفى وحاسبين حال منه بمعنى عاذين من حسب المال إذا عده . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عالمين حافظين لأن من حسب شيئاً علمه وحفظه وفيه تحذير فإن المحاسب العالم القادر الذي لا يفوته شيء يجب أن يخاف منه وروى الشبلي قدس سره في المنام ف قيل ما فعل الله بك فقال :

حاسبوننا فصدقوا ثم مننوا فأعتقوا

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الميزان حق ووجهه أن الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزناً بحسب درجات الأعمال عند الله فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب . يقول الفقير بهذا يندفع سؤال الإمام في تفسيره حيث قال أهل القيامة إن علموا كونه تعالى عادلاً فلا حاجة إلى وضع الميزان بل يكفي مجرد حكمه بترجيح جانب وإن لم يعلموا لم يفد وزن الصحائف لاحتمال أنه جعل إحدى الكفتين أثقل ظلماً انتهى وذلك لأنهم علموا ذلك ضرورياً لأن الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا لكن الله تعالى أراد أن يحصل لهم العلم بمقادير أعمالهم ليظهر العدل والفضل ظهوراً لا غاية وراءه وفيه إلزام الحجة لهم . قيل للميزان لسان وكفتان وهو بيد جبريل يوزن فيه الحسنات والسيئات في أحسن صورة وأقبحها والحكم للغالب في الوزن وفي التساوي لفضل الله . يقول الفقير : لعل وجه كونه بيد جبريل أنه الواسطة في تنزيل الأمر والنهي فناسب أن يكون الميزان بيده ليزن صحائف الأوامر والنواهي .

- روي - أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة كما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال : إلهي من ذا الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات؟ فقال : يا داود إني إذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة وفي الحديث «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» إنما صارتا أحب لأن فيهما المدح بالصفات السلبية التي يدل عليها التنزيه وبالصفات الثبوتية التي يدل عليها الحمد وفي الحديث «التسبيح نصف الميزان والحمد لله يملؤه» . قال المولى الفناري : توضع الموازين لوزن الأعمال فيجعل فيها الكتب بما عملوا وآخر ما يوضع في الميزان قول الإنسان الحمد لله ولهذا قال عليه السلام : «الحمد لله تملأ الميزان» فإنه يلقي في الميزان جميع أعمال العباد من الخير إلا كلمة لا إله إلا الله فيبقى على ملئه تحميدة فتجعل فيه فيمتلئ بها فإن كفة ميزان كل أحد بقدر عمله من غير زيادة ولا نقصان وكل ذكر وعمل يدخل الميزان إلا لا إله إلا الله كما قلنا وسبب ذلك أن كل عمل خير له مقابل من ضده فيجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان أحد لأنه إن قال لا إله إلا الله معتقداً لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد فلم يكن لها ما يعادلها في الكفة الأخرى ولا يرجحها شيء فهذا لا تدخل في الميزان وأما المشركون فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً أي : لا يقدر لهم ولا يوزن لهم عمل ولا من هو من أمثالهم من المعطل والمتكبر على الله فإن أعمال خير المشرك محبوبة فلا يكون لشركهم ما يوازيه فلا وزن لهم وأما صاحب السجلات فإنه شخص لم يعمل خيراً قط إلا أنه تلفظ يوماً بكلمة لا إله إلا الله مخلصاً فيوضع له في مقابلة التسعة والتسعين سجلاً من أعمال الشر كل سجل منها كما بين المشرق والمغرب وذلك لأنه ما له عمل خير

غيرها فترجح كفتها بالجميع وتطيش السجلات. والتحقيق أن لا إله إلا الله كلمة التوحيد والتوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء وإلا لما كان واحداً بل كان اثنين فصاعداً فإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي لم تدخل في الميزان لأنه ليس له معادل ومماثل فكيف يدخل فيه وإليه أشار الخبر الصحيح عن الله تعالى قال الله تعالى: «لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» فعلم من هذه الإشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان لأنه يوجد لها ضد بل أصداد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات فما مالت الكفة إلا بالبطاقة التي كتبها الملك فيها فهي الكلمة المكتوبة المنطوقة المخلوقة فعلم من هذه الإشارة أن السبب لدخولها في ميزان الشريعة هو وجود الضد والمخالف وهو السيئات المكتوبة في السجلات وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار ثم يخرج بالشفاعة أو بالعناية الإلهية فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً ولزم الخلاف للقضاء وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص إلهي يختص برحمته من يشاء هكذا حقق شيخنا وسندي قدس سره هذا المقام ولا يدخل الموازين إلا أعمال الجوارح شرها وخيرها وهي السمع والبصر واليد والبطن والفرج والرجل وأما الأعمال الباطنة فلا تدخل الميزان المحسوس لكن يقام فيها العدل وهو الميزان الحكيمي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل شيء بمثله فلهذا توزن الأعمال من حيث هي مكتوبة وقد أصاب من قال الذكر الخفي هو الذي لم يطلع عليه الحفظة وهو توحيد الحقيقي الباطني الذي لا يدخل في الميزان الصوري لأنه ما كان مكتوباً فكيف يدخل فيه. فإن قيل أين الميزان؟ قلنا: على الصراط ومترتب على الحساب ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنة بغير حساب وإنما الميزان للمخلصين من المؤمنين. قال بعض الكبار: ميزان العدل في الدنيا ثلاثة: ميزان النفس والروح، وميزان القلب والعقل، وميزان المعرفة والسر. فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفته الوعد والوعيد، وميزان القلب والعقل الإيمان والتوحيد وكفته الثواب والعقاب، وميزان المعرفة والسر الرضى والسخط وكفته الهرب والطلب. وقال بعضهم: من يزن ههنا نفسه بميزان الرياضة والمجاهدات ويوزن قلبه بميزان المراقبات ويوزن عقله بميزان الاعتبار ويوزن روحه بميزان المقامات ويوزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبات ويوزن صورته بميزان المعاملات الذي كفته الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف توزن نفسه يوم القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فإذا ثقلت موازينه مما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق فجزاء قلبه مشاهدة الشرف في الأسرار وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه شف أنوار الذات وجزاء سره إدراك الأسرار القدسيات وجزاء صورته الجلوس في مجالس وصال الأبديات وأيضاً توزن الأعمال بميزان الإخلاص.

عبادت باخلاص نيت نكوست وكرنه چه آيد زبى مغزپوست

والأحوال بميزان الصدق:

بصدق كوش كه خورشيد زآيد از نفست كه از دروغ سیه روی كشت صبح نخست
 فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل أعماله :
 منه آب زرجان من بر پشيز كه صراف دانا نكيرد بچيز
 ومن كانت أحواله بالعجب مشوبة لم ترفع أحواله :
 حال خود از عجب دل تخليص كن از عمل توفيق را تخصيص كن
 كر بخواهی تا كران معنی شوی وزن كن حالت بميزان شوی
 چون ترازوی تو كج بود ودغا راست چون جویی ترازوی جزا
 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذَكَرْنَا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
 وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرنا للمتقين﴾ أي: وبالله لقد آتيناها كتاباً جامعاً بين كونه فرقاناً بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرنا يتعظ به الناس فالمراد بجميع هذه الصفات واحد هو التوراة وتخصيص المتقين بالذكر لأنهم المستضيئون بأنواره والمغتثون بمغانم آثاره.

﴿الذين يخشون ربهم﴾ عذابه وهو مجرور المحل على أنه صفة مادحه للمتقين ﴿بالغيب﴾ حال من المفعول أي: يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه من العذاب ﴿وهم من الساعة﴾ اسم لوقت تقوم فيه القيامة سمي بها لأنها ساعة خفيفة يحدث فيها أمر عظيم وسميت الساعة ساعة لسعيها إلى جانب الوقوع ومسافته الأنفاس. وقال الراغب الساعة جزء من أجزاء الزمان ويعبر بها عن القيامة سميت بذلك لسرعة حسابه كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢] ولما نبه عليه بقوله: ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرَزَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِرُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥] فالأولى هي القيامة والثانية الوقت القليل من الزمان ﴿مشفقون﴾ أي: خائفون منها وقد سبق الإشفاق في هذه السورة وتخصيص إشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على الإطلاق للإيدان بكونها معظم المخوفات.

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿وهذا﴾ أي: القرآن الكريم أشير إليه بهذا إيذاناً بغاية وضوح أمره ﴿ذكر﴾ يتذكر به من يتذكر ﴿مبارك﴾ كثير الخير والنفع يتبرك به ﴿أنزلناه﴾ على محمد صفة ثانية لذكر أو خبر آخر ﴿أفأنتم له منكرون﴾ إنكار لإنكارهم بعد ظهور كون إنزاله كإيتاء التوراة كأنه قيل أبعد أن علمتم أن شأنه كشأن التوراة في الإيتاء والإيحاء أنتم منكرون لكونه منزلاً من عندنا فإن ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له أصلاً. قال بعض الكبار كلام الله سبحانه في نفسه مبارك وإن لم يسمعه الجاهل ولكن مبارك على من يسمعه باستماع المحبة والشوق إلى لقاء المتكلم

ويعمل بمضمونه ويعرف إشارته ويجد حلاوته في قلبه فإذا كان كذلك تبلغه بركته إلى مشاهدة معدنه وهو رؤية الذات القديم وفي الحديث «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب» وفي الحديث «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» يعني: لا تتركوا بيوتكم خالية من تلاوة القرآن فإن كل بيت لا يقرأ القرآن فيه يشبه المقابر في عدم القراءة والذكر والطاعة وإلى الله المشتكى من إهمال أهالي هذا الزمان فإن ميل أكثرهم إلى الإشعار وكلام أهل الهوى لا إلى القرآن والهدى، قال الخجندي:

دل از شنیدن قرآن بکیردت همه وقت چو باطلان ز کلام حقت ملولی چيست
وفي «التأويلات النجمية» النور الذي هو يفرق بين الحق والباطل بل بين الخلق والخالق والحدوث والقدم نور يقذفه الله في قلوب عباده المخلصين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الكاملين لا يحصل إلا بتكرار العلوم الشرعية لا بالأفكار العقلية وله ضياء وهو ذكر يتعظ به المتقون الذين يتقون عن الشرك بالتوحيد وعن الطمع بالشرع وعن الرياء بالإخلاص وعن الخلق بالخالق وعن الأنانية بالهوية ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ لمن يتعظ به ويعلم أن الاعتاض به إنما هو من نور ﴿أنزلناه﴾ في قلبه لا من نتائج عقله وتفكره أتذكرون على أنه نور من هدايتنا.

- حكي - أن عثمان الغازی جد السلاطين العثمانية إنما وصل إلى ما وصل برعاية كلام الله تعالى وذلك أنه كان من أسخياء زمانه ببذل النعم للمتتردين فثقل ذلك على أهل قريته وأنكروا عليه فذهب ليشكي من أهل القرية إلى الحاجي بكتاش أو غيره من الرجال فنزل ببيت رجل قد علق فيه مصحف فسأل عنه فقالوا: هو كلام الله تعالى فقال: ليس من الأدب أن نقعد عند كلام الله فقام وعقد يديه مستقبلاً إليه فلم يزل إلى الصبح فلما أصبح ذهب إلى طريقه فاستقبله رجل فقال: أنا مطلبك ثم قال له: إن الله تعالى عظمك وأعطاك وذريتك السلطنة بسبب تعظيمك لكلامه ثم أمر بقطع شجرة وربط رأسها بمنديل وقال: ليكن ذلك لواء ثم اجتمع عنده جماعة فجعل أول غزوته إلى بلجك وفتح بعناية الله تعالى ثم أذن له السلطان علاء الدين في الظاهر أيضاً فصار سلطاناً. ففي هذه الحكاية فوائد منها أن السلطنة اختصاص إلهي كالنبوة ومنها أن السخاء مفتاح باب المراد. ومنها أن المراجعة عند الحيرة إلى الله لها تأثير عظيم. ومنها أن رعاية كلام الله سبب السلطنة مطلقاً صورية كانت أو معنوية إذ هو ذكر مبارك. ومنها أن ترك الرعاية سبب لزوال قوتها بل لزوال نفسها كما وقع في هذه الأعصار فإن الترقى الواقع في زمان السلاطين المتقدمين آل إلى التنزل وقد عزل السلطان محمد الرابع في زماننا بسبب الترك المذكور فهذا هو زوال السلطنة نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا وجلاء أحزاننا.

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده﴾ الرشد خلاف الغي وهو الابتداء لمصالح الدين والدنيا وكمالها يكون بالنبوة أي: بالله لقد آتينا بجلالنا وعظم شأننا إبراهيم الخليل عليه السلام الرشد اللائق به وبأمثاله من الرسل الكبار على ما أفادته الإضافة ﴿من قبل﴾ من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة وتقديم ذكر إيتائها لما بينه وبين إنزال القرآن من الشبه التام ﴿وكنا به عالمين﴾ أي: وكنا عالمين بأنه أهل لما آتينا من الرشد والنبوة وتقديم الظرف لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ونظير الآية قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. واعلم أن الأهلية أيضاً من الله تعالى:

قابلي کر شرط فعل حق بدی همچو معدومی بهستی نامدی

وقد قالوا القابلية صفة حادثة من صفات المخلوق والعطاء صفة قديمة من صفات الخالق والقديم لا يتوقف على الحادث.

﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾ ظرف لآتيناً على أنه وقت متسع وقع فيه الإيتاء وما ترتب عليه من أفعاله وأقواله. يقول الفقير: والظاهر من عدم التعرض لأمه كونها مؤمنة كما يدل عليه تربيته وامتناعه من أبيه دونها والمراد من قومه أهل بابل بالعراق وهي بلاد معروفة من عبادان إلى الموصل طولاً ومن القادسية إلى حلوان عرضاً سميت بها لكونها على عراق دجلة والفرات أي: شاطئيهما ﴿ما﴾ [جيست] ﴿هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون﴾ التماثيل جمع تمثال وهو الشيء المصور المصنوع مشبهاً بخلق من خلاق الله والممثل المصور على مثال غيره من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به والعكوف الإقبال على الشيء وملازمته على سبيل التعظيم لغرض من الأغراض ضمن معنى العبادة كما يدل عليه الجواب الآتي ولذا جيء باللام دون على أي: ما هذه الأصنام التي أنتم عابدون لها مقيمون عليها وهذا السؤال تجاهل منه وإلا فهو يعرف أن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبوداً. قال الكاشفي: [آن هفتاد دو صورت بود. ودر تيسير كويد نودبت بود وبزر كترهمه را از زر ساخته بودند ودوكوهر شاهوار درچشمهای او تركيب کرده. ودرتبيان آورده كه صورتها بودند برهيات سباع وطيور وبهائم وإنسان. ويقول بعضي تماثيل بر مصور هياكل كواكب بود].

- روي - أن علياً رضي الله عنه مر بقوم يلعبون بالشطرنج، فقال: ما هذه التماثيل كما في تفسير أبي الليث وفيه تقبيح للعب بالشطرنج حيث عبر عن شخوصه بما عبر به إبراهيم عن الأصنام فأشار إلى أن العكوف على هذا اللعب كالعكوف على عبادة الأصنام. قال صاحب الهداية يكره اللعب بالنرد والشطرنج والأربعة عشر والكل لهو لأنه إن قامر بها فالميسر حرام بالنص وهو اسم لكل قمار وإن لم يقامر فهو عبث ولهو وقال عليه السلام: «لهو المؤمن باطل إلا لثلاث تأديبه لفرسه ومناضلته عن قوسه وملاعبته مع أهله» وحكي عن الشافعي رحمه الله إباحة اللعب بالشطرنج لما فيه من تسخية خاطر. قال زين العرب في «شرح المصابيح» رجع الشافعي عن هذا القول قبل موته بأربعين يوماً وذكر الغزالي أيضاً في «خلاصته» إنه مكروه عند الشافعي أي: في قوله الأخير وكيف لا يكون مكروهاً وهو إحياء سنة المجوس وقد قال عليه السلام: «من لعب بالشطرنج والنردشير فكأنما غمس يده في دم الخنزير»، وأما قول ابن خيـام:

زمانی بحث ودرس قیل وقالی كه انسانرا بود كسب كمالی

زمانی شعر وشطرنج وحكايات كه خاطررا شود دفع ملالی

فمن قبيل القول الباطل الناشئ عن هوى النفس الأمارة بالسوء أعاذنا الله وإياكم من مكروها وتسويلها. وفي الآية إشارة إلى أحوال أهل الدين فإنهم يرون أهل الدنيا بنور الرشد عاكفين لأصنام الهوى والشهوات يقولون لهم ما هذه التماثيل الخ ولو لم يكن نور الرشد والهداية من الله لكانوا معهم عاكفين لها وما رأوها بنظر التماثيل.

﴿قالوا﴾ كأنه قال إبراهيم عليه السلام أي شيء حملكم على عبادتها فقالوا: ﴿وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ أي: عابدين لها فنحن نعبدوها اقتداء بهم وهو جواب العاجز عن الإتيان بالدليل.

﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ زَيَّكُمُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ أي: وبالله لقد كنتم أنتم أيها المقلدون وآباؤكم الذين سنوا لكم هذه السنة الباطلة مستقرين في ضلال عظيم وخطأ ظاهر لكل أحد لعدم استناده إلى دليل ما والتقليد إنما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة والباطل لا يصير حقاً بكثرة القائلين به وفيه إشارة إلى أن التقليد غالب على الخلق كافة في عبادة الهوى والدنيا إلا من آتاه الله رشده.

واعلم أن التقليد قبول قول الغير بلا دليل وهو جائز في الفروع والعمليات ولا يجوز في أصول الدين والاعتقادات بل لا بد من النظر والاستدلال لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع وصفاته وإرسال الرسل وما جاؤوا به حقاً من غير دليل لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم الدليل ولكنه يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه. وفي «فصل الخطاب» من نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه فهو خارج عن حد التقليد أي: فإن تسيبته عند رؤية المصنوعات عين الاستدلال فكأنه يقول الله خالق هذا على هذا النمط البديع ولا يقدر أحد غيره على خلق مثل هذا فهو استدلال بالآثر وإثبات للقدرة والإرادة إلى غير ذلك فالمقصود من الاستدلال هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر ومن المصنوع إلى الصانع بأي وجه كان لا ملاحظة الصغرى والكبرى وترتيب المقدمات للإنتاج على قاعدة المعقول.

يقول الفقير: أدى جهل هذا الزمان إلى حيث إن من سبح عند كل أعجوبة لم يلزم أن يكون مستندلاً مطلقاً لأنه سمع الناس يقولون سبحان الله عند رؤية سيل عظيم أو شجر كبير أو حريق هائل أو نحوها مما خرج عن حد جنسه فيقلدهم في ذلك من غير أن يخطر بباله أنه صنع الله تعالى وقد رأيت ملاحاً ذمياً يحث خدام السفينة على بعض الأعمال ويقول لهم اجتهدوا وكونوا من أهل الغيرة فإن الغيرة من الإيمان وهو لا يعرف ما الغيرة وما الإيمان وكذا الخدام والألم يذكرهما فهو قول مجرد جار على طريق العرف فعلى المؤمن ترك التقليد والوصول إلى مقام التحقيق ومن الله التوفيق، قال المولى الجامي:

خواهى بصوب كعبة تحقيق ره برى پی برپی مقلد کم کرده ره مرو
وقال:

مقلدان چه شناسند داغ هجرانرا خبر ز شعله آتش ندارد افسرده
ففيه فرق بين المقلد والمحقق فمن رام التحقيق طلبه ولا يتشبث في هذا البحر بغريقه كما لا يخفى.

﴿قالوا أجئنا بالحق﴾ أي: بالجد وبالفارسية [آيا آوری بما این سخن براستی وجه] ﴿أم أنت من اللاعبين﴾ بنا فتقول ما تقول على وجه المزاح واللعب حسبوا أنهم إنما أنكروا عليهم دينهم القديم مع كثرتهم وشوكتهم على وجه المزاح واللعب. وفيه إشارة لطيفة وهي كما أن

أهل الصدق والطلب يرون أهل الدنيا لاعبين والدنيا لعباً ولهواً كقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١] كذلك أهل الدنيا يرون أهل الدين لاعبين والدين لعباً ولهواً ﴿قَالَ بَلْ﴾ [نيسم بازى كنده] ﴿رَبِّكُمْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ أي: خلقن ابتداء من غير مثال سابق فهو الخالق كما أنه المربي فالضمير للسماوات والأرض أو للتمثيل أي: فكيف تعبدون ما كان من جملة المخلوقات ﴿وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ الذي ذكرته من كون ربكم رب السماوات والأرض فقط دون ما عداه كائناً ما كان ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ أي: العالمين به على الحقيقة المبرهنين وليس المراد حقيقة الشهادة لأنه لا شهادة من المدعي بل استعيرت الشهادة لتحقيق الدعوى بالحجة والبرهان أي: لست من اللاعبين في الدعاوى بل من المحتجين عليها بالبراهين القاطعة بمنزلة الشاهد الذي تقطع به الدعاوى. قال الكاشفي: [آورده اندكه نمروديان روزی عیدداشتند که در آن روز بصحرا رفتندی و تا آخر روز تماشا کردند و در باز کشتن به بتخانه در آمده بتانرا بیاراسته بزبانها بنو اختندی آنکه سر بر زمین نهاده رسم پرستش بجای آوردندی و بخانها بازگشتندی چون ابراهیم علیه السلام باجمعی در باب تمایل مناظره فرمود گفتند فردا عیدست بیرون آی تابینی که دین و آیین ماچه زیباست ابراهیم نعم جواب ایشان بگفت روز دیگر که می رفتند میخواستند که اورا ببرند ببهانه بیماری پیش آورد] ﴿قَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٩] يعني: عن عبادة الأصنام كما في «القصص» [ایشان دست از وبازداشته برفتند ابراهیم پنهان از ایشان بفرموده که].

﴿وَتَاللَّهِ﴾ [بخدا سوگند که من] ﴿لَأُكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [هر آینه تدبیری کنم وجهه نمایم تابشکنم بتان شمارا] كما قال في «الإرشاد» لأجتهدن في كسرها. وفيه ايدان بصعوبة الأمر وتوقفه على استعمال الحيل. وقال ابن الشيخ أخذاً من تفسير الإمام فإن قيل لم قال: ﴿لَأُكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ والكيد هو الاحتيال على الغير في ضرر لا يشعر به والأصنام جمادات لا تتضرر بالكسر ونحوه وأيضاً ليست هي مما يحتال في إيقاع الكسر عليها لأن الاحتيال إنما يكون في حق من له شعور أجيب بأن ذلك من قبيل التوسع في الكلام فإن القوم كانوا يزعمون أن الأصنام لهن شعور ويجوز عليهن الضرر فقال ذلك بناء على زعمهم. وقيل المراد لأكيدنكم في أصنامكم لأنه بذلك الفعل قد أنزل بهم الغم. والأصنام جمع صنم وهي جثة متخذة من فضة أو نحاس أو خشب كانوا يعبدونها مقربين بها إلى الله تعالى كما في المفردات ﴿بعد أن تولوا﴾ ترجعوا مضارع ولى مشدداً ﴿مدبرين﴾ ذاهبين من عبادتها إلى عيدكم وهو حال مؤكدة لأن التولية والادبار بمعنى والادبار نقیض الإقبال وهو الذهاب إلى خلف. قال الكاشفي: ﴿بعد أن تولوا﴾ [بعد از آنکه روی بگردانید از ایشان یعنی بروید بعید کاه وباشید مدبرین پشت برایشان کنندگان وقتی که بتانرا بکذا رید وبتماشا کاه خودروید].

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كِبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٨ ﴿قَالُوا مِنْ فَعَلْ هَذَا بِنَالِهِنَّ إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١ ﴿

﴿فجعلهم﴾ الفاء فصيحة أي: فولوا فجعلهم ﴿جذاذاً﴾ قطاعاً فعال بمعنى المفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر. قال في «القاموس» الجذ القطع

المستأصل والكسر والاسم الجذاذ مثلثة انتهى ﴿إلا كبيراً لهم﴾ استثناء من مفعول قوله فجعلهم ولهم صفة لكبيراً والضمير للأصنام أي: لم يكسر «الكبير» وتركه على حاله وعلق الفأس في عنقه وكبره في التعظيم أو في الجثة أو فيهما ﴿لعلهم إليه﴾ إلى «الكبير» وتقديم الظرف للاختصاص أو لمجرد الاهتمام مع رعاية الفاصلة ﴿يرجعون﴾ فيسألون عن كاسرها لأن من شأن المعبود أن يرجع إليه في حل المشكل فيستجلبهم ويبكتهم بذلك كذا في «بحر العلوم» أو إلى إبراهيم يرجعون لاشتهاره بإنكار دينهم وسب آلهتهم وعداوتهم فيحاججهم بقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُمْ كَيْدُهمُ﴾ فيحججهم ويبكتهم كما في «الإرشاد» وغيره.

- روي - أن أزر خرج به في يوم عيد لهم فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوه فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاماً وخبزاً جاؤوا به معهم وقالوا: الآن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام فقال مستهزئاً بهم ما لكم لا تنطقون ما لكم لا تأكلون ثم التفت فإذا بفأس معلق فتناوله فكسر الكل ولم يبق إلا «الكبير» وعلق الفأس في عنقه وأراق تلك الأطعمة ورجع إلى منزله. قال الإمام فإن قيل إن كان القوم عقلاء فقد علموا بالضرورة أنها لا تسمع ولا تضر ولا تنفع فما الحاجة إلى كسرها غاية أنهم كانوا يعظمونها كما نعظم نحن المصحف والمحراب والكسر لا يقدح فيه وإن لم يكونوا عقلاء لم تحسن المناظرة معهم ولا بعث الرسل إليهم والجواب أنهم كانوا عقلاء عالمين أنها لا تضر ولا تنفع لكنهم ربما اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب وطلسمات من عبدها ينتفع بها ومن استخف بها ناله ضرر ثم إن إبراهيم كسرها ولم ينله ضرر فدل على فساد مذهبهم. وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان إذا وكل إلى نفسه وطبعه ينحت من هوى نفسه أصناماً كما كان أبو إبراهيم أزر ينحت الأصنام وإذا أدركته العناية الأزلية وأيد بالتأييدات الإلهية بكسر أصنام الهوى ويجعلها جذاذاً فضلاً عن نحتها كما كان حال إبراهيم كان يكسر من الأصنام ما ينحت أبوه وإذا كان المرء من أهل الخذلان يرى الحق باطلاً والباطل حقاً كما كان قوم نمrod، وقال الخجندي:

بشكن بت غروركه دردين عاشقان يك بت كه بشكنند به ازصد عبادتست

﴿قالوا﴾ حين رجعوا من عيدهم ورأوا ﴿من فعل هذا بالهتنا﴾ [كه کرده است اين عمل باخدايان ما وايشانرا درهم شكسته] والاستفهام للإنكار والتوبيخ ولم يقولوا بهؤلاء مع أنها كانت بين أيديهم مبالغة في التشنيع ﴿إنه لمن الظالمين﴾ بالكسر حيث عرض نفسه للهلاك [يعنى از ظالمانست برنفس خودكه بدین عمل خودرا درورطه هلاك انداخته].

﴿قالوا﴾ أي: بعض منهم مجيبين للسائلين فالآية تدل على أن القائلين جماعة ﴿سمعنا﴾ من الناس ﴿فتى﴾ وهو الطري من الشبان ﴿يذكرهم﴾ بسوء أي: بعبث الأصنام فلعله فعل ذلك بها وأطلق الذكر ولم يقيد لدلالة الحال فإن ذكر من يكره إبراهيم ويبغضه إنما يكون بدم ونظيره قولك سمعت فلاناً يذكرك فإن كان الذاكر صديقاً فهو ثناء وإن كان عدواً فدم ﴿يقال له إبراهيم﴾ أي: يطلق عليه هذا الاسم.

﴿قالوا﴾ أي: السائلون. قال ابن الشيخ: بلغ ذلك النمrod الجبار وأشراف قومه فقالوا فيما بينهم ﴿فأتوا به﴾ [پس بیارید اورا] ﴿على أعين الناس﴾ حال من ضمير به أي: ظاهراً مكشوفاً بمرأى منهم ومنظر بحيث تتمكن صورته في أعينهم تمكن الراكب على المركوب ﴿لعلهم﴾ أي: بعضاً منهم ﴿يشهدون﴾ بفعله أو بقوله ذلك لثلاثاً نأخذه بلا بينة. وفيه إشارة إلى أن بعض الكفار من

لا يحكم على أهل الجنايات إلا بمشهد من العدول فكل حاكم يحكم على متهم بالجناية من غير بينة فهو أسوأ حالاً منهم ومن قوم نمروود كما في «التأويلات النجمية».

﴿قَالُوا أَأَتَتْكَ هَذِهِ بَنَاتُنَا إِنَّا لِلْأَيْمَانِ كَافُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾

﴿قالوا﴾ في الكلام حذف أي: فأتوا به فلما شهدوه قالوا منكرين عليه فعله موبخين له ﴿أأتت فقلت هذا﴾ الكسر ﴿بآلهتنا﴾ يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا ﴿مشيراً إلى الذي لم يكسره وهذا صفة لكبير أسند الفعل إليه باعتبار أنه الحامل عليه لأنه لما رأى الأصنام مصطفة مزينة يعظمها المشركون ورأى على «الكبير» ما يدل على زيادة تعظيمهم له وتخصيصهم إياه بمزيد التواضع والخضوع غاظه وكان غيظ كبيرها أكبر وأشد. وقال بعضهم فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبد معه هذه الصغار وهو أكبر منها، يعني: [كفت من أن نكرده أم بلكه كرده است اين را بزرگ ايشان از روی خشم برايشان كه باوجود من چرا ايشانرا پرستند] ﴿فأسألوهم﴾ عن حالهم ﴿إن كانوا ينطقون﴾ أي: إن كانوا ممن ينطقون حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وفي الحديث: «لم يكذب إبراهيم النبي قط إلا ثلاث كذبات» سميت المعارض كذباً لما شابهت صورتها صورته وإلا فالكذب الصريح كبيرة فالأنبياء معصومون منها. فإن قلت إذا كانت هذه معارض لم جعلها سبباً في تقاعده عن الشفاعة حين يأتي الناس إليه يوم القيامة. قلت: الذي يليق بمرتبة النبوة والخلة أن يصدع بالحق ويصرح بالأمر ولكنه قد تنزل إلى الرخصة فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين والتعريض تورية الكلام عن الشيء بالشيء وهو أن تشير بالكلام إلى شيء والغرض منه شيء آخر فالغرض من قوله بل فعله كبيرهم الإعلام بأن من لم يستطع دفع المضرة عن نفسه كيف يستطيع دفع المضرة عن غيره فكيف يصلح إلهاً؟ قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق والكذب جميعاً فالكذب فيه حرام فإن أمكن التوصل إليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح إن كان تحصيل ذلك المطلوب مباحاً وواجب إن كان المقصود واجباً فهذا ضابطه ثنتين في ذات الله أي: في طلب رضاه والثالثة كانت لدفع الفساد عن سارة وفيها رضى الله أيضاً لكن لما كان له نفع طبيعي فيها خصص الثنتين بذات الله دونها قوله إني سقيم أي: إحدى تلك الكذبتين قوله إني سقيم وذلك أنه لما قال له أبوه: لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم فلما كان ببعض الطريق ألقي نفسه وقال: إني سقيم تأويله إن قلبي سقيم بكفركم أو مراده الاستقبال كما قال الكلبي كان إبراهيم من أهل بيت ينظرون في النجوم وكانوا إذا خرجوا للعيد لم يتركوا إلا مريضاً فلما هم إبراهيم بكسر الأصنام نظر قبل العيد إلى السماء وقال: أراني أشتكي غداً فأصبح معصوباً رأسه فخرج القوم ولم يتخلف غيره وقوله: بل فعله كبيرهم مر شرحه وواحدة في شأن سارة وذلك أنه قدم الأردن وبها ملك جبار يقال له صادق ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فأخبريه أنك أختي أي: في الإسلام فلإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيرك وغيري فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فقال له: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك فأرسل إليها فأتي بها وقام إبراهيم إلى الصلاة والدعاء فلما دخلت عليه أعجبته فمد يداً إليها فأبى الله

تعالى يده فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك فدعت فعاد ثم وثم حتى دعا الذي جاء بها وقال: اخرجها من أرضي وأعطهاها هاجر وكانت جارية في غاية الحسن والجمال وهبتها سارة لإبراهيم فولدت له إسماعيل عليهما السلام.

﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿١٥﴾

﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ أي: راجعوا عقولهم وتذكروا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على الإضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل أن يقدر على دفع مضرة غيره أو جلب منفعة له فكيف يستحق أن يكون معبوداً ﴿فقالوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض فيما بينهم. ﴿إنكم أنتم الظالمون﴾ بعبادتها لا من كسرها.

﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ أي: انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه من قولهم نكس المريض إذا عاد إلى مرضه الأول بعد العافية والنكس قلب الشيء ورد آخره على أوله. وقال الكاشفي: [پس نكونسار کرده شدند برسرهای خود یعنی سردرپیش افکندنداز حجالت وغیرت].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن لكل إنسان عقلاً لو رجع إلى عقله وتفكر في حاله لعلم صلاحه وفساد حاله، وفي «المثنوي»:

كشتیء بی لنگر آمد مردنر که زباد کژ ندارد او حذر
لنگر عقلست عاقل را امان لنگری دریوزه کن از عاقلان

وفيه إشارة أخرى وهي أن العقل وإن كان يعرف الصلاح من الفساد ويميز بين الحق والباطل ما لم يكن له تأييد من نور الله وتوفيق منه لا يقدر على اختيار الصلاح واحتراز الفساد فيبقى مبهوراً كما كان حال قوم نمرود حيث نكسوا على رؤوسهم إذ لم يكونوا موفقين فما نفعهم ما عرفوا من الحق، وفي «المثنوي»:

جز عنایت که کشاید چشم را جزمحبت که نشاند خشم را
جهدبی توفیق خود کس رامباد درجهان والله أعلم بالرشاد

﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ على إرادة القول أي: قائلين لقد علمت يا إبراهيم أن ليس من شأنهم النطق فكيف تأمرنا بسؤالهم فأقروا بهذا للحيرة التي لحقتهم.

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿١٦﴾ أَفَلَا لَكُمْ أَعْيُنٌ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا خَرِّفُوهُ وَاضْرُؤْهُ إِلَهَتَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ فَعْلِيلِينَ ﴿١٨﴾

﴿قال﴾ مبكراً لهم ﴿أتعبدون﴾ أي: أنعلمون ذلك فتعبدون ﴿من دون الله﴾ أي: حال كونكم متجاوزين عبادته تعالى ﴿ما لا ينفعكم شيئاً﴾ من النفع إن عبدتموهم ﴿ولا يضركم﴾ إن لم تعبدوهم فإن العلم بالحالة المنافية للألوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعاً.

﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ تضجر منه من إصرارهم على الباطل البين وأف صوت التضجر إذا صوت بها الإنسان علم أنه متضجر ومعناه قبحاً ونتاجاً، وبالفارسية: [زشتی وناخوشی شمارا ومران چیزرا که می پرستید بجز خدای تعالی] واللام لبيان المتأفف له أي: لكم ولآلهتكم هذا التأفف لا لغيركم وفي كتب النحو من أسماء الأفعال أف بمعنى أنضجر

﴿أفلا تعقلون﴾ أي: أجنتم فلا تعقلون قبح صنيعكم. قال ابن عطاء دعا الله تعالى عباده إليه وقطعهم عما دونه بقوله: ﴿أفتعبدون﴾ الخ كيف تعتمدوه وهو عاجز مثلك ولا تعتمد من إليه المرجع وييده الضر والنفع. قال حمدون القصار: استغاثه الخلق بالخلق كاستغاثه المسجون بالمسجون. وقال بعض الكبار طلبك من غيره لوجود بعدك عنه إذ لو كنت حاضراً بقلبك معه ما صح منك توجه لغيره وكل ما دون الله خوض ولعب فالتعلق به زور وكذب فدع الكل جانباً وتعلق بمولائك حتماً تجده في كل مهم وغيره مغنياً وعند كل شيء حقاً يقيناً جعلنا الله ممن تعلق به بلا علة وعافانا من الذلة والزلة والقلة.

- حكى - أن امرأة حبيب العجمي ألحت عليه أن يعمل بالأجرة طلباً للسعة في الرزق فخرج من بيته وعبد الله إلى الليل فعاد إلى بيته وليس معه شيء فلما سألتها امرأته قال: عملت لعظيم كريم واستحييت أن اطلب الأجرة فلما مضى عليه ثلاثة أيام قالت: أطلب الأجرة أو اعمل لغيره أو طلقني فخرج إلى الليل فلما عاد إلى منزله وجد رائحة الطعام وامرأته مستبشرة فقالت: إن الذي عملت له أرسل إلينا أشياء عظيمة وكيساً مملوؤاً ذهباً فبكى حبيب وقال: إنه من عند الله الكريم فلما سمعت المرأة تابت وحلفت أن لا تعود إلى مثله أبداً. ففي هذه الحكاية فوائد: منها أن العمل بالأجرة وإن كان أمراً مشروعاً لكن الحبيب اختار طاعة الحبيب وعد ذلك العمل من قبيل الاستناد إلى الغير مع أنه تعالى قال: «من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته فوق ما أعطي السائلين».

ومنها: أن الصبر مؤد إلى الفتح ولو كان بعد حين فلا بد من الصبر وترك الجزع، ومنها أن تلك المرأة عرفت الحال فتأبّت إلى الله المتعال واختارت القوت والقناعة ولازمت العبادة والطاعة فإن من أعرض عن الحق بعد ظهور البرهان فقد خان نفسه وأهان ألا ترى أن قوم إبراهيم بعدما استبان لهم الحق رجعوا إلى الكفر والإصرار وعبادة الأصنام من الخشب والأحجار فأهلكهم الله تعالى بالبعوض الصغار، وفي «المنوي»:

هست دنيا قهر خانه كردكار قهر بين چون قهر كردی اختیار

استخوان وموی مقهوران نکر تیغ قهر افکنده اندر بحر وبر

﴿قالوا حرقوه﴾ أي: قال بعضهم لبعض لما عجزوا عن المحاجة وهكذا ديدن المبطل المحجوج إذا قرعت شبهته بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفرع إلا المناصبة واتفقت كلمتهم على إحراقه لأنه أشد العقوبات. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الذي أشار بإحراقه رجل من أعراب العجم يعني من الأكراد ولعمري إنهم لفي فسادهم وجفائهم وغلوهم في تعذيب الناس بعد يقدمون ولا ينفكون عن ذلك ما ترى للإسلام الذي هو دين إبراهيم الخليل عليهم أثراً في خلق ولا عمل خلقهم نهب أموال المسلمين وعلمهم ظلم وسرقة وقتل وقطع الطريق والله ما هؤلاء بأهل الملة الغراء لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء إياك والمصاحبة بأصلحهم والمرور ببلاهم ﴿وانصروا آلهم﴾ بالانتقام لها ﴿إن كنتم فاعلين﴾ أمراً في إهلاكه يعني أن الإحراق هو المعتد به في هذا الباب. وقصته أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراقه عليه السلام حبسوه في بيت بنوا له حائطاً كالخطيرة ارتفاعه ستون ذراعاً وذلك في جنب جبل كوئي وهي بالضم قرية بالعراق ثم جمعوا له الحطب الكثير حتى أن الرجل المريض كان يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيها وكانت المرأة لو مرضت قالت: إن عافاني الله لأجمعن حطباً

لإبراهيم وكانت تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لتحتطبن في نار إبراهيم وتغزل وتشتري الحطب بغزلها فتلقيه في ذلك البنيان احتساباً في دينها. وكانت امرأة عجوز نذرت أن تحمل الحطب إلى نار إبراهيم فحملت حزمة حطب وذهبت بها إلى موضع النار فاعترضها ملك في الطريق وقال: أين تذهبين يا عجوز فقالت: أريد نار إبراهيم فقال: طول الله طريقك وقصر خطاك فأقامت تسير والحطب فوق رأسها وهي جيعانة عطشانة حتى ماتت لعنها الله تعالى قيل: جمعوا له أصناف الحطب من أنواع الخشب على ظهر الدواب أربعين يوماً. قال الكاشفي: [وروغن فراوان برهيمه ريختند] يقال: إن جميع الدواب امتنعت من حمل الحطب إلا البغال فعاقبها الله أن أعقمها كما في «القصص». وذكر في فضائل القدس عن سعيد بن عبد العزيز أنه قال في زمن بني إسرائيل في بيت المقدس عند عين سلوان وعين سلوان في القدس الشريف كزمزم في مكة وكانت المرأة إذا قذفت أتوا بها فسقوها من ماء هذه العين فإن كانت بريئة لم يضرها وإن كانت سقيمة ماتت فلما حملت مريم أم عيسى عليه السلام أتوا بها وحملوها على بغلة فعثرت بها فدعت الله تعالى أن يعقم رحمها فعممت من ذلك اليوم فلما ألتها شربت منها فلم تزد إلا خيراً فدعت الله تعالى أن لا يفضح امرأة مؤمنة فغارت انتهى. ثم أوقدوا الحطب سبعة أيام فلما اشتعلت النار صار الهواء بحيث لو مر الطير في أقصى الجو لاحترق من شدة وهجها أي: شدة حرها.

- روي - أنهم لم يعلموا كيف يلقونه فيها لعدم تأتي القرب منها فجاء إبليس في صورة شيخ وعلمهم عمل المنجنيق. قال في «إنسان العيون» أول من وضع المنجنيق إبليس فإنه لما جعلوا في الحطب النار ووصلت النار إلى رأس الجدار المرتفع المبني جنب الجبل لم يدروا كيف يلقون إبراهيم فتمثل لهم إبليس في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على رأس الجبل ووضعوه فيه وألقوه في تلك النار وأول من رمى به في الجاهلية جذيمة الأبرش وهو أول من أوقد الشمع انتهى. وقيل: صنعه لهم رجل من الأكراد وكان أول من صنع المنجنيق فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة ثم عمدوا إلى إبراهيم فوضعوه في كفة المنجنيق مقيداً مغلولاً فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة إلا الثقلين صيحة واحدة أي: ربنا ما في أرضك أحد يعبدك غير إبراهيم وإنه يحرق فيك فائذن لنا في نصرته فقال تعالى: إن استغاث بأحد منكم لينصره فقد أذنت له في ذلك فإن لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فإنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن الرياح فقال: إن شئت طيرت النار في الهواء وأتاه خازن المياه فقال: إن أردت أخمدت النار فقال إبراهيم لا حاجة لي إليكم ثم رفع رأسه إلى السماء فقال: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض من يعبدك غيري حسبي الله ونعم الوكيل وأقبلت الملائكة فلزموا كفة المنجنيق فرفعه أعوان النمرود فلم يرتفع فقال لهم إبليس: أتحبون أن يرتفع؟ قالوا: نعم قال: اثنوني بعشر نسوة فأتوه بهن فامرهن بكشف رؤوسهن ونشر شعورهن ففعلوا ذلك فمدت الأعوان المنجنيق وذهبت الملائكة فارفع إبراهيم في الهواء كما في «القصص» وذلك أن الملك لا يرى الرأس المكشوف من المرأة بخلاف الجني ولذا لما رأى نبينا عليه السلام الملك في بدء الوحي فزع منه فأجلسه خديجة رضي الله عنها في حجرها وألقت خماراً وهو ما يعطي به الرأس ثم قالت: هل تراه قال: لا قالت: يا

ابن عم اثبت وأبشر فوالله إنه لملك ما هذا بشيطان وحين ألقى في النار قال: لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك.

قال في «التأويلات النجمية» إذا أراد الله تعالى أن يكمل عبداً من عباده المخلصين يفديه بخلق عظيم كما أنه تعالى إذا أراد استكمال حوت في البحر يفديه بكثير من الحيتان الصغار فلما أراد تخلص ابريز الخلّة من غش البشرية جعل النمرود وقومه فداء لإبراهيم حتى أجمعوا على تحريقه بعد أن علموا أنهم ظالمون فوضعوه في المنجنيق ورموه إلى النار فانقطع رجاءه عن الخلق بالكلية متوجهاً إلى الله تعالى مستسلماً نفسه إليه حتى أن جبريل عليه السلام أدركه في الهواء فامتحنه بقوله هل لك من حاجة؟ وما كان فيه من الوجود ما تتعلق به الحاجة فقال: أما إليك فلا قال له جبريل: سل ربك امتحاناً له فأخفى سره عن جبريل غيره على حاله فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أظهر عليه حاله فأدرسته العناية الأزلية بقوله:

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ٧١ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ٧٢﴾

﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ البرد خلاف الحر والسلام التعري من الآفات أي: كوني ذات برد من حرك وسلامة من بردك فزال ما فيها من الحرارة والإحراق وبقي ما فيها من الإضاءة والإشراق واختاره المحققون لدلالة الظاهر عليه وهذا كما ترى من أبدع المعجزات فإن انقلاب النار هواء طيباً وإن لم يكن بدعاً من قدرة الله لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات وقيل: كانت النار بحالها إلا أنه تعالى خلق في جسم إبراهيم كيفية مانعة من وصول أذى النار إليه كخزنة جهنم في الآخرة وكما أنه ركب بنية النعمة بحيث لا يضرها ابتلاع الحديد المحماة وبدن السمندل بحيث لا يضره المكث في النار كما يشعر به ظاهر قوله على إبراهيم قيل فبردت نار الدنيا يومئذ ولم ينتفع بها أحد من أهلها ولو لم يقل على إبراهيم لبقيت ذات برد أبداً على كافة الخلق بل على جميع الأنبياء ولو لم يقل سلاماً بعد قوله برداً لمات إبراهيم من بردها. قال في «الكبير» أما كونها سلاماً عليه فلأن البرد المفرط مهلك كالحر بل لا بد من الاعتدال وهو إما بأن يقدر الله بردها بمقدار لا يؤثر أو بأن يصير بعض النار برداً ويبقى بعضها على حرارته أو بأن يزيد في حرارة جسمه حتى لا يتأثر ببردها. قيل: جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغة فإنها كانت تنفخ النار ولذا أمر النبي عليه السلام بقتلها. قيل: لما ألقى في النار كان فيها أربعين يوماً أو خمسين وقال: ما كنت أطيب عيشاً زماناً من الأيام التي كنت فيها في النار كما قال بعض العارفين في جبل لبنان وكان يأكل أصول النبات وأوراق الشجر ظننت أن حالي أطيب من حال أهل الجنة، قال الحافظ:

عاشقاً نرا كردر آتش مینشا ندمهر دوست تنك چشمم كر نظر در چشمه كوثر كونم

قيل لما رموه في النار: أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم وأقعده في الأرض فإذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس. قال الكاشفي: [چون ابراهيم بميدان آتش فرود آمد في الحال غل وبند او بسوخت] فبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فجاء فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطفنسة فألبسه القميص وأجلسه على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال: يا إبراهيم إن ربك يقول: أما علمت أن النار لا تضر أحبابي ثم نظر النمرود

من صرح له وأشرف على إبراهيم فرآه جالساً في روضة مؤنقة ومعه جليس على أحسن ما يكون من الهيئة والنار محيطة به فناداه: يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها؟ قال: نعم قال: قم فاخرج، فقام يمشي حتى خرج فاستقبله النمرود وعظمه وقال: من الرجل الذي رأيته معك في صورتك؟ قال: ذلك ملك الظل أرسله ربي ليؤنسني فيها فقال له النمرود: إني مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيته من قدرته وعزته فيما صنع بك وإني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال إبراهيم لا يقبل الله منك ما كنت على دينك هذا قال النمرود: لا أستطيع ترك ملكي وملتي لكن سوف أذبحها له ثم ذبحها وكف عن إبراهيم. وفي «القصص» قال له النمرود: أي: بعد الخروج: ما أعجب سحرك يا إبراهيم قال: ليس هذا سحر ولكن الله جعل النار عليّ برداً وسلاماً والبسني ثوب العز والبهاء فقال له النمرود: فمن ذلك الرجل الذي كان جالساً عن يمينك والرجال الذين كانوا حولك فقال له إبراهيم: فمن ملائكة ربي بعثهم إلي يؤنسوني وبشرونني بأن الله قد اتخذني خليلاً فتحرير النمرود ولم يدر ما يصنع بإبراهيم فحدثه نفسه بالجنون وقال: لأصعدن إلى السماء وأقتل إلهك فأمر أن يصنع له تابوت وثيق كما سبق في أواخر سورة إبراهيم.

- وروي - أنهم لما رأوه سالماً لم يحترق منه سوى وثاقه قال هاران أبو لوط عليه السلام: إن النار لا تحرقه لأنه سحر النار لكن اجعلوه على شيء وأوقدوا تحته فإن الدخان يقتله ففعلوا فطارت شرارة إلى لحية أبي لوط فأحرقتها.

- روي - أن إبراهيم ألقى في النار وهو ابن ست عشرة سنة. فإن قلت: هل وجد القول من الله تعالى حيث قال: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ أو هو تمثيل؟ قلت: جعل الله النار باردة من غير أن يكون هناك قول وخطاب لقوله تعالى: ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].
 وذهب بعضهم إلى أن ذلك القول قد وجد والقائل هو الله أو جبريل قال بأوامر الله. قال ابن عطاء سلام إبراهيم من النار بسلامة صدره لما حكى الله عنه ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٤] أي: خالٍ من جميع الأسباب والعوارض وبردت عليه النار لصحة توكله ويقينه مع أن نار العشق غالبة على كل شيء، وفي «المثنوي»:

عشق آن شعله است کو چون بر فروخت	هرچه جز معشوق باقی جمله سوخت
در پناه لطف حق باید کریخت	کو هزاران لطف بر ارواح ریخت
تا پناهی یابی آنکه چون پناه	آب و آتش مر ترا کردد سپاه
نوح و موسی را نه دریا یار شد	نی بر اعدا شان بکین قهار شد
آتش ابراهیم را نی قلعه بود	تا برآورد از دل نمرود دود
کوه یحیی را نه سوی خویش خواند	قاصدانش را بزخم سنک راند
گفت ای یحیی بیا در من کریز	تا پناهت باشم از شمشیرتیز

فإن قلت لم ابتلاه الله بالنار في نفسه؟ قلت: كل رسول أتى بمعجزة تناسب أهل زمانه فكان أهل ذلك الزمان يعبدون النار والشمس والنجوم معتقدين أنها من حيث أرواحها تربى الهياكل والأجسام بخاصية طبائع هن عليها فأراهم الله تعالى الحق أن العنصر الأعظم عندهم هو حقيقة الشمس وروح كرة الأنير والنجوم ولا تضر تلك الآلهة إلا بإذن الله بسريان القدرة القاهرة في حقائق العناصر. وقيل: ابتلاه الله بالنار لأن كل إنسان يخاف بالطبع من صفة القهر كما قيل لموسى: ﴿وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه: ٢١] فأراه تعالى أن النار لا تضر

شيئاً إلا بإذن الله تعالى وإن ظهرت بصفة القهر ولذلك أظهر الجمع بين التضاد بجعلها برداً وسلاماً ومعجزة قاهرة لأعدائه المعتقدين بوصف الربوبية للعنصر الأعظم فكان ابتلاؤه بالنار معجزة ساطعة لعبدة النيران والنجوم كذا في «أسئلة الحكم» «وأرادوا به كيداً» مكرراً عظيماً في الاضرار به «فجعلناهم الأخسرين» أي: أخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في إطفاء نور الحق برهاناً قاطعاً على أنه على الحق وهم على الباطل وموجباً لارتفاع درجته واستحقاقهم لأشد العذاب، وفي «المنثوي»:

هرکه بر شمع خدا آرد پفو شمع کی میرد بسوزد پوز او
چون توخفاشان بسی بینند خواب کین جهان مانند یتیم از آفتاب
ای بریده آن لب وحلق ودهان که کند تف سوی مه با آسمان
تف برویش باز گردد بی شکی تف سوی کردون نیابد مسلکی
تا قیامت تف برو بارد زرب همچو تبت برروان بو لهب

وقيل: «فجعلناهم الأخسرين» أي: من الهالكين بتسليط البعوض عليهم وقتله إياهم وهو أضعف خلق الله تعالى وما برح النمرود حتى رأى أصحابه قد أكلت البعوض لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في منخره فلم تزل تأكل إلى أن وصلت إلى دماغه وكان أكرم الناس عليه الذي يضرب رأسه بمرزبة من حديد فأقام بهذا نحواً من أربعمئة سنة وقد سبق في سورة النحل «ونجيناه» أي: إبراهيم من الإحراق ومن شر النمرود.

«ولوطاً» هو ابن أخي إبراهيم اسمه هاران مهاجراً «إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» أي: من العراق إلى الشام. قيل: كانت واقعة إبراهيم مع النمرود بكوثر في حدود بابل من أرض العراق فنجاه الله من تلك البقعة إلى الأرض المباركة الشامية. وعن سفيان أنه خرج إلى الشام فقيل له: إلى أين؟ فقال: إلى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقد كان الله تعالى بارك في الأرض المقدسة يبعث أكثر الأنبياء فيها ونشر شرائعهم هي البركات الحقيقية الموصلة للعالمين إلى الكمالات والسعادة الدينية والدنيوية وبكثرة الماء والشجر والثمر والخطب وطيب عيش الغني والفقير. وقال أبي بن كعب: سماها مباركة لأن ما من ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقد كان لوط النبي آمن بإبراهيم بن تارخ وهو لوط بن هاران بن تارخ بن تاخور وأزر لقب تارخ وكان هاران وإبراهيم أخوين وآمنت به أيضاً سارة بنت عم إبراهيم وسارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم فخرج من كوثر مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة يلتمس الفرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم ارتحل منها! ونزل بفلسطين ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر وعاد إلى أرض الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وبعثه الله نبياً إلى أهلها.

- روي - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض ألزمهم إلى مهاجر إبراهيم» أراد عليه السلام بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام والمقصود ترغيب الناس في المقام بها وفي الحديث «بيت المقدس أرض الحشر والنشر والشام صفوة الله من بلاده يجيء إليها صفوته من خلقه» وفي المرفوع «عليكم بالشام».

سعد يا حب وطن كرچه حديث است صحيح

نتوان مرد بسختی که من اینجا زادم

وفي «المثنوي»:

مسكن يارست وشهر شاه من پيش عاشق اين بود حب الوطن
 ﴿ووهبنا له﴾ أي: لإبراهيم بعد نزوله في الأرض المباركة وطلب الولد منها ﴿إسحاق﴾
 ولداً لصلبه من سارة معناه بالعبرانية الضحاك كما أن معنى إسماعيل بها مطيع لله ﴿ويعقوب﴾
 أي: ووهبنا له يعقوب أيضاً حال كونه ﴿نافلة﴾ أي: ولد ولد فهو حال من المعطوف عليه فقط
 لعدم اللبس وسمي يعقوب لأنه خرج عقيب أخيه عيص أو متمسكاً بعقبه. قال في «القاموس»:
 النافلة الغنيمة والعطية وما تفعله مما لم يجب كالنفل وولد الولد ﴿وكلّا﴾ أي: كل واحد من
 هؤلاء الأربعة بعضهم دون بعض ﴿جعلنا صالحين﴾ بأن وفقناهم للصالح في الدين والدنيا
 فصاروا كاملين.

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
 وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ (٧٣)

﴿وجعلناهم أئمة﴾ يقتدى بهم في أمور الدين ﴿يهدون﴾ أي: الأمة إلى الحق ﴿بأمرنا﴾
 لهم بذلك وإرسالنا إياهم حتى صاروا مكملين ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ ليحثوهم عليه
 فيتم كمالهم بانضمام العمل إلى العلم.

يقول الفقير: جعلوا المصدر من المبني للمفعول بمعنى أن يفعل الخيرات بناء على أن
 التكليف يشترك فيها الأنبياء والأمم ولكن قوله تعالى في أواخر هذه السورة ﴿إنهم كانوا
 يسارعون في الخيرات﴾ وقوله تعالى في سورة مريم حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوْصِنِي
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١] ينادي على أنه من المبني للفاعل ولا يضر ذلك في
 الاشتراك إذ الأنبياء أصل في الذي أوحى إليهم من الأوامر ﴿وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾ عطف
 الخاص على العام دلالة على فضله وحذفت تاء الإقامة المعوضة من إحدى الألفين لقيام
 المضاف إليه مقامه ﴿وكانوا لنا﴾ خاصة دون غيرنا ﴿عابدين﴾ لا يخطر ببالهم غير عبادتنا
 والعبادة غاية التذلل.

قال في «التأويلات النجمية» قوله: ﴿ووهبنا﴾ يشير إلى أن الأولاد من مواهب الحق لا
 من مكاسب العبد وقوله: ﴿وكلّا جعلنا صالحين﴾ يشير إلى أن الصلاحية من المواهب أيضاً
 وحقيقة الصلاحية حسن الاستعداد الفطري لقبول الفيض الإلهي وقوله: ﴿وجعلناهم أئمة
 يهدون بأمرنا﴾ يشير إلى أن الإمامة أيضاً من المواهب وأنه ينبغي أن الإمام يكون هادياً بأمر الله
 لا بالطبع والهوى وإن كان له أصل البداية وقوله: ﴿وأوحينا﴾ الخ يشير إلى أن هذه المعاملات
 لا تصدر من الإنسان إلا بالوحي للأنبياء وبالإلهام للأولياء وأن طبيعة النفس الإنسانية أن تكون
 أمارة بالسوء انتهى.

واعلم أن آخر الآيات نبه على أهل الإخلاص بالعبارة وعلى غيره بالإشارة فالأول هو
 العبد المطلق والثاني هو عبد هواه ودنياه وفي الحديث «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار»
 خصصهما بالذكر لأنهما معظم ما يعبد من دون الله تعالى. وعن يحيى بن معاذ أنه قال: الناس
 ثلاثة أصناف: رجل شغله معاده عن معاشه، ورجل شغله معاشه عن معاده، ورجل مشغول بهما
 جميعاً فالأول درجة العابدين والثاني درجة الهالكين والثالث درجة المخاطرين، وفي «المثنوي»:

آدمی راهست درکار دست لیک ازو مقصود این خدمت بدست
 تاجلا باشد مرین آیینه را که صفا آید ز طاعت سینه را
 جهد کن تانور تورخشان شود تاسلوك وخدمتت آسان شود
 بند بکسل باش آزاد ای پسر چند باشی بند سیم وبنند زر
 هرکه از دیدار بر خوردار شد این جهان درچشم او مردار شد
 باز اگر باشد سپید وبی نظیر چونکه صیدش موش باشد شد حقیر
 ﴿وَلَوْطًا ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبِثِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ
 سَوْءٍ فَسَقِينَ﴾ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ولوطاً﴾ منصوب بمضمر یفسره قوله: ﴿آئیناه﴾ آی: و آئینا لوطاً آئیناه ﴿حکماً﴾

قال في «التأويلات النجمية» حكمة حقيقة، وفي «بحر العلوم» هو ما يجب فعله، وفي «الجلالين» فصلاً بين الخصوم بالحق. يقول الفقير: الحكم وإن كان أعم من الحكمة لكنه في حق الأنبياء بمعناها غالباً كما يدل عليه قوله تعالى في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيحًا﴾ [مریم: ۱۲] وهو الفهم عن الله تعالى وقوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿وَأَتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ [البقرة: ۲۵۱] فرق بين الملك والحكمة والعلم فيكون معنى قوله: ﴿وعلماً﴾ أي: علماً نافعاً يتعلق بأمور الدين وقواعد الشرع والملة ﴿ونجينا من القرية﴾ قرية سدوم أعظم القرى المؤتفكة أي: المنقلبة المجمعول عليها سافلها وهي سبع كما سبق ﴿التي كانت تعمل الخبائث﴾ جمع خبيثة والخبيثة ما يكره رداءة وخساسة يتناول الباطل في الاعتقاد والكذب في المقال والقبیح في الفعال وأعوذ بك من الخبث والخبائث أي: من ذكور الشياطين وإنائها والمراد ههنا اللواط وصفة القرية بصفة أهلها وأسندت إليها على حذف المضاف وإقامتها مقامه كما يوزن به قوله: ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهي بد]. قال الراغب: السوء كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وفقد حميم ويعبر به عن كل ما يقبح وهو مقابل الحسن ﴿فاسقين﴾ أي: منهمكين في الكفر والمعاصي متوغلين في ذلك، وبالفارسية [بيرون رفتگان] ازدائره فرمان]. وفي الآية إشارة إلى أن النجاة من الجليس السوء من المواهب والاقتران معه من الخذلان.

زينهار ازقرين بد زنهار وقنا ربنا عذاب النار
 وفي «المثنوي»:

هر حویجی باشدش کردی ذکر درمیان باغ ازسیر وکبر
 هریکی باجنس خود درکرد خود از برای پختکی نم میخورد
 توکه کرد زعفرانی زعفران باش آمیزش مکن باضمیران
 آب میخور زعفرانا تارسی زعفرانی اندران حلوا رسی
 تومکن درکرد شلغم پوز خویش تانکردد باتواو همطبع وکیش
 توبکردی او بکردی مودعه زانکه ارض الله آمد واسعه
 ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في أهل رحمتنا الخاصة ﴿إنه من الصالحين﴾ الذين سبقت لهم

منا الحسنی .

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الرحمة علي نوعين: خاص وعام، فالعام منها يصل إلى كل بر وفاجر كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ۱۵۶] والخاص لا يكون إلا للخواص وهو الدخول في الرحمة وذلك متعلق بالمشيئة وحسن الاستعداد ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المستعدين لقبول فيض رحمتنا والدخول فيها وهو إشارة إلى مقام الوصول فافهم جداً كقوله تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِي﴾ [الشورى: ۸].

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿۷۱﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿۷۲﴾﴾

﴿ونوحاً إذ نادى﴾ ظرف للمضاف المقدر أي: اذكر نبأه الواقع حين دعائه على قومه بالهلاك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل هؤلاء المذكورين ﴿فاستجبنا له﴾ أي: دعاءه الذي هو قوله: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ [القمر: ۱۰]. قال في «بحر العلوم»: الاستجابة الإجابة لكن الاستجابة تتعدى إلى الدعاء بنفسها وإلى الداعي باللام ويحذف الدعاء إذا عدي إلى الداعي في الغالب فيقال: استجاب الله دعاءه أو استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه وهو الدليل على أن النداء المذكور بمعنى الدعاء لأن الاستجابة تقتضي دعاء ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ من الغم العظيم الذي كانوا فيه من أذية قومه. قال الراغب الكرب الغم الشديد من كرب الأرض قلبها بالحفر فالغم يثير النفس إثارة ذلك.

﴿ونصرناه﴾ نصراً مستتباً للانتقام والانتصار ولذلك عدي بمن حيث قيل: ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أولاً وآخرأ ﴿إنهم كانوا قوم سوء﴾ [كروهي بديع كافر بودند چه كفر سر جمله همه بديهاست] ﴿فأغرقتناهم أجمعين﴾ فإنه لم يجتمع الإصرار على التكذيب والانهماك في الشر والفساد في قوم إلا أهلكهم الله تعالى.

اعلم أن الدعاء إذا كان بإذن الله تعالى وخلوص القلب كما للأنبياء وكمل الأولياء يكون مقروناً بالإجابة.

- روي - أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف ولم يعلم أنه منافق فدخل خربة وناما فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله فقال زيد: يا رحمن أعني فسمع المنافق قائلاً يقول: ويحك لا تقتله فخرج المنافق ولم ير أحداً ثم وثم ففي الثالثة قتله فارس ثم حل وثاقه وقال: أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى: أدرك عبدي. ففي الحكاية أمور: منها لا بد لأهل الطريق من الرفيق لكن يلزم تفتيش حاله ليكون على أمان من المخلوق وقد كثر العدو في صورة الصديق في هذا الزمان، وفي «المثنوي»:

آدمی رادشمن پنهان بسیست آدمی باحذر عاقل کسیست

وقد قيل في كل شيء عبرة والعبرة في الغراب شدة حذره. ومنها أن الدعاء من أسباب النجاة فرعها الله عليه حيث قال: ﴿فنجيناه﴾ بعد قوله: ﴿فاستجبنا له﴾ قال الحافظ:

مرا درین ظلمات آنکه رهنمائی کرد دعاى نيم شبی بود وكره سحرى

وفي «المثنوي»:

آن نیاز مریمی بودست ودرد که چنان طفلی سخن آغازکرد

هرکجا دردی دوا آنجا رود هرکجا پستیست آب آنجا رود

ومنها أن الله تعالى يعين عبده المضطر من حيث لا يحتسب إذ كل شيء جند من جنوده كما حكى أن سفينة مولى رسول الله عليه السلام أخطأ الجيش بأرض الروم فأمر فأنطلق هارباً يلتمس فإذا هو بالأسد فقال: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله وكان من أمري كيت وكيت فأقبل الأسد يبصبص حتى قام إلى جانبه كلما سمع صوتاً أهوى إليه فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش ثم رجع الأسد، قال الشيخ سعدى قدس سره:

يكى ديدم از عرصه رودبار	که پیش آدم برپلنکی سوار
چنان هول ازان حال بر من نشست	که ترسیدندم پای رفتن به بست
تبسم کنان دست برلب گرفت	که سعدی مدار آنچه آید شکفت
توهم کردن از حکم داور مپیچ	که کردن نپیچد ز حکم توهیچ
محالست چون دوست دارد ترا	که دردوست دشمن کذارد ترا

ومنها: أن الملك يتمثل لخواص البشر. قال الغزالي رحمه الله في «المنقذ من الضلال» إن الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم أي: لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال وإقبالهم على الله تعالى بالكلية علماً دائماً وعملاً مستمراً:

شد فرشته دیدن از شان فرشته خصلتی

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُنَّا لَهُنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٦﴾

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث﴾ أي: اذكر خبرهما وقت حكمهما في وقت الحرث وهو بالفارسية [كشت] ﴿إذ نفشت﴾ تفرقت وانتشرت ظرف للحكم ﴿فيه غنم القوم﴾ ليلاً بلا راع فرعته وأفسدته فإن النفس أن ينتشر الغنم ليلاً بلا راع والغنم محركة الشاة لا واحد لها من لفظها الواحدة شاة وهو اسم مؤنث للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً كما في «القاموس» ﴿وكنا لحكمهم﴾ أي: لحكم الحاكمين والمتحاكمين إليهما. فإن قيل: كيف يجوز أن يجعل الضمير لمجموع الحاكمين والمتحاكمين وهو يستلزم إضافة المصدر إلى فاعله ومفعوله دفعة واحدة وهو إنما يضاف إلى أحدهما فقط لأن إضافته إلى الفاعل على سبيل القيام به وإضافته إلى المفعول على سبيل الوقوع عليه فهما معمولان مختلفان فلا يكون اللفظ الواحد مستعملاً فيهما معاً وأيضاً أنه يستلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن إضافته إلى الفاعل حقيقة وإلى المفعول مجاز فالجواب أن هذه الإضافة لمجرد الاختصاص مع كون القطع عن كون المضاف إليه فاعلاً أو مفعولاً على طريق عموم المجاز كأنه قيل وكنا للحكم المتعلق بهم ﴿شاهدين﴾ حاضرين علماً وهو مقيد لمزيد الاعتناء بشأن الحكم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنا كنا حاضرين في حكمهما معهما وإنما حكما بإرشادنا لهما ولم يخطيء أحد منهما في حكمه إلا أنا أردنا تشييد بناء الاجتهاد بحكمهما عزة وكرامة للمجتهدين ليقنوا بهما مستظهرين بمساعيهم المشكورة في الاجتهاد.

﴿ففهمناها﴾ أي: الحكومة ﴿سليمان﴾ وهو ابن إحدى عشرة سنة. وقال الكاشفي:

[درس سیزده سالکی].

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى رفعة درجة بعض المجتهدين على بعض وأن الاعتبار في الكبر والفضيلة بالعلم وفهم الأحكام والمعاني والأسرار لا بالسن فإنه فهم بالأحق والأصوب وهو ابن صغير وداود نبي مرسل كبير. وحكماً [كفته اند تو انكرى بهنرست نه بمال وبزركى بعقلست نه بسال]. وفي «القصص» إن بني إسرائيل حسدوا سليمان على ما أوتي من العلم في صغر سنه فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود إن الحكمة تسعون جزءاً سبعون منها في سليمان وعشرون في بقية الناس ﴿وكلاً﴾ [هريك را زبدر وپسر] «آتيناً حكماً وعلماً» كثيراً لا سليمان وحده فحكم كليهما حكم شرعي.

قال في «التأويلات النجمية» أي: حكمة وعلماً ليحكم كل واحد منهما موافقاً للعلم والحكمة بتأييدنا وإن كان مخالفاً في الحكم بحكمتنا ليتحقق صحة أمر الاجتهاد وأن كل مجتهد مصيب كما قال في «الإرشاد» وهذا يدل على أن خطأ المجتهد لا يقدح في كونه مجتهداً.

- روي - أنه دخل على داود عليه السلام رجلاً فقال أحدهما إن غنم هذا دخلت في حرثي ليلاً فأفسدته فقضى له بالغنم إذ لم يكن بين قيمة الحرث وقيمة الغنم تفاوت فخرجاً فمرا على سليمان عليه السلام فأخبراه بذلك فقال غير هذا أرفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين؟ فقال: أرى أن تدفع الغنم إلى صاحب الأرض لينتفع بدها ونسلها وصوفها والحرث إلى أرباب الغنم ليقوموا عليه أي: بالحرث والزرع حتى يعود إلى ما كان ويبلغ الحصاد ثم يتراداً فقال القضاء: ما قضيت وأمضى الحكم بذلك. قال في «الإرشاد» الذي عندي أن حكمهما كان بالاجتهاد فإن قول سليمان غير هذا أرفق بالفريقين ثم قوله أرى أن تدفع الخ صريح في أنه ليس بطريق الوحي وإلا لبت القول بذلك ولما ناشده داود لإظهار ما عنده بل وجب عليه أن يظهره ابتداء وحرّم عليه كتمه ومن ضرورته أن يكون القضاء السابق أيضاً كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد انتهى والاجتهاد بذل الفقيه الوسع ليحصل له ظن بحكم شرعي وهو جائز للأنبياء عند أهل السنة ليدركوا ثواب المجتهدين وليقتدي بهم غيرهم ولذا قال عليه السلام: «العلماء ورثة الأنبياء» فإنه يستلزم أن تكون درجة الاجتهاد ثابتة للأنبياء ليرث العلماء عنهم ذلك إلا أن الأنبياء لا يقرون على خطأ وفي الحديث «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد وأخطأ فله أجر» وفي كل حادثة حكم معين عند الله وعليه دليل قطعي أو ظني فمن وجده أصاب ومن فقدّه أخطأ ولم يَأْثَم. فإن قيل لو تعين الحكم فالمخالف له لم يحكم بما أنزل الله فيفسق أو يكفر. قلنا إنه أمر بالحكم بما ظنه وإن أخطأ فقد حكم بما أنزل الله. قال في «بحر العلوم»: واعلم أن في هذه الآية دليلاً على أن المجتهد يخطئ أو يصيب وأن الحق واحد في المسائل الاجتهادية إذ لو كان كل من الاجتهادين صواباً وحقاً لكان كل منهما قد أصاب الحق وفهمه ولم يكن لتخصيص سليمان خلافه بالذكر جهة فإنه في هذا المقام يدل على نفي الحكم عما عداه وعلى أن للأنبياء اجتهاداً كما للعلماء على أنه لو كان كل مجتهد مصيباً لزم اتصاف الفعل الواحد بالنقيضين من الصحة والفساد والوجوب والحظر والإباحة وهو ممتنع، وفي «المنثوي»:

وهم افتد در خطا ودر غلط	عقل باشد در اصابتها فقط
مجتهد هرکه که باشد نص شناس	اندران صوت نیندیشد قیاس
چون نیاید نص اندر صورتی	از قیاس آنجا نماید عبرتی

﴿وسخرنا﴾ [ورام ساختیم] ﴿مع داود الجبال﴾ مع متعلقة بالتسخير وهو تذليل الشيء وجعله طائعاً منقاداً. وسفن مواخر إذا أطاعت وطابت لها الريح ﴿يسبحن﴾ حال من الجبال أي: يقدسن الله تعالى بحيث يسمع الحاضرون تسبيحهن فإنه هو الذي يليق بمقام الامتنان لا انعكاس الصدى فإنه عام وكذا ما كان بلسان الحال فاعرف ﴿والطير﴾ عطف على الجبال وقدمت الجبال على الطير لأن تسخيرها وتسبيحها أعجب وأدل على القدر وأدخل في الإعجاز لأنها جماد والطير حيوان ﴿وكنا فاعلين﴾ قادرين على أن نفعل هذا وإن كان عجباً عندكم.

- روي - أن داود كان إذا مر يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق إليه. قال الكاشفي: [مؤمن موقن بايد که اعتقاد کند برین وجه که کوهها و مرغان بموافقت داود بروجهی تسبیح می کفته اند که همه سامعانرا ترکیب حروف و کلمات آن مفهوم میشده و این معنی از قدرت الهی غریب نیست]:

هر کجا قدرتش علم افراخت از غرائب هر آنچه خواست بساخت
قدرتی را که نیست نقصانش کارها جمله هست آسانش

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الذاكر لله إذا استولى عليه سلطان الذكر تنتور أجزاء وجوده بنور الذكر فيتجوهر قلبه وروحه بجوهر الذكر فربما ينعكس نور الذكر من مرآة القلب إلى ما يحاذيها من الجمادات والحيوانات فتنتطقه بالذكر فتارة يذكر معه أجزاء وجوده وتارة يذكر معه بعض الجمادات والحيوانات كما كانت الحصاة تسبح في يد رسول الله ﷺ والضرب يتكلم معه.

- وروي - عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: كنا نأكل الطعام ونسمع تسبيحه انتهى. وفي «عرائس البقلى» رحمه الله كان يطلب كل وقت مكاناً خالياً لذكره وأنسه فيدخل الجبال لأنها ملتبسة بأنوار قدرته خالية عن صنع أهل الحدثنان باقية على ما أخرجت من العدم بكسوة نور القدم فإذا كان مسبحاً سبحت الجبال معه والطير بلسان نور الفعل الحق كأنه تعالى ينزه نفسه بتنزيه داود حيث غلب على داود سطوات عظمته ونور كبريائه. قال محمد بن علي رحمه الله: جعل الله الجبال تسلياً للمجذوبين وأنساً للمكروبين والانس الذي في الجبال هر أنها خالية عن صنع الخلائق فيها بحال باقية على صنع الخالق لا أثر فيها لمخلوق فتوحش والآثار التي فيها آثار الصنع الحقيقي عن غير تبديل ولا تحويل انتهى. قال ابن عباس رضي الله عنهما إن بني إسرائيل كانوا قد تفرقوا قبل مبعث داود وأقبلوا على ملاهي الشيطان وهي العيدان والطنابير والمزامير والصنوج وما أشبهها فبعث الله داود وأعطاه من حسن الصوت ونغمة الألحان حتى كان يتلو التوراة بترجيع وخفض ورفع فأذهل عقول بني إسرائيل وشغلهم عن تلك الملاهي وصاروا يجتمعون إلى داود يستمعون ألحانه وكان إذا سبح تسبح معه الجبال والطير والوحش كما في «قصص الأنبياء»، قال الشيخ سعدى قدس سره:

به از روی زیباست آواز خوش که این حظ نفس است وآن قوت روح
وقال:

اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب کزدوق نیست تراکز طبع جانوری
وقال:

وعند هبوب الناشرات على الحمى تميل غصون البان لا الحجر الصلد

وكما أن الأصوات الحسنة والنعمة الموزونة تؤثر في النفوس فتجذبها من الشر إلى الخير بالنسبة إلى المستعد الكامل فكذا الأصوات القبيحة والنعمة الغير الموزونة تؤثر في النفوس فتفعل خلاف ما يفعل خلافها، وفي «المنوي»:

يك مؤذن داشت بس آواز بد درميان کافرستان بانك زد
چند گفتندش مكو بانك نماز كه شود چنك وعداوتها دراز
او ستيزه كرد وبس بى احتراز گفت دركافرستان بانك نماز
خلق خائف شد زفتنه عامه خود بيامد كافرى باجامه
شمع وحلوا باچنان جامه لطيف هديه آورد وبيامد چون اليف
پرس پرسان كين مؤذن كو كجاست كه صلاى بانك اوراحت فزاست
دخترى درام لطيف وبس سنى آرزو مى بود اورا مؤمنى
هيچ اين سودا نمى رفت از سرش پندها ميداد چندی كافرش
هيچ چاره مى ندانستم دران تافرو خواند اين مؤذن آن اذان
گفت دختر چيست اين مكروه بانك كه بكوشم آمد اين دوچار دانك
من همه عمر اين چنين آواز زشت هيچ نشنيدم درين ديرو كنشت
خواهرش گفتا كه اين بانك اذان هست اعلام وشعار مؤمنان
باورش نامد بپرسيد از دكر آن دكرهم گفت آرى اى قمر
چون يقين كشتش رخ او زرد شد از مسلمانى دل اوسرد شد
بازرستم من زتشويش وعذاب دوش خوش خفتم داران بى خوف خواب
راحتم اين بود از آواز او هديه آوردم بشكرآن مردكو
چون بديدش گفت اين هديه پذير چون مراكشتى مجيرو دستكير
كريمال وملك وثروت فردمى من دهانت را پراززر كردمى

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٨٠)

﴿وعلّمناه صنعة لبوس﴾ أي: عمل الدروع، وبالفارسية: [ساختن زره] والصنع إجادة الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا والصناعة ككتابة حرفة الصانع وعمل الصنعة واللبوس في الأصل اللباس درعاً كان أو غيرها ولبس الثوب استتر به وكانت الدروع قبل داود صفائح أي: قطع حديد عراضاً فحلقتها وسردها ﴿لكم﴾ أي: لنفعكم متعلق بعلمنا أو بمحذوف هو صفة لبوس. والمعجزة فيه أن فعل ذلك من غير استعانة بأداة وآلة من نحو الكبير والنار والسندان والمطرقة. وكان لقمان يجلس مع داود ويرى ما يصنع ويهّم أن يسأل عنها لأنه لم يرها قبل ذلك فيسكت فلما فرغ داود من الدرع قام وأفرغه على نفسه وقال: نعم الرداء هذا للحرب فقال لقمان عندها إن من الصمت لحكمة. قالت الحكماء وإن كان الكلام فضة فالصمت من ذهب.

اگر بسیار دانى اندكى كوى يکى راصد مكو صدرا يکى كوى
﴿لتحصنکم﴾ لتحرزکم أي: اللبوس بتأويل الدرع ودرع حصينة لكونها حصناً للبدن فتجوز به في كل تحرز وهو بدل اشتغال من لكم بإعادة الجار لأن لتحصنکم في تأويل

لإحصانكم وبين الإحصان وضمير لكم ملابسة الاشتغال مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لكم ﴿من بأسكم﴾ البأس هنا الحرب وإن وقع على السوء كله أي: من حرب عدوكم، وبالفارسية: [ازكارزار شما یعنی از قتل وجراحت درکار زار بماندند تیغ و تیرو نیزه]. وفي الآية دلالة على أن جميع الصنائع بخلق الله وتعليمه وفي الحديث «إن الله خلق كل صانع وصنعه» وفي «المثنوي»:

قابل تعلیم وفهمست این خرد لیک صاحب وحی تعلیمش دهد
جمله حرفتها یقین ازوحی بود اول اولیک عقل آنرا فرزد

﴿فهل أنتم شاكرون﴾ ذلك يعني قد ثبت عليكم النعم الموجبة للشكر حيث سهل عليكم المخرج من الشدائد فاشكروا له. قال الكاشفي يعني: [شكر كوييد خدايرا برچنين لباس] فهو أمر وارد على صورة الاستفهام والخطاب لهذه الأمة من أهل مكة ومن بعدهم إلى يوم القيامة أخبر الله تعالى أن أول من عمل الدرع داود ثم تعلم الناس فعمت النعمة بها كل محارب من الخلق إلى آخر الدهر فلزمهم شكر الله على هذه النعمة. وقال بعضهم: الخطاب لداود وأهل بيته بتقدير القول أي: فقلنا لهم بعدما أنعمنا عليهم بهذه النعم بل أنتم شاكرون وما أعطى لكم من النعم التي ذكرت من تسخير الجبال له والطير وإلانة الحديد وعلم صناعة اللبوس. قيل: إن داود خرج يوماً متفكراً طالباً من يسأله عن سيرته في مملكته فاستقبل جبريل على صورة آدمي ولم يعرفه داود فقال له: كيف ترى سيرة داود في مملكته فقال له جبريل: نعم الرجل هو لولا أن فيه خصلة واحدة قال: وما هي قال: بلغني أنه يأكل من بيت المال وليس شيء أفضل من أن يأكل الرجل من كدّ يده فرجع داود وسأل الله أن يجعل رزقه من كدّ يده فألان له الحديد وكان يتخذ الدرع من الحديد ويبيعها ويأكل من ذلك. يقول الفقير: قد ثبت في الفقه أن في بيت المال حق العلماء وحق السادات ونحوهم فالأكل منه ليس بحرام عند أهل الشريعة والحقيقة لكن الترك أفضل لأهل التقوى كما دل عليه قصة داود وقس عليه الأوقاف ونحوها من الجهات المعينة وذلك لأنه لا يخلو عن شبهة في هذا الزمان مع أن الاستناد إلى الرزق المعلوم ينافي التوكل التام ولذا لم يأكل كثير من أهل الحق ربح المال الموقوف بل أكلوا مما فتح الله عليهم من الصدقات الطيبة من غير حركة ذهنية منهم فضلاً عن الحركة الحسية نعم أكل بعضهم من كسب يده قال الحافظ:

فقيه مدرسه دی مست بود وفتوی داد که می حرام ولی به زمال اوقافست
غلط الشراح في شرح هذا البيت وأقول تحقيقه أن قوله «ولی به» من كلام الحافظ لا من كلام المفتي. يعني أن الفقيه كان سكران من شراب الغفلة وحب الدنيا والاعتماد على مال المدرسة ولذا أنكر أهل حال العشق وجعل شرايبهم الذي هو العشق حراماً ولكن ليس الأمر كما قال فإنه أولى من مال الوقف. يعني أن العشق والتوكل التام اللذين عليهما محققو الصوفية أفضل من الزهد والأكل من مال الوقف اللذين عليهما فقهاء العصر وعلماءه فالإنكار يتعلق بالفقيه المعتمد لا بالعاشق المتوكل. قال العلماء: كان الأنبياء عليهم السلام يحترفون بالحرف ويتكسبون بالمكاسب. فقد كان إدریس خياطاً. وقد كان أكثر عمل نبينا عليه السلام في بيته الخياطة وفي الحديث «عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل» كما في «روضة الأخبار» وفي الحديث «علموا بنبكم السباحة والرمي ولنعم لهو المؤمنة مغزلها وإذا دعا

أبوك وأمك فأجب أمك» كما في «المقاصد الحسنة» للسخاوي وفي الحديث «صريح مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله والتكبير في سبيل الله أثقل في الميزان من سبع سموات وسبع أرضين» وفي الحديث «المغزل في يد المرأة الصالحة كالرمح في يد الغازي المريد به وجه الله تعالى»^(٣) كما في «مجمع الفضائل». وكان نوح نجاراً. وإبراهيم بزاراً وفي الحديث «لو اتجر أهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا في الصرف» كذا في «الأحياء». وداود زراداً. وآدم زراعاً وكان أول من حاك ونسج أبونا آدم. قال كعب: مرت مريم في طلب عيسى بحاكة فسألت عن الطريق فأرشدوها إلى غير الطريق فقالت: اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس فاستجيب دعاؤها ولذا قيل لا تستشيروا الحاكة فإن الله سلب عقولهم ونزع البركة من كسبهم. وكان سليمان يعمل الزنبيل في سلطته ويأكل من ثمنه ولا يأكل من بيت المال. وكان موسى وشعيب ومحمد رعاة فإنه عليه السلام أجر نفسه قبل النبوة في رعي الغنم وقال: «وما من نبي إلا وقد رعاها» ومن حكمة الله في ذلك أن الرجل إذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة والطف تعطفاً فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هرب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الأحوال وحينئذ لا ينبغي لأحد غير برعاية الغنم أن يقول كان النبي عليه السلام يرعى الغنم فإن قال ذلك أذب لأن ذلك كما علمت كمال في حق الأنبياء دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالاً في حقه عليه السلام دون غيره كالأمية فمن قيل له أنت أمي فقال: كان عليه السلام أمياً يؤدب كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير فقول السلطان سليم الأول من الخواقين العثمانية:

يك كدا بود سليمان بعصا وزنبيل يافت از لطف توآن حشمت ملك آرايى

مصطفى بود يتيمى زعرب پست درت دادش انعام توتاج شرف بالايى

ترك أدب لأنه يوهم التحقير في شأنهما العظيم. وكان صالح ينسج الأكسية جمع كساء بالفارسية [كليم]. وعيسى يخصف النعل ويرقعها. وأفضل الكسب الجهاد وهو حرفة رسول الله ﷺ بعد النبوة والهجرة. ثم التجارة بشرط الأمانة بحيث لا يخون على مقدار حبة أصلاً. ثم الحراثة. ثم الصناعة كما في «المختار والتحفة». ويجتنب المكاسب الخبيثة أي: الحرام والرديء أيضاً نحو أجرة الزانية والكاهن وهو الذي يخبر عن الكوائن المستقبلية أو عما مضى وعن نحوسة طالع أو سعد أو دولة أو محنة أو نحو ذلك. ويجتنب عن صنعة الملاهي ونحوها. وكره للرجل أن يكون بائع الأكفان لأنه يوجب انتظار موت الناس أو حناطاً يحتكر أو جزاراً وهو القصاب الذي يذبح الدواب لما فيه قساوة القلب. أو صائغاً بالفارسية [زركر] لما فيه من تزيين الدنيا وقد كرهوا كل ما هو بمعناه كصناعة النقش وتشبيد البنيان بالجص ونحو ذلك. أو نخاساً وهو الذي يبيع الناس من الذكور والإناث. يقال: ثلاثة لا يفلحون: بائع البشر، وقاطع الشجر، وذابح البقر. وكره أن يكون حجاماً أو كناساً أو دباغاً وما في معناه لما فيه من مخالطة النجاسة. وكره ابن سيرين وقتادة أجرة الدلال لقلة اجتنابه عن الكذب وإفراطه في الشناء على السلعة لترويجها.

- روي - أن أول من دل إبليس حيث قال: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرِ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبَلَى﴾

[طه: ١٢٠] كما في «روضة الأخبار».

﴿وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا له الريح وتخصيص داود بلفظ مع وسليمان باللام للدلالة على ما بين التسخيرين من التفاوت فإن تسخير ما سخر له عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامثال بأمره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته فجاء بلام التملك وأما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له والاقتداء في عبادة الله تعالى ﴿عاصفة﴾ حال من الريح أي: حال كونها شديدة الهبوب من حيث إنها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان وكانت لينة في نفسها طيبة كالنسيم فكان جمعها بين الرخاوة في نفسها وعصفها في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها حسبما يريد ويحكم معجزة مع معجزة ﴿تجري﴾ [ميرفت] حال ثانية ﴿بأمره﴾ بمشيئته ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ وهي الشام التي تذهب به غدوة من الشام إلى ناحية من نواحي الأرض وبينها وبين الشام مسيرة شهر إلى وقت الزوال ثم ترجع به منها بعد الزوال إلى الشام عند الغروب كما قال تعالى: ﴿عُدُّوْهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبا: ١٢]. قال مقاتل: عملت الشياطين لسليمان بساطاً فرسخاً في فرسخ من ذهب في إبريسم وكان يوضع له منبر من ذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله كراسي من ذهب وفضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تطلع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى المغرب وكان عليه السلام امرأ قلماً يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض ملكاً إلا أنه ودعاه إلى الحق. قال الكاشفي: [در تلخيص آورده که در شام شهری بود تدمر نام که دیوان برای سلیمان بنیاد ساخته بودند صباح از آنجا بیرون آمدی و یاز نماز شام دیر آید آنجا آوردی. و در مختار القصص آورده که بامداد از تدمر بیرون آمدی و قیلوله در اصطخر فارس کردی و شبانگاه بکابل رفتی و روزی دیگر از کابل بیرون آمدی و چاشت در اصطخر بودی و شام بتدمر باز آمدی] وكانت تجري إلى حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام.

- وروي - أن سليمان سار من العراق غادياً فقابل نمرود وصلى العصر ببلخ ثم سار من بلخ متخللاً بلاد الترك وأرض الصين ثم عطف منها على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى قندهار وخرج منها إلى مكران وكرمان حتى أتى فارس فنزلها أياماً وغدا منها بكسكر ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر كما في «بحر العلوم»، قال الشيخ سعدى قدس سره:

نه برباد رفتی سحرگاه وشام سریر سلیمان علیه السلام
باخر نه دیدی که برباد رفته خنک آنکه بادانش و داد رفته

﴿وكنا بكل شيء عالمين﴾ فنجره على ما يقتضي علمنا وحكمتنا ﴿ومن الشياطين﴾ أي: وسخرنا له من الشياطين ﴿من يغوصون له﴾ أي: يدخلون تحت البحر ويستخرجون له من نفائسه. قال الراغب الغوص الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه ويقال لكل من هجم على غامض فأخرجه غائص عيناً كان أو علماً والغواص الذي يكثر منه ذلك ﴿ويعملون عملاً دون ذلك﴾ أي: غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة وهؤلاء أما الفرقة

الأولى أو غيرها لعموم كلمة من كأنه قيل ومن يعملون.

- روي - أن المسخر له كفارهم لا مؤمنوهم لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ أي: من أن يزيغوا عن أمره ويعصوا ويتمرّدوا عليه أو يفسدوا ما عملوا على ما هو مقتضى جبلتهم والشياطين وإن كانوا أجساماً لطيفة لكنهم يتشكلون بأشكال مختلفة ويقدرّون على أعمال الشاقة ألا ترى أن لطافة الريح لا تمنع عصفوها لا سيما أنهم تكشفوا في زمن سليمان فكانوا بحيث يراهم الناس ويستعملونهم في الأعمال قال في «الأسئلة المقحمة»: فلماذا لم تخرج الشياطين عن طاعة سليمان مع استعمالهم في تلك الأمور الشديدة فالجواب أن الله تعالى أوقع لسليمان في قلوبهم من الخوف والهيبه حتى خافوا أن يخرجوا عن طاعته وهذا من معجزاته.

قال في «التأويلات النجمية»: من كمالية الإنسان أنه إذا بلغ مبلغ الرجال البالغين من الأنبياء والأولياء سخر الله له بحسب مقامه السفليات والعلويات من الملك والملكوت فسخر لسليمان عليه السلام من السفليات الريح والجن والشياطين والطير والحيوانات والمعادن والنبات ومن العلويات الشمس حين ردت لأجل صلاته كما سخر لداود عليه السلام الجبال والطير والحديد والأحجار التي قتل بها جالوت وهزم عسكره فسخر لكل نبي شيئاً آخر من أجناس العلويات والسفليات وسخر لنبينا عليه الصلاة والسلام من جميع أجناسها فمن السفليات ما قال عليه السلام: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي منها» وقال: «جعلت لي الأرض مسجداً وتربها طهوراً» وقال: «أتيت بمفاتيح خزائن الأرض» وكان الماء ينبع من بين أصابعه وقال: «نصرت بالصبا» وكانت الأشجار تسلم عليه وتسجد وتنقلع بإشارته عن مكانها وترجع والحيوانات كانت تتكلم معه وتشهد بنبوته وقال: «أسلم شيطاني على يدي» وغيره من السفليات وأما العلويات فقد انشق له القمر بإشارة أصبعه:

پس قمرکه امر بشنید وشتافت پس دونیمه کشت برچرخ وشکافت
وسخر له البراق وجبريل والرفرف وعبر السموات السبع والجنة والنار والعرش والكرسي
إلى مقام قاب قوسين أو أدنى فما بقي شيء من الموجودات إلا وقد سخر له:

نه کسی درکرد توهرکز رسید نه کسی رانیز چندین عز رسید
وبقوله: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ﴾ الآية يشير إلى أنا كما سخرنا الشياطين له
يعملون له الأعمال سخرنا للشياطين الأعمال والغوص والصنائع يصنعون بحفظ الله ما لا
يقدرّون عليه الآن.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

﴿وأيوب﴾ أي: واذكر خبر أيوب. واختلفوا في أسماء نسبه بعد الاتفاق على الانتهاء
إلى روم بن عيص بن ابراهيم عليه السلام.

- روي - أن الله تعالى استنبأ أيوب وأرسله إلى أهل حران وهي قرية بغوطة دمشق وكثر
أهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات ومن أصناف البهائم ما لا يحصى فحسده ابليس
وقال: [إلهي بنده تودر عافيت وسعت عيش است مال بسيار وفرزندان بزرکوار دارد اکر اورا

بانتزاع مال واولاد مبتلا سازی زود از تو بکردد وطریق کفران نعمت پیش کیرد حق سبحانه وتعالی فرمودکه چنین نیست که تومیکویی اومارا بنده ایست پسندیده اگر هزار باردر بوته ابتلا بکداختم بی غش وخالص العیار آید:

چنان در عشق یکرویم که کر تیغم زنی برسر

برو ز امتحان باشم چو شمع استاده پابرجا

پس حق سبحانه وتعالی اقسام محن بروی کما شت شترانش بصاعقه هلاک شدند وکوسفندان بسبب سیل در کرداب فنا افتادند وزراعت بریح متلاشی شد واولاد در زیر دیوار ماندند وقروح در جسد مبارکش ظاهر شدودیدان پیدا کشتند وخلق ازوی کریخت بجزن او[فکان نظیر إبراهيم عليه السلام في الابتلاء بالمال والولد والبدن. وقد قال بعض الکبار إن بلاء أيوب اختاره قبله سبعون نبياً فما اختاره الله إلا له وبقي في مرضه ثمانين عشرة سنة أو سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات قالت له يوماً امرأته رحمة بنت افرایم بن يوسف: لو دعوت الله فقال لها: كم كانت مدة الرخاء؟ فقالت: ثمانين سنة فقال: أنا أستحيي من الله أن أدعوه وما بلغت مدة ثلاثي مدة رخائي [وهرسحر این خطاب مستطاب بایوب مکروب رسیدی که ای ایوب چگونه وایوب بذوق وشوق این پرسش کوه بلا بجان می کشید وبآن بیماری خوش بود]:

کربر سر بیمار خود آیی بعیادت صد ساله بامید توبیمار توان بود

وقد سلط الله على جسده اثني عشر ألف دودة لأنها عدد الجند الكامل كما قال عليه السلام «اثنان عشر ألفاً لن يغلب عن قلة أبدأ» والله عساكر كالدود والبعوض للنمرود والأبائيل لأصحاب الفيل والهدهد لعوج والعنكبوت والحمامة لرسول الله عليه السلام وأكل الدود جميع جسده حتى بقي العظام والقلب واللسان والأذن والعينان ولما قصد قلبه الذي هو منبع المعرفة ومعدن النبوة والولاية ولسانه الذي هو مصدر الذكر ومورد التوحيد غار عليه وخاف أن ينقطع عن طاعة الله وتسبيحه بالكلية فإنه كان من ضعف الحال بحيث لا يستطيع القيام للصلاة فلما انتهى وقت الابتلاء وحصل الفناء التام في مقام البلاء وألهمه الله الدعاء ليوصله إلى مرتبة البقاء ويتجلى له بالجمال واللقاء بعد الجلال والأذى كما أخبر عنه بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ أي: دعاه ﴿أَنِي﴾ أي: بأني ﴿مُسْنِي﴾ أصابني ﴿الضُرُّ﴾ [رنج وسختی] قالوا: الضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ بين افتقاره إليه تعالى ولم يقل ارحمني لطفاً في السؤال وحفظاً للأدب في الخطاب فإن أكثر أسئلة الأنبياء في كشف البلاء عنهم إنما هي على سبيل التعريض.

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب وقال الحافظ:

أرباب حاجتیم وزبان سؤال نیست در حضرت کریم تمنایچه حاجتست

فإن قيل أليس صرح زكريا في الدعاء قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَبَيًّا﴾ [مریم: ۵]. قلنا: هذا سؤال العطاء لا يجمل به التعريض وذلك كشف البلاء فيجمل به التعريض لثلاث يشبه بالشكاية.

- ويحكي - أن عجوزاً تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت: يا أمير المؤمنين مشيت

جرذان بیٹی علی العصی فقال لها: الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملاً بيتها حباً. فهذا القول من أيوب دعاء وتضرع وافتقار لا جزع وشكايه كما هو حال الاضطراب ولذا جاء جوابه بلفظ الاستجابة وقال تعالى في حقه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَقِمَ الْعَبْدُ﴾ [ص: ٤٤] وعلى تقدير تضمنه الشكاية فقد اشتكى من البلوى إليه تعالى لا إلى غيره وهو لا ينافي الصبر الجميل كما قال يعقوب إنما أشكو بثي وحزني إلى الله فصبر جميل والعارف الصادق إذا كان متحققاً في معرفته فشكواه حقيقة الانبساط ومناداته تحقيق المناجاة وأساه في بلاء حبيبه حقيقة المباهاة ولسان العشق لسان التضرع والحكاية لا لسان الجزع والشكاية كما أشار العاشق:

بشنوا زنی چون حکایت میکند از جداییشها شکایت میکند

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل ما كان لأيوب من الشكر والشكاية في تلك الحالة كان مع الله لا مع غيره وإلى أن بشرية أيوب كانت تتألم بالضرر وهو يخبر عنها ولكن روحانيته المؤيدة بالتأييد الإلهي تنظر بنور الله وترى في البلاء كمال عناية المبتلي وعين مرحمته في تلك الصورة تربية لنفسه ليلبغها مقام الصبر ورتبة نعمة العبدية وهو يخبر عنها ويقول: ﴿مُسْنِي الضَّرِّ﴾ من حيث البشرية بنور فضلك ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ عليّ بأنك تترحم عليّ بهذا البلاء ومس الضر وقوة الصبر عليه لتفني نفسي عن صفاتها وفي العجلة وتبقى بصفاتك: منها الصبر والصبر من صفات الله لا من صفات العبد كقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] والصبور هو الله تعالى.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُمْ فَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَالَمِينَ﴾

﴿فاستجبنا له﴾ [پس اجابت کرديم دعای وبرا] ﴿فكشفنا﴾ [پس ببردیم] ﴿ما به من

ضر﴾ [آنچه ویرابود ازرنج یعنی اور اشفادادیم].

- روي - أنه قيل له يوم الجمعة عند السحر أو وقت زوال الشمس ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك أي: اضرب بها الأرض فركض فنبعت من تحتها عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دودة إلا سقطت ولا جراحة إلا برئت ثم ركض مرة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج وعاد صحيحاً ورجع إلى شبابه وجماله ثم كسي حلة. قال بعض الكبار: السر في ابتلائه تصفية وجوده بالرياضات الشاقة وأنواع المجاهدات البدنية لتكميل المقامات العلية فأمر بضرب أرض النفس ليظهر له ماء الحياة الحقيقية متجسداً في عالم المثال فيغتسل به فتزول من بدنه الأسقام الجسمانية ومن قلبه الأمراض الروحانية فلما جاهد وصفا استعداداه وصار قابلاً للفيض الإلهي ظهر له من الحضرة الروحانية ماء الحياة فاغتسل به فزال من ظاهره وباطنه ما كان سبب الحجاب والبعد عن ذلك الجنب الإلهي انتهى. وأراد الله تعالى أن يجعل الدود عزيزاً بسبب صحبة أيوب فإن الدود أذل شيء وصحبة الشريف تعزه كما أعز حوت يونس فلما تناثرت منه صعدت إلى الشجرة وخرج من لعبها الإبريسم ليصير لباساً ببركة أيوب، قال الشيخ سعدي قدس سره:

کلی خوشبوی درحمام روزی رسید از دست محبوبی بدستم

بدو کفتم که مشکى یا عبیرى که ازبوى دلاویز تومستم

بكفتا من كل ناچيز بودم وليكن مدتي باكل نشستم
 كمال همنشين برمن اثر كرد وكرنه من همان خاكم كه هستم
 قالوا: من كان مجاوراً للعزیز والشريف صار عزيزاً شريفاً ومن كان مجاوراً للذليل
 والوضيع كان ذليلاً ووضعاً ألا ترى أن الصبا إذا مرت بالأزهار والأوراد تحمل الرائحة الطيبة
 وإذا عبرت على المستقذرات تحمل الرائحة الخبيثة وقس على هذا من كان مصاحباً لأوصاف
 النفس ومن كان مجاوراً لأخلاق الروح ﴿وَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بأن ولد له ضعف ما
 كان.

- روي - أن الله تعالى رد إلى امرأته شبابها فولدت له ستة وعشرين ولداً كما هو المروي
 عن ابن عباس رضي الله عنهما ورد أمواله وكان رحيماً بالمساكين يكفل الأيتام والأرامل ويكرم
 الضيف ويبلغ ابن السبيل وفي الحديث «بينما أيوب يغتسل عرياناً خر عليه رجل جراد من ذهب
 فجعل أيوب يحثو في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال: بلى وعزتك ولكن
 لا غنى لي عن بركتك» وفيه دلالة على إباحة تكثير المال الحلال ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ أي: آتيناه
 ما ذكر لرحمتنا إياه بالرحمة الخاصة ﴿وَذَكَرَ لِلْعَابِدِينَ﴾ وتذكروا لغيره من العابدين
 ليعلموا بذلك كمال قدرتنا ويصبروا كما صبر أيوب فيثابروا كما أثيب:

هركه اودرراه حق صابر بود بر مراد خويشتن قادر بود
 صبر بايد تاشود يكسو حرج زانكه كفت الصبر مفتاح الفرج
 واعلم أن بلاء أيوب من قبيل الامتحان ليبرز ما في ضميره فيظهر لخلقه درجته أين هو
 من ربه وبلاء يوسف من قبيل تعجيل العقوبة أي: على قوله: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾
 [يوسف: ٤٢]. وبلاء يحيى حيث ذبح من قبيل الكرامة إذ لم يهم بخطيئة قط.

﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَدَخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ
 الصَّالِحِينَ﴾ (٨٦)

﴿وإسماعيل﴾ بمعنى مطيع الله ﴿وإدريس﴾ هو اخنوخ بن برد بن مهلايل قال بعضهم
 سمي به لكثرة دراسته وقد سبق تحقيقه ﴿وذا الكفل﴾ بمعنى الكفالة والضمان لأن نبياً من أنبياء
 بني إسرائيل أوحى الله إليه أنني أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بني إسرائيل فمن تكفل
 لك أنه يصلي بالليل لا يفتر ويصوم بالنهار لا يفطر ويقضي بين الناس ولا يغضب فسلم ملكك
 إليه ففعل ذلك فقال شاب: أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكره الله ونباه فسمي ذا الكفل
 والمعنى واذكرهم ﴿كل﴾ أي: كل واحد من هؤلاء ﴿من الصابرين﴾ أي: الكاملين في الصبر
 علي مشاق الطاعات واحتمال البليات فإن إسماعيل قد صبر عند ذبحه وقال: ﴿يَتَأْتِيَ أَعْمَلُ مَا
 تُؤْمَرُ﴾ [الصفات: ١٠٢] الآية وصبر على المقام ببلد لا زرع فيه ولا ضرع ولا بناء فلا جرم أكرمه
 الله وأخرج من صلبه خاتم النبيين عليه وعليهم السلام وإدريس قد صبر على دراسته وذو الكفل
 قد صبر على صيام النهار وقيام الليل وأذى الناس في الحكومة بينهم ولا يغضب. وفيه إشارة
 إلى أن كل من صبر على طاعة الله وعن معصيته أو على ما أصابه من مصيبة في المال والأهل
 والنفس فإنه بقدر صبره يستوجب نعمة رتبة نعم العبدية ويصلح لإدخاله في رحمته المخصوصة
 به كما قال.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ الخاصة من النبوة وغيرها ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: الكاملين في الصلاح وهم الأنبياء فإن صلاحهم معصوم من الفساد [وبعض كبار مبغضين يدكه مؤمنان كناه كنند وباز توبه كنند وچون توبه بشرط باشد خداوند قبول كند واوليا كناه نكنند اما امكان دارد كه بكنند از جهت آنكه جائز الخطائند]. قيل لأبي يزيد قدس سره أيعصي العارف؟ فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً ثم يرد إلى مقامه بعد ذلك إن كان من أهل العناية والوصول فتكون توبته من ذلك على قدر مقامه فيرجى أن يكون في قوة تلك التوبة وعلو منصبها أن يجبر وقت الغفلة حتى يكون كأنه ما خسر شيئاً وما انتقل كتوبة ما عزر الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو قسمت على أهل السموات والأرض لوسعتهم» [وأنبياء كناه نكردند وامكان نداشت كه بكنند از جهت آنكه معصوم بودند].

واعلم أن للصلاح بداية وهي الأخذ بالشرائع والأحكام ورفض المنهي والحرام ونهاية وهي التوجه إلى رب العباد وعدم الالتفات إلى عالم الكون والفساد وهي في الحقيقة مقام الصديقية وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده فإن من العباد من اختار الله له في الأزل البلوغ بلا كسب ولا تعمل فوق مفعولاً على النظر إليه بلا اجتهاد بدفع غيره عن مقتضى قصده ومنهم من شغلته الأغيار عن الله زماناً فلم يزل في علاج وجودها بتوفيق الله حتى أفناها ولم يبق له سواه سبحانه. ثم الصبر من مراتب الصلاح. وعن يزيد الرقاشي رحمه الله قال: إذا دخل الرجل القبر قامت الصلاة عن يمينه والزكاة عن يساره والبر يظله والصبر يحاجه يقول: دونكم صاحبكم فإن حججتم وإلا فأنا من ورائه يعني إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب وإلا فأنا أكفيكم ذلك وأدفع عنه العذاب فهذا الخبر دليل على أن الصبر أفضل الأعمال والرضى أجل الصفات ولا يكون الصبر إلا على بلاء ومشقة فالترقي إنما هو بالصبر لا بنفس البلاء ولو كان البلاء بما هو بلاء يرفع درجات من قام به عند الله وينال به السعادة الأبدية لنالها أهل البلاء من المشركين والكفار بل هو في حقهم تعجيل لعذابهم وفي حق المؤمنين الصابرين تكميل لدرجاتهم وحط من خطيئاتهم وإكسير لنحاس وجودهم، وفي «المثنوي»:

صد هزاران كيميا حق آفرید	كيمياي همچو صبر آدم نديد
چون بمانی بسته دربند حرج	صبر كن الصبر مفتاح الفرج
شكر كويم دوست را درخیر وشر	زانكه هست اندر قضا از بدبتر
چونكه قسام اوست كفر آمد كله	صبر بايد صبر مفتاح الصله
غير حق جمله عدو انداوست دوست	باعدو ازدوست شكوت كي نكوست
تادهد دوغم نخواهم انكبين	زانكه هر نعمت غمی دارد قرین

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿وَذَا النُّونِ﴾ أي: واذكر صاحب النون أي: الحوت والمراد يونس بن متى بفتح الميم وتشديد التاء المثناة فوق مفتوحة. قيل: هو اسم أم يونس كذا في «جامع الأصول». قال عطاء: سألت كعباً عن متى أهو اسم أبيه أم أمه فقال: اسم أبيه وأمّه بدورة وهي من ولد

هارون وسمي يونس بذى النون لأنه ابتلعه الحوت. قال الإمام السهيلي أضافه هنا إلى النون وقد قال في سورة القلم: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْكُوْتِ﴾ [القلم: ٤٨] وذلك أنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال ذو النون فإن الإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب لأن قولك ذو يضاف إلى التابع وصاحب إلى المتبوع تقول أبو هريرة رضي الله عنه صاحب النبي عليه السلام ولا تقول النبي صاحب أبي هريرة إلا على جهة وأما ذو فإنك تقول ذو المال وذو العرش فتجد الاسم للاسم متبوعاً غير تابع ولفظ النون أشرف من الحوت لوجوده في حروف التهجي وفي أوائل بعض السور نحو ﴿تَ وَالْقَلَمِ﴾ [القلم: ١] ﴿إِذْ ذُهِبَ﴾ أي: اذكر خبره وقت ذهابه حال كونه مغاضباً مغاضباً مراغماً لقومه أهل نينوى وهي قرية بالموصل لما مر من طول دعوته إياهم وشدة شكيمتهم وتمادي إصرارهم مهاجراً عنهم قبل أن يؤمر وبناء المفاعلة للدلالة على كمال غضبه والمبالغة فيه وقيل وعدهم بنزول العذاب لأجل معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضي الأجل أنه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم سببه وهو أنهم حين رأوا أمارات العذاب تابوا وأخلصوا في الدعاء فظن أنه كذبهم وغضب من اندفاع العذاب عنهم وذهب غضبان وهذا القول أنسب بتقرير الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» وهو من كبار المحققين فكلامه راجح عند أهل اليقين ﴿فَظُنْ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أي: لن نضيق عليه الأمر يقال قدر على عياله قدراً ضيق وقدرت عليه الشيء ضيقته كأنما جعلته بقدر خلاف ما وصف بغير حساب نزل حاله منزلة من يظن ذلك.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الإنسان إذا استولى عليه الغضب يلتبس عليه عقله ويحتجب عنه نور إيمانه حتى يظن بالله ما لا يليق بجلاله وعظمته ولو كان نبياً وإن من كمال قوة نبينا عليه السلام أنه كان يغضب ولا يقول في الرضى والغضب إلا الحق. وفيه إشارة أخرى وهي أن الله تعالى من كمال فضله وكرمه على عباده وإن كانوا عصاة مستوجبين للعذاب أن يعاتب أنبياءهم ولا يرضى عنهم اشتهاه نزول عذاب الله بقومهم وكرهية دفع العذاب عنهم بل يرضى لهم أن يستغفروا لهم ويستغفوه لدفع العذاب عنهم كما قال لنبينا عليه السلام: ﴿فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال في حق الكفار وكان النبي عليه السلام يلعن بعضهم ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨] انتهى.

- روي - أنه حين خرج مغاضباً أتى بحر الروم فوجد قوماً هياوا السفينة فركب معهم فلما توسطت السفينة البحر وقفت ولم تجر بحال فقال الملاحون هنا رجل عاص أو عبد أبق لأن السفينة لا تفعل هذا إلا وفيها عاص أو أبق ومن عادتنا إذا ابتلينا بهذا البلاء أن نقترع فمن وقعت عليه القرعة ألقيناه في البحر فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس فقال: أنا الرجل العاصي والعبد الأبق فألقى نفسه في البحر فجاء حوت فابتلعه فأوحى الله تعالى إلى الحوت أن لا تؤذي منه شعرة فإني جعلت بطنك سجناً له ولم أجعله طعاماً ﴿فنادى﴾ الفاء فصيحة أي: فكان ما كان من القرعة والتقام الحوت فنادى ﴿في الظلمات﴾ أي: في الظلمة الشديدة المتكاثفة أو في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل. وقال الشيخ السمرقندي في تفسيره وعندي والله أعلم أن تلك الظلمات كانت من الجهات الست كما قال عليه السلام: «ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة فهو متحير في الظلمات» ﴿أَنْ﴾ أي: بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾.

قال في «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الروح الشريف إذا ألقى في بحر الدنيا والتقمه حوت النفس الأمارة بالسوء وابتلع حوت النفس حوت القلب يكون من النواذر سلامة الروح من آفات النفس بحيث لا تتصرف فيه ولا تغيره عن صفاته بوحى الحق إليها بأن لا تؤذيه فإني لم أجعله طعمه لك وإنما جعلتك حرزاً وسجناً له كما كان حال يونس وسلامته في بطن الحوت من النواذر ومن سلامة الروح أن يناديه في ظلمة النفس وظلمة القلب وظلمة الدنيا أن لا إله إلا أنت أي: لا إله يحفظني من هذه الظلمات ويسلمني من آفاتهما وفتنتها ويلهمني أن أذكره في هذا الموطن على هذه الحالة إلا أنت ﴿سبحانك﴾ أنزهك تنزيهاً لا ثَقاً بك من أن يعجزك شيء وأن يكون ابتلائي هذا بغير سبب من جهتي كما قال في «المثنوي»:

هرچه برتو آید از ظلمات غم آن زبى باكى وكستايست هم
وفي «التأويلات النجمية»: نزّهه عن الظلم عليه وإن كان فعله بخلق فيه كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ونسب الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً ورعاية للأدب فقال: ﴿إني كنت من الظالمين﴾ لأنفسهم بتعريضها للهلاك حيث بادرت إلى المهاجرة، وفي «المثنوي»:

چون بکویى جاهلم تعلیم ده اینچنین انصاف از ناموس به
از پدر آموز ای روشن جبین ربنا کفت وظلمنا پیش ازین
نی بهانه کردونی تزویر ساخت نی لو ای مکر وحیلت بر فراخت
وفي «عرائس البقلی» قدس سره أن الله أراد ليونس معراجاً ومشاهدة في بطن الحوت فتعلل بالأمر والنهي والمقصود منه القربة والمشاهدة فأراه الحق في طباق الثرى في ظلمات بطن الحوت ما رأى محمد عليه السلام فوق العرش فلما رأى الحق تحير في حاله فقال: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ نزهتك عما ظننت فيك فأنت بخلاف الظنون وأوهام الحدّثان ﴿إني كنت من الظالمين﴾ في وصف جلالك إذ وصفي لا يليق بعزة وحدانيتك فوقع هذا القول منه موقع قول سيد المرسلين حيث قال: «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» ولذلك قال عليه السلام: «لا تفضلوني على أخي يونس» فلما رأى ما رأى استطاب الموضوع فظن أن لا يدرك ما أدرك في الدنيا بعد فغاب الحق عنه فاهتم ودعا بالنجاة فنجاه الله من وحشة بطن الحوت بقوله:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿فاستجبنا له﴾ أي: دعاءه الذي في ضمن الاعتراف بالذنب على اللطف وجهه وآكده. وفيه إشارة إلى أنه تعالى كما أجاب يونس ونجاه من ظلمات عالم الأجسام كذلك ينجي روح المؤمن المؤيد منه من حجب ظلمات النفس والقلب والدنيا ليذكره بالوحدانية في ظلمات عالم الأجساد كما كان يذكره في أنوار عالم الأرواح ويكون متصرفاً في عالم الغيب والشهادة بإذنه خلافة عنه كما في «التأويلات النجمية» وفي الحديث «ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له». وعن الحسن ما نجاه الله إلا إقراره على نفسه بالظلم. وفي «صحيح المستدرک» قال عليه السلام: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى لا إله إلا أنت» الخ ﴿ونجيناه من الغم﴾ من غم الالتقام والبحر بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات

أو ثلاثة أيام أو سبعة أو أربعين والذهاب به إلى البحار القاصية وتخوم الأرض السابعة. وقال بعضهم: كان رأس الحوت فوق الماء وفمه مفتوحاً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه أوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخذش له لحماً ولا تكسر له عظماً فأخذه ثم هوى به إلى مسكنه في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال في نفسه: ما هذا فأوحى الله إليه أن هذا تسبيح دواب البحر فسبح هو في بطنه فسمع الملائكة تسبيحه وقالوا: يا رب نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة. وفي رواية صوتاً معروفاً من مكان مجهول فقال: ذاك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا: العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال: نعم فشفعوا عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل ﴿وكذلك﴾ أي: مثل ذلك الإنجاء لا إنجاء أدنى منه ﴿ننجي المؤمنين﴾ من غموم دعوا الله فيها بالإخلاص. وعن جعفر بن محمد قال: عجبت ممن يبتلى بأربع كيف يغفل عن أربع عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ وعجبت لمن يخاف شيئاً من السوء كيف لا يقول: ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾ لأن الله تعالى يقول: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ آلِهِمْ لَمْ يَحْزَنُوا﴾ [آل عمران: ١٧٤] وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول: ﴿وَأَفْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَدَ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥] وعجبت لمن يرغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [الكهف: ٣٩] لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ [الكهف: ٤٠]. قال قتادة: ذكر لنا رجل على عهد رسول الله عليه السلام قال: اللهم ما كنت تعاقبني به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فمرض الرجل مرضاً شديداً فأضنى حتى صار كأنه هامة فأخبر به رسول الله فأنه فرغ رأسه وليس به حراك فقيل: يا رسول الله إنه كان يدعو بكذا وكذا فقال عليه السلام: «يا ابن آدم إنك لن تستطيع أن تقوم بعقوبة الله تعالى ولكن قل: اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» فدعا بها فبرئ. وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله أروّع في منامي قال: قل «أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين أن يحضروني»، وفي «المنثوي»:

تا فرود آید بلا بی دافعی	چون نباشد از تضرع شافعی
جز خضوع و بندگی و اضطرار	اندرین حضرت ندارد اعتبار
رور را بکذار وزاری را بکیر	رحم سوی زاری آید ای فقیر
زاری مضطرکه تشنه معنویست	زاری سردی دروغ آن غویست
کریه اخوان یوسف حیلست	که درونشان برز رشک و علتست

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِئُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ (٩٠)

﴿وزکریا﴾ واذکر خبر زکریا بن اذن بن مانان من أنبياء بني إسرائيل ﴿إذ نادى ربه﴾ وقال: ﴿رب﴾ [ای پرورد کار من] ﴿لا تذرني فردا﴾ مثل هذه العبارة من العبد للسيد تضرع

ودعاء لا نهى أي: هب لي ولداً ولا تدعني وحيداً بلا ولد يرثني لما بلغ عمر زكريا عليه السلام مائة سنة وبلغ عمر زوجته تسعاً وتسعين ولم يرزق لهما ولد أحب أن يرزقه الله من يؤنسه ويقويه على أمر دينه ودنياه ويكون قائماً مقامه بعد موته فدعا ثم رد الأمر إلى مولاه مستسلاً ومنقاداً لمشيئته فقال: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ خير من يبقى بعد من يموت فحسبي أنت إن لم ترزقني وارثاً فهو ثناء على الله تعالى بأنه الباقي بعد فناء الخلق وله ميراث السموات والأرض.

﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ أي: دعاءه في حق الولد كما قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي﴾ لا في حق الوراثة إذ المشهور أن يحيى قتل قبل موت أبيه وهذا لا يقدح في شأن زكريا كما لا يقدح عدم استجابة دعاء إبراهيم في حق أبيه في شأنه فإن الأنبياء عليهم السلام وإن كانوا مستجابي الدعوة لكن أثر بعض الدعوات لا يظهر في هذا الموطن للحكمة الإلهية ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ إشباع بنت عمران أو بنت فاقود أي: جعلناها ولوداً بعد أن كانت عقيماً فإنها لم تلد قط بعد أن بلغت تسعاً وتسعين سنة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الضمير عائد إلى زكريا وزوجه ويحيى أو الأنبياء المذكورين فيكون تعليلاً لما فصل من فنون إحسانه تعالى المتعلقة بهم مثل إتياء موسى وهارون الفرقان وتبريد النار وإطفائها لإبراهيم وإنجاء لوط مما نزل بقومه وإنجاء نوح ومن كان معه في السفينة من أذى القوم وكرب الطوفان وغير ذلك مما تفضل به على الأنبياء السابقين أي: أنهم كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في أصل الخيرات وهو السر في إثارة كلمة في على كلمة إلى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن أصل الخيرات متوجهين إليها كما في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ﴾ [آل عمران: ١٣٣] الآية. قال الراغب الخیر ما يرغب فيه الكل بكل حال وهو الخير المطلق والشر ضده ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾ حال كونهم ﴿رَغْبًا﴾ راغبين في اللطف والجمال ﴿وَرَهْبًا﴾ خائفين من القهر والجلال أو راغبين فينا وراهبين مما سوانا والرغبة السعة في الإرادة يقال رغب الشيء اتسع فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه فإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه والرغبة العطاء الكثير لكونه مرغوباً فيه فيكون مشتقاً من الأصل فإن أصل الرغبة السعة في الشيء ومنه ليلة الرغائب أي: العطايا الجزيلة قال: يعطي الرغائب من يشاء ويمنع والرهبة مخافة مع تحرك واضطراب ﴿وَكُنَّا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ عابدين في تواضع وضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح ولكن شأن الأنبياء أعلى من أن يكون حالهم منحصراً في الظاهر فلهم خشوع كامل في القلب والقلب جميعاً وأكل العبد خشناً واللبس خشناً وطأطأة الرأس ونحوها من غير أن يكون في قلبه الإخلاص والخوف من الله تعالى صفة المرائي والمتصنع.

ورآوازه خواهی در اقلیم فاش برون حله کن کردرون حشو باش

بنزدیک من شب روراه زن به از فاسق پارسا پیرهن

چه قدر آورد بنده خورديش که زیر قبا دارد اندام پیش

والمعنى أنهم نالوا من الله ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة ليفعل من أراد الإجابة إلى مطلوبه مثل ما فعلوا ولتخلق بتلك الأخلاق.

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَهَا وَأَبْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩١﴾

﴿والتي أحصنت فرجها﴾ المراد بها مريم بنت عمران. والحصن في الأصل كل موضع حصين أي: محكم لا يوصل إلى جوفه وأحصنه جعله في حصن وحرز ثم تجوز في كل تحرز وامرأة حصان كسحاب عفيفة أو متزوجة والفرج والشق بين الشيتين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوء وكثر حتى صار كالصريح فيه والفرج انكشاف الغم وفراريج الدجاج لانفراج البيض عنها. أي: اذكر خبر مريم التي حفظت سواتها حفظاً كلياً من الحلال والحرام [يعني خودرا پاكيژه داشت ودست هيچكس بدا من عفت او نرسيد]. وقال الإمام السهيلي رحمه الله يريد فرج القميص أي: لم يعلق بثوبها ريبة أي: أنها طاهرة الأثواب وفروج القميص أربعة: الكمان، والأعلى، والأسفل، فلا يذهب وهمك إلى غير هذا فإنه من لطيف الكناية انتهى ﴿فنفخنا فيها﴾ أي: أحيينا عيسى كائناً في جوفها فقوله فيها حال من المفعول المحذوف ﴿من روحنا﴾ من الروح الذي هو من أمرنا ففيه تشبيه لايراد الروح في البدن بنفخة النافخ في الشيء فيكون نفخنا استعارة تبعية. وقال السهيلي: النفخ من روح القدس بأمر القدوس فأضف القدوس إلى القدوس ونزه المقدسة عن الظن الكاذب والحدس انتهى وقد سبقت قصة النفخ في سورة مريم ﴿وجعلناها وابنها﴾ أي: حالهما ﴿آية﴾ عظيمة ﴿للعالمين﴾ وعلامة دالة على القدرة الكاملة لأهل زمانهما ولمن بعدهما فإن من تأمل في ظهور ولد من بتول عذراء من غير فعل تحقق كمال قدرته تعالى ولم يقل آيتين لأنها قصة واحدة وهي ولادتها له من غير ذكر ولكل واحد منهما آيات مستقلة متكاثرة كما أشير إلى بعض منها في القرآن وإلى بعض آخر في التفاسير وكتب القصص، وفي «المنثوي»:

صومعه عيسىست خوان اهل دل	هان هان ای مبتلا این درمهل
جمع کشتندی زهر اطراف خلق	از ضریر وشل ولنگ واهل دلق
بر درآن صومعه عیسی صباح	تابدم اوشان رهاند ازجناح
او چو کشتی فارغ از اوراد خویش	چاشکه بیرون شدی آن خوب کیش
جوق جوقی مبتلا دیدی نزار	شسته برادر برامید وانتظار
کفتی ای أصحاب آفت ازخدا	حاجت ومقصود جمله شد روا
بی توقف جمله شادان درامان	ازدعای او شدندی پادوان
ازدر دل واهل دل آب حیات	چند نوشیدی وواشد چشمهات
آزمودی توبسی آفات خویش	یافتی صحت ازین شاهان کیش
باز این دررا رها کردی زحرص	کرد هرذکان همی کردی زحرص
بردر آن منعمان چرب دیک	میدوی بهر ثرید مرده ریک
چربش اینجا دانکه جان فربه شود	کار نا امید اینجا به شود

ومن عجائب عيسى عليه السلام أن أمه ذهبت به إلى صباغ وقالت له: خذ هذا الغلام وعلمه شيئاً من صنعتك فأخذه منها وقال: ما اسمك يا غلام فقال: عيسى ابن مريم فقال له: يا عيسى خذ هذه الجرة واملأ هذه النقائر من هذا النهر ففعل فأعطاه الصباغ الثياب وقال له: ضع كل لون مع ثيابه في نقير ثم تركه وانصرف إلى منزله فأخذ عيسى الثياب جميعاً ووضعها

في نقير واحد ووضع عليها الأصباغ جملة واحدة وانصرف إلى أمه ثم عاد من الغد وجاء الصباغ فرأى الثياب والأصباغ كلها في نقير واحد فغضب وقال: أتلفتني وأتلفت ثياب الناس فقال له عيسى ما دينك؟ قال: يهودي فقال له: قل لا إله إلا الله وأني عيسى روح الله ثم أدخل يدك في هذا النقير وأخرج كل ثوب على اللون الذي يريده صاحبه فهداه الله تعالى ففعل فكان الأمر كما قال عيسى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾

﴿إن هذه﴾ أي: ملة التوحيد والإسلام أشير إليها بهذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها في الصحة والسداد ﴿أمتكم﴾ أيها الناس أي: ملتكم التي يجب أن تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلو بشيء منها ﴿أمة واحدة﴾ نصب على الحالية من أمتكم أي: غير مختلفة فيما بين الأنبياء فإنهم متفقون في الأصول وإن كانوا مختلفين في الفروع بحسب الأمم والأعصار. قال في «القاموس»: الأمة جماعة أرسل إليهم رسول انتهى فأصلها القوم الذي يجتمعون على دين واحد ثم اتسع فيها فأطلقت على ما اجتمعوا عليه من الدين والملة واشتقاقها من أم بمعنى قصد فالقوم هم الجماعة القاصدة وما اجتمعوا عليه هو الملة المقصودة ﴿وأنا ربكم﴾ لا إله لكم غيري ﴿فاعبدون﴾. خاصة لا غير ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة. القطع فصل الشيء مدركاً بالبصر كالأجسام أو بالبصيرة كالأشياء المعقولة والتفعل هنا للتعدية نحو علمته الفقه فتعلم الفقه والمعنى جعل الناس أمر الدين قطعاً واختلّفوا فيه فصاروا فرقاً كأنه قيل ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء حيث جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً فأصاب كل جماعة قطعة من الدين فصاروا بتقطع دينهم كأنهم قطع شتى يلعن بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض كما قال الكاشفي: [وبيريدند امم ماضيه كاردين خودرا درميان خود يعني فرقه فرقه شدند چون يهود ونصارى وهريك تكفير ديكرى كرنند] وقد ثبت أن أمة إبراهيم عليه السلام صاروا بعده سبعين فرقة وأمة موسى عليه السلام إحدى وسبعين وأمة عيسى عليه السلام ثنتين وسبعين وأمة محمد ﷺ ثلاثاً وسبعين كلهم في النار إلا واحدة وهي التي لا يشوبون ما عين الله ورسوله بشيء من الهوى ﴿كل﴾ أي: كل واحدة من الفرق المتقطعة ﴿إلينا﴾ لا إلى غيرنا ﴿راجعون﴾ بالبعث فنجازيهم حيثنّ بحسب أعمالهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الخلق تفرقوا في أمرهم فمنهم من طلب الدنيا، ومنهم من طلب الآخرة، ومنهم من طلب الله تعالى ثم قال: ﴿كل إلينا راجعون﴾ فأما طالب الدنيا فراجع إلى صورة قهرنا وهي جهنم وأما طالب الآخرة فراجع إلى صورة لطفنا وهي الجنة وأما طالبنا فراجع إلى وحدانيتنا ثم فصل الجزاء بقوله:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٩٤﴾ وَإِنَّا لَهُمْ كَافُونَ ﴿٩٥﴾ وَكَرِهَ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ فَأَجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٧﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّوْنَا قَدْرًا كُنَّا فِي عَفْوَ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٨﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿٩٩﴾

﴿فمن﴾ [يس هركه] ﴿يعمل من الصالحات﴾ أي: بعض الصالحات ﴿وهو﴾ أي: والحال أنه ﴿مؤمن﴾ بالله ورسله ﴿فلا كفران لسعيه﴾ أي: لا حرمان لثواب عمله استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لإعطائه يعني شبه رد العمل ومنع الثواب بالكفران الذي هو ستر النعمة وإنكارها وشبه قبول العمل وإعطاء الثواب بمقابلته بشكر المنعم عليه للنعم فأطلق عليه الشكر كما قال: ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤] والسعي في الأصل المشي السريع وهو دون العدو ويستعمل للجد في الأمر خيراً كان أو شراً وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة ﴿وإننا له﴾ أي: لسعيه ﴿كاتبون﴾ أي: مثبتون في صحائف أعمالهم لا تغادر من ذلك شيئاً [مزدكار نيكوان ضائع نباشد نزد حق] لا يضيع الله في الدارين أجر المحسنين.

﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ حرام خبر لقوله ﴿أنهم لا يرجعون﴾ والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله كل إلينا راجعون والحرمان مستعار لممتنع الوجود بجامع أن كل واحد منهما غير مرجو الحصول. والقرية اسم للمصر الجامع كما في «القاموس» واسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس كما في «المفردات» فعلى هذا تطلق على ما يعبر عنه بالفارسية [سيهر وكوي] ومعنى التحقيق في أن معتبر في النفي المستفاد من حرام على أن المعنى وممتنع البتة على أهل القرية المهلكة عدم رجوعهم إلينا للجزاء لا في المنفي على معنى أن عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله كل إلينا راجعون لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى قلوب أهل الأهواء والبدع المهلكة باعتقاد السوء ومخالفات الشرع أنهم لا يتوبون إلى الله ولا يرجعون إلى الحق يدل على هذا التأويل قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْرٍ﴾ [الجاثية: ٢٣].

﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ حتى هنا ليس بحرف جر ولا حرف عطف بل حرف يتبدأ بعدها الكلام غاية لما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى إذا قامت القيامة يرجعون إلينا ويقولون ﴿يا ويلنا﴾ الخ وإذا شرطية ويأجوج ومأجوج قبيلتان من الإنس يقال الناس عشرة أجزاء: تسعة منها يأجوج ومأجوج والمراد بفتحها فتح سدها على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وقد سبق قصة يأجوج ومأجوج وبناء السد عليهم وفتحها في آخر الزمان في سورة الكهف ﴿وهم﴾ أي: والحال أن يأجوج ومأجوج ﴿من كل حدب﴾ مرتفع من الأرض وتل. قال الراغب: يجوز أن يكون الأصل في الحدب حذب الظهر وهو خروجه ودخول الصدر والبطن ثم شبه به ما ارتفع من الأرض فسمى حدباً ومنه محدب الفلك ﴿ينسلون﴾ ينزلون مسرعين وأصله مقاربة الخطو مع الإسراع. وفي «بحر العلوم» من نسل الذئب إذا أسرع في مشيه.

- روي - أنهم يسيرون في الأرض ويقبلون على الناس من كل موضع مرتفع. قال الكاشفي: [همه عالم را فرا كيرند وآبهای دریاها تمامی بیاشامند واز خشک وتر هرچه یابند بخورند] ﴿واقترب الوعد الحق﴾ عطف على فتحت والمراد ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ جواب الشرط وإذا للمفاجأة والضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم لأبصار والجملة خبر ضمير القصة مفسرة له يقال شخص بصره فهو شاخص إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف وبصره رفعه وشخص شخصاً ارتفع والمعنى

بالفارسية [پس آنجا قصه آنست که خیره و بازمانده است از هول رستخیز دیدهای کفار] وفي الآية دلالة على أن قيام الساعة لا يتأخر عن خروج يأجوج ومأجوج كما روي عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: لو أن رجلاً اقتنى فلولاً بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة والفلول المهر أي: ولد الفرس. فإن قيل فتح السد واقترب الوعد الحق يحصل في آخر أيام الدنيا والجزاء وشخص الأَبصار إنما يحصل يوم القيامة والشرط والجزاء لا بد وأن يكونا متقاربين. فالجواب أن التفاوت القليل يجري مجرى العدم ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ [وای برما] وهو على تقدير قول وقع حالاً من الموصول أي: يقولون يا ويلنا تعال فهذا أو أن حضورك ﴿قد كنا في غفلة﴾ تامة في الدنيا والغفلة سهو يعتري من قلة التحفظ والתיقظ ﴿من هذا﴾ أي: من البعث والرجوع إليه للجزاء ولم نعلم أنه حق ﴿بل كنا ظالمين﴾ إضراب عما قبله من وصف أنفسهم بالغفلة أي: لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالآيات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الآيات والنذر مكذبين بها أو ظالمين لأنفسنا بتعريضها للعباد بالخالد بالتكذيب فليتكفر العاقل في هذا البيان والتذكار فقد نبه الله وقطع الأعذار وفي الحديث: «يقول الله يا معشر الجن والإنس إني قد نصحت لكم فإنما هي أعمالكم في صحفكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه». وعن بعض الحكماء أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازته فقال: لو تترحمون على أنفسكم لكان خيراً لكم أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال: أولها رؤية ملك الموت، والثاني مرارة الموت، والثالث خوف الخاتمة، قال الشيخ سعدی:

خبر داری أي: استخوانی قفس	که جان تو مرغیست نامش نفس
چو مرغ از قفس رفت بکسست قید	دکره نکردد بسعی توصید
سر از جیب غفلت بر آور کنون	که فردا نماند بخجلت نکون
اگر مرد مسکین زنان داشتی	بفریاد وزاری فغان داشتی
که ای زنده چون هست امکان گفت	لب از ذکر چون مرده برهم مخفت
جو مارا بغفلت بشد روزگار	توباری دمی چند فرصت شمار

﴿إنکم﴾ یا أهل مكة ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ أي: والأصنام التي تعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وذلك بشهادة ما فإنها لما لا يعقل فخرج عزير وعيسى والملائكة ﴿حصب جهنم﴾ بفتح المهملتين اسم لما يحصب أي: يرمي في النار فتهيج به من حصبه إذا رماه بالحصباء ولا يقال له حصب إلا وهو في النار وأما قبل ذلك فيقال له حطب وشجر وخشب ونحو ذلك والمعنى تحصبون في جهنم وترمون فتكونون وقودها. وهو بالفارسية [آتش انکیز] ﴿أنتم لها واردون﴾ داخلون على طريق الخلود والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا [درتبیان گفته که حکمت ایراد بتان بدوزخ زیادت تعذیب بت پرستانست چه بدانها آتش افروخته کردد و احتراق ایشان بیفزاید].

﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهاَ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

﴿لو كان هؤلاء آلهة﴾ الأصنام ﴿آلهة﴾ على الحقيقة كما يزعمون ﴿ما وردوها﴾ ما دخلوها وحيث تبين ورودهم إياها تعين امتناع كونهم آلهة بالضرورة ﴿وكل﴾ من العابدين والمعبودين

﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا خلاص لهم منها ﴿لهم فيها زفير﴾ الزفير ترديد النفس حتى تنتفخ الضلوع منه أي: أنين وتنفس شديد وهو مع كونه من أفعال العبدَة أضيف إلى الكل للتغليب ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ أي: لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب. وعن ابن مسعود رضي الله عنه يجعلون في توايت من نار ثم تجعل تلك التوايت في توايت أخرى ثم تلك في أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئاً ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ثم بين أحوال أضداد هؤلاء فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَى﴾ الخصلة الحسنی التي هي أحسن الخصال وهي السعادة وهو كافة المؤمنين الموصوفين بالإيمان والأعمال الصالحة أو سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة ﴿أُولَئِكَ﴾ المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل ﴿عَنهَا﴾ أي: عن جهنم ﴿مبْعَدُونَ﴾ [دور كرده شد كاند] لأنهم في الجنة وشتان بينها وبين النار لأن الجنة في أعلى عليين والنار في أسفل السافلين [صاحب بحر فرموده كه سبق عنايت ازليه دريدايت موجب ظهور ولايت است در نهايت هرتخم كه درازل بكشتند نهان در مزرعه ابد برويد بعيان]. قال بعض الكبار ظاهر حسن العناية السابقة لأهل الاصطفاء أربعة أشياء: الانفراد من الكونين، والرضى بقاء الله عن الدارين، وإمضاء العيش مع الله بالحرمة والأدب، وظهور أنوار قدرة الله منهم بالفراسات الصادقة والكرامات الظاهرة. وباطن حسن العناية السابقة من الله في الأزل لهم أربعة أيضاً: المواجيد الساطعة، وانفتاح العلوم الغيبية، والمكاشفات القائمة، والمعارف الكاملة وفي كل موضع ظهرت هذه الأشياء بالظاهر والباطن صار صاحبها مشهوراً في الآفاق بسمات الصديقين وعلامات المقربين وخلافة سيد المرسلين. وقال بعضهم الحسنی العناية والاختيار والهداية والعطاء والتوفيق فبالعناية وقعت الكفاية وبالاختيار وقعت الرعاية وبالهداية وقعت الولاية وبالعطاء وقعت الحكمة وبالتوفيق وقعت الاستقامة، قال الشيخ سعدي قدس سره:

نحست او ارادت بدل بر نهاد پسین بنده بر آستان سرنهاد
چه اندیشی از خود که فعلم نکوست ازان درنکه کن که توفیق اوست
برد بوستان بان بایوان شاه بتحفه ثمر هم زیستان شاه

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾

﴿لا يسمعون حسيستها﴾ الحسيس صوت يحس به أي: لا يسمعون صوتها سمعاً ضعيفاً كما هو المعهود عند كون المصوت بعيداً وإن كان صوته في غاية الشدة لا أنهم لا يسمعون صوتها الخفي في نفسه فقط. قال الصادق: كيف يسمعون حسيستها والنار تخمد لمطالعتهم وتتلأشى برؤيتهم وفي الحديث «تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»، وفي المثنوي:

ز آتش مؤمن ازین رو ای صفی میشود دوزخ ضعیف ومنطفی
کویدش بکذر سبک ای محتشم ورنه ز آتشهای تومرد آتشم

وفي «التأويلات النجمية» ومن آثار سبق العناية الأزلية أن لا يسمعون حسيس جهنم القهر

وحسبها مقالات أهل الأهواء والبدع وأدلة الفلاسفة وبراهينهم بالعقول المشوبة بالوهم والخيال وظلمة الطبيعة ﴿وهم فيما اشتتت أنفسهم خالدون﴾ دائمون في غاية التمتع والاشتتاء والشهوة طلب النفس اللذة وتقديم الظرف للقصر والاهتمام وهو بيان لفوزهم بالمطالب إثر بيان خلاصهم من المهالك. قال ابن عطاء للقلوب شهوة وللأرواح شهوة وللنفوس شهوة وقد يجمع الله لهم في الجنة جميع ذلك فشهوة الأرواح القرب وشهوة القلوب المشاهدة والرؤية وشهوة النفوس الالتذاذ بالراحة والأكل والشرب والزينة.

﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾ بيان لنجاتهم من الافزع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لأنهم إذا لم يحزنهم أكبر الافزع لا يحزنهم ما عداه بالضرورة والفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع ولا يقال فزعت من الله كما يقال خفت منه. قال الراغب الفزع الأكبر هو الفزع من دخول النار. وقال بعضهم ذبح الموت بمرأى من الفريقين وإطباق جهنم على أهلها أي: وضع الطبق عليها بعدما أخرج منها من أخرج فيفزع أهلها حينئذ فزعاً شديداً لم يفزعوا فزعاً أشد منه. وقال بعض أرباب الحقيقة هو قوله تعالى في الأزل «هؤلاء في الجنة ولا أبالي» وذلك لأن نفوسهم المطمئنة في الجنة المضافة إلى الحضرة كما قال تعالى: ﴿وَأَدْخُلْ جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٣٠] فافهم جداً ﴿وتلقاهم الملائكة﴾ أي: تستقبلهم ملائكة الرحمة مهنيين لهم ﴿هذا يومكم﴾ على إرادة القول أي: قائلين هذا اليوم يومكم ﴿الذي كنتم توعدون﴾ في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات على الإيمان والطاعة. قال الكاشفي: [عابدانرا كويند اين روز جزای شماس ت عارفانرا خطاب رسدكه اين روز تماشاى شماس ت]:

نيك مردانرا نعيم اندر نعيم عشق بازانرا لقا اندر لقاء
حصه آنها وصال حور عين بهره اينها جمال كبيريا
فليجتهد العاقل في الطاعات حتى يصل إلى القربات وليبعد نفسه عن المخالفات ليأمن

من العقوبات.

واعلم أن الدار الآخرة وثوابها إنما ينال إليها بترك الدنيا وزخارفها كما أن وصلة المولى لا تحصل إلا بترك الكونين فمن كان مشتتاه الجنة ونعيمها فليترك اللذة في الدنيا ومن كان مشتتاه المشاهدات فليقطع نظره عن غير الله تعالى. قال في الفتوحات الملكية: اجمع أهل كل ملة على أن الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا إن الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفاً على نفسه من الفتنة التي حذرها الله منها بقوله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥] انتهى كلامه. قال الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رحمه الله: ومن فوائد الرهبان أنهم لا يدخرون قوتاً لغد لا يكنزون فضة ولا ذهباً قال ورأيت شخصاً قال لراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر إلى الدنيا منهى عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصاً ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلقت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا: رأوا على عمامته نصفاً مربوطاً فقلت لهم: ربط الدرهم مذموم فقالوا: نعم عندنا وعند نبيكم ﷺ. قال بعض الحكماء إن في الجنة راحة لا يجدها إلا من لم يكن له في الدنيا راحة وفيها غنى لا يجده إلا من ترك الفضول في الدنيا واقتصر على اليسير منها وفيها أمن لا يجده إلا أهل

الخوف والفزع في الدنيا:

لا تخافوا هست نزل خائفان هست درخو رازبر اي خائف آن

وفيها ما تشتهي الأنفس لا يجده إلا أهل الزهد. وعن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلًا وملحاً من غير خبز فقال له رجل: اقتصرت على هذا قال: نعم لأنني إنما جعلت الدنيا للجنة وأنت جعلت الدنيا للمزلة يعني تأكل الطيبات فتصير إلى المزلة وإنني أكل لإقامة الطاعات لعلني أصير إلى الجنة نسأل الله الفيض والجود والتوفيق بطريق الشهود.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (١١٤)

﴿يوم نطوي السماء﴾ منصوب باذكر والطي ضد النشر ﴿كطي السجل﴾ وهي الصحيفة أي: طياً كطي الطومار ﴿للكتب﴾ متعلقة بمحذوف هو حال من السجل أي: كائناً للكتب عبارة عن الصحائف وما كنت فيها فسجلها بعض أجزاءها وبه يتعلق الطي حقيقة. وقال الإمام السهيلي ذكر محمد بن حسن المقرئ عن جماعة من المفسرين أن السجل ملك في السماء الثالثة ترفع إليه أعمال العباد ترفعها إليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من أعوانه فيما ذكروا هاروت وماروت. وفي السنن لأبي داود: السجل كاتب كان للنبي عليه السلام وهذا لا يعرف في كتاب النبي ولا في أصحابه من اسمه السجل ولا وجد إلا في هذا الخبر انتهى كلام السهيلي رحمه الله. قال في «إنسان العيون»: لم يذكر في القرآن من الصحابة رضي الله عنهم أحد باسمه إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه الذي تبناه رسول الله ﷺ كما لم يذكر امرأة باسمها إلا مريم. قال ابن الجوزي إلا ما يروى في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ إلى آخره اسم رجل كان يكتب لرسول الله عليه السلام انتهى. وفي «القاموس» السجل اسم كاتب للنبي عليه السلام واسم ملك ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ ما كافة تكف الكاف عن العمل وأول مفعول لبدأنا أي: نعيد ما خلقناه مبتدأ إعادة مثل بدأنا إياه في كونهما إيجاداً بعد العدم وهو لا ينافي لإعادة من عجب الذنب. قال في «البحر» أي: نعيد أول الخلق كما بدأناه تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة القديمة لهما على السواء ﴿وعداً﴾ أي: وعدنا الإعادة وعداً ﴿علينا﴾ أي: علينا إنجازه وبالفارسية [برماست وفاکردن بدان] ﴿إنا كنا فاعلين﴾ ذلك لا محالة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى طي سماء الوجود الإنساني بتجلي صفة الجلال في إفناء مراتب الوجود من الانتهاء إلى الابتداء كما بدأنا أول خلق من ابتداء النطفة بالتدرج من خلق النطفة علقه ومن خلق العلقه مضغة ومن خلق المضغة عظماً إلى انتهاء خلق الإنسان ومن وصف النباتية إلى وصف المركبية ومن وصف المركبية إلى وصف مفردات العنصرية ومن وصف المفردة إلى وصف الملكوتية ومن وصف الملكوتية إلى وصف الروحانية ومن وصف الروحانية إلى وصف الربوبية بجذوة ارجعي إلى ربك وعداً علينا في الأزل إنا كنا فاعلين إلى الأبد.

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (١١٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَعًا لِقَوْمٍ عَكِيدِينَ ﴿١١٦﴾

﴿ولقد كتبنا في الزبور﴾ وهو كتاب داود عليه السلام كما قال: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣] ﴿من بعد الذكر﴾ أي: بعدما كتبنا في التوراة لأن كل كتاب سماوي ذكر كما

سبق. قال الراغب زبرت الكتاب كتبته كتابة غليظة وكل كتاب غليظ الكتابة يقال له الزبور وخص بالكتاب المنزل على داود. قيل: بل الزبور كل كتاب يصعب الوقوف عليه من الكتب الإلهية. وقال بعضهم اسم للكتاب المقصور على الحكمة العقلية دون الأحكام الشرعية والكتاب لما يتضمن الأحكام والحكم ويدل على ذلك أن زبور داود لا يتضمن شيئاً من الأحكام. قال في «القاموس» الزبور الكتاب بمعنى المزبور والجمع زبر وكتاب داود عليه السلام انتهى ﴿أَنْ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ أي: عامة المؤمنين بعد إجماع الكفار كما قال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ۵۵] وهذا وعد منه بإظهار الدين وإعزاز أهله. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن المراد أرض الجنة كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوْا مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ۷۴]. قال في «عرائس البقلي»: كان في علم الأزلية أن أرض الجنان ميراث عباده الصالحين من الزهاد والعباد والأبرار والأخيار لأنهم أهل الأعواض والثواب والدرجات وأن مشاهدة جلال أزليته ميراث أهل معرفته ومحبه وشوقه وعشقه لأنهم في مشاهدة الربوبية وأهل الجنة في مشاهدة العبودية. قال سهل أضافهم إلى نفسه وحلاهم بحلية الصلاح معناه لا يصلح لي إلا ما كان لي خالصاً لا يكون لغيري فيه أثر وهم الذين أصلحوا سريرتهم مع الله وانقطعوا بالكلية عن جميع ما دونه. وقال الشيخ المغربي قدس سره:

مجوى دردل ما غير دوست زآنكه نيابى ازآنكه دردل محمود جزاياز نباشد

﴿إِنْ فِي هَذَا﴾ أي: فيما ذكر في السورة الكريمة من الأخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والبراهين القاطعة على التوحيد وصحة النبوة ﴿لِبَلَاغَةٍ﴾ أي: كفاية ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي: لقوم همهم العبادة دون العادة.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا يُدْعِي إِلَى الْوَحْدَةِ إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١٧٨﴾

﴿وما أرسلناك﴾ يا محمد بما ذكر وأمثاله من الشرائع والأحكام وغير ذلك من الأمور التي هي مناط السعادة في الدارين في حال من الأحوال ﴿إِلَّا﴾ حال كونك ﴿رحمة للعالمين﴾ فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشاطين ومن أعرض عنه واستكبر فإنما وقع في المحنة من قبل نفسه فلا يرحم وكيف كان رحمة للعالمين وقد جاء بالسيف واستباحة الأموال. قال بعضهم: جاء رحمة للكفار أيضاً من حيث إن عقوبتهم أخرت بسببه وأمنوا به عذاب الاستئصال والخسف والمسخ ورد في الخبر أنه عليه السلام قال لجبريل: «إن الله يقول وما أرسلناك إلى آخره فهل أصابك من هذه الرحمة» قال: نعم إني كنت أخشى عاقبة الأمر فأمنت بك لثناء أثنى الله علي بقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٌ ثُمَّ آمِنٌ ﴿٢١﴾ [التكوير: ۲۰-۲۱]. قال الكاشفي: [در كشف الأسرار آورده که از رحمت وی بود که امت را در هیچ مقام فراموش نکرد اگر درمکه معظمه بود واکر در مدینه زاهره اگر در مسجد مکرم بود واکر در حجره طاهره همچنین در ذروه عرش اعلى ومقام قاب قوسین او ادنی یاد فرمود که «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فردا در مقام محمود بساط شفاعت کسترده کوید امتی امتی]:

عاصيان پرکنه در دامن آخر زمان دست درد امان تودارندو جان در آستین
 نا امید از حضرت بانصرت نتوان شدن چون تویی درهر دو عالم رحمة للعالمین
 قال بعض الکبار: وما أرسلناک إلا رحمة مطلقة تامة كاملة عامة شاملة جامعة محیطة
 بجميع المقیدات من الرحمة الغیبیة والشهادة العلمیة والعینیة والوجودیة والشهویدیة والسابقة
 واللاحقة وغير ذلك للعالمین جمع عوالم ذوی العقول وغيرهم من عالم الأرواح والأجسام
 ومن كان رحمة للعالمین لزم أن یكون أفضل من كل العالمین وعبارة ضمیر الخطاب فی قوله:
 ﴿وما أرسلناک﴾ خطاب للنبی علیه السلام فقط وإشارته خطاب لكل واحد من ورثته الذین هم
 على مشربه إلى یوم القيامة بحسب کونه مظهراً لارثه. وقال بعض الکبار: إنما كان رحمة
 للعالمین بسبب اتصافه بالخلق العظیم ورعايته المراتب كلها فی محالها کالملک والملکوت
 والطبیعة والنفس والروح والسر.

وفي «التأویلات النجمیة» فی سورة مریم بین قوله: ﴿ورحمة منا﴾ فی حق عیسی و بین
 قوله فی حق نبینا علیه السلام ﴿وما أرسلناک إلا رحمة للعالمین﴾ فرق عظیم وهو أنه فی حق
 عیسی ذکر الرحمة مقیدة بحرف من ومن للتبعیض فهذا كان رحمة لمن آمن به واتبع ما جاء به
 إلى أن بعث نبینا علیه السلام ثم انقطعت الرحمة من أمته بنسخ دینه وفي حق نبینا علیه السلام
 ذکر الرحمة للعالمین مطلقاً فهذا لا تنقطع الرحمة عن العالمین أبداً أما فی الدنیا فبأن لا ینسخ
 دینه وأما فی الآخرة فبأن یكون الخلق محتاجین إلى شفاعته حتی إبراهیم علیه السلام فافهم
 جداً. قال فی «عرائس البقلی»: أيها الفهیم إن الله أخبرنا أن نور محمد علیه السلام أول ما
 خلقه ثم خلق جمیع الخلائق من العرش إلى الثرى من بعض نوره فإرساله إلى الوجود والشهود
 رحمة لكل موجود إذ جمیع صدر منه فکونه کون الخلق وکونه سبب وجود الخلق وسبب
 رحمة الله على جمیع الخلائق فهو رحمة کافیة وافهم أن جمیع الخلائق صورة مخلوقة مطروحة
 فی فضاء القدرة بلا روح حقیقة منتظرة لقدم محمد علیه السلام فإذا قدم إلى العالم صار
 العالم حياً بوجوده لأنه روح جمیع الخلائق. ویا عاقل إن من العرش إلى الثرى لم یخرج من
 العدم إلا ناقصاً من حیث الوقوف على أسرار قدمه بنعت کمال المعرفة والعلم فصاروا عاجزین
 عن البلوغ إلى شط بحار الألوهیة وسواحل قاموس الکبریائیة فجاء محمد علیه السلام اکسیر
 أجساد العالم وروح أشباحه بحقائق علوم الأزلیة وأوضح سبیل الحق للخلق بحیث جعل سفر
 الآزال والآباد للجمیع خطوة واحدة فإذا قدم من الحضرة إلى سفر القرية بلغهم جمیعاً بخطوة
 من خطوات صحاري ﴿سُبْحَنَ الَّذِیْ أَمَرْتُ بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١] حتی وصل إلى مقام أو أدنى
 فغفر الحق لجمیع الخلائق بمقدمه المبارک. قال بعض العلماء: إن كل نبی كان مقدمة للعقوبة
 لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ونبینا علیه السلام كان مقدمة
 للرحمة لقوله: ﴿وما أرسلناک﴾ إلى آخره وأراد الله تعالى أن یكون خاتمة على الرحمة لا على
 العقوبة لقوله تعالى: «سبقت رحمتي على غضبي» ولهذا جعلنا آخر الأمم فابتداء الوجود رحمة
 وآخره وخاتمته رحمة.

واعلم أنه لما تعلق إرادة الحق بإيجاد الخلق أبرز الحقیقة الأحمدیة من کمون الحضرة
 الأحدیة فمیزه بمیم الامکان وجعله رحمة للعالمین وشرف به نوع الإنسان ثم انبجست منه
 عیون الأرواح ثم بدا ما بدا فی عالم الأجساد والأشباح كما قال علیه السلام: «أنا من الله

والمؤمنون من فيض نوري» فهو الغاية الجليلة من ترتيب مبادي الكائنات كما قال تعالى:
«لولاك لما خلقت الأفلاك»:

علت غائبه هر عالم اوست سرور اولاد بنی آدم اوست
واسطه فیض وجودی همه رابطه بود ونبودی همه
قال العرفي الشيرازي في قصيدته النعتية:
ازبس شرف کوهر تومنشیء تقدیر آن روزکه بکذا شتی اقلیم عدم را
تاحکم نزول تودرین دار نوشته است صدره بعبث باز تراشیده قلم را
المراد من العبث مقلوبه وهو البعث يعني يكفيك شرفاً وفضلاً أن الله سبحانه إنما خلق
الخلق وبعث الأنبياء والرسل ليكونوا مقدمة لظهورك في عالم الملك والشهادة فأرواحهم
وأجسادهم تابعة لروحك الشريف وجسمك اللطيف.

ثم اعلم أن حياته عليه السلام رحمة ومماته رحمة كما قال: «حياتي خير لكم ومماتي
خير لكم» قالوا هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض عليّ أعمالكم كل
عشية الاثنين والخميس فما كان من خير حمدت الله تعالى وما كان من شر أستغفر الله لكم»،
قال المولى الجامي:

زمهجوری برآمد جان عالم ترحم یا نبی الله ترحم
نه آخر رحمة للعالمینی زمحرومان چرا فارغ نشینی
زخاک ای لاله سیراب برخیز چونرکس چند خواب از خواب برخیز
اگرچه غرق دریای کناهم فناده خشک لب برخاک راهم
تو ابر رحمتی آن به که کاهی کنی درحال لب خشکان نکاهی

﴿قل إنما يوحى إليّ أنما إليكم إله واحد﴾ أي: ما يوحى إليّ إلا أنه لا إله لكم إلا إله
واحد وحاصله ما يوحى إليّ شيء غير التوحيد ومعنى القصر مع أنه قد أوحى إليه التوحيد
وغيره من الأحكام كون التوحيد مقصوداً أصلياً من البعثة فإن ما عداه متفرع عليه وإنما الأولى
لقصر الحكم على الشيء كقولك إنما يقوم زيد أي: ما يقوم إلا زيد والثانية لقصر الشيء على
الحكم نحو إنما زيد قائم أي: ليس له إلا صفة القيام. قال ابن الشيخ فإن قلت هذا الحصر
يستلزم أن لا يكون الله تعالى موصوفاً بغير الوحدانية مع أن له تعالى من صفات الجلال
والجمال ما لا يحصى فالجواب أن القصر ليس حقيقياً إذ المقصود نفي ما يصفه المشركون
﴿فهل أنتم مسلمون﴾ أي: مخلصون العبادة لله تعالى مخصصونها به سبحانه وتعالى.
وبالفارسية [پس آیا هستید شما کردن نهاد كان مقتضای وحی را] والفاء للدلالة على أن ما قبلها
موجب لما بعدها يعني أن العاقل إذا خلى ونفسه بعدما قرىء عليه ما قبله ينبغي بل يجب أن لا
يتوقف في التوحيد وإدعائه وقوله.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَذْرَتْ أَقْرَبُ أَمَّ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ﴾ (١١٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١٢٠﴾

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإسلام ولم يلتفتوا إلى ما يوجبه من الوحي ﴿فقل﴾ لهم
﴿آذنتكم﴾ أعلمتكم ما أمرت به من وجوب التوحيد والتنزيه وبالفارسية [آگاه کردم شمارا]

﴿على سواء﴾ كائنين على سواء في الإعلام به لم أطوه عن أحد منكم وما فرقت بينكم في النصيح وتبليغ الرسالة فهو حال من مفعول آذنتكم ﴿وإن أدري﴾ أي: ما أعلم ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ من غلبة المسلمين وظهور الدين أو الحشر مع كونه آتياً لا محالة ولا جرم أن العذاب والذلة يلحفكم. وفي «الأسئلة المقحمة» كيف قال هذا وقد قال ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] فذلك يوم القيامة وهو قريب كما قال تعالى: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١].

﴿إنه﴾ تعالى ﴿يعلم الجهر من القول﴾ أي: ما تجاهرون به من الطعن في الإسلام وتكذيب الآيات ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الحسد والعداوة للرسول وللمسلمين فيجازيكم عليه فقيراً وقطيماً وتكرير العلم في معنى تكرير الوعيد. قال بعض الكبار: كيف يخفى على الحق من الخلق خافية وهو الذي أودع الهياكل أوصافها من الخير والشر والنفع والضرر فما يكتمونه أظهر مما يبدونه وما يبدونه مثل ما يكتمونه جل الحق أن يخفى عليه خافية وهو الذي قال:

يرو علم يك ذره پوشيده نیست که پیدا وپنهان بنزدش یکیست

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يعلم ما تجهرون﴾ من دعاوي الإسلام والإيمان والزهد والصلاح والمعارف ﴿ويعلم ما تكتمون﴾ من الصدق والإخلاص أو الرياء والسمعة والنفاق.

﴿وإن أدري لعلهم فتنه لكم ومنع إلى حين﴾ ﴿قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾

﴿وإن﴾ ما ﴿أدري لعله﴾ لعل تأخير جزائكم ﴿فتنة لكم﴾ استدراج لكم وزيادة في افتتانكم لما كان الاستدراج سبباً للفتنة والعذاب أطلق عليه لفظ الفتنة مجازاً مرسلأ أو امتحان لكم كيف تعملون أي: معاملة تشبيهية بالامتحان على طريق الاستعارة التمثيلية ﴿ومتاع إلى حين﴾ وتمتع لكم إلى أجل مقدر يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون ذلك حجة عليكم وليقع الجزاء في وقت هو فيه حكمة.

﴿قال﴾ الرسول فهو حكاية لدعائه عليه السلام ﴿رب﴾ [أي پروردگار من] ﴿أحكم بالحق﴾ أي: اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم ﴿وربنا﴾ مبتدأ خبره قوله: ﴿الرحمن﴾ كثير الرحمة على عباده وهي إن كانت بمعنى الانعام فمن صفات الفعل وإن أريد بها إرادة إيصال الخير فمن صفات الذات ﴿المستعان﴾ خبر آخر أي: المطلوب منه المعونة، يعني: [يأري آور خواهنده] ﴿على ما تصفون﴾ من الحال فإنهم كانوا يقولون إن الشوكة تكون لهم [ورایت اسلام ودين دم بدم نكونسار خواهد شد] وإن المتوعد لو كان حقاً لنزل بهم إلى غير ذلك مما لا خير فيه، يعني: [شما سخن ناسزا ميگوويد وما از خدای بران یاری خواهيم واميدواری از درگاه حضرت او داريم]:

مراد خویش ز درگاه پادشاهی خواه که هیچکس نشود نا امید ازان درگاه

فاستجاب الله تعالى دعاء رسوله فخبب آمالهم وغير أحوالهم ونصر أوليائه عليهم فأصابهم يوم بدر ما أصابهم. وفي الآية إشارة إلى أنه لا يطلب من الله تعالى ولا يطمع في حق المطيع والعاصي إلا ما هو مستحقه وقد جرى حكم الله فيها في الأزل وأن رحمته غير متناهية وإن كانت أنواعها مائة على ما قال عليه السلام: «إن لله مائة رحمة» فعلى العاقل أن لا يغتر

بطول العمر وكثرة الأموال والأولاد فإن الاغترار بذلك من صفات الكفرة. ومن كلمات أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد يمكر به فهو مخدوع عن عقله. قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله لرجل أدرهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة فقال: كذبت لأن الذي تحبه في الدنيا كأنك تحبه في المنام والذي لا تحبه في الآخرة كأنك لا تحبه في اليقظة نسأل الله العصمة والتوفيق.

تمت سورة الأنبياء في الخامس من شهر الله رجب
من سنة ست ومائة وألف من الهجرة

تم المجلد الخامس من تفسير روح البيان
ويتلوه المجلد السادس بعناية الرب المنان

فهرس السور والآيات

٤٣ الآيات : ٥١ - ٥٧		سورة النحل
٤٥ الآيات : ٥٨ - ٦٠	٣ الآية : ١
٤٦ الآيات : ٦١ - ٦٣	٤ الآية : ٢
٤٨ الآيات : ٦٤ - ٦٦	٦ الآيات : ٣ - ٦
٥٠ الآية : ٦٧	٩ الآيتان : ٧ و ٨
٥٢ الآيات : ٦٨ - ٧٠	١٣ الآيات : ٩ - ١١
٥٧ الآية : ٧١	١٧ الآية : ١٢
٥٩ الآيتان : ٧٢ و ٧٣	١٨ الآية : ١٣
٦٠ الآيتان : ٧٤ و ٧٥	١٩ الآية : ١٤
٦١ الآيتان : ٧٦ و ٧٧	٢١ الآيات : ١٥ - ١٧
٦٣ الآيتان : ٧٨ و ٧٩	٢٣ الآيات : ١٨ - ٢١
٦٦ الآية : ٨٠	٢٥ الآيتان : ٢٢ و ٢٣
٦٧ الآيات : ٨١ - ٨٣	٢٦ الآيات : ٢٤ - ٢٦
٦٩ الآيات : ٨٤ - ٨٦	٢٨ الآية : ٢٧
٧٠ الآيات : ٨٧ - ٨٩	٢٩ الآيات : ٢٨ - ٣٠
٧٢ الآية : ٩٠	٣١ الآيتان : ٣١ و ٣٢
٧٥ الآية : ٩١	٣٣ الآيات : ٣٣ - ٣٥
٧٦ الآية : ٩٢	٣٤ الآيات : ٣٦ - ٤١
٧٧ الآية : ٩٣	٣٧ الآيات : ٤٢ - ٤٤
٧٨ الآيات : ٩٤ - ٩٦	٣٩ الآيات : ٤٥ - ٤٧
٩٧ الآية : ٩٧	٤١ الآيات : ٤٨ - ٥٠

١٥٥	الآيات: ٣٣ - ٣٦	٨٠	الآيات: ٩٨ - ١٠٠
١٦٠	الآيات: ٣٧ - ٤٣	٨٣	الآيتان: ١٠١ و ١٠٢
١٦٢	الآيتان: ٤٤ و ٤٥	٨٤	الآيات: ١٠٣ - ١٠٥
١٦٨	الآيات: ٤٦ - ٥٥	٨٥	الآيتان: ١٠٦ و ١٠٧
١٧٤	الآيتان: ٥٦ و ٥٧	٨٧	الآيات: ١٠٨ - ١١١
١٧٥	الآيتان: ٥٨ و ٥٩	٩٠	الآية: ١١٢
١٧٨	الآية: ٦٠	٩١	الآيتان: ١١٣ و ١١٤
١٧٩	الآيات: ٦١ - ٦٣	٩٢	الآيات: ١١٥ - ١١٧
١٨٠	الآية: ٦٤	٩٤	الآيات: ١١٨ - ١٢٣
١٨٢	الآيات: ٦٥ - ٦٧	٩٧	الآيتان: ١٢٤ و ١٢٥
١٨٣	الآيتان: ٦٨ و ٦٩	١٠١	الآيات: ١٢٦ - ١٢٨
١٨٤	الآية: ٧٠	سورة الإسراء	
١٨٧	الآية: ٧١		
١٨٨	الآيات: ٧٢ - ٧٥	١٠٤	الآية: ١
١٩٠	الآيات: ٧٦ - ٧٨	١٣١	الآيات: ٢ - ٤
١٩١	الآية: ٧٩	١٣٣	الآيات: ٥ - ٧
١٩٣	الآية: ٨٠	١٣٤	الآيات: ٨ - ١١
١٩٤	الآيات: ٨١ - ٨٣	١٣٨	الآية: ١٢
١٩٥	الآية: ٨٤	١٤٠	الآيات: ١٣ - ١٥
٨٨	الآيات: ٨٥ - ٨٨	١٤٢	الآية: ١٦
٢٠١	الآيات: ٨٩ - ٩١	١٤٣	الآيتان: ١٧ و ١٨
٢٠٤	الآيتان: ٩٢ و ٩٣	١٤٤	الآيات: ١٩ - ٢٢
٢٠٥	الآيات: ٩٤ - ٩٧	١٤٦	الآية: ٢٣
٢٠٧	الآيات: ٩٨ - ١٠٠	١٤٧	الآية: ٢٤
٢٠٨	الآية: ١٠١	١٤٨	الآية: ٢٥
٢٠٩	الآيات: ١٠٢ - ١٠٤	١٥٠	الآيات: ٢٦ - ٢٨
٢١٠	الآيات: ١٠٥ - ١٠٧	١٥١	الآية: ٢٩
		١٥٢	الآيات: ٣٠ - ٣٢

٢٥٢ الآيات: ٤٥ و ٤٦	٢١٢ الآيات: ١٠٨ - ١١٠
٢٥٤ الآيات: ٤٧ و ٤٨	٢١٤ الآية: ١١١
٢٥٦ الآية: ٤٩	
٢٥٧ الآيات: ٥٠ و ٥١	سورة الكهف
٢٦٠ الآيات: ٥٢ - ٥٤	٢١٦ الآيات: ١ - ٤
٢٦٢ الآيات: ٥٥ - ٥٧	٢١٧ الآيات: ٥ و ٦
٢٦٣ الآية: ٥٨	٢١٨ الآيات: ٧ و ٨
٢٦٤ الآية: ٥٩	٢٢٠ الآيات: ٩ و ١٠
٢٦٥ الآيات: ٦٠ - ٦٢	٢٢١ الآيات: ١١ و ١٢
٢٦٨ الآيات: ٦٣ - ٦٥	٢٢٣ الآيات: ١٣ و ١٤
٢٧٥ الآيات: ٦٦ - ٦٨	٢٢٤ الآية: ١٥
٢٧٨ الآيات: ٦٩ و ٧٠	٢٢٥ الآية: ١٦
٢٧٩ الآيات: ٧١ - ٧٣	٢٢٦ الآية: ١٧
٢٨١ الآيات: ٧٤ - ٧٦	٢٢٧ الآية: ١٨
٢٨٣ الآية: ٧٧	٢٣٠ الآيات: ١٩ و ٢٠
٢٨٤ الآية: ٧٨	٢٣٢ الآية: ٢١
٢٨٥ الآيات: ٧٩ - ٨١	٢٣٤ الآية: ٢٢
٢٨٨ الآية: ٨٢	٢٣٦ الآيات: ٢٣ و ٢٤
٢٩١ الآيات: ٨٣ - ٨٥	٢٣٧ الآيات: ٢٥ و ٢٦
٢٩٣ الآية: ٨٦	٢٣٩ الآية: ٢٧
٢٩٥ الآيات: ٨٧ - ٨٩	٢٤٠ الآيات: ٢٨ و ٢٩
٢٩٦ الآيات: ٩٠ - ٩٢	٢٤٤ الآية: ٣٠
٢٩٨ الآيات: ٩٣ - ٩٥	٢٤٥ الآية: ٣١
٣٠٠ الآيات: ٩٦ و ٩٧	٢٤٦ الآية: ٣٢
٣٠١ الآيات: ٩٨ و ٩٩	٢٤٧ الآيات: ٣٣ و ٣٤
٣٠٣ الآيات: ١٠٠ و ١٠١	٢٤٨ الآيات: ٣٥ - ٣٧
٣٠٤ الآية: ١٠٢	٢٤٩ الآيات: ٣٨ - ٤١
	٢٥٠ الآيات: ٤٢ - ٤٤

الآيتان : ١٠٣ و ١٠٤	٣٠٥	الآية : ٥٨	٣٤٦
الآيتان : ١٠٥ و ١٠٦	٣٠٦	الآيتان : ٥٩ و ٦٠	٣٤٧
الآيتان : ١٠٧ و ١٠٨	٣٠٧	الآيتان : ٦١ و ٦٢	٣٤٨
الآية : ١٠٩	٣٠٩	الآيتان : ٦٣ و ٦٤	٣٤٩
الآية : ١١٠	٣١٠	الآية : ٦٥	٣٥٠

سورة مريم

الآيات : ١ - ٣	٣١٤	الآيتان : ٦٩ و ٧٠	٣٥٢
الآيات : ٤ - ٦	٣١٥	الآيتان : ٧١ و ٧٢	٣٥٣
الآيتان : ٧ و ٨	٣١٨	الآيتان : ٧٣ و ٧٤	٣٥٥
الآية : ٩	٣١٩	الآية : ٧٥	٣٥٦
الآيتان : ١٠ و ١١	٣٢٠	الآية : ٧٦	٣٥٧
الآيات : ١٢ - ١٤	٣٢١	الآيات : ٧٧ - ٨٤	٣٥٨
الآية : ١٥	٣٢٢	الآيات : ٨٥ - ٨٩	٣٦٠
الآيات : ١٦ - ١٩	٣٢٣	الآيات : ٩٠ - ٩٥	٣٦١
الآيتان : ٢٠ و ٢١	٣٢٥	الآيتان : ٩٦ و ٩٧	٣٦٣
الآيات : ٢٢ - ٢٤	٣٢٦	الآية : ٩٨	٣٦٤

سورة طه

الآية : ٢٥	٣٢٩	الآيات : ١ - ٤	٣٦٦
الآيتان : ٢٦ و ٢٧	٣٣٠	الآيات : ٥ - ٨	٣٦٨
الآيات : ٢٨ - ٣١	٣٣٢	الآيتان : ٩ و ١٠	٣٧٣
الآيتان : ٣٢ و ٣٣	٣٣٣	الآيتان : ١١ و ١٢	٣٧٤
الآيات : ٣٤ - ٣٦	٣٣٦	الآيتان : ١٣ و ١٤	٣٧٥
الآيات : ٣٧ - ٤٠	٣٣٧	الآيتان : ١٥ و ١٦	٣٧٦
الآيات : ٤١ - ٤٥	٣٣٨	الآيات : ١٧ - ٢٠	٣٧٧
الآيات : ٤٦ - ٥٠	٣٣٩	الآيات : ٢١ - ٢٤	٣٨٠
الآيات : ٥١ - ٥٣	٣٤١	الآيات : ٢٥ - ٣٥	٣٨٣
الآيتان : ٥٤ و ٥٥	٣٤٣	الآيتان : ٣٦ و ٣٧	٣٨٤
الآيتان : ٥٦ و ٥٧	٣٤٤	الآيتان : ٣٨ و ٣٩	٣٨٦

٤٣٣	الآيتان: ١٠٨ و ١٠٩	٣٨٨	الآية: ٤٠
٤٣٥	الآيات: ١١٠ - ١١٢	٣٩٠	الآيتان: ٤١ و ٤٢
٤٣٧	الآيتان: ١١٣ و ١١٤	٣٩٢	الآيتان: ٤٣ و ٤٤
٤٣٨	الآية: ١١٥	٣٩٤	الآيتان: ٤٥ و ٤٦
٤٤٠	الآيتان: ١١٦ و ١١٧	٣٩٦	الآيتان: ٤٧ و ٤٨
٤٤٢	الآيات: ١١٨ - ١٢١	٣٩٨	الآيتان: ٤٩ و ٥٠
٤٤٤	الآيتان: ١٢٢ و ١٢٣	٣٩٩	الآيتان: ٥١ و ٥٢
٤٤٦	الآيات: ١٢٤ - ١٢٦	٤٠٠	الآيات: ٥٣ - ٥٥
٤٤٧	الآية: ١٢٧	٤٠٢	الآيات: ٥٦ - ٥٨
٤٤٨	الآيتان: ١٢٨ و ١٢٩	٤٠٣	الآيتان: ٥٩ و ٦٠
٤٤٩	الآية: ١٣٠	٤٠٤	الآيات: ٦١ - ٦٤
٤٥١	الآية: ١٣١	٤٠٦	الآيات: ٦٥ - ٦٨
٤٥٣	الآيتان: ١٣٢ و ١٣٣	٤٠٧	الآيتان: ٦٩ و ٧٠
٤٥٥	الآيتان: ١٣٤ و ١٣٥	٤١٠	الآية: ٧١
سورة الأنبياء		٤١١	الآيات: ٧٢ - ٧٥
		٤١٣	الآيتان: ٧٦ و ٧٧
٤٥٧	الآيتان: ١ و ٢	٤١٤	الآيتان: ٧٨ و ٧٩
٤٥٨	الآية: ٣	٤١٥	الآية: ٨٠
٤٥٩	الآيتان: ٤ و ٥	٤١٦	الآيتان: ٨١ و ٨٢
٤٦٠	الآيتان: ٦ و ٧	٤١٧	الآيات: ٨٣ - ٨٥
٤٦٢	الآيتان: ٨ و ٩	٤٢٠	الآيتان: ٨٦ و ٨٧
٤٦٣	الآيتان: ١٠ و ١١	٤٢١	الآيات: ٨٨ - ٩١
٤٦٤	الآيات: ١٢ - ١٥	٤٢٣	الآيات: ٩٢ - ٩٥
٤٦٦	الآيات: ١٦ - ١٨	٤٢٦	الآيات: ٩٦ - ٩٨
٤٦٨	الآيات: ١٩ - ٢١	٣٢٩	الآيات: ٩٩ - ١٠١
٤٦٩	الآيتان: ٢٢ و ٢٣	٤٣٠	الآيات: ١٠٢ - ١٠٤
٤٧٢	الآية: ٢٤	٤٣٢	الآيات: ١٠٥ - ١٠٧
٤٧٣	الآيات: ٢٥ - ٢٧		

الآية: ٢٨ ٤٧٤	الآيتان: ٧٦ و ٧٧ ٥١٠
الآيتان: ٢٩ و ٣٠ ٤٧٥	الآيتان: ٧٨ و ٧٩ ٥١١
الآيات: ٣١ - ٣٣ ٤٧٩	الآية: ٨٠ ٥١٤
الآيتان: ٣٤ و ٣٥ ٤٨٢	الآيتان: ٨١ و ٨٢ ٥١٧
الآية: ٣٦ ٤٨٦	الآية: ٨٣ ٥١٨
الآيتان: ٣٧ و ٣٨ ٤٨٧	الآية: ٨٤ ٥٢٠
الآيتان: ٣٩ و ٤٠ ٤٨٨	الآيتان: ٨٥ و ٨٦ ٥٢١
الآيات: ٤١ - ٤٣ ٤٨٩	الآية: ٨٧ ٥٢٢
الآيات: ٤٤ - ٤٦ ٤٩٠	الآية: ٨٨ ٥٢٤
الآية: ٤٧ ٤٩٢	الآيتان: ٨٩ و ٩٠ ٥٢٥
الآيات: ٤٨ - ٥٣ ٤٩٥	الآية: ٩١ ٥٢٧
الآيات: ٥٤ - ٥٧ ٤٩٨	الآيات: ٩٢ - ٩٨ ٥٢٨
الآيات: ٥٨ - ٦١ ٤٩٩	الآيات: ٩٩ - ١٠١ ٥٣٠
الآيتان: ٦٢ و ٦٣ ٥٠١	الآيتان: ١٠٢ و ١٠٣ ٥٣١
الآيات: ٦٤ - ٦٨ ٥٠٢	الآيات: ١٠٤ - ١٠٦ ٥٣٣
الآيات: ٦٩ - ٧٢ ٥٠٥	الآيتان: ١٠٧ و ١٠٨ ٥٣٤
الآية: ٧٣ ٥٠٨	الآيتان: ١٠٩ و ١١٠ ٥٣٦
الآيتان: ٧٤ و ٧٥ ٥٠٩	الآيتان: ١١١ و ١١٢ ٥٣٧